مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الأخطل الصغير

تصدير..

يسرني أن أقدم لمحبي الشعر العربي – دارسين وقراء – ديوان بشارة عبدالله الخوري (الأخطل الصغير) الذي يجمع كاملاً لأول مرة بعد أن صدرت مختارات منه في «الهوى والشباب» الذي نشر عام ١٩٥٣ وتلاه «شعر الأخطل الصغير» الذي أشرف على نشره عام ١٩٦١ كل من الشاعر سعيد عقل والشاعر عبدالله بشارة الخوري النجل الأكبر للأخطل... ولقد سعت المؤسسة جرياً على عادتها لإصدار الديوان الكامل فوفقت إلى ذلك بجهود الخيرين الأستاذة الدكتورة سهام أبوجودة والشاعر الأستاذ جورج جرداق والشاعر الدكتور جورج طربيه فضلاً عن أريحية المحامي الشاعر عبدالله الأخطل الذي وافق مشكوراً على إصدار هذا الديوان الجامع لشعر الأخطل الصغير، فللأربعة كل التقدير والاعتبار، فقد قدموا بصنيعهم هذا خدمة كبرى للشعر العربي المعاصر وللمكتبة العربية بشكل عام.

إن هذا الديوان أو هذه المجموعة الشعرية الكاملة تضم إنجازات الشاعر على مدى عمره وقد أسقطنا منها عدداً من مقطوعات وقصائد البداية وشعر المناسبات الاجتماعية سيما وأن أكثر ذلك سيرد في كتاب النثر الذي يضم مقالاته وإخوانياته..... وذلك بنصيحة ثمينة من لجنة ضمت المحامي عبدالله الأخطل والشاعر جورج جرداق والدكتورة سهام أبوجودة، التي كان لها فضل جمع محتويات هذا الكتاب وتقديمه للقراء.

وإنه لمن دواعي الغبطة أن نتمكن من إنجاز هذا المشروع لأن للأخطل الصغير مكانة كبيرة في نفوس العروبيين، فقد دعا بإخلاص لنهضة الأمة العربية ووحدتها وتقدمها.. وكان من طلائع الصحفيين العرب البارزين الذين قاموا بدور تأسيسي في المجال الصحفي عندما أنشا جريدة البرق عام ١٩٠٨، وتحمل الكثير من العنت والاضطهاد في سبيل حرية الصحافة وحرية المواطن العربي.

لقد شارك الأخطل الصغير أبناء أمته العربية همومهم الصغيرة والكبيرة وأفراحهم وتطلعاتهم وآمالهم بمستقبل أفضل... وكان في طليعة الداعين لتوحيد المشاعر حول الوطن العربي حماية له ولمستقبله ومستقبل الأمة العربية. فقد حلم بوطن تسوده المحبة والإخاء والتعاون، ومثلما تحمس لاستقلال وطنه لبنان وحريته ودعا لتقدمه، فقد فعل ذات الشيء لسائر أنحاء الوطن العربي... كما نادى بالإخاء الإسلامي المسيحي وشارك إخوانه المسلمين أعيادهم ومناسباتهم الدينية، فكان مثالاً للعربي المتفتح والمحب لأمته ولوطنه الكبير.

إن من دواعي الفرح أن وفقنا الله لجمع تراث هذا المبدع العربي الكبير وتقديمه بالصورة التي تليق بمكانته الرفيعة في نفوسنا، ولئن كانت هناك من كلمة ثناء أخيرة فإنني أزجيها لأمين عام المؤسسة الأخ عبدالعزيز السريع ومعاونيه وأخص بالذكر الأخ عدنان بلبل الجابر على الجهود الكبيرة التي بذلها الجميع لإنجاز طباعته ومراجعته، أما الأستاذة الدكتورة سهام أبوجودة التي جمعت هذا التراث وحفظته من الضياع فإنني أهنئها على صنيعها وأشكرها الشكر الجزيل على ما قدمت لأمتها ولوطنها.

والحمد للـه،،،

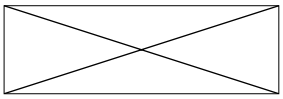

الكويت في ١٩٩٨/٦/٢٢

مقدمة..

لقد رأت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن توكل إليّ تقديم ديوان الأخطل الصغير، الكامل تقديراً منها لما قمت به من جمع شتيت شعر الأخطل الصغير منذ مطلع عهده بالشعر إلى آخر ما خطه قلمه من نفثات شعرية، واعترافاً بالجهود التي بذلتها في تحقيقه وتأريخه وضبط مراجعه، وذكر ما تيسّر من المناسبات التي أوحت به، وإعداده لينشر في ديوان يفي شاعرنا حقه في التقدير والتكريم.

وأعترف أني لم أشعر يوماً برهبة كتلك التي شعرت بها وأنا أعمل على هذا الديوان الذي نظمه شاعر نحبه ونقدره ونجله، شاعر أطرب حياتنا وملأ لبنان والأقطار العربية حباً وإيماناً وأملاً، شاعر دعا إلى الانتفاضة والثورة والرغبة في الحياة الحرة السامية المترفعة عن كل مساومة ومحاباة ورياء... لقد راودتني في هذا المقام أسئلة عديدة، هل نسمح لأنفسنا أن ننشر له كل ما خط قلمه في ساعات القوة والضعف، وفي ساعات النشوة والخدر؟ هل نسمح لأنفسنا من جهة أخرى أن نجرّده من إنسانيته، من لحمه ودمه، ونضع العصمة على هامته..؟ ما كانت رغبته..؟ وما كانت أمنيته؟ لقد ذكر لي مراراً: «أخاف أن توافيني المنية قبل أن أنشر ما أعددته من كتب» غير أن القدر لم يمهله ووقع ما كان منه يتوجس.

يوم عزمت على دراسة سيرة الأخطل الصغير وأدبه لم أجد من آثاره الشعرية والنثرية مطبوعاً بين دفتي كتاب سوى مجموعتين شعريتين: ديوان الهوى والشباب الذي صدر سنة ١٩٥٣ عن دار المعارف، وهو يشتمل على قصائد ومقاطع وموشحات من الشعر الغزلي، محورها الجمال والحب نظمها في المرحلة الأولى من حياته حتى عام ١٩١٤، وعلى قصائد استوحاها من الحرب العالمية الأولى، وعلى طلائع من قصائد الألم والعروبة والجهاد حتى عام ١٩٥٣، ومهر الشاعر الديوان بمقطوعة «تحية الشعر» حيّا بها الأمير عبدالله الفيصل اعترافاً بفضله في طبع الديوان وبمقدمة للأستاذ عادل

الغضبان عنوانها «بشارة الخوري شاعر الهوى والجمال»، واستهل الشاعر الديوان بمقطوعة شعرية وجدانية، عنوانها «لبنان» تشهد بشغفه بلبنان وتفانيه في سبيله، وبتوطئة ذكر فيها أسباب تسميته بالأخطل الصغير، تشهد بانتمائه العربي وإيمانه بمستقبل العرب والإسلام فضلاً عن ترسخ إيمانه المسيحي وتجذره في ذاته.

أما ديوان شعر الأخطل الصغير فقد صدر عن مؤسسة الفونس بدران، ودار المعارف في بيروت سنة ١٩٦١ وهو يشتمل على مختارات شعرية جمعها ابنه البكر الأستاذ عبدالله الخوري، والشاعر سعيد عقل، وبدا لي واضحاً، بعد البحث والتدقيق أنهما قد استلا من قصائد الشاعر الطوال مقاطع نشراها تحت عناوين مختلفة بعد أن أعادا تنسيق الأبيات فضلاً عما أحدثاه فيها من بتر وحذف. فتبدلت معالم القصائد وباتت أشلاء مبعثرة، لا تاريخ بها، ولا مناسبات أوحت بها. من هذه الأعمال ما كان – على ذمة الراوي – يرضي الشاعر، ومنها ما لم يكن قط يرضيه، ولا أزال أذكر كلمته: «الله يسامحك يا سعيد! الله يسامحك يا عبدالله!» وكأني بالأخطل كما صوره سعيد عقل في مقدمة هذا الديوان، «... يبكي لوأد ما يئد من بنات أفكاره، بدموع من نار يبكي».

إني أحترم ما قاما به وأقدر هدفهما البناء، وقد عبّر عنه سعيد عقل بقوله: «وبعد إمرارة القلم على المسودة، قل أصبح الجمال أجمل، ومضى الشعر أبعد نحو صيرورته، دنيا في زهر وقولة حق»، وقد جعلا من الديوان على حد قول سعيد أيضاً: قبباً مكوكبة بالزهر..، بالعناقيد..، بالكؤوس..، عرساً للهنيهة. لقد عملا على نقل الشعر الصافي، المحض. الشعر الفلذة الجوهرية مع الحفاظ على جمع هذه المقاطع بسلك خفي يوحد الديوان «باقة من نجوم العشيّ».

رغم احترامي لما قاما به من تصفية شعر الأخطل الصغير وتنقيته من شوارده، ورغم إيماني بالنقد الفني الجمالي لا أزال أعتقد أن معرفة المؤثرات الخارجية والعوامل الفعالة والشرارات البعيدة والقريبة التي تذكي نار الشاعر وتفجر عبقريته الشعرية تفيد، ولو إفادة جزئية، الناقد والدارس. فهي تلقي في عرف النقد العلمي الحديث

أضواء ثرية على مظاهر الإبداع الذاتي والموهبة الفردية وإن كانت لا توضحها توضيحاً تاماً، ولا تصلح لأن تكون مصدر حكم وتقييم.

وبناء على ما وجدته من نقص في الديوانين، عدت سنة ١٩٦٥ إلى الشاعر أستطلعه الحقيقة، فوجدته قد أشرف على الثمانين من عمره، يعاني مرضاً في الحلق وقلقاً نفسياً، وقد بدا لي حريصاً على أوراقه وعلى جريدته «البرق»، غير أن جميع أفراد عائلته الكريمة، وفي مقدمتهم ابنه البكر الأستاذ عبدالله وزوجته سلوى الرحباني، قد وافوني بما احتجته من معلومات وسمحوا لي بتصوير «البرق» في مكتبة يافت في الجامعة الأمريكية في بيروت وبتصوير رسائل أرسلها الأدباء والشعراء ورجال السياسة والفكر إلى الشاعر، وزودوني بأوراق جمعها الشاعر من مكتبته تبدّى لي أنه كان يعدها للنشر.

عَوّلت على جريدة «البرق» التي صدرت سنة ١٩٠٨ واستمرت حتى سنة ١٩٣٢ (ما خلا سنوات الحرب ١٩١٤ – ١٩١٧) فرافقت الشاعر وعايشت القضايا الاجتماعية والسياسية والإنسانية التي عاناها شاعراً وصحفياً. وجمعت قصائده كلها كما نشرت في حلتها الأولى، وحققت تاريخها، ودونت المناسبة التي نظمت فيها كل منها، فضلاً عن المناخ العام والخاص الذي ولّدها وأنماها. ثم أضفت إليها بعد أن عطلت نهائياً جريدة «البرق»، القصائد التامة التى حظيت بها فى تضاعيف الصحف والمجلات كالمعرض والعاصفة والجمهور والصياد والحكمة وغيرها من الصحف التي سجلت المناسبات الكبرى التي أقيمت للشاعر أو شارك فيها ممثلاً شعراء لبنان، هذا فضلاً عن القصائد التي وجدتها مخطوطة بين أوراق الشاعر أو مطبوعة على الآلة الكاتبة كما أرادها الشاعر.

احتفظت بهذه المجموعة على أمل أن أكمل دراستي وأفي الشاعر حقه من البحث والنقد غير أن الحرب وما رافقها من آلام عامة وخاصة حالت دون ذلك.

وشاء القدر هذه السنة أن تقيم مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين «دورة الأخطل الصغير» وتتبنى طباعة آثاره وفي طليعتها ديوانه كاملاً، فجاء عملها المشكور هذا تحقيقاً لأمنية الشاعر ومحبيه وتخليداً لذكراه.

غير أني أسقطت من مجموعتي بالاتفاق مع المؤسسة والأستاذ جورج جرداق والأستاذ عبدالله الخوري بعض القصائد الأولى التي وجدتها أقرب إلى النظم منها إلى الشعر، واحتفظنا بالقصائد المبينة التي تمثل خير تمثيل مراحل تطور شاعرية الأخطل الصغير ونموها، وتنقل لنا الحالات الوجدانية التي اختلجت في ذاته خلال ثلاثة عهود تاريخية حافلة بالأزمات السياسية والتناقضات الاجتماعية والتحولات العقائدية والفكرية والأدبية.

ومما حدانا أيضاً إلى نشر هذا الديوان كاملاً ما ذكره الناقد الأستاذ أنيس المقدسي في وصفه ديوان شعر الأخطل الصغير، قائلاً: «كان من المنتظر أن تكون هذه المجموعة، وقد صدرت في أواخر حياة الشاعر، ديواناً يضم جميع نتاجه الشعري، فإذا هي مجموعة مختارات تضم القسم الأكبر مما نشر قبلاً تحت عنوان «الهوى والشباب»، مضافاً إليه بعض ما نظمه الشاعر، بعد ١٩٥٣». وأضاف: «مما يؤسف له أن ناشري هذه المجموعة الأخيرة لم يراعوا فيها أية ضرورة لذكر تواريخ المنظومات ومناسباتها وقد رأوا أن يمسوها بكثير من الحذف والتبديل فجاءت مشوشة الترتيب وغير وافية بالغرض الحقيقي من نشر ديوان كامل للشاعر كما كان يأمل المعجبون بشعره والحريصون على دراسته».

وهكذا يجمع هذا الديوان بين دفتيه جلّ شعر الأخطل الصغير في حلّته الأولى منظماً تنظيماً تاريخياً ممهوراً بما تيسر من ذكر المناسبات التي قيل فيها فضلاً عن المراجع التي استقي منها، وقد أشرنا في الهامش إلى الأبيات التي اقتطعت من القصيدة ونشرت مبتورة في ديواني الهوى والشباب وشعر الأخطل الصغير، فوضعنا القارئ والباحث على بينة من أمرها ليرى ما طرأ عليها من تغيير وتبديل والغاية من ذلك جمع شتيت شعر الأخطل الصغير في مؤلف واحد خدمة للشاعر وتيسيراً على الطلاب والباحثين.

ولا ندعي في عملنا هذا أننا لم نترك زيادة لمستزيد فنرجو ألا يبخل علينا النقاد والقراء بملاحظاتهم وتصويباتهم فنقوم بها شاكرين.

سهام أبوجودة

بيروت، آب ١٩٩٨

١ - الجلوس السعيد[١]

عـــيـــد الجـــلـــوس وأي ذي أدبِ
لم تـــثـــنه يـــا عـــيـــد من طـــرب
بـــالأمس بـــدرك كـــان مـــحـــتـــجـــبـــاً
والـــيـــوم أمـــسى غـــيـــر مـــحـــتـــجب
بـــالأمس كـــنـــت ولا أخـــو شـــمم
حـــر وكـــنـــت ولا أخـــو أدب
بـــالأمس كـــنـــت وكـــان أفـــق لا
يـــفـــتـــر فـــيه مـــبـــسم الـــشـــهب

عـــيـــد الجـــلـــوس ولـــست أنـــكـــر مـــا
قـــد مـــرّ مـــنك بـــســـالف الحـــقب
كـــانت أجلْ كـــانت مـــبـــاســـمـــنـــا
تـــفـــتـــر قـــصـــد تجـــنب الـــريب

(١) نظم الشاعر هذه القصيدة يوم انصاع السلطان عبدالحميد لأوامر جمعية «تركيا الفتاة» فاعاد العمل بالدستور الذي علقه منذ سنة ١٨٧٨. فقد ساد آنذاك الفرح الناس على اختلاف عناصرهم ومللهم وميولهم. فأقاموا الزينات والحفلات ابتهاجاً بهذا الحدث. افتتح الشاعر بها جريدته «البرق» ١٩٠٨. وهي قصيدة مدح مبطن بالهجاء. وقد اتخذ الشاعر الدستور منطلقاً فاصلاً بين عهدين: عهد المظالم الذي ساده الاستبداد والعبودية، وعهد الأماني التي عقدت حول الدستور. نرى الشاعر في هذه القصيدة تغاضى عن سيئات عبدالحميد مدفوعاً بالأمل، وقد تخلله لون من الرهبة ومن حرص المجاملة. وقد ظل الشاعر كما نرى في العهد الأول من شعره متحفظاً في موقفه من عبدالحميد ولم ينل من شخصه رغم ما يضمره له من غل، غير أنه ما إن تمَّ خلعه حتى خرج الشاعر من حيطته وهجاه هجاءً مراً صوّر مأساته في داليته «عَبرة وعِبرة» و«ليلى بعد أبيها»، (قصيدتان أثبتناهما في هذا الديوان).
راجع التفاصيل، «الشاعر في العهد العثماني» سهام أبوجودة، الأخطل الصغير، حياته وشعره. كتاب صادر عن مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، بمناسبة إقامة دورتها السادسة، «دورة الأخطل الصغير»، بيروت ، ١٩٩٨.

لـــكـــنـــمـــا كـــانت مـــحـــاجـــرنـــا
تـــــدمى وكـــــان الـــــقـــــلب في لـــــهب
تـــبـــكي مـــعـــالـــيـــنـــا الـــتي انـــهـــدمت
أعلامـــــهـــــا بـــــطـــــوارق الـــــنـــــوب
نـــــبـــــكي ومـــــا نـــــبـــــكي ســـــوى وطن
لـــــعـــــبت بمـــــفـــــرقه يـــــد الـــــعـــــطب

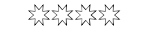

عـــيـــد الجـــلـــوس وكـــيـــفـــمـــا نـــظـــرت
عـــيـــنـــاك تـــلـــقى طـــرف مـــرتـــقب
من لـــلـــمـــلـــيك يـــرى بـــنـــيه ومـــا
فـــعـــلت بـــعـــيـــد جـــلـــوسه الـــذهـــبي
من لـــلـــمـــلـــيك يـــرى الأُلى انـــقـــلـــبـــوا
مـن أوجـــــــهم رأســـــــاً عـــــــلى ذنب
هم صـــوروه لـــنـــا كـــمـــا رغـــبـــوا
رجلاً أتـى فـي صـــــورة الـــــغـــــضب

فـي كـــــفـه ســـــيف المـــــظـــــالم لا
يـــــنـــــفك يـــــغـــــمـــــده بـــــكل أبـي
في صـــــدره نـــــفس بـــــهـــــا شـــــغف
فـي كـل ذي ســـــــــفـه وذي شـــــــــغب
في قـــصـــره في قـــصـــر يـــلـــذر لا
تـــــلـــــقى ســـــوى واشٍ ومـــــرتـــــكب

هي لمـــعـــةٌ لـــلـــحق وانـــحـــســـرتْ
حـــجب الـــريـــا عن وجـــنـــة الـــكـــذب
هي هـــزةٌ لـــلـــعـــدل وانـــقـــلب الـ
ـــظلام عـــدلاً شـــر مـــنـــقـــلب
هي نـــعـــمـــة تـــشـــرى بـــأدمـــيـــة الـ
أبـــطـــال لـــيس بـــذاهـب الـــذهب

عـــيـــد الجـــلـــوس وكـــلّـــنـــا شـــرع
في مـــا جـــنـــتـه لـــوامع الـــقـــضب
نـــهـــفـــو إلـــيك وفي الحـــشـــا بـــرد
وعـــلى الجـــنـــبـــين أدلـــة الـــطـــرب
عـــيـــد الجـــلـــوس ألا نـــقـــلت إلى
مـــولاك مـــا تـــلـــقى من الـــعـــجب
عـــيـــد الجـــلـــوس إذا ظـــفـــرت به
بـــلِّـــغْهُ شـــكـــر الـــتـــرك والـــعـــرب[1]

✱✱✱✱

(١) البرق، أيلول ١٩٠٨، مج: ١، عدد: ١، ص: ١ .

٢ - خطـــاب[١]

يـــا بن الـــوزيـــر وفي الـــبلاد مـــجـــازرٌ
لـــلـــظـــلـم يـــبـــرق في جـــوانـــبـــهـــا الـــدمُ
من عـــرش مـــجـــدك لـــلـــعـــدالـــة نـــظـــرة
يـــنـــجـــو الـــبـــريء بـــهـــا ويـــشـــقى المجـــرم
أتـــنـــام مـــقـــرور الحـــشـــا وقـــتـــيـــلـــنـــا
فـــوق الـــثـــرى وجـــريـــحـــنـــا يـــتـــألم
نـــبِّهْ جـــفـــونك من لـــذيـــذ رقـــادهـــا
فـــجـــفـــونـــنـــا لك بـــالـــدمـــوع تـــتـــرجم
عـــفـــواً فـــدون ابن الـــوزيـــر ثلاثـــة
قـــتـــلى بـــهـــم طـــاح الـــقـــضـــاء المـــبـــرم
ضـــجـــوا وقـــد ســـألـــوا بـــقـــاءك ســـالمـــاً
بـــهـــتـــافـــهـــم لـــكـــنـــهـــم لم يـــسْـــلـــمـــوا
زاروك لـــــكنّ الجـــــنـــــود أبت ســـــوى
بـــذل الـــرصـــاص لـــزائـــريك فـــأعـــدمـــوا
أكـــذا يـلاقي ضـــيـــفـــكـــم بـــجـــواركم
والـــضـــيف في الـــقـــوم الـــكـــرام مـــكـــرَّم
قـــدمـــوا عـــلـــيك ويـــومـــهـــم عـــرس وقـــد
عـــادوا وعـــرســـهـــم بـــظـــلـــك مـــأتم

(١) وجه الشاعر القصيدة إلى يوسف فرنكو باشا، متصرف جبل لبنان آنذاك، على أثر حادثة دامية جرت في بيت الدين.

أمن العدالة أن تسيل مدامع
وثغور من أجرى المدامع تبْسم
أمن العدالة أن يعيشوا بعدهم
والسيف مصقول وأنت محكَّم
أمن العدالة أن تراق دماؤهم
هدراً وأن نساءهم تتظلَّم
عدلاً فإن القتل أنفى عندنا
للقتل (آي للعدالة محكم)

عصر التقهقر مُتْ فإن نفوسنا
سئمتك مت لا كنت يوما تُرحم
عصر التقهقر في البلاد بقية
لك سوف يحصدها الحسام المخذَم
عملتْ على قتل النفوس بريئة
لتعيد ما اقترف الزمان المظلم
خابت مساعيها فإن نفوسنا
أعلى وإنّا بالعواقب أعلم
لا شيء يفرِقُنا ولو سُفك الدم
وتقطعت أعناقنا فليعلموا
انّا تعاهدنا على حفظ الولا
لا كان حبل ولائنا يتصرَّم
هل موردٌ عصر التقهقر حتفه
سيل المظالم بات وهْو عرمرم

فـلـيـسـقط الـظلاّم إن زمـانـهم
ولّى إلى حـيث المـقـام جـهـنم
أفـتـاةَ تـركـيـا فـداؤك مـعـشـر
صـلـوا عـلـيك مع الـزمـان وسـلـمـوا
أتـصـونـنـا أجـنـادهـا بـدمـائـهـا
وجـنـودنـا بـدمـائـنـا تـتـحـكم
حـسـبي أجلْ حـسـبي مـقـالـة شـاعـر
من كِـنْـدةٍ هـو في الـبـيـان مـقـدّم
«لا يـسـلم الـشـرف الـرفـيع من الأذى
حـتى يـراق عـلى جـوانـبه الـدم»
«ومن الـبـلـيـة عـذل من لا يـرعـوي
عن غـيّه وخـطـاب من لا يـفـهم»[1]

****

(١) البرق، أيلول ١٩٠٨، مج: ١، عدد: ١، ص: ٦

٣ - صفحة مطويّة [١]

لا ألـــوم الـــزمـــان يـــا أيـــهـــا الـــشـــر
قُ عـــلـــى الـــذل بل ألـــوم الـــرجـــالا
أنت كـــالـــغـــرب غـــيـــر أن رجـــال الـ
ـــغـرب أمـضى عـزمـاً وأمـضى مـقـالا
كـــنت لـــلـــغـــرب قـــدوة ومـــثـــالا
فـــغـــدا الـــغـــرب قـــدوة ومـــثـــالا
كـــنت مـــجـــلى الأنـــوار في ســالف الـدهـ
ـــرِ فـــتـــبـــاً لحـــاله كـــيف حـــالا
عـــزة تـــنـــطح الـــســـمـــاك ومـــجـــد
في جـــبـــين الأيـــام يـــحـــكي الـــهلالا
ورجـــال كـــمـــا تـــشـــاء المـــعـــالي
ألـــبـــســـوا الـــشـــرق رونـــقـــاً وجـــمـــالا
أين تـــلك الـــنـــفـــوس أخـــمـــدهـــا المـــو
تُ تـــرى الـــعـــلـــم والحـــجـى كـــيف زالا
وتـــرى عـــرش عـــزهـــا كـــيف ثـــلّـــتـ
ـه يـــد الـــغـــاشـــمـــين ظـــلـــمـــاً فـــمـــالا
فـــغـــدا الحـــر خـــاملاً وخـــمـــول الـ
ـــحـــرّ أضـــحـى في الـــشـــرق شـــيـــئـــا حلالا

(١) ذكر الشاعر في مقدمة القصيدة أنها «نظمت في العصر المظلم ونشرت في جريدة «المناظر» محط الرجال الأحرار في الزمن الغابر».

فـــــإذا عـــــاش عـــــاش ثـمّ ذلـــــيلاً
واذا مـــــات مـــــات ثـمّ اغـــتـــيـــالا

أيـــهـــا الـــشـــرق أين أبـــنـــاؤك الـــنـــجـ
ـب الألى فـــيك غـــامـــروا الأهـــوالا
والألى يـــبـــذلـــون في ســـبل المجـ
ـد نـفـوسـا لـلـذل تـأبى احـتـمـالا
هـــاجـــروا خـــوف أن يـــنـــالـــهم الـــظـلـ
ـم وحـــطـــوا لـــدى ســـواك الـــرحـــالا
غـــيـــر أن الحـــنـــين لـــلـــوطن المحـ
ـبـوب كـالـنـار في الـفـؤاد اشـتـعـالا

يـــا ســـمـــاء الـــشـــرق أين نجـمك الـــزهـ
ـــر الـــتي قـــد كـــانت لـــنـــا تـــتلالا
أتُـــراهـــا حـــنّت إلى الـــغـــرب شـــوقـــاً
أم تـــرى أنت ضـــقت عـــنـــهـــا مـــجـــالا
أتُـــــراهـــــا طـــــارت إلـــــيه رجـــــاء
أن تـلاقـي فـــيه لـــهـــا اســـتـــقلالا
فـــادلـــهمّ الأفق الجـــمـــيل غـــداة اتـ
ـــتَـشَحَ الـــشـــرق بـــالـــدجى ســـربـــالا
وغـــــدا والـــــشـــــقـــــاء ملء يـــــديه
بـــعـــد أن جـــرّ لـــلـــهـــنـــا أذيـــالا

يـــا بـــني الـــشـــرق أين كـــنـــتم سلامـــا
من مـــحب بـــذكـــركم يـــتـــغـــالى
أنـــتم الـــقـــوة الـــتي نـــتـــرجى
ذات يـــــوم أن تـــــنـــــعش الآمـــــالا
أنـــتم الـــكف والحـــســـام فـــشـــلّـــوا
كلّ عـــضـــو تـــرون فـــيه اخـــتلالا
وانـــبـــذوا الحـــقـــد والـــتـــنـــافـــر والأغـ
ـــراض والـــعـــنـــفـــوان والاخـــتـــيـــالا
واســـحـــقـــوا مـــفـــرق الـــبـــغـــاة ودوســـوا
نـــصـــراء الـــتـــعـــصب الأنـــذالا
عُـــصَبٌ غـــلّت الـــعـــقـــول وويلٌ
لـــلـــذي راح يـــكـــســـر الأغلالا
تـــدعي كل عـــصـــبـــة مـــنـــهم الجـــنْ
ـــنـــة والـــفـــضل والـــهـــدى والـــكـــمـــالا
ثم تـــنـــفي عن الـــســـوى مـــا ادعـــته
من خـــرافـــات تُـــضـــحك الأطـــفـــالا

أيـــهـــا الـــقـــوم حـــســـبـــكم وكـــفـــاكم
أنْ مـــكـــثـــنـــا في أســـركم أجـــيـــالا
أيـــهـــا الـــقـــوم قـــد مـــنـــحـــنـــا عـــقـــولا
لا تـــبـــقِّي وهـــمـــاً ولا إشـــكـــالا
ومـــنـــحـــنـــا حـــريـــة وإخـــاء
ومـــســـاواة من لـــدنه تـــعـــالى[1]

(١) البرق، أيلول ١٩٠٨، مج: ١، عدد: ٣، ص: ٧-٨.

٤ - وقفة أيها القمر

وقـــفـــة أيـــهـــا الـــقـــمـــر نـــتـــشـــاكى
فـــحـــيـــاتي عـــلـــى خـــطـــر في هـــواكـــا

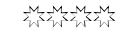

أنت في روضـــــة الـــســـمـــا تـــتـــنـــقلْ
وأنـــــا مـن هـــــوى الـــــدمـى أتـــمـــلـــمل
ويح قـــلـــبـي فـــكـــلـــمـــا أتـــــــأمل
صـــــحت لـــــلـــه مـــــا أمـــــرْ رَ جـفـاكـا
وقـــفـــة أيـــهـــا الـــقـــمـــر نـــتـــشـــاكى

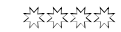

كـــلـــمـــا خـــيَّم الـــظلام بتّ وحـــدي
مـــرسلاً مـــدمع الـــغـــرام فـــوق خـــدي
آه لـــــو أن في المـــــنـــــام بت عـــنـــدي
فـــفـــؤادي قـــد اســـتـــعـــر مـــذ رآكـــا
وقـــفـــة أيـــهـــا الـــقـــمـــر نـــتـــشـــاكى

يـــــا هَـــــنـــــا كلّ من أحب ونـــــــالا
وشـــقـــا من جـــنى الـــتـــعب والمـــــلالا
أي قـــلـــب ومـــا الـــتـــهب مـــذ تَلالا
قـــمـــر الحـــسن واشـــتـــهـــر في سـماكـا

وقـــفـــة أيـــهـــا الـــقـــمـــر نـــتـــشـــاكى

يـــــا فـــــؤادي بـــــحـق مـن تـــهـــواه

كـن صـــبـــورًا لا تـــيـــأسن مـن رضـــاه

فـــعـــسى يـــنـــصف الـــزمن وتـــــراه

وإذا عـــــاكس الـــــقـــــدر وقـلاكـــــا

ودّع الـــشـــمس والـــقـــمـــر وهـــواكـــا[1]

(١) البرق، أيلول ١٩٠٨، مج: ١، عدد: ٤، ص:٧.

٥ - هفوات الصبا

أمن الـــعـــدل أن أعـــيش شـــقـــيّـــا
ومن الـــعـــدل أن تـــعـــيش مـــنـــعَّمْ
أيّ شيء في الـكـــون يـــقـــضي عـــلـــيـــا
دون أدنى ذنب بـــنـــــار جـــهـــــنّم
إن هـذا لمـنـتـهى الـهـمـجـيه
أمن الـــعـــدل أن أكـــون فـــقـــيـــرًا
ومن الـــعـــدل أن تـــكـــون غـــنـــيّـــا
أنـــا أصـــلى من حـــر فـــقـــري ســـعـــيـــرا
أنت تـــســـقى مـــاء الحـــيـــاة هـــنـــيّـــا
يـــا لـــهـــا من قـــســـاوة بـــربـــريه
كل مـــا في الـــوجـــود بـــالـــرغـــد عـــائش
وأنـــا في تـــعـــاســـتي أتـــقـــلَّبْ
لـــيت ســـهم الـــزمـــان مـــا كـــان طـــائش
إذ رمـــاني كـــالمـــوت عـــنـــدي مـــحـــبّب
ظـلـمـتـني إذ أخـطـأتـني المـنـيه
نـــازلـــتـــني دهم الخـــطـــوب فـــمن لي
بـــحـــســـام يـــشج رأس الخـــطـــوبِ
أي حـــرّ لم يـــرمه الـــدهـــر مـــثـــلي
بـــالـــرزايـــا تـــشـــيب قـــبل المـــشـــيب
وتـمـيت الـنـفـوس وهي أبـيه

ذلل الـــدهـــر هـــمَّـــتي فـــشـــبـــابي
لـــيس يـــقـــوى عـــلى احـــتـــمـــال الـــعـــذابِ
وجـــفـــاني مع الـــزمـــان صـــحـــابي
وأنـــا كـــالحـــســـام مـــا في نـــصـــابي
مـــا يـــشـــين الـــصـــوارم المـــشـــرفـــيه
كن كـــمـــا شـــئت يـــا زمـــان فـــنـــفـــسي
لا تـــبـــالي بـــحـــربك المـــســـتـــديم
ســـوف أبـــقى حـــتى أعـــانق رمـــسي
مـــســـتـــقـــيـــمـــاً في مـــبـــدئي المـــســـتـــقـــيم
فـــحـــيـــاتي لـــيـــست تـــعـــزّ عَـــلـــيّه
ســـوف أبـــقى حـــرّ الـــضـــمـــيـــر لأني
لم أطـــوِّق عـــنـــقي بـــقـــيـــد جـــمـــيل
وإذا اســـتـــنـــجـــد الـــقـــصـــيـــدة مـــني
المـــعـــيّ طـــوقت جـــيـــد خـــلـــيـــل
بـــقـــيـــود الـــلآلئ الأدبـــيه
قـــاتل الـــلـــه عـــنـــفـــواني إذا مـــا
ســـامـــني صـــاحـــبي أقل امـــتـــهـــان
ورعى الـــلـــه من فـــؤادي هـــيـــامـــا
بـــخـــلـــيل عـــلى الحـــديث مـــزان
بـــارق الـــعـــواطف الأخـــويه
بل رعى الـــلـــه كل من قـــال شـــعـــرا
رقَّ كـــالخـــمـــر في كـــؤوس الـــنـــدامى
شـــاعـــر رصّع الـــصـــحـــيـــفـــة دراً
غـــيـــر أن الـــهـــنـــاء عـــنه تـــعـــامى
فـــجـــرى مـــســـرعـــاً إلى الأبـــديه

تحت جـــنح الـــدجى وبـــين الخـــمـــائل
وعـــلى شـــاطئ الـــبـــحـــيـــرة طـــورا
يـــرسل الـــشـــعـــر والـــدمـــوع ســـوائل
ويـــنـــاغي الأطـــيـــار طـــيـــرا فـــطـــيـــرا
وتـــنـــاغـــيه بـــالأغـــاني الـــشـــجـــيه
وإذا هـــزت الـــغـــصـــون الـــنـــســـائم
هـــزّ مـــنه الـــغـــرام قـــلـــبـــا فـــتـــيـــا
شـــاعـــر مـــذ شـــجـــاه نـــوح الحـــمـــائم
نـــثـــر الـــدمع طـــرفه لـــؤلـــؤيـــا
وبـكى عـيـشـة الخلاء الـهـنـيه[1]

****

(١) البرق، تشرين الأول ١٩٠٨ ، مج: ١، عدد: ٦، ص: ٣.

٦ - المرأة المظلومة [١]

هـــجـــروني فـــبتّ أجـــري دمـــوعي
فـــوق خـــدّيَّ بـــكـــرةً وعـــشـــيَّه
وحـــبـــيـــبي الـــذي جـــفـــاني جـــنى زهـ
ـــرة حـــبي وقـــد تجـــنَّى عـــلـــيَّه

☆☆☆☆☆

كـنت أنمـو كـالـغـصن في روضـة الحـسـ
ـنِ ومـــــثل الأزهـــــار كـــــنت نـــديَّه
فـــأتـــاني الـــهـــوى ودسّ بـــقـــلـــبي
سُـــمَّه والـــهـــوى يـــجـــرّ الـــبـــلـــيَّه

☆☆☆☆☆

لـــهف قـــلـــبي عـــلى زمـــان به كـــنـ
ـت أبـــاهي الـــكـــواكب الـــدريَّه
وإذا ســـرت لـــلـــكـــنـــيـــســـة يـــومًـــا
ســـار أهلُ الـــهـــوى ورائي رعـــيَّه

☆☆☆☆☆

أنـــا لـــو كـــنت نـــحـــلـــة طـــرت أجـــني
مـن زهـــــور في خـــــده عـــــطـــــريَّه
وإذا مـــا عـــطـــشت يمـــمت ثـــغـــرًا
أرتـــوي من مـــيـــاهه الـــكـــوثـــريَّه

☆☆☆☆☆

(١) ترجم الشاعر هذه القصيدة عن قصيدة فرنسية بعنوان «La Dèlaisseè»

لــو تــخــيــرتُ بــين مــوتيَ يــومًــا
وامـــــتلاكي إيـــــاك بـــــين يَـــــديَّه
كــنت والــلــه صــحت من كل قــلــبي
طــاب لي الــيــوم شــرب كــأس المــنــيَّه

⁂⁂⁂

يــا حــبــيــبي من أجل لــثــمــة خــد
مــنك بــاتت كــأس المــمــات شــهــيَّه
قــد خــلــعت الــعــذار فــيك وهــانت
بك عــنــدي جــهــنم الأبــديَّه

⁂⁂⁂

كم أحب ابــتــســام ثــغــرك بل كم
أنــا أهــوى عــيــونك الــنــرجــسيَّه
بــغــيــتي ثــغــرك الــلــطــيف وحــسبي
مــنه في الحــلــم لــثــمــة وهــمــيَّه

⁂⁂⁂

وإذا خــــيّم الــــظلام ونــــامت
أعــين الــنــاس في الــلــيــالي الــدجــيَّه
جــــئت تحت الــــظلام أســــرق وردًا
نــاضــرًا من شــفــاهك الــورديَّه

⁂⁂⁂

لــطــفك الــســاحــر الــقــلــوب ومــا تمْ
مَ لــنــا في أيــامــنــا الــذهــبــيه
ومــواعــيــدك الــعــقــيــمــة كــانت
أصل مــا بي من لــوعــة وبــلــيَّه[1]

✱✱✱✱

(١) البرق، كانون الأول ١٩٠٨ ، مج:١، عدد:١٤، ص:٨.

٧- حنين وأنـين

عـــشت شـــقـــيـــاً ولم أبـــالِ
ولم يمـــرّ الـــهـــنـــا بـــبـــالي
أعـــلل الـــنـــفس في نـــهـــاري
وألـــزم الـــدرس في الـــلـــيـــالي
رقّ شـــعـــوري فـــرقَّ جـــســـمي
ورقّ ديـــــــنـــي ورقَّ مـــــــالـي
فـــلـــيـــتـــني كـــنت لا رفـــيـــقـــاً
ولا غـــلـــيـــظـــاً عـــلى الـــرجـــال
ولـــيـــتـــني كـــنت ذا يـــســـار
حـــتـى أحـــلّي بـه شـــمـــالي
فـــبي طـــمـــوح الى المـــعـــالي
وبـي جـــمـــوح الى الـــنـــوال

وقـــفت «في الـــســـور» ذات يـــوم
والـــشـــمس مـــالت الى الـــزوال
وذو الـــغـــنى ســـار لا يـــبـــالي
بـــبـــاسط الـــكف لـــلـــســـؤال
وطـــارت الخـــيل فـــيه ركـــضـــاً
ورأسه طـــــار في الخـــــيـــــال
والـــغـــيـــد في المـــركـــبـــات تجـــري
تحـــســـد قـــامـــاتـــهـــا الـــعـــوالي

لحـــاظـــهـــا أســـهم المـــنـــايـــا
تـــرمي بـــهـــا الأكـــبـــد الخـــوالي
فـــــكـم جـــــريـح بـلا سـلاح
وكـم صـــــريـع بـلا قـــــتـــــال

مـــعـــاشـــر الـــفـــاتـــنـــات رفـــقـــاً
فـــقـــد ذهـــبـــتنّ بـــالجـــمـــال
وقـــد أذلـــتنّ من عـــيـــونـي
مـــدامـــعـــاً تـــفـــضح الـــلاّلي
وقـــد ســـلـــبـــتنّ لـي فـــؤاداً
مـــصـــيـــره كـــان لـــلـــوبـــال
كـــأنـــكن الـــنـــجـــوم ســـارت
وفـــوقـــهـــا رايـــة الـــهلال
تـــدعـــو إلى الحب كل قـــلـــب
بـــشـــافع الحـــسن والجلال
مـــعـــاشـــر الـــفـــاتـــنـــات عـــفـــواً
فـــقـــد تـــطـــوحت في مـــقـــالي
فـــلـــيس يـــغـــني الجـــمـــال وجه الـ
ـــجـــمـــيل عن طـــيّب الخلال
ولـــيس يـــعـــلي الـــغـــنى غـــنـــيّـــا
يـــومـــاً إلى ذروة الـــكـــمـــال
ولـــيس يـــحـــمي الجـــبـــان ســـيف الـ
ـــكـــميّ في حـــومـــة الـــنـــزال

يمـــتـــهن الحـــسن وهـــو حـــسن
إن صـــاحب الحـــسن ذا ابـــتـــذال

☆☆☆☆☆

يـــا أيـــهـــا الـــعـــائـــشـــون رغـــداً
الآمـــنـــو صـــولـــة الـــلـــيـــالي
الـــســـاكـــنـــون الـــقـــصـــور فـــيـــهـــا
مـن الأثـــــاثـــــات كلّ غـــــال
المـــنـــفـــقـــون الأمـــوال جـــهلا
عـــلى بـــنـي الـــغـيّ والـــضلال
في الـــكـــوخ يـــا ســـادتي صـــغـــار
يـــبـــكـــون من شـــدّة الـــهـــزال
وعـــنـــدكم مـــثـــلـــهم ولـــكن
مـــا خـــيـــر حـــال كـــشـــرٍّ حـــال
تـــزيـــنـــون الـــصـــغـــار مـــنـــكم
في الـــعـــيـــد بـــالـــدّر والـــغـــوالي
وهم إذا الـــعـــيـــد جـــاء زانت
خـــــــدودهـم أدمـع الـــــــلآلـي

☆☆☆☆☆

لـــو يـــنـــصف الـــنـــاس لم يـــضـــنّـــوا
عـــلى أخي الـــفـــقـــر بـــالـــريـــال[1]

✱✱✱✱

(١) البرق، كانون الثاني ١٩٠٩، مج:١، عدد: ١٧و١٨، ص:١٣٢.

٨ - يا بـــدر

لـك الـــــله يـــــا بـــــدر من صـــــابـــــر
عـــلى حـــالـــة ذاب مـــنـــهـــا الحـــجـــرْ
فـــلـم أجـــتـــز الـــســـنـــوات الـــقلائـ
ـل حـــتـى ســـئـــمت فـــعـــال الـــبـــشـــر
وأنت عـــلـى طـــول عـــهـــدك بـــالـــنـــا
س لم تـــبـــرح الـــدهـــر هـــذا المـــقـــر
فـــمـــا أنت يـــا بـــدر إلا جـــمـــادٌ
ومـــا فـــيك لـــلـــروح أدنـى أثـــر
وربك لـــو كـــان فـــيك شـــعـــور
لـــكـــان تـــولاك مـــنـــا الـــضـــجـــر[1]

****

البرق، كانون الثاني ١٩٠٩، مج:١ ، عدد: ١٧و١٨، ص:١٣٧.

٩ - في غانيتين تضاربتا
بالسيف على الملعب

تلاحمتا حتى تخيلتُ أنني
أرى حور رضوان تثير لظى الحرب
وأطبقتا والسيف في الكف مشهر
كما انطبق الجفنان هدباً على هدب
فقلت لذات الخال والموت كامن
بصارمها والدمع يشرعُ بالصب
حسامكِ لا أخشى مضاه وإنما
أحاذر من سيف اللحاظ على قلبي[1]

****

(١) البرق، كانون الثاني ١٩٠٩، مج:١، عدد: ٢١، ص: ١٦٥ .

١٠ - جـرس العيـد

في ســـكـــون الـــظلام رنّ رنـــيـــنـــا
جـــرس عـــلَّم الحـــزين الأنـــيـــنـــا
فـــأثـــار الأسى وكـــان كـــمـــيـــنـــا
في فـــتى بـــات لـــلـــهـــمـــوم رهـــيـــنـــا
فـجـرى دمـعـه وكـان سـخـيـنـا
جـــرس الـــبـــيـــعـــة الـــذي رنّ لـــيلا
غـــازل المـــشـــتـــري ونـــاغى ســـهـــيلا
جـــفل الـــنـــوم عن عـــيـــونيَ كي لا
يـــحـــجب الـــنـــوم عن عـــيـــونيَ ويلا
ذبت مـنـه أسى وذبت حـنـيـنـا
في ســـكـــون الـــظلام رنّ ولـــكنْ
رنّ مـــنـه في داخـــلـي كل ســـاكنْ
فـــكـــأني بـه ضـــمـــيـــر الخـــائن
رنّ في أذنه وهـــذي الـــكـــوائن
فوقـها يـبسط الظلام السكونا
ســاعـة نمـتـهـا فـكـانت لـقـلـبي
في مـــجـــال الجـــهـــاد هـــدنـــة حـــربِ
إن فـــضلاً عـــلـــيه أحـــمـــد ربي
ســاعـــةً لا أحس فـيـهـا فـحـسـبي
ساعـةً لا أكـون فـيـهـا حـزيـنـا
كـــنـت أغـــفـــو وكـــانت الأحلامُ
مـــذْهـــبـــات وكـــانت الأيـــامُ

بـــاســـمـــات لـــكـــنـــمـــا الأوهـــام
أو رنـــــين الأجـــــراس والأنـــــغـــــام
نـبـهت في الـفـؤاد داء دفـيـنـا
جـرس الـعـيـد مـا ابـتـسـام الـزهـورِ
وغـــنـــاء الـــهـــزار والـــشـــحـــرورِ
يـــجـــعلاني في غـــبـــطـــة وحـــبـــور
أتـــراني أنـــسى الألى في الـــقـــبـــور؟
إن فـيـهـا أحـبـابيَ الـراقـديـنـا
جـــرس الـــعـــيـــد إن زهـــرة وردِ
نـــثـــرتـــهـــا كفّ الـــوفـــا فـــوق لحـــدِ
هي أشـــهى لـــكل صـــاحب عـــهـــد
هـي أولـى بـــــــكل صـــــــاحب ودّ
عـاهـد الـنـفس أن يـكـون أمـيـنـا
جـرس الـعـيـد أنت والـعـيـد عـنـدي
أنـتـمـا مـذنـبـان عن غـيـر قـصـدِ
فـانـبـذاني أرع الـشـقـا فـوق مـهـدي
والحـــقـــا بـــالـــذي يـــعـــيش بـــرغـــد
نـاعم الـبـال ضاحكاً لـلسنـيـنـا
جـــرس الـــعـــيـــد حـــان وقت الـــصلاةْ
وقـد افـتّـر مـبـسم الـكـائـنـاتْ
أيـــقـظ المـــوســـرين والمـــوســـرات
واتـــرك المـــعـــســـرين والمـــعـــســـرات
إنمـا الـعـيـد كـان للأولـيـنـا

****

(١) البرق، نيسان ١٩٠٩، مج: ١، عدد: ٣٢، ص: ٢٥٥.

١١ - عنفوان الشباب

ليضحكني عنفوان الشباب
وتضحكني نشوة للدعي
يسير فيخطر مثل القضيب
من العُجْب في روضه الممرع
ولا يحسب الفرق ما بينه
وبين السماء سوى اصبع
فيا أيها الغرّ حسبك عجْباً
فقد كدت تمشي على الأربع
فإن كنت ذا نهْيةٍ فارعوي
وإن كنت ذا أذنٍ فاسمع[١]

****

(١) البرق، نيسان ١٩٠٩ ، مج: ١ ، عدد: ٣٣ ، ص: ٢٥٩

١٢ - ما حرام سفك الدما

مـــا حـــرام ســـفك الـــدمـــا مـــا حـــرام
قـــتل هـــذا الإنـــســـان يـــا إنـــســـانُ
كـــلـــنـــا إخـــوة ومـــا الـــدين إلا
واحـــد لـــلـــجـــمـــيع من حـــيث كـــانـــوا
اتـــقـــوا الـــله واحـــقـــنـــوا دم هـــذا الـ
ـــخـــلق رفـــقـــاً فـــكـــلـــنـــا إخـــوان[١]

****

(١) البرق. أيار ١٩٠٩، مج:١، عدد: ٣٥، ص:٢٧٩.

١٣ - عَبرة وعِبرة [١]

قِـلَلُ الـشـرق حـاذري أن تـمـيـدي
سـقط الـعـرش عـرش عـبـدالحـمـيـدِ
فـهـوى ربه وكـانت عـلى رجـ
ـليه تـهـوي قـبلاً جـبـاه الـصـيـد
سـنّـةٌ لـلـزمـان عـزٌّ وذلٌّ
قـسـمـا بـين سـيـد ومـسـود
صـاحب الـتـاج أين أنت من الـتـا
ج ومن صـولجـانك المـفـقـود
صـاحب الـعـرش أين أنت من الـعـر
شِ وقـد كـان مـحـكم الـتـوطـيـد
أين تـلك الـشـفـاه تـلـثم رجـلـيـ
ـك وتـدعـو لـلـملك بـالـتـأيـيـد
والـرؤوس المـطـأطـئـات إلى الأر
ض قـيـامـا بـواجـبـات الـسـجـود
والإرادات أيـن تـلـك الإرادا
ت المـبـيـدات كلّ حـر شـهـيـد
ذهـبتْ مـثـلـمـا ذهـبْتَ وبـادت
مـثـلـمـا بـدْتَ يـا بن عـبـدالمجـيـد

---

(١) نظمها يوم سقط عرش السلطان عبدالحميد عام ١٩٠٩.

وقـــفـــة عـــنـــد قـــصـــر يـــلـــدز لـــيلاً
والـــــورى بـــــين هـــــجَّـــــدٍ ورقـــــود(*)
رقـــدوا في المـــهـــود لـــكـــنـــمـــا الأنـ
ـــفس مـــنـــهم في قـــبـــضـــة من حـــديـــد(*)
كل فـــجـــر تـــهب من نـــومـــهـــا الأمْ
مُ وتـــهـــفـــو إلى ســـريـــر الـــولـــيـــد(*)
حـــيث تـــرمي بـــنـــفـــســـهـــا وتـــهـــنّـــيـ
ـه بـــفـــجـــر من الحـــيـــاة جـــديـــد(*)
ثم تجـــثـــو أمـــامه وتـــنـــادي
ربِّ صـــنه من ظـــلم عـــبـــدالحـــمـــيـــد(*)

☆☆☆☆☆

وقـــفـــة وانـــتـــبِهْ لخـــشـــخـــشـــة الـــقـــيـ
ـــدِ وصـــوت الـــوعـــيـــد والـــتـــهـــديـــد
رجل شـــاحب يـــقـــاد إلى الـــســـجـ
ـن مـــحـــاطـــاً بـــعـــصـــبـــة من قـــرود
كـــلـــمـــا همَّ أن يـــســـكِّن قـــلـــبـــاً
هـــاج قـــلـــب أقـــسى من الجـــلـــمـــود
أَلِـــفـــوا الـــظـــلـــم فـــالمـــدامع أشـــهى
عـــنـــدهم من عـــصـــارة الـــعـــنـــقـــود

☆☆☆☆☆

أي ذنب جـــنـــى الـــفـــتـــى لـــيلاقي
مـــا يلاقي من الـــعـــذاب الـــشـــديـــد
كـــان حـــراً وهل ســـمـــعت بـــحـــرّ
عـــمـــره طـــال في الـــزمـــان الحـــمـــيـــدي

☆☆☆☆☆

لا سلام عـــليك يـــا قـــصـــر مـــنّي
لا ولا جـــادك الحـــيـــا بـــبـــرود
مَـطْـلـعـاً كـنت لـلـنـحـوس عـلى الأمْـ
ـمَـة مـا كـنت مـطـلـعـاً لـلـسـعـود
صـفـحـات كـانت لـنـا قـبل بـيـضـاً
فـاسـتـحـالت إلى صـحـائف سـود
كـان عـبـدالحـمـيـد فـيك إلـهـاً
مـسـتـبـداً بـالـرأي غـيـر سـديـد
صـبغ الـبـحـر بـالـدمـا وهـو رمـز
مـعـنـوي إلى احـمـرار الـبـنـود

☆☆☆☆☆

عـاهل الـغـول[1] لـفـتـة ثم رحب
بـطـريـد من المـلـوك شـريـد
قل له يـا لـويس مـاذا جـنى المـلـ
ـك ومـاذا جـنـاه خـفـر الـعـهـود
قل لـه كـيف ثل عـرشك والـعـر
ش عـلـيه يـرف مـجـد الجـدود
قل له كـيف قـادك الجـنـد بـين الـشـْ
شـعب لـلـقـتل راسـفـاً بـالـقـيـود
كـنت أولى مـنـه بـرحـمـة قـوم
رفـعـوا مـنك سـلَّـمـاً بـالخـلـود
أنت لم تـقـتل الـرعـيـة ظـلـمـاً
طـمـعـاً أو تـعـللاً بـالخـلـود

(١) لويس السادس عشر الذي حُكم عليه بالقتل إبان الثورة الفرنسية، والغول إشارة إلى الاسم الذي عُرفت به فرنسا قديماً «بلاد الغال».

أنت يـــا مـــلْك أنت لم تجـــعل الـــكـــتـ

ـب طـــعـــام الـــنـــيـــران ذات الـــوقـــود

لم تـــضـــيِّع أنت الـــبلاد ولم تـــؤ

ثـر عـلـيـهـا عـيش الجـبـان الـكـنـود

فـــلـــئن متَّ متَّ مـــوتـــاً حـــمـــيـــداً

ولـــئن عـــاش عـــاش غـــيـــر حـــمـــيـــد

إيه عـــبـــدالحـــمـــيـــد حـــدِّثْ عن الـــدهـ

ـــر وحـــدث عن يـــومك المـــشـــهـــود

عِـــبْـــرة أنت لـــلـــورى رســـمـــتْـــهـــا

إصـــبـع الـــله في كـــتـــاب الـــوجـــود

كـنت تُـبـكي فـصـرت تَـبـكي وعـهـدي

فـيك عـبـدالحـمـيـد غـيـر بـعـيـد

يـــا لـــيـــالـــيه في «الاتـــين» قـــولي

لـــلـــيـــالي في «يـــلـــدز» لن تـــعـــودي

يـــا لـــيـــالـــيه لا تـــريه ضـــحـــايـــا

هُ فـــتـــعـــروه رعـــشـــة الـــرعـــديـــد

وارحـمـيه «فـالـشـيخ هـاو» ومـا لـلـشْ

ـشَـيخ من طـاقـة عـلى الـتـسـهـيـد

كـــان بـــالأمس والـــبـــرايـــا عـــبـــيـــد

فـغـدا الـيـوم صـاغـرا لـلـعـبـيـد

دمـــعـــة وابـــتـــســـامـــة هـــذه الـــدن

ـــيـــا نـــحـــوسٌ مـــشـــفـــوعـــة بـــســـعـــود

سـنـة الـلـه في الـبـرايـا ومـا كـا
ن قـضـاء الإلـه بـالـمـردود

دفـنت أعـصـر المـظـالم يـا شـر
ق فـرحب بـعـصـرك المـولـود
وابـتـسم لـلـفلاح فـالـتـاج مـعـقـو
دٌ عـلـى مـفـرق الـفـتـى المـعـدود
زال عـصـر الـسـجـود يـا أمم الأر
ضِ فـهـذا عـصـر الإخـاء الـوطـيـد(*)
ظـمـئتْ هـذه الـنـفـوس الى المجـ
ـد فلا تـمـنـعـوا سـبـيل الـورود
دونك الـسـيف يـا مـحـمـد واحم الـ
عـرش فـالـعـرش مـربض للأسـود
لا بـلـغـنـا ذرى المـعـالي إذا لم
يـعل عـصـر الـرشـاد عـصـر الـرشـيـد(*)

طـويت صـفـحـة الـعـتـاب وحـيَّتْ
غـادة الـشـام أخـتـهـا(١) في الـصـعـيـد(٢)

✱✱✱✱

(١) إشارة إلى قصيدة حافظ إبراهيم، شاعر مصر، في سقوط عبدالحميد وعنوانها أيضاً: عَبرة وعِبرة.
(٢) البرق، أيار ١٩٠٩، مج: ١، عدد: ٣٧، ص:٢٩٧.
(*) شعر الأخطل الصغير، «قصر يلدز»، ص: ٣٤.

١٤ - في حسناء فقيرة

شَـكَتْ فـقـرهـا فـبـكتْ لـؤلـؤاً
تـسـاقَطَ من جـفـنـهـا فـانـتـثـرْ(*)
فـقـلـت مـشـيـرًا إلى دمـعـهـا
أفـقـر وعـنـدك هـذي الـدررْ؟(*)(١)

****

(١) البرق، أيار ١٩٠٩، مج: ١، عدد: ٣٨، ص:٣٠٤.

(*) شعر الأخطل الصغير، «شكَت فقرها»، ص:٢٥٦.

فـقـلـت وعـيـنـي عـلـى دمـعـهـا
أفـقـر وعـنـدك هـذي الـدّرر

١٥ - عرف الحبيب

رويـــدك فـــالـــصـــبـــابـــة لا تـــدومُ
ولا يـــبـــقى لك الـــوجه الـــوســـيمُ
وســـوف إذا رأتك الـــعـــين يـــومـــاً
يـــغض بـــهـــا الإبـــاء فلا تـــشـــيم
وســـوف أراك لـــكن مـــا أرى مـــا
بـه قـــد كـــنت من قـــبل أهـــيم
وهـــبـــتك في الـــهـــوى قـــلـــبي فـــأمـــسى
وفـــيه مـــنك يـــا قـــمـــري كُـــلـــوم
فـــكـــيف تـــريـــد أن أبـــقى مـــقـــيـــمـــاً
عـــلى حـــفظ الـــعـــهـــود ولا تـــقـــيم
وتـــطـــلب في الـــهـــوى خلاً جـــديـــداً
ويـــرغب فـــيك صـــاحـــبُك الـــقـــديم
مـــحـــال أن تـــكـــون لـــنـــا حـــبـــيـــبـــاً
وأن نـــــرضى بـــــودٍّ لا يـــــدوم
وأن تـــخـــتـــال من عَـــجبٍ عـــلـــيـــنـــا
ولا نـــشـــكـــو إلـــيكَ ولا نـــلـــوم
فـــيـــا من لجَّ في الإعـــراض مـــهلاً
فـــلـــيس لمـــا أَتـــيتَ به لـــزوم
لـــيـــالـــيـــنـــا الـــتي مـــرّت سلام
عـــلـــيـــهـــا كـــلَّـــمـــا هبَّ الـــنـــسـيم[١]

****

(١) البرق، حزيران ١٩٠٩ ، مج: ١، عدد: ٤٢، ص:٣٣٦.

١٦ - مع النجمة

يـــا نجـــمـــة من فـــوق عـــرش الـــغـــرامْ
تـــرعى بـــعـــين الحب بـــدر الـــتـــمـــامْ
ألـبـسـهـا الـتـسـهـيـدُ ثـوب الـسـقـامْ
فـــانـــظـــر إلـــيـــهـــا تحت جـــنـح الـــظلامْ
ســاهــرة في قــصــرهــا لا تــنــامْ

☆☆☆☆☆

عـــاشـــقـــة تـــرقب وجه الحـــبـــيب
ولا تـــبـــالي في الـــهـــوى بـــالـــرقـــيب
تـرنـو إلى الـسـهل الخـصـيب الـقـريب
كـــأنمـــا في الـــســـهل ســـرّ عـــجـــيب
كـأنمـا في الـسـهل سـر الـغـرام

☆☆☆☆☆

وهبَّ في الـــروض الـــنـــســـيم الـــبـــلـــيلْ
يـشـفي بـلـثم الـزهـر مـنه الـغـلـيلْ
فـــوجـــنـــةٌ تجـــنـي وقـــدٌّ يمـــيلْ
وزهـــرة تـــرنـــو بـــطـــرف كـــلـــيلْ
سـبـحـان من سلَّـحَهُ بـالـسـهـام

☆☆☆☆☆

بـــالـــلـــه يـــا نجـــمـــةُ مـــاذا بكِ
حـــتى تـــلـــظى الـــنـــار في قـــلـــبكِ

فـــهل تـــعـــانـــين جـــفـــا حـــبّكِ
من بـــعـــد مـــا قـــد كـــان في قـــربكِ
فـغـاب لمـا غـاب عـنك المـنـام

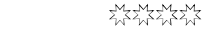

أرى بـــهـــا واجـــمـــة لا تجـــيبْ
لـكـنـمـا في الـقـلب مـنـهـا وجـيبْ
تـــغـــمـــز من تـــهـــوى بـــلـــحظ مـــريب
تَـــبـــين في الأفق وحـــيـــنـــاً تـــغـــيب
عن نـاظـري تحت لـثـام الـغـمـام

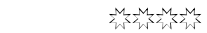

كـــأنـــهـــا تـــائـــهـــةٌ في الـــظُّـــلَمْ
بل دمـــعـــة كـــالـــتـــبـــر أو كـــالـــعـــنمْ
بـل مـــؤنسٌ يـــؤنسُ راعي الـــغـــنمْ
مـــنـــفـــردًا في الـــلـــيل بـــين الأكمْ
يـنـام خـالي الـبـال دون الأنـام

أنتِ الـــتي عـــبـــدتُـــهـــا في الـــهـــوى
ونجمُ حـــظي في هـــواهـــا هـــوى
لي فـــيك قـــلـب يمل لـــلـــســـوى
هـــذي يـــدي لـــلـــعـــهـــد قـــبل الـــنـــوى
يـا نجـمـة مـني عـلـيـهـا الـسلامْ[1]

****

(١) البرق، تموز ١٩٠٩، مج: ١، عدد: ٤٤، ص: ٣٥٣.

١٧ - لك أشكو يا بـدر

لك أشـكـو يـا بـدر شـكـوى أديب
خـائف من حـيـاته أن تـطـولا
نـفـسه مـلّت الـبـقـاء وأمـست
لا تـرى في الحـيـاة شـيـئـاً جـمـيلا
كل حـرّ يـبـلـو الأنـام طـويلاً
يـجـد الـعـيش بـيـنـهم مـسـتـحـيلا
طـبـعت تـلـكم الـنـفـوس عـلى الـذلْ
لِ وهـيـهـات أن يـكـون ذلـيلا
لـست تـلـقى إذا طـلـبت خـلـيلاً
يـحـفظ الـود أو يـراعي الجـمـيلا
من تـراه يـرثي لحـالي إذا مـا
طـعن الـدهـر قـلـبيَ المـتـبـولا
أو تـراه يـبـكي إذا مـا رآني
أذرف الـدمع رقـة ونـحـولا
لك لا لـلـمـسـاء يـا بـدر أشـكـو
ظـلـم هـذا الأنـام جـيلاً فـجـيلا
أنت لا تـقـرب الـورى ولـهـذا
عـلل الـنـفس بـالـبـقـاء طـويلا[١]

****

(١) البرق، تموز ١٩٠٩ ، مج : ١ عدد: ٤٥، ص:٣٦٢.

١٨ - عيد الأمة[١]

عيد تصافح فيه السيف والقلمُ
فليبشر الأشرفان العلم والعلمُ
وليهنأ الشرق أن المجد مرتجع
ولتطمئنّ العلى فالعرش مندعم
عرش لعثمان أبلى الدهر جِدته
وغازلته المعالي وهْي تبتسم
مشى على هضبات النصر - مشيته
فيها الوقار وفيها الحزم والحلم
فطأطأت لجلال المُلْك أرؤسها
تلك الممالك لا زهو ولا شمم
تمشي ولكنْ متى لاح الهلال لها
تجثو احتراما فلا تسعى بها قدم
أبو البنود إذا نار الوغى خمدت
يروّح النار خفاقاً فتضطرم
يدعو إليه بني عثمان قاطبة
ألا تراه متى تلهو به النسم
ما ألبسوه دم الأبطال يوم وغى
إلا ليُنبئنا أنّ الحسام دم
هو السماء وهذا النجم شاهده
فلتستظلّ به ولتتق الأمم

---

(١) نظمت بمناسبة صدور الدستور العثماني الجديد سنة ١٩٠٨.

إذا ادلــهــمت ديــاجــيــر الخــطــوب رمى
بــالــنــور ذاك الــدجى فــانــشــقّت الــظــلم
كــأنه والــبــنــود الــزهــر قــائــمــة
جــسم هــو الــرأس مــنــهــا والــهلال فم
فَمٌ فــصــيح صــمــوت لا يــخــاطــبه
ســوى الــعــيــون الــتي رفــاتــهــا كــلم
تــرنــو ويــرنــو بــعــين الحب عن كــثب
والحب آيــاتــه في طــيــهــا حــكم

أمــا الــعــصــور الــتي مــرت فــهل ذكــرت
تــلك المــواثق أم أودى بــهــا الــقــدم
في ذمــة الــدهــر مــا بــتــنــا نــؤمــله
والــدهــر كــالــنــاس تــرعى عــنــده الــذمم[1]

(١) البرق، تموز ١٩٠٩ ، مج: ١، عدد: ٤٦، ص: ٣٦٥-٣٦٦ .

١٩ - خطاب جديد

كل يـــوم لـــنـــا حـــديث جـــديـــد
وخـــطـــاب مـــلـــفق لا يـــفـــيـــدُ
وقـصـيـد لـصـاحب يـقـتـضـيـني الـ
ـــمـــدح فـيه لا كـان ذاك الـقـصـيـد
كـلـمـا سـيم كـاهن أو سـمـعـنـا
بـــوجـــيه أو كـــلـــمـــا جـــاء عـــيـــد
نـتـجـارى في الـنـظم جـري المـهـارى
والمـــغـــالي هـــو المجـــيـــد المجـــيـــد
وكـثـيـراً مـا يـجـهل الـشـبح المـمـ
ـــدوح مـــاذا نـــعـــني ومـــاذا نـــريـــد
قـد سـئـمـنـا هـذي الحـيـاة فلا غـا
ض فـيـنـا بـحـر الحـيـاة المـديـد
كـلـنـا نـدعي الـتـفـنن لـكن
لم يـزرنـا في الحـلم فـكـر جـديـد
ومن الـــذل أن نـــقـــبل كـــفّـــاً
صـفـدتـنـا بـالأمس مـنـهـا الـقـيـود
ومن الجـهل أن نـسـيـر كـمـا سـا
رت عـلـيـه آبـاؤنـا والجـدود
ومن الـغـبن أن يـكـبـلـنـا الـوهـ
ـمُ فـنـبـقى وشـأنـنـا الـتـقـلـيـد[1]

****

(١) البرق، آب ١٩٠٩ ، مج: ١ ، عدد: ٤٩، ص:٣٩٣.

٢٠- تحيــة وسلام

سلام عـــلى غـــصن هـــذا الـــقـــوامْ
وحـــيّـــاه ثـــغـــر الـــهـــوى بـــابـــتـــســامْ
نـــســـيم الـــصـــبـــا قل بـــحق الـــغـــرام
سلام عـــــلى نجـــــمـــــة الأطـــــلسِ
وغـصن الـنـقـا الأهـيف الأمـيَسِ

نـــســيم الـــصـــبـــا إن بَـــلـــغتَ الـــقـــبـــابْ
وزحـــزحتَ عن وجه لـــيـــلى الـــنـــقـــابْ
يمـــيـــنـــاً ألا مـــا رشـــفت الحـــبـــاب
بمـــبـــســـمـــهـــا الأمـــلس الألـــعس
بمـبـسم لـيـلى الـذي أحـتـسي

أَلـــيـــلى فـــدى لك قـــلـــبي الـــعـــلـــيلُ
وجـــسـمي الـنـحـيل وطـرفي الـكـلـيلُ
فـــدى لك يـــا لـــيل هـــذا الـــقـــتـــيل
قـــتـــيل الـــغـــرام فلا تـــلـــبـــسي
عـــلـــيه الحـــداد ولا تـــيـــأسي

أَلـــيـــلى إذا مت شـــرخ الـــشـــبـــابْ
ألا فـــاذكـــريـــني مـــتى الـــبـــدر غـــابْ

أَلـــيـــلى ألا فـــابـــعـــثي لي كـــتـــاب
مع الـــبـــدر أو فـــإلـــيه اجـــلـــسي
فـقـد كـان بـدر الـسـمـا مـؤنـسي

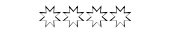

أَلـــيـــلى إذا زرت يـــومًـــا ضـــريـــحي
ونـــاجـــتكِ من داخل الـــقـــبـــر روحي
حـــلـــفتُ عـــلـــيكِ بـــأن لا تـــنـــوحي
ولـــكن بـــحـق الـــغـــرام اغـــرسي
عـلى تُـربَـتي زهـرة الـنـرجسِ

وإن شـــدْتِ يـــا لـــيلُ لي هـــيـــكلا
وحـجّ إلـــيه الـــفـــتى المـــبـــتـــلى
أَلا فـــانـــصـــحـــيهِ إذا مـــا خلا
إلـــيكِ وفي أذنـــيه اهـــمـــسي
إذا شـئت أن تـبـتـني أسِّسِ[1]

✱✱✱✱

(١) البرق، آب ١٩٠٩ ، مج: ١، عدد ٥٠، ص: ٤٠١.

٢١ - بين الأرض والسماء

إلى جـــانب الـــبـــدر نجم جـــمـــيل
يـــرفـــرفُ قـــلـــبيَ دومـــاً عـــلـــيهِ
فـيـحـسـبـه الـنـجم طـيـرًا فـيُـهـدي
إليّ الـــسلام عـــلـى جـــانـــحَـــيْه
ولا يـــرجع الـــقـــلب حـــتى يـــعـــود
ومـــرســـومُ وجـــديَ في مـــقـــلـــتـــيه
فـــيـــا قـــلـب مـــا أنت إلا بـــريـــد
فـــمـــنـــه إليّ ومـــنـــي إلـــيه[1]

****

(١) البرق،أيلول ١٩٠٩، مج: ٢، عدد: ٥٣، ص: ١٣.

٢٢ - حديث عاشقين

أَمنفرداً هكذا لا أزال
أراك متى أسودّ جنحُ الظلامْ
فإن كنت يا نجم مثلي محباً
فقف نتبادلْ حديث الغرام

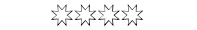

حبيبي إلى جانبي جالس
وفي ثغره اللؤلؤيّ ابتسام
يعاطيني الخمر من كأسِ فيهِ
وأسقيه لكن بكأس المدام
فطوراً أطوّقهُ مثلما
تطوق أم الغلام الغلام
وطوراً أرصّع في جيده
من اللثم عقداً بديع النظام
ويلقي على كتفي رأسَهُ
فأَطبع ثغري عليه ختام
ومذ أطبق السكْر أجفانه
ورنّح مييّاس ذاك القوام
فرشت له الصدر مهداً فنام
ورفّ عليه ملاك السلام

فما الحب يا نجم إلا كروضٍ
وما أنا إلا كطير الحمام

أروّح لـــــلـــــزهـــــر حـــــتى يـــــنمَّ
وأَســـجع لـــلـــغـــصنِ حـــتى يـــنـــام

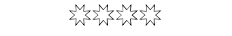

☆☆☆☆☆

هـــنـــا الـــتـــهب الـــنـــجم لـــكن غـــرامـــاً
وقـــال بـــصـــوت شـــجـــاه الـــهـــيـــام
عـــجـــيب أأنت كـــمـــا تـــدعي
ســـعـــيـــد إذن كـــيف هـــذا الـــســـقـــام
ومـــا بـــال دمـــعك لا يـــرعـــوي
وصـــبـــرك مـــا بـــاله لا يُـــرام
أنـــا إن ســـهـــرت فـــعـــذري مـــعي
أنـــا إن شـــكـــوت فـــلـــست أُلام
فـــمـــحـــبـــوبـــتي نجـــمـــة فـــاتـــهـــا
فـــتـــوني فـــهـــامت بـــبـــدر الـــتـــمـــام
وتحـــسب مـــنه الـــســـرار نـــحـــولا
وتحـــســـبه عـــاشـــقـــاً مـــســـتـــهـــام
وقـــد يـــعـــشق الـــبـــدر شـــمس الـــنـــهـــار
ولا يـــعـــشق الـــبـــدر شـــمس الـــظلام
فـــأشـــقى بـــهـــا وهي تـــشـــقى به
ولـــلـــدهـــر في الـــعـــاشـــقـــين احـــتـــكـــام

☆☆☆☆☆

وهـــبَّتْ هـــنـــا نـــســـمـــات المـــســـاء
فـــأغـــرت نـــواظـــره بـــالمـــنـــام
فـــكـــانت له «الأشـــرفـــيـــة» مـــهـــدًا
تـــدلَّى عـــلى جـــانـــبـــيه الـــغـــمـــام[1]

****

(١) البرق، أيلول ١٩٠٩، مج:٢ ، عدد:٥٤، ص:٢١.

٢٣ - غـزالـي قمـر

أيـهـا الـغـزالْ أيـهـا الـقـمـرْ
أنت في الجـمـالْ فـتـنـة الـبـشـر

خـدك الـزهـر حـسـنه ظـهـر
نـهـدك الـثـمـر بـالـبـهـا ازدهـر
ثـغـرك الـدرر حـيَّـر الـفِـكَـر
لحـظك الـنـبـال فـتـكـهـا اشـتـهـر
أيـهـا الـغـزال أيـهـا الـقـمـر

أنت في الـهـوى صـاحب الـلـوا
سـيـفك الجـوى رمـحك الـنـوى
كـيـفـمـا الـتـوى يـتـلف الـقـوى
يـا لـه قـتـال حـرُّهُ اسـتـعَـر
أيُّـهـا الـغـزال أيـهـا الـقـمـر

وجـهُك الحَـسَنْ عـنـدمـا ظـعن
شـرّد الـوسن أنـحل الـبـدن

لـيـتـمـا الـزمن سـامَـني ثـمن

ذلك الـوصـال قـبـلـمـا غـدر

أيـهـا الـغـزال أيـهـا الـقـمـر

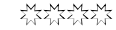

حـاك لي الـغـرام بُـرْدة الـسـقـام

وحـكَى الـغـمـام مـدمـعي الـسـجـام

قـصِّـر الـكلام يـا أخـا الملام

واتـرك الـدلال أتـرك الـسـهـر

أيـهـا الـغـزال أيـهـا الـقـمـر[1]

✱✱✱✱

(١) البرق، تشرين الأول ١٩٠٩، مج:٢ ، عدد: ٥٦، ص:٣٧.

٢٤ - حقيقة شعرية

رمـتـنـيَ عن قـوس الخـطـوب يـد الـدهـر
فـأصـمَتْ فـؤادي بـعـد أن مـزقّتْ صـدري
فـبتُّ وقـد حـامت طـيـور الـشـقـا عـلى
بـقـيـة مـا أبـقـته قـاصـمـة الـظـهـر
وفي وجـنـتي تجـري يـنـابـيع مـقـلـتي
دماً مـثـلـمـا تجري الـعـيون من الـصـخـر
ونُـصب عـيـوني لا يـزال يـلـوح لي
ملاك الـردى والـسـيف في كـفه يـفـري
كـأنـيَ جـانٍ والملاك كـأنـه
خـيـاليَ لا يـنـفك في أثـري يـجـري
فـإن كـنت ذا ذنبٍ فـذاك لأنـني
أبـيٌّ وحـرٌّ في كلامي وفي فـكـري

☆☆☆☆☆

ملاك الـردى هلاّ دخـلـت عـلى قـسـر
مـعـاهـد أربـاب الـوجـاهـة والـيـسـر
لـتـقـتـصّ من ذاك الـغـنـيّ الـذي غـدا
يـضنّ بـبـذل المـال في سُـبُل الـبِـر
وتجـلـده خـمـسـين سـوطـاً عـشـيـة
وتجـلـده خـمـسـين عـنـد ضـيـا الـفـجـر

☆☆☆☆☆

ملاك الـــردى لـــو كـــنت تـــصـــعـــد مـــرة
إلى الجـبل الـعـالي عـلى جـانح الـنـسـر
وتـــدخل بـــاحـــات الـــقـــصـــور الـــتي بـــدت
بـــأعـــلـى ربى لـــبـــنـــان تـــهـــزأ بـــالـــدهـــر

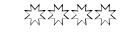

ملاك الـــردى لـــو كـــنت تجـــري عـــلى رضى
إلى حـيث مـجـرى الـنـهي في الـنـاس والأمـر
لـــكـــنت تـــرى الـــظـــلـم الـــقـــبـــيح مـــسـوّدا
تـــعـــززه الحـــكـــام بـــالـــبـــيض والـــســـمـــر
وكـنت تـرى الـبـرطـيل فـيـهم مـؤلـهـاً
لـبـاطـلـه تجـثـو دهـاقـنـة الـعـصـر
فـــمن كـــان ذا مـــال تـــعـــيش حـــقـــوقه
إذا هـو يـسـقـيـهـا بمـنـسـكب الـتـبـر
ومن كـــان ذا فـــقـــر تـــمـــوت حـــقـــوقه
فـيـا ويح أهل الـفـقـر قـهـر عـلى قـهـر
نـــظـــرت بـــعـــيـــني كل مـــا قـــد ذكـــرتُه
فـــبتّ وفي قـــلـــبي أحـــرّ من الجـــمـــر
يـعـيش الـلـئـيم الـغـرّ وهـو مـعـزّز
ويـقـضي الـكـريم الحـرّ مـنـخـفض الـقـدْر
ويـــوصف بـــالـــتـــقـــوى الخـــبـــيث وإنه
لأحـــقـــر من نـــذل وأمـــسخ من هـــرّ
ويـــتـــخـــذ المـــال الـــغـــني ذريـــعـــة
إلى الـــضـــرّ إن غـــلَّت يـــداه عن الـــضـــر

وقـــد يـــدّعي الإصلاح غـــيـــر رجـــاله
لـتـنـفـيـذ مـا تـنـوي الـنـفـوس من الـشـر
ومن طبع بعض الناس أن يلحقوا الأذى
لمن هـو خـيـر الـنـاس عن حـسـدٍ فـطـري

⁂

إلام يـظل الجـهل فـيـنـا مـخـيِّـمـاً
وحـتَّـام نـحـيـا في الـشـقـاء ولا نـدري
جـهـلـنـا لـذاذات الحـيـاة فـلم نـعـد
نمـيّـز بـين الحـلـو في الـعـيش والمـرّ
فـتـبـاً لـذي الـدنـيـا إذا كـان أهـلـهـا
يـسـاقـون أحـيـاء إلى ظـلـمـة الـقـبـر

✱✱✱✱

(١) البرق، تشرين الأول ١٩٠٩، مج: ٢، عدد: ٥٩، ص: ٦١ .

٢٥ - ليلة راقصة

هزّ عطفها عامل الطربْ
غادة غدا حسنها عجب
كلها نُهى كلها أدب
سيف لحظها قاطعٌ ذرب
ويح من إلى خدها اقترب
قد جنى على نفسه العطب

بين خدها والضحى نسب
فيه للبها آية عجب
أي مغرمٍ فيه ما التهب
أي ناظر عنه ما احتجب
بأبي وبي ذلك الشنب
وبمهجتي من لها سلب
رام جذبها من بها انجذب
فإذا بها ربة الرهب
وأنا أسير رهاً المحتسب

ليت غادتي تنزع الريب
أو ليتها ترفع العتب

أيّ زلّـــــــــــــــة صـــبُّـــهـــا ارتـــكب
غـــــــــــادتـــي ألا بـــيِّـــني الـــســـبب
أو فـــــــزحـــــــزحـــي ذلـك الـــــغـــــضب
واهـــــــــــرعـــي إلـى الـــلـــهـــو والـــطـــرب
إنـــهـــا لـــلـــيـــ ـــلـــة مـــرتـــقب
لـــيـــلـــة بـــهـــا كـلُّ مـــا يُـــحب
مـن مـــــدامـــــةٍ فـــضـــة ذهـب
فـــوقـــهـــا مـــشى لـــؤلـــؤ الحـــبب
وسْـط روضـــــــــة حـــسب الـــطـــلب
كـــل نـــــــــازل عـــنـــدهـــا احـــتـــجب
فـــــــهـــــــو آمـن عـــــــين مـن رقـب

حـــبَّـــذا الـــهـــوى والـــعـــفـــاف أب
فـــهـــو كـــالـــعـــلـى رُتَـــــب رُتَـــــبٌ[1]

✱✱✱✱

(١) البرق، تشرين الثاني ١٩٠٩، مج: ٢، عدد: ٦٢، ص: ٨٥ .

٢٦ - هـدية شاعـر

جـــذبـــتـــني يـــوم الخـــمـــيس وقـــالت
بـــعـــد يـــومـــين.. قـــلـت إنـيَ أدري
بـــعـد يـــومـــين يـــقـــبل الـــعـــيـد قـــالت
والـــهـــدايـــا بـــين الأحـــبـــة تجـــري
قـــلـت ذي عـــادة فـــقـــالت وهل تـــف
ـــكـــر فـــيـــنـــا؟ أَجـــبت أنت بـــفـــكـــري
ســـوف أهـــدي إلـــيك من خـــالص الجـــو
هـــر عـــقـــدًا مـــرصـــعـــاً بـــالـــدّر
ســـوف أهـــدي إلـــيك قـــرطـــا ثـــمـــيـــنـــاً
و«بـــروشـــاً» مـــذهّـــبـــاً لـــلـــصـــدر
ســـوف آتـــيك بـــالخـــواتم عـــشـــراً
تـــزدهي مـــنك في أصـــابع عـــشـــر
ســـوف - قف - قـــالت الـــفـــتـــاة وقـــد مـــا
لت بـــغـــصن يـــزهـــو بـــطـــلـــعـــة بـــدر
قـــســـمـــاً بـــالـــضـــيـــاء وهـــو كـــخـــدي
وبـــداجي الـــظلام وهـــو كـــشـــعـــري
مـــــازح أنت أو تـــــقـــــول إذن من
أي أرض غـــــنـــــمت أو أي بـــــحـــــر

فـــتـــبـــســـمت ثم مـــلت قـــلـــيلاً

نـــحـــوهـــا والـــهـــوى يـــشـــدّ بـــأزري

وبلا إذن قـــد نـــثـــرت بـــأذنـــيـــهـــا

كـلامـــــاً كـــــأنه نـــــثـــــر زهـــــر

إنمـــــــا هـــــــذه الـــــــلآلـي «ولا

أنـــكـــر» يـــا هـــنـــد من خـــزائن شـــعـــري

عـــنـــد ذا افـــتـــرّ ثـــغـــرهـــا ثم قـــالت

إن هـــذا الـــلـــســـان آلـــة ســـحـــر[1]

(١) البرق، كانون الثاني ١٩١٠ ، مج: ٢، عدد: ٦٨و٦٩، ص: ١٣٥ .

٢٧- وقفة على الفيدار[١]

وقـفت عـلى الـفـيـدار وقـفـة شـاعـر
يـبـين له بـدر الـسـمـا ثم يـخـتـفي
فـقـلت له يـا بـدر هل أنت طـالب
بـثـأر وإلا أثْـر مَنْ أنت تـقـتـفي
تـطلّ عـلى الـوادي كـأنك راقب
حـبـيـبـين تـبـغي هـتك سـرّهـمـا الخـفي
ومـا اسـتـبـطن الـوادي سـوى مـاء جـدول
يـدبّ دبـيـب الـروح في جـسم مـدنف
كـأنّ أنـين المـاء زفـرة مـغـرم
تـغـلـغل في قـطْعٍ من الـلـيل أغـدف
إذا صـافح الحـصـبـاء فـاضت شـؤونه
وأنَّ أنـين الـوامق المـتـلـهف

☆☆☆☆☆

هـنـاك عـلى الـفـيـدار لـلـفـكـر جـولـة
خـيـالـيـة إن رامـهـا الـطـرف يـطـرف
تـنـاجـيك أسـرار الـطـبـيـعـة بـالـذي
تـنـاجي به نـفس الـفـتى المـتـفـلـسف
وتـقـرأ في صـدر الـسـمـاء صـحـيـفـة
من الأنجم الـزهـراء خُـطَّت بـأحـرف

(١) مطعم على شاطئ جبيل.

شـمـوع تـنـيـر الـبـدر شـرْخ شـبـابه
صـريـعـاً ومـهـمـا يـرجف الجـفن تـرجف
خـوافق كـالـقـلب الـذي ضـرب الـهـوى
بـأوتـاره أو كـالجـنـاح المـرفـرف
يـحـمن عـلى الـفـيـدار حـومـة ظـامىء
فـيـطـبـعن فـيه مـرشـفـاً جـنب مـرشف
فـفي المـاء من زهـر الـنـجـوم سـوافـر
سـوابح في رقـراقه لـيس تـنـطـفي
إذا مـا أطلّ الـبـدر غـيّـبـهـا الـسـنـا
كـأنّ لـسـان الـبـدر قـال لـهـا اخـتـفي

كـأنجم هـذا الأفق في الـشـرق أمّـة
مـتى يـدهـا تـلـمسْ حـشـا الـدهـر يـرجف
تـمـشت عـلى هـام الـعـصـور ومـا اهـتـدت
بـغـيـر فـتىً مـاضي الـصـحـيـفـة مـرهف
إذا أطـلـعت شـمس الـفـخـار سـمـاؤهـا
وقـابـلـهـا بـدر من الـغـرب يـخـسف
فـخـار مـلـوك الأرض نـالت أقـلّه
فـقـالت لـهـا الأيـام حـسـبك واكـتـفي
تـمـشت بـنـا قُـدْمـاً ولـكنّ بـعـدهـا
وقـفـنـا فـلم نـقـدم ولم نـتـخـلف
جـمـدنـا كـأنـا لم نـذق لـذة الـعـلى
ولم نـعـتـقل يـوم الـوغى بمـثـقف

وكنا متى يستصرخ المجد نقتحم

وكنا متى يستصرخ الضيم نأنف

فحطت بنا الأيام من رأس شاهق

مطل على غرّ المحامد مشرف

أأيام نحن العرب هل ترهبيننا

أأيام هلاّ تذكرين فتنصفي

وهل نحن إلا أمّة بوفائها

تباهي فهل أيامها مثلها تفي

لقد وقفتْ والناس تسعى إلى العلى

كأن لسان الدهر قال لها قفي

☆☆☆☆☆

هنا سقطت من مقلة الأفق دمعة

على أمل ذاوٍ ووعد مسوّف[1]

✱✱✱✱

(١) البرق، كانون الثاني ١٩١٠، مج: ٢، عدد: ٦٨و٦٩، ص: ١٣٧ .

٢٨ - فـي الـهوى

ولـي فـي الـــهـــوى شـــعْـــرٌ أرقّ مـن الـــهـــوا
و أصـــفى من الـــدمع الـــذي أنـــا ســـاكـــبُهْ
تـــمـــيس بـه الأغـصـــان يـــانـــعـــة الجـــنى
وتـــخـــتـــال فـي بـــرد الجـــمـــال كـــواعِـــبه[١]

****

(١) البرق، شباط ١٩١٠، مج:٢، عدد: ٧٧ ، ص: ٢٠٥ .

٢٩ - إلى الصديق المعزول...

خسئوا فربك يكره البُطْلا
والحق من تضليلهم أعلى
باحوا بما كنَّتْ قلوبهم
فإذا بها ضرماً غدت تصلى
فاطرح وظيفتهم بوجههم
طرح الحذاء بُعَيد أن يبلى
لن يبلغوا أملاً وما بلغوا
كلا وألفيْ مرة كلا
حسدوك لما أبصروك فتىً
فرداً إليه حبّب الكُلا
فتألبوا حتى إذا احتدمت
نار الضغينة أظهروا الدغلا
هذا جزاء الحر في زمنٍ
عبدت به أبناؤه الجهلا
مهلاً - فتى لبنان - إن لنا
أملاً بتجديد الهنا مهلا
لا تعتب الدهر الخؤون إذا
خَفَضَ الكريم ورفّع النذلا

فـــلـــقـــد عـــرفـــنـــا عـــنه قـــبـــلك مـــا

يـــصـــمي الـــفـــؤاد ويـــدهش الـــعـــقلا

تـــــفـــــديك مـــــنـــــا أنـــــفس أنـــــفت

أربـــــابـــــهـــــا أن تـــــكـــــرع الـــــذلا

مـــــا كل ذي أدب إذا امـــــتـــــشـــــقت

يـــده الـــيـــراع حـــســـبـــته نـــصلا[1]

****

(١) البرق، نيسان ١٩١٠، مج: ٣، عدد: ٨٦، ص: ٢٧٧ .

٣٠ - النـوم الهنـي

نم إن قـلـبي فـوق مـهـدك كُـلَّـمـا
ذكـر الـهـوى صـلّى عـلـيك وسـلَّـمـا(*)
نم فـالملائك عـيـنـهـا يـقـظى فـذا
يـرعـاك مـبـتـسـمـا وذا مـتـرنمـا(*)
نم واجـتن الأحلام أزهـار الـصـبـا
واستـنـزل الـزهـر الـنـجـوم من الـسمـا(*)
نم ملء عـيـنك إن عـيـني مـلـؤهـا
دمع وإن عـنّـفـتـهـا امـتَلأتْ دمـا
نم فـالـسلام عـلـى شـفـاهك سـطـرت
آيـاته فـلـثـمـتـهـا مـتـوهـمـا(*)
نم فـالـهـوى حـرب عـلـيّ لأنه
يـقـضي بـأن أشـقى وأن تـتـنـعـمـا(*)
نم وارْعَ حـبـات الـقـلـوب ولا تـكن
تـرعى كـعـيـني في الـظلام الأنجـمـا(*)
نم أنـت إني إن أنم غـضـب الـهـوى
ويلاه من غـضـب يـجـرّ عـلـيّ مـا
نم فـوق صـدري إنه مـهـد الـهـوى
وعـفـافه أبـدًا يـرف عـلـيـكـمـا(*)
نم أنـت واتـركـني بلا نـومٍ ودع
روحي وروحك في الـهـوى تـتـكـلـمـا
نم أنت واتـركـني إلى قـيـثـارتي
أوحي الـذي بي من هـوى فـنُـتَـرْجِـمـا

فـــأنـــين أوتـــاري صـــدى قـــلب إذا
مـــا راح يـــلـــمـــسه الـــنـــسـيم تـــألمـــا
قـــلب تجـــول به الـــعـــواطف جـــمـــة
حـــتى خـــشـــيت عـــلـــيه أن لا يـــسْـلَـمـــا
وإذا الـــكـــرى لـــعـــبت بـــجـــفـــنك كـــفه
وإذا الـــسـكـــون عـــلى ســريـــرك خـــيَّـمـــا(*)
وإذا الـــنـــسـيم - وأنت في بـــحـــر الـــكـرى
غَـــرِقٌ - دنـــا من وجـــنـــتـــيك لـــيـــلـــثـمـــا
وإذا فـــؤادك - وهـــو يـــخـــفق لـــلـــهـــوى -
جـــعل الـــضـــلـــوع لمـــا يـــؤمل ســـلَّـمـــا
وإذا الـــذؤابـــة فـــوق صـــدرك أرســـلت
رصـــدًا له فـــعـــبـــدت فـــيـــهـــا الأرقـــمـــا
نـــبِّهْ جـــفـــونك لحـــظـــة تُـــبـــصـــرْ فـــتىً
لم يُـــبْقِ مـــنه هـــواك إلا الأعـــظُـــمـــا(*)
جـــاثٍ عـــلى قـــدم الـــســـريـــر وعـــيـــنه
عـــين المـــصـــور حـــاولتْ أن تـــرســـمـــا(*)
لم يـــدن مـــنك وإنمـــا مـــذ تـــمـــتَـــمَت
شـــفـــتـــاك حـــالمـــة دنـــا مـــســـتـــفـــهـــمـــا
فـــأصـــاب صـــدرك صـــدره لمـــا انـــحـــنى
وتـــكـــهـــرب الـــفـــمَّـــان فـــاتحـــدا فـــمـــا

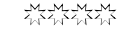

لـــو أن بـــعض هـــواك كـــان تـــعـــبـــداً
- وحـيـاة عـيـنك - مـا دخـلتُ جـهـنَّـمـا(*)(١)

****

(١) البرق، أيلول ١٩١٠ ، مج: ٣، عدد: ١٠٤، ص: ٥ .

٣١ - بين الشعراء

(معارضة قصيدة ياليل الصب)

النجم بثغرك أرصده
والليل بشَعرك أعبدهُ
والظبي لجيدك أعلقه
ولعينك لا أتصيده
يا أخت البدر وذا شرف
لأخيك فمن لا يحسده؟
مضناك ووصلك في يده
قد ضيعه قطعت يده
دنفٌ تطويه ليلته
بهواك وينشره غده
نَفَسٌ يتردد في جسد
لولاه لضلَّت عُوَّده
وخيال ليس به رمق
فعجيب منه تنهُّدُه
قد بكَّى الليلَ فأدمَعَه
جمرٌ يتساقط أبرده
واستهوى الفجر فرقٌ له
وتطوَّع منه أمرده
ضدان على قدميك هوى
مُبْيَض الوجه وأسوَدُه

مـــــولاي وخـــــدك مـــــعـــــتـــــرف
بـــــدمي والـــــلـــــحظ يـــــؤيـــــده
فـــــــــعـلام ولـي حـق بـــــــــدمـي
إن أدنُ اهـــــتـــــزَّ مـــــهـــــنَّـــــده
شـــــرّفْت دمـــــاً ألـــــبـــــست بـه
خـــــــديـك فـــــــزاد تـــــــوردُه
ولـــــقـــــد أشـــــرفت عـــــلى أجَـــــلي
فـــــلـــــعلّ حـــــنـــــانك يـــــبـــــعـــــده[1]

****

(١) البرق، تشرين الثاني ١٩١٠، مج: ٣، عدد: ١١٤، ص: ٨٩ .

٣٢ - خدعته ابتسامة

أيـــهـــا الـــغـــائبُ الـــذي في فـــؤادي
حـــاضـــرٌ كـيف حـــال قـلـبك بـعـدي(×)(*)
لـيس في الـقـلب غـيـر شـخـصك شـخص
أتـــرانـي أنـــا بـــقـــلـــبك وحـــدي
لـــيت عـــيـــنـــيك تـــنـــظـــراني وكـــفِّي
فـوق قـلـبي ومـدمـعي فـوق خـدي(×)(*)
هـــائـــمـــاً في الـــظلام يـــلـــذع حـــرّ الـ
وجـد قـلـبي ويـلـذع الـبـرد جـلـدي(×)
شـــبح طـــائف كـــســـته يـــد الـــلـــيـ
ـلِ بـــبُـــرد كـــوجـــهه مـــســـودّ(×)(*)
يـتـمـشى بـين الـقـصـور وفـيـهـا
راقـــد كلُّ عـــاشِـــقَـــيْنِ بمـــهـــد
فـــعـــلى زنـــد ذاك ألـــطف عُـــنق
وعـــلى عـــنق تـــلك ألـــطف زنـــد
خَـشِـيـا أن يـذيع سـرهـمـا الـبـد
رُ فـــمـــذ لاحَ مـــا رأى غـــيـــر قـــدّ
بـيـد أني لـو شـئت مـا اعـتـرف الـلـيـ
ـل بـسـهـدي ولا اعـتـرفت بـوجـدي(×)

ولَـــمَـــا هـــزّ صـــفع نـــعـــلي للأر

ضِ ســـكـــون الـــظلام إذْ جـــدَّ جـــدِّي(×)

ولمـــا اســـتـــلّـــني الـــشـــقـــاء حـــســـامـــاً

في نـــهـــاري وصـــيَّـــر الـــلـــيلَ غـــمـــدي(×)

ولمـــا حـــيَّـــر الـــكـــواكب مـــني

زفـــرات كـــشـــهـــبـــهـــا ذات وقْـــد(×)

هـــمـــستْ نجـــمـــة بـــأذن أخـــيـــهـــا

هـــمْسَ ثـــغـــر الـــنـــدى بمـــســـمع ورد(×)(*)

مـــا تـــرى يـــا أخي شـــخـــصـــاً عـــلى الـــغـــب

ـــراء يمـــشي لـــكنْ عـــلى غـــيـــر قـــصـــد(×)(*)

مـــثل قـــابـــيل بـــعـــد قـــتل أخـــيه

يـــقـــطع الأرض بـــين رهـــو وخـــد

خـــافق الـــقـــلب كـــالأثـــين عـــلى الـــنـــط

ـع يـــرى المـــوت لامـــعـــاً في الـــفِـــرنـــد(×)(*)

لـــهف قـــلـــبي! فـــقـــلـــبه مـــثل قـــلـــبي

يـــتـــلـــظى وسُـــهـــده مـــثل ســـهـــدي(×)

أي شيء في الـــنـــاس هـــذا أفـــيه

لك قـــبْـــلاً أُخَيَّ ســـابـــق عـــهـــد(×)

حـــفظ الـــله قـــلب أخـــتي من الحـــبْ

ـبِ فـــهـــذا في الحب أصـــغـــر عـــبـــد(×)(*)

خـــدعـــته ابـــتـــســـامـــة من حـــبـــيب

ظنّ أن بـــعـــدهـــا ســـحـــابـــة وعـــد

فـــإذا الابـــتـــســـام وهـــو انـــقـــبـــاض

وإذا الحب غـــيـــر صـــاحب عـــهـــد

فـــانـــبـــرى في الـــدجى لـــيـــدفن فـــيه

بـــعـــد دفن الـــهـــوى بـــقـــيـــة ود

عـــشت يـــا نجمُ فـــالـــهـــوى شـــرّ مـــلك

جـــائـــر في أحـــكـــامه مـــســـتـــبـــدّ

بـــيـــدي قـــد نـــزعت ثـــوب غـــرامي

وبـــهـــا قـــد نـــســـجت حـــلّـــة زهـــدي[1]

(١) البرق، كانون الأول ١٩١٠ ، مج: ٣، عدد: ١١٩، ص: ١٣١ .

(×) الهوى والشباب، «أين عيناك»، ص:٣٦.

(*) شعر الأخطل الصغير، «أيّها الغائب»، ص:١٦٧

٣٣ - ليلى بعد أبيها
أو
(قبل الدستور وبعده)

عـشت فـالـعب بـشـعـرهـا يـا نـسـيمُ
واضـحـكي في خـدودهـا يـا نجـومُ(*)
مَنْ ملاك في بـردتـيـهـا مـقـيم
جـسـد طـاهـر وروح كـريمُ(*)
ومـحـيّـا فيه تـرى الحسن حـيّـا

شـعـرهـا قـطـعـة من الـلـيل والخـد
قـبَّـلَـتْهُ شـمس الـضـحى فـتـورّدْ(×)(*)
وعـلـى صـدرهـا مـتى تـتـنـهـد
مـوجـة هـزّت الـصـغـيـرين في المـهـد(×)(*)
فـاشـرأبّـا كـمن تـخـوف شـيّـا

إنْ مـشت فـالـقـلـوب خُـطـاهـا
لا تـبـالي نـعـيـمـهـا من شـقـاهـا(*)
إن قـلـبًـا تـدوسه قـدمـاهـا
ودمـاه تـبـلّ ذيل رِداهـا(*)
ذلك الـقـلب مـات مـوتـاً شـهـيّـا

يـا قـلـوبـاً جـنى عـلـيـهـا الـشـبـابُ
بـيـن لـيـلى وبـيـنـكنّ حـجـابُ(*)
أمل مـثـلـمـا يـغـرّ الـسـراب
ومُـنى مـثـلـمـا يمـرّ الـسـحـاب(*)
تـتـلـهى بـهـا الـشـبـيـبـة غـيّـا

☆☆☆☆☆

كـان عـصـرٌ وكـان عـبـدالحـمـيـد
شـرّ مـلك والـنـاس شـرّ عـبـيـد
شـبح الـرعب ذو يـدٍ من حـديـد
وعـيـون تـرمي بـذات الـوقـود
فـتـهـزّ الـقـلـوب هـزّاً قـويّـا

☆☆☆☆☆

يـسـتـحل الـدم الحـرام ويـرمي
كـل شـهـم في لـجّ كـل خـضـمٍّ
مـا نجـا من سـهـامه قـلـب أمٍّ
كل أمٍّ تـبـكي عـلـى كل نجم
كـان في قـبـة الـفـخـار وضـيّـا

☆☆☆☆☆

طـفـحت كـأسه من الـدمع والـدمْ
سـبـحت نـفـسه من الإثم في يمْ
يـفـعل الـسـيف مـثـلـمـا يـفـعل الـسم
في يـديه فـكم بـريء تـظـلَّم
وجـريء قـضى وكـان بـريّـا

☆☆☆☆☆

عـهـد عـبـدالحـمـيـد لا كـنت عـهـدا
لمن الـقـصـر بـالـسـواد تـردَّى
أي قـلـب أصـاب سـهـمك عـمـدا
أي نـفس أسـلـمت لـلـمـوت حـقـدا
أي فـجـر صـيّـرت لـيلاً دجـيّـا

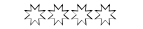

ويك عـبـدالحـمـيـد أيـة ذلّه
أوجـبَتْ قـتل صـادق شـرَّ قـتـله
كـان حـرًا وتـلك أشـرف خـلّه
وأبـاً لابـنـةٍ عـلى المـهـد طـفـله
تـتـغـذى حـنـوه الأبـويـا

مـرّ عـهـد والـعـام يـتـلـوه عـامُ
فـإذا بـالـهلال وهـو تـمـام
بـرز الـصـدر واسـتـقـام الـقـوام
فـعـلى الـثـغـر لـلـصـباح ابـتـسام
وعـلى الخـدّ لـلأزاهـر ريّـا

تـلـكم الـطـفـلـة الـصـغـيـرة شـبَّتْ
وعـلى أشـرف المـبـادي تـربّت
يـوم شـبَّت نـيـران تـمـوز شـبَّت
نـار ذكـرى في قـلـب لـيـلى فـلـبّت
داعيَ الـنـفس قـال لـلـروض هـيّـا

ومشت نحو روضة القصر ليلا
فوق رطب النبات تسحبُ ذيلا
حجبت وجهها عن البدر كي لا
يعلم البدر أن في قلب ليلى
كفناً بالدموع يبقى طريّا

يا بنة الفجر أي خطب عراكِ
أي دمع تذيبه عيناكِ
قَدْكِ تبكين في الظلام أباك
هاك عبدالحميد في الأسر هاك
ذلّل الله منه رأساً عتيّا

يا بنة الفجر والحسان ظلامُ
وابنة المجد والأماجد ذامُ
لك بعل له الزمان غلام
كأبيك الشهيد حرّ همام
نال بين الأحرار شأواً عليّا

يابنة الفجر ما لبعلك مثلُ
قمر في السنا وفي البأس نَصْلُ
هو في صدر كل - صدر - يحل
هو رأس الأحرار بعْد وقَبْل
بل لواء بظله نتفيّا

فـاحـفـظي الـورد نـاضـرًا في الخـدودِ
وتـوقّي أذى الـعـيـون الـسـود
مـا لمـرء من مـطـمع بـالخـلـود
فـارحـمي - عـصـمـتـاً - فـغـيـر حـمـيـد
أن يـرى بـدره كـثـيف المحـيّـا

أنت شـمس في الـبـيت تـمـحـو الـظلامـا
أنت روح في الـصـدر تحـيي الـعـظـامـا
لـيل! إن جـاء عِـصـمتٌ: فـابـتـسـامـا
عـصـمت قـلـبه يـذوب غـرامـا
عـصـمت يـعـبـد الـبـهـا المـلـكـيـا

كل شيء يـحـب حـتـى الـغـصـونُ
فـانـظـري كـيف لـلـنـسـيم تـلـينُ
وانـظـري الـزهـر كـيف وهـو عـيـون
فـيـه لـلـدمع لـؤلـؤ مـكـنـون
حـبـذا الـدمع في الـهـوى لـؤلـؤيّـا

كل شيء يـحـبّ حـتـى الـطـيـورُ
تـسـتـبـيه ويـسـتـبـيـهـا الـغـديـرُ
فـزفـيـر الـطـيـور ذاك الـهـديـر
وهـديـر الـغـديـر ذاك الـزفـيـر
مـا أحبَّ الـغـرامَ نَـشْـراً وطَـيًّـا

كل شيء حـــتى الجـــمـــاد يـــحبُّ
كل شيء لـه كـــقـــلـــبك قـــلبُ
مـــا لـــداء الـــغـــرام يـــا لـــيل طب
غـــيـــر أن يـــنـــظـــر المحبَّ المحبُّ
بـاسم الـثـغـر بـالـعـهـود وفـيّـا

فـاخـلـعي الـلـيل وارتـدي بـالـضـيـاءِ
عـصـمت جـاء... فـاهـرعي لـلـخـبـاء
هـــو في المجـــد ملء عـــين الـــرائي
هـــزّ في الأمس مـــجـــلس الـــوزراء
وكـوى المجـلس الـنـيـابيّ كـيّـا

رجـــعت ثَمَّ نـــفس لـــيـــلى إلـــيـــهـــا
فـانـثـنت بـعـد مـسـحـهـا مـقـلـتـيـهـا
ضـمـهـا بـعـلُـهـا وفي وجـنـتـيـهـا
زرع الـــورد ثم من شـــفـــتـــيـــهـــا
راح يـجـنـيه عـاطـرًا ونـديّـا

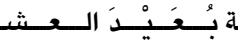

جـلـسـا لـيـلـة بُـعَـيْـدَ الـعـشـاءِ
وهـــمـــا يـــقـــرأان في الأنـــبـــاءِ
مـا لـلـيـلـى تـصـفـرّ كـالحـربـاء
أي ســلك أصـــابـــهـــا كـــهـــربـــائي
أي داء بـــدا وكـــان خـــفـــيّـــا؟!

هــلــعتْ نــفس عــصــمت مــذ رآهــا
فــأتــاهــا لــكي يــرى مــا دهــاهــا
ويك! لا تــقــتــرب جُــعــلتَ فــداهــا
أنت يــا عــصــمت قــتــلت أبــاهــا
فـاذكر الـعـهـد عَـهْـدَ كـنت شـقـيّـا

عــصــمت عــصــمت أابــنــة صــادقْ
عــنــد شــرّ الــورى رمــاهــا الخــالقْ؟
ردّ هــذا الــتــقــريــر إن كــنت صــادق
أو تــكن قــاتـلاً أبي يــا مــنــافق
جـاء في ثـوب غـيـره يـتـزيّـا

الجــواســيس يــدَّعــون الإبــاءَ
الجــواســيس يــدركــون الــعلاءَ
الجــواســيس يــعــرفــون الــوفــاء
لا رعى الــلــه ســاعــة ســوداء
صــيّــرت ذئب يَــلْــدِزَ آدمــيــا

أيــهــا الــقــاتـل الأثــيم فــرارا
خــذ مع الــغــيـم مــركــبًــا طــيــارا
شُقَّ إمــا شــقــقت هــذي الــبــحــارا
وافْــرِ إمــا فــريت هــذي الــقــفــارا
إن تـشـأ مت وإن تـشـأ فـابق حـيّـا

عـــصـــمت لم يَـــفُهْ ولـــكنّ خـــنـــجـــرْ
في يـــديه كـــأنه الـــنـــجم يـــفـــتـــر
شـــكَّه في فـــؤادهـــا فـــتـــفـــجـــر
دمـــهـــا فـــاكـــتـــست بـــثـــوب أحـــمـــر
ثم نـــامت فـــوق الـــثـــرى أبـــديّـــا

☆☆☆☆☆

في ظلال الـــصـــفـــصـــاف قـــرب الـــغـــديـــرِ
مـــنـــذ شـــهـــر يـــرون قـــبـــر فـــقـــيـــرِ
نـــابـــتـــاتٍ عـــلـــيـــه بـــعض زهـــور
لاجـــئـــاتٍ إلـــيـــه بـــعض طـــيـــور
حيث ظلُّ الـصفصاف ينشر فيّا

☆☆☆☆☆

قـــال راعي الـــقـــطـــيع إن هُـــنـــاكـــا
شـــبـــحـــاً عـــيـــنُه رأت أو ملاكـــا
وأتى آخـــرٌ وقـــالَ ســـواكـــا
قـــد رأى في جـــفـــونه أسلاكـــا
تـتـهـاوى مـنـهنّ شـيّـاً فـشـيّـا

☆☆☆☆☆

فـــجـــأة ذلك المـلاك تجـــلّـــى
وعـــلـــى مـــدفن - الـــشـــهـــيـــدة - حلا
قـــال روح الإلـه عـــزّ وجـلا
آمُـــرُ الـــنـــاسَ ان يـــشـــيّـــدوا مـــصـــلّـــى[1]
لحـظـوظ الأحـرارِ في تـركـيّـا

✱✱✱✱

(١) البرق، شباط ١٩١١، مج: ٣، عدد: ١٢٦، ص: ١٨٨ .
(×) الهوى والشباب، «وصف فتاة عند العرب»، ص:٣٥.
(*) شعر الأخطل الصغير، «عشت فالعب بشعرها»، ص:١٣٧-١٣٨.

٣٤ - علّ هذي الذكرى

أتـــرى يـــذكـــرونـه أم نـــســـوهُ
هم ســقــوه الــهــوى وهم أســكــروهُ(*)(×)
عـــلَّـــلـــوه فـــكـــان أقـــتل شيء
ذلك الــصــد بــعــدمــا عــلَّــلــوه(*)(×)
عَـــمْـــرك الـــلـــه هل عـــرفت فـــؤاداً
كـــفـــؤادي عـــلـــيه جـــار ذووه(*)(×)
زعـــمـــوا أنـــهـم شَـــرَوه ولـــكن
لـــيت شـــعـــري هل صحَّ مـــا زعـــمـــوه؟
إن أكن بـــعـــتـــهم فـــقـــد كـــان شَـــرْطي
حـــفظ ودي لـــكـــنـــهم ضـــيّـــعـــوه
فـــســـحـــبت الـــســـفـــيـــر وهـــو غـــرامي
وكـــذا هم ســـفـــيـــرهم ســـحـــبـــوه

لـــيـــتـــهم يـــذكـــرون لـــيـــلـــة كـــنّـــا
والـــهـــوى نـــحـن أمُّهُ وأبـــوه(*)(×)
وعـــيـــون الـــنـــجـــوم تـــرنـــو إلـــيـــنـــا
ولـــســـان الـــدجى يـــكـــاد يـــفـــوه(*)(×)
والـــنـــســـيم الخـــفـــيف يـــلـــهـــو بـــثـــوبـــيـ
ـــنـــا كـــطـــفـل ذووه مـــا هـــذبـــوه(*)(×)

ورشـفـنـا كـأس الحـمـيّـا فـبـاحت
بـالـذي في الـصـدور مـنـا الـوجـوه[×][*]
قـلـت أهـواك يـا ملاكُ فـردتْ
مـقـلـتـاه لـكن تـلـعـثم فـوه[×][*]

علّ هـذي الـذكـرى تـنـبـه هـنـداً
وعـسـاه يـفـيـدنـا الـتـنـبـيه
قـلـب هـنـد أخٌ لـقـلـبي فـويل
لأخ سـامه الـعـذاب أخـوه[١]

(١) البرق، نيسان ١٩١١ مج: ٣، عدد: ١٣٤، ص: ٢٥٣ .

(×) الهوى والشباب، «قلت أهواك يا ملاكي»، ص:٣٩.

(*) شعر الأخطل الصغير، «أترى يذكرونه»، ص:٢٤٦.

٣٥ - وردة على صدر

زهـــرة الـــورد صـــدر هـــنـــد لك الـــعـــر

ش فـــهل تـــطـــمـــعـــين بـــعـــد بـــعـــرش؟![*]

أم هـــو المـــســـتـــطـــاع يـــزهـــدُ فـــيهِ؟

زهـــرة الـــورد لـــيت عـــرشك نـــعـــشي[*][١]

****

(١) البرق، أيار ١٩١١، مج: ٣، عدد: ١٣٩، ص: ٢٩٣.

(*) شعر الأخطل الصغير، «صدر هند»، ص:٢٧٩.

٣٦ - غرامي بكم

غــرامي بــكم لــو تــعــلــمــون فــإنه
يــغــالــبــني حــيــنــاً وحــيــنــاً أغــالــبُهْ
رمــيتُ به في بــحــر دمــعي تــشــفِــيــاً
فــعــامت عــلى وجه المــيــاه مــراكــبه
وقــد كــان لي في الحب قِــدمــاً مــذاهب
فــبتُّ وقــد ضــاقت عــليّ مــذاهــبه
أحنّ إلى ريح الــشــمــال إذا هــفت
ومــا هي إلا مــرسل الحب نــائــبه[1]

****

(١) البرق، حزيران ١٩١١ ، مج:٣، عدد: ١٤٣، ص:٣٢١ .

٣٧ - أجل سئمنا الهوانا

قد سئمنا أجل سئمنا الهوانا
وسئمنا من أجله لبنانا
فهجرنا تلك الربوع اللواتي
تَخَذَتْها أجدادنا أوطانا
أربُعٌ تنبت الذليل من الـ
ـسِ وترعى اللئيم والقرنانا
ويعيش الأديب فيها غريباً
ويظل الأبي فيها مهانا
ويبيت الضعيف فيها على الضيـ
ـمِ فلا يألف الكرى الأجفانا
حاله نستعيذ بالعدل منها
لا سلاماً لا غبطةً لا أمانا

إيه لبنان والجداول تجري
فيك بردا فتنعش الظمآنا
إيه لبنان والنسيم عليلاً
يتهادى فيعطف الأغصانا
حبذا السفح معبدًا لصغار الطْـ
ـطَير تشدو لربها الألحانا
خافقات الجناح للشمس آناً
خافقات الفؤاد للحب آنا

آمـنـات في الـسـفح كـاسـرة الجـوْ
وِ فلا تـأتـلي به طـيـرانـا
فـتـرف الأديم تـخـتـلس الحبْ
بَ وتـظـمـا فـتـقـصـد الـغـدرانـا
وإذا الـشـمس ودعت - ودعت تـلـ
ـك الـسـواقي والـزهـر والأفـنـانـا
واسـتـقـرت في وكـرهـا آمـنـات
كل قـلـبـين يـخـفـقـان حـنـانـا
مـطْـبـقـات الجـفـون يـحـفـظـهـا الأمْـ
ـنُ كـمـا الجـفن يـحـفظ الإنـسـانـا

☆☆☆☆☆

أيـهـذي الـطـيـور من قـسّم الحظّ
ومن قـال لـلـشـقـا كن فـكـانـا
أيـهـذي الـطـيـور لم نـعـهـد الإنـ
ـسـانَ من قـبل يـحـسـد الحـيـوانـا
أيـهـذي الـطـيـور حـسـبك في الـسـفـ
ـح انـطلاقـاً جـوانـحـاً ولـسـانـا
أتجـيـديـنه الـبـيـان عـلى الأفـ
ـنـان والـنـاس لا تجـيـد الـبـيـانـا
وتـعـيـشـين والـرجـال بـلـبـنـا
ن يمـوتـون شـقـوةً وهـوانـا
إن كـفّـاً تـفـصّل الـثـوب لـلـعـر
سِ لَـكفٌّ تـفـصّل الأكـفـانـا

☆☆☆☆☆

رحـمـةً بـالـقـلـوب يـا طـيـر غـني
فـعـسـانـا نـسـلـو الـشـقـاء عـسـانـا

واسحرينا بما تغنّين حتى
لا ترى مصرع العلى عينانا
وانزعي طوقك المخضّب إنا
نحسب الطوق خضبته دمانا
نحن صنوان يا حمائم في البؤ
سِ كلانا مطوَّقان كلانا
كيف حال الشمال من أرض لبنا
ن أما زال يقذف النيرانا؟
ويريق الفتى دماء أخيه؟
ويحه ... كان قلبه صوّانا
إن من يزرع الدماء بأرض
أيها الناس يحصد الأحزانا

☆☆☆☆☆

أيها الحاكم[1] الذي راح يلهو
إن في اللهو لو علمت شقانا
نبه الجفن من كراك فقد حا
مت نسور الفلا على قتلانا
أربع من سنيك مرت ولولا
أمل بالرحيل مات رجانا
ما عرفنا والأمر أمرك فينا
أمليكاً توجتَ أم سلطانا
ما عرفنا أرَبٌّ يلدز أقوى
أنت منه أم من أنوشروانا
مثل عبدالحميد عندك أعوا
ن ولكن لم يخلصوا أعوانا

(١) أوهانس قيومجيان باشا، آخر متصرف لجبل لبنان، وفق نظام الامتيازات والحماية الدولية.

مـنـحـوك الـلـسـان مـنـحـة تـدلـيـ
ـسٍ ولـكن لم يمـنـحـوك الجـنـانـا
فـإذا صـادمَـتْك دُهم الـلـيـالي
وتـطـلـعت لا تـرى إنـسـانـا
إن بـعض الـقـلـوب لا يـنـبت الـشـك
ـران مـهـمـا زرعت إحـسـانـا

خـرستْ ألـسن الـبلابل يـا شـعـ
ـرُ فلا حـافـظـاً ولا مـطـرانـا
ولـقـد تـسـكت الـبلابل لا عـجـ
ـزاً ولـكن لـتـسـمع الـكـروانـا
شـاعـر في الـشـآم إن قـال شـعـراً
ردّدتْه الـعـشـاق في أصـفـهـانـا
كـلـمـا أعـجم الـزمـان حـبـيـبـا
(وظّف) الـشـعـر عـنـده تـرجـمـانـا[1]

****

(١) البرق، تموز ١٩١١، مج:٣ ، عدد: ١٤٧ ، ص:٣٥٣.

٣٨ - وصال الغواني

وفـــاتـــنـــتي فـــتـــنـــة لـــلـــنـــهى
لـــهـــا رتـــبـــة فـــوق كل الـــرتبْ
إذا غـــضـــبَتْ أين مـــنـــهـــا الـــرضى
وإن رضـــيَتْ أين مـــنـــهـــا الـــغـــضب
مـــشى نـــحـــوهـــا بي بـــخـــار الـــهـــوى
فـــطـــورًا ذمـــيلاً وطـــورًا خـــبب
ولمـــا اجـــتـــمـــعـــنـــا ودارت بـــنـــا
بـــنـــات الـــهـــوى وبـــنـــات الـــعـــنب
تـــثـــنت فـــيـــا خـــجـــلـــتـــا لـــلـــغـــصـــون
وغـــنت فـــيـــا خـــجـــلـــتـــا لـــلـــقـــصب(×)
وضـــاحـــكت الـــكـــأس عن مـــبـــسم
بـــه مـــســـتـــقـــر لآلي الحَـــبَبْ
وجـــالت عـــلى صـــدرهـــا مـــوجـــة
فـــهـــاج لـــهـــا نـــهـــدهـــا واضـــطـــرب(×)
يـــهم لـــيـــســـبـــقـــهـــا بـــالـــوثـــوب
فـــتـــلـــجـــمه بـــلـــجـــام الأدب(×)

☆☆☆☆☆

وألـــقـــيت رأسي عـــلى زنـــدهـــا
فـــطـــوقـــني زنـــدهـــا بـــالـــذهب
حُـــلِيٌّ الـــغـــواني تـــقـــول لـــنـــا
وصـــال الـــغـــواني لمن قـــد وهب

وهل أنـــــا أول ذي صـــــبـــــوة
تجـــاذبه حـــســـنـــهـــا فـــانجـــذب
وهـل أنـــــــا أول ذي مـــــــدمع
ســـقى وردة الخـــدّ لمـــا انـــســـكب
وهل قـــلب هـــنـــد ســـوى صـــفـــحـــة
وهـل أنـــــا أول مَنْ قـــــد كـــــتـــب
ومـــا هـــنـــد إلا ســـراج الـــهـــوى
إذا حـــام قـــلـب عـــلـــيه الـــتـــهب

ومـــرّت لـــنـــا لـــيـــلـــة بـــالـــصـــفـــاء
كـــبـــرق هـــفـــا في الـــدجى واحـــتـــجب
لـــكـــنـــا نـــعـــاتب فـــيـــهـــا الـــزمـــان
ولـــكـــنه لا يـــفـــيـــد الـــعـــتـــب[1]

(١) البرق، تشرين الثاني ١٩١١، مج:٤، عدد: ١٦٣، ص:٨٥

٣٩ - أزهـــــار[١]

نـــبـــتت هـــذه الأزاهـــر في الـــديـــر
عـــلى صـــدر أطـــهـــر الـــراهـــبـــاتِ
ونَـمَتْ يـضـحك الـعـفـاف لـفـيـهـا
هـكـذا يـضـحك الـنـدى لـلـنـبـات
وتـــغـــذت هـــنـــاك بـــالأرج الـــزا
كي ودبّت عـــلى خـــدود الـــبـــنـــات
وسـقـتـهـا الـعـذراء دمـعـاً لـتـحـيـا
إن دمع الـــعـــذراء مـــاء الحـــيـــاة[٢]

****

(١) تهنئة الياس بركات، عضو دائرة الجزاء الاستئنافية، في قرانه.
(٢) البرق، كانون الأول ١٩١١، مج: ٤، عدد: ١٦٥، ص:٩٩.

٤٠ - سلمى في العيد

لـبـستُ الـدجى حـلّـة والـشـبـاب
شـديـد عـلـيه لـبـوس الـدجى
ورحـت أطـالـع نجـم الـرجـاء
وقـد أطـفـأ الـيـأس نجم الـرجـا
وفي مـقـلـتي لمـعت دمـعـة
حـمـدتُ لـهـا الـلـيل لمـا سـجى
أتـلـك الـتـي لمـعَتْ دُرّة
تـرصّع (سـلـمى) بـهـا الـدمـلـجـا
إذا أقـبل الـعـيـد لا مـرحـبـاً
وقـد طـلـع الـفـجـر لا أبـلـجـا
فـسـلـمى غـدًا تحـسـد الـغـانـيـات
وسـلـمى غـدًا تـكـبـر الـبـهـرجـا
تـرى تـلك طـوّقـهـا بـالـنـضـار
(فـتـاهـا) وتـلك لـهـا تـوّجـا
فـتـدخل في يـأسـهـا مـدخلاً
تـضِلّ به نـفـسـهـا المخـرجـا
فـتـرجـو لـو انّ الـدجى سـمّـرت
بـأنجـمـهـا أنـهـا المـلـتـجى
وتـغـبط تـلك الـتي في الـقـفـار
تـهـزّ بـهـا نُـوقُـهـا الـهـودجـا

تـــشمّ الخـــزامى عـــلى أمـــهـــا
وتـــنـــهج في زهـــوهـــا مـــنـــهـــجـــا

سُـــلَـــيْـــمى - وعـــيـــني فـــدى عـــيـــنـــهـــا
وقـــد لمـــعت بـــشـــعـــاع الـــرجـــا -
رويـــدكِ لا تـــســـرعي بـــالـــهـــجـــاء
كـــبـــيـــر عـــلى الـــدهـــر مـــنك الـــهـــجـــا
إذا الـــــدرّ زان رؤوس الحـــــســـــان
فـــــقـــــد زان رأسك درّ الحـــــجـــــى[1]

✱✱✱✱

(١) البرق، كانون الثاني ١٩١١، مج:٤، عدد: ١٦٩ ، ص: ١٣١-١٣٢ .

٤١ - البلبل المغرِّدُ

«تـذكـار لـيـلـة»

صـداح يـا مـؤنس هـذا الأراكْ مـــــالي أراكْ تشدو فسبحان الذي قد براكْ(×)

تستقبل الفجر بصوت رخيمْ يحيى الرميمْ(×)
وتـلـثم الـزهـربـثـغـر بـسـيم لثم النسيم(×)
وتنشد الغصن الرشيق القويم فـيـسـتـهـيم
أمَا ومَن جـوْهَرَ بـالسحر فاك حـين اصطفاك لم يصف هذا الروض لولا صفاك(×)

صفقْ كما شئت بهذا الجناحْ فلا جُـنـاحْ(×)
وشمّ خـد الـزهَـرَات الـصـبـاح فـهـو مـبـاح(×)
وحيِّ بـالإنـشـاد ثـغـر الأقـاح خدن الصباح
فالروض لم يختر مليكاً سواك فـانـشـر لـواك فـكـلـنـا مـجـاهـد في هـواك(×)

مُـرْ هـذه الأطـيـار أن تـنـشـدا فـتـنـشـدا(×)
مُرْ هـذه الأقـمـار أن تـسـجـدا فـتـسـجـدا(×)
مُـرْ هـذه الأعـمـار أن تـخـلـدا فـتـخـلـدا
وبعد فافعل ما تشا في فتاك فـشـفـتـاك تكفي فماذا تبتغي مقلتاك(×)

ما أجمل الوردة بين الكمام ذات ابتسام[×]

كأن على مبسمها العذب حام رمز الغرام[×]

يا مبسما يفتن لبَّ الأنام بلا كلام

أنجمة لامعة أم سناك أرى هناك طوبى لثغر طاهر قد جناك[×]

روح فتى الشعر الأديب الأريب هذا النسيب

أودعته بعض مزايا الحبيب لكي يطيب

عساه من ذات العفاف العجيب له نصيب

صدّاح إن تقبله فانشد أخاك نلت مناك روحي فداها وحياتي فداك[١]

****

(١) البرق، كانون الأول ١٩١١، مج: ٤ ، عدد: ١٦٧، ص: ١١٤ .

(×) الهوى والشباب، «صداح»، ص:٤٠.

٤٢ - لو يفهم الناس الهوى

سـلَـختْ عـني الـلـيـالي من أودْ
مـثل سـلـخ الأم عن مـهـد الـولـدْ(*)
فـافـتـرقـنـا - عـادة الـدهـر - وهل
عـادة الـدهـر سـوى أخـذٍ ورد(*)
وقـفـة كـانت لـنـا يـوم الـنـوى
صـحت فـيـهـا مـدد الـله مـدد(×)
يـوم أهـويت عـلى فـيـهـا وفي
خـدهـا جـمـر وفي عـيـني بـرد
يـوم مـنـا الـصـدر بـالـصـدر الـتـقى
يـوم مـنـا الـثـغـر بـالـثـغـر اتَّـحـد
يـوم لـو عـين عـلـيـنـا وقـعت
لـرأت روحـين جـالا في جـسـد(*)
فـإذا الـبـين ومـا الـبـين سـوى
شـفـرة من شـفـرة الـسـيف أحـد
شـطـر الـدهـر بـهـا ذاك الجـسـد
ورمى الـشـطـرين كلاً في بـلـد
ولـقـد كـنـا ومـا كـنـا سـوى
مـثـلـمـا يـسـتـجـمع الـعـيـنـين خـد(×)(*)
أو جـنـاحـي طـائـر روَّعه
شـرك الـصـيـاد يـومـاً فـشـرد(×)(*)
فـافـتـرينـا بـلـدًا بـعـد بـلـد
وقـطـعـنـا أمـداً بـعـد أمـد

وهـبـطـنـا الـروض لا تـخـشى بـنـا
طـيـره شـراً ولا نـخـشى حـسـد
وعـيـون الـزهـر مـذ أبـصـرنـنـا
جـمـد الـدمع عـلـيـهـا فـانـعـقـد
وتـغـنّت فـوقـنـا أطـيـاره
هـكـذا الأم تـغـنّي لـلـولـد

☆☆☆☆☆

حـبـذا أنت أُويْـقـات الـصـبـا
من أويـقـات لـهـا عـنـديَ يـد(*)
مـعـبـداً قـمت عـلى دين الـهـوى
ذاك ديـن الحق بـل ديـن الأبـد(*)
أنـزل الـوحي عـلى أبـنـائه
وأتى الـنـاس بـأسـمى مـعـتـقـد(*)
والـهـوى - لـو يـفـهم الـنـاس الـهـوى -
زهـرة الخـلـد عـلى صـدر الجـلـد

☆☆☆☆☆

إيه يـا ذكـرى لـيـالـيـنـا الـتي
كـلَّـمـا عـنّت لـهـا الـقـلب سـجـد
عـاتـبي هـنـداً فـهـذا طـرفـهـا
عـلق الـغـمض عـلـيه فَـرَقَـد

☆☆☆☆☆

إنمـا الـعـمـر كـتـاب بـعـضه
ظـاهـر والـبـعض في عـلم (الأحـد)
صـفـحـة الأمس الـتي أقـرأهـا
مـا تـرى أقـرأ في صـفـحـة غـد(١)

✱✱✱✱

(١) البرق، شباط ١٩١٢، مج:٤، عدد :١٧٣، ص:١٦٧.
(×) الهوى والشباب، «مدد الله مدد»، ص:٥٦.
(*) شعر الأخطل الصغير، «عادة الدهر»، ص:٢٠٤.

٤٣ - رثاء والـده

وقــفت حــيــال الــقــبــر مــا أنــا نــابس
بــشــعــر ولــكن مــقــلــتي تــنــبس الــشــعــرا
وهل كــنت عــنــد الــقــبــر غــيــر قــصــيــدة
بــواكي قــوافــيــهــا تــرى دون أن تُــقــرا
فــتى دامع الــعــيــنــين مــضــطــرب الحــشــا
يــكــفــكف بــالــيــمــنى ويــسـنـد بــالــيــسرى
وفي عــيــنه مــا يُــعــجــزُ الــوصفَ بــعــضُه
وفي صــدره مــا بــعــضه يــجــرح الــصــدرا[1]

****

(١) البرق، آذار ١٩١٢، مج:٤، عدد: ١٧٥، ص: ١٨١ .

٤٤ - أما الفـــؤاد

أمـــا الـــفـــؤاد فـــبـــالأسى يـــتـــلـــهَّبُ
والـــدمع يمـــلح في الـــشـــفـــاه ويـــعْـــذَبُ
يـــا صـــــدر أي فـــــؤاد صبٍّ خـــــافقٍ
تـــطـــوي وأي مـــنـــىً فـــؤادك يـــطـــلـــب
هل بـــعـــد إدراك الـــكـــواكب مـــطـــلـــب
لمـــــؤمَّل أم فـــــوق ذلك مـــــنـــــصب
أم تـــلـــك آمـــال الـــشـــبـــاب إذا خـــبـــا
أمـل بـــــــدا أمـل أغـــــــرّ وأغـــــــرب
وبـــوارق الآمـــال مـــنـــهـــا صـــادق
يُـــروى الـــظـــمـــاء به ومـــنـــهـــا خـــلَّب
والـــنـــاس بـــيـــنـــهـــمـــا جـــهـــول مـــخـــصب
ضـــخـــم الـــبـــطـــانـــة أو أديب مـــجـــدب
والمـــال - والأيـــام لـــؤمٌ طـــبـــعـــهـــا -
كـــالمـــاء عـــاث به فـــكـــدّر ثـــعـــلـــب
يـــســـتـــنـــكف الـــرجل الـــعـــزيـــز وروده
ويـــجـــيـــئه الـــرجل الـــذلـــيل فـــيـــشـــرب

عـــيـــنـــاك يـــا أخت الـــغـــزالـــة في الـــضـــحى
لـــو تـــرحـــمـــان دمي الـــذي يـــتـــصـــبب

ذهب الـــشـــبـــاب به وكـــنت له يـــداً
شـهـد الـبـنـان عـلـيك وهـو مـخـضَّب
أو كـلَّـمـا غَـزَلتْ جـفـونك غـزلـة
قـلـبي كـمـا شـاء الـهـوى يـتـكـهـربُ
لـو تـذكـرين ومن خـدودك صـفـحـة
والحبّ يمـلي والمـبـاسم تـكـتب
حبّ عـلى شـفـتـيك سـطـرٌ مـعْـجَمٌ
مـنه وفي عـيـنـيك سـطـر مـعـرب
مـتـسـاقـيـان من الـغـرام مـدامـة
ثـغـر يـطـوف بـهـا وطـرف يـسـكب
أيـام وصـلـك مـا ادعـاه مـدعٍ
إلا وبـادره حـسـام أشـطـب
والحبّ أصـدقه الـشـقي به الـفـتى
فـإذا نـعـمت به فـإنك تـكـذب
وألـذّ حبّ اثـنـين أن يـتـعـاتـبـا
فـإذا أنـا وحـدي الـذي أتـعـتّب
هـمس الـوشـاة بـأذنـهـا فـتـريـبت
لـو تـفـطـنـين فـلـلـوشـايـة مـأرب

يـا هـنـد قـد ألف الخـمـيـلـة بـلـبل
يشدو فتصطفق الغصون وتطرب(*)(×)
هـو شـاعـر الأطـيـار لا مـتـكـبـر
صـلـف ولا هـو بـالإمـارة مـعـجب(*)(×)
تـتـعـشق الأزهـار عـذب غـنـائه
فـإذا شـدا فـبـكل ثـغـر كـوكب(*)(×)
والـغـصـن - والأوراق آذان لـه -
مـاذا تـرى فـيـهـا الـنـسـيم يـثـبـثب؟(*)(×)

وإذا الضحى لمعت بوارق ثغره
نادى بأجناد الطيور تأهبوا[×][*]
فسمعت للأطيار موسيقى على
نغماتها يأتي النهار ويذهب[×][*]
والصوت موهبة السماء فطائر
يشدو على غصن وآخر ينعب[×][*]
هي للهزار مكانة من أجلها
دبّت بأفئدة الحواسد عقرب
فتألبوا من حول أشمط أشيب
يحدو به للشر أشمط أشيب
فإذا هم حول الغراب عصابة
بأحطّ من أخلاقها تتعصب
فشكوا لبعضهم الهزار وجذوة
بفؤاد كلٍّ منهم تتلهب
وتشاوروا فإذا الوشاية خير ما
شَرَكٌ به يقع الهزار فيعطب
فسعوا به فإذا الهزار مقفَّص
والبوم منطلق الجوانح يلعب[*]

☆☆☆☆☆

يا هند إني كالهزار فإن يكن
هو مذنباً فأنا كذلك مذنب[×][*][1]

****

(١) البرق، حزيران ١٩١٢، مج: ٤، عدد: ١٧٧، ص: ٢٠٧.
(×) الهوى والشباب، «الصوت موهبة السماء»، ص:٤٩
(*) شعر الأخطل الصغير، «شاعر الأطيار»، ص:١٥٣-١٥٤.

٤٥ - ليلة يأس

تبسمْ وشعِشعْ لي السلافة في الكاسِ
فثغرك في ليل الحوادث نبراسي(*)
ولا تلمس الكأس التي قد رشفتها
أخاف على كفيك من حرّ أنفاسي(*)
يقول ليَ الآسي فؤادك موجع
فمن أنبأ الآسي بفعلك يا قاسي
وينصحني الإخوان بالخمر أنها
على زعمهم تشفي من الألم الراسي
فها أنا أستشفي بها كلّ ليلة
ألم ترني أستتبع الكاس بالكاس
يميناً بمن أجرى الغرام بمهجتي
فصيَّرني في الناس من أتعس الناس
وددت لو أني لا أرى الغدر سبَّة
ولو أن قلبي في الهوى غير حساس
إذن لنهبت العيش صفواً ولذة
فما العيش لو تدري سوى حسوة الحاسي

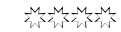

وربَّتَ عينٍ جمَّلَتْها دموعها
كما جمَّل الحسناء عقدٌ من الماسِ

وما الدمع إلا أسطر خطها الأسى
على وجنة كاليبس من ورق الآس
ألا فاحجبوا عني الجفون التي بها
منظمة كالدّر حبات إحساسي
خذوا كبدي من أضلعي وامسحوا بها
مساوئ ذي باس ومدمع ذي ياس
رثيت لقلبي إنه في يد القضا
كعصفورة في كف أغلب فرّاس
تحاول أن تنجو فيقعدها العيا
فترجع عنه وجعة الخاسر الخاسي

☆☆☆☆☆

خليليَّ إن يجمعكما الدهر بعدنا
فلا تنسيا من لم يكن قط بالناسي
هجرت مغاني الأنس لا متعمداً
ولكنْ هي الأقدار أحنى لها راسي
عليَّ ديون في الغرام كثيرة
فلا تعجبا إن رحت أعلن إفلاسي[1]

✱✱✱✱

(١) البرق، حزيران ١٩١٢، مج: ٤، عدد: ١٧٧، ص:٢١٩.
(*) شعر الأخطل الصغير، «أخاف على كفيك»، ص:٣١١.

٤٦ - وصف فتاة عند الإفـرنج

رقـدت تـرشف الـكـرى مـقـلـتـاهـا
مـثـلـمـا تـرشف الـعـطـاش المـيـاهـا
صـاعـداتٍ أنـفـاسـهـا هـادئـاتٍ
كـصلاة الأطـفـال طـهـرٌ شـذاهـا
تحـلم الحـلم لـؤلـؤيـاً فـتـمـلـ
ـيه طـهـوراً عـلى الـصـبـا شـفـتـاهـا
وأزاح الـنـسـيمُ عنْ صـدرهـا الـثـو
ب فلاحـا... ولا تـقل نـهـداهـا
شك في نـفـسه الملاك فلا يـدْ
ري إذا كـان صـبَّـهـا أم أخـاهـا[1]

نظمت سنة ١٩١٢

****

(١) البرق ١٩٣٠، عدد: ٣٣٦٣، ص:٦.
- الهوى والشباب «وصف فتاة عند الإفرنج» ص:٣٥
- شعر الأخطل الصغير، «كصلاة الأطفال» ، ص:٣٠٣.

٤٧ - أمير ليالي العاشقين!

سـألـتك إلـهـامي الـبـيـان فـلم تجب
كـأنك غـضـبـان لـهـجـرانيَ الـشـعـرا
أجل لك حـرمـاني قـصـاصـاً فـإنـني
هـجـرتك هـجـراً مـا وجـدت له عـذرا
أسـاءك أن تـلـقى الـنـجـوم كـواسـداً
عـلى طـبق الـزرقـاء مـنـثـورة نـثـرا
أسـاءك أنـي لا أمـدّ أنـامـلـي
فـأُمـلي بـهـا يـا بـدر أنمـلك الـعـشـرا
أمـيـر لـيـالي الـعـاشـقـين أنـا الـذي
حـرقت عـلى قـدسيّ هـيـكـلك الـعـمـرا
أمـيـر لـيـالي الـعـاشـقـين أنـا الـذي
جـعـلت عـظـامي مـرْقَـماً ودمي حـبـرا
أمـيـر لـيـالي الـعـاشـقـين أنـا الـذي
بـإلـهـامك الـسـامي رفـعت الـهـوى قـدرا
أتـيـت الـهـوى والحب فـوضى أمـوره
فـهـذبـته لـفـظـاً ورقّـيـته فـكـرا

هـجـرتك لـكن حبّ أخـتـك جـرّني
فـمـا حـيـلـة المـضـنى نـظـيـري إذا جـرّا

رمـتـني بـلـحـظـيـهـا فـصـرت إذا مـشت
مـشـيت وإن تجـلس جـلـست لـهـا قـسـرا
كـأنيَ مـنـهـا في الـهـوى كـخـيـالـهـا
وقـد رسـمَـتْه الـشـمس قـاربتِ الـظـهـرا
صـغـيـر قـريب نـابت عـنـد خـطـوهـا
كما ينبت العسلوج في النخلة الخضرا
تـقـيه كـأم الـطـفل عـاصـفـة الـهـوا
وتـدفع جـهـد الـنـفس من دونه الحـرا
وتـرضـعه مـاء الحـيـاة فـيـغـتـدي
وأفـنـانه مـخـضـرّة تحـمل الـزهـرا
أزاهـر لـلـداني يـجـود بـنـشـرهـا
ويـرسل لـلـنـائي مع الـنـسم الـنـشـرا

بلادك فـاعـلـم نـخـلـة أنت فـرعـهـا
فـلـست تـفـيـهـا كـيف اوسـعْـتَـهـا شـكرا
رأيت أخـاك الـغـصن يـنـفح بـالـشـذا
فـكن نـافـحـاً من طـيب أخلاقك الـعـطـرا
وخـذ لك عن أزهـاره في افـتـرارهـا
مـثـالاً - ويـحـلـو الـثـغـر إن كـان مـفـتـرّا
وإن عـصـفت ريح الخـطـوب فـلِن لـهـا
كـذا تـفـعل الأغـصـان كي تـأمن الـكـسـرا
ولـو عَـقِل الـغـصن المـثـقّل بـالجـنى
لمـد عـلـى الأثـمـار أوراقه سـتـرا

إذن لـــتـــوقَّى راشـــقـــيه ولم يـــدع
حـجـارتـهم تـعـلـو عـلى سـاقه فِـثْـرا
كـذا فـلـيـحـجّب صـاحب الـفـضل فـضـله
إذا خـــاف أن تـــغـــدو حـــواســده كـــثـــرا

وغـــال فـــتى الأشـــعـــار غـــائـــلـــة الأسى
فـــأطـــرق إطـــراقـــاً به نـــسي الـــبـــدرا
فـكـنت إذا طـالـعت صـفـحـة وجـهه
قـرأت خلال الجـلـد مـا لم يـكن مـقـرا
كـــأنك من خـــديه صـــفـــحـــة كـــاتب
تـخـال - وقـد حـدّقت - أحـرفـهـا الـشـعـرا
كـئـيب كـأن الـبـشـر سـاعـة خـلـقه
قضى فـهـو لم يـعـرف ولن يـعـرف الـبشرا
رأى قـــومه في حـــالـــة قـــال عـــنـــدهـــا
مـتى هـذه المـوتى - مـتى تـدرك الـنـشـرا!
فـــصـــاح صـــدى من جـــانب الحيّ قـــائل
مـتى احـتـرمتْ أوطـانك الـرجل الحـرا[1]

✱✱✱✱

(١) البرق، تموز ١٩١٣، مج:٥، عدد:٢٣٦، ص:٣٤٩.

٤٨ - وابسمي للشباب

ارقـــدي تحـــرس الملائك عـــيـــنـــيـ
ـكِ فـــعـــيـــنـــاك عـــزّ هـــذا المُـــلْكِ
وابـــسـمي لـلـشـبـاب فـهْـو جـمـيل
واتـــركي مـــقـــلـــتي الـشـقّـيـة تـبـكي
في عـــروقي بـــقـــيـــةٌ من دمـــائي
لم يـدعـهـا جـفـنـاك من غـيـر سـفك

☆☆☆☆☆

هـــو ذا الـــبـــدر جـــاء يـــلـــثم خـــديْ
ـكِ فـــلـم لا تـــقـــصـــين ذا الـــصبّ عـــنك
إن يـــكن في الـــنـــجـــوم حـــبّـــة نـــور
فـــأنـــا في الأنـــام حـــبّـــة مـــسك[1]

****

(١) البرق، آب ١٩١٣، مج: ٥، عدد: ٢٤٠ ، ص: ٣٨١ .

٤٩ - فقالت أنا

ومـثـلـيَ لا يـنـسى الـلـيـالي بـإهْـدِنِ
وما عـنـد مـجـرى الـنـبع من كل نـاهـده
ظبـاء يـخـاف الـشـرك فـيـهـا أخـو الـهـوى
وقـد خُـلـقتْ نـفس المحـبـين عـابـده(*)
عـلى أنـنـي والـغـيـد تَـشْـهَم بـعـضـهـا
عـلـقت ولـيـتي مـا عـلـقت بـواحـده(*)

☆☆☆☆☆

غـداً تـدَّعي هـنـد بـأني عـنـيـتـهـا
وسلمى ترى نـفسي على الأرض ساجده
وتـزعم لـيـلى أن نـبل جـفـونـهـا
لـطـائـر قـلـبي في المحـبـة صـائـده
يـقـلن.. ومن أهـوى سـكـوت لـسـانـهـا
فـتـحـسـبـهـا في مـذهب الـغـيـد زاهـده
ونـبه مـنـهنّ الـظـنـون سـكـوتـهـا
فـقـلن لـهـا مـا كـنت من قـبل جـامـده(*)
نـظـنك من يـعـني «الـشـقي» بـشـعـره
فـقـالت: أنـا؟ ... دعـوى ولا شك بـارده(*)
عـلى رسـلـكم لـيس الـفـتى غـيـر شـاعـر
يـغـني كـمـا يـمـلي الخـيـال قـصـائـده(*)(١)

✱✱✱✱

(١) البرق، تشرين أول ١٩١٣، مج: ٦ ، عدد: ٢٤٥ ، ص: ٤٢١ .

٥٠ - فيالك أحلاماً

جلست الى الليل البهيم وما ليا
حبيب إليه أشتكي بعض ما بيا
على هضْبة أما الجبال فدونها
بواذخُ يجري الماء منهنّ شافيا
جبال على شكل الهلال محيطة
بمفرق قاديشا تنابي الغواديا
قوائم حول الأرز منّاعة له
إذا صادمته الحادثات عواديا
وما الأرز الا آية الله في الورى
فبورك ضخم الجذع ريّان ناميا

سليمان والأيام شاسعة المدى
أعر نظرة هذي الجبال العواريا
أمن أرزها شيّدت لله هيكلا
فعاد به جِيْد الديانة حاليا
أكان كما يروون أخضر زاهيا
فصار كما نلقاه أجرد ذاويا
وكان بنوه كالرماح عواليا
فصار بنوه كالصفاح دوانيا

وقد يغضب الأسياف تشبيههم بها
فما كانت الأسياف إلا دواميا

بني وطني والحادثات غنيمة
فما لي أرى هذي العيون غوافيا
لقد بسطتْ أم السياسة للملا
خِواناً فلِمْ تبسطون الأياديا
أسرّكم أن يملأ الناس جوفهم
وجوفكم يبقى على الدهر خاويا
أينتعلون الحزم في طلب العلى
وتمشون إن تمشوا إليها حوافيا
ويرمون كبد الخطب لا يخطئونه
وترمون لكن تخطئون المراميا
ويقتنصون الحق صيداً غوازياً
وتلتمسون الحق أسرى عوانيا
إذا اعتزموا أمراً مشوا بفعالهم
وتعتزمون الأمر بالقول لاغيا
سئمنا بكم والله شقشقة اللغى
أكان فخاراً قلتمُ أم مراثيا

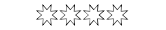

بني وطني لو أنصف المرء نفسه
لعاش قرير العين جذلان راضيا
وشاد على هام العصور مقامه
وأعلى على مرّ العصور المبانيا

ألا فانهضوا نبني الذي شيدت لنا
أوائلنا. لم نترك الربع عافيا
وهل شيدوا إلا المفاخر والعلى
عفت رسمها الأيام إلا بواقيا
أراكمُ في شرق البلاد وغربها
تصيحون صيحات الأسود ضواريا
فنحسب أن الأرض مادت ولم تكن
سوى لحظة حتى تعود كما هيا
إذا جدْتمُ هاتوا النفوس الغواليا
وإلا فلا يجديكم الصوت عاليا

بني وطني ما أجمل الحلم الذي
نرجّي من الآمال غرّاً زواهيا
أتثمر أغصان الأمانيّ للألى
سقوها زكيات النفوس صواديا
فنبني على أسّ العلوم مدارساً
توحد أميال البنين الجوافيا
ونرفع في هذي البلاد مصانعا
تضمّ إليها العاملات الأياديا
وتكشف عن هذي السماء غيومها
فنبصر وجه الأفق أزهر صافيا
فيالك أحلاماً إذا ما تحققت
رضيت حياتي أن تكون ثوانيا

ذروني أنــفّسْ كــربــتي بــعض ســاعــة
بــذكــر الــهــوى عــلّي أرى فــيه شــافــيــا
عــلى أن لا قــلــبي خــفــوق بــجــانــبي
ولا مــقــلــتي تــســتــوكف الــدمع قــانــيــا
كــأن فــؤادي الــصــخــر صــلب فــؤاده
فــمــا سيء مــقــصــيــاً ولا سُــرَّ دانــيــا
وكــان قــبــيل الــيــوم إن عــرضتْ له
ســوانح حب شق صــدريَ عــاصــيــا
يــســيــر مع الــغــزلان في كل فــدفــدٍ
ويــهــفــو الى الــغــدران حــرّان ظــامــيــا
ويــسجع في الأغــصــان مــا يــبدع الــهــوى
قــوافيَ تــســتــهــوي الــنــجــوم الــزواهــيــا

وإن أنس لا أنــسى الــلــيــالي ضــواحــكــاً
بــبــيــروت حــيــا الــله تــلك الــلــيــالــيــا
لــيــالي يــرى حــبي بــعــيــني خــيــاله
وأبــصــر في عــين الحــبــيب خــيــالــيــا
لــيــاليَ في جــنــبيّ تــلــقى فــؤاده
خــفــوقــاً وفي جــنــبــيه تــلــقى فــؤاديــا
لــيــاليَ كــاســات الــطــلــى ذهــبــيّــهــا
وفــضّــيّــهــا يــســتــزريــان الــلآلــيــا
ومــا الــكــأس إلا جــذوة عــلــويّــة
مــتى جــلــيت يــجــفل لــهــا الــهمّ جــالــيــا

أمـــد بـــطـــرفي لـــلـــســـمـــاء فلا أرى
بـــهـــا كـــوكـــبـــاً إلا ويـــغـــمـــز ثـــانـــيـــا
فـــيـــا ربّ حـــتى عـــنـــد عـــرشك تـــلـــتـــقي
قـــلـــوب يـــشب الحب فـــيـــهنّ ذاكـــيـــا
ونـــحن عـــلى طـــول الـــتـــمـــرّس بـــالـــهـــوى
نمـــارس من نـــار الـــضـــغـــيـــنـــة كـــاويـــا

ذروني وهـــــذا الـــلـــــيل مـــــدّ رواقه
عـــلى الأرز أســـتـــوحي لـــديه الـــقـــوافـــيـــا
ذروني أجْنِ من شـــذا الـــزهـــر نـــفـــحـــة
عـــلى الأرز مـــنـــهـــا نـــفـــحـــة من سلامـــيـــا[1]

****

(١) البرق، أيلول ١٩١٣، مج:٦، عدد: ٢٥٧، ص:٥١٢.

٥١- بلا عنـــوان

ذكَـرَتْـني بـعـد الـسـلـوّ سُـلَـيْـمى
حـــبس الـــقـــطـــر مـــدة ثم جـــادا
فـأتـاني كـتـابـهـا يـحـمل الـبـشـر
ـــرَ لـقـلـبي ويـحـمل الإسـعـادا
فـتـنـهـدت ثم قـلـت لـنـفـسي
هي عـادت وطـيِّب الـعـيش عـادا
ولـفـرط الـسـرور أمـطـر جـفـني
طـالمـا أحـيت الـدمـوع الـودادا
وفـتـحت الـكـتـاب أبـصـر فـيه
رأسـهـا فـاسـتـفـزني إرعـادا
قـالت: اسـمع جـئت المـصـور كي يـأ
خُـذَ رسـمي فـهل تـراه أجـادا؟
لـم أكن أعـرف المـصـوّر لـولا
ك ولـكـن شـوقي إلـيك أرادا
هـاك رأسي والـرأس أشـرف عـضـو
بـيـدي قـد قـطَـعْـته اسـتـبـدادا
فـاقـبـله هـديّـة من فـتـاة
ذهـبت في غـرامـهـا اسـتـشـهـادا

وصل الـرأس يـا سُـلَـيْـمى ولـكن
خـبِّـريـني لمن بـعـثتِ الـفـؤادا

****

- البرق، تشرين الأول ١٩١٣ ، مج:٦ ، عدد: ٢٤٨ ، ص: ٤٤٥ .

٥٢ - رفقاً وانعطافاً

أيـهـا الـضـاحـكـون في الـعـيـد رفـقـاً
وانـعـطـافـاً إلى الـشـقـيِّـين فـيهِ
تـلـبـسـون الحـريـر من نـعم الـلـ
ـه فـهلاّ فـكـرتمُ بـبـنـيه
في زوايـا بـعض الـبـيـوت أنـاس
أقـسـم الـبـؤس أنـهم من ذويه
فـجْـرُهم ظـلـمـةٌ كـواكـبـهـا الـدمـ
ـع تـلالا في بـيض تـلـك الـوجـوه
هم إخـوانـكم وقـد أُمـر الإنـ
ـسـان خـيـراً مـعـجّلا بـأخـيه[1]

****

(١) البرق، كانون الثاني ١٩١٤، مج:٦، عدد: ٢٥٧، ص: ٥١٧ .

٥٣ - على ذكر الجراد[١]

أيـــهـــا الأغـــنـــيـــاء إن كـــان فـــيـــكم
رجل ذو مـــــــروءة وســـــــخـــــــاءِ
فـلـيـبـرهن عـلـى المـروءة إنـا
نـبـتـغـيـهـا مـعـاشـر الـفـقـراء
ولـيـبـرهن عـلـى الـسـخـاء لـكي نـ
ـعـيـد هـذا الـسـخـاء في الأغـنـيـاء

☆☆☆☆☆

أيـــهـــا الأغـــنـــيـــاء أي مـــســـيح
قـام فـيـكم يـحـيي دفـين الـرجـاء
كم فـقـيـر في الـلـيل يـبـكي دمـاء
لـلـصـغـار بـاتـوا بـدون عـشـاء
لـلـصـغـار أبـوهمُ يـقـضم الجـمـ
ـر مـتى أجـشـهـوا له بـالـبـكـاء
لـلـصـغـار نـسـوا الـرغـيف لـطـول الـ
ـعـهـد بـين الـرغـيف والأحـشـاء
لـلـصـغـار إذا شـقـقت حـشـاهم
لا تـرى في حـشـاهم غـيـر مـاء

☆☆☆☆☆

أيـــهـــا الأغـــنـــيـــاء جـولـوا قـلـيلاً
في الـلـيـالي وامـشـوا عـلى الـغـبـراء

---

(١) نظمت عام ١٩١٤ يوم انتشر الجراد في سماء بيروت وظهر جشع الأغنياء، باحتكار القوت والنور فأقضوا مضاجع الفقراء، وزادوا في شقاء البؤساء.

عـلـكم إن لمـسـتم الـبـؤس في الـنـا
سِ كـفـفـتم من أدمع الـبـؤسـاء
كم عـجـوز يـئن فـوق عـصـاه
كم صـبي يـنـوح كم عـذراء
لـبـسـوا الـلـيل بـاسـطـين وراه
كف مـسـتـمـطـر نـدى الـكـرمـاء

أيـهـا الأغـنـيـاء عـفـوا فـفـيـكم
نـفـر لا يـعـد في الـشـرفـاء
سـاعـد الـفـقـر والجـراد عـلـيـنـا
يـا لـهـم من ثـلاثـة أعـداء
أيـهـذا الجـراد عـذرك مـقـبـو
لٌ فـأطـبق بـالـعـشـبـة الخـضـراء
اهـبط الحـقل والـتـهم مـا تـراه
وانـشـر المـوت هـو عـدْلُ جـزاء(*)
انـشـر المـوت مـا اسـتـطـعت
فلا نـبـقى ولا يـبـقى بـعـدنـا ذو ثـراء(*)
أيـهـذا الجـراد في الـنـاس شـر
مـنك شـر من كـاسـر الـعـجـمـاء(*)
يـقـتـلـون الـفـقـيـر حـبـاً بـفـلس
واحـد يـخـزنـونه لـلـفـنـاء
مـنـعـونـا الـدقـيق وهـو كـثـيـر
بـعـضه يـا جـراد ملء الـفـضـاء
مـنـعـونـا الـضـيـاء (فـاحـتـكروا الـكـا
ز) فـيـا لـيـل أين عـيـن ذكـاء

أي شيء لم يمنعوه عليينا
نحن نحيا بمعجزات السماء[*]

أيها الأغنياء إن غناكم
شيدته سواعد الفقراء
القصور التي تقيمون فيها
من بناها لكم سوى الفقراء
والثياب التي تباهون فيها
من ترى حاكها سوى الفقراء
والطعام الذي تلتذون من هم
طابخوه لكم سوى الفقراء
والرياحين في الجنائن من هم
غارسوها لكم سوى الفقراء
والحليب الذي رضعتم صغاراً
كان من صدر معظم الفقراء
كل شيء لكم هم الفاعلوه
فاذكروهم لطفاً ببعض الجزاء

لا تقولوا وساوس من فقير
دوخته طوارق الأرزاء
إن للفقر ثورة لو علمتم
تسبح الناس دونها في الدماء[١]

✱✱✱✱

(١) البرق، أيار ١٩٢٨، عدد: ٣٠٣٢، ص:١.
– راجع البرق، تشرين أول ١٩١٨، عدد: ٨–٤٠١، ص:١ «في سبيل الفقراء».
(*) شعر الأخطل الصغير، «الفقراء ١٩١٤»، ص:٧٦–٧٧.

٥٤ - العيـــون

«الأبيات الموضوعة بين هلالين معَّربة حرفياً عن الشاعر الفرنسي المشهور سوللي بريدوم».

أيـنـمـا كـنتِ كـان لـلـكـهـربـاءِ
أثـــر في الـــنـــفـــوس والأهـــواءِ
مـــا عـــجـــيب ومـــقـــلـــتـــاك ظلام
أن تـكـونـا مـسـتـودعـاً لـلـضـيـاء
تـنـسـجـان الحـيـاة حـيـنـاً وحـيـنـاً
تـــنـــســـجـــان المـمـــات للأحـــيـــاء
«يـا عـيـونـا ولـست أفْـرِق فـيـهـا
بـــين زرق الـــعـــيـــون والـــســـوداء»
لـيس فـيـهـا إذا اعـتـلت فـوق عـرش الـ
ـــخـد غـيـر المـلـيـحـة الحـسـنـاء
آمـــرات كـــأنـــهـــا وارثـــات الـ
ـــمُـــلك من عـــهـــد أمـــنـــا حـــوّاء
فـكـأن الـقـلـوب بـعـض عـبـيـد
وكـــأن الـــنـــفـــوس بـــعـض إمـــاء[1]

(١) أضاف الشاعر إلى القصيدة هذين البيتين:

«بـــعـض هـــذا فـــكـم عـــيـــون حـــســـانٍ
كم عـــيـــونٍ شـــاهـــدن وجه ذُكـــاء»
«غِـبنَ في الـقـبـر بـيـنـمـا الـشـمسُ لا تـنـ
ـــفكُّ تجـــري في الـــقـــبـــة الـــزرقـــاء»

- راجع، الهوى والشباب، ص:٤١.

«كم لـــيـــال أرق من وجـــنـــة الـــفـــجـ

ـــرِ وأحـــلى من مـــبـــسم الـــعـــذراء»

«شـاهـدَتْـهـا الـعـيـون مـنـبـهـرات

بـــلآلي نجـــومـــهـــا الـــزهـــراء»

«فـإذا بـالـنـجـوم تـسـبح في الـنـو

رِ وتـلك الـعـيـون في الـظـلـمـاء»

«لا! سـتـبـقى تـلك الـعـيـون ويـبـقى

مـــا بـــتـــلك الـــعـــيـــون من لألاء»

«أفـتـضـنى؟ كلا! لـتـعـجـز عـنـهـا

وهي رمـــز الحـــيـــاة كف الـــفـــنـــاء»

«لـفـتت عـنك في الـثـرى نـاظـريـهـا

نـــحـــو مـــا لا تـــراه عـــين الـــرائي»

«هل رأيت الـــنـــجـــوم تـــغـــرب في الأفـ

ـق وتـبـقى مـقـيـمـة في الـسـمـاء»

«هـكـذا تـغـرب الـعـيـون وتـبـقى

في ســـمـــاء الحـــيـــاة ذات ســـنـــاء»

«إن تـــلك الـــعـــيـــون زرقـــاً وســـوداً

في خـدود المـلـيـحـة الـهـيـفـاء»

«أبـــداً لا تـــزال مـــنـــفـــتـــحـــات

في فـسـيح من الـضـحى الـوضـاء»

«فـهي إن أغـمـضتْ فـمن جـانب الـقـبـ

ـــرِ سـتـرنـو لجـانب في الـفـضـاء»

يـا حِـسـان الـعـيـون لـطـفـاً ورفـقـاً
بـــقـــلـــوب الخـلائق الأبـــريـــاءِ
كـل شـيء لـه زوال ويـــــــبـــــــقى
بـــعـــد هـــذا الـــزوال حـــسن الـــثـــنـــاء
أنتِ رمـــز الحـــيـــاة أنت حـــيـــاة الـــرْ
رَ مـــز ســـر الـــشـــقـــاء ســـر الـــهـــنـــاء
هـــبـــة الـــله لـــلـــجـــمـــال ونـــعـــمى
هـــبـــطت من علٍ عـــلى الـــشـــعـــراء[1]

نظمت سنة ١٩١٤

✱✱✱✱

(١) البرق، ك ١٩١٨، عدد:٣٧-٤٣٠، ص:١٤٦، ورد في هذا العدد أنها نظمت سنة ١٩١٥.
- راجع البرق، عدد: ١٢٧٩، ص:٣.
- راجع الهوى والشباب، ص: ٤١، ذكر الشاعر أنه نظمها سنة ١٩١٤.

٥٥ - ماذا أقـول له؟

«معربة بتصرف عن الشاعر مترلنغ»

- مـــــاذا أقـــــول لـه إذا رجـــــعـــــا؟
يـــومـــاً ولم يـــبـــصـــرك في الـــقـــصـــر؟
- مـــاتت عـــلـــيك أسىً - أجـــيـــبـــيهِ
- وإذا رأيت الحـــزنَ مـــنـــطـــبـــعـــا
في وجـــهه الـــذاوي من الـــقـــهـــرِ
- كـــونـي لـه أخـــتـــاً وعـــزيـهِ
- وإذا أراد بـــأن نـــســـيـــر مـــعـــا
لـــلـــقـــبـــر كي يـــبـــكي عـــلى الـــقـــبـــر
رحـــمـــاكِ... إن الـــدمع يـــؤذيهِ
- وإذا تـــرقق لـي لـــيـــســـتـــمـــعـــا
مـــا قـــلتِ ســـاعـــة نـــزعكِ المـــرِّ
- قـــولي له «ابـــتـــســـمت» فـــتـــســـليه[1]

نظمت سنة ١٩١٤

****

(١) البرق، شباط ١٩١٩، عدد: ٦٤ - ٤٥٧، ص:٢٥٦.
- الهوى والشباب، ص:٤٤.

٥٦ - المسلـول[١]

حَـــسْـــنـــاءُ أيَّ فَـــتـىً رَأتْ تَـــصِـــدِ
قَـــتـــلـى الـــهـــوى فـــيـــهـــا بـلا عَـــددِ
بَـــصُـــرتْ بـه رَثَّ الـــثِّـــيَـــابِ بـلا
مـــــأوى بـلا أهـلٍ بـلا بَـــــلَـــــد
فَـــتـــخَـــيَّـــرَتْـهُ وكـــان شـــافِـــعَـهُ
لـــطـفُ الـــغَـــزالِ وقُـــوَّةُ الأســـد
ورأى الـــفـــتى الآمـــالَ بـــاســـمـــةً
في وجـــهـــهـــا لِـــفُـــؤادِه الـــكَـــمِـــدِ
والمـــــالَ ملءَ يَـــديـه يُـــنـــفِـــقُـهُ
مُـــتَـــشَـــفِّـــيـــاً إنـــفـــاقَ ذي حَـــرَد
ظـــمـــآنُ والأهـــواءُ جـــاريـــةٌ
كـــالـــسَّـــلـــسَـــبـــيل مـــتى يُـــرِدْ يَـــرِد
روضٌ منَ الـــلـــذاتِ طـــيـــبـــةٌ
أثـــمـــارُهُ خِـــلـــوٌ من الـــرَّصَـــد

---

(١) جاء في مقدمة القصيدة:

«كان الوقت الذي نظمت فيه هذه القصيدة أواخر عام ١٩١٤، فلم نكن إذن نشعر بوطأة الحرب ولا عرفنا شيئاً من هولها، فنخرج يومذاك لفيف من الصحافيين والأدباء، أوقفت صحفنا أو نحن أوقفناها انحناء تحت العاصفة التي شعرنا بهبوبها قبل هبوبها بما كنا نقرأه في عيون الضباط الترك، وبما نمت به ألسنتهم من توطين النفس على خوض المعركة في جانب الألمان. وكانت نشوة الشباب والمرح تفعل فعلها في نفوسنا، فانصرفنا إلى اللهو حينا والنظم حيناً آخر، فكانت القصيدة هذه منبت الموجة الأولى التي تحطمت على صخرة من ألم الفراق ومن يأس أشدَّ ألماً».

«البرق الأسبوعي، آب ١٩٣٢، عدد: ٣٤٢٠، ص:١٤».

- نشر الشاعر هذه القصيدة في البرق تحت عناوين مختلفة منها: «المسلول»، و«فإذا مررت بأختها فحِدِ». انظر البيت الأخير من القصيدة.

نـــعمٌ أفـــانِـــينٌ يـــكـــادُ لـــهـــا
يَـــخـــتـــالُ مِنْ غُـــلَـــواهُ في بُـــرُد
مـــاضـــيه لـــو يـــدري بـــحـــاضـــرِهِ
رُغْـمَ الأُخُـــوَّةِ مـــاتَ مِنْ حـــسَـــد

سَـــكـــرانُ والـــكـــاســـاتُ شـــاهـــدَةٌ
إنَّ الـــكـــؤوسَ لـــهـــا مِنَ الـــعُـــدَد
سَـــكـــرانُ لا يَـــصـــحـــو كَـــسَـــكْـــرتِهِ
أمـــســـاً وَســـكـــرتِهِ غـــداةَ غـــد
سَـــكـــرانُ وَهـيَ تَـــزُفُّـهُ قُـــبَلاً
وَيـــزُفُّـــهـــا وإذا تَـــزِدْ يَـــزد
سَـــكـــرانُ وهـيَ تَـــمُـصُّ مِنْ دَمِهِ
وَتُـــرِيـهِ قَـــلبَ الأُمِّ لـــلـــولـــد
سَـــكـــرانُ حـــتـى رأسُـهُ أبـــداً
لا يَـــســـتـــقِـــرُّ لـــكـــثـــرةِ المَـــيَـــد

قـــالـتْ لَهُ: نَم، نَمْ لـــفَـــجـــرِ غَـــدِ
ضَعْ رَأسَكَ الـــواهي عـــلى كـــبـــدي
نَمْ لا تُـــسِـــلِّطْ يـــا حَـــبـــيب عـــلى
مَـــخـــمُـــورِ جِـــسـمِكَ قِـــلَّـــةَ الجَـــلَـــد
عَـــيـــنـــاكَ مُـــتـــعَـــبَـــتـــانِ مِنْ سَـــهَـــرٍ
وَيَـــداكَ راجـــفـــتـــانِ مِنْ جَـــهَـــد

لا، لا أنـــــــامُ ولا أذُوقُ كَـــــــرىً
إنَّ الـــنَّـــهـــارَ مَـــضى وَلَمْ يَـــعُـــد

لا، لا أنـــــــــامُ ولا أذوقُ كـــــــــرىً
أنـــا لَـستُ مَنْ يَـحـيـا لـفـجـرِ غَـد
سُـلـمى أحِسُّ الـنَّـارَ سـائـلـةً
بـدَمي وتجـري مَـعْهُ في جَـسـدي
وأحِسُّ قـلـبي فـاغـراً فَـمَهُ
لـلـحُبِّ، لـلَّـذَّاتِ، لـلـرَّغَـد
إن ضـاعَ يـومي مـا أَسِـفْتُ عـلى
خُـضَـرِ الـربـيعِ وزُرقَـةِ الجَـلَـد
- نَمْ لا تُـكـابِـرْ كـادَ رأسُكَ أنْ
يَـهـوي بـكـأسِكَ غـيـرَ أنَّ يَـدي
- يـهـوي!.. نَـعَمْ يـا فـتـنَـتي ومُـنى
نَـفـسي وزهـرةَ جـنـةَ الخُـلُـد
يـهـوي!.. ولِمْ لا والـشَّـبـابُ ذَوَى
وعـلى شـبـابي كـان مُـعْـتَـمَـدي
لَمْ تُـبْقِ لي مِّـنـي سـوى رَمَقٍ
مُـتـراوحٍ في أضْـلُـعٍ هُـمُـد
رَبَّـاهُ. مُـذْ يَـومـين كـنتُ فـتىً
لي قُـوَّتي وَشَـبـيـبَـتي وَغَـدي
والـيـومَ أسـرِعُ لـلـبِـلى وأنـا
لَمْ أَبـلُـغِ الـعِـشـرينَ أو أكَـد
سُـلـمَـاي إنَّكِ أنتِ قـاتـلـتي
فَـجـمِـيلُ جِـسـمكِ مَـدفَـني الأَبـدي
وَطـويلُ شَـعْـركِ صـارَ لي كَـفَـنـاً
كَـفَنَ الـشَّـبـابِ ذوى وكـان نَـدي
سُـلـمى اطـفـئي الأنـوارَ وافـتـحي
هَـذي الـكُـوى لـنـسـائمٍ جُـدُد

وَدَعي شُـعـاعَ الـشـمسِ يَـضـحكُ لي
فَـشُـعـاعُـهـا بَـردٌ عـلى كـبـدي
ودعي أريجَ الـزَّهـرِ يُـنـعـشُـنـي
وهَـديلَ طَـيـر الأيـكـةِ الـغَـرِد
أنـا إنْ قَـضَـيتُ هـوىً فلا طَـلَـعت
شَـمسُ الـضُّـحى بَـعـدي عـلى أحـد
- أنـا إن قَـتَـلـتُكَ كـيفَ تَـحـفـظُـني
إنْ صحَّ زعـمُكَ حِـفظَ مُـقـتَـصِـدِ
أو كُـنتَ مُتَّ لـلـيـلَـتيْ جَـهَـدٍ
يـا مُـهـجـتي خَـفِّف وَلا تَـزد

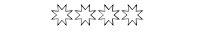

- لا. أنتِ مُـحـيـيَـتي ومُـنـقـذَتي
منْ عـيـشيَ المُـتَـنَـكِّـرِ الـنَّـكـد
أفـأنتِ قـاتـلـتي؟ كَـذَبتُ أنـا
لـولاكِ كُـنـتُ أذلَّ مـن وَتَـد
لـكـنـمـا الـعُـشَّـاقُ عـادَتُـهم
ذِكـرُ المـنـايـا ذكـرَ مُـفـتَـئِـد
يَـبـكُـون من جَـزَعٍ لـلـذَّتـهم
أن لا تـكـونَ طـويـلـةَ الأمـد
قـلـبي لـقـلـبكِ خـافقٌ أبـداً
وَيـظلُّ يَـخـفُقُ غَـيـرَ مُـتَّـئـد

- إنْ كـان ذاكَ فـهـذه شَـفَـتي
مَنْ يَـشـتَـعلْ في الحُبِّ يَـبـتَـرد
وتـصـافـحـا فـتَـعـانـقـا فَـهُـمـا
رُوحـان خـافـقَـتـان في جَـسـد

نَـــهـــبـــا أوَيـــقـــاتِ الـــصَّـــفـــاء وقـــدْ
عَـكَـفـا عـلـيـهـا عـكْفَ مُـجـتَـهـد
وتَـــرشَّـــفـــا كـــأسَ الـــغـــرام ومـــا
تـــركـــا بـــهـــا من نَـــهـــلـــةٍ لـــصـــدي
ومـــشى الـــهـــوى بـــهـــمـــا كـــعـــادته
والـــبـــحـــرُ لا يـــخـــلـــو منَ الـــزَّبَـــد

ســـنـــةٌ مَـــضَتْ فـــإذا خَـــرَجتَ إلى
ذاكَ الـــطَّـــريق بـــظـــاهـــر الـــبَـــلـــد
ولَـــفَتَّ وجـــهكَ يَـــمـــنـــةً فـــتـــرى
وجـــهـــاً مـــتى تـــذكـــرهُ تـــرْتَـــعِـــد
هـــذا الـــفـــتى في الأمس صـــار إلى
رجُلٍ هـــزيلِ الجـــسم مـــنـــجـــرد
مُـــتَـــلَـــجـــلِج الألـــفـــاظِ مُـــضـــطـــربٍ
مـــتـــواصل الأنـــفـــاس مُـــطّـــرِد
مُـــتَـــجَـــعِّـــدِ الخَـــدَّين من سَـــرَفٍ
مُـــتـــكـــسِّـــر الجَـــفـــنـــين من سُـــهُـــد
عـــيـــنـــاه عـــالـــقـــتـــان في نَـــفَقٍ
كـــســـراجِ كُـــوخٍ نـــصفَ مُـــتّـــقـــدِ
أو كـــالحُـــبَـــاحِب بـــاخَ لامـــعُهُ
يـــبـــدو منَ الـــوَجَـــنـــات في خُـــدُد
تـــهـــتـــزُّ أنمُـــلُهُ فـــتـــحـــسـبُـــهـــا
ورقَ الخـــريف أصـــيبَ بـــالـــبـــرد
ويـــكـــادُ يَـــحـــمـــلُهُ لمـــا تـــركتْ
مـــنهُ الـــصـــبّـــابـــةُ مِـــخـــلب الـــصُّـــرَد

يمـــشي بـــعـــلَّـــته عـــلى مـــهلٍ
فـــكـــأنهُ يمـــشي عـــلى قـــصَـــد
ويمُجُّ أحـــيـــانـــاً دمـــاً فـــعـــلى
مِـــنـــديـــلـه قِـــطعٌ من الـــكـــبـــدِ
قـــطعٌ تـــآبـــينٌ مُـــفَـــجِّـــعَـــةٌ
مـــكـــتـــوبـــةٌ بـــدمٍ بـــغـــيـــر يَـــدِ
قـــطَعٌ تـــقـــولُ لهُ: تـــمـــوتُ غـــداً
وإذا تـــرقُّ تـــقـــولُ بـــعـــدَ غـــد
والمـــوتُ أرحمُ زائـــرٍ لـــفـــتىً
مُـــتَـــزمِّلٍ بـــالـــداء مُـــغـــتَـــمـــد
قـــد كـــان مُـــنـــتـــحـــراً لـــو أنَّ لهُ
شـــبهَ الـــقُـــوى في جـــســـمِهِ الخَـــضـــد
لـــكـــنَّهُ والـــدَّاءُ يَـــنـــهـــشُهُ
كـــالـــشِّـــلـــوِ بـــينَ مـــخَـــالبِ الأسـد
جَـــلْـــدٌ عـــلى الآلام يُـــنـــجـــدُهُ
طـــلَلُ الـــشَّـــبـــابِ ودارسُ الـــصَّـــيَـــد
مُـــتـــوَحِّـــدٌ أمَّـــا الحـــبـــيبُ فَـــمُـــذْ
خـــافَ انـــتـــقـــالَ الـــدَّاءِ لَمْ يَـــعُـــد
فـــقـــضى ولم يـــأنس بـــذي رحمٍ
يـــأســـو ولَم يَـــســـعـــدْ بمـــفُـــتـــقـــد
حـــاشـــا مَـــدَامِـــعَهُ وكُنَّ لهُ
غـــوثـــاً مـــتى يـــســـأل نـــدىً تَـــجُـــد

أينَ الَّـــتي عَـــلِـــقَتْ به غُـــصُـــنـــاً
حُـــلـــوَ المَـــجـــاني نـــاضـــرَ المَـــلـــد

أينَ الَّـــتي كـــانت تـــقـــولُ لَهُ
ضعْ رأسكَ الـــواهي عـــلى كـــبـــدي
نم لا تُـــسَـــلِّط يـــا حـــبـــيبِ عـــلى
مـــخـــمـــور جِـــسـمكَ قـــلّـــةَ الجَـــلَـــد
مـــاتَ الـــشّـــقيُّ بـــهـــا وقـــد سَـــلـــمتْ
يـــا لـــلـــقـــتـــيلِ قـــضى بلا قَـــوَد
مـــاتَ الـــفـــتى فَـــأُقـــيمَ في جَـــدَثٍ
مُـــســـتَـــوحشِ الأرجـــاءِ مـــنـــفـــرد
مـــتـــجـــلّلٍ بـــالـــفـــقـــر مُـــؤتـــزرٍ
بـــالـــنـــبتِ من مُـــتَـــيَـــبّسٍ وَنَـــدي
وتـــزورُهُ حـــيـــنـــاً فـــتُـــؤنـــسُهُ
بـــعضُ الـــطُّـــيـــورِ بـــصَـــوتـــهـــا الـــغـــرد
كـــتـــبـــوا عـــلى حَـــجَـــراته بـــدمٍ
ســـطـــراً به عـــظـــةٌ لـــذي رَشَـــد
هـــذا قـــتـــيلُ هـــوىً بـــبـــنتِ هـــوىً
فـــإذا مـــرَرتَ بـــأخـــتـــهـــا فَـــجِـــد

- نظمت سنة ١٩١٤

****

(١) البرق، أيار ١٩٢١، عدد: ١٢٦٧، ص:١
- الهوى والشباب، ص:١٠٣-١٠٩ ، ذكر فيه أنه نظمها سنة ١٩١٩ والصحيح أنها نظمت في تموز ١٩١٤.

٥٧ - هنـد وأمُّهـــا

أتَتْ هِـــنـــدُ تـــشـــكـــو إلى أُمِّـــهـــا
فَـــسُـــبـــحـــانَ مَنْ جَـــمَعَ الـــنّـــيِّـــريْنْ
فـــقـــالت لـــهـــا - إنَّ هـــذا الـــضُّـــحى
أتـــانـي وَقَـــبَّـــلـــنـي قُـــبـــلَـــتَـــين
وفـــرَّ فَـــلَـــمَّـــا رآني الـــدُّجى
حَـــبـــانيَ مَنْ شَـــعـــرِهِ خُـــصـــلَـــتَـــين
ومـــا خـــافَ يـــا أمِّ بل ضَـــمَّـــنـي
وألـــقى عـــلى مَـــبـــســـمي نَـــجْـــمَـــتَـــينْ
- وذَوَّبَ مِـنْ لَـــــــونِـهِ ســـــــائـلاً
وَكَـــحَّـــلـــنـي مِـــنـهُ في المُـــقـــلَـــتَـــين
وجـــئتُ إلى الـــرَّوض يـــا رَوضَـــتـي
وَهَـمَّ لـــيـــفـــعلَ كـــالأوّلَـــين
فـــخـــبَّـــأتُ وَجـــهي ولَـــكِـــنَّهُ
إلى الـــصَّـــدر يـــا أمُّ مَـــدّ الـــيـــدين
ويـــا دَهـــشـــتي حـــين فَـــتَّـــحتُ عَـــيـــني
وشـــاهـــدتُ في الـــصَّـــدرِ رُمـــانَـــتَـــين
ومـــا زال بي الـــغُـــصنُ حـــتَّى انـــحـــنى
عـــلى قـــدَمي ســـاجـــداً سَـــجـــدَتَـــين
وكـــــان عـــــلى رأسـهِ وَردتـــــانِ
فـــقـــدَّمَ لي تَـــيـــنِكَ الـــوَردَتَـــين

وَخِـفْتُ منَ الـغُـصنِ إذ تَـمـتَـمَتْ
بـأذنـيَ أوراقُهُ كـلـمـتَـين
فـرُحتُ إلى الـبـحـر لـلإبـتـراد
فَـحَـمَّـلـنـي وَيـحْهُ مَـوجَـتَـين
فـمـا سـرتُ إلا وقـد ثـارتـا
بِـردْفَيَّ كـالـبـحـر رَجـرَاجَـتَـين
هـوَ الـبَـحـرُ يـا أمِّ كم من فـتىً
غـريقٍ وكم مِنْ فـتىَ بـينَ بَـيْن
فـهـا أنـا أشـكـو إلـيكِ الجـمـيعَ
فـبـالـلـه يـا أُمِّ مـاذا تَـرَيْنْ

فـقـالـت، وقـد ضَـحـكَتْ، أمُّـهـا
وَمـاسَتْ منَ الـعُـجبِ في بُـردَتَـين
عَـرَفـتُـهُمُ واحـداً واحـداً
وَذُقتُ الَّـذي ذُقـتِـهِ مَـرَّتَـين[1]

نظمت سنة ١٩١٤

✱✱✱✱

(١) البرق، أيار ١٩٢٢، عدد: ١٥٥٧، ص:١.
- الهوى والشباب، ص:٤٧
- شعر الأخطل الصغير، ص: ١٩٩.

٥٨ - كلانا نحارب الأقدار

أيـــهـــا الـــطـــائـــر الـــذي أَلِفَ الـــرو
ض مـــقـــامـــا وجـــاور الأنـــهـــارا(*)

وتـــلـــهّى حـــيـــنـــاً بـــسـقـــسـقـــة المـا
ء فـــكـــانت لـــنـــفـــسه أوتـــارا(*)

وتـــهـــادى عـــلـــيه من حـــلل الـــريـ
ـش أفـــانـــين تـــأخـــذ الأبـــصـــارا(*)

من ســواد يــحــكي قــلــنــســوة الــقــسـ
ـيس في رأسه الـصـغـيـر اسـتـدارا(*)

وبـــيـــاض في عـــنـــقه قـــد تـــدلى
هـــو مـــنه كـــالـــراهـــبـــات الـــعـــذارى

وازرقـــــاق كـــــأنـه حـــــين زار الـ
أفق أهـــــدى إلـــــيـه مـــــنـه إزارا(*)

واغـــبـــرارٍ كـــأنمـــا تـــرك الـــغـــيـ
ـم عـــلـــيه مـــذ جـــازه آثـــارا(*)

كـــان في الـــروض مـــلـــعب لك يـــا طـــيـ
ـر ومـلـهى تـمـضي عـلـيه الـنـهـارا(*)

تـتـرامى في مـعـطف الـغـصن حـيـنـاً

وأحـــايـــين تـــلـــثِم الأزهـــارا(*)

وتحـــيّي الـــصـــبـــاح إذ يـــتلالا

وتحـــيـــيه عـــنـــدمـــا يـــتـــوارى(*)

تـسـجع الـسـجـعـة الـبـديـعـة في الـفـجـ

ـــرِ وتـــأتي بمـــثـــلـــهـــا تـــكـــرارا(*)

أتحـــيي بـــهـــا الـــطـــبـــيـــعـــة أم أنـ

ـتَ تـــنـــاغي إخـــوانك الأطـــيـــارا(*)

أم صلاة في حـــــمـــــد ربك لم تُـــــبْ

ـق امـتـنـانـاً في نـظـمـهـا وابـتـكـارا(*)

أم نـــشـــيـــد الـــغـــرام أطـــلـــقْتَ فـــيه

نَـفَـسـاً يـلـهب الـنـسـيم اسـتـعـارا

أم حـــنـــين إلى الحـــبـــيب الـــذي أقـ

ـــسَمَ أن لا يـــطـــيـــر عـــنك فـــطـــارا

أم تـصـبّـاك مـنـظـر الـروض فـاسـتـل

ـــهـــمتَ في وصف زهـــره الأشـــعـــارا

نـــغم لـــو وعَـــتْه أذن الـــلـــيـــالي

لـــتـــمـــنت أن تـــغـــتـــدي أســـحـــارا(*)

وحـــيـــاة لـــو خـــيّـــر المـــلك المـــعـ

ـصـوب بـالـتـاج مـثـلـهـا لاخـتـارا

لا فـمـا الـعـيش غـيـر بـعض لـيـالٍ

خـبـأتْ تحت صـفـوهـا الأكـدارا

نُـصِبِ الـفخ لـلـهـزار فـأغـرا

هُ وكم جـاهل يُـصـاد اغـتـرارا

كـان في الـروض كـالـهـواء طـلـيـقـاً

فـغـدا في الحـديـد يـشـكـو الإسـارا(*)

هـكـذا أيـهـا الـشـقـيق، أنـا الـيـو

م كـلانـا نـحـارب الأقـدارا(*)(١)

١٩١٤

****

(١) البرق ١٩٢٤، عدد: ٢١٦٧، ص: ١.

(*) شعر الأخطل الصغير، «الطائر السجين»، ص:١١١.

٥٩ - بين شاعرين[١]

أمـا الجـواب فـقـد عـنـا لـبـيـانه
رأس الأئـمـة من بـنـي الأعـراب
ثـقَّـبت لـؤلـؤةً بمـرقـمك الـذي
يـسـبي الـنـهى بـوركت من نـقـاب
درر من الألـفـاظ لـو تَـمَّتْ لـهـا
غـرر المـعـاني طـار بـالألـبـاب
لم يـغـلـق المـعـنى عـلـيك وإنمـا
جـربت أن تـمـشي بـغـيـر صـواب

أسـتـاذ من نـهب الـكـؤوس مـشـعَّـةً
عـفـواً فـحـلـمك فـوق كل حـسـاب
هـو مـا زعـمت فـأنت من نـدمـانـهـا
في عـنـفـوان المـلك والحـجّـاب
مـفـتـاح هـيـكـلـهـا لـديك مـنَـعْـتَه
إلا عـلـى رهـط من الأصـحـاب
بـرعـوا فـلم يـسـلم لـهم نـطق بلا
لحـن ولا رأس بـلا دولاب
من كل مـخـمـور الـدمـاغ إذا مـشى
يـكـبـو فـتـنـهـضه فـيـرجع كـابي

(١) نظم طانيوس عبده قصيدة قدمها إلى صديق أهداه شراباً، فردّ عليه الأخطل الصغير بهذه القصيدة.

جـــحـــظتْ لـــواحـــظه وجف دمـــاؤه
فـــكـــأنه نـــصب من الأنـــصـــاب
إن كـــان ذا (الـــرهط الـــعـــزيـــز)[1] فـــرأيه
في الخـــمـــر رأي تـــعـــقل وصـــواب؟!

أســـتـــاذ من قـــتل المـــدامـــة خـــبـــرةً
طـمـعـاً بـحـلـمك قـد كـتـبت جـوابي
أنـــا إن أكن من غـــيـــر رهـــطك في الـــطـــلى
فـــعـــلى هـــيـــاكـــلـــهـــا حـــرقت شـــبـــابي
ســـارت مـــســـيـــر دمي فـــأعـــصـــابي إذا
أشـعـلـتـهـا شـعـلت بـهـا أعـصـابي
خـــفّتْ بـــهـــا روحي وطـــارت شـــهـــرتي
وتـــألـــقت بـــســـمـــائـــهـــا آدابي
وتـــخـــيـــرتْ لي مـــعـــشـــراً عـــرفـــوا بـــهـــا
فـــغـــدت لـــهم نـــســـبـــاً من الأنـــســـاب
نـــقـــدوا مـــعـــانـــيـــهـــا وإن دقّتْ كـــمـــا
نـــقـــد الـــنـــحـــاة الـــشـــكل في الإعـــراب
وتـــمـــلـــكـــوا وتـــآمـــروا وتحـــكـــمـــوا
بـــنـــيـــاطل وبـــواطئ وخـــوابي
أكـــوابـــهم أبـــداً تـــدفق ولـــيـــكن
لـلأرض حـــصـــتـــهـــا من الأكـــواب

(١) حلقة طانيوس عبده.

سـهـروا ونمت فـلـو رجـعت إلـيـهم
لـوقـفت مـنـهم مـوقف الـطلاب

إني جـنـيت نـعم جـنـيت لأنـني
أهـديت لـلأحـبـاب خـيـر شـرابي
ولـكـنت لـو أدركت مـبـلغ عـلـمـهم
فـيـهـا بـدَلْتُ الخـمـر بـالجلاّب
ردوا الـهـديـة واشـربـوا من غـيـرهـا
يـا بـادلـين حـمـامـة بـغـراب[1]

****

(١) البرق، آذار ١٩٢٦، عدد: ٢٥٤٦، ص:١.

٦٠ - آه يا هند لوترين

آه يا هند لو ترين
موقفي بين حائطين
لا يحيران أخرسين
وعلى الخد دمعتين
لوترين
أنصف الليل والأنام
كلهم كلهم نيام
وأنا يشهد الغرام
بعت للسهد ناظرين
غاليين
أبداً ساهر كئيب
لا صديق ولا حبيب
ومع الليل لي نحيب
كنحيب الحمامتين
بعد بين
ساهر والورى جماد
ومن الليل في حداد
وأنا خافق الفؤاد
لم تنم منذ ليلتين
لي عين

ولـــقـــد خـــيم الـــســـكـــون
ونجـــوم الـــســـمـــا عـــيـــون
فـــتـــمـــنـــيت أن نـــكـــون
في ســـمـــا الحب نجـــمـــتـــين
جـــارتـــين
لـــيـــتـــنـــا والـــهـــوى أمـــان
بـــالجـــنـــاحـــين طـــائـــران
كـــلـــمـــا ضـــمَّـــنـــا مـــكـــان
ضم قـــلـــبـــين عـــاشـــقـــين
ســـائـــحـــين
يـــــا لأحـلامي الـــــعِـــــذاب
ذابـلات مـع الـــــشـــــبـــــاب
فـــكـــأن المـــنـى ضـــبـــاب
يـــتلاشى بـــنـــفـــخـــتـــين
اثـــنـــتـــين
لـم يـــعـــد في الـــســـراج زيت
وكـــمـــا يـــنـــطـــفي انـــطـــفـــيت
فـــأنـــا الآن مـــثـل مـــيـت
مـــا لـه غـــيـــر ســـاعـــتـــين
لـــو تـــرين[1]

سنة ١٩١٤

****

(١) البرق، نيسان ١٩٢٦ ، عدد: ٢٥٧٠، ص:١
- البرق، حزيران ١٩٣٠ عدد: ٣٣٦٤، ص:٣
- الهوى والشباب، ص:٧٥.
- شعر الأخطل الصغير «آه يا هند»، ص: ٢٤٢.
- نقلت جريدة «السائح» التي تصدر في نيويورك هذه القصيدة عن «البرق» وكانت بتوقيع الأخطل الصغير، فاقترحت على الشعراء في أمريكا معارضتها. فعارضها الشاعران: ندرة حداد ورشيد سليم الخوري المعروف بالشاعر القروي.
- الحديث، ١٩٥١ ، عدد: ٤١٣، ص:١٧٦.

٦١ - كيف أنسى

كـــيف أنـــسى ذكـــرى بـلادي ونـــفـــسي
تـــشـــتـــهـــيـــهـــا فـــتـــلك مـــسـقط رأسي
كـــيف أنـــســـاكِ يـــا خـــيـــالاتِ أمـــسي
ذكـــريـــاتُ الـــصِّـــبـــا وأحلامُ نـــفـــسي
كـــيف أنـــسى الأيَّـــام صـــفـــواً وأُنـــســـا
كـيف أنـسى

ميُّ هلاّ ذكـــرتِ تـــلك الـــسِّـــنـــيـــنـــا
بـــأبي أنتِ كـــيف لا تـــذكـــريـــنـــا
«كم نَـشَـقـنـا تُـقىً هُـنـاكَ وقُـدسـا»
كـيف أنـسى

أفلا تـــذكُـــرين ذاك الـــغـــديـــرا
والأقـــانـــينَ حـــولـه والـــزُّهـــورا
«والـسُّـنـونـو يُـحَـدّثُ المـاء هَـمْـسـا»
كـيف أنـسى

أفلا تـــذكـــرين عـــنـــد المـــغـــيبِ
يـــومَ وافَتْ «ســلـــمى» كـطـــيْـــرٍ غـــريبِ
فـأرتـنـــا إذ غـابتِ الـشـمسُ شـمـسـا
كـيف أنـسى

يـــومَ كـــنَّـــا في الحـــقل نمـــرحُ زهـــوا
وسـلـيـمَى مـعـنـا وهـنـدٌ وسـلـوى
فـصـرفـنـا الـنَّـهـار قَـطـفـاً وغَـرسـا
كـيف أنـسى

يـوم كُـنّـا نـقـرا هـجـاءً «وكـرجـا»
وسُـلـيـمى تـمـحـو الأسـاطـر غُـنـجـا
وهي تُـــمـــلي عـــليَّ في الحبِّ درســـا
كـيف أنـسى

يـوم سـمَّى الـرِّفـاق سـلـمى الـعـروسـا
وأرادوا بـــأن أكـــون «الـــعـــريـــســـا»
فـاعـتـنـقـنـا وقـد جـعـلـنـاهُ عُـرسـا
كـيف أنـسى

كـيف أنـسى وقـد كـبـرنـا قـلـيلا
وذكـــرنـــا مـــا كـــان ذكـــراً جـــمـــيلا
وعـرفـنـا الـدُّنـيـا نـعـيـمـاً وبُـؤسـا
كـيف أنـسى

لـــستُ أنـــسى مـــا عـــشتُ يـــوم الـــفـــراقِ
وجـــراحـــاً حُـــمـــراً بـــتـــلكَ المـــآقي
وبُـــكـــاهـــا وقـــولـــهـــا ســـوف تـــنـــسى
كـيف أنـسى

مَن مـــعـــيـــدٌ إليَّ ذاك الـــزَّمـــانـــا
ومُـــعـــيـــدٌ ســـلـــمـى إليَّ الآنـــا
لـــتـــرى أنَّـــني وقـــد متُّ يـــأســـا
كـــيف أنـــسى[1]

سنة ١٩١٤

****

(١) البرق، أيار ١٩٢٦، عدد: ٢٥٩٣، ص:١.
- الهوى والشباب، ص:٥٠-٥٢، ببعض الاختلاف في الترتيب.

٦٢ - حلم عربي

من وحي «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني:

من لي بمعبد وابن عائشةٍ
ومالك والغريضِ
برئاسة ابن سريج[١] ملتئمين
في الروض الأريض
وبشاعر الغيد ابن مخزوم[٢]
ونابغة القريض
في مثل ليلات الوليد[٣]
نقول للكاسات فيضي
بين الكواعب من حِبابٍ
والنواهدِ من بغيض
يخطرن تيهاً في غلائلهنَّ
من حمرٍ وبيض
فإذا نظرنَ فعن مريض
وإذا بسمن فعن وميض
عش هكذا يوماً وتستغني
عن العمر العريض[٤]

نظمت سنة ١٩١٥

****

(١) ابن سريج ومعبد وابن عائشة ومالك والغريض هم أشهر المغنين في دولة بني أمية.
(٢) ابن مخزوم هو عمر بن أبي ربيعة المخزومي، الشاعر الغزلي الشهير.
(٣) الوليد أحد خلفاء بني أمية والمنغمسين في اللهو على أشكاله.
(٤) البرق، شباط ١٩١٩، عدد: ٥٩-٤٥٢، ص:٢٣٤.
- الهوى والشباب، ص:١٠١. ذكر أنها نظمت سنة ١٩١٧.
- شعر الأخطل الصغير، «حلم عربي»، ص: ٢٤٢.

٦٣ - الإنـــاء المكسور[١]

نـــــبت من الـــــزهـــــر في إنـــــاء من
بـــلّـــور تحـــيي بمـــائه الـــعـــمـــرا
تـــزهـــو به يـــومـــهـــا ولـــيـــلـــتـــهـــا
والـــنـــشـــر من حـــولـــهـــا قـــد انـــتـــشـــرا
لـــكـــنـــمـــا لـــطـــمـــة بمـــروحـــة
عـن عـــــرض غـــــادرت بـه أثـــــرا
صـــدع حـــكى الـــوهم فـــهـــو لـــيس يـــرى
مـــهـــمـــا تحـــاول إعـــمـــالك الـــنـــظـــرا
لـــكـــنـــمـــا الجـــرح كـــان ذا خـــطـــر
يمـــشي بـــذاك الإنـــاء مـــســـتـــتـــرا
يـــــعض بـــــلّـــــوره ويـــــأكـــــله
ومـــــا هي لحـــــظـــــة ولا ضـــــجـــــرا
حـــــــتى إذا زنّـــــــر الإنـــــــاء بـه
مـــيـــاهه والـــشـــذا قـــد انـــتـــشـــرا
يـــخـــاله الـــنـــاس غـــيـــر مـــنـــكـــســـر
لا تـــلـــمـــســـوه فـــإنه انـــكـــســـرا

أجـل! كـــــــذا كفء من أحـب وقـــــــد
رمـت فـــــؤادي أبـــــقـت بـه أثـــــرا

---

(١) معرَّبة عن سوللي بريدوم.

جـــرح كـــجـــرح الإنـــاء ذو خـــطـــر
قـضى به الـقـلب مـا جـنى الـثـمـرا
لـــكنّ قـــلـــبي - وجـــرحه أبـــداً
دامٍ - إذا مـــا بـــكى له اســـتـــتـــرا
يـــنـــمـــو به الجـــرح والـــفـــؤاد عـــلى
مـــا كـــان من قـــبل يـــخـــدع الـــنـــظـــرا
تـــــوهَّم الـــــنـــــاس في سلامـــــته
لا تـــلـــمـــســـوه فـــإنه انـــكـــســـرا[1]

شباط ١٩١٥

****

(١) البرق، نيسان، ١٩١٩، عدد: ١١٢-٦٢٢، ص:٤٣٩.

٦٤ - مـا أظلمـك

أنْـحـلـتَـني بـالـهـجـر مـا أظـلـمكْ!
فـارحم عـسى الـرحـمن أن يـرحـمكْ
مـولاي حـكَّـمْـتُكَ في مـهـجـتي
فـارفق بـهـا يـفـديك من حـكَّـمك
كـنت غـريـقـاً في بـحـار الـهـوى
فـصـادني جـفـنـاك صـيـد الـسـمك
سل الـدجـى كم راق لـي نجـمه
لمـا حـكى مـبـسـمه مـبـسـمك
مـا كـان أحـلـى قـبلات الـهـوى
إن كـنت لا تـذكـر فـاسـأل فـمك(*)
تـمـر بـي كـأنـني لم أكن
ثـغـرك أو صـدرك أو مـعـصـمك(*)
لـو مـرَّ سـيف بـيـنـنـا لم نـكن
نـعـلـم هل أجـرى دمي أو دمك(*)
مـولاي إن واصـلـتـني بـالجـفـا
ومـلـت في شـرخ الـصـبـا مـغـرمك
قل لـلـدجى مـات شـهـيـد الـهـوى
فـانـثـر عـلى أكـفـانه أنجـمك(١)

سنة ١٩١٥

****

(١) البرق، حزيران ١٩٢١، عدد: ١٢٨٨ ، ص:١.

(*) مجلة «الحديث» ١٩٣٦ ، سنة١٠، عدد: ٣-٤، ص: ٣٥١، بعنوان «هجران»، مع ترتيب مختلف وزيادة، والبيتان الأخيران منها كما يلي:

يـا بـدر إن واصـلـتـني بـالجـفـا
قـضـيت في شـرخ الـصـبـا مـغـرمك
إن مت قل: مـات شـهـيـد الـوفـا
وانـثـر عـلى أكـفـانه أنجـمك

٦٥ - يا نفــس

يـــا نـــفس بـــين الـــيـــوم والأمس
عـــبَـــرٌ لمن يـــغـــدو ومن يمـــسي(*)
درس هي الـــدنـــيـــا لمجـــتـــهـــد
أفـــتـــجـــهـــلـــين فـــوائـــد الـــدرس(*)
كم من لـــيـــال قـــد صـــبـــغتُ بـــهـــا
بـــدم المحـــاجـــر أبـــيض الـــطـــرس(*)
والـــيـــوم لا طـــرسي ولا قـــلـــمي
في قـــبـــضـــتي حـــتى ولا حـــسي(*)
لأكـــادُ ممـــا قـــام في خـــلـــدي
أمـــشي مـــتى أمـــشي بلا رأس(*)
وأكـــاد ممـــا حل في بـــدني
أخـفى فـتـجـهل مـوضـعي نـفـسي(*)
وأجـــيل طـــرفي لا أرى أحـــداً
ممن أطـــيب بـــهم ســـوى كـــأسي
فـــأبـــيت أرشف من مـــبـــاســـمـــهـــا
روح الحـــيـــاة ونـــفـــحـــة الـــقـــدس
وتـــبـــيت تـــرجع بي الى زمن
حـــلـــو الأصـــائل زاهـــر الأنس

زمـن غـــــرست بـــــصـــــدره أمـــــلي

فـــجـــنى بـه نـــزقي عـــلى غـــرسي

نُـــعْـمى كـفـرتُ بـــهـــا فـمـــا لـــبـثت

وكـــذا يـــكـــون تحـــول الـــشـــمس(*)

لـــو كـــان أمـــسي مـــاثلاً لـــغـــدي

لـــبـــكى غـــدي أســـفـــاً عـــلى أمـــسي(١)

تشرين الثاني ١٩١٥

****

(١) البرق، آب ١٩٢١، عدد: ١٣٣١، ص:١

(*) شعر الأخطل الصغير، «يا نفسي»، ص:١١٨.

٦٦ - أتيــلا والشاعــر

إن أتـــــيلا ومـــــا كـــــان ســـــوى
نـــقـــمـــة الـــلـــه وســـيف الـــغـــضبِ
مـلأ الأيـــــــام هـــــــولاً ودمـــــــاً
فـــحـــشـــاهـــا خـــافق من رهب
وهـــو المـــأثـــور عـــنه قـــوله
في ســبــيل الــفــخــر فــاســمع واعــجب
«لـم يـــغـــادر بـي جـــوادي تـــربـــة
وعـــلـــيـــهـــا أثـــرٌ لـــلـــعُـــشُب»
قــد غــزا الــرومــان مــنــصــورالــلــوا
شـــأن أتـــيـلا بـــتـــلـك الحـــقب
فـــأتـــاه شـــاعـــر مـــنـــهم وقـــد
صـــالـح الـــغـــازي لآلي الـــشـــهب
مـــدحـــة غـــالـى بـــهـــا شـــاعـــرهـــا
فـــإذا المـــمـــدوح فـــوق الـــســـحب
قـــال أتـــيـلا اجـــمـــعـــوا لي حـــطـــبـــا
واربـــطـــوا من فـــوقه هـــذا الـــغـــبي
واضـــرمـــوا الـــنـــار، فـــلـــمـــا أضـــرمت
ورمت أنـــفـــاســـهـــا بـــالـــلـــهب

ورأى شـــاعـــرنـــا هـــول الـــقـــضـــا

غـــــــــــــاب عـــن إدراكـــه مـــن رعـــب

عـــنـــدهـــا قـــال آتـــيـلا حـــســـبه

لـــــيس لـي في قـــــتـــــلـه من أرب

احـــــضـــــروه لـي... فـــــجـــــاؤوه بـه

وهـــو يـــهـــتـــز اهـــتـــزاز الـــقـــصب

ويـك نـــــاداه. لـــــئـن تـــــرجـع إلى

الـــكـــذب احـــرقك جـــزاء الـــكـــذب

لـــو بـــلـــيـــنـــا بـــآتـــيـلا ســـاعـــة

لـــشـــكـــونـــا من نـــفـــاد الحـــطب[1]

في ٢٢ تموز ١٩١٦

(١) البرق، تموز ١٩٢٥، عدد:٢٣٥٦، ص:١.

مفكـرات شـاعر

٦٧ - صبية عارية أبدانهم[١]

صِـــبْـــيـــةٌ عـــاريـــة أبـــدانـــهم
ومن الجـــوع عـــدوا كـــالمـــومـــيـــا
وصـبـايـا مـثـلـهم تـقـضي طـوىً
بـعـدمـا بـارت بـهـا سـوق الحـيـا
وشـــيـــوخ رمـــســـوا أبـــنـــاءهم
بـيـديـهم ويـحـهم من أشـقـيـا
عـجـزت أرجـلـهم عن حـمـلـهم
فـهمُ فـوق الـثـرى صـرعى الـعـيـا
ويـــنـــادون:
أيـهـا الـنـاس أطـعـمـونـا كـسـرة
وارحـمـوا من ضـعـفـنـا يـا أقـويـا
هب ورثـتم بـعـدنـا الأرض فـمن
يـصـلح الأرض لـكم يـا أغـنـيـا[٢]

نظمت ١٩١٦

****

(١) هذه القصيدة صدى ما كانت تثيره في نفسه بعض المشاهد المؤثرة التي جنتها الحرب على البشرية في لبنان. وأشدها المجاعة التي لم تبق ولم تذر.
(٢) البرق،تشرين الثاني ١٩١٨، عدد : ٤-٢٥٧، ص: ١٤

٦٨ - الريـال المـزيـف[١]

مـن أوراق الحـرب

ويح الـفـقـيـر فـمـا تـراه يُلاقي
سـدَّت عـلـيه مـنـافـذُ الأرزاقِ
عـصَـفت به وبـسـربه ريحُ الـشَّـقـا
فـتـسـاقـطُـوا كـتـسـاقُط الأوراق
فـإذا بـصُـرتَ به عـجـبتَ لـشـمـعَـةٍ
كـالـزَّعـفـران تجـولُ في الأسـواق
عَـلَقُ المجـاعـة مَصَّ بـعض دمـائه
وتـعـسُّفُ الحُـكَّـام مصَّ الـبـاقي

أخـذَ الـشَّـقـا يـدَهـا فـسـارت خَـلـفَه
والـلّـيل ممـدُودٌ عـلـى الآفـاق
سـارت، فـمـاسَ الخـيـزرانُ بـقـدِّهـا
ورَنت، فـذابَ الـسِّـحـرُ في الأحـداق
وتـلـوحُ آثـارُ الـنَّـعـيم بـخـدِّهـا
كـالـفـجـر قـبل تـكـاملِ الإشـراق
أخـذ الـشَّـقـا يـدهـا فـإن هي فـكَّـرت
بمـصـيـرهـا صُـعـقَت من الإشـفـاق
ووهتْ عـزيمـتُـهـا فـألـقت نـفـسـهـا
فـوق الـثَّـرى وشـكت إلى الخـلاَّق

(١) وقعت هذه الحادثة في أوائل السنة الثانية من الحرب العالمية الأولى فأفرغها الشاعر في هذه القصيدة.

تـشـكـو بمـدمـعـهـا وذُلّ فـؤادهـا
وبمـــا تُـــحسُّ بـه منَ الإحـــراق
يـــا ربِّ. قـــالت وهي جـــاثـــيـــةٌ لهُ
إن شـــئتَ حُلَّ من الحـــيـــاة وثـــاقي
قـد عـشتُ عُـمـري مـا عُـرفتُ بـريـبـة
وعـــبـــدتُ بـــعـــدكَ عـــفَّـــتي وخلاقي
والآن والأيـــــــام مـلأى بـــــالأذى
قـد أصـبـحت وقـراً عـلى الأعـنـاق
زوجي يُـحـارب في الـتُّـخـوم وطـفـلـتي
فـــوق الـــفـــراش تـــزيـــدُ في إرهـــاقي
مِنْ أمِّـهـا تـبـغي الـغـذاء لجـسـمـهـا
من أمِّـــهـــا تـــبـــغي الَّـــدواء الـــواقي
وطَـــرقتُ أبـــوابَ الـــكـــرام فـــأوصـــدوا
أبـــوابـــهُمْ فـــرجـــعتُ بـــالإخـــفـــاق...

☆☆☆☆☆

سـامَ الـفـتى عِـرضي فـيـا لكَ من فـتىً
كـــاسي الـــغـــنى عَـــارٍ مِنَ الأخلاق
هَبْ أنَّ أُخـــتكَ والـــزَّمـــانُ أصـــابـــهـــا
مـــثـــلي أصـــابت ســـافلَ الأعـــراق
أفـــكـــان سَـــرّكَ أن تـــرى إحـــســـانَهُ
ثَـمن الـعـفَـاف لـضـمَّـةٍ وعـنـاق
خَـفِّف عـلى عُـنُـقي الـضَّـعـيـفـة واتّـئـد،
إني رأيـــتُكَ آخـــذاً بـــخـــنـــاقي
إنَّ الـــرِّيـــال غـــنىً ولـــكن عـــفَّـــتي
فـــوق الـــغـــنى ونـــفـــائس الأعلاق

☆☆☆☆☆

أأصونُ عِرضي؟ وابنتي؟ وحياتُها
وعلاجها يحتاجُ للإنفاق
أنا إن أعفّ قتلتُها فعَلامَ لا
تحيا بماءِ تَعَففي المُهراق
لا. لا تموتُ فإنَّها لبريئةٌ
حسناء ما شبَّتْ عن الأطواق
إني مُفارقَةُ ابنتي أو عِفَّتي
فعلى كلا الحالينِ مُرُّ فراقِ
والذَّنبُ للأيَّام في حدَثَانها
والذَّنبُ للأخلاق غيرَ رواقي

☆☆☆☆☆

ربّاهُ حِلمكَ فالمصائبُ جمَّةٌ
وأنا بواحدةٍ يضيقُ نطاقي
لو شئتَ موتاً لابنتي لأخذتها
وجعلتَ طُهري قُدوةً لرفاقي
لكن أردتَ بقاءها وأردت لي
فقري. أتُظمئُني وأنتَ السَّاقي؟
ستعيشُ بنتي وليكُن ما شئته
سَتَعيشُ... لكن من لُهى العُشَّاق
وَمَشَتْ لموعده بماء جُفُونها الـ
ـقرحى وَجَمرِ فُؤادها الخفَّاق
ترعى السَّفالةُ في مَجاهلِ قَلبه
وتُطلُّ إن شَبعَت منَ الآماق
ومتى يُحاول حَجبَ مَكنوناته
يُلبس مُحَيَّاهُ حجابَ نفاق

قـنص الـفـتـاةَ بـفـقـرهـا وشـقـائـهـا
«وبمـــا تـــكـــابـــد من أسىً وتُلاقي»
حـتى إذا اخـتـلـيـا انـثـنى بـوصـالـهـا
وقـــد انـــثـــنت بـــريـــاله الـــبـــرَّاق

☆☆☆☆☆

رَجَـعَت وفي يـدهـا الـرِّيـالُ ورأسُـهـا
لحـــيـــائـــهـــا مـــتـــواصلُ الإطـــراق
وكـأنّـهـا خـطـرت لـهـا ابـنـتُـهـا ومـا
تـــلـــقـــاه من ألم الـــطَّـــوى المـــقلاق
فـأصـابـهـا مـثلُ الجُـنُـون فـتَـمْـتَـمَت
بُـشـــراكِ إني عُـــدتُ بـــالـــتِّـــريـــاق
هُـــو ذا الـــرِّيـــالُ فـــإنَّه نِـــعْمَ الـــذي
يَـهَبُ الـشـفـاء لـنـا ونـعمَ الـرَّاقي
هُـــو ذا الـــرِّيـــالُ وقـــد تـــألقَ مـــاحقٌ
دُجنَ الـهـمـوم وقـد أردنَ مُـحـاقي
- هـو ذا الـرِّيـالُ ولم يـكُن لـولا ابـنـتي
لـيَـسـومَـني نُـكـراً عـلى الإطلاق

☆☆☆☆☆

ومـضت إلى الـطَّـبَّـاخ تُـلـجمُ مـا بـهـا
لـــفـــتـــاتـــهـــا من لاعج الأشـــواق
- قـالت - وأدَّتهُ الـرِّيـالَ - ألا اعـطـني
بـــعضَ الـــغـــذا واردُدْ عـــليَّ الـــبـــاقي
- أســـرعْ فـــإنَّكَ إن تُـــؤخـــرني تـــذُق
من جُـــوعـــهـــا بـــنـــتي أمـــرَّ مـــذاق
نَـقَفَ الـرِّيـالَ بـإصـبَـعَـيهِ وَجَـسَّهُ
وانـــهـــالَ بـــالإرعـــاد والإبـــراق

- قُبحاً لوجهكِ... - سَيِّدي أتَسُبُّني
عفواً وتَحْسَبُني منَ السُّرَّاق؟
- لا. فالرِّيالُ مُزَيَّفٌ..- أمُزيَّفٌ؟
صاحت وقد سَقَطت منَ الإرهاق

سقَطت على قَدم الشَّقا فبكت لها
عينُ العلى ومكارم الأخلاق
وبكى عَفَافُ الآنسات عفافَها
خلل السُّجوف بمدمعٍ مُهراق
يا طيرَ عفَّتها فديتُكَ طائراً
هلاَّ حذِرتَ حبائل الفُسّاق

طَلَعت عليها الشَّمسُ وهي سَجينةٌ
وفتاتُها ضَيفٌ على الأسواق
أمَّا الأثيمُ فلا تزالُ شباكُهُ
مَنصُوبةً لنواعس الأحداق
يُسقى الرَّحيقَ بأكؤُسٍ ولواحظٍ
واللهُ يكلأُ - «وهوَ نِعمَ الواقي»[1]

١٩١٦

****

(١) البرق، شباط ١٩١٩، عدد: ٦٤ - ٤٥٧، ص:٢٥٣.
- الهوى والشباب، ص:٥٩ - ٦٣.
- شعر الأخطل الصغير، «آثار النعيم»، ص:٢٢٦.

٦٩- قلب خافــق

مقتبسة عن الفرنسية

أنـــا ســـاهـــرٌ والـــكـــونُ نـــام
وكل مـــا فـي الـــكـــون نـــامْ
نـــام الجـــمـــيعُ ومـــقـــلـــتي
يـــقـــظى تجـــول مع الـــظلام
حـــتـــى نجـــوم الأفق نـــامت
فـــوق طـــيـــات الـــغـــمـــام

أنـــا ســـاهـــر وجـــبـــال لـــبـــنـــانٍ
عـــلـــيـــهـــا الـــصـــمت حـــام
خـــلـــع الجـلالُ عـــلـــى مـــفـــا
رقـــهـــا مـــواهـــبه الجـــســـام
فـــكـــأنـــهـــا إذ صـــعّـــدت
في الجـــو مـــرّادٌ عـــظـــام
صـــمـــتت لَـــدُنْ بـــرز الـــدجى
فـــكـــأن في فـــمـــهـــا لجـــام

أنـــا ســـاهـــرٌ والـــســـهل في
حـــضن الـــطـــبـــيـــعـــة كـــالـــغلام
وكـــأمـه فـــتـــحت ذراعـــيـه
ـــهـــا لـــيـــهـــنـــأ بـــالمـــنـــام

يـــغـــفـــو ويـــحـــرس ثـــغـــره
روح الـــبـــنـــفـــسج والخـــزام
الـــســـهل نـــام فلا حـــرا
ك ولا هـــتـــاف ولا بُـــغـــام

أنـــا ســـاهـــرٌ والـــبـــحـــر أخـــرسُ
لا هـــديـــر ولا احـــتـــدام
كـــالمـــارد الجـــبّـــار مـــنـــطـــرحٌ
عـــلـــى صـــدر الـــرغـــام
فـــكـــأنه والـــرمل إلـــفـــا
صـــبـــوةٍ مـــنـــذ الـــفـــطـــام
فـــتـــعـــانـــقـــا عـــنـــد المـــنـــام
وملءُ ثـــغـــرهـــمـــا ابـــتـــســـام

لا حـسَّ حـــتـــى خـــلـــتُ أن
ســـادَ الحـــمـــامُ عـــلـــى الأنـــام
وحـــســـبت أنـــفـــاس الـــورى
سُـــجـــنت بـــأقـــفـــاص الـــعـــظـــام
صـــمـــتٌ يـــقـــزُّك فـــيـــه خبُّ
الـــنـــمـــل في مـــلس الـــرخـــام

في ذلك الـــصـــمـــت الـــرهـــيب
وذلك الـــلـــيـــل الجـــهـــام
مـــا كـــان يـــخـــفق غـــيـــرُ قـــلبٍ
كـــاد يـــتـــلـــفه الـــســـقـــام

قـــــلبٌ شـــــقيٌ في حـــــنـــــا
يـــا أضـــلـــعي اخـــتـــار المـــقـــام
قـــــلبٌ تـــــأكّـــــله الـــــغـــــرام
وظلَّ يـــــخـــــفق لـــــلـــــغـــــرام

مـــا أعـــظم الـــضـــوضـــاء يـــحـ
ـــدثـــهـــا فـــؤادُ المـــســـتـــهـــام
إذ راح يـــــخـــــفق وحـــــده
خـــفـــقـــانَ أجـــنـــحـــة الحـــمـــام
في مـــثل ذا الـــصـــمت الـــرهـــيب
ومـــثل ذا الـــلـــيل الجـــهـــام[1]

نظمت سنة ١٩١٥

(١) البرق، نيسان ١٩١٩، عدد: ١١٦- ٦٢٦، ص:٤٥٤.
- الهوى والشباب، ص: ٦٤ - ٦٦
- شعر الأخطل الصغير، «أنا ساهر»، ص:٨٧.

٧٠ - أي خطب جلل[١]

لـــهـــفي ولـــهف الأدب عـــلـــيك
يـــــــــــا راحـــلاً بـــلا وداع
وســـاكـــنـــاً وكـــان ملء الأســـمـــاع
ومـظـلـم الجـفن وكـان مـبـعث الـنـور

لـــهـــفي ولـــهف المـــنـــابـــر
عـــلـــى عـــودهـــا الـــذاوي
ونجـــمـــهـــا الخـــابـي
ونسـرهـا الـهـاوي قصّ الردى جـنـاحيه

لـــهـــفي ولـــهف الـــشـــعـــر
عـــلـــى أطـــرب أوتـــاره
وأطـــيـــب أســـحـــاره
وأجـــمـــل أزهـــاره

لـــهـــفي ولـــهف الجـــرائـــد
لا الحـــقـــول فـــيـــهـــا زواهي
ولا الآيـــات بـــيِّـــنـــات
ولا الـــنـــكـــات مـــطـــربـــات
دهـتـهـا بـعـدك الـدواهي فـهي أرض مـوات

(١) رثاء الشيخ اسكندر العازار.

يا أمير اليراع في الشـــام وحبيب رجاله في كل مكان
يـــا نـكـتـــة الـــظـرف ورونـق الـبـــيـــان،
يـــا واسـطـة الـعـقـد من جـيـد المحـامـد
يا لسان العرب الفصيح ووجـــه الأدب الصبـــيح

واخـــجـــلـــتـــاه مـــنك يـــوم أرثـــيك
مـــنك اســـتـــعـــرت بـــيـــاني
بك اســـتـــنـــزلت إلـــهـــامي
وإلـــيك كـــان مـــرجـــعي في كل شـــاني

هـــا أنـــا ذا يـــا أخي ويـــا شـــيـــخي

ها أنا ذا عند قبرك الهادي، في وحشة الليل وثوابه، اجثو على بلاط ضريحك وكتابي في يدي، وقلبي على شفتي، أودع في ذمة القبر وذمة الليل، حبي القديم، ووفائي القديم، وإخلاصي القديم. نم برغمي آمناً في قبرك، آمناً في عزلتك، أنعش الله روحك وآنس الطير ضريحك، وفيأ الصفصاف عليك من الجانبين. نفذ السهم في صميم قلب الأدب، فكأنما الجبل هوى في البحر فملأ الفضاء رشاشه، وكأنما مستقر الكهرباء لامس صدر كل أديب فاهووا على صدورهم بأيديهم يمنعونها من الخفوق - ذلك يـــوم قـــالـــوا : مـــات الـــعـــازار[1]

(١) البرق،تشرين الثاني ١٩١٩، عدد: ٤٨-٤٤١، ص: ١٩٠.

٧١ - الحـرب الكبـرى

نحن في لبنـــان

طُـــلتَ يـــا لـــيـــلـيَ أو لـمْ تَـــطُلِ
مِـــثـــلُكَ الـــفَـــجـــرُ الـــذي ســـوفَ يـــلي
أيـــهـــا الـــلـــيلُ اســـتـــطل مـــهـــمـــا تـــشـــا
وتحـــــكَّم يـــــا كـــــرى فـي المُـــــقَل
مـــا يُـــفـــيـــدُ الـــنُّـــورُ في إشـــراقهِ
إن يَـــــكُـن أُطـــــفـئَ نـــــورُ الأمـل
أنـــا، مـــهـــمـــا تَـــطـــردُ الـــشَّـــمسُ الـــدجى،
لا تـــزلْ نـــفـــسي بـــلـــيلٍ ألـــيل
أعـــشقُ الـــلـــيلَ ومـــا لي والـــضـــحى
عـــشتَ يـــا لـــيلُ: ألا فـــانـــســـدل
إنـــسدلْ تَـــحـــجُبْ عن الـــطَّـــرف الـــشَّـــقـــا
يـــا لـــطـــرفٍ بـــالـــشَّـــقـــا مُـــكـــتَـــحلِ
لا يـــرى، إذ تَـــطـــلُعُ الـــشَّـــمسُ، ســـوى
ســـائـــلٍ أو عـــاجـــزٍ أو وكـلِ
عَـــصَفَ الـــفـــقـــرُ بـــهم، فـــانـــتـــشـــروا
كـــانـــتـــشـــار الـــوابـئِ المُـــسَـــتـــفـــحلِ
يـــلـــهـــمـــونَ الـــعُـــشبَ من جـــوعِـــهمِ
وَيـــحَـــهُم مـــا تـــركـــوا لـــلـــهَـــمَلِ؟
بـــجُـــســـومٍ هُـــزَّلٍ، تحـــمـــلُـــهـــا

بـــــعـــــيـــــاءٍ واهـــــيـــــاتُ الأرجُـل
ووجـــــوه، كـــــتـــبَ المـــــوتُ عـــــلـى
صـــفـــحـــتَـــيـــهـــا: هـــذه الأوجُـهُ لي
صـــــدقَ المـــــوتُ بمـــــا قـــــد قـــــالَـهُ
مـــــا تـــــرى أشـلاءَهُـمْ في الـــــســـــبُـلِ؟

الدول العُظمى

دولـــــــةَ المـــــــاءِ، ولا تجـــــــري إذا
لـم تـــشـــائـي، قـــطـــرةٌ في جـــدولِ
بـــعـــدَ هـــذا المجـــد مـــاذا يُـــرتجى؟
هـــو ذا الـــنَّـــجمُ قـــريبٌ فـــاعـــتـــلي...
مـــا عـــلى الأســـطـــولِ من أســـطـــولـــهم
أيـــخـــافُ الـــبـــازُ شـــرَّ الحـــجَل؟

ذَكـــرَ «الـــســـينُ» عُـــهـــوداً لِـــلَّـــتي
تَـــيَّـــمتْ مُـــهـــجَـــتَهُ وهـــو خَـــلِي
فـــإذا بـــالـــنَّـــار في أحـــشـــائِه
وإذا بـــالجُـــرح لـم يَـــنـــدَمِل
فـــمـــشى يُـــقـــسِمُ أن لا يـــنـــثـــني
عَـنْ لـــقـــا «ألـــزاسـه» أو يُـــقـــتل
فـــلـــتكُ «الألـــزاس» يـــا «ســـينُ» لـــهُمْ
إنَّـــمـــا المُـــلـــكُ لـــربِّ الأزل
لـكَ عـــرشُ الـــعِـــلـمِ في أُبـــهَـــتِه
ولـهُ ســـلـــطـــانُـهُ في المِـــلَـلِ
حَـــلـمَ الـــقَـــيـــصـــرُ أنْ يَـــرفَـــعـــهـــا

دولـــــةً «لـــلـــسَّـــلـفِ» فـــوقَ الـــدُّول
واســـتَـــلَـــذَّ الحُـــلْمَ... فـــاســـتـــعـــجَـــلَهُ
بـــالـــظُّـــبى الـــبـــيض وَسُـــمـــرِ الأسَل
عَـــقَّتِ «الـــبُـــلـــغـــارُ» والحُـــلـمُ قـــضى
وتـلاشـى فـي شُـــــهـــــور الحَـــــمَـل

قـــيـــصـــرَ الـــروسِ، ولـم يـــحـــلُمْ بمـــا
حُـــــزْتَـهُ تـــــاجُ المُـــــعـمِّ المُـــــخـــــول
لكَ نـــصفُ الـــنَّـــاس، لـــو تـــنـــهـــضُـــهُمْ
كـــــانـت الأمـلاكُ بـــــعـضَ الخَـــــوَل

إيهِ «غُـــلـــيـــومُ»، اســـتـــزد من حـــشـــدهـــا
واســـتـــبـح أبـــنـــاءهـــا واســـتـــرسل
إنمـــا الأمـــةُ لـــلـــجـــيش... وقـــد
رضـــيت فـــاضـــرب بـــهـــا واســـتَـــبـــسِلِ
ومُـــر المَـــعـــمَل في تـــســـلـــيـــحـــهـــا
هـــو يُـــدعى مـــعـــملٌ: فـــلـــيـــعـــمل
واملأ الـــبـــحـــرَ ســـفـــيـــنـــاً، والـــفـــضـــا
«زبـــلـــيـــنـــاً»... ســـاءَ فـــألُ الأعـــزل
ومـــتى يـــنـــهض عـــزيـــزٌ فـــارْدِه
ومـــتى يـــجـــهل مـــلـــيكٌ فـــاجـــهل
نمْ عـــلـــى صـــهـــوتـه أو لا تَـــنـــم
وانـــطـــلق مـــثل الـــنـــســـيم المـــرسل
تـــــرتجي أن تُـــــصـــــبح الـــــكفَّ، وأن

تُـــــــصـــــــبح الأمـلاكُ بـــــــعـضَ الأُنمُـل
أمـلٌ نـــــاجـــــزتـــــهُـم مـن أجـــــلـه...
ولـــــقـــــد يُـــــردى الـــــفـــــتى بـــــالأمل

«فنون» الحرب

لـــيـــتـــنـــا في الـــكـــهف، حـــتى يَـــنـــقـــضي
- لا شـــفـــاهُ الـــلـــه - جَـــهـلُ الـــدولَ
ســـعَّـــروهـــا. لـــو أصـــابت جـــبلاً
راســـخـــاً، لانـــهـــدَّ رُكنُ الجـــبـل
أو أصـــابت جـــحـــفلاً، مـــا تـــركت
رجُـلاً حـــيّـــاً بـــذاكَ الجـــحـــفَل
تـــارةً وجهَ الـــثَّـــرى حـــربُـــهُم
وأحـــايـــينَ تـــراهـــا مـن علِ
تـــقـــذِفُ الـــنـــارَ مـــنـــاطـــيـــدُهُم
كـــانـــقـــذاف الـــنـــيـــزكِ المُـــشـــتـــعل
يـــتـــجـــارونَ عـــلـى الأُفق، كـــمـــا
يـــتـــجـــارى الـــنَّـــســـرُ إثـــرَ الأجـــدل
تـــســـبِقُ الـــطَّـــيـــرَ إذا ســـابـــقَـــهـــا
وَيَـــهـي الـــطَّـــيـــرُ ولَـــمَّـــا تَـــزَلِ
وإذا مـــا ســـعَّـــرهـــا في الـــدجى
وتَـــرقَّـــوا لـــلـــسِّـــمـــاك الأعـــزل
وتـــرامـــوا بـــالـــلـــظى واشـــتـــعـــلـــوا
وتـــهـــاووا كـــالـــقـــضـــاء المـــقـــبل
خِـــلـــتَ أنَّ الـــنـــجـــم في عـــالَـــمِه
بـــاتَ في كـــارثـــة لا تـــنـــجـــلي

سعَّرَ الحربَ فنادى المُشتري
يا لثاراتِ العُلى من زُحل
وبدا «اللّيثُ» على أنيابه
قطراتٌ من دماء «الحَمَل»
بِدَعٌ، لو لم تُشاهَد، حُسِبت
من أساطير الشَّعوب الأُوَلِ
ورموا بالغاز قتّالاً، فإن
ينتشر ينشُرْ حبالَ الأجل
تَحسَبُ الجيشَ، وقد نُشِّقَهُ،
أخضرَ السُّنبُلِ تحتَ الشَّمأل
يأخُذُ الفيلَقَ إذ يُبكمُهُ
ولقد يأخُذُهُ بالخَبَل
ولقد ينسابُ في أنفاسه
مثلما انسابَ دمٌ في مفصل
ولقد يتركُهُ ذا صممٍ
ولقد يتركه ذا شلل
عُددٌ، كانت لتشفي عللاً،
صيّروها لاختلاق العِلَل...
ولجوا بطنَ الثَّرى، فهوَ بِهِمْ
جبهةُ اللَّيثِ وَحَدُّ المُنصُلِ
بلْ عرينٌ يبعثُ الهولَ بما
ضمَّ منْ لَيثٍ وليثٍ مُشبلِ
تركوا ضربَ الظُّبى، كي يضربوا
في جلاميد الصَّفا بالمِعْول

وإذا مـــا خـــنـــدقُ الأعْـــدا بـــدا
نـــســـفـــوهُ وانـــثـــنـــوا في عَـــجَلِ
فـــهُـــنـــا: قـــد زُلـــزلَتْ زلـــزالَـــهـــا
ورَمَتْ بـــالجـــلْـــمَـــدِ المُـــشـــتـــعِل
فـــإذا الـــتُـــربُ، لِـــمَنْ كـــانـــوا به،
كَـــفَنٌ بـــالـــدَّمعِ لَمْ يَـــغـــتَـــسِل
وإذا الخـــنـــدقُ أمـــسى مـــنـــزلاً
أبـــديَّـــاً... يـــا لـــهُ من مَـــنـــزِل
يـــا لـــعَـــيـــنـــيكَ تـــرى غـــوَّاصـــةً
نَـــزلَتْ من لُـــجِّه في الأســـفـل
وَلـــقـــد تُـــلـــمَحُ في المـــاء، كـــمـــا
يُـــلـــمحُ المـــعـــنى خلالَ الجُـــمل
عَـــجَـــبـــاً لـــلـــحـــوت في أحـــشـــائه
بـــشـــرٌ مـــا يـــأمُـــروا يَـــمـــتَـــثِل
حُـــوتُ «يُـــونـــانٍ» حـــواهُ رجُلاً...
وبـــحـــوتِ الـــيـــوم كم من رجُل؟.
وُجـــدتْ كي تَـــصلَ الـــسُّـــبلَ، وقَـــدْ
صـــارتِ الـــيـــومَ لـــقـــطعِ الـــسُّـــبُل

ويلات الحرب

يـــا لَـــهَـــولِ الحـــربِ في ويلاتِـــهـــا
رَمَتِ الـــكـــونَ بـــخَـــطبٍ جـــلـل
تـــلـــهَمُ المـــلـــيـــونَ لا يُـــشـــبِعُـــهـــا
ومـــتـى تُـــطـــعَمْ أخـــاه تـــأكُل
كم شـــمـــوسٍ في ســـمـــا المـــاضي، وكم

من نجـــومٍ في ســـمـــا المُـــســـتـــقـــبل
ويـــتـــيـــمـــاتِ فـــنـــون جـــمـــة
حُـــســـبتْ من مُـــعـــجـــزات الأُوَل
فـــإذا تـــلكَ انـــطـــفَت شُـــعـــلـــتُـــهـــا
وإذا هـــذي كـــبـــالـــي طَـــلَـــلِ
ولـــكمْ روضـــةٍ بـــيـــتٍ ذَبُـــلَـــت
وهـي لـــولا حَـــرُّهـــا لـم تـــذبلِ
وفـــتـــاةٍ طـــفـــلـــةٍ قـــد ســـألتْ
أُمَّـــهـــا - أينَ أبـي لـم يُـــقـــبلِ
فَـــلـــقَـــد طـــالت بـــنـــا غـــيـــبـــتُهُ
وأنـــا اشـــتـــقتُ لـــتـــلكَ الـــقُـــبل؟..
ولـــكم عـــذراءَ كـــالـــبـــدر، عـــلى
قـــامـــةٍ كـــالـــغُـــصن المُـــعـــتـــدل
تُـــلـــمَسُ الـــنّـــجـــمـــةُ في مـــبـــســـمـــهـــا
ويُـــرى ذوبُ الـــدُّجى فـي المـــقَـل
ســـامـــهـــا الـــفـــقـــرُ، وكـــانتْ قَـــبـــلَهُ
تـــتـــغـــذى بـــخُـــيـــوطِ المِـــغـــزَل
فـــأبـــاحت ثـــغـــرهـــا مُـــرغـــمـــةً
وهـيَ، لـــولا جـــوعـــهـــا، لـم تَـــفـــعلِ
أنـــا، مـــهـــمـــا قُـــلتُ في ويلاتـــهـــا،
كـــنتُ ممَّن قـــنـــعـــوا بـــالـــوشَلِ

«مؤتَمر الجماد»

أدواتُ الحـــربِ، عـــنـــهـــا أضـــرَبَتْ،
والـــتـــقت أجـــمـــعُـــهـــا في مَـــحـــفِلِ:

وقفَ الـــفُـــولاذُ فـــيـــهم خـــاطـــبـــاً
بـــكـلامٍ كـــالـــرَّحـــيـق الـــسَّـــلـــسَل
قـــالَ: لـــو أُنـــصـــفتُ، مـــا كُـــنتُ ســـوى
ســـكَّـــةٍ أو مـــعـــولٍ أو مِـــنـــجَـلِ
أُســـعـفُ الإنـــســـانَ في الحَـــرثِ، ولا
أتـــوانى عـــنـــدَ حـــصـــدِ الـــسُّـــنـــبل
مُـــؤْثـــرٌ لـــو كـــنتُ مـــســـمـــاراً - ولا
خَـــجَـلٌ - في نَـــعْل طـــفـلٍ مُـــحـــول
أمـــنـــعُ الأشـــواكَ أن تَـــجـــرحَهُ
وأقـــي أرجُـــلَـــهُ مَـــنْ بَـــلـــلِ

عـــنـــدَ هـــذا الخَـــشَبُ اهـــتـــزَّ وقـــد
قـــالَ: فـــلـــتُـــقـــطَعْ يَـــمـــينُ الـــرَّجُل
حـــبَّـــذا الـــيـــومُ الَّـــذي كُـــنتُ به
غُـــصـــنـــاً عـــنـــدَ ضـــفـــاف الجـــدول
لـــي مـــنَ الأوراقِ أبـــهـــى حُـــلـــل
ومنَ الـــزّهـــر نـــفـــيـــســـاتُ الحُـــلي
وتُـــغَـــنِّـــيـــنـي نُـــســـيـــمـــاتُ الـــصَّـــبـــا
ويُـــســـلِّـــيـــنـي غـــنـــاءُ الـــبُـــلـــبُل
أحـــمِلُ الأثـــمـــارَ، يَـــجـــنـــيـــهـــا بـــنـــو
آدمٍ ســـائـــغـــةً كـــالـــعَـــســـل
فـــإذا بـي تـــارةً مـــركـــبـــة
تَـــحـــمـلُ المـــدفَعَ ثـــقـلَ الجـــبـل
وإذا بـــي تـــارةً فـــي ســـابـــحٍ

وإذا بـي تـــــــارةً فـي مـــــــعـــــــقـل
أنـــا لـــو أنـــصـــفَـــنـي المـــرءُ، لمـــا
كُـــــنـتُ إلاَّ مـــــغـــــزلاً فـي مـــــعـــــمـل
أنـــسـجُ الـــصَّـــوفَ فـــأكـــسُـــوهُ ولا
أشـــــتـــــكـي مـن تـــــعَـبٍ أو مـــــلَـلِ

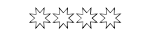

عـــنـــدَ هـــذا، الـــكـــهـــربـــا قـــالتْ، وقـــد
لَـــمَـــعَتْ أنـــوارُهـــا لـــلـــمُـــجـــتـــلي،
قُـــــوتـلَ الإنـــــســـــانُ كـم دمَّـــــرَ بـي!..
وأنـــــا رُوحُ الـــــنِّـــــظـــــام الأمـــــثـل
أحـــــفـظُ الأجـــــرامَ فـي أفـلاكـــــهـــــا
وأقـــيـــهـــا عـــاديـــات الخـــلَـل
أنـــا ملءُ الـــكـــون: مـــا فـــيـه ســـوى
خـــــدمـي أو خـــــولـي أو رُسُـــــلـي
قـــســـمـــاً، لـــو كُـــنـتُ أدري أنَّـهُ
بـــســـوى الآثـــام لـم يَـــشـــتـــمِلِ
لَـــتَـــحَـــجَّـــبْتُ... فـــلـمْ أظـــهـــرْ لهُ
ولمـــا دَنَّسَ يـــومـــاً هـــيـــكـــلي
ولمـــا جَـــشَّـــمـــنـي أثـــقـــالَهُ
ولمـــا فـــارق ظـــهـــرَ الجـــمَل
أنـــا لـــو خُـــيِّـــرتُ لا خـــتـــرتُ الخـــفـــا
ورُجُـــوعـي لـــلـــخُـــمـــول الأول

فـــانـــبـــرى الـــبـــارُودُ، في حـــدَّته،
وهـــوَ يَـــغـــلـي غَـــلَـــيـــان المِـــرجلِ

قـــالَ: لـم يُـــنـــكبْ بـــهم مـــثـــلي، ولَمْ
يَـــحـــتَـــمل مـــنـــكم بـــهم مُـــحـــتـــمـــلي
قُـــوتـــلـــوا من بَـــشـــرٍ، أفـــضـــلُـــهُم
إن يُـــفـــاضـل أيَّ وحشٍ، يُـــفـــضـلِ
أقـــذفُ المِـــدفـعَ، فـي أحـــشـــائـه
لـــلـــمـــنـــايـــا زَمـــزمـــاتُ الـــهـــول
حـــممٌ ظـــمـــأى، مـــتى مـــا انـــطـــلـــقتْ،
فَـــدَمُ الإنـــســـان أروى مَـــنـــهَل
تـــصـــدمُ الحـــصن، فَـــتَـــذريه وقـــد
قـــهـــقَـــهَت من شـــائـــديه الجُـــهَّلِ
أنـــا، لـــو خُـــيِّـــرتُ، لا خـــتـــرتُ الـــبـــقـــا
في يـــدِ الآسي وعـــلـمِ الـــصَّـــيـــدلي
أُنـــقـــذُ الإنـــســـانَ مـنْ آلامـه
ولـــقـــد أدرأ بـــعـضَ الـــعـــلـل

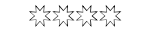

هـــذه، وهـي جـــمـــادٌ، أنِـــفَتْ
أن تـــرى الإنـــســـانَ يـــهـــوي من علِ
يـــدَّعـي الـــعـــقـلَ، ولـــكن حـــربَـهُ
أنـــبـــأتـــنـــا أنَّـه لم يـــعـــقـلِ

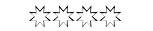

أيها العصر

أيـــهـــا الـــعـــصـــرُ الَّـــذي آيـــاتُهُ
ســـامـــتَتْ آيَ الـــكـــتـــابِ المُـــنـــزلِ
كم تَـــنَـــقـــصتَ عُـــصُـــوراً سَـــلَـــفَتْ...
ويـــلَـــنـــا من عـــصـــركَ المُـــكـــتـــمل!
قـــســـمـــاً، لـــو بُـــعـــثتْ واتّـــهـــمـتْ

بـــالَّـــذي جـــئتَ: ارتـــدت بـــالخـــجل
عـــصـــرُ «نَـــيـــرُونٍ» و«نـــيـــرونٌ» مـــعـــاً
رفـــضـــا، لـــو خُـــيِّـــرا، بـــالـــبـــدل
ضـــحـــكَ الجـــهـــلُ من الـــعـــلـــم وقـــد
فـــاخـــر الجـــدَّ بمـــاضي الـــكـــسل

قَـــدْكَ يـــا عـــصـــرُ اخـــتـــراعـــاً، إنَّهُ
مَـــكـــمَنُ الـــويلِ ولـــكن قـــد طُـــلـــي
كـــالمُـــرائي لا بـــســـاً شـــفَّـــافـــةً
لـــلـــتُّـــقى فـــوقَ فـــؤادٍ دَغِل
أو كـــصَـــمْـــصـــامٍ، بـــخـــدَّيْهِ الَّـــردى
كـــامنٌ، والـــغِـــمـــدُ زاهـي الخِـــلَلِ
تَـــعْـــمُـــرُ الـــكـــونَ، لـــكي تَـــهـــدِمَهُ،
لـــيتَ ذَيَّـــاكَ الـــبِـــنـــا لَمْ يَـــكـــمَل
وتُـــربِّي الـــطِّـــفلَ، كي تـــقـــتُـــلَهُ،
لـــيتَ أحـــشـــاءَ الـــنِّـــســـا لم تَـــحـــمل

يـــا لخـــطبِ الـــعـــلـــم في أبـــنـــائه
إنَّـهُ مـــنـــهـــمُ بـــداءٍ مُـــعـــضِلِ
قـــوَّســـوا من ظـــهـــرِه، فـــيـــمـــا جـــنَـــوا،
فـــهـــوَ قـــد شـــابَ ولـمْ يـــكـــتـــهل
نِـــعَـمٌ، عُـــقَّتْ لـهُ في جـــيـــدهِمْ،
فـــهـيَ، مِنْ كُـــفـــرانِـــهـــا، في عَـــطَل[1]

سنة ١٩١٥

****

(١) البرق، كانون الأول - كانون الثاني ١٩٢٠ - ١٩٢١ ، عدد: ١١٦١، ص:١ .
- شعر الأخطل الصغير، «١٩١٤» ، ص: ٣٢٠.

٧٢ - فراشة في وردة

رَضـــــيتْ وقـــــد ذهـبَ الجَـــــفـــــا
وكـــــذا الـــــهـــــوى لـــــينٌ وشِـــــدَّهْ
وتَـــــبَـــــسَّـــــمَتْ فـــــعـــــلـــــمتُ أنْ
رَجَـــــعَت لـــــنـــــا تـــــلكَ المَـــــوَدَّه
- ورمـى الـــــهـــــوى بـي فـــــارتـــــمـ
ـــــيتُ وكـــــانَ نَـــــهـــــداهـــــا المِـــــخَـــــدَّه
- فـــــأنـــــا بـــــصـــــدرِ حَـــــبـــــيـــــبـــــتي
كـــــفَـــــراشَـــــةٍ في قـــــلب وَرْدَه[1]

سنة ١٩١٥

****

(١) البرق، أيار ١٩٢١، عدد: ١٢٧١، ص:١، نشرت في البرق بعنوان: «أنا كفراشة» وبعنوان «لين وشدّة».
- الهوى والشباب، ص:٥٦
- شعر الأخطل الصغير، «وردة وفراشة»، ص:١٧٠.

٧٣ - الحبل أنَّ على الخشبْ

تباً لأيام جمال في الشام، وويلاً ليده كم جنته من الآثام،

ووا لهفتا على أغصان الأدب التي هصرها والقلوب التي كسرها. لقد قلنا يومئذٍ في ضحاياه شيئاً من الشعر لم نجرأ على تدوينه يومذاك، فبقي منه في الحافظة هذه البقية استخرجناها بعد جهد وكانت الحبال يومئذٍ مثقلة بالمشانق تتلو القافلة من رجالنا القافلة:

الحبل أنَّ على الخشبْ
أَوَ ما تراه قد اضطربْ
سئم الرقاب وقد شكا
زوراتها عُصَباً عُصَبْ
سالت نفوسهم عليها
كاللجين على اللهب
شموا الحبال تنشقوا
منهن أعراف الأدب
ليت الذي نصب الحبا
ل قضى وما بلغ الأرب

أنا لو قدرت لصنتها
صون العزيز المستحب
وجمعت هاتيك العظام
وقد نبشت لها الترب

ولـــــفـــــفت هـــــاتـــــيك الحـــــبـــــال

بـــــهـــــا عـــــلى نـــــسق عـــــجب

وجـــــعـــــلـــــتـــــهـــــا في هـــــيـــــكل

الأوطـــــــان تـــــــذكـــــــار الـــــــنـــــــوب

تـــــذكـــــار غـــــمـــــد مـــــهـــــنـــــد الـ

أتـــــــراك في صـــــــدر الـــــــعـــــــرب[1]

نظمت سنة ١٩١٦

****

(١) البرق، نيسان ١٩٢٢، عدد: ١٥٢٧، ص:١.

٧٤ - سلفين وجيروم[١]

من الـذَّوق أن أُتحفَ الـصَّـحبَ شـيـئـاً
عـلى ذَوقـهم، وهـو أمـرٌ يـسـيـرْ
وأحـسبُ أنِّي سـأُرضـيـهم
لأني بـذوق الـصِّـحـاب خـبـيـر
ولـسـتُ لأعـنـي «هُـمُ» دُونَ «هُـنَّ»
وإلا شـدَدنَ عـلَيَّ الـنـكـيـر
فـمـا ذوقُ «هُنَّ» سـوى ذوقِ «هُمْ»
ولـكـنَّـمـا الـفـرقُ فـرقُ (الـضـمـيـر)

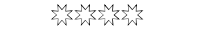

قـرأتُ «لـبـوكـاسَ» وهـو الـذي
بـذا الـفنِّ لـيس لهُ من نـظـيـر
يـريك الـفـتـاةَ بـقُـربِ الـفـتى
(كـمـا خُـلـقـا) في الـفـراش الـوثـيـر
ويُـضـحـكـنـا غـالـبـاً إنَّـمـا
له في مـرامـيه مـغـزىً خـطـيـر
أُقَـلِّـدُهُ جـهـدَ مـا أسـتـطـيعُ
فـإن فـزتُ فـزتُ بـحظٍ كـبـيـر
قـرأتُ «لـبـوكـاس» أنَّ امـرأً
أصـابَ منَ المـال حـظـاً وفـيـر

(١) كان الشاعر قد طوى هذه القصيدة في جملة ما طواه من قصائد المرحلة الأولى فأبى عليه أصدقاؤه إلا

قـــضى بـــعـــد أن أخـــرَجت عـــرسهُ
لهُ ولـــداً كـــالـــهلال المـــنـــيـــر
فـــعـــاش تـــراقـــبهُ الأوصـــيـــاء
إلى أن مـشى لـلـشَّـبـاب الـنَّـضـيـر
فـــهـــام بـــحـــســـنـــاء من عـــمـــره
ولـكـنـهـا ابـنـةُ شـيـخٍ فـقـيـر
ومـــا زال يـــنـــمـــو به حـــبـــهـــا
ويـكـبَـرُ في الـقـلب حُبُّ الـصَّـغـيـر
ولـم تـــســـتـــطـعْ أُمُّه ردعهُ
فـــراحت إلى أهـــلـه تـــســـتـــجـــيـــر
وقـــد ســـألـــتـــهمُ أن يُـــبـــعـــدوهُ
عـسى الـبـعـدُ يُـنـسـيـهِ ذاك الـعـشـيـر
ومـــا بـــرحـــوا بـــالـــفـــتى وهـــو يـــأبى
ويمـــنـــعُهُ «حـــبُّـــهـــا» أن يـــســـيـــر

وقـــالـــوا له ســـنـــةٌ ثمَّ تـــمـــضي
وتـرجعُ مُـسـتـمـتـعـاً مـسـتـنـيـر
ومـــــا كـــــان إلا غلامٌ فـــــريـــــدٌ
وكـانـوا حـوالـيه جـمـعـاً غـفـيـر
فـــأذعنَ والـــدَّمعُ في مُـــقـــلـــتَـــيهِ
وفي قـلـبه مـثلُ حـرِّ الـسَّـعـيـر
فـــغـــادر قـــريـــتَهُ تـــاركـــاً
بـهـا قـلـبَهُ والمـنى والـضـمـيـر
أقـــامَ بمـــنـــفـــاهُ عـــامـــين كـــانـــا
كـ «رضـوى» عـلـى ظـهـره أو «ثـبـيـر»

فلم يحترف غير عدِّ الليالي
ويسألها رحمة أن تطير
وإذ عاد وجرحُ الهوى
- كما كان من قبلُ - جُرحٌ خطير
يرى بالمنى وجهَ ذاكَ الحبيبِ
ويحسبُهُ بانتظار البشير
ولكنَّما البُعدُ ذنبٌ كبيرٌ
لهُ «عندهُنَّ» قصاصٌ كبير

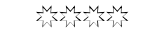

وبينا الفتى كان يشقى هنا
كَ كانت تُزَّفُ الفتاةُ هنا
فإذ عادَ لم يلقَ في سربِهِ
سوى القبر يدفنُ فيه المُنى
قضى زمناً ذاهلاً لا يحيرُ
إلى أن وهى صبرُهُ وانتهى
وقد كان يعرفُ بيت الخؤون
فينسلُّ تحتَ جناح الخفا
ويأملُ منها ولو نظرةً
تشفُّ لهُ عن جميل الرِّضا
ولكنَّهُ لم ينل مأرباً
لأنَّ فؤاد الفتاة سلا
فحاول «جيرومُ» قبلَ المما
تِ تذكيرها بعُهُود الصِّبا
وإذ هيَ معَ زوجها ليلةً
يزُوران جاراً بُعيدَ العشا

أتى البيتَ وانسلَّ خلفَ السّرير
وحاولَ أن يختفي فاختفى
وما طالَ أن رجعا للمَبيتِ
وعانق كلٌّ لذيذَ الكرى
وحين أحسَّ الفتى وهو مُصغٍ
بزوج حبيبته قد غفا
مشى نحوها لا يُحسُّ الثرى
بمشيته وعليها انحنى
وألقى على صدرها كفَّهُ
وقد خفقت كاللِّوا في الهوا
وقال أتغفين يا مُهجتي
عسى تحلُمينَ بأني هنا

فجُنَّت من الذُّعُر ثم ارعوتْ
وقد ظنَّتِ الأمرَ إحدى الرُّؤى
ولكنَّها سمعَت صوتَهُ
يقولُ اسكتي أنا ذاكَ الفتى
- أنا هو «جيرومُ» ذاكَ التَّعيسُ
أنا مَنْ أحبَّكِ مُنذُ انتشا
- فقالت لهُ اخرُجْ بحقِّ السَّما
فذاكَ الهوى عهدُهُ قد مضى
ألستَ ترى أنني زوجةٌ
عليَّ لزوجي حقوقُ الوفا
فإنْ هو فاجأنا هكذا
فأيسرُ خطبيَ فقدُ الهنا

هُـنـا سُـحـقَتْ نـفسُ هـذا الـتَّـعـيسِ
وقـد قـطـعتْ فـيه خـيطَ الـرَّجـا
فـلم يُـجـدِ من حـزنهِ مـا بـدا
ولم يـجـد من دمـعـه مـا جـرى
وحـين أحسَّ الـرَّدى مُـقـبلاً
وشـيـكـاً عـلى قـدمـيـهـا جـثـا
وقـال لـهـا طِـلـبـةٌ لا أرجِّي
سـواهـا فـرُحـمـاك قـبل الـفـنـا
أنـامُ ولـو لحـظـةً في الـسـريـر
بـقُـربك لا أبـتـغي مُـبـتـغى
بـلا لمـسـةٍ وبلا هـزَّةٍ
أظلُّ كـأني صـفـا أو عـصـا
ومـا كـنتُ لـولا صـقـيعٌ مُـمـيتٌ
بـقـلـبي لأطـلـبَ هـذا الـدِّفـا
- وبـعـدئـذٍ أنـثـني راجـعـاً
ولـسـتُ أقـولُ إلى المُـلـتـقى

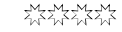

وكـان كلامُ الـفـتى مـوجـعـاً
تـذوب بـه نـفـسُـهُ من أسى
فـراحت تـفـكِّـرُ في شـرطهِ
وقـد أطـرقت لحـظـةً من حـيـا
فـكـان بـذا فُـرصـةٌ لـلـفـتى
فـهبَّ إلى قُـربـهـا وارتـمى
وإذ هـو في قُـربـهـا نـائمٌ
تَـمـثَّل في الـفـكـر ذاك الـهـوى

وماذا تجرَّع من ظُلمها
وأيُّ سنًى شعَّ ثم انطفا

فصمم أن يستريح فلا
يُكابد من بَعدُ هذا العنا
فشدَّ إلى صدره كفَّها
وما هو أن شدَّ حتى ارتخى
وأطلقَ من صدره زفرةً
حوت كلّ ما عندهُ من قُوى
ففارقت الرُّوح جُثمانها
فكان الفراقُ بذاك اللِّقا

وأدهش «سلفين» هذا الجمود
وما علمت أيَّ خطبٍ دهى
فظنته في هجعةٍ عانقتْ
بها روحه روحها فانتشى
فنادته قُمْ وانصرف مُسرعاً
وإلا غدوتُ حديثَ الورى
ومذ لَمَست كفَّه أجفلت
وقد علمتْ بحلول الرَّدى

هنا مُشكلٌ يا له مُشكلاً
يضيقُ به ذَرعهُ ذو الحجى
فقالت أرى رأيَ زَوجي به
وقامت فأحكت له ما جرى

ولـــكـــنَّـــهـــا لـم تُـــسَمِّ المـــكـــانَ
ولا اسمَ الـــفـــتـــاة ولا اسم الـــفـــتى
تـــقصُّ عـــلـــيه الحـــديثَ كـــأمـــرٍ
جـــرى مـــنـــذُ حـــينٍ لإحـــدى الـنِّـســا
فـــقـــالَ لـــهـــا زوجُـــهـــا خـــيـــرُ مـــا
أرى فـــعـــلـهُ نـــقلُ هـــذا الـــفـــتى
وإلـــقـــاؤُهُ قـــربَ بـــيتِ أبـــيـه
ســريـعـاً قُـبـيلَ هُـجُـومِ الـضـحى
ومـــا الـــذنبُ ذنبُ الـــتي زارهـــا
ولـــكـــنـــمـــا الـــذَّنبُ ذنبُ الـــقـــضـــا

عـــلـــيـــنـــا إذن فـــعلُ مـــا قُـــلـــتَهُ
وقـــد جـــذبتْ يـــدهُ فـــاقـــتـــفى
عـــلـــيك به.. وأشـــارت إلى الـــسَّـــريـ
ـــر، فـــإنَّ الـــتَّـــعـــيسَ هُـــنـــا
أجلْ ريع ممَّـــا رأى زوجُـــهـــا
ولـــكـــنَّهُ لم يـــغبْ عن هُـــدى
وكـــان بـــزوجـــته مُـــؤمـــنـــاً
ويـــعـــرفُـــهـــا من ذوات الـــتُّـــقى
فـــألـــقى الـــغلامَ عـــلى ظـــهـــره
وســـــارَ بـه تحتَ ذيلِ الـــــدُّجى
ومـــا زال حـــتى أتى بـــيـــتهُ
فـــألـــقـــاهُ في قُـــربه وانـــثـــنى

ولمّـــا بـــدا في الـــصَّـــبـــاح الـــفـــتى
صـــريـــعـــاً يُـــعـــانقُ وجهَ الـــثَّـــرى

تـــألَّـــبتِ الـــنَّـــاسُ من حـــوله
وقـــد ملأوا بـــالـــعـــويل الـــفَـــضـــا
وقـــــد فَـــتَكَ الـــيـــــأسُ في أُمِّهِ
فـــكـــانت تُـــصـــدِّعُ قـــلبَ الـــصَّـــفـــا
وقـــيـــــلتْ أقـــــاويلُ في مـــــوتِهِ
فـــمـــنـــهـــا صـــوابٌ ومـــنـــهـــا خَـــطَـــا
وبـــيـــنـــا الجـــنـــازةُ وسطَ الـــطَّـــريق
يـــحُفُّ بـــهـــا أهلُ تـــلكَ الـــقُـــرى
رأى زوجُ ســـلـــفـــينَ عـــينَ الـــصَّـــوا
بِ أن لا يُـــثـــيـــرا ظُـــنُـــونَ الملا
فـــقـــالَ لـــهـــا: إنَّ هـــذا الـــفـــتى
الـــذي صـــادَفَـــتْهُ المـــنـــايـــا هـــنـــا
يـــســـيـــرونَ فـــيه إلى قـــبـــرهِ
لـــكي يُـــودعـــوهُ بـــدار الـــبـــقـــا
فـــهـــيَّـــا بـــنـــا أو نُـــثـــيـــرَ الـــظُّـــنُـــونَ
فـــنـــبـــكي عـــلى المـــيتِ في مَنْ بـــكى

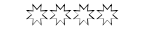

فـــكـــانت كـــمن لمـــعَتْ نجـــمـــةٌ
لـــهـــا فـــأنـــارت ظلامَ الـــضَّـــمـــيـــرْ
وقـــــد ذكـــــرت حُبَّ ذاكَ الـــــفـــــتى
وعـــهـــدهُـــمـــا وهـــو طـــفلٌ صـــغـــيـــر
فـــعـــادَ إلى قـــلـــبـــهـــا حُـــبُّهُ
ولـــكن أتى في الـــزَّمـــان الأخـــيـــر

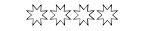

أتت لـــلـــكـــنـــيـــســـة صـــرعى الأسى
وفي قـــلـــبـــهـــا غـــلـــيـــانٌ مُـــبـــيـــر

ومُـــذْ أبـــصـــرتهُ مُـــســـجِّى عـــلى
فـــراش الـــرّدى مـــثل غُـــصنٍ نـــضـــيـــر
مَـــشَتْ نـــحـــوهُ بـــين تـــلك الجُـــمُـــوعِ
بـــقـــلبٍ كـــســـيـــرٍ وجـــفن مَـــطـــيـــر
وقـــد ســـقـــطت فـــوقهُ لا تـــعي
وقـــد أطـــلـــقت زفـــرةً كـــالـــسَّـــعـــيـــر
لـــقـــد قـــتلَ الحـــزنُ ذاكَ الـــفـــتى
وراعى بـــقـــتلِ الـــفـــتـــاة الـــنَّـــظـــيـــر

أتـى الآن «جـــــيـــــــرومُ» فـي دوره
لـيُـخـلي «لـسـلـفـين» نـصف الـسَّـريـر
فـــواروهُـــمـــا وهُـــمـــا هـــكـــذا
وقـــد شُـــيِّـــعـــا بـــالأسى والـــزَّفـــيـــر
هـــمـــا افـــتـــرقـــا في الحـــيـــاة ولـــكن
قـد اجـتـمـعـا بـعـدهـا في الحـفـيـر
وقـــد فـــعل المـــوتُ مـــا لـــيس يـــقـــوى
عـــلى فـــعـــلـه الحُبُّ، وهـــو الـــقـــديـــر[1]
سنة ١٩١٦

✱✱✱✱

(١) البرق، كانون الثاني ١٩٢٤، عدد: ١٩٩٤ ، ص:١.
- الهوى والشباب، ص:٩٢.

٧٥ - قطيع من الأيام[١]
نحن في الحرب

قطيع من الأيام أدهم نائخ
بكلكله في خاطري وعظامي
تساوى لعيني ليله ونهاره
كأنك قد عصّبتها بظلام
فريداً وأحياناً أرى ظل بائس
ترامت به للمبكيات مرامي
وآخر مقروح الحشايا عليها
مدامعه فوق الخدود هوامي
فأُرجع طرفي عنه والقلب مثخن
وأرفعه للمعتلي المتسامي
وفي نظري لو ينظر الله دمعة
طبعت عليها إذ جننت ملامي
لك الخلق فافعل ما تشاء! فمن أنا
لأرفع بالعتب القبيح كلامي
وكانت نجوم الأفق آنس ما أرى
فأفردتها دون الورى بغرامي

(١) وكان ذلك اليوم من أيلول ١٩١٧ ضاغطا على الصدر تمر به أمامي قوافل متقطعة من الشموع البشرية الصفراء في أطمار هي العناء المقرح بعينه.
وكان ذلك قبيل المغيب فشهدت مهبط الشمس في أكفان رقيقة من الغيوم المتجهمة كأنها صواريخ من الدخان طبعتها على خد السماء كف جبار، ثم أخذ الليل يزحف على العالم يحمل الوحشة المتململة اليائسة فعدت الى مقري الليلي فرحت أبث النجوم، نجوم السماء - وقد كانت سميري الأوحد - بعض ما طبعته في نفسي مشاهد الغروب.

ثلاثــون يــومــاً لم يــحل دون وصــلــنــا
رقــــيب كلانــــا في هــــواه عــــصــــامي
أنــام عــلى صــدر الــنــهــار كــأنمــا الــظْ
ظلام نــــهــــاري والــــنــــهــــار ظلامي
وإن جنّ بي لــيــلي تــيــقــظت لــلــدجى
وأســلــمت لــلــســهــد الــطــويل زمــامي
وفي كــبــد الــزرقــا لــلــزهــر مــشـ
ـهـد خــلــعت عــلــيه نــاظــري وهــيــامي
تــعــرفت مــنــهــا كــوكــبــاً بــعــد كــوكب
ومــــاذا له من مــــهــــيَع ونــــظــــام
فــبتُّ ولي في بــعــضــهــا بــعض خــبــرة
وتــــعْــــوِزني لــــلآخــــرين أســــامي[1]

ايلول ١٩١٧

****

(١) البرق، تشرين الثاني ١٩١٨، عدد: ١٤-٤٠٧، ص:٥٤.
- البرق، ١٩٣٠، عدد: ٣٣٨٧، ص:٨.

٧٦ - النميمة

أسماءُ كان دأبها النميمه
ويا لها من خلّة ذميمه
إن حدَّثتْ فعن غرام هندِ
وما جرى لخالد مع دعدِ
وقد تكون هند ذات بعل
فينشأ الشقاق بين الأهلِ
وقد تكون دعد ترجو خاطبا
فينثني عن الزواج راغبا
لكنما أسماء لم تبالِ
بما تجره من الوبالِ
فكم نفوس قتلت بسمِّها
هذا الذي قد نفثت من فمها
وكم بيوت خلتها نعيماً
فصيّرت نعيمها جحيما
فانتقم الله بأن أصابها
بعلة قد جرعتها صابها
فلم تفارق بيتها منذ أمدْ
ولم يكن يزورها فيه أحدْ
فأدركت ان جفاء الناسِ
كان لما دست من الوساوسِ
فندمت ورغبت ان تعترفْ
لكاهن بالعلم والتقوى عرفْ

فـــجـــاءهـــا فـــذكـــرت خـــطـــاهـــا
وحـــســـد الـــنـــاس الـــذي أعـــمـــاهـــا
فـــاخـــتـــلـــقت عن بـــعـــضـــهم أشـــيـــاء
فـــبـــدلت هـــنـــاءهم شـــقـــاء
فـــعـــنـــدهـــا قـــال لـــهـــا (حـــضـــرته)
ولم تـــفـــارق يـــده لحـــيـــتـه
لا يُـــغـــفـــر الـــذنب بلا تـــكـــفـــيـــرِ
حـــتى ولـــو بـــالـــغت بـــالـــنـــذورِ
لـــكن غـــداً تـــوجـــهي أصـــيلا
لمـــنـــزلي فـــقـــد نـــرى ســـبـــيلا
وأحـــضـــري لي يـــا بـــنـــتي دجـــاجـــة
مـــذبـــوحـــة فـــبي إلـــيـــهـــا حـــاجـــة
وانـــصـــرف الـــكـــاهن أمـــا الـــســـيـــده
فـــصـــرفت لـــيـــلـــتـــهـــا مـــســـهـــده
ولم تـــصـــدق أن أتى المـــيـــعـــاد
فـــهـــرولت وفي الحـــشـــا إيـــقـــاد
حـــامـــلـــة دجـــاجـــة مـــذبـــوحه
تحـــســـبـــهـــا عن نـــفـــســـهـــا ذبـــيـــحه
تـــنـــتـــفـــهـــا بـــلـــهـــفـــة المـــشـــوقِ
وتـــطـــرح الـــريش عـــلى الـــطـــريقِ
حـــتى انـــتـــهى الـــســـيـــر إلى الـــقس بـــهـــا
فـــشـــعـــرت بـــخـــفـــقـــة في قـــلـــبـــهـــا
ولم يـــكـــد يـــنـــظـــر لـــلـــدجـــاجه
حـــتى رأت وخـــشـــيت هـــيـــاجه

قـــال لـــهـــا أين الـــذي كـــان عـــلى
هـــيـــكـــلـــهـــا من حـــلل ومن حـــلى
أعـــنـي به الـــريش فـــقـــالت ســـيـــدي
نـــتـــفـــته عـــلى الـــطـــريق بـــيـــدي
فـــقـــال: عـــودي واجـــمـــعي لـــلـــحـــال
جـــمـــيع ذا الـــريش بلا إمـــهـــال
مـــولاي! مـــا تـــطـــلـــبه مـــحـــال
فـــريـــشـــهـــا مع الـــهـــوا جـــوال
قـــال إذن كـــيف تـــكـــفّـــريـــنـــا
عن الـــنـــمـــيـــمـــة الـــتي تـــأتـــيـــنـــا
وهي كـــهـــذا الـــريش قـــد طـــارت ولا
يمـــكـــنك اســـتـــرجـــاعـــهـــا ولا... ولا[1]

سنة ١٩١٧

****

(١) البرق، حزيران ١٩٢١، عدد: ١٢٨٧، ص:٣.

٧٧ - دمعة على صديق

(طانيوس عبود)

يـا لـيل حِـدْ حِـدْ عن طـريق الـصـبـاحْ
كم طيّ اكـــفـــانك من ذي جـــراحْ
كم طي أكـــفـــانك من بـــائس
لـو كـفـنـوه بـالـردى لاسـتـراح
يـا ظـلـمـة في خـاطـري مـثـلـهـا
لـله مـا أكـثف هـذا الجـنـاح(*)
يـا لـيل قـد وشـحـتـني بـالأسى
مـا عـشت لا أطـرح هـذا الـوشـاح(*)
أحـالـنـي الـهـمّ إلى لـيـلـة
مـاطـرة تـعـصف فـيـهـا الـريـاح(*)
ألا تـراني عـابـسـاً كـالـدجى
وأدمـعـي في الخـد ذات انـسـفـاح
تـغـسل جـرحي أدمع مـثـلـه
حـمـر كـمن عـالج راحـاً بـراح
فـلـتـفـعل الأوجـاع بي مـا تـشـا
قـد بـعـتـهـا نـفـسيَ بـيع الـسـمـاح

☆☆☆☆☆

كـأن هـذا الـلـيل قـد مـلّـنـي
أو أنـني رقـقت قـلـب الـصـبـاح(*)

(*) شعر الأخطل الصغير، «يا ظلمة في خاطري»، ص:٢٠.

فـــمـــذ رآني ســـقـــطت دمـــعـــة
من جـــفـــنه عـــلى خـــدود الأقـــاح
رأى فـــتى يـــحـــنـــو عـــلى تـــربـــة
طـريـــة فـيـــهـــا الحـــبـيب اســـتـــراح
فـــخـــالـــنـي مـــيـــتـــاً عـــلى مـــيّت
أبـــاحـــنـي من وده مـــا أبـــاح
أخـــطـــأت يـــا صـــبح فـــلـــمَّـــا أمُتْ
من أين لـــلـــمـــيْت جـــفـــوني الـــقـــراح
وزفـــــرة في إثـــــرهـــــا زفـــــرة
قـــد عـــرَّفـــتـــني كـــيف وخـــز الـــرمـــاح
وا لـــهـــفـــتـــا لـــلـــورد يـــذوي عـــلى
أغـــصـــانه من بـــعـــد مـــا كـــان فـــاح
وا لـــهـــفـــتـــا لـــلـــطـــير لم يـــئـــتـــزر
بـــريـــشـــة حـــتى أصـــيب الجـــنـــاح
وا لـــهـــفـــتـــا وا لـــهـــفـــتـــا لـــلـــصـــبـــا
يـــنـــهج لـــلـــعـــلـــيـــا ســـبـــيل الـــفلاح

يـــا صـــاحب الـــقـــبـــر الـــذي تـــربه
طِـيْبٌ لـــقـــد عـــاجـــلْـــتَـــنـــا بـــالـــرواح
ســـرت وقـــد خـــلـــفـــتـــنـــا لـــلـــبـــكـــا
وهـــو كـــمـــا تـــعـــلم «شـــرّ الـــسلاح»
ســـرت فـــمن بـــعـــدك نـــلـــقى به
مـــجـــمـــوعـــة تـــلك الخـــصـــال الملاح

مـــــــــــروءة فـي أدب فـي نـــــــــــهـى

في عـــــزة فـي رقـــــة فـي ســـــمـــــاح

ثق يـــــا أخـي أنـي ســـــأبـــــقـى عـــــلـى

مـــا شـــاء لـي الحـــزن وشـــاء الـــنـــواح

في حـــالـــة مـــا مـــثـــلـــهـــا حـــالـــة

كـــالـــطـــائـــر المـــذبـــوح نـــصف انـــذبـــاح[1]

٢١ حزيران ١٩١٧

(١) البرق، تشرين الثاني ١٩٢٢، عدد: ١٧١٠، ص:٣.

٧٨ - مِن مآسي الحَرْب[١]

المـهـا أهـدتْ إلـيـهـا المـقـلـتـيْنْ
والـظّـبـا أهـدَت إلـيـهـا الـعُـنُـقـا
فـهُـمـا في الحُـسنِ أسـنى حِـلـيَـتَـيْنْ
لـلـعـذارى، جلَّ مَنْ قـد خَـلـقـا

☆☆☆☆☆

ودرى الـرَّوضُ بـتـيْنِ المـنـحـتـيْنْ
وقـديمـاً يـعـشقُ الـرّوضُ الحـسـانْ
فـكـسـا بـالـورد مـنـهـا الـوجـنـتـين
وكـسـا مَـبـسـمَـهـا بـالأقـحـوان
ورمى في صـدرهـا رُمَّـانَـتـين
مَن رأى الـرُمَّـان فـوق الخـيـزُرَان
فـهُـمـا في صـدرهـا كـالمـوجَـتـين
أيُّ صَبٍّ مـا تـمـنّى الـغَـرقـا؟
أو هـمـا - ولـيَـسـلـمـا - كـالـتَّـوأمـين
كُـلَّـمـا هـمَّت بـأمـرٍ قـلـقـا
ورآهـا الـلـيل فـاخـتـار المـقـام
- ولـقـد طـابَ لهُ - في شـعـرهـا
وصـبـا الـفـجـرُ فـأضـحى حـين هـامْ
بـهـواهـا دُرَّةً في ثَـغـرهـا

(١) وهذه مأساة أخرى وقعت سنة ١٩١٧، وكانت الحرب قد فتكت بنصف سكان لبنان تقريباً، بطلها متصرف جبل لبنان وضحيتها عذراء طاحت المجاعة بوالديها تاركين لها أخاً صغيراً.

فـــإذا «ميٌّ» كـــمـــا شـــاء الـــغـــرام
مـــا نجـــا ذو صـــبـــوةٍ من أســـرهـــا
غـــيـــر أنَّ الـــطُّـــهـــرَ لـــلـــحـــســـنـــاء زينْ
أنـــزلـــتهُ قـــلـــبـــهـــا فـــاســـتـــوثـــقـــا
فـــإذا خـــافـــا افـــتـــراق الـــصَّـــاحـــبـــينْ
ذكـــرا عـــهـــدهُـــمـــا فـــاعـــتـــنـــقـــا

هـــكـــذا فـــلـــتـــكُنِ الـــغـــيـــدُ الحـــســـانْ
عـــــــفَّـــــــةً فـي رقَّـــــــةٍ فـي أدب
ذلكَ الـــكـــنـــزُ الـــذي لا يُـــســـتـــهـــان
أيـنَ من ذلك كـــــنـــــزُ الـــــذَّهب
وحُـــلـيً كـــانت عـــلى صـــدر الـــزَّمـــان
فـــاســـتـــبـــاحـــتـــهـــا نـــســـاءُ الـــعَـــرب
فـــرَوَت عـــنـــهـــا لـــيـــالي الـــرَّقـــمَـــتَـــين
خـــيـــرَ مـــا يُـــروى، وغُـــزلانُ الـــنَّـــقـــا
فـــشـــهـــدنـــا من لـــقـــاء الـــعـــاشـــقَـــينْ
كَلَّ مـــا يـــجـــمُلُ في عـــين الـــتُّـــقى

هل رأيتَ الـــورد في الـــوعـــر نَـــمـــا
فـــبـــدا لـــلـــعـــين شـــيـــئـــاً عـــجـــبـــا
وردةٌ صـــارت بـــهـــا الأرض ســـمـــا
عـــنـــدمـــا لاحت عـــلـــيـــهـــا كـــوكـــبـــا
مَـــنـــعَت مَـــبـــســـمَـــهـــا الـــنَّـــاسَ ومـــا
مـــنـــعـــتهُ عن نـــســـيـــمـــاتِ الـــصـــبـــا
هـــــكـــــذا «ميٌّ» نَـــــمتْ في أبـــــوينْ
خـــلَّـــفـــاهـــا وأخـــاهـــا لـــلـــشـــقـــا

واســـتـــراحـــا بـــعـــد ذا في حُـــفـــرتَـــيْ
وأبـــــاحـــــا جـــــفـنَ «مَيَّ» الأرقـــــا

ربِّ إنَّ الـــكـــون مـــهـــمـــا عـــظُـــمـــا
هـــوَ في عـــيـــنك لا يُـــحـــسب شيْ
قُـــدرةٌ ذلّتْ لـــديـــهـــا الـــعُـــظـــمـــا
كُـــلُّـــهم فـــانٍ وسَـــبـــحـــانكَ حي
ألأمـــــرٍ ضلَّ عـــــنـــهُ الحُـــكـــمـــا
شـــئتَ يـــا ربّي أن تُـــوجـــدَ «مي»
وأخـــاهـــا، وهـــو دونُ الـــسَّـــنَـــتـــين
لم يَـكَـدْ يُـحـسنُ بـعـدُ الـنّـطُـقـا
وأثَـــرْتَ الحـــربَ ملءَ الخـــافـــقـــين
فـغـدا الـكـونُ بـهـا مُـنـصـعـقـا

ربِّ، لـــو شـــئت لمـــا ســـالت دمـــا
أمـــرُكَ الأمـــرُ فَـــمَنْ ذا يـــنـــكـــرُ
ولمـــا يـــتِّمَ مَنْ قـــد يُـــتِّـــمـــا
ولمـــا اســـتَلَّ الـــسِّلاحَ الـــعـــســـكـــر
ربِّ. إنْ نـــحن بـــلـــغـــنـــا الـــهـــرَمـــا
أوْ يـــكُن حـــان الَّـــذي يُـــنـــتـــظـــر
مـــر ولا كُـــفـــران ذَينِ الـــكـــوكَـــبَـــين
يـــخـــرقـــا الـــنَّـــامـــوسَ أو يـــحـــتـــرقـــا
واســـتـــرح مـــنَّـــا فـــنـــغـــدو بـــعـــدَ عـــين
أثـــراً لا بُـــدّ أن يَـــنـــمـــحـــقـــا
واخـــلُق الإنـــســـان خـــلـــقـــاً راقـــيـــا
واقـــتلِ الـــبُـــغضَ به والـــكـــبـــريـــاءْ

واجـــعل الحب إلـــهـــاً ثـــانـــيـــا
واســـجن المـــال ولا تُـــبق الـــرِّيـــاء
ولـــيـــكن كل امـــتـــيـــازٍ لاغـــيـــا
يـــخـــرجِ الـــنَّـــاسُ عـــلى حـــدٍّ ســـواء
ربِّ هل من نـــصـــفـــةٍ في وَلـــديْ
خـــرجـــا من مـــصـــدرَين افـــتـــرقـــا
فـــإذا المُـــوسِـــرُ يُـــكـــسى حُـــلَّـــتـــين
بـــيـــنـــمـــا المُـــعـــسِـــرُ يُـــكـــسى الخـــرقـــا

مَنْ تُـــرى يـــشـــرحُ لي ذنب الـــفـــقـــيـــر
أو تُـــرى يُـــظـــهـــرُ لي فـــضلَ الـــغـــني
يـــرثـــانِ الـــبُـــؤسَ، والـــعـــيش الـــنَّـــضـــيـــرْ
ويُـــقـــيـــمـــان كـــذا في الـــكـــفن
أفـــهـــذي حِـــكـــمَـــةُ الـــلـــه الـــقـــديـــرْ؟
لا. - وجلَّ الـــلـــهُ عن ذا الـــغَـــبَن
إنّـــمـــا هـــذان مـــثلُ الـــبـــذرتـــيْنْ
نُـــثـــرا في الأرض حـــتى انـــبـــثـــقـــا
فـــكـــسا المـــقـــدُورُ تـــيْنِ الـــنَّـــبـــتَـــتَـــين
هـــذه قُـــبـــحـــاً وهـــذي رونـــقـــا

ضـــاقَ «جُـــوبـــيـــتـــيـــرُ» صـــدراً فـــانـــبـــرى
يـــتـــمـــشى في فـــراديس الجـــنـــان
فـــبـــدا أهـــيبَ شيءٍ مـــنـــظـــرا
وعـــلـــيـــه حُـــلـــةٌ مـنْ أرجُـــوان
ورمـى لـلأرض مـــنـــه نـــظـــرا
فـــرأى الـــهـــولَ وأنـــواعَ الـــهـــوان

مـلـعـبـاً لـلـشَّـرِّ مـا مِنْ صـالحَـيْن
فـوقَـهـا أو أخـوين اتـفـقـا
فـرمى غـيـظـاً عـلـيـهـا جـمـرتـين
فَـتَـلـظَّت وتـلـظى حَـنَـقـا

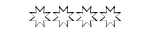

إنـهـا الحـربُ... ولمْ تـتـرُك عـلى
سـطـحـهـا إلا جُـسـومـاً بـالـيهْ
ونُـفـوسـاً حـوَّمـاً حـولَ الـبـلى
تـتـمـشَّى في صُـدورٍ خـاويه
تـشـتـكي الجـوعَ وتـقـري الـعِـللا
عـجـبـاً مـنـهـا جـيـاعـاً قـاريه
وشـكـا لـبـنـانُ مـنـهـا عِـلّـتـين
حـاكـمـاً جِـلـفـاً وعـيـشـاً ضـيِّـقـا
وأمـوراً لـو أصـابتْ جَـبَـلـين
رسـخـا فـوق الـثَّـرى لانـسـحـقـا

ضـربَ الجُـوعُ بـصَـمـصـامٍ رهـيفْ
فـإذا قـتـلاهُ ملء الـسُّـبُلِ
مـوقفٌ أمـسى به نـيلُ الـرَّغـيف
أمـلاً؛ أكـذبْ بـه مـن أمَـلِ
ويحَ «مَيٍّ» وهيَ مِنْ جـنسٍ ضـعـيف
مـا لـهـا غـيـرُ بـقـايـا المـنـزل
وثـيـابٍ لا تُـسـاوي (ورْقَـتَـيْنْ)[1]
رَحمَ الـرّحـمـان ذاكَ الـورقـا

(١) كانت الليرة التركية تساوي يومذاك عشرة قروش.

لـيـتَـهـا كـانت تُـسـاوي ذَهَـبـين
عـلَّـهـا كـانت تـسُـدُّ الـرَّمـقـا

«ميُّ» مـا الـسِّـحـرُ سـوى مـا رَسـمت
ريـشـةُ المـبـدع في هـذي الـعُـيُـونْ
لَمْ تُـصـادف مـهـجـةً إلا رَمَت
وأصـابت، هـكـذا الـفـتكُ يـكـون
فـهي لـو رَقَّت لِـمَنْ قـد تَـيَّـمَتْ
وأبـاحت ذلك الـثَّـغـرَ المـصُـون
لجـرى الـتِّـبـرُ إلـيـهـا والـلُّـجـين
وكلا الإثـنـين يـبـغي الـسَّـبـقـا
ومـشت مِنْ زهـوهـا في مـوكـبـين
وحـنى الـرَّغـدُ لـديـهـا الـعُـنُـقـا

هي بـنتُ الـفـقـر يـا بـنتَ الـغـنى
تُـؤثـرُ المـوتَ عـلى الـعِـرض الـسّـخـيفْ
فـارتـمت «ميٌّ» عـلـى مـهـد الـضَّـنى
وتـرامـيتِ عـلـى مـهـدِ «مُـنـيف»
فـهي لـو تـشـري بـعِـرضٍ ثـمـنـا
عَـذرَ الـعـاقلُ فـالجـوعُ مُـخـيف
إنَّ مَنْ قـابلَ بـين الـغـادتـين
كـاد من إيمـانه أن يمـرُقـا
يـا سـمـا قـولي لـنـا الإنـصـافُ أين
أتُـراهُ ضلَّ عـنَّـا الـطُّـرقـا

أيَّـــهـــا الـــفـــقـــرُ وإنْ كُـــنت كـــمـــا
زَعـمَ الـــــزَّاعـمُ قـــــوَّادَ الـــــزِّنـى
لكَ - ولـــتـــهـــنـــأ - شـــقـــيقٌ فـــوق مـــا
تـــــتـــــمـــــنى، إنَّـهُ حُبُّ الـــــغـــــنى
كم أبٍ أمَّلَ مـــــنـهُ مـــــغـــــنـــــمـــــا
ورأى في بـــــنـــــتـه نـــــيلَ المُـــــنى
فـرمى بـالـعـرض عـرض الحـائـطـين
ومـــشى بـــابـــنـــتـه لـــلـــمُـــلـــتـــقى
فـــهـــو من ذاك وذا صـــفـــرُ الـــيـــدين
شـــــرفٌ مـــــات وعـــــرضٌ مُـــــزِقـــــا

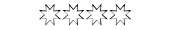

قُـــــوتـلَ المـــــالُ فـــــكم من رجُـلِ
مـــثلِ هـــذا قـــاد يـــومـــاً واســـتـــقـــادْ
ردَّ عـــــنـهُ المـــــالُ ســـــيفَ الـــــعـــــذَل
ووقـــــاهُ ألـــــسُنَ الـــــلـــــوَّم الحـــــداد
ولـــــكمْ من غـــــادةٍ لا تـــــأتـــــلي
تـطـرحُ الجـسمَ عـلى مـهـد الـفـسـاد
هي من ثـــروتـــهـــا في فَـــيـــلَـــقـــين
يـنـصُـرُ الـفـيـلقُ مـنـهـا الـفـيـلـقـا
فـــإذا جـــرَّدتَ عـــنـــهـــا كلّ عـــين
هـــدفـــاً أمـــست لمن قـــد رشـــقـــا

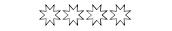

في سُـكُـونِ الـلَّـيل والـنَّـاس نـيـام
وفـؤادُ الـكـون مـحـمـومٌ كـئـيبْ
وعـــلى الـــنَّـــجمِ من الـــغـــيم لـــثـــام
وهـلالُ الأفق في حـــضن المـــغـــيب

رنَّ في أذن الـــــدُّجى صـــــوتُ غُلام
وأجـــابـــتهُ فـــتـــاةٌ بـــالـــنَّـــحـــيب
فـــأســـال الأُفقُ مـــنهُ دمـــعـــتـــين
أتُـــــرى ذلك أبـــــكى الأفُـــــقـــــا؟
ورنـــا الـــبـــدرُ لِـــذيْن الـــبـــائـــسـين
فـــتـــلـــظَّى لـــوعـــةً فـــانـــفـــلـــقـــا

- إيه يـــا لـــيلُ فـــهـــذا بـــيتُ «مي»
طُـــرق الـــبـــابُ... فـــمن زَوْرُ الـــدُّجى؟
- افتحي . قالت: مَنِ الآتي إليْ؟
- أنا - مَنْ أنت؟
- أجابتها : «رَجا»
- لـم يمُـــــــرَّ اسمُ «رَجـــــــا» في أُذُني
أتُـــرى تحـــسبُ بـــيـــتي مُـــلـــتـــجـــا

ردَّدت في الـنَّـفس تَـيْنِ الـكـلـمـتـيْ
ومـــشَت تـــنـــظُـــرُ مَنْ قـــد طـــرقـــا
فـــإذا شـمـطـاءُ تـطـلـي الـوَجـنـتَـيْ
ويـــنـثُّ الـطـيبُ عـنـهـا الـعَـبَـقـا

شُـــدِهت لمَّـــا تلاقى الـــنَّـــظـــرانْ
واســـتـــبـــانَتْ ذلك الحُـــسنَ الـــفـــريـــدْ
وهْي لمَّـــا ســـمـــعَتْ ذا الـــكـــروان
أيـــقَـــنت أنْ ســـوفَ تـــلـــقى مَنْ تُـــريـــد
فـــعلا الـــوجهَ لـــثـــامٌ مِنْ حـــنـــان
وعلا الـــقـــلبَ غـــشـــاءٌ مِنْ حـــديـــد

وأدارت حـــيـــةً في حَـــنَـــكَـــيْ
تـــنـــفُثُ الـــسُّمَّ وتـــطـــلـــيه رُقى
أي «رجـــا» رِقِّي لـــذَين الـــطّـــائـــرين
قـــد رأيـــنـــاك نـــشـــرتِ الـــدُّبُـــقـــا

☆☆☆☆☆

- يـــا ابـــنـــتي لا تجـــزعي، ثُمَّ رَنَت
وانـــحـــنت كـــالأمُ فـــوق الـــولـــدِ
قُـــوتـــلَتْ هـــذي الـــلّـــيـــالي كم جَـــنَت
مـــا عـــفَتْ - لا عُـــوفـــيَتْ - عن أحـــد
ولـــــدي أنت ولمَّـــــا طـــعـــــنتْ
ولـــدي قـــد طَـــعَـــنتْ في كـــبـــدي
مـــا حـــرامٌ أن أرى هـــذا الـــغُـــصَـــيْ
ذاويـــاً من بَـــعـــدِ مـــا قـــد أورقـــا
وهـــو لـــو شـــاء لأجـــرى نـــبـــعَـــتَـــين
مِنْ يـــنـــابـــيع الأمـــاني واســـتـــقى

☆☆☆☆☆

أنـــا لـــو شـــئتُ ؟ لمـــاذا لا أشـــا
مَنْ يُـطـيقُ الجـوعَ مَنْ يـهـوى الـسَّـقـامْ
فـــأخي قـــد نـــامَ من دون عـــشـــا
وأنـــا مـــا ذقتُ في يـــومي طـــعـــام
مَنْ لـــهـــذا الـــقـــلبِ أن يـــنـــتَـــعـــشـــا؟
- خـــفِّـــفي عـــنكِ فـــمـــا مـــات الـــكـــرام
ونـــدى الحـــاكم يَـــزري المـــزنـــتـــينْ
فـــمـــتى تـــســـتـــمـــطـــريه أغـــدقـــا
- أتُرى يرحَمُنا؟
- ســـــــــوف تـــــــــرينْ
فـــاســـتـــريـــحي.. وغـــداً يـــومُ الـــلِّـــقـــا

☆☆☆☆☆

أرقَـتْ «مـيٌّ» كـــــــــــــأنَّ الأمـلا
حـــين نـــامت ســـارَقَ الجـــفن الـــغِـرارا
فـاســـتـــحـــالَ الحُـــزنُ فـــيـــهـــا جـذلا
واســـتـــمـدَّ الـــقـلبُ مـنهُ فـاســتـنـارا
حـــسِـبَـتْـهـا نـعـمـة مِن ذي الـعُـلى
مَن رأى أطـــهـــر من قـــلب الـــعـــذارى
«مـــنحَ الـــلـهُ الـــعـــذارى مَـــلَـــكـــيْنْ
يـــحـــرُسـان الـطُّـهـرَ كي لا يُـسـرقـا»
«فـــلـــذا يـــشـــعُـــرُ مَنْ هَمَّ بـــشـــين
بـجـنـاحٍ حـولـهـا قـد خـفـقـا[1]»

- لِمَنِ الـقـصـرُ بـدت فـيه الـشُّـمُـوس
فـــعـــلى وجهِ الـــدُّجى مـــنهُ نَـــهـــارْ
وأُديـــرت في مـــغـــانـــيه الـــكُـــؤوس
مَـزَجـوا فـيـهـا رُضـابـاً بـعُـقـار
هـــو كـــالـــدُّنـــيـــا سُـــعُـــودٌ ونُـــحـــوس
والـــبـــرايـــا مـــنه في مـــاءٍ ونـــار
يـــســـبَحُ الـــنَّـــذلُ به في لُـــجَّـــتَـــين
ويُـــقـــاسي الحـــرُّ مـــنه الحُـــرقـــا
فـــمـــتى يُـــنـــصفُ بـــينَ الـــرَّجـــلـــين
إنَّ لـلإنـــصـــاف بـــابـــاً مُـــغـــلـــقـــا

لا رعـــاكَ الـــلـهُ يـــا قـــصـــرُ ولا
ســـالَمَ الـــدهـــرُ ولا جـــادَ الـــغَـــمَـــامْ
فـــدمـــاء الـــشـــهـــدا هـــذي الـــطَّلا
وعـــوامـــيـــدُكَ من تـــلك الـــعـــظـــام

(١) البيتان الموضوعان بين هلالين مقتبسان عن ألفرد دي موسيه.

فـاعـتـصـرْهـا أكـبُـداً أو مُـقلا
وتـرشَّـفـهـا غـرامـاً وعُـرام
تـسـتـقي الـرَّغـدَ وتـسـقي كـأسَ حَـيْنْ
وتـرى مُـصـطـبـحـاً مُـغـتـبـقـا
فـكلانـا أبـداً في سـكـرَتَـين
لـلـهـنـا كـأسٌ وكـأسٌ لـلـشَّـقـا

أيـهـا الـنـاسُ الأُلى خـاطُـوا الـكَـفَنْ
لـفـقـيـرٍ كي يـفـوزوا بـالـثَّـراءْ
هَـبْ وَرِثـتُم بـعـدهُ الأرض فَـمَن
يـصـلـحُ الأرضَ لـكم يـا أغـنـيـاء
فـإذا طـاحَ بـذي الـفـقـر الـزَّمن
فـالـغـنى إنْ يـشـمُلِ الـنَّـاس عـنـاء
مَنْ روى في مـا روى عَنْ حـاجـزَيْنْ
يمـنـعـان المـاء أن يـنـدفـقـا
حَـرَمـا الـظَّـمـآنَ بلَّ الـشَّـفَـتـين
وأقـامـا يـشـكُـوان الـغـرقـا

وقـفـت «مَيٌّ» بـبـاب الحـاكمِ
كـملاك الـلـه مـقـصَـوصَ الجـنـاحْ
وقـفـت عـطـشى كـطـيـرٍ حـائمِ
حـول مـاءٍ يـحـسبُ الـوردَ مُـبـاح
وتـخـطَّـتـهُ بـرجـلي صـائم
أو بـرجـلي ثَـملٍ مِنْ غـيـر راح
وهي لـو أنَّ لـديـهـا كـسـرتَـيْنْ
لـثـنـتـهـا عِـزةٌ عَنْ ذا الـلِّـقـا
إنمـا يـأسُ الـفـتى لـيس بِـهَـيْن
لا يُـبـالي يـائسٌ أن يُـخـفِـقـا

- «ميُّ» يـــا أختَ الـــغـــزال الـــنَّـــافـــر
خـــبِّـــريـــنـــا أينَ ضَـــيَّـــعتِ الـــنـــفـــورا
يـــا ضـــيـــا وجهِ الـــصَّـــبـــاح الـــطَّـــاهـــر
كـــيفَ يـــبـــقى ذلكَ الـــوجهُ طـــهـــورا
يـــا أســـيـــراً تحت حُـــكمِ الآســـر
هـــكـــذا الآســـرُ يـــرضى أن تـــســـيـــرا
ســرْ.. فـــســـارت خُـــطـــوةً أو خُـــطـــوتـــيْنْ
فـــإذا الـــبـــابُ عـــلـــيـــهـــا أُغـــلـــقـــا
قـــال: أهلاً... ثـمَّ مَـــدَّ الـــرَّاحَـــتَـــين
ثـمّ . . . . . .

ربَّ. قُلْ لـــلـــجُـــوعِ يُـــصـــبحْ شَـــبَـــعـــا
وانـــقـــذ الـــطُّـــهـــرَ الَّـــذي قـــدَّســـتَهُ
أو مُـــر الـــفـــسقَ فـــيـــغـــدو ورعـــا
إن يَـــكُن شـــرّاً فـــلـــمْ أوجـــدتَه
طـــبـــعـــتهُ قُـــدرَةٌ فـــانـــطـــبـــعـــا
أيَّ شـيءٍ أنـتَ مـــــا قـــــدَّرتَـه
مَـــلكٌ حـــطَّـــمت مـــنهُ الجـــانـــحـــينْ
فـــهـــوى من بـــعـــد مـــا قـــد حـــلَّـــقـــا
مـــا تُـــرى يـــفـــعلُ مـــكـــتـــوفُ الـــيـــدين
أتُـــرى يـــقـــدرُ أن لا يـــغـــرقـــا؟[1]

سنة ١٩١٧

(١) البرق، تموز ١٩٢٦، «الها أهدت إليها المقلتين»، عدد: ٢٦٢٤، ص:١-٢.
- الهوى والشباب، «من مآسي الحرب» ص:٧٧ - ٨٩.
- شعر الأخطل الصغير، «رب قل للجوع»، ص:١٧٥.

٧٩ - القريـــة

أيـتـهـا الـفـتَّـانـةُ الـصَّـغـيـرهْ
أنتِ بـتـاجِ مـلـكٍ جـديـرهْ(*)
من الـقِـرى اشـتـقُّـوا لك اسمَ الـقـريه
وعُـطِّلُ الـسَّـفحُ فـكُـنتِ الحـلـيه
شـاعِـرُكِ الـبُـلـبلُ ذو الإلـهـام
وعُـودُكِ الجـدولُ ذو الأنـغـامِ
والـغـيـمـةُ الـبـيـضـاءُ مـثلُ الـقُـبَّهْ
كـأنَّـهـا من الحـريـر جـبَّه(*)
تـضم أعـنـاق الـربى وتـلـثِم
فـلـيس إلا شَـفَـقٌ ومـبـسمُ(*)
كم طَـرِبَتْ شـمسٌ لـهـذا المـشـهَـدِ
فـمَـسـحَتْ جـبـهـتَهُ بـالـعَـسـجَـد
حـتى إذا الـلـيلُ سـجـا ومـدَّا
عـلى الـورى جـنـاحه المُـسـوَدَّا
مـشى إلـيه الـبـدرُ مـثلَ الـصَّـائـد
يـهـتـبلُ الـغـفـلـةَ منْ مُـطـارد
حـتى رمى بـخُـردُق الـنَّـجـومِ
صـدرَ الـدَّجى فـسِـلنَ كـالـكُـلُـومِ
مـآتمٌ لـكـنَّـهـا أعـراسُ
يُـدارُ عـنـدهـا الـصَّـفـا والـكـاسُ

تُـوحي بـهـا الـقـريـةُ في رأس الجـبلْ
وأروحُ الـعـيـش خـيـالٌ وأملْ
وسـاعـدٌ منَ الـضُـحى مَـفـتُـولُ
تـغـمُـرُهُ بـالـقُـبل الحُـقُـولُ(*)
أسـمـرُ ممَّـا لـذَّعـتهُ الـشَّـمسُ
فـي كـفِّـه لـكلِّ نـفسٍ نـفسُ(*)
يـقـومُ في الأرض مـقَـام الخـالـق
فـيُـغـدقُ الـرّزقَ عـلى الخلائقِ(*)
فـقُـلْ لمنْ يُـحـاولـونَ قَـتـلهُ
الـعـدلُ يـقـضي أن تـمـوتُـوا قـبـلَهُ(١)
١٩١٧

****

(١) الهوى والشباب، ص:٩٠ - ٩١
(*) شعر الأخطل الصغير، «القرية البعيدة»، ص:٢٨٤
- الحكمة، ١٩٦١، عدد: ٥، ص:٤٠.

٨٠ - عروة وعفراء[١]

مَـهـدَ الـغـرامِ ومَـسـرحَ الـغـزلانِ
حـيثُ الـهـوى ضـربٌ مِنَ الإيمـانِ
حَـيَّـتكَ مِنْ أرواح عُـروةَ نَـفـحـةٌ
قُـدسـيـةٌ كـالـرُّوح في الأبـدان
أنـا وفـدُ أبـنـاءِ الـصَّـبـابـةِ ساجـدٌ
مِنْ تُـربِ عُـذرةَ في أذلَّ مـكـان
أسـتـنـزلُ الـوحي الَّـذي ظـفـرتْ به
شُـعـراءُ عُـذرةَ في الـزمـان الـفـاني
فـتـسُـوغُ في أُذُنَيْ «جـمـيلٍ» رَنَّـتي
وتـطـيبُ نـفسُ «كُـثـيِّـرٍ» بـبـيـاني

☆☆☆☆☆

بـلـد! الـهـوى الـعُـذريِّ وهـو كـنـايـةٌ
عن حُبِّ أشـرفِ مـجـمـعٍ إنـسـانـي
يـتـعـانقُ الـروحـان فـيه صـبـابـةً
ويـعفُّ أن يـتـعـانقَ الجـسـدان
فـإذا سـمـعتَ بـعـاشـقـين فـقُلْ هـمـا
مـلـكـانِ مُـتَّـصلان مُـنـفـصلان
مـا دارَ ثـمَّ سـوى الحـديث كـأنّهُ
راحٌ يُـديـرُ كـؤُوسـهـا الـمَـلَـكـان

(١) من وحي «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني.

سل عُـروةَ بنَ حـزامٍ عن غُـصص الـهـوى
تـسـمعْ جـوابَ فـتى الـغـرام الـعـاني
تحـنـانَ سـاجـعـةِ الحـمَـائمِ في الـضُّحى
وزفـيـرَ أعـواد الجـحـيم الـثـاني
ولهُ حـديثٌ كـالـدُّمـوع إذا جـرت
جـذبت نـظـائـرهـا مِنَ الأجـفـان
عـلَمُ الـهـوى من آل عُـذرةَ عُـروةٌ
كـذب الألى قـالـوا لـهـا عَـلَـمـان

ولُـد الـفـتى الـعُـذريُّ عُـروةُ بـعـدمـا
دارت بـوالـده رحى الحَـدَثـان
فـإذا بـعُـروةَ في مـضـارب عـمِّه
«هُـصَـرٍ» فـكـان هُـنـاكَ زُغـلـولان
عـفـراء ابـنـتُهُ معَ ابن شـقـيـقه
وكلاهُـمـا في الـعُـمـر دون ثَـمـان
لم يـلـبـسـا ريشَ الـهـوى لـكـنَّـمـا
هـو ريشُ أحلامٍ وريشُ أمـانـي
وإذا تـضـمُّـهـمـا الحـقُـولُ فـإنَّـهـا
ظـفـرت بمـائـسـتـين من ريـحـان
يـتـراكـضـان بـهـا - فـإن هـمـا بُـوغـتـا
فـيـهـا - فـبـالأوراق يـخـتـبـئـان
ولـطـالمـا وقـفـا عـلى الـوادي وقـد
صـرخـا هُـنـاكَ لـيـلـتـقي الـصَّـدَيـان
مُـزجـا فـلـو خـطـرت «لـعـفـرا» فـكـرةٌ
بـدرتْ بـهـا من عـروةَ الـشَّـفـتـان

وإذا الـتـقى الـنَّـظـران تـلـمعُ أسـطُـرٌ
يَـعـيـا بـحلِّ رُمُـوزهـا الـوَلَـدان
حـتى إذا كـبـرا تـولَّى شـرحَ مـا
لم يـفـهـمـا قـلـبـاهُـمـا الخـفِـقـان
فـإذا الـودادُ هـوىً وصـادفَ تُـربـةً
بـكـراً فـطـابَ مـغـارسـاً ومـجـاني

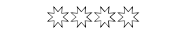

ويحَ المُـحبِّ إذا تـمـلَّـكه الـهـوى
نَـمَّتْ به عـيـنـان فـاضـحـتـان
عـبـثـاً يُـحـاول ذو الـهـوى كـتـمـانَهُ
عـبثُ الـهـوى يـقـوى عـلى الـكـتـمـان
فـدرى به هُـصَـرٌ - وكـان يـسـوؤهُ
من عـروة ابن شـقـيـقه يُـتْـمـان
وأهمُّ يُـتْـمَيْ عُـروةٍ في عـيـنه
يُـتمُ الـغـنى - لـو يـسـمعُ الأبـوان
فـشـكـا إلـيه مـنهُ حُبَّ فـتـاته
شـفـتـان تـخـتـلـجـان تـخـتـذلان
فـأجـابَهُ هُـصَـرٌ - وكـان مُـخـاتلاً -
سـتـنـالُ مَنْ تـهـوى فـكُن بـأمـان
لـكـن عـروة لم يـسـئ في عـمـه
ظـنـاً وخـال الأمـر في الإمـكـان

نُـعـمى عـلى كـبـدِ الـفـتى سـقـطت كـمـا
سـقطَ الـنـدى سَـحَـراً عـلى حـرَّان
فـأحسَّ أنَّ لهُ جـنـاحي طـائـرٍ
وبـدت له زُهـرُ الـنُّـجـومِ دواني

فـجـرى يُـرَقِّصُ عُـودَهُ الـشِّـعـري عـلى
صـــدرِ المـــرُوج ومـــعـــصَم الـــغُـــدران
فـيـصُـوغُ هـيـنَـمـةَ الـنَّـسـيم قـصـائـداً
ويـــرُدُّ زمـــزمـــةَ الـــغـــديـــر أغـــاني
مـــا راعهُ إلا مـــقـــالـــةُ عَـــمّهِ
إنّي أراك عنِ الـــغـــنى مُـــتـــواني
ســرِ لـلـشَّـآم بمـتـجـرٍ... فـأطـاعهُ
وعـــصى الـــفـــؤاد فـــظلَّ في الأوطـــان

بـيـنـا الـفـتى في الـشَّـام يـكـدحُ لـلـغـنى
كـــانت حـــبـــيـــبـــتُهُ تُـــزفُّ لـــثـــان
فـتَـنَتْ مـحَـاسِـنُـهـا «أُثـالـة» وهـو من
«هُـصَـر» لهُ نَـسَـبـانِ مُـلـتـزمـان
نـسبُ الـدِّمـاءِ وفـوقهُ نـسبُ الـغـنى
نـسـبـان مـحـبـوبـان مُـحـتـرمـان
فـأنـالهُ عـفـراء صـفـقـة تـاجـرٍ
حـسبَ الـبـنـات ملابـسـاً وأواني

«مـا عـاملٌ في الحـقل حـمَّلَ يـومَهُ
مـا لـيسَ يـحـملُ مـثـلهُ الـهَـرَمـان»
«يمـشي لمـنـزله بـنـفس مُـغـالبٍ
مُـرَّ الـشّـقـا بـحلاوة الـوجـدان»
«يمـحـو بـفـكـرته عـبُـوسـة دهـره
بـتَـبـسُّمٍ في آلِهِ وحـنـان»
«يمـشي ومـا هـوَ إنْ دنـا حـتَّى رأى
في كـوخه المحـبُـوب سُـحبَ دُخـان»

ورأى اشـــتـــعـــال الـــنَّـــار في أخـــشـــابه
وبُـــكـــا الـــنِّـــســـا وتـــهـــافُت الـــشُّـــبـــان»
«فـــأحسَّ بـــالجُـــلَّى فـــأســـرعَ لـــيـــتَهُ
أودى ولم تُـــســـرع بـه الـــقـــدمـــان»
فـــإذا قـــريـــنَـــتُهُ الحـــبـــيـــبـــةُ جُـــثَّـــةٌ
وبـــجـــنـــبـــهـــا ولـــداهُ يـــحـــتـــرقـــان»[1]
مـــا خـــطبُ هـــذا وهـــو أهـــول مـــا رأت
عـــين ومـــا ســـمـــعت به أذنـــان
بـــأشـــد من قـــول الـــرُّواة لـــعُـــروةٍ
عـــفـــراءُ أمـــسَتْ زوجـــةً لـــفُلان

خـــلعَ الـــنـــحـــول عـــلـــيه أفـــجـــعَ مـــا ارتـــأى
داءٌ وأبـــلـــى مـــا اكـــتـــســـاهُ عـــان
سُـــقمٌ تـــشفُّ به الـــضُّـــلـــوعُ كـــأنَّـــهـــا
قـــطعُ الـــزجـــاج بمـــائـــل الجـــدران
فـــغـــدا به مـــثـــلاً تـــنـــاقـــلَهُ إلى
أقـــصى الـــقـــبـــائل ألـــسنُ الـــرُّكـــبـــان

مـــا حـــاضـــرُ الـــرَّوحـــاءِ[2] دونَ مـــنـــاله
وخـــدُ الـــسّـــرى في الأمـــعـــزِ الـــصَّـــوَّان
لـــيـــحـــولَ دونَ فـــتـــى الـــهـــوى وفـــتـــاته
إنَّ الـــهـــوى ضـــربٌ من الـــطـــيـــران

---

١ - الأبيات التي بين هلالين عن ألفرد دي موسيه.
٢ - حاضر الروحاء هي بلد «أثالة» زوج عفراء، وذلك إشارة الى قول عروة:

ألا فـــاحـــملاني بـــارك الـــله فـــيـــكـــمـــا
إلى حـــــاضـــــر الـــــروحـــــاء ثم ذراني

فـمـشى إلى أرض الحـبـيب دلـيـلُهُ
«عـيـنـان إنـسـانـاهُـمـا غـرِقـان»[1]
يُـلـقي الـقـصـائد في الـطـريق وحـشـوهـا
أنـفـاسُ مـكـلـوم الحـشـا ولـهـان
كـالـنَّـعـجـة الـبـيـضـاء حـينَ مُـرُورهـا
بـيـنَ الـصُّـخـور وشـائك الـعـيـدان
تُـبـقي عـلى الأشـواك من أصـوافـهـا
خُـصلاً مُـخـضَّـبـةً بـأحـمـر قـان

ودَرى أُثـالـةُ أنَّ عُـروة في الحـمى
وبمـا بـعُـروةَ من هـوىً وهـوان
وأثـالـةٌ رجلُ المحـامـد بـيـتُهُ
بـيتُ الـفـخـار ومُـلـتـقى الـضِّـيـفـان
فـأبتْ مُـرُوءَتُهُ عـلـيه أنْ يـرى
رجُلاً كـعُـروةَ مُـبـعـداً مُـتـداني
فـمـشى إلـيه عـاتـبـاً: أتـكـون في
بـلـدي ولَـستَ لِـخَـيـمـتي وخِـواني
إني عَـزَمتُ عـلـيكَ أنَّكَ نـازلٌ
عـنـدي وإلا سـاءَني حـرمـاني
- عُـذراً فـإني راجـعٌ لحـوادثٍ
نَـزَلتْ بـنـا مـا كُنَّ في الحُـسـبـان
- لا عُـذرَ... لا . لا عُـذرَ - أنـظِـرني إذن
لـغَـدٍ - إذن فـجـرَ الـنَّـهـار الـثـاني
وتـفـارقـا فـإذا بـعُـروةَ رُجـمـةٌ
تـهـوي، عـلـيـهـا انـقضَّ صـاعـقـتـان

(١) ألفرد دي موسيه.

وأشـــار نـــحـــو أُثـــالـــةٍ بـــجُـــفُـــونه
ســـتـــرى المـــروءة أنـــنـــا كـــفـــؤان
هـــجـــرَ الـــديـــارَ لـــوقـــته تـــســـعى به
قـــدمـــان هـــازلـــتـــان شـــاكـــيـــتـــان
هـــجـــرَ الـــديـــارَ ديـــارَ عـــفـــراءَ الـــتي
طـــبـــعت حُـــشـــاشـــتهُ عـــلى الأحـــزان
حـــتى إذا «وادي الـــقـــرى» رَحُـــبت به
رَحُـــبت بـــشـــلـــوٍ لُفَّ في أكـــفـــان
جُـــثـــمـــانُهُ في الـــقـــبـــر لـــكنْ رُوحُهُ
أبـــداً مُـــرفـــرفـــةٌ عـــلى الـــوديـــان

رَنَّ الـــنَّـــعيُّ بـــأذن عـــفـــراءٍ فـــهل
شـــاهـــدتَ غُـــصـــنـــاً من رطـــيب الـــبـــان
لـــعـــبت به هُـــوجُ الـــعـــواصف فـــالـــتـــوى
مُـــتـــقـــصِّـــفـــاً وأصـــيب بـــالـــرَّجـــفـــان
هي مـــثـــلُهُ حـــاشـــا الـــدُّمـــوعَ وأنَّـــةً
من صـــدرِ مُـــحـــتـــضَـــرٍ به جُـــرحـــان
فـــأتت أُثـــالـــةَ والـــدُّمـــوعَ ســـوابحٌ
فـــتـــلَـــثَّم الـــفـــضِّيُّ بـــالمـــرجـــاني
قـــالت: لَـــتَـــعـــلَمُ أنَّ عُـــروةَ كـــان لي
إلِـــفـــاً وَنَـــحنُ وعُـــروةٌ حَـــدثـــان
وَعَـــلـــمتَ أنَّ هَـــوَاهُ لا عَنْ رِيـــبـــةٍ
يُـــخـــزى بـــهـــا رَجُـــلي ويُـــخـــفَضُ شـــاني
هـلاً أذِنـتَ بـــــأنْ أزورَ تُـــــرابـهُ
أفـــمـــا أبي وأبـــو الـــفـــتى أخـــوان؟

مَنْ ذا يمـــانعُ أن تـــفـــيه حـــقَّهُ
سـيـري. فـمـا هي غـيـرُ بـعضِ ثـوان
حـــتَّى رأيتَ بـــقَـــبـــر عُـــروةَ بـــانـــةً
مَـحـنـيَّـةً - وَا لَـهـفَـتـا لـلـبـان
وســـمـــعتَ أيَّـــةَ زفـــرةٍ وشـــهـــدتَ أيَّ
ـــةَ ثـــورةٍ ولَـــمَـــستَ أيَّ حـــنـــان
... واعُـــروتـــاهُ... ولم تُـــتمَّ نـــداءَهـــا
حـــتى ارتـــمت فـــإذا هُـــنـــا مَـــيْـــتـــان

ضـمَّـوا الـفـتـاة إلى الـفـتى في حُـفـرةٍ
من فـوقـهـا غُـصـنـان مُـلـتـفَّـان
رُوحـان ضـمَّـهُـمـا الـهـوى فـتـعـانـقـا
وتـعـاهـدا فـتـعـانق الـكـفـنـان[1]
١٩١٧

(١) البرق، ٣ ك ١٩٢٢، عدد: ١٤٥٠، ص:٢، نشرت تحت عنوان «عروة بن حزام».
- الهوى والشباب، ص:٦٧ - ٧٤.
- شعر الأخطل الصغير، «عروة وعفراء، ص: ٢٦٩.

٨١ - بيتهم جهنم
أو بعض بيوتنا

زوجان أكرِمْ بهما زوجينْ
طفلهما لم يبلغ العامينْ
قد ساد في بيتهم الخصامْ
فلا هناء لا ولا سلامْ
يعود كالسرحان في المساءِ
فيلتقي بالحية الرقطاءِ
تقول قبحاً لك من شيطانِ
الله يبلي فيك من بلاني
وهو يجيبها على البديهه
قبحت من شيطانة سفيهه
وابنهما لذا الحديث يستمع
والشيء في الأحداث حالاً ينطبع
ولم تزل حالهما ذي الحالْ
والحرب ما بينهما سجالْ
وكان يوم غادر البيت الولدْ
فتاهَ في بعض شوارع البلدْ
فاستلفتت أدمعه من مَرّا
إذ انبرى يبكي بكاء مُرّا
فأقبلت من حوله جماعه
منهم لكي تعلم ماذا راعه

فـــســـألـــوه مـــا اسم والـــديـــكـــا
حـــتى نجيء بـــهـــمـــا إلـــيـــكـــا
وأين بـــيـــتـــكم ومـــا هـــو اســـمـــكـــا
وأين كـــــانت إذ خـــــرجت أمـــــكـــــا
وســـــكـــــنـــــوا من روعه فـــــقـــــالا
ودمـــــعـه في وجـــــنـــــتـــــيه ســـــالا
أبي اســـمه الـــشـــيـــطـــان واسم أمي
شـيـطـانـة وابن الـشـيـاطـين اسـمي
كـــــذاك والـــــديَّ يـــــدعـــــيـــــان
كـــــمـــــا ســـــمـــــعت يـــــدعـــــواني
فـــعـــجب الـــنـــاس لـــقـــول الـــولـــدْ
وكـــــان فـــيـــمـــا قـــاله لم يـــفـــدْ
فـــمـــا اهـــتـــدوا مـــنه الى مـــقـــرهِ
وحُـــيِّـــروا جـــمـــيـــعـــهم من أمـــرهِ
فـــقـــام فـــيـــهم رجل ظـــريفُ
وقـــال يـــكـــفي ذلك الـــتـــعـــريفُ
إن يـــصـــدق الـــغلام في مـــا يـــزعمُ
لاشك أن بـــيـــتـــهم جـــهـــنمُ[1]

شباط ١٩١٨

****

(١) البرق، كانون الثاني ١٩١٩، عدد: ٤١-٤٣٤، ص: ١٦٤.

مفكـرات شاعر

٨٢ - كان الشتاء حياة للفقير[١]

كـان الـشـتـاء حـيـاة لـلـفـقـيـر وقـد
أمـسى الـشـتـاء وفي تـهـنـانه الـعـطبُ
قـد كـان يـرقـبه لـلـزرع يـنـعـشه
فـأصـبـح الآن لا زرع ولا عـشـب
فـبـاع حـتى قـمـيـصـاً كـان يـلـبـسه
خـوف الـمـنـايـا ولـكن فـاته الـهـرب
وذو الـغـنى يـشـتـري مـال الـفـقـيـر كـمـا
تـمـلـي الـمـطـامع لا رفق ولا حَـدَب
قل لـلـغـنـيّ ألم تـعـطـفك عـاطـفـة
عـلى الـفـقـيـر وقـد جـفت به الـنُّـوَب
خـفِّفْ عـلـيه إذا مـا سـمْـته ثـمـنـاً
فـالجـوع بـاعك مـضـطـراً ولا عـجب
بـيـع فـسـاد أقـيـآت بـواحـدة
لا الـشـرع حـلل مـا جـئـتم ولا الأدب
إن تـشـتـروا من فـقـيـر تـربه فـدعـوا
فـيـهـا له (تـربـة) فـالـمـوت مـرتـقب[٢]

١٩١٨

****

(١) هجم معظم ماليي بيروت وغيرها من المدن السورية على تملك أراضي لبنان مستعينين على ذلك بالجوع الفاتك في بنيه فكانوا يشترون ما يساوي الألف ذهب بخمسين ورقة أو مائة بحسب اضطرار البائع الشقي.
(٢) البرق، كانون الثاني ١٩١٩، عدد: ٤٩ - ٤٤٢، ص: ١٩٦.

٨٣ - ضاع عنده العمر

قـــــد أتـــــاك يـــــعـــــتـــــذرُ
لا تـــســـلْه مـــا الخـــبـــرُ(*)
كـــلَّـــمـــا أطـــلـــت لـه
في الحـــديث يـــخـــتـــصـــر(*)
في عـــيـــونه خـــبـــر
لـــيس يـــكـــذب الـــنـــظـــر(*)
علّ نـــاصـــبـــاً شـــركـــاً
لـــلـــظـــبـــاء يـــبـــتـــدر
صـــــاده ولـي كـــــبـــــد
في هـــواه تـــســـتـــعـــر

الـــغـــرام مـــجـــمـــرة
والـــتـــرقّـب الـــشـــرر(×)
لا يـــنـــام صـــاحـــبـه
فـــهـــو ســـاهـــر حـــذر(×)
غـــفـــوة يـــحـــاولـــهـــا
والـــظـــنـــون تـــنـــتـــهـــر(×)
ملّ مـــنـــه نـــاظـــره
والـــفـــؤاد والـــفـــكـــر

قـــد مـــنـــحـــتـه عـــمـــري
ضـــاع عـــنـــده الـــعـــمـــر(*)

حـــبـــنـــا الـــذي لـــهـــجت
في حـــديـــثـه الـــســـيـــر(*)
صـــــــــوّحـت أزاهـــــــــره
قـــبل يـــعـــقـــد الـــثـــمـــر(*)
كـــالـــشـــبـــاب تـــصـــدمه
نـــكـــبـــة فـــيـــنـــتـــحـــر

عـــد فـــعـــنك يـــؤنـــســـني
في ســـمـــائه الـــقـــمـــر(*)
قـــــد وفى بمـــــوعـــــده
حـــين خـــانت الـــبـــشـــر(*)(١)
١٩١٨

****

(١) البرق، نيسان ١٩١٩، عدد: ١٠٢-٦١٢، ص:٤٠٠.
(×) الهوى والشباب، «غيرة»، ص:٥٧
(*) شعر الأخطل الصغير، «في عيونه خبر»، ص:٢٦.

٨٤ - إن للدهر يوم بؤس

جـــنِّـــبـــوا عـــني الـــطـــروس
احـــجـــبـــوا عـــني الـــقـــلـــمْ
فـــهـــمـــا مـــجـــلب الـــنـــحـــوس
بل هـــمـــا مـــورد الـــعـــدم

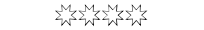

ســـائـــلـــوا عـــني المحـــابـــرْ
ســـائـــلـــوا عـــني الـــيـــراعْ
من كـــســـا الـــطـــرس بـــالأزاهـــر
ورمى الـــدر في الـــســـمـــاع
مـــا لـــذا الـــســـحـــر غـــيـــر شـــاعـــر
لاعب بـــالـــنـــهى صـــنَّـــاع
يـــتـــمـــشى إلى الـــنـــفـــوس
مـــشـــيـــة الـــنـــور في الـــظـــلـــم
بـــقـــواف لـــهـــا الـــكـــؤوس
وهـي في مـــجـــدهـــا خـــدم

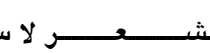

أيـــهـــا الـــشـــعـــر لا سلام
بـــعـــد هـــذا ولا لـــقـــا
آذنـتْ دولـــــــة الـــــــكـلام
وأتت دولـــــة الـــــشـــــقـــــا
فـــذوى الـــورد في الـــكـــمـــام
بـــعـــد مـــا كـــان مـــشـــرقـــا

بـــعـــدمـــا كـــان في الـــغـــروس
رائـــقـــاً مَـــنـــظـــراً وشم
صـــار مـــلـــقى عـــلى الـــرمـــوس
مـــازجـــاً دمـــعـــه بـــدم

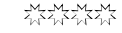

هـــكـــذا وردة المـــنـــى
لـــفـــحـــتـــهـــا الـــلـــوافح
فـــذوى الـــعـــنق وانـــحـــنى
هـــو في الـــدمع ســـابـح
ولـــقـــد هـــالـــهـــا الـــفـــنـــا
وهْـــو غـــاد ورائـح
مـــذ رأت وجـــهـه الـــعـــبـــوس
ســـقـــطـــته مـــوطىء الـــقـــدمْ
فـــمـــشى فـــوقـــهـــا يـــدوس
عـــنـــقـــهـــا - إنـه ظُـــلُـمْ

أنـــا والـــشـــعـــر والـــعـــلى
كـــلـــنـــا خـــطْـــبُـه جـــلَلْ
عـــنـــدمـــا زعـــزع الـــبـــلى
أطـــفِـــئت شـــعـــلـــة الأمل
فـــاعـــتـــنـــقـــنـــا - كـــذا الـــولا
وصـــبـــرنـــا ولـم نـــزل
إن لـــلـــدهـــر يـــوم بـــؤس
فـــإذا عـــمـــره انـــصـــرم

أشـــرقت لـــلـــمـــنى شـــمـــوس
مـــــزّقتْ فـــــروة الـــــظـــــلـــم

☆☆☆☆☆

لا. فـــــإن الأمـــــانـــــيـــــا
خـــــادعـــــات كـــــواذبُ
مـــات فـــيـــهـــا شـــبـــابـــنـــا
فـــانـــدبي يـــا نـــوادب
وأذيـــبـــي الـــقـــوافـــيـــا
وهـي بـــيـــضٌ كـــواعـب
رمّـــلت ويـــحـــهـــا عـــروس
وانـــطـــوى ذلك الـــعـــلـــم
فـــعـــلى وجـــنـــة الـــطـــروس
سـفـكتْ دمـعـة الـقـلـم[1]

✱✱✱✱

(١) البرق، أيار ١٩١٩ ، عدد: ١٢٨-٦٣٨، ص:٥٠٢.

٨٥ - جفْنُه علّم الغَزَل

جـــــفـــــنُهُ عـــــلَّمَ الـــــغـــــزَلْ
وَمِنَ الـــــعِـــــلْمِ مـــــا قَـــــتَلْ
فَـــحَـــرقْـــنـــا نـــفـــوسَـــنـــا
في جـــــحـــــيمٍ من الـــــقُـــــبل

ونـــــشـــــدنـــــا ولَمْ نَـــــزَلْ
حُـــــلُمَ الحب والـــــشَّـــــبـــــابْ
حُـــــلُمَ الـــــزَّهـــــر والـــــنَّـــــدى
حُـــــلُمَ الـــــلَّـــــهـــــو والـــــشَّـــــراب

هـــــاتـــــهـــــا من يَـــــدِ الـــــرِّضى
جُـــــرعـــــةً تـــــبـــــعَثُ الجُـــــنُـــــونْ
كـــــيف يـــــشـــــكـــــو من الـــــظَّـــــمـــــا
من لـهُ هـــــذه الـــــعُـــــيُـــــون

يـــــا حـــــبـــــيـــــبي أكُـــــلَّـــــمـــــا
ضـــــمَّـــــنـــــا لـــــلـــــهـــــوى مـــــكـــــانْ

أشـــعـــلـــوا الـــنَّـــار حـــولَـــنـــا

فَـــغَـــدونـــا لـــهـــا دُخـــان

قـلْ لِـــــمَـنْ لامَ فـي الـــــهـــــوى

هـــكـــذا الحُـــسْنُ قَـــدْ أمـــرْ

إنْ عَـــشِـــقـــنـــا فَـــعُـــذرُنـــا

أنَّ فـي وَجـــهـــنـــا نَـــظَـــر[1]

سنة ١٩١٩

****

(١) الجمهور، ٢١ تموز ١٩٣٤، عدد: ٣١، ص: ٢.

- الهوى والشباب، ص: ١٢٩.

- شعر الأخطل الصغير، ص: ٣٠١.

٨٦ - إلى امـــرأة

معرَّبة حرفياً عن الشاعر الفرنسي «لويس بويه»

مـــاذا؟ أحـــقًّـــا كُـــنتِ بي تَـــهـــزئـــينْ
وكُـــــنتِ في حُـــبِّكِ لي تـــكـــــذبـــينْ
لَمْ تـــخـــدعـــيـــني مُـــطـــلـــقـــاً إنَّـــمـــا
نـــفـــسَك يـــا هـــذي الّـــتي تـــخـــدَعـــين
مَـــنَـــعتُ حـــبي عـــنك لـــكـــنَّـــمـــا
مَـــنَـــحتُ عـــفـــوي شـــيـــمَـــةَ الأكـــرَمـــين
عـــفـــو طـــلـــيق واسع مـــثـــلـــمـــا
كـــان حـــنـــانـي - ربمـــا تـــذكـــرين
خـــذيه بـــســـامـــاً ولا تـــتـــركي
قـــلـــبك لـــلـــتـــذكـــار يـــومـــاً يـــلـــين

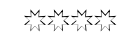

مـــهلاً فـــمِـــصـــبَـــاحُكِ لمْ يـــأتَـــلق
إلا بمـــا مِنْ شُـــعـــلـــتي تَـــقـــبِـــسِـــين
مـــــهلاً فـــــإني مـــــثلُ ذاك الـــــذي
في عُـــرس «قـــانـــا» أدهشَ الـــعـــالَـــمـــين
صـــيَّـــرتُ خـــمـــراً آسنَ المـــاء في
نـــفـــسك: خـــمـــراً يُـــنـــعشُ الـــشَّـــاربـــين
ولـــيـــمـــةٌ كـــانت لـــنـــا في الـــهـــوى
أكـــثـــرتُ فـــيـــهـــا عـــددَ المُـــعـــجَـــبـــين

هل كُـــنتِ في أبـــهى لـــيـــالي الـــهـــوى
أيَّـــامَ كُـــنت فـــتـــنـــةَ الـــنُّـــاظـــرين

هل كُـــــنتِ إذ ذاكَ ســـــوى آلـــــةٍ
ألحـــانُـــهـــا مـــني ومـــنـــهـــا الـــرَّنـــين
أنـــشـــــدتُ أحلامي عـــــلى فـــــارغٍ
مِنْ خـــشبِ الـــقـــلبِ الـــذي تحـــمـــلـــين
كـــالـــنَّـــغمِ الـــرَّنّـــانِ في آلـــةٍ
فـــارغـــةٍ تحتَ يَـــد الـــضَّـــاربـــين

إن جـــاءت الألحـــانُ تَـــسـبي الـــنُّـــهى
فـــأيُ فـــضلٍ عـــنـــدهـــا تـــدَّعـــين
ألم أكُن أســـتـــطـــيعُ إنـــشـــادَهـــا
عـــلى الملا مِنْ غـــيـــر مـــا تُـــذكـــرين
إنّي لـــكي أُبـــدعَ هـــذا الـــسَّـــنـــا
مِنْ عَـــدَمٍ... ولَم يـــعِش غـــيـــرَ حـــين
لَـــقَـــد كـــفـــاني أنَّـــني عـــاشقٌ
وأنَّـــني كُـــنتُ منَ المـــؤمـــنـــين

والآنَ ســـيـــري في الـــطَّـــريق الـــذي
شـــئتِ فـــلي أيـــضـــاً طـــريقٌ أمـــين
ســـيـــري ولا تـــنـــسي بـــأن تـــســـتُـــري
إن كُـــنتِ تـــســـتَـــحـــينَ، ذاكَ الجـــبـــين
مـــأدبـــةٌ أفـــرغتُ كـــأسي بـــهـــا
وقُـــمتُ عـــنـــهـــا لا كـــمـــا تـــزعُـــمـــين
فـــفـــضـــلـــةُ الـــكـــأس الـــتي عِـــفـــتُـــهـــا
تـــركـــتُـــهـــا لـــلـــخـــدَم الـــسَّـــاقـــطـــين[1]

سنة ١٩١٨

****

(١) البرق، تموز ١٩٢١ ، عدد:١٣٢٤، ص:٣
- الهوى والشباب، ص:٧٥-٧٦
- شعر الأخطل الصغير، ص: ٧٢.

٨٧ - شعار الأرز

لــواءك - فــاســجــد يــا فــتى الأرز لــلّــوا
وكن عــالــيــاً يــغــدو بك الأرْز عــالــيــا
فــــمــــا الأرْز إلاّ آيــــة الــــله في الــــورى
فــبــورك خــفــاقــاً وبــورك نــامــيــا[1]

****

(١) البرق ١٩٢٠، عدد: ١٠٧٧، ص:١.

٨٨- في سبيل المجد واستقلاله

إيه غـــورو[١] والأمـــاني جـــمّـــةٌ
وثـــمـــار الـــفـــوز لـــلـــمـــســـتـــبـــسلِ
إن لـــبـــنـــان الـــذي أوجـــدته
لـــيس بـــالجـــاحـــد كفّ المـــفـــضل
في ســـبـــيل المجـــد واســـتـــقلاله
ورد المـــوت كـــأشـــهى مـــنـــهل
أمل عـــاش بـه فـي مـــا مـــضى
ولـــقـــد يـــحـــيـــا به في مـــا يـــلي

قـــادهم شـــوســـاً إلى ســـاح الـــوغى
فـــشـــهـــدنـــا يـــوم صـــفـــين «عـــلي»
مـــا نـــواهـــا، إنمـــا الـــقـــوم وقـــد
جـــهـــلـــوا قـــال له الحـــزم افـــعل
مـــا نـــواهـــا، مـــا تـــرى مـــنـــصـــله
كـــلـــمـــا عضّ بـــفـــكّي بـــطل
ســـقـــطت من مـــقـــلـــتـــيه دمـــعـــة
غـــســـلت هـــفـــوة ذاك المـــنـــصل
تـــلك إنـــســـانـــيـــة لم يـــروهـــا
قـــبـــل غـــورو رجـل عـن رجـل

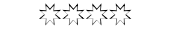

(١) غورو قائد فرنسي أعلن سنة ١٩٢٠ حدود لبنان الكبير واعتراف فرنسا باستقلاله عن سوريا.

إيه سـوريـا الـتي غـزلانـهـا
تُـلـبس الـشـيخ ثـيـاب الـغـزل
مـهْـدنـا الـعـهـد الـذي جـربـته
والـهـوى ذاك الـذي لـم يـحل
إن نـفـرق فـلـنـا مـصـلـحـة
ونـفـوس إن تـفـرّق تـقـتل
قـسـمـة أمـلى بـهـا مـا كـابـدوا
من جـراحـات الـزمـان الأول
مـشـكل ضـقـنـا يـداً في حـله
فـتـركـنـاه إلى المـسـتـقـبل

عـاد لـبـنـان كـبـيـراً وغـدا
الأرز شـيـئـاً في حـقـول الـدول
كـان لـلـقـول زمـان وانـقـضى
ولـقـد جـاء زمـان الـعـمل[1]

نظمت سنة ١٩٢٠

(١) البرق، أيلول ١٩٢٠، عدد: ١٠٧٧، ص: ١-٢.
- البرق، أيلول ١٩٢١، عدد: ١٣٥١، ص:١.

٨٩ - إلى روح مختار بيهم[١]

ربّــة الــشــعــر ألــهــمــيــني قــصــيــدا
أبـــــكي بـه (مـــــخـــــتـــــار)(*)
ألــهــمــيــني شــعــراً طــلــيــقــاً جــديــداً
تـــــــرجّع الأطـــــيـــــار(*)
ومُــرِي الــزهــر أن تــكــون دمــوعــاً
ومـــــــــري الأزهـــــــــار
أو مــريــهــا بــأن تــكــون شــمــوعــاً
طـــويـــلـــة الأعـــمـــار
قــائــمــات في وحــشــةٍ ووجــيــبِ
فــي حـــــشـــــا الأدهـــــار
ســاهــرات عــلــى تــراب الحــبــيــب
تـــــــرسـل الأنـــــــوار
الــذي كــان خــادمــا لــبلاده
الــذي كــان جــذوة تــتــوقّــد
الــذي كــان صــافــيــاً كــالــغــديــر
الــذي كــان مــاضــيــاً كــالمــهــنّــد

ألــهــمــيــني يــا ربّــة الــشــعــر شــعــرا
كـــالـــنـــور والـــنـــار(*)

(١) ألقيت في الحفلة التأبينية التي أقيمت للوطني الكبير المرحوم مختار بيهم في بيروت.

كـالـهـواء كـالأطـيـار كـالـفـكـر حـرّا
كـنـفـس مـخـتـار(*)
كـالأعـاصـيـر إن دعـتـه الـبـلاد
وخـافـت الـعـار
كـالأزاهـيـر أن دعـاه الـوداد
وحـرمـة الجـار
كـالأهـازيج في الـوغى تـتـرجع
إن ثـائـر ثـار(*)
كـدويّ الأمـواج إذ تـتـدفّع
بـعـيـدة الأغـوار(*)
إنه كـان لـلـفـتـاة نـصـيـرا
إنه زادهـا جـمـالاً وسـؤدد
كـان يـبـكي لـهـا ويـحـنـو عـلـيـهـا
فـهي تـبـكـيه بـالجـمـان المـنـضّد

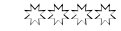

☆☆☆☆☆

في ظلال الـصـفـصـاف عـنـد الـضـريح
وقـفـت هـنـدُ
وبـصـدر واهٍ وقـلـب جـريح
أخـذت تـشـدو
سـبـقـتـنـا نـسـاؤهم وأقـمـنـا
حـيث كـنّـا ومـا مـلـلـنـا الـقـعـودا
عـلـمـوهن فـاسـتـقـلّـوا المـعـالي
واسـتـبـاحـوا نـعـيـمـهـا المحـسـودا

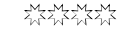

☆☆☆☆☆

فـإذا من جـوانب الـقـبـر صـوت
غـيـر مـجـهـول

يـا بـنـة الـشـرق إن تـشـائي نـهـوضـاً
لـــــلـــــعـــــلـــى قـــــولـي
إنمـا المـوت والجـمـود سـواء
ومن الـعـار أن نمـوت جـمـودا
إنمـا المـاء لـلأنـام حـيـاة
وهـو مـوت إذا أطـال الـركـودا

إيهِ مـخـتـار قـد عـلـمْـنـا الـذي عـلْ
لَـمْتَ فـاهـنـأ به وقـرّ عـيـونـا
بـسـقـت نـبـتـة زرعت فـأحـيـت
أمـلاً كـان لا يـزال دفـيـنـا
فـسـلام ورحـمـة الـلـه أنّـا
مـنـه أنّـا لـحـكـمـه راجـعـونـا[1]

(١) البرق، شباط ١٩٢١، عدد: ١١٨٦، ص: ١-٢.
(*) شعر الأخطل الصغير، «صلاة»، ص:٣٠٨، ببعض الاختلاف في ترتيب الأبيات.

٩٠ - يا عروس الأماني

لا أبالي إذا أديرت علينا
أضياءً دارت بنا أم ظلاما
جذوة الحق أنت لا بارك الله
بمن ضل إذ دعاك مداما
رشفة منك لا كما زعم الاخـ
ـطل[١] أمشي بها مليكاً هُمَاما
وإذا ما رشفت منك ثلاثاً
جزت فيك الأوهام والأحلاما
عجبي من فتى كسول إذا ما
أيقظ الكأس موقظ الكأس ناما
حسبنا منك يا عروس الأماني
خطرات المنى وظرف الندامى[٢]

****

(١) إشارة إلى بيتي الأخطل الكبير المشهورين:

إذا ما تقيمي عِلَّني ثم عِلَّني
ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت أجر الذيل تيهاً كأنني
عليك أمير المؤمنين أمير

٩١ - أغضاضة يا رَوض؟

عِشْ أنتَ. إني مُتُّ بعدكْ
وأطِلْ إلى ما شِئتَ صدَّكْ(*)
كانت بقايا للبغـ
ـرام بمُهجتي فَخَتَمتُ بَعدَك
أنقى مِنَ الفجر الضَّحُو
كِ وقد أعرتَ الفجرَ خدَّك(*)
وأرقُّ من طَبع النسيـ
ـم وقد خلَعتَ عليهِ بُردَك(*)
وألذُّ من كأس النَّديـ
ـم وقد أبحتَ الكأسَ شَهدك(*)

☆☆☆☆☆

ما كانَ ضَّركَ لو عدلْ
تَ أما رأت عَينـاكَ قَدَّك(*)
وَجَعَلتَ من جَفنيَّ مُتَّكأً
ومِن عَينيَّ مَهدَك(*)
ورفَعتَ بي عرشَ الهوى
ورفعتَ فوقَ العرشِ بَندك(*)

☆☆☆☆☆

يا مَن أساءَ بيَ الظَّنُو
نَ ثَلَمتَني وثَلَمتَ حدَّك(*)
إنْ لم يكُن أدبي فَخُلْ
قُكَ كانَ أولى أن يصَدَّك(*)

أغـــــضـــــاضـــــةً يـــــا روضُ إن
أنـــا شـــاقَـــني فـــشَـــمَـــمْتُ وردَك(*)
ومَـلامـــــــة يـــــا قـــــطـــــرُ إنْ
أنـــــا راقـــــني فـــــأمَـــــمتُ وِردكْ(*)

وحـــيـــاةِ عـــيـــنِكَ وهيَ عـــنـــدي
مـــثـــلـــمـــا الإيمـــان عِـــنـــدكَ(*)
مـــــا قـــــلـــبُ أُمّكَ إن تُـــــفـــــا
رِقْـــهـــا وَلَم تـــبـــلُغْ أشُـــدَّك(*)
فَـــهـــوت عـــلـــيكَ بـــصـــدرهـــا
يـــومَ الـــفـــراق لـــتَـــســـتَـــردَّك(*)
بـــأشـــدَّ من خـــفـــقـــان قـــلـــبي
يـــومَ قـــيلَ خـــفـــرتَ عـــهـــدك(*)(١)

(١) البرق، ١٩٢٤، عدد: ١٩٩٤، ص:٢؛ الهوى والشباب، ص:١١٠ - ١١١.

٩٢- من الأخطل الصغير
إلـى شوقـي بـك

مـا صـبـاح الـورد المـفـتح في نـوا
ر أحـلى في عـيـنـنـا من صـبـاحِكْ
قـد مـلـكت الـقـلـوب فـهي أَسـارا
ك وكـان الـبـيـان بـعض سلاحك
إيه نـسـر الـقـريض مـا شـئت حـلِّق
لـيـتـني كـنت ريـشـة في جـنـاحك

****

- البرق، تموز ١٩٢٥، عدد : ٢٣٨٥ ، ص:١

٩٣- من الأخطل الصغير إلى شوقي بك[١]

أمـــا الـــســـقـــام فلا أقـــول كـــســـيـــتهُ
من لحـــظـــهن ولا الـــغـــرام ســـقـــيـــتهُ
أنـــا لـــو ســـقـــتـــني الـــعـــشق غـــنـــيت الـــورى
شـــعـــراً يـــرعـــرعه الحـــجى ويـــقـــوته
أنـــا لـــو كـــســـتـــني الـــســـقم كـــان مـــحـــتـــماً
حـــتـــفي فـــإن هـــو لم يـــجـــئـــني جـــيـــته
شـــعـــراً عـــرائـــسه الـــســـوافـــر في الـــدجى
بـــين الـــريـــاض مـــقـــيـــلـــه ومـــبـــيـــته
«أدونـــيس» في الـــغـــابـــات يـــنـــشـــر ســـحـــره
و«فـــنـــيس» تـــطـــلـــعـــهـــا عـــلـــيك بـــيـــوته
آيـــات شـــوقي... الـــســـاطـــعـــات شـــمـــوسه
والخـــالـــدات الـــســـابـــقـــات نـــعـــوته

☆☆☆☆☆

وأغنّ ذكّـــرني الـــقـــديم من الـــهـــوى
فـــذكـــرت أشـــقـــاه غـــداة لـــقـــيـــته
ريـــــان من مـــــاء الملاحـــــة ســـــاكت
وأشـــد مـــا نـــفـــذ الـــقـــلـــوب ســـكـــوته

(١) ذكر في مقدمة القصيدة أن شوقي موجود في لبنان ولم يتسنّ للأخطل الصغير أن يصافحه لتنقل شوقي في مصايف لبنان واعتزال الأخطل في منزله لمرض يلازمه.
على أن «لبنانية» شوقي وما تجلى فيها من شريف عواطفه وما أسبغ على لبنان من مطارف الفخر كل ذلك حرك قريحة الأخطل بعد طويل جمودها فكانت هذه القصيدة.

لــولا بلاغــة مــقــلــتــيه لخــلــتــه
نــصــبــاً تــفــرد بــالــســنــا مــنــحــوته
وافــتــر عن تــبــســامــة مــلــكــيــة
أحــيت فــتــىً كــان الــقــطــوب يمــيــته
فــإذا أنــا وإذا الحــبــيب يــلــفــنــا
فــردوســنــا ويــحــفــنــا مــلــكــوته
ســكب الــغــرام نــشــيــده في صــدره
فــخــفــوقه تــرداده وخــفــوته
عــجــبــاً أأيــام الــشــبــاب تجــوز بي
ويــجــوز لي من بــعــد مــا عــرّيــته
قــد كــنت أقــنع بــالــقــلــيل ولم أنل
فــإذا الــكــثــيــر ولم أسل أُعــطــيــته
حــاشــا المــريب ونــحن أمــنع جــانــبــاً
من أن يــجــاذب ثــوبــنــا عــفــريــته

قــالــت: ومن ســكب الــعــيــون مــدامــة
فــأذاب فــيــهــا ســحــره هــاروته
وأدارهــا شــوقــيــة عــربــيــة
تحــيي الــفــؤاد بــنــهــلــة وتــمــيــته
لــولاه والأدب الــذي رفــعت له
في دولــتــيه بــنــوده وتــخــوته
مــا عــاودت لــبــنــان صــبــوته ولا
ضــحــكت له بــعــد الجــفــا بــيــروته
وتــبــرجت هــضــبــاته وتــلــفــعت
بــالــوشي من نــســج المــروج مــروته

واستأنست بعد النفار ظباؤه
واستضحكت بعد الوقار سبوته

شوقي ويا للوحي مهبطه على
متفرد خبز النبوة قوته
فجر البيان فأمرعت واحاته
ومشى على خضرائها ياقوته
ضم القديم إلى الجديد فخلقا
بالنسر ما يبغيه ليس يفوته
لبق يريك «هكو» يجر عباءة
ويريك «قيس» يزمه كبوته
لا تجزع الفصحى فدون عرينها
متقحم ماضي الشبا مشخوته

شوقي! كفى لبنان أنك زرته
لتتيه تينته ويفخر توته
ويلذ عاطله ويضحك وشيه
ويفيض كوثره ويلمع صيته[1]

****

(١) البرق، آب ١٩٢٥، عدد: ٢٤٠٤، ص:١.

٩٤ - الهوى والشباب

الـــهـــوى والـــشـــبـــابُ والأملُ المـــنـ
ـنـشـودُ تـوحي فـتـبـعثُ الـشـعـر حـيـا
الـــهـــوى والـــشـــبـــابُ والأملُ المـــنـ
ـنـشـودُ ضـاعت جـمـيـعـهـا من يـديـا
يـشـرب الـكـأس ذو الحـجى ويُـبـقّي
لـــغـــدٍ في قـــرارةِ الـــكـــأس شـــيًّـــا
لم يـــكُن لي غـــدٌ فـــأفـــرغتُ كـــأسي
ثُمَّ حـطَّـمـتُـهـا عـلى شـفـتـيًّـا
أيُّـــهـــا الخـــافقُ المـــعَـــذَّبُ يـــا قـــلـ
ـبي نَـزَحتَ الـدمُـوع من مُـقـلـتـيًّـا
أفَـــحَـــتـمٌ عـــلـيَّ إرســـالُ دمـــعـي
كـــلّـــمـــا لاح بـــارقٌ في مُـــحَـــيًّـــا
يـا حـبـيـبي لأجل عـيـنـيكَ مـا أَلـ
ـقى ومـا أولَ الـوُشـاةُ عـلـيًّـا
أأنـا الـعـاشقُ الـوحـيـدُ لـتُـلـقى
تـبـعـاتُ الـهـوى عـلى كـتـفـيًّـا
إسـقـنـي من لَـمـاكَ أشـهى منَ الخـمـ
ـرِ ونم سـاعـةً عـلى راحـتـيًّـا
أنـا مـاضٍ غـداً مع الـفـجـر فـاسـكُب
نَـغَـمـاتِ الحَـنـان في أذُنـيًّـا[1]

سنة ١٩٢٥

****

(١) الهوى والشباب، ص: ٣٣ - ٣٤.

٩٥ - لكنهـــا آلام

أين من مـــقـــلـــتي الـــكـــرى يـــا ظلام
أنـــصف الـــلـــيل والخـــلـــيِّـــون نـــامـــوا(*)
مـــســـحت راحـــة الـــكـــرى أعـــين الـــنـــا
س فـــنـــامت ونـــام فـــيـــهـــا الـــغـــرام(١)(*)
فـــســـريـــر بـــربـه مـــطـــمـــئن
وســـريـــر بـــعـــبه نمّـــام
هـــكـــذا الـــنـــاس مـــنـــذ كـــانـــوا فـــقـــلب
مـــنـــهم بـــارد وقـــلـــب ضـــرام

يـــا نـــسـيم الـدجى الـلـطـيف احـتـمـلـني
ليَ عـــهـــد عـــنـــد الـــنـــســـيم لـــزام(*)
كـــلـــنـــا نـــاحلٌ فـــأنت بـــراك الـــلـه
لـــكن أنـــا بـــراني الـــســـقـــام(*)
احـــتـــمـــلْـــني تحـــملْ بـــقـــيـــة روح
تـــركَـــتْـــهـــا لـــشـــقـــوتي الأيـــام(*)

(١) أضيف في ديوان: شعر الأخطل الصغير، البيت التالي:
وأنـــا تـــذكـــر الـــضـــيـــاءَ عـــيـــوني
مـــثـــلـــمـــا يـــذكـــر الـــغـــصـــونَ الحـــمـــام

رمقٌ مـــثـــلـه تـــخـــيُّـــلكَ الـــوهـ

ـم وجـسم - حـاشـا المـضـاءَ - حـسـام(*)

يـــا نـــسـيم الـــدجى الـــلـــطـيف تـــنـــقلْ

بـي رويـــــداً فـــــالمـــــلْك في الآكـــــام(*)

ســـر ولا تـــخشَ قـــد حـــمـــلت خـــيـــالاً

فـــــيـه روح لـــــكـــــنـــــهـــــا آلام(١)

(١) البرق، حزيران ١٩٢٦، عدد: ٢٦٢٠، ص:١

- أضيف أيضاً البيت التالي:

يـــا نـــســـيم الـــدّجى الحـــريـــرَ تـــمـــوَّج!

أطـــيبُ المـــاءِ مـــا ســـقـــاه الـــغـــمـــام

(*) شعر الأخطل الصغير، «يا نسيم الدجى»، ص:٢٢٨-٢٢٩.

٩٦ - لبنان يرثي سعداً [١]

قـالـوا دهت مـصـر دهـيـاء فـقـلت لـهم
هل غـيّض الـنـيل أم هل زلـزل الـهـرمُ(*)
قـالـوا أشـد وأدهى، قـلت ويـحـكمُ
إذاً لـقـد مـات سـعـدٌ وانـطـوى الـعـلم(*)
لِمْ لا تـقـولـون إن الـعُـرْب قـاطـبـة
تـيـتـمـوا، كـان زغـلـول أبـاً لـهم(*)
لم لا تـقـولـون إن الـغـرب مـضـطـرب
لم لا تـقـولـون إن الـشـرق مـضـطـرم(*)
عـذرتـكم، كـان ملء الـكـون صـاحـبـكم
فـكـيف تـمـلأ أذن الـسـامع الـكـلم(*)
لـلـصـمت أبـلغ مـنـهـا وهُـو مـنـسـحق
والـدمع أفـعل مـنـهـا وهـو مـنـسـجم(*)

جـاء المحـبـون من قـبل فـمـا لأمـوا
وجـاء سـعـد فـشـمل الـشـرق مـلـتـئم(*)
يـطـوي الـضـلـوع عـلى جـرح إذا نـكـئت
إحـدى حـواشـيه عمَّ المـشـرق الألم(*)

(١) ألقاها الشاعر في الحفلة التأبينية التي أقيمت للمغفور له سعد باشا زغلول.

كـأن سـلـكـاً من الـكـهـراب يمـسـكه

سـعـد عـلى طـرفـيه الـعُـرْب والـعـجم

إنْ أنَّ أنَّتْ له بـــغـــداد وانـــخـــلـــعت

له دمـــشق وراح الـــبـــيت يـــلـــتـــطم

الـــقـــائل الحق لا تـــثـــني أعـــنـــته

والـــواحـــد الـــفـــرد في أثـــوابه أمم(*)

لـطف المـسـيح مـذاب في مـحـاجـره

وعـزم أحـمـد في جـنـبـيه يـحـتـدم(*)

صـلّى عـلـيه الـنـصـارى في كـنـائـسـهم

والمسلمون سعوا للقبر واستلموا(*)

المـؤمـنـون بـسـعـدٍ أين أبـصـرهم

والمـعـجـبـون بـسـعـد أين أين هم(*)

أفـري الـطـيـالس عـنـهم لا أشـاهـدهم

أبـري الـقلانس عـنـهم لا أحـسّـهم(*)

وأسـأل الحـفل عـنـهم لا يـجـاوبـني

كـأنمـا الحـفل في آذانه صـمم(*)

بـلى شـهـدتـهم والـنـقع مـعـتـكـر

والحق مـطّـلب والـثـغـر مـبـتـسم(*)

ورايـة الـوطن الـعـالي تـظـلّـهم

كـأنمـا حـضـنت أفـراخـهـا الـرخم(*)

روح تسيل مع الأنفاس إن خطبوا

وقد تسيل على القرضاب إن قحموا(*)

مصر وليس سوى مصر لهم أرب

إن تَشْقَ يشقوا وإن تنعم فقد نعموا(*)

سنّ الزعيم لهم نهجاً فما نكبوا

وعاهدوه فلم تخفر لهم ذمم

رجال مصر شفيعي إن عتبتكم

أن المحب لديكم ليس يُتهم(*)

إني أخاف عليكم في تحزبكم

أن تنصروا الخصم وهو الخصم والحكم(*)

تَخَاصمون على ضعف وخصمكم

وهو القوي ، عليكم ليس يختصم(*)

«الوفد» ينشد ما (الاحرار) تنشده

إذن فلِمْ هذه الأشياع والحزم

توحدوا باسم مصر في تجهمها

وطالعوا ثغر مصر كيف يبتسم(*)

سعد أرادكمُ حلفاً - فلا قسمت

أجزاؤكم - حبّ مصر ليس ينقسم(*)

سيروا - لكل أخي دنيا لبانته -

حتى إذا ما ربحتم مصر فاقتسموا(*)

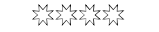

قـالـوا لـقـد عـقـمتْ مـصـر فـقـلت لـهم
لأمِّـكم دون مـصـر الـثـكل والـعـقم(*)
أمُّ الحـضـارة بل مـجـلى أشـعـتـهـا
يـوم الحـضـارة لم تـعـلق بـهـا رحم(*)
لـقـد جلاهـا لـنـا «الـوادي» مـنـضـرة
شـاخ الـشـبـاب، وأوهى قـرنه الـقـدم
تـقـهـقـرت دونـهـا الأيـام واجـفـة
فـهْي الـشـبـاب وتـلك الـشـيب والـهـرم(*)
وكـيـف تـعـقـم والأشـبـال حـافـزة
في نـفـسـهـا أمل في صـدرهـا ألم
وروح سـعـد ولـودٌ مـا انـتـمى شـمم
إلا إلـيه، وحـابى نـفـسه الـشـمم(*)(١)
يمـشي إلى حق مـصـر لا سلاح له
إلا هـوى مـصـر والإقـدام والـشـيم
شـرّ الـسلاح الـذي يـزري بـصـاحـبه
وخـيـره الحق والإقـنـاع والـقـلم

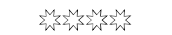

أوطـانـكم - وهي أعـراض مـطـهـرة -
فـخـبّـروا «الـقـوم» عـنـهـا أنـهـا حـرم
ولـقـنـونـا جـهـاد المخـلـصـين لـهـا
(فـإن أمـركم من أمـرنـا أمم)

(١) تاريخُ مصرٍ ولودٌ... شعر الأخطل الصغير، «سعد»، ص:٢٠٧.

من مـبـلغٌ مـصـر عـنـا مـا نـكـابـده

أن الـعـروبـة في مـا بـيـنـنـا ذمم(*)

ركـنـان لـلـضـاد لم تـفـصم عـرى لـهـمـا

هـم نـحـن إن رزئت يـومًـا ونـحـن هم(*)

في قـلـب لـبـنـان جـرح لا انـدمـال له

لـكـنه بـجـمـيل الـصـبـر يـعـتـصم(١)

****

(١) البرق، تشرين الأول ١٩٢٧، عدد: ٢٨٨٦، ص:١.

(*) شعر الأخطل الصغير، «سعد»، ص:٢٠٧.

٩٧ - إلى .....

يـــا وردة طـــابت وطـــبـــنـــا بـــهـــا

أيـــام نـــســـقـــيـــهـــا بمـــاء الـــعـــيـــونْ(*)

نـــحـــفظ بـــالأجـــفـــان أكـــمـــامـــهـــا

ونـــســـكب الأرواح تحت الجـــفـــون(*)

ونـــنـــفح الـــنـــاس بـــأعـــرافـــهـــا

فـــيـــعـــرف الـــفـــضل لـــنـــا الـــنـــاشـــقـــون(*)

ونـــلـــبس الأشـــعـــار من حـــســـنـــهـــا

مـــا شـــاءه إبـــداعـــنـــا أن يـــكـــون(*)

حـــتى إذا دان لـــهـــا في الـــهـــوى

من لم يَـــدِنْ وبـــايع المـــشـــركـــون(*)

ودارت الأكـــؤس في عـــرســـهـــا

يـــرشـــفـــهـــا الـــراوون والـــظـــامـــئـــون(*)

وكـــثـــرت دعـــوى الـــهـــوى فـــيـــهم

وحـــبَّـــذا لـــو صحَّ مـــا يـــدَّعـــون(*)

عُـــدنـــا إلى شـــيـــمـــتـــنـــا في الـــوفـــا

نـــحن نـــغـــنـــيـــهـــا وهم يـــشـــربـــون(*)

روحي فـــدى الـــوردة مـــهـــمـــا تَـــجُـــرْ

إنّـــا إلى الـــلـــه بـــهـــا راجـــعـــون(*)

نـــضـــمـــر مـــا تـــعـــلـــمه من هـــوى

لـــو أنـــهـــا تـــعـــلم مـــا يـــضـــمـــرون(١)

١٩٢٧

****

(١) البرق، أيار ١٩٣٠، عدد: ٣٣٦١، ص:٨

٩٨ - عاطفة صداقة وإجلال

أيطمع الداء أن يصدق
والله بالروح قد أمدكْ
يا صارماً في يد المعالي
سلها لمن ربها أعدك
مشيت للنصر مطمئناً
وقد جعلت القلوب جندك
أنفذت في الحادثات رأياً
الله الله ما أسدَّك
أمسيت لما انتهيت جمعاً
وكنت لما ابتدأت وحدك
كذا كذا فَلْتَكُ المبادي
فليَنسج الناسجون بعدك

يا بدر لبنان أي غيٍّ
أطلعت في ظلمتيه رشدك
يا جسره المشمخر، عفواً
أتطمع الريح أن تهدك
يا بحره المستساغ جزرًا
لِيَتَّقِ الجاهلون مدّك
يا فارساً في السباق جلى
خفف على اللاحقين وَخْدَك

(١) إلى سماحة الشيخ محمد الجسر - رئيس مجلس الأمة اللبناني.

قل لـلأُلى هـــــلـــــلـــــوا لـــــطه
وخـــالـــفـــوا في الـــســـداد قـــصـــدك
إنَّـــا لـــلـــبـــنـــان قـــبل عـــيـــسى
فـانـشـــر - لـكي نـسـتـظل - بَـنْـدَك

بـــايـــعـــتـه مـــدرهـــا حـــكـــيـــمـــاً
ولـم تـــخـن لـــلـــبلاد عـــهـــدك
ومن «كـــشـــارل» الـــعـــلى رئـــيس
يـــشـــد يـــوم الـــنـــضـــال زنـــدك[1]
في نـــصـــرة الحق والمـــعـــالي
وحـــدتـــمـــا جـــهـــده وجـــهـــدك
إن قـــيـــل حـــرب أوريت زنـــدك
أو قـــيـــل مـــال صـــعـــرت خـــدك

قـــالـــوا - ولم يـــرفـــقـــوا - مـــريض
وا حـــرقـــة الـــروح وهي عـــنـــدك
ألـــبـــســك الـــداء شـــر بُـــردٍ
يـــا لـــيـــتـــني قـــد لـــبـــست بـــردك
حـــتى الألى أعـــلـــنـــوا عـــداء
رأيـــتـــهم يـــضـــمـــرون ودك

عـــوفـــيت لـــلـــمـــجـــد يـــا حـــســـامـــاً
رصـــعت المـــكـــرمـــات غـــمـــدك
أحـــيـــيت خـــيـــر الجـــدود جـــدّك
وزنت خـــيـــر الـــبـــنـــين ولـــدك[2]

****

(١) شارل دباس.
(٢) البرق، آذار ١٩٢٩، عدد: ٣١٩٨، ص:١.

٩٩ - إلـى روح فوزي المعلوف
فقيد الأدب والشبـاب

عـــجـــبـــوا أن يمـــوتَ في ريّق الـــعـــمـ
ـــر ويـطـوي كـالـبـرق سِـفـرَ حـيـاتهْ
أهـــو الـــعـــمـــر مـــا نُـــعـــدُّ له الأَيْ
يـــامَ بـــالـــشـــهي من ثـــمـــراته
غـــايـــة الـــســـابق الجـــواد من الـــدنـ
ـــيـا بـلـوغ الـبـعـيـد من غـايـاته
مـــا عـــلـــيه إن جـــازهـــا وكـــفـــته
وثـــبـــة في الـــســـبـــاق من وثـــبـــاته

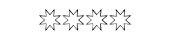

أيـلام الـــــــورد الجـــــــنـيّ إذا جفْ
فَ رحـــيـق الجـــمـــال في وجـــنـــاته
وإذا كـــان عـــمـــره بـــعضَ يـــوم
وتـــمـــشَّى الـــذبـــولُ في ورقـــاته
غـــايـــة الـــورد أن يـــضـــمخ هـــذا الـ
ـــجـــوَّ بـالمـســتـحب من نـفـحـاته
مـــا عـــلـــيه إن جـــاز غـــايـــته الـــقـــصـ
ـــوى وعـــدَّ الـــزمـــان من ســـاعـــاته

أفـــذنب الـــهـــزار أن هـــامت الأقـ

ـــفـــاص بـــالـــســـاحـــرات من آيـــاته

تـــوقظُ الـــروض من كَـــراه وتجـــلـــو

بـــســـمـــات الـــضـــحى عـــلى زهـــراته

غـــايـــة الـــطـــائـــر المـــغـــرد من دنـ

ـــيـــاه أنـــشـــودة عـــلى هـــضـــبـــاته

مـــا عـــلـــيه إذا تـــعـــجل في الـــشـــد

وِ وروّى الخـــلـــود من نـــغـــمـــاته

عُـــطّل الـــسّـــبقُ بـــعـــد فـــوزي وجف الـ

ـــعـــطـــرُ من بـــعـــد طـــرسه ودواته

وتـــعـــرَّى روضُ الـــبـــيـــان من الـــســـجْـ

ـعِ وجـــاس الخـــريفُ في جـــنـــبـــاته[1]

✱✱✱✱

(١) البرق،شباط ١٩٣٠، عدد: ٣٣٣٤، ص:١

- الهوى والشباب، «الشباب الذاوي»، ص:١٦٩-١٧٠

- شعر الأخطل الصغير، «غاية الورد»، ص:٢٦٢.

١٠٠- رثاء فوزي الغزي

كـفـنـوا الـشـمس بـريـحـانٍ وَوَرسِ
يـا لَـشـمس آذنت من عـبـد شـمسِ(*)
وانـضـحـوا من دمـعـة الـيـوم عـلى
سُـجُف الـنـعش ومن عـزّة أمس(*)
لا يـثـور المجـد في أعـراقـهـا
أمـة تـغـدو عـلى الـنـوح وتـمـسي(*)
زيّن المـوت لأبـطـال الـوغى
مُـجـتـلى الأرزاء في أثـواب عـرس(*)
سـائـل الإفـرنج عن أنـصـابـهم
مـذ جـلـوهـا لـلـملا كـعـبـة قـدس
كـعـبـة حـجت لـهـا أملاكـهم
خـاشـعـات الـقـلب مَـحْـنـيّـات رأس
ذلـلـوا الـتـبـر عـلى أعـتـابـهـا
وأهـانـوا عـنـدهـا غـالي الـدمـقس
يـخـطب المـدفع في مـحـفـلـهـا
طـاهـر الألـفـاظ مـعـسـول الـتـأسي(*)
خـاب من شـيـد حـريـته
دون أن يـدعم ركـنـيـهـا بـرمس(*)
مـهـروهـا أنـفـسـاً غـالـيـة
لا بـأحـلامٍ وأقـلامٍ وطـرس

دخل الـــغـــيل عـــلى رئـــبـــاله

زمن نـــذل أخـــو مـــكـــرٍ ودس(*)

لـــبس الـــبـــرء إلى أحـــشـــائه

وطلا مِـــرشَـــفَه المـــرَّ بـــدبس(*)

أســـرع المـــوت إلى صـــاحـــبه

حـــمـــة الأفـــعى عـــلى لـــين المجس(*)

وهْـــو لـــو ريم عـــلى ســـاح الـــوغى

لـــفـــداه من مـــعـــد كل حِـــلس(*)

ومـــشى مـــروان في تـــثـــآره

بـشـبـاب صـادقي الـعـزمـات حُـمْس(*)

رفـعـوا المُـلْك عـلى حـد الـظُّـبى

وأحـاطـوه من الـعـلم بـأُسّ(*)

لا يـبـالـون أزانـوا نـحـره

بـإمـامٍ ألمـعيٍّ أو بـقسّ(*)

طـلـعـوا والـدهـر في روعـته

والـهـدى مـا بـين تـهـطـال وبَـجْس(*)

فـاسـتـبـاحـوا كل مـاضٍ حـسـنه

ومـشـوا مـنه إلى الآتي بـقـبْس(*)

☆☆☆☆☆

أي أبـا الـدسـتـور لـو عـشت له

فـهْـو لا يـبـرح في أسـر وحـبس(*)

غـرسك المحـبـوب مَن يُـرجـعُه

نـاضـرَ الأوراق إن حـال لِـيَـبس(*)

هـــو إحـــســـاس نـــفـــوس حـــرّة
أيـــريـــدون نـــفـــوســـاً دون حس
لا يـــغـــرن ســـعـــيـــدًا يـــومه
فـلـقـد يـصـبـحه يـوم بـنـحس
لـــيت شـــعـــري مـــا الـــذي تحـــذره
أمـــــة ذات أســـــاطـــــيل وبـــــأس
حـــبـــذا الإحـــســـان لـــو تـــزرعه
لجـــنت من كل ســـوريٍّ فـــرنـــسي

قل أبـــا خـــلـــدون.. كم من خـــطـــبـــة
صـــــكت الآذان من أفـــــواه خـــــرْس
ولَـــكَمْ مـــيت عـــلى مـــظـــلـــمـــة
كـــــتـــب الـــــدرس بـه أبـــــلغ درس
ولـــكم حـــلم عـــلى مـــســـتـــضـــعف
كـــمـــســـيل المـــاء في ذابل غـــرس
ويـح خـــلـــــدونك لم يـــــبق لـه
بـــعـــد ثـــدي الحب إلا ثـــدي بـــؤس
يـلـبس الـيُـتـمـين، بـعـداً لـهـمـا
وتـــهي كـــفّـــاه إن همّ بـــلـــبس
تـــسع الـــرحـــمـــة أوزار الـــورى
والـــنـــجـــار الحـــر والأرحـــام تـــنـــسي
تـــدفع الخـــطب ولـــكن إن وهت
قـبـضـة الـدافع فـالـتـقـوى الـتـأسي

نم أبـــا خـــلـــدون عن أوصـــابـــهـــا
فـلـــقـــد أيـــقـــظت فـــيـــهم كل نـــدس
مـــا بـــكت أمٌّ عـــلـــى واحـــدهـــا
عـــصف المـــوت به لـــيـــلـــة عـــرس(*)
مـــثل مـــبـــكـــاهم ولا إرنـــانـــهم
عـــنـــدمـــا لـــوّح نـــاعـــيك بـــيـــأس(*)
خـــرجـــوا بـــالـــنـــعش في ذروته
عـــربي يـــصـــدع الـــشـــمس بـــشـــمس(*)
يـــــا له من عَـــــلَمٍ في عَـــــلَمٍ
يـــتـــهـــادى بـــين تـــقـــبـــيل ولمس(*)

أيـــهـــا الـــبـــاعث من أمـــتـه
أمـــة تـــمـــخـــر في المجـــد وتـــرسي(*)
المـــنـــارات الـــهـــدى من هـــاشم
والـــذؤابـــات الـــعـــلى من عـــبـــد شـــمس
لم يُـــعـــبْـــهـــا قـــدر حطَّ بـــهـــا
فـــلـــقـــد حط بـــيـــونـــانٍ وفـــرس
يـــعـــذر الـــضـــعف عـــلى علاته
غـــيـــر أني لا أرى عـــذراً لـــنـــكس
آلـــة المـــلْك جـــهـــاد أبـــلـج
وظُـــبىً حـــمـــر وشـــعب غـــيـــر نـــكس
نـــســـج الـــديـن له في أمـــســه
ونـــســـيـج الـــيـــوم من مـــال وجـــنس

الأمـــاني الـــتي افـــتـــرَّت لـــنـــا
بـــدّلت أبـــيـــضـــهـــا الـــزاهي بـــنـــقس
والجـــراحـــات الـــتي تحـــمـــلـــهـــا
بـــسَـــمَـــات الـــهـــزء من أمـــال أمس
كم حـــشـــوا أذنـــاً بـــوعـــد كـــاذب
مـــثـــلـــمـــا يُـــحـــشى فم المـيت بـــبـــرس
ورأيـــنـــا حَـــمَـــلاً لـــكـــنـــمـــا
كـــشف الـــتـــجـــريب عن أهـــرت طـــلس
نـــكـــبـــوا (المـــصـــلـــوب) في مـــوطـــنه
ورمـــوا خـــمـــســـته الـــقـــرحى بـــخـــمس
زعـــمـــــوا إنـــــقـــــاذه حـــــتى إذا
زغـــرد الـــنـــاقـــوس بـــاعـــوه بـــفـــلس

طـــــــبت وادي بـــــــــردى مـن أفـق
طـــــهـــــرت أرواحـه مـن كـل رجـس(*)
يـــســـبـح الـــنـــور عـــلى أرجـــائه
ويـــفـــيض الحق من يـــنـــبـــوع قـــدس(*)
جـــنـــة الـــدنـــيـــا ومـــا حـــفَّت بمـــا
يـــكـــره الحـــرّ ولا ســـيـــغت لجـــبس
يـــضـــحك المـــاء عـــلى حـــصـــبـــانـــهـــا
ضـــحك الأطـــفـــال في مـــوجـــة أنس(*)
ويمـــيس الـــبـــان في ضـــفّـــاتـــهـــا
أتـــرى طـــاف به الـــســـاقي بـــكـــأس(*)

أهـي الـــوردة شـــقّت كـــمّـــهـــا
لـلـنـدى، أم شـفـة هـمّت بـهـمس(*)
تـــنـــبت الحـــسن عـــلى ألـــوانه
وتـــقـــيه من مـــروءات بـــتـــرس(*)
هـي في الـــســـلم عـــروس وهـي في
غـيـره لـيـست سـوى نـاب وضـرس
تحـسب الـصـعـلـوك من فـتـيـانـهـا
كـســـرويـــاً يـــزدهي تحت الـــدرفس
أمـــة لـــلـــحق بـــاعت نـــفـــســـهـــا
لم تـبـؤ من صـفـقـة المجـد بـوكس
حَـــنّتِ الـــشـــام إلى أخـــطـــلـــهـــا
وذوى مـــنـــبـــرهـــا من بـــعـــد قُسّ
لـلـكـرام الـصِّـيـد سـالت أنـفس
في مـغـانـيـهـا فـهل تجـمـد نـفـسي؟(*)(١)

****

(١) البرق، تموز ١٩٣٠، عدد: ٣٣٦٨، ص: ٩
(*) شعر الأخطل الصغير، «كفنوا الشمس»، ص:٢٩٤-٢٩٦، بترتيب مختلف.

١٠١ - شاعر يتركُ الخيال كسيحاً [١]

بـــالـــعَـــصـــيَّـــين دمـــعـه وبـــيـــانِهْ
لا تَـــلُمْ شـــاعـــراً عـــلى خـــذلانهْ
بـــعـــدَ «فـــيَّـــاض» جفَّ في جـــفـــنـه الـــدمـ
ـعُ ولُفَّ الـــبـــيـــانُ في أكـــفـــانِه
وخَـــبـــا كلُّ ســـاطعٍ في ســـمـــاهُ
وذوى كلُّ زاهـــرٍ في جِـــنـــانـه
هـــبـــةٌ من مـــواهب الـــلـه لـــلـــضّـــا
د ونُـــعـــمى حـــلَّتْ عـــلى «لُـــبـــنـــانه»[*]
بَـــسَـــمـــاتٌ عـــلى شـــفـــاه الحـــزانى
ومُـــدامٌ طـــافت عـــلى نُـــدمـــانِهْ[*]
وشـــهـــابٌ أضـــاء في أفُقِ الـــشِّـــعـ
ـــر فَـــسِـــرنـــا به عـــلى لَـــمـــعَـــانه
جـــمع الأحْـــسَـــنَـــيْنِ في أوزانه
روحَ حـــسَّـــانِهِ ووجهَ حِـــسَـــانِه
وكـــســـا الأرزَ حـــالـــيـــاتِ قـــوافـــيـ
ـهِ وغـــنَّى الـــهـــوى عـــلى قُـــضـــبـــانه[*]
شـــاعـــرٌ يـــتـــرُكُ الخـــيـــالَ كـــسـيـحـاً
خـــلـــفَهُ إذ يـــجـــدُّ في طَـــيَـــرانِه

(١) ألقيت في الحفلة التأبينية التي أقيمت للشاعر الياس فياض في كانون الأول١٩٣٠.

أنـشَـدَ الـنِّـيلَ سـاحِـراتِ لـيـالـيـ[1]
ـهِ وألـقى الـنَّـجُـومَ في أحـضـانه
كَـبَـنـاتِ المُـلـوك يـرقُـصنَ في المَـا
ءِ عـلـى المُـسْـكـراتِ مِنْ ألحـانه
يَـتَـمَـنَّـيْنَ لـو جُـعِـلْنَ حُـلـيّـاً
في يَـديَه أو حـكـمـةً في لـسـانه[*]
ولـقـد خـالَهُ الـنـخـيلُ عـلى الـبُـعـ
ـدِ رسُـولَ الـدُّهُـور منْ كُـهَّـانه
يـضـرب الـيَمَّ بـالمجـاذيفِ حـتَّى
تَـتَـشَـظَّى فـكَّـاهُ عَن أسـنـانِه
فـانـبـرى يـحـملُ الأكـالـيلَ في الـهـا
مِ وحـيَّـا بـراحه وبـنـانه

حـفظ الـلهُ مُـهـجـةَ الـشِّـعـر في الـشَّـرْ
قِ ووقَّـاه عـاديـاتِ زمـانه[*]
كـانَ ريـحـانَـةَ المـنَـاذِرةِ الـغُـرْ
ـرِ وراحَ الأرواح في غـسَّـانه[*]
مـا زَهـا مـفـرقٌ بـتـاجٍ إذا لمْ
يـزْهُ بـالخـالـداتِ مِنْ تـيـجـانه[*]
حلَّ في ذُروةِ الـعـروبـة حـتى
حـضَـنَـتـهُ الآيـاتُ من قُـرآنه[*]
يَـتَـمَشى حـيـنـاً عـلى الـوتـر الـشَّـا
دي وحـيـنـاً عـلى شـبـا مُـرّانه[*]

(١) إشارة إلى قصيدته «ليالي الصيف في مصر».

وأحـــــايـــــينَ في لمى غُـــــزلانه
وأحـــايـــينَ في لـــهـــا فُـــرسـانه(*)
يـــتـــمـــنى المُـــلُـــوكُ لـــو أنـــعَمَ الـــلهُ
عـــلـــيـــهم بـــســـكـــرةٍ في حـــانه(*)
لـــيتَ شـــعـــري مـــاذا أســـاء إلى الأيْ
يَـــام حـــتـــى أمـــعَنَّ في عُـــدوانه(*)
فـــهـــوى من ســـمـــائه كـــاسف الـــلّـــو
نِ إلى هُـــوَّة الـــشَّـــقـــا وهـــوانه(*)
كُـــلَّـــمـــا همَّ أن يُـــطـــأطئ لـــلـــدَّهـ
ـــرِ ثـــنـــاهُ الـــعـــريقُ مِنْ عُـــنـــفُـــوانه(*)
مُـــؤثـــرٌ أن يمـــوتَ في كُـــوخه الـــفـــا
ني عـــلى الـــبـــاقـــيـــات مِنْ ديـــوانه(*)
يـــحـــملُ الإبـــتـــســـامَ في شَـــفَـــتَـــيه
والمـــنـــايـــا تـــســـيلُ من أردانه
كـــســـراجٍ في جـــوفِ دَيـــرٍ قـــديمٍ
هُـــرقَتْ رُوحُـــهُ عـــلـــى جُـــدرانه(*)
يـشـهقُ الـشَّـهـقـةَ الـخـفـيـفـةَ في الـفـجـ
ـــر ويُـــفـــني أنـــفـــاسَهُ بـــدُخـــانه(*)
كـــعـــلـــيلٍ عـــلـــى فـــراشٍ مِنَ الـــسُّلْ
لِ بَـــعـــيـــدِ المـــزار عن إخـــوانه
كـــلّـــمـــا ألحفَ الـــسُّـــعـــال عـــلـــيه
أطـــعَمَ المـــوتَ قـــطـــعـــةً مِنْ جَـــنـــانه

أيـــهـــا الجـــدولُ الـــوديعُ الَّـــذي يَـــنـ
ـــشـــرُ ســـرَّ الحـــيـــاةِ في جَـــرَيـــانه(*)

أيـــهـــا المـــدمَعُ الحـــنـــونُ الـــذي لـــو
لاهُ مـــا افـــتـــرّ مَـــبـــسمٌ عن جُـــمـــانِه(*)
أيـــهـــا المُـــنـــشـــد الـــكـــئـــيبُ الـــذي تـــسـ
ـــمـــرُ زُهـــرُ الـــدُّجى عـــلى تَـــحـــنـــانِه
أمِنَ الـــعـــدلِ أن تُـــعَـــفَّـــرَ في الـــتُّـــر
بِ ويـــزهـــو وردٌ عـــلى أغـــصـــانِه؟
أمِنَ الـــعـــدلِ أن تَـــنَـــامَ عـــلى الـــصَّـــخـ
ـرِ ويـــغـــفـــو قـــطـــرٌ عـــلى ريـــحـــانِه؟
أمِنَ الـــعـــدل أن تـــنـــوحَ عـــلى الـــعُـــشـ
ـبِ ويـــشـــدو طـــيـــرٌ عـــلى أوكـــانه؟
هـــكـــذا الـــشـــاعـــرُ الـــشـــقيُّ، يُـــغـــنِّي
فـــيُـــغـــذِّي الأفـــراحَ منْ أحـــزانه

يـــا ضـــريحَ الحـــبـــيبِ لم يـــبقَ لي دمـ
ـعٌ فـــأســـقي ثـــراكَ من هـــتَّـــانِه
كـــنتُ إن جفَّ مـــدمـــعي في جُـــفُـــوني
أســـتـــعـــيـــرُ الـــدُّمـــوعَ من أجـــفـــانه(*)(١)

(*) البرق، كانون الأول١٩٣٠، عدد: ٣٣٨٦، ص:٥ -٦.
- الهوى والشباب «شاعر، يترك الخيال كسيحا»، ص:١٧١ -١٧٤.

١٠٢ - عُـمـر ونُعـم[١]

أخـــاكَ يـــا شـــعـــرُ فـــهـــذا عُـــمَـــرُ
وهـــــذه «نُـــعْـمٌ» وتـــلكَ الـــذِّكَـــرُ[*]
لـــوحـــان من فـــجـــر الـــصِّـــبـــا ووردِه
غـــذَّاهُـــمـــا قـــلبٌ وروّى مـــحـــجـــر[*]
يـــخـــتـــالُ مِنْ نـــشـــوَته تحـــتـــهـــمـــا
مـــا غـــرَّدا عُـــودُ الـــشَّـــبـــابِ الأخـــضـــر
فـــرخـــان في وكـــرٍ تـــلاقى جـــانحٌ
وجـــانحٌ ومـــنـــقَـــرٌ ومِـــنـــقـــر[*]
يـــخـــتـــلسُ الـــقُـــبـــلـــةَ من مَـــبـــسِـــمِـــهـــا
هل تـــعـــرفُ الـــعُـــصـــفـــورَ كـــيفَ يـــنـــقُـــر؟[*]
وهـــو إذا أمـــعَنَ في ارتـــشـــافـــهـــا
عـــلَّـــمـــنـــا كـــيفَ يـــذوبُ الـــسُّـــكَّـــر[*]
رســـالـــةٌ مِنْ فـــمـــهِ لـــفَـــمـــهـــا
كـــذا رســـالاتُ الـــهـــوى تُـــخـــتـــصَـــر[*]

☆☆☆☆☆

إيهٍ أبـــا الخـــطّـــاب[٢] مـــا أحـــلـــى الـــهـــوى
تَـــنـــظِمُ منْ نَـــوَّارِهِ وتَـــنـــثُـــر[*]

---

(١) ألقاها الشاعر بشارة الخوري في حفلة تهذيب الشبيبة في ٢٣ أيار ١٩٣١ وقد أبدى الشعراء والأدباء إعجابهم بها، نذكر على سبيل المثل ما ورد في رسالة الشاعر بدوي الجبل «الله أكبر ، ما هذا يا رجل» والله ، لم ينظم في العربية كقصيدتك هذه، لا أستثني شاعراً، ولا أستثني شعراً، لا في قديم التاريخ واللغة ولا في حديثهما»، انظر نص الرسالة وصورتها في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير». صدر بمناسبة الدورة السادسة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، بيروت، ١٩٩٨.

(٢) أبوالخطاب كنية عمر بن أبي ربيعة.

فَـــبَـــعـــضُهُ يـــحـــلُمُ في أوراقِه
وبـعـضُهُ عـلى الـرُّبى مُـبَـعـثَـر(*)
مـلأتَ أُفـق الحُبِّ عـــطـــراً وســـنىً
وصُـــوراً لـــلـــوحي فـيـهـا سُـور(*)
ألجَّـــنـــةُ الـــزَّهـــراء مـــا تـــرسـمُهُ
والخـمـرةُ الـعـذراءُ مـا تَـعـتـصـر(*)
والـنَّـغمُ الخـالـدُ مـا تُـنـشـدُهُ
والمـثلُ الـشَّـاردُ مـا تَـبـتَـكـر(*)
الـطّـربُ الـسَّـمحُ إذا دارت طلا
أوْ سـبَقٌ فـالـشَّـاعـرُ المُـغَـبِّـر(*)
حـلِّق ولا تَـحـفل أأزرى حـاسـدٌ
أو انـبـرى لحَـتـفه شُـوَيـعـر(*)
عـابَ عـلى الـبُـلـبلِ مـا يـطـرحُهُ
من ريـشه وهـو بـه يـأتـزر(*)

قُل لي: بـنُـعمٍ وبـأتـراب لـهـا
يـلـعَـبنَ مـا شـاء الـصِّـبـا والأشَـر(*)
لـيـلـةُ ذي دَوْرانَ[1] هل كـانت كـمـا
حَـدَّثتَ أم أخـيـلـةٌ وصُـوَر(*)
وَ«نُـعمُ» هَلْ كـانت كـمـا صَـوَّرتَ أم
بـالغَ في تـلـويـنـهـا المُـصَـوِّر(*)
وذلكَ «المِـجَـنُّ»؟.. مـا أوهَـنَهُ
يـكـادُ من رقَّـتـهِ يَـنـتَـثـر(*)

(١) ذو دوران المكان الذي يشير إليه عمر في قصيدته بقوله:

ولـيـلـة ذي دوران جـشـمـني الـسـرى
وقـد يـجـشم الـهـول المحب المـغـرر

يـــا لـــلـــمـــنـى أعنْ يَـــمـــينٍ كـــاعبٌ
وعَن شـــمـــالٍ كـــاعبٌ ومُـــعْـــصـــر(*)(١)

فَـــمِنْ هُـــنـــا حـــيثُ تـــنـــدَّى الـــزَّهـــر
وَمِنْ هُـــنـــا حـــيثُ تـــدلَّى الـــثَّـــمَـــر(*)

وأنتَ لا تـــألـــو دُعـــابـــاً في الـــهـــوى
شمٌّ وتـــقـــبـــيلٌ وأشـــيـــا أُخـــر(*)

قـــالـــوا الحِـــجـــازُ مُـــجـــدِبٌ لَـــمَّـــا عـــمُـــوا
وَ«نُـــعـــمُ» فـــيـــه روضـــةٌ ونَـــهَـــر(*)

إن زقَّتِ الـــعـــودَ أنـــاشـــيـــدَ الـــهـــوى
حنَّ لـــهـــا الـــعـــودُ وجُنَّ الـــوتـــر(*)

أو صـــفَّـــقت لـــلَّـــهـــوِ في أتـــرابـــهـــا
مـــاجَ لـــهـــا الـــوادي وغـــنَّى الـــشَّـــجـــر(*)

الحُبُّ مـــذبـــوحٌ عـــلـــى أقـــدامـــهـــا
والحـــسنُ في ألحـــاظـــهـــا يُـــكَـــبِّـــر(*)

تـــعَـــرَّتِ الـــشَّـــمسُ عـــلـى وجـــنَـــتـــهـــا
وانـــشقَّ - لَـــو تَـــعـــلـمُ أينَ - الـــقـــمَـــر(*)

الـــعِـــنَبُ الأحـــمـــرُ مـــســـفُـــوحٌ عـــلـى
شَـــفَـــتِـــهـــا، مـــا الأَقـــحـــوانُ الأصـــفَـــرُ؟!(*)

والـــوردةُ الـــبـــيـــضـــاءُ أو قُلْ نَـــهـــدُهـــا
كـــأنـــهُ مِنْ خُـــيَـــلاءٍ يَـــســـكـــر(*)

---

١ - إشارة إلى قول عمر:

وكـــان مـــجـــني دون من كـــنت أتـــقي
ثلاث شـــخـــوص كـــاعـــبـــان ومـــعـــصـــر

مِن ثـمـر الـفـرصـاد في ذُروتِه الـرَّيَّـا
نـةِ المـعـطـارِ «كِـبشٌ» أحـمـر(*)
أو أنَّـهُ رأسُ مـلاكٍ أشـقـرِ
يـحـمـلُهُ صـدرٌ حـنـونُ أشـقـر(*)
دَغـدغهُ أخـو هـوىً فـمَـدَّ من
لـسـانه وراحَ شـهـداً يـقـطُـر(*)

رِفـقـاً أبـا الخـطَّـاب.. جـاوزتَ المُـنى
فـهلْ تـرى في الأُفق تـاجـاً يُـضـفَـر(*)
أشـرِف من الـذُّروة.. كم في سـفـحـهـا
لـلـطَّـيـر مِنْ أجـنـحـةٍ تـكـسَّـر...(*)
ثلاثـةٌ مـا عـشتَ عـاشت لـلـعُـلى
ألحُبّ ثُمَّ الـشِّـعـرُ ثُمَّ المِـنـبـر(*)
لـولاكَ والـشِّـعـرُ الـذي أبـدعـتَهُ
مـا نُـعـمُ، مـا دورانُ، إلا أثـر(*)
لـولا «جـمـيلٌ» لم تـكن «بُـثـيـنـةٌ»
ولم تـكن عـبـلـةُ لـولا عـنـتـر(١)
مـا الحُـسنُ لـولا الـشِّـعـرُ إلا زهـرةٌ
يـلـهـو بـهـا في لحـظـتـين الـنَّـظـر(*)
لـكـنـهـا إن أدركـتـهـا رقّـةٌ
من شـاعـرٍ أو دمـعـةٌ تـنـحـدر(*)
سـالت دمـاء الخُـلـد في أوراقـهـا
ونـام تحت قـدمـيـهـا الـقـمـر(*)

١ - جميل الشاعر العذري المشهور وحبيبته بثينة وقد شُهرت به.

فـاعـجب لِـذِي حُـسنٍ يُـجـافي شـاعـراً
يـشـقى عـلى تـخـلـيـدهِ ويـنـفُـر
والـشـعـرُ روحُ الـلـه في شـاعِـره
ذلك يُـوحـيه وهـذا يَـنـشُـر(*)
غـذاؤُهُ الأخلاق في بُـرعُـمـهـا
ومـاؤُهُ مـاء الحـيـاءِ الأطـهـر
ألحـكـمـة الـغـرَّاء من أسـمـائه
وعَـدْنُ من أوطـانه وعـبـقـر(*)
لـهُ عـلـى الآفـاق فـتـحٌ زاهـرٌ
وفي عُـبـاب المـاء فـتـحٌ أزهـر(*)
يُـمـضـيـهـمـا مـنه خـيـالٌ مـاردٌ
أبـو الـفُـتُـوحـات الـذي لا يُـقـهـر(*)
تـعـلَّق الـعـلـم عـلـى أسـبـابه
فـحـلَّقَ الـطَّـودُ وقـال الحـجـر

لـو أنـصفَ الـشِّـعـر وقـد فـجَّـرته
جـداولاً يـسـطَعُ مـنـهـا الـشَّـرر(*)
تُـجـذِّفُ الأحلامُ في ألـواحه
ويـتـعـرَّى عـنـدهُنَّ الـسَّـحَـر(*)
لـو أنـصف الـشِّـعـرُ لـكـنتَ قُـبـلـةً
مـعـسُـولـةً في ثَـغـره يـا عُـمـر(*)
أو أنـصَـفَتْ «نُـعْمُ» وقـد أبـرزتـهـا
لـلـفـتـنـةِ الـكـبـرى مـثـالاً يُـؤثَـرُ(*)

في بـدعـةٍ لـلـشِّـعـر لم يَـحـلـم بـهـا
«قـيسٌ» ولم يـنـهـد لـهـا كُـثـيِّـر(*)(١)
تـداولـتـهـا هـضـبـةٌ فـهَـضـبـةٌ
ونـاوَلـتـهـا لـلـخُـلُـود الأعـصُـر(*)
لـو أنـصـفَتْ لـكَـشَـفَتْ عن صـدرِهـا
تـوَدُّ لـو تُـطـبَـعُ تـلكَ الأسـطـر(*)
وصَـفّـقت «لِـعُـمَـرٍ» قـائـلـةً
بـنـاظـري الأسـودِ هـذا الأسـمَـر(*)(٢)
سنة ١٩٣١

****

(١) «قيس» مجنون ليلى، و«كثير» ويعرف بكثير عزة شاعر معروف.
(٢) البرق، حزيران ١٩٣١، عدد: ٣٣٧٩، ص: ٧.
- الهوى والشباب، ص:١٣٥-١٤٠ .
(*) شعر الأخطل الصغير، ص:١٣٠، بحذف وبترتيب مختلف.

١٠٣ - زحلــة[١]

يـــا زَحلَ كم من شـــاعـــرٍ لك عـــاشقٍ
لـــولا الـــذي تـــوحـــين لم يكُ شـــاعـــرا
أســـرفتِ في فـــتَن الجـــمـــال كـــأنَّـــمـــا
تَـــخـــذَ الجـــمـــال عـــلى ذراك مـــنـــابـــرا
والـــنـــهـــرُ روحُ الـــعـــاشـــقـــينَ ودَمـــعُـــهُم
مُـــلـــقىً عـــلى قـــدمـــيكِ يـــلـــهث خـــائـــرا
ســـالت جـــراحـــاتُ الـــهـــوى في صـــدره
لـــيلاً فـــقـــبَّـــلـــهـــا الـــنَّـــســـيمُ مـــحـــاذرا
و «الـــســـهلُ»[٢] يـــحـــلُمُ مـــنـــذُ كـــان بـــزورةٍ
لـــبسَ الحُـــليَّ لـــهـــا نـــدىً وأزاهـــرا
لـــو كـــان يُـــمـــكـــنُـــهـــا الـــرُّبى لَـــتَـــســـابـــقَتْ
لأعـــزِّهـــا تـــســـعى إلـــيك حـــواســـرا
وتـــقـــطَّـــعت خُـــصلُ الحـــســـان ونُـــشِّـــرت
بـــدل الـــكُـــرُوم عـــلى الـــتِلال غـــدائـــرا

☆☆☆☆☆

قل لـلأُلى أحـــبـــبـــتُ زحـــلـــةَ فـــيـــهم
أنـــا لا أزال لـــهم مُـــحـــبًّـــا ذاكـــرا
لَـــبَـــكَـــيـــتُـــهم لـــو كـــنتُ أملكُ أدمُـــعـــاً
وعـــطـــفـــتُـــهمُ لـــو كـــنتُ أعـــطفُ هـــاجـــرا

---

(١) في جلسة على الوادي بين إخوان الصفاء.
(٢) سهل البقاع.

يَـتَـمَـثَّلُ الأمسُ الـبـعـيـدُ لخـاطـري
فـــأكـــادُ أرشُـــفُهُ لمىً ومـــحـــاجـــرا
إن الـــسِّـــنـــينَ دقـــائـقٌ لمُـــتَـــيَّمٍ
ذكـــروا لـه المـــاضي فـــملَّ الحـــاضـــرا

☆☆☆☆☆

يـــا جـــنَّـــةَ الـــدُّنـــيـــا وسَـــيِّـــدة الـــرُّبى
هـــذا رســـولُ الـــشِـــعـــرِ جـــاءك زائـــرا
إن شـــئت شَقَّ من الـــرِّيـــاض صـــحـــائـــفـــاً
وأصـــــاب من أزهـــــارهنَّ مـــــحـــــابـــــرا
وأذاب ذرَّات الـــضِّـــيـــاء قـــصـــائـــداً
حـــتى تـــكـــون لِـــمِـــعـــصَـــمَـــيكِ أســـاورا
هل تـــنـــبـــتـــين ســـوى الـــنِّـــســـاءِ خـــوافـــراً
أو تُـــطـــلـــعـــينَ ســـوى الـــرِّجـــال مـــفـــاخـــرا
إن رقَّ شـــعـــرٌ كـــنتِ بـــيتَ قـــصـــيـــده
أو راق وجهٌ كـــنتِ فـــيـــه الـــنَّـــاظـــرا[1]
١٩٣١

✱✱✱✱

(١) البرق، حزيران١٩٣١، عدد: ٣٣٧٩، ص: ١٦.
- الهوى والشباب، ص:١١٣، ذكر الشاعر خطأ أنها نشرت سنة ١٩٣٢.
- شعر الأخطل الصغير، ص:٢٠٥، بترتيب مختلف وحذف وإضافة.

١٠٤ - عفواً أبا الأملاك[١]

عـــــفـــــواً أبـــــا الأملاك مـن هـــــاشم
وغـــــرة الأقـــــيـــــال من يـــــعـــــربِ
أفـي ثـلاث دون مـــــدّ الـــــقـــــنـــــا
يـجـــتـــرئ الـشـــعـــر عـــلى ابن الـــنـــبي
ولـــــــست أرضـــــــاه لـه إن أنـــــــا
لـم أنـــظم الـــكـــوكب بـــالـــكـــوكب
ودون مـــــا أبـــــغـــــيه مـن شـــــأوه
تـــكـــبـــو به خـــيل أبي الـــطـــيب
أقـــول لـــلـــزهـــر عـــلى نـــعـــشه
مـــا أعـــلق الـــطـــيب بـــالـــطـــيب
ولـــعـــيـــون المجـــد من بـــعـــده
لم يـــبق من تـــبـــكـــيـــنه فـــانـــضـــبي
فـخـــراً فـلـــسـطـــين حـــبـتك الـــعـلى
أروع مـــــا حـــــاكت يـــــد الأحـــــقب
ضـــيـــفك ضـــيف الـــلـه في بـــيـــته
وحـــجـــة الـــشـــرق عـــلى المـــغـــرب

(١) قصيدة رثى فيها الملك حسين بن علي نزولاً عند طلب رئيس المجلس الإسلامي ولم تصله رسالة الرئيس إلا قبل ثلاثة أيام من حفلة التأبين.

أبـــا عـــلي راحـــة في الـــثـــرى

واخـــلع عـــلـــيه شـــكـــة المحـــرب

نـــزلت من يـــعـــرب في مـــعـــقل

ومن جـــنـــان الـــقـــدس في مـــرقب

إلى «يـــســـوع» أنت في مـــهـــده

تحـــيـــة «الـــروضـــة» في يـــثـــرب[1]

****

(١) البرق، تموز ١٩٣١، عدد: ٣٤٠٣، ص:١.

إلـى روح جبـران[1]

١٠٥ - حكمة الدهـر

حـكـمـة الـدهـر أن نـعـيش سـكـارى
فـاجـمـعـا لي الـكـؤوس والأوتـارا
واجـلـواهـا دنـيـا ممـتّـعـةَ الحسن كـمـا
تجـلـوان إحـدى الـعـذارى
هي كـالـورد تحـمِل الـشـوك والـعـط
ـرَ وإن خُـيّـر الـلـبـيبُ اخـتـارا(*)
كـلُّـنـا كـلُّـنـا نجـاذبـهـا الـوصـ
ـلَ ونجـنـي الـلـذائـذ الأبـكـارا
إنمـا ذاك يـرفع الـصـوت في الـنـا
دي وهـذا يُـلـقي عـلـيـهـا سـتـارا(*)
فـانـهب الـعـيش لا أبـا لك نـهـبـاً
واطَّـرح عـنك وجـهك المـسـتـعـارا
لـست مـهـمـا عـمّـرت غـيـرَ جـنـاحٍ
حط في الـدوح لحـظـةً ثم طـارا
أو خـيـال بـدا عـلـى الـرقـعـة الـبـيـ
ـضـاء لـلـنـاظـرين ثم تـوارى(*)

هـبك جـبـرانَ يُـلـبس الأدب الـسـحـ
ـرَ فـيـأتي بـالمـعـجـزات كـبـارا

(١) ألقاها الشاعر في الحفلة التأبينية التي أقيمت لجبران خليل جبران في التياترو الكبير وذلك في ٢١ آب سنة ١٩٣١.

يـغـسل الأنـفس الجـريـحـة بـالـدمـ
ـع فـيـكـسـو تـلك الجـراح افـتـرارا
يـسـكب الـنِّـقس والـبـيـان عـلى الـطـر
س فـيـطـوي عـلى الـظلام الـنـهـارا
يـرسل الـفـكـرة الـنـقـيـة عَـذرا
ءَ ويُـرخي الـضـحى عـلـيـهـا إزارا
يـتـعـلّى حـتى يـجـوز مـدى الـوهـ
ـمِ وحـتـى يُـهَـتِّك الأسـرارا
أفَـتَـرْجـو شـفـيتَ من مـرض الـغـف
ـلة أن يـضـفـروا لـرأسك غـارا

☆☆☆☆☆

هـبك جـبـرانَ وهـو إنجـيل هـذا الـ
ـعـصـر فـاضت آيـاتـه أنـوارا
ذلك الإرث مـن فـلاسـفـة الأجـ
ـيـال حـابت به الحـظـوظ نِـزارا
ذلك الجـدول الـذي يملأ الـوا
دي اخـضـراراً والـضـفـتـين ازدهـارا
تـسـتـحمّ الـنـفـوس فـيه فلا تـبـ
ـرح إلا جـوانـحـاً أطـهـارا
وتـوُّد الـنـجـومُ لـو سُـمّـر الـلـيـ
ـل فـظـلـت لـشـجـوه سُـمّـارا
أفـتـرجـو شـفـيت من مـرض الـغـف
ـلة أن يـضـفـروا لـرأسك غـارا(*)

☆☆☆☆☆

هــبك جــبــران يــرسم الــفــكــر ألــوا
حــاً تــطــوف الــعــقــول فــيــهــا سُــكــارى
تــــتــــنــــزى أرواحــــهــــا خــــلَل الخطْ
طِ كــمــا ثــار في الحــديــد الأســارى
ولــــكــــادت لــــروعــــة الــــفن تــــرفضْ
ضُ وراحت تــشق عــنــهــا الإطــارا
يــبــعث الــدارجــين في الأعــصــر الــغُــبْ
ــرِ وكــانــوا عــلى رحــاهــا غــبــارا
فــــإذا هم مــــواثل نــــفــــضــــوا الأر
مــاس عــنــهم ومــزقــوا الأدهــارا
أَفَــتــرجــو شــفــيت من مــرض الــغــف
ــلــة أن يــضــفــروا لــرأسك غــارا

مت إذا شــئت أن تــكــون أديــبــاً
أو فــبــدّل بــغــيــر لــبــنــانَ دارا
بــلــدٌ قُــسّــمت حــظــوظُ بــنــيه
فــأصــبــنــا من بــيــضــهــا الأصــفــارا
أنفٌ[1] لــلــبلاد أن تحــمل الــعــا
رَ رضــيــنــا أن نــعــتب الأقــدارا
لــيس مــا تــرشح الــشــفــاه ابــتــســامــاً
لــو تــأمــلت بل جــراحــاً حِــرارا

(١) «أنفا» في ديواني: الهوى والشباب، وشعر الأخطل الصغير.

ولـــقـــد يـــعـــذر الأديب مـــتى ضـــيـ
ـمَ إذا أرسل الـــعـــتـــاب اضـــطـــرارا[*]

☆☆☆☆☆

أيـــهـــذا الـــعـــبـــقـــريّ[1] يـــا شـــرف الأر
زِ كـــــفـى الأرزَ إن ذُكـــــرت فَـــــخـــــارا
ويح لـــبـــنـــانَ كـــلـــمـــا ذَرّ نجمٌ
فـــــيـه ولّـى عـن أفـــــقِـه وأنـــــارا
ضـــمك الـــشـــيخ فـــكـــرةً وتـــرابـــاً
لـــيـــتـه ضمَّ غـــصـــنه والـــهِـــزارا[2]

✱✱✱✱

(١) «العبقري» في ديواني: الهوى والشباب، وشعر الأخطل الصغير.
(٢) البرق، آب ١٩٣١، عدد: ٣٤٠٧، ص:٦.
- الهوى والشباب «حكمة الدهر أن نعيش سكارى» ص:١٧٥.

١٠٦ - يا أختَ زاهرة الرُّبى[١]

يـــا أختَ زاهـــرة الـــربى كم قـــبـــلـــةٍ
مـن عـــاشق وتحـــيـــة من شـــيِّقِ(*)
لـم أنـس حـــين دخـــلتُ روضك غـــدوةً
والـــزهـــر بـــين مـــزرّر ومـــشـــقَّق(*)
فـــقـــطـــفت أوّل قـــبـــلـــة من وردة
ورشـــفت أوّل مـــبـــسم من زنـــبق(*)
لـي فـيك عـنـد المُـنـحـنى وعـقـيـقه
ذكـرى تُـطـوِّف بـالجـفـون وتـسـتـقي(*)
غـذّيت مـاضـيـهـا بـأكـثـر مـا مـضى
من صـبـوتي والـيـومَ جـئت بمـا بـقي(*)
بـأخي هـوىً مـتـمـاسكٍ في أضـلـعي
سـمْحٍ عـلى شـيَع الجـمـال مـفـرَّق(*)
مـا كـان ضـر الـعـمـر لـو سـعف الـصِّبـا
فـأطـال في أجل الـشـبـاب الّـريِّق(*)
ذهـبت بـنـضـرته مـكـافـحـة الـهـوى
حـتـى ارعـوى عن أغـصنٍ لم تـورق(*)
مـا زلت أَتَّـبع الجـمـال فـلم أجـد
حـسـنـاً يـدوم وجـدّة لم تَـخـلُق(*)
إلاك يـا «ضـهـرَ الـشُّـويـرِ» فـأنت من
حَـدَث الـلـيـالي والخـلـود بمَـوثِق(*)

(١) رثاء فارس مشرق.

حسَدتْ محاسنَك الرُّبى فتأوهت
غدرانها في جفنها المُغرَورق(*)
أفشامخٌ منها بمفرقِ تائهٍ
ولأنت «أجمل وردة» في مفرق(*)
صلّى لك الوادي برهبة ناسك
وضباب مِبخرةٍ وهامة مُطْرق(*)
وأبوالربى «صنين» قام كشمعةٍ
بيضاء تُمعن في السحاب وترتقي(*)
يتوقد النجم السنيّ برأسها
فترى بوادر دمعها المترقرق(*)
لكِ في السماء نجومها فتلثّمي
وعلى المِهاد زهورُها فتمنطقي(*)
وعليك من وشي الحضارة مِطرفٌ
رفّت عليه صِنعة المتأنّق(*)
فإذا ودَعْتِ فَرقّةٌ وتعفّفٌ
وإذا زهوت - ولا إخال - فأخلق(*)

☆☆☆☆☆

إيهٍ فتى لبنان كم من وقفةٍ
لك فيه بين مغيبه والمشرق
والأفقُ أكدر والخطوب حواسرٌ
والظّلم ينتخب الكرام وينتقي(**)
نصبوا لك التمثال قِسْطَ مجاهدٍ
من قومه وشهادةً لمحقق

فـخَـلَـدتَ في الـدنـيـا وأنت بـأخـتـهـا
مـــا زلت بـــين مـــكـــذبٍ ومـــصـــدِّق
إني ذكـــــرتُكَ والـــــظلام مـــــخـــــيم
وبـــــراعـم الأقلام لم تـــــتـــــفـــــتَّق(**)
أيـــام أطـــيب مـــا تـــعـــلِّـــلـــنـــا المـــنى
تـــفـــريج مـــكـــروب ونـــهـــضـــة مـــوثَق(**)
والـــيـــوم نـــحـــن - ولا إخـــالك جـــاهلاً -
أسلابُ مـــــعـــــركـــــةٍ ورزقُ مـــــوفَّق(**)
أســـرى ولا أطـــواق في اجـــيـــادنـــا
لـــيس الحـــمـــام جـــمـــيـــعه بمـــطـــوَّق(**)(١)

****

(١) البرق، آب ١٩٣١، عدد: ٣٤٠٧، ص: ١٢-١٣.
- الهوى والشباب، «زاهرة الربى»، ص:١٢٥.
(*) شعر الأخطل الصغير، «زاهرة الربى»، ص:١٦٥-١٦٧.
(**) المصدر نفسه، «رفيق جهاد»، ص:١٨٩.

١٠٧- وسام رئاسة الجمهورية [١]

هــو والــوســام ، كلاهــمــا يــتــبــسمُ
أرأيت كــيف أضــاء هــذا المــوسمُ
نجـمـان تـرتـشف الـعـيـون سـنـاهـمـا
أفـقـاهـمـا الـنـضـران صـدرك والـفم
تـتـسـاقط الحِـكَمُ الـزواهـر مـنـهـمـا
فـيـحـار في مـا يـنـتـقـيه المـرقم
لـيس الـوسـام عـلى جلالـة قـدره
لـلـزهـو يُـحـمل، خـاب من يـتـوهم
لـكـنه عـهـد الـشـعـوب وحـقُّـهـا
في عـنق من خـدم الحـقـيـقـة مـنـهم
وكـفـاك أنك رُضْتَ جـامـحـة الـهـوى
ولأمت من لـبـنـان مـا لا يُـلأم
نِـمْـنـا، غـداة سـهـرت، عن حـدثـانـهـا
أَنَـخـافُ تَـصْـدَعَه وكـفك تـدعم
مـتـسـلـحـاً بـالـرفق حـكـمـة والـد
حـدب، وأشـفى لـلـجـراح المـرهم
قـالـوا طـوائـفه ، فـقـلت فـدى له
قـالـوا مـسـيـحيٌّ، فـقـلت ومـسـلم

(١) إلى فخامة الأستاذ شارل دباس رئيس الجمهورية بمناسبة منح الأمة اللبنانية إياه وسامها الأكبر.

سـيـان إن قـاد الـبلاد مـقـلـنس
لـلـمـجـد أو قـاد الـبلاد مُـعَـمَّم
وطن الجـمـيع عـلى خـدود ريـاضه
تـخـتـال فـاطـمـة وتـلـعب مـريم(×)
أكـمـاته الـبـيـضـاء تحت سـمـائه
الـزرقـاء أطـفـال تـنـام وتحـلم(×)
تـتـنـفس الـنـسـمـات عن قـبلاتـهـا
وتـمـر بـالـوادي الـوديع فـتـلـثم(×)

يـا عـيـد شـاعـرك الـذي جـافـيـتهُ
تـرك الـعـتـاب وقـد أتـاك يُـسـلِّم(*)
صـدّاحك الـشـادي عـلى هـضـبـاته
كم مـعـبـد في عـوده يـتـرنم(*)
هـو في كلا حـالـيك أنت شـفـاؤه
وعـلى كلا حـالـيه ذاك المـغـرم(*)
قل لـلأُلى أغـضـبت جل مـعـاشـري
من أجـلـهم أني وفـيت وخُـنْـتُم(١)

أيلول ١٩٣١

(١) البرق، أيلول ١٩٣١، عدد: ٣٤٠٨، ص:١.
(×) الهوى والشباب، «لبنان»، ص:٧
(*) شعر الأخطل الصغير، «لبنان عيد ما أرى»، ص:٧٩؛ «لبنان»، ص:٣٦.

١٠٨ - يا خيال الحبيب

جُــرْتِ في المــوت والحــيــاة عــلــيًّــا
ومــحــوتِ الــضِّــيــاءَ من نــاظــريًّــا
كُــنتِ أُنُــشــودةَ الخــلــودِ عــلى ثــغ
ــري وهــمسَ الــسـمــاء في أُذُنــيًّــا
كــنتِ دنــيــايَ فــاضــمــحَــلَّت وحُــلــماً
من شُــعــاع الــصِّــبــا قــضى حــين حــيًّــا
يــا خــيــال الحــبــيب لم تُــبقِ مِــنِّي
غــيــرَ حُــزني وغــيــرَ دمــعيَ حــيًّــا
أمــسحُ الــقــبــرَ بــالجُــفُــونِ وفــاءً
لــــغــــرامي وإن أســـــاء إلـــيًّـــا
أإذا رُمتُ قُــبــلــةً من حــبــيــبي
عــثــرت قــبلَ لَــمــســهــا شَــفَــتــيًّــا
ضــــحكَ الحظُّ مــــرةً ليَ في الحُــــلم
فــلــمَّــا انــتــبــهتُ لم أرَ شــيًّــا[1]

١٩٣١

****

(١) الهوى والشباب، ص: ١٣١.
- شعر الاخطل الصغير : «يا خيال الحبيب» ص: ٢٦٠

١٠٩ - مَـنْ للبـلاد....[١]

صـيّـرت أعـيـاد الـبلاد حـدادا
وسـفـكت من حـمـر الـدمـوع مـدادا
وَهَتِ الـعـزائم لـلـمـصـاب فـلم تـطق
أجـسـادهـا أن تحـمل الأكـبـادا(*)
وتـصـدّعت عـمـد المـسـاجـد مـذ ثـوى
من كـان يملأُهـا تـقـىً ورشـادا
الـرايـة الـبـيـضـاء نـكّـسـهـا الـردى
وأحـال صـعـدتَـهـا الـطـهـور رمـادا
لـلـه درّ مـكـفّـن بـجـلاله
لـبس الـضـحى وتـوسـد «المـيلادا»
جـبـريل عـنـد رتـاجه مـتـواضع
ويـسـوع حـول سـريـره يـتـهـادى
نـظم الجـمـوع عـلى اخـتـلاف مـيـولـهـا
فـتـألـفت في حـبـه آحـادا
هـذا مـحـمـدُ في الـنـديِّ تـكـلـمت
عـبـراته لمـا رثـاك وشـادا[٢]
فـأثـرت في الجـمع الحـسـان شـجـونـهـا
وأزلت من بـهـجـاتـهـا الآحـادا
وشـجى الـريـاض فـقـطـعتْ أطـوافـهـا
وبـكت فـفـارق زهـرهـا الأعـوادا(*)

(١) رثاء البطريرك الماروني مار الياس بطرس الحويك.

ولـو اسـتـطـاع الأرز طـأطـأ خـاشـعـا
وأصـــاب من تـــقـــبـــيل كـــفك زادا(*)

من لـــلـــبلاد إذا تجـــهّم وجـــهـــهـــا
وإذا تـــألّب حـــشـــدهـــا وتـــنـــادى(*)
وتـــســـاءلت عن مـــفـــرد في حـــبّه
لـــبلادِهِ لـــبس الحـــيـــاة جـــهـــادا(*)
إن قـــال قـــالت أمـــة بـــلـــســـانه
وتـــقـــطـــعت لـــســـمـــاعـــة أجـــيـــادا(*)
شـــيخ عـــلى درج الـــشـــبـــاب كـــأنه
لجم الـــزمـــان فـــكـــان حـــيث أرادا(*)
يمـــشي إلى أمل الـــبلاد بمـــثـــله
في صـــدره: طي الـــفـــؤاد فـــؤادا
أمل عـــلى قـــســـمـــات وجـــهك ضـــوءه
تـــرجى المـــنى فـــيه ثـــنى وفـــرادى
تـــلك الـــعـــهـــود أردتـــهن قلائـــداً
مـــاذا عـــلـــيك إذا غـــدت أصـــفـــادا
أبـــد الـــزمـــان بـــهـــا فـــأمـــست عـــادة
والمـــرء مـــنـــطـــبع عـــلى مـــا اعـــتـــادا
والـــذنب ذنب الـــنـــائـــمـــين عـــلى الأذى
فـــكـــأنـــهم حـــســـبـــوا الحـــيـــاة رقـــادا

لـــله يـــومك أي ســـاعـــة مـــحـــشـــر
نـــشـــرت عـــلى تـــلك الـــربى الأجـــســـادا(*)

وطـغت عـلى تـلك الـسـلـول بـحـارهـا
من آدم فـــتـــفـــجـــرت أطـــوادا
والمـــاخـــرات كـــأنـــهن طـــوائف
مـــلّـــجن يملأن الـــفـــضـــا إرعـــادا
حـتى إذا طـلـعـوا بـأبـلـج كـالـضـحى
كـشـفـوا الـرؤوس وأتـلـعـوا الأجـيـادا
هي خـطـبـة لـلـمـوت أروع مـا بـهـا
أن الخـطـيب - ولا خـطـاب - أجـادا(*)

☆☆☆☆☆

أوحـــيـــد أمـــته تُـــقىً وهـــدايـــة
هلا ســمـــعت وحـــيـــدهـــا إنـــشـــادا(*)
خـلـعت قـصـائـده عـلـيك عـيـونـهـا
وحـــبـــتك من ورق الخـلـــود وِســادا(١)(*)

****

(١) البرق، كانون الثاني ١٩٣٢، عدد: ٣٤٢٠، ص:١٠

١١٠ - أعرني بعض شجوك يا حمام[١]

أعِـرني بـعض شـجـوك يـا حـمـامُ
فـقـد غـلـب الأسى وعـصى الـكلامُ(*)
كلانـا يـا شـقـيقُ هـوى الـقـوافي
فـلي عـهـد عـلـيك ولي ذمـام(*)
رأيـتك أصـدق الـبـاكـين جـفـنـاً
عـلى إلفٍ إذا انـحـسـر الـلـثـام
أشـد الحـزن مـا حـبس المـآقي
ولـو أن المـرزّأة الـغـمـام(*)(٢)
تـزاحـمت الخـطـوب عـلى جـفـوني
فـسـد مـسـيـلـهـا هـذا الـزحـام
عـريت من الـصـحـاب وكـنت غـصـنـاً
عـلـيه الـزهـر مـنـهم والـكـمـام
وأيـةُ بـهـجـةٍ لـلـنـفس تـبـقى
إذا ذهـبت أحـبـتـهـا الـكـرام(*)
ألا إن الحـيـاة بلا حـبـيب
كـمـثـل الـكـأس فـارقَـهـا المـدام
إذا عـصـف الـردى بـأبي عـصـام
فـكل ومـيـض بـارقـة ظلام(*)(٣)

---

(١) رثاء عبدالرحمن محيي الدين بيهم.

(٢) جـنـاحـاً طـائـر، لا الـوكـر دان
إذا افـتـرقـا ولا الـداني الـغـمـام

(٣) فـكل خـمـيـلـة قـفـر يـبـاب
وكـل ومـيـض بـارقـة ظـلام

- شعر الأخطل الصغير، «رحيل الأحبة» ، ص: ١٨٧.

فـــتى الأخلاق فـــتَّـــحت الخـــزامى
عـلى جـنـبـاتـهـا وزكـا الـبِـشَـام
زهـــا وَرَق الـــشـــبـــاب بـــعـــارضـــيه
كـمـــا يـــزهـــو بـــرونـــقه الحـــســـام
فـكل خـمـيـلـة مـهـمـا تـنـاهى
إلـيـهـا الحـسن فـهـو لـهـا وسـام(*)
إذا رفـد الـعـفـاة فـلـست تـدري
أدمع في الخـــدود أم ابـــتـــســـام(*)(١)
وبـــعض الجـــود مـــرحـــمـــة ورفق
وبـــعض الجـــود مـــنـــقـــصـــة وذام(*)
تـــقـــنّع بـــالحـــيـــاء فـــمـــا نـــراه
وأُولع بـــالـــعلاء فـــمـــا يـــرام(*)
ومـــا ضـــر الـــبـــنـــفـــسج إن تـــوارى
حـــيـــاء والـــصـــدور له مـــقـــام(*)
ومـــا يـــبـــكى الـــشـــبـــاب إذا تـــردّى
بل الأخلاق والـــشـــرف الـــســـنـــام
فـــعـــمـــر المـــرء مـــا خـــلـــعتْ يـــداه
عـــلى دنـــيـــاه لا شـــهـــرٌ وعـــام(*)(٢)

بـــكَـــتْك المـــكـــرمـــات أبـــا عـــصـــام
بـــشـــعـــر كـــالـــدمـــوع له انـــســـجـــام
عـــلى كـــفن الـــفـــتى المخـــتـــار مـــنـــكم
فـــواتحه وأنت لـــهـــا الخـــتـــام

(١) إذا جـــاء الـــغـــمـــام، فـــلـــست تـــدري
أدَمعٌ في الـــورود أم ابـــتـــســـام
(٢) وعـــمـــر الـــوردِ مـــا يَـــهـــمي شـــذاه
عـــلى دنـــيـــاه لا شـــهـــرٌ وعـــام
- شعر الأخطل الصغير، «رحيل الأحبة» ، ص: ١٨٧.

رثـــاء ســـواك نـــوح والـــتـــدام
وأنت رثـــاؤك الحـــكم الـــتـــؤام
نمَـــاك الأكـــرمـــون «بـــنـــو أبـــيـــهم»
«ربـــيـــع الـــنـــاس والـــبـــلـــد الحـــرام»
قـــلـــوبـــهم عـــلـــى الأوطـــان وقْفٌ
وأيـــديـــهم بـــحـــائـــطـــهـــا دعـــام
ولـــو عـــبـــدوا ســـوى الخلاّق ربّـــاً
لـــصـــلـــوا في مـــنـــاســـكـــهـــا وصـــامـــوا

☆☆☆☆☆

عـــزاء الـــنـــفس مـــوتك في زمـــان
أحب مُـــنـــى الـــنـــفـــوس به الحِـــمـــام
ولـــيس الـــفـــقـــر مـــا يـــشـــكـــون لـــكن
أشـــد من الخـــصـــاصـــة أن يـــضـــامـــوا
ومـــا مـــعـــنـــى الـــوجـــود إذا تـــســـاوى
مع الـــعـــجـــمـــاء شـــربك والـــطـــعـــام
فـــديـــتك نـــهـــضـــة تـــرمي لـــظـــاهـــا
بـــلـــبـــنـــان ويـــلـــقـــحـــهـــا الـــشـــآم
فـــيـــأخـــذ بـــالـــيـــد الـــيـــســـرى «بـــشـــيـــر»
ويـــأخـــذ بـــالـــيـــد الـــيـــمـــنـــى «هـــشـــام»
جـــنـــاحـــا طـــائـــر لا الأفق دانٍ
إذا افـــتـــرقـــا ولا الـــعـــلـــيـــا مـــقـــام[1]

نيسان ١٩٣٢

✱✱✱✱

(١) البرق،نيسان ١٩٣٢، عدد: ٣٤٢٩، ص:٩.
(*) شعر الأخطل الصغير، «رحيل الأحبة» ، ص: ١٨٧.

١١١ - المهاجـر[١]

أشـــــجـــــاك أنـك رائـح لا تـــــرجعُ
وهـــواك والأوطـــان بـــعـــدك بـــلـــقعُ(*)
مـــتـــلـــفت.. مـــا تـــبـــتـــغي؟ مـــتـــوجع
مـــا تـشـتـكي؟ مـتـنـصت.. مـا تـسـمع؟(*)
تـــلك الـــزغـــالـــيل الـــتي غـــادرتـــهـــا
جف الـثـديُّ ومـات عـنـهـا المـرضع(*)
لا الـــريشُ مـــكـــتـــمل ولا أوكـــارُهـــا
خـضْـرٌ ولا الـسـجع الـبـكيُّ يُـشَـفَّع(*)
ولـكـنت تـسـفك نـاظـريك لـيـرتَـووا
وتـذيب قـلـبك في يـديك لـيـشـبـعـوا(*)
جـرس الـكـنـيـسـة لـو تـكـلم لاشـتـكى
ولـــبـــان فـــيه مـــذ نـــأيت تـــصـــدَّع(*)
وتـلـفـتت فـيـهـا الـدمى وتـسـاءلت
عن بـاقـة في صـحـنـهـا تـتـضـوّع(*)
مـا بـهـجـة الأعـيـاد بـعـد كـعـهـدهـا
في الـبـيـعـتـين ولا المـرتل يـسـجَع(*)
الجـوزة الخـضـراء بـعـدك صُـوّحت
إلا وريـــقـــات تـــكـــاد تـــودِّع(*)
تـفـضي إلى الـنـسـمـات في غـدواتـهـا
عـمّـا تـكـابـد في نـواك وتجـرَع(*)

(١) رثاء الصحافي المهاجر الأستاذ نعوم مكرزل، صاحب جريدة «الهدى» وقد أصدرها في نيويورك.

لــو في الألى خــذلــوك بــعض حــنــانــهــا
لــتــقــصــفت جــزعــاً عــلــيك الأضــلــع
ســر حــيث شــئت فلا الــقــلــوب خــوافق
تحــنــو عــلــيك ولا الخــواطــر نــزّع
واصــــرف هــــواك فــــكل خلٍّ بــــاخلٍ
مــــتــــلــــون في وده مــــتــــصــــنع
الأجــنــبي عــلى اخــتلاف لــغــاته
فــرشــوا الــصــدور له وأنت مــضــيَّع
لــلــه أنت مــغــرِّبــاً ومــشــرِّقــاً
تــذريك عــاصــفــة وأخــرى تــزرع(*)
حــتى انــدفــعت، فــكل صــخــر روضــة
- ســلــمت يــداك - وكل أفق مــطــلــع(*)
وفــتــحت فــتح الــعــبــقــريــة تــاركــاً
في مــسمع الــدنــيــا صــدى يــتــرجّع(*)
تــتــحــطم الأقــدار ســاعــة تــنــبــري
تــتــفــجّــر الأنــوار ســاعــة تــطــلــع(*)
فــكــأنمــا شــمس «الــهــدى» لك ســرمــد
مــا شــمس «يــوشع» في الــزمــان ويــوشع
يــغــذو «المــكــرزل» بــالــيــراع ضــيــاءهــا
فــعــلى أنــامــلــه الــدقــاق تَــمــتَّع
الــقــارض الــفــصــحى عــلى كــولــومــبسٍ
وسلاحه قــــلــم وقــــلــب أصــــمــع
فــهــنــاك لــبــنــان المــواهب يــلــمع
وهــنــاك أنــدلس الــقــصــائــد تــسجع(*)

بـغـداد في «الـهـدسـون» تـغـسل وجـهـهـا
ودمـشق عـنـد ضـفـافه تـتـربع
فـتـح لـعـمـرك لـو تـقـدم عـصـره
لجـثـا له شـيـخ الـعـروبـة تـبَّع
ولـوى عـلى مـاضي الـقـرون فـهـزهـا
في رمـسـهـا فـتـلـفـتت تـتـطـلع

أمـنـارة الـوطن المـهـاجـر مَنْ له
بمـنـارة بـعـد انـطـفـائك تـسـطع
في كل ثـغـر من شـعـاعك قـبـلـة
ولـكل طـرف في جـمـالك مـرتع
من لـلـبـحـار ولـلـمـهـاد ولـلـذرى
يـطـفـو عـلـيـهـا ضـوءك المـتـفـرع
كـجـوانح بـيـضـاء فـوق هـيـاكل
خـرسـاء في كـنـف الـسـكـيـنـة تـهـجع
تـتـصـاعـد الـصـلـوات من أنـفـاسـهـا
حـتـى إذا لمـسـت جـنـاحك تـدمع

أبـنـي أبـيـنـا في المـهـاجـر إنـنـا
وإن افـتـرقـنـا فـالمـصـائب تجـمع
لم يـبـق في لـبـنـان إلا مـقـلـة
تـهـمي وإلا مـهـجـة تـتـقـطع

مــذ قــيل مــات ابن المــكــرزل وانــطــوى

ذاك الــلــــواء وغــــاض ذاك المــــنــــبع

أنــعــــوم هــــا أنــــذا فــؤادي في يــــدي

وأزاهــــــري... لا! فــــــالأزاهــــــر أدمع

أســقي الــضــريح بــهــا إذا جف الــثــرى

وأبل جــــبــــهــــته بــــهــــا وأشــــبِّع[1]

١٩٣٢

(١) البرق، حزيران ١٩٣٢، عدد: ٣٤٣٧، ص:١.

(*) شعر الأخطل الصغير، «المهاجر»، ص:٢١.

١١٢ - ذكرى بردى[١]

سل عن قديم هوايَ هذا الوادي
هل كان يخفق فيه غيرُ فؤادي[*]
عهدَ الطفولة في الهوى كم ليلة
مرّت لنا ذهبيةِ الأبراد[*]
إذ نحن أهونُ أن نحرّك ساكناً
في حاسد أو غلةً في صاد[*]
وعلى خدود الورد والأجياد
وتضارب المنقاد بالمنقاد[*](٢)
يتخاطفون هدية الأعياد
غير العناق على النوى من زاد[*](٣)
تتضاحك الزهر النجوم لأدمعي
في جيدها فأخالها حسادي[*]

(١) ألقى الشاعر هذه القصيدة في حفلة الكلية العلمية الوطنية في دمشق في حزيران ١٩٣٢.

(٢) غِرّان نمرح في الهوى وفتونه
وعلى خدود الورد والأجياد

(٣) ونحسُّ بالبين المشتِّ فلا نرى
غير العناق على النوى من زاد
نتخاطفُ القبل الصِّباح كصبية
يتخاطفون هديّة الأعياد
متواثبين كطائرين تشابكا
وتضارب المنقاد بالمنقاد

راجع، شعر الأخطل الصغير، «ضفاف بردى»، ص: ٥٢.

وأكـاد أمـتـشق الـغـصـون تـشـفـيـاً
لـــتـــهـــامس الأوراق في الأعـــواد(*)
أنـا مـذ أتـيت الـنـهـر آخـر لـيـلـة
كـــانت لـــنـــا، ذكّـــرْتـه إنـــشـــادي(*)
وســـألـــتُه عن ضـــفّـــتـــيه ألم يـــزل
لي فـيـهـمـا أرجـوحـتي ووسـادي(*)
فـبـكى ليَ الـنـهـر الحـنـون تـوجـعـاً
لمـا رأى هـذا الـشـحـوب الـبـادي(*)
ورأى مـكـان الـفـاحـمـات بمَـفـرقي
تـلك الـبـقـيـةَ من جُـذىً ورمـاد(*)

تـلك الـعـشـيـةُ مـا تُـزايل خـاطـري
في سـفح دمّـرَ والـضـفـافُ هـوادي(*)
شـفـافـةُ الـلـمـحـاتِ نـيّـرةُ الـرؤى
ريّـا الـهـوى أزلـيـةُ المـيلاد(*)
أبـداً يـطـوف خـيـالُـهـا بـنـواظـري
فـأُحـلُّه بـين الـكـرى وسـهـادي(*)
وأهم أرشف مـقـلـتـيه وثـغـرَه
فـيـغـوص في أفق من الأبـعـاد(*)
إيهٍ خـيـالَ المـانـعي طـيبَ الـكـرى
أيـتـاح لي رُجـعى مع الـوُرّاد(*)
لي في قَـرار الـكـأس بـعـدُ بـقـيـة
سـمـحت بـهـا الآلام لـلـعـوّاد(*)

حـــنَّتْ لـــهـــا خـــضـــر الـــدوالي رقـــةً
وبـكى لـهـا جـفن الـنـسـيم الـنـادي(*)
هي كـــنه إحـــســـاسي وروح قـــصـــائـــدي
ومـــــــطـــــــاف أحلامي وركن وِدادي(*)
إني وقـــفت بـــهـــا أســـائل عن فـــتىً
من آل جـــفـــنـــةَ رائحٍ أو غـــادي(**)
الحـــامـــلـــين الـــشـــمسَ فـــوق وجـــوهـــهم
والحـــامـــلـــين الـــشـــهبَ في الأغـــمـــاد(**)
خـــلـــعتْ صـــوارمـــهم عـــلى رايـــاتـــهم
حـــللاً مـــصـــبَّـــغـــة من الأكـــبـــاد(**)
وزهـــا الـــقـــنـــا بـــأكـــفّـــهم مـــتـــذكِّـــراً
عـــهـــدَ الـــغـــديـــر بـــهـــا وعـــهـــد الـــوادي
في مـــفـــرق الأيـــام حـــمـــرُ وقـــائعٍ
مـــنـــهم وفي الأعـــنـــاق بـــيضُ أيـــاد(**)
رفـعـوا الـشـآم عـلى الـصـفـائح والـنـدى
وبـنَـوا من الـصـلـبـان بـيت الـضـاد(**)
ورمَـــوا بـــهـــا أم الـــزمـــان فـــأنجـــبت
غـــرر المـــلـــوك وقـــادة الـــقُـــواد(**)
وصـــلـــوا أمـــيـــة قـــبل يـــوم أمـــيـــة
وبـــنـــوا مع المـــنـــصـــور في بـــغـــداد
«يـــســـقـــون من ورد الـــبـــريص عـــلـــيـــهم»
طـــرب الـــنـــفـــوس ورونق الأجـــســـاد(**)
بـــيت الـــعـــروبـــة كـــالمـــقـــام نـــقـــاوة
وعـــكـــاظ في الإطـــراب والإنـــشـــاد(**)

تـتـفـجـر الأنـغـام في جـنـبـاته
من صـدر صـادحه وشـعـر زيـاد(**)[1]
هـو مـنْـبتٌ لمـكـارم هـو مـطْـلعٌ
لـكـواكب هـو مـلـعب لجـيـاد(**)
حـسـان[2] لم يـنـقل سـوى صـلـواته
الـسـمـحـاء في مـدح الـرسـول الـهـادي(**)

تـيـهـاً دمـشق هل المـفـاخـر والـعـلى
غـيـر الجـهـاد وصـلْـتِه بـجـهـاد(**)
تـلك الـشـمـائل من شـيـوخ أمـيّـة
عـبّـاقـة الـنـفـحـات في الأحـفـاد(**)
رفـعـوا من الـدسـتـور مـجـد بلادهم
فـوق الـدعـائم من دم ومـداد
مـا عـابه أن جـاء مـضـطـرب الخـطى
وهـو الـقـريب الـعـهـد بـالأصـفـاد
الخـطـوة الأولى فلا تـتـفـرقـوا
فـالخـيـبـة الـسـوداء بـالمـرصـاد
أودى بـلـبـنـانٍ وبـاسـتـقلاله
خـفْض الجـنـاح وثـورة الأحـقـاد
يـتـقـاتـلـون عـلى الـفـريـسـة وهْي في
كـنف الـوصي وجـعـبـة الـصـيـاد

---

(١) النابغة الذبياني.

(٢) حسان بن ثابت شاعر الرسول الكريم، وكان شاعر غسّان من قبل.

ويح الـسـيـاسـة كـلـمـا قـلت انـقـضى
عـهـد الـوصـال لـوت عـلـيَّ مـرادي
تحـبـو الـيك بمـقـلـة مـكـسـورة
وتـشـيـح عـنك بـقـسـوة الجلاد
لـلَـشـعـر مـنـطـلـقَ الجـوانح هـائـمـاً
بـين الـسـواقي الخـضـر والأوراد(*)
مـتـخـيّراً مـنـهن مـا ابـتـكـر الـضـحى
من لـؤلـؤ غب الـسـحـاب الـغـادي(*)
أنـدى عـلى كـبـد الحـقـيـقـة والحـجى
وأخفّ من مـرح الـهـزار الـشـادي(*)

☆☆☆☆☆

بـردى هل الخـلـد الـذي وعـدوا به
إلاّك بـين شـوادنٍ وشـواد(*)
قـالـوا: تحب الـشـام؟ قـلـت جـوانـحي
مـقـصـوصـة فـيـهـا، وقـلـت فـؤادي(*)(١)

✱✱✱✱

(١) البرق، تموز ١٩٣٢، عدد: ٣٤٣٨، ص:٣.
(*) شعر الأخطل الصغير، «ضفاف بردى»، ص:٥٢.
(**) المصدر نفسه، «الحاملون الشمس»، ص:١٢٤.

١١٣ - يا عاقد الحاجبين

يـــا عـــاقـــد الحـــاجـــبـــين
عـــلى الجـــبـــين الـــلـــجـــيـــني
إن كـــنـت تـــقـــصـــد قـــتـــلي
قـــتـــلـــتـــنـي مـــرتـــين

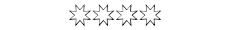

تـــظن حـــســـنك مـــلـــكـــاً
يـــســـبّح الجـــانـــبـــين
مـــا الحـــســـن في الـــوجه إلا
كـــالـــنـــور في الـــقـــمـــرين

مـــاذا يـــريـــبك مـــنـي
ومـــا هـــمـــمت بـــشـــين
أصـــفـــرة في جـــبـــيـــني
أم رجـــفـــة في الـــيـــدين

تـــمـــر قـــفـــز غـــزال
بـــين الـــرصـــيف وبـــيـــني
ومـــا نـــصـــبت شـــبـــاكي
ولا أذنـت لـــعـــيـــنـي

تـــبـــدو كـــأن لا تـــراني
وملء عـــيـــنـك عـــيـــنـي

ومـــــثل فـــــعـــــلك فـــــعـــــلي
ويـــــلـــي من الأحـــــمـــــقـــــين

مـــــولاي لم تـــــبقِ مـــــني
حـــــيـــــاً ســـــوى رمـــــقـــــين
صـــــبـــــرت حـــــتى بـــــراني
صـــــبـــــري وقـــــرَّب حـــــيْـــــني

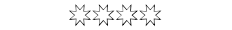

ســـــتـــــحـــــرم الـــــشـــــعـــــر مـــــني
ولـــــيس هـــــذا بـــــهـــــيْن
أخـــــاف تـــــدعـــــو الـــــقـــــوافي
عـــــلـــــيك في المـــــشـــــرقـــــين[1]

١٩٣٢

****

- الهوى والشباب، ص: ١٤١.
- شعر الأخطل الصغير، ص:٤٨.

١١٤ - سلي الليل

سـلي الـلـيل عن عـيـنـي إذا رابكِ الـفـجـرُ
أفـــازَ بـــهـــا إلاَّكِ والأنجم الـــزُّهـــرُ
قـسَـمتُ فـؤادي بـيـنَ بـؤسيَ والـهـوى
فـــهـــذا لهُ شـــطـــرٌ وهـــذا له شـــطـــر
حـيـاتيَ هل ثـغـرُ الـبـنـفسج يـفـتـرُّ
كـعـهـدي وهل يـجـري كـعـادته الـنَّـهـر
وهل يـذكُـرُ الـصَّـفـصـافُ إذ نـحنُ عـنـدهُ
وفي أُذُن الـظَّـلـمـاء مِنْ هـمـسـنـا نـقـر
سُـقـيتُ مـرارات الحـيـاة فـلم أجـد
كـمِـثل الَّـذي يـسـقـيه من كـفّك الـهـجـر
وأشـقى شـقـيٍّ في الـورى قـلبُ شـاعـرٍ
نـبـا الحظُّ عـنهُ والـتـقى الحُبُّ والـفـقـر
فـــفي كلِّ أُفقٍ من أمـــانـــيه مـــأتمٌ
وفي كلِّ عُـضـوٍ من جـوارحه قـبـر[1]

١٩٣٣

****

(١) الهوى والشباب، ص: ١١٨

١١٥ - خيال من دمر

يـا عـيـونـاً أوحت إلـيـنـا الـغـرامـا
أجـنـونـاً سـقـيـتِـنـا أم مُـدامـا
آيـة الحب أن تـظـلـي ربـيـعـاً
لـفـؤادي وأن يـظلَّ هـيـامـا
أيـنـام الـعـنـقـود في صـدر (ريـا)
وهـو تِـرب الـنـدى ونـشـكـو الأوامـا
أيـهـا الـدَّوح دوح (دُمَّـر) إني
لـست أنـسى تـلك الـلـيـالي الـيـتـامى
يـا بـسـاط الـهـوى ويـا وتـر الـشـعـر
سلامـاً، ويـا شـقـيق الـنَّـدامى
سـألـتْـني وكـفّـهـا فـوق صـدري
عَـمـرَكَ الـلَه هل تحب الـشـآمـا
قـلت حـبـاً زقُّ الحـمـامـةِ لـلـفـرخ
فـلِمْ لا نـكـون ذاك الحـمـامـا؟[1]

****

(١) الحديث ١٩٣٨، عدد: ١٧ ، ص: ٥٠٧.
- الهوى والشباب، ص:١١٢.

١١٦ - شـــوقـــي

(رثـــاء)

قف في رُبى الخُـلـدِ واهـتِف بـاسم شـاعِـرِهِ
فـسـدْرَةُ المُـنـتـهى أدنى مَـنـابِـرِهِ
وامـسح جـبـيـنَكَ بـالـرُّكن الَّـذي انـبَـلَـجَتْ
أشـعَّـةُ الـوحي شـعـراً من مـنـائـره
إلـهـة الـشِّـعـر قـامت عن مـيـامـنه
وربَّـةُ الـنَّـثـر قـامت عن مـيـاسـره
والحـورُ قـصَّتْ شُـذوراً من غـدائـرهـا
وأرسـلـتـهـا بـديلاً من سـتـائـره
أتْـرابُ مـريم تـلـهـو في خـمـائِـله
ورهط جـبـريلَ يـحـبُـو في مـقـاصـره
والملـهـمـونَ بَـنُـو «هُـومـيـر» مـا تـركـوا
لمّـا أهلَّ لَـهُم سـجـعـاً لـطـائـره
قـالَ الملائكُ: مَنْ هـذا؟ فـقـيلَ لَـهُمْ:
هـذا هـوى الـشـرقِ هـذا ضـوءُ نـاظـره
هـذا الـذي نَـظمَ الأرواحَ فـانـتـظـمَتْ
عِـقـداً من الحُبِّ سـلكٌ من خـواطـره
هـذا الـذي رفـع الأهـرامَ من أدبٍ
وكـان في تـاجـهـا أغـلـى جـواهـره
هـذا الـذي لمسَ الآلامَ فـابـتَـسَـمَتْ
جـراحُـهـا ثُـمَّ ذابت في مـحـاجِـرِهِ

كم في ثُــغُــور الــعــذارى من بــوارقه
وفي جُــفُــون الــيــتــامى من مــواطِــرِه

سَلْ جــنَّــة الخُــلــد كم ودَّت أزاهــرُهــا
لــو اســتــحــالت عــبــيــراً في مــجــامِــرِه
وصــادحُ الــطَّــيْــر لــو ســالت حَــنــاجُــرهــا
مع الــصَّــبــاح نــشــيــداً في مــزاهِــرِه
والــزهــرُ لــو كُنَّ أزراراً مُــفــضَّــضــةً
عــلــى الــذُّيــول الــضــوافي من مــآزره
مــا بــلــدةٌ ســعــدتْ بــالــنَّــهــر يَــغــمُــرُهــا
بــكلِّ أزهــرَ حــالي الــعُــود نــاضــره
بــالــبُــلــبل المُــتَــغَــنِّي في ملاعــبه
والــسُّــنــبلِ المُــتَــثــني في غــدائــره
بــالحــقل تــرعى به الــقُــطــعــانُ هــانــئــةً
والــنَّــحلُ يــرضعُ من ثــدْيَي أزاهــره
يــســتــقــبلُ الــفــجــرَ أهــلُــوهــا بــغُــرَّته
ويُــغــرقُــونَ الــلــيــالي في ســرائــره
نــامــوا عــلى سرُرِ الأعــراس وانــتــبــهــوا
عــلى صــبــاحٍ بــكيِّ الــطَّــرف غــائــره
عــلــى مــآتم من طــيــرٍ ومن شــجــرٍ
خــرســاء كــالــقــبــر غــرقى في ديــاجــره
يــا لــلــرزيــة... غــالَ الــنَّــهــرَ غــائــلُــهُ
وغــارَ في لــهــواتٍ من هــواجــره
فلا الــصــبــاحُ ضــحــوكٌ في شــواطــئه
ولا المــســاءُ لــعــوبٌ في جــزائــره

وأســلمَ الــزَّهــرُ أجــيــاداً مُــنَــضَّــرةً
لــلــشَّــوكِ جــفَّت عــلى دامي أظــافــره
والــنــاسُ في غــمــرةٍ عــمــيــاءَ لا وتَــرٌ
لــنــاشــديه، ولا نجمٌ لــســامــره
مـا الخـطبُ بـالـنّـهـر مُـجْـري الـرُّوح في بـلـدٍ
فــردٍ رقــيقِ حــواشي الــذِّكــر داثــره
كــالخــطب يــذوي لهُ كــونٌ بــجُــمــلــته
إذا أصــاب الــردى شــعــبــاً بــشــاعــره

مــا لــلــملاعب في لُــبــنــانَ مُــقــفــرةً
ولــلــمــنــاهل عُــطلاً من حــرائــره
ولــلــمــآذنِ في الــفــيــحــاء كــاســفــةً
كــخــاشع الــسَّــروِ في داجي مــقــابــره
وللأصــائل والأســحــار أثــخــنــهــا
عــاتٍ من الــريح إرهــاقــاً بــحــافــره
ولــلــجــداول أنَّــاتٌ مُــجَــرَّحــةٌ
كــأنــهــا حَــمَلٌ في كفِّ نــاحــره
ولــلــنَّــدى في الــثَّــرى جــهشٌ ووســوســةٌ
كــأنــهــا هــمــســاتٌ في ضــمــائــره
أودى الــقــريضُ فــللأحــزان مــا لَــبــسَتْ
عــلى ســلــيل الــدَّراري من عــبــاقــره

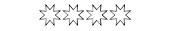

شــوقي أتــذكُــرُ إذ «عــالــيه» مــوعــدُنــا
نِــمــنــا ومــا نــام دهــرٌ عن مــقــادره
وأنتَ تحتَ يــــــدِ الآسي ورأفــــــتــه
وبــين كلِّ ضــعــيف الــقــلب خــائــره

ولابتسامتك الصفراء رجفتُها
كالنَّجم خلفَ رقيقٍ من ستائره
ونحنُ حولكَ عُكَّافٌ على صنمٍ
في الجاهلية ماضي البطش قاهره؟...
سألتنيه رثاءً... خُذهُ من كبدي
لا يُؤخذُ الشيءُ إلا من مصادره

تَغَرَّبَ الحُسنُ والإحسان فالتَمَسا
وجهاً من الأرض هشَّاشاً لزائره
لا يستوي المجدُ إلا في مفارقه
ولا يُصفِّقُ إلا في ضفائره
ما غادرا بلداً إلا إلى بلدٍ
والحَرُّ يُلهبُ من خدَّي مُسافره
حتى أطلا على مصرٍ فراعهُما
ما زخرف النِّيلُ من إبداع ساحره
فألقيا بعصا التَّرحال واعتصما
بضفَّتيه وهاما في حواضره
فأُطعم الجودُ من كفَّي قساورِه
وأُشرِبَ الحُسنُ من عينَيْ جآذره

يا مصر ما انفتحت عينٌ على حسنٍ
إلا وأطْلَعْتِ ألفاً من نظائره
ولا تفتَّقت الأفكار عن أدبٍ
إلا وأنبتِّ روضاً من بواكره
لبنانُ يا مصرُ في مطامحه
كما علمتِ ومصرٌ في مفاخره

هل كـــان قـــلـــبك إلا في جـــوانـــحه
أو كـــان دمـــعكِ إلا في مـــحـــاجـــره
أو كـان مـنـبت مِـصـرٍ غـيـر مـنـبـته
أو كـان شـاعـر مـصـر غـيـر شـاعـره؟

قـيـثـارةَ الـنـيل كم غَـنَّـيتِ قـافـيـةً
في مـسـمع الـدَّهـر مـسـراهـا وخـاطـره
لـو عـادَ فـرعـونُ كـانت من ذخـائـره
أو خُـتِّمَ الخُـلـدُ كـانت في خـنـاصـره[1]

١٩٣٢

(١) شعر الأخطل الصغير، ص: ٨٩ .

١١٧ - تحية الأخطل الصغير
إلى رابندرانات طاغور

أيْ أديب الشرق الكبير سلام الـ
ـفجر والروض من شعاع وورد
راع ذاك البياض في وجه صنيـ
ـن بياض في وجه أبلج ورد
ناضرات السنين في الشعر الأبـ
ـيض تزري باليابس المسودّ
رب بيضاءَ تملأ المهد أنغا
ماً وسوداء أدرجت في لحد
هلَّل الغرب باسم طاغور قبل الـ
ـشرق فخرًا بالمشرقي الفرد
وارث الحكمة التي كفلتها
أمة الهند طفلة في المهد
مرضع الحب قبل أن عرف الحبْ
بُ وأرض المهديِّ والمتمهدي

عبقري الزمان حدث عن الشر
ق إذا كانت الأحاديث تجدي
أو فدع للزمان يملي على التا
ريخ فعل الممدِّن المستبد

إنمـــا الـــسـيف مـــرقم الحق فـــاكـــتب
... لك مـــا شـــئت من دمـــاء وجـــلـــد
مـا تـرى الـقـصْـبـة الـضـعـيـفـة لا تـق
ـــرع طـــرســـاً إن لـم تـــكن ذات حـــد
عـمـرك الـلـه كـيف بمـبـاي - أجـبـنـا -
وكـــيف خـــلـــفت غـــنـــدي
أشُـــواظـــاً ســـمـــاؤهـــا وثـــراهـــا
بـــين بـــرق من المـــنـــايـــا ورعـــد
وقـــبـــوراً قـــصـــورهـــا والمـــغـــاني
فـــوق صـــرعى من الـــلـــبـــا والأُسْـــد
ذلك الأعـــزل الـــذي يـــضـــحك الـــهـــزْ
ءُ عـــلـى فـــيه من جـــنـــون الـــفـــرنـــد
صـــاحب المـــغـــزل الـــذي نـــسج الـــبُـــرْ
دَ عـــلـى الـــهـــنـــد من فـــخـــار ومـــجـــد
هـــات من روحك الـــكـــبـــيـــرة لـــلـــشـــر
ق فـــيـــعـــدى، إن المـــروءات تُـــعـــدي[1]

كان مجلس نقابة الصحافة قد اتخذ قراراً باستقبال شاعر الهند الأكبر رابندرانات طاغور عندما اتصل به عزمه على المرور ببيروت في طريقه إلى أوروبا فأمريكا، على أن يكون ذلك الاحتفاء حول مأدبة يدعى إليها كبراء البلد وأدباؤه.

وكان في ما قرره المجلس تكليف أحد أعضائه الأستاذ بشارة الخوري صاحب «البرق» أن يعد قصيدة للحفلة ففعل، ومن أحق باستقبال ذلك الشاعر العظيم منه.

ولقد حملت إلينا أنباء بغداد خبر رجوع طاغور عن مواصلة السفر وعودته إلى الهند لما لا نعلم. فلم نر أن نطوي هذه القطعة من الشعر النفيس العالي وهي تحية لبنان إلى الهند.

السكرتير[*]

****

(١) البرق، ١٩٣٢، عدد: ٣٤٣٦، ص: ٨

(*) سكرتير تحرير البرق.

١١٨ - بدأ الكأسَ وثنَّى[١]

بـــــدأ الـــــكـــــأسَ وثـــــنَّى
وســـقى الـــشـــعـــرَ فـــغـــنَّى(*)
طـــائـــرٌ من دجـــلـــةِ الخُـــلـــ
ـــــد الى لُـــبـــنـــانَ حـــنَّـــا(*)
كم لـــسِـــحـــر الـــشـــرق في عَـــيـ
ـــنـــيـهِ من مـــعـــنىً ومـــعـــنى(*)
كُـــلَّـــمـــا أنـــشـــدَ خـــلـــنـــا
عُـــمَـــر الخـــيَّـــامِ مـــعـــنـــا(*)
يـــنـــثُـــرُ الأنسَ عـــلـــى المجـ
ـــلس من هـــنَّـــا وهـــنَّـــا(*)
بـــالـــعـــراق الحُـــرِّ مـــشـــغُـــو
فٌ وبـــالـــعُـــرْب مُـــعَـــنَّى

صـــيـــرفـيِّ الأدب الـــعـــا
لي سلامُ الـــشـــعـــر عـــنَّـــا(*)(٢)
قُل لـــبـــغـــدادٍ مـــتى عُـــد
تَ إلـى بـــغـــدادَ إنَّـــا(*)(٣)

١٩٣٣

****

(١) قالها الشاعر في مجتمع من أهل الأدب، ألقى فيه الأستاذ أحمد حامد الصرّاف بعض فرائده.
(٢) ورد هذا البيت في شعر الأخطل الصغير، على النحو التالي:
يـــا رســـول الأدب الـــعـــالـي
سلام الـــشـــعـــر عـــنـــا
(٣) مخطوطة، من أوراق الشاعر.
(*) شعر الأخطل الصغير، «طائر من دجلة»، ص: ٣١٢.

١١٩ - ردّ التحية لأحمد رامي
(عند قدومه إلى لبنان)

مـــرحـــبـــاً شـــاعـــر الجـــمـــال وأهلاً
بـــالحـــبـــيب الـــغـــالي عـــلى لـــبـــنـــانِ
نـــفـــحـــة الـــشـــوق من خـــمـــائل مـــصـــر
ورســـــــول الإخـــــــوان لـــلإخـــــــوان
قـــد طـــلـــبـــنـــاك في الـــنـــســـيم لـــدن رقْ
قَ وبـــــــين الأزهـــــــار والألحـــــــان
وســـألـــنـــا الـــهـــزار يـــســـجع في الأيـ
ـك وقـــطـــر الـــنـــدى عـــلى الأغـــصـــان
من رأى شـــاعـــر الـــشـــبـــاب؟ وهل يـــنـ
ـــبئ غـــيـــر الأخـــدان بـــالأخـــدان

كـــبّـــر الأرز لـــلـــبـــيـــان الـــذي أنـ
ـــشـــدت ذاك الجلال أمّ الـــبـــيـــان
وأحسّ الـــوادي الـــذي يـــحـــضن الـــنـــبـ
ـعَ بـــنـــبـــع من الـــبـــلاغـــة ثـــان
يـــنـــبت الحـــسن ذاك في صـــفـــحـــة الـــكـــو
ن وهـــذا يـــصب فـــيـــه المـــعـــانـي

قل لمصر متى رجعت إليها

كيف أفلتّ من يدي رضوان

إن لبنان جنة الخلد لولا

أنه متعة الجمال الفاني

جدول سابح وأفق مشعٌ

وغصون على الضفاف حَوان[1]

٩ حزيران ١٩٣٣

****

(١) مخطوطة، من أوراق الشاعر.

١٢٠ - مصرع النسر[١]

لـبـستْ بـعـدك الـسـواد الـعـواصمْ
واسـتـقـلت لك الـدمـوعَ المـآتمْ
ودّ لـو يـفـتـديك صـقـر قـريشٍ
بـالخـوافي، من الـردى، والـقـوادم
دارَ هـولُ المـصـاب حـتى احـتـوى الـكـو
نَ كـمـا دار بـالأصـابع خـاتم
فـإذا الـبـحـرُ مـثـقل الـصـدْر بـالأحـ
ـزان والأفق شـاحب الـوجه سـاهم
وإذا أنت ، لا تـرى غـيـر رأسٍ
مـطـرق وارم المحـاجـر واجم
أسـنـدوا «الـبـيت» بـالـصـدور، فـقـد مـا
دَ وخـانت جـدرانـهنَّ الـدَّعـائم
وامـنـعـوا «الـقـبـر» أن يـلمَّ بـه الـنـاعـ
ـي فـيـنـعى إلى «الـرسـول» الـقـاسم
عـرفت قـدرك الـعـيـون فـأغـضت
واسـتـعـارتْ لـهـا عـيـون الـفـواطم
فـطـغى مـصـرع «الحـسـين» عـلى الـشـر
ق وشُـدّتْ عـلى الـرمـاح الـعـمـائم

(١) في رثاء الملك فيصل الأول، ملك العراق.

واكـتـسى مـفـرق الجـهـاد جـمـالاً
بـالأكـالـيل من ذؤابـة هـاشم

فـيـصل الـعـرب، مـا هـززنـاك إلا
بـالجـفـون المـقـرَّحـات الـسـواجم
بـالمـنـى الـذابلات، بـالأمل الـدا
مي بـثـكل الـهـوى، بـفـقـد المـراهم
فـهـززنـا، لمـا هـززنـاك، دنـيـا
من جـمـالٍ وجـنَّـة من مـراحم
قل لـتـلك الـعـهـود في رهج الحـر
بِ وفي سـكـرة الـقـنـا والـغلاصم
قـد لمحـنـاك في عـيـون الـثـعـالي
ولمـسـنـاك في جـلـود الأراقم
حـدثـونـا عن الحـقـوق فـلـمـا
كـبَّـر الـنـصـر ، أعـوزتـنـا الـتـراجم
نـفـحـتـنـا بـهـا الحـروب سلامـاً
ورمـانـا بـهـا الـسلامُ أداهم
قل - وقُـيتَ الـعِـثـار - في نـدوة الـقـو
م مـتى أصـبح الحـلـيف مـخـاصم
أيـن ذاك الـهـيـامُ في أول الحبْ
بِ وتـلك المـوشـحـات الـنـواعم؟...
كـدتُ أخـشى عـلـيـكمُ تـلف الـنـفْ
سِ بـبـان الـلِّـوى وظـبْي الـصـرائم
عـلِّـمـونـا كـيف الـشـفـاء من الحبْ
بِ فـمـا يـسـتـوي جـهـول وعـالمْ

واذكـروا عـهـدنـا الـقـديم، فـقـدمـاً
بـخل الـدهـرُ بـالـصـديق الملائمْ..
إنَّ تحت الـصـدور جـذوة مـوتـو
رٍ وخـلـف الحـدود زأرة نـاقم
لـيس في الـدهـر أوَّلٌ وأخـيـرٌ
فـالـبـدايـاتُ كنَّ قـبلاً خـواتم
لـو أفـاد الـعـتـابُ، مـلـنـا عـلى الـنـفْ
ـسِ بمـا لا تـطـيـقهُ نـفسُ نـادم
أخـذتـنـا الـدنـيـا بمـا زيـنـته
من أمـان، ونـحن بـعـد بـراعمْ
وعـلِـقْـتم من عـهـدهم بـسـرابٍ
كمْ سـمـوم تحت الـشـفـاه الـبـواسم
هـفـوةٌ ، جـرَّهـا الـزمـان عـلـيـنـا
لا مـلـومٌ أنـا، ولا أنـا لائم
ذلك الـلـيل في الـسـنـين الخـوالي
سـوف يـغـدو فـجـر الـسـنـين الـقـوادم
لـلـتـجـاريب في الأمـور يـداهـا
ربَّ بـانٍ مـا كـان بـالأمس هـادم

يـا قـصـور المـنـى عـلـى شـفق الأحـ
ـلام كم مـشـفقٍ عـلـيك وحـائم
أطْـلَـعَتْ شـمس فـيـصلٍ مـنك لـلـعـر
بِ مـصـابـيح من شـقـوق الـغـمـائم
فـلـمـحـنـا في أفـقـهـا وجه هـارو
نَ وعـصـراً مـخـضَّـبـاً بـالـعـظـائم

وَقَــفَتْ عــنــده الــطــوارئ حــســرى
من مــكبٍّ عــلى الــبــســاط ولاثم
وتــغــنى الــفــرات بــالــسؤدد الــفــخْـ
ـمِ وحــلَّى أجــيــاده والمــعــاصم
وتــهــادى الــزمــان عن جــانــبــيه
أزلي الــشــبــاب، نــضــر الــكــمــائم
أملٌ طــاف بــالجــزيــرة ريَّــا
نَ طــلــيق الــهــوى، طــلــيق الــشــكــائم
حــشــد الــعــرب تحت رايــتــه الــسـمـ
ـحــاء والــعــدل والــعــلى والمــكــارم
واســتــرد الأجــيــال، من مــضــر الحـمـ
ـراء والــشــعــر والحــجى والمــواسم
أملٌ كــالــسـمــاء في بــسـمــة الــفــجـ
ـرِ وفي مــوكب الــريــاض الــفــواغم
فــرَّ مــذ مُــدَّت الأكف إلــيــه
كــفــرار الــنــعــيم منْ كفِّ حــالم

ذلك الــنــســر، كــيف حــلّق وانــقضْ
ضَ مــهــيض الجــنــاح، دامي الــقــوائم
رجَّــةٌ ، أجــفل الــكــواســرُ مــنــهــا
ورمى الــذُّعــرُ في الــعــرين الــضــراغم
واشــرأبّ الــوجــودُ، يــنــظــر لــلــنــسْـ
ـرِ عــلى ذروة الــعــروبــة جــاثم
مــدَّ فــوق الــثــرى جــنــاحــاً وألــقى
شــامــخــاً مــا له من المــوت عــاصم

حـــــاملاً ملء ثـــــوبه من جـــــراحـــــا
تِ الـــلـــيـــالي ومنْ غـــبـــار الملاحم
يـــطـــبق الـــنـــاظِـــرَيْن، إلا بـــقـــايـــا
من شـــعـــاع حـــول المحـــاجـــر هـــائم
هـــكـــذا مـــصـــرع الـــنـــســـور: وســـادٌ
من جـلال وقـــــــبـــــــةٌ من طـلاسم

☆☆☆☆☆

قـــد حـــمـــلـــنـــا الـــشـــآم من طـــرفـــيه
فـــــوق بـــــحـــــرٍ من الأسى مـــــتلاطم
وســـفـــحـــنـــا في دجـلـــة قـلب لـــبـــنـــا
ن وأجـــفـــانه الـــهـــوامي الـــهـــوائم
خـــذ بـــهـــمس الـــقـــلـــوب في أذن الحب
ودع عـــــنك كـــــاذبـــــات المـــــزاعمْ..
نَـــسِـــيَتْ نـــوحـــهـــا الحـــمـــائم في الـــدَّو
حِ فـــجـــاءت تـــصـــغي إليَّ الحـــمـــائم
ومن الـــنـــوح مـــا يـــهـــزك لـــلـــعـــطْ
فِ ومـــنه المـــدمـــدِمـــات الـــهـــوادم[1]
١٩٣٣

****

(١) شعر الأخطل الصغير، «مصرع النسر»، ص:٢١٩.

١٢١ - لبنان عيد ما أرى[١]

لبنان عيدٌ ما أرى أم مأتمُ
لله أنت وجرحك المتبسم..
عصروا دموعك وهي جمر لاذعٌ
يتنورون بها وصبحك مظلم
قل للرئيس إذا أتيت نعيمه
إن يشقَ رهطك فالنعيم جهنم
أيطوِّف الساقي هنا بكؤوسه
ويزمجر الجابي هناك ويرزم
تعرى الصدور هنا على قُبَل الهوى
وهناك عاريةٌ تنوح وتلطم
والكهرباء هنا تشع شموسها
وسراج أكثر من هناك الأنجم

لبنان يا بلد السذاجة والوفا
حلم .. وهل غير الطفولة يحلم
هذا حصيرك والحُبيْبات التي

---

(١) ألقاها الشاعر في مأدبة عين تراز حذف منها ثلاثة أبيات:
«وزراء لبنان سلوا لبنانكم
أأنا الذي زينته أم أنتمُ
مرَّغتم بالمخزيات جبينه
ولثمته فأضاء منه المبسم
أأديب لبنان وأرزه
يشقى به وأخو ثريّا ينعم»

كـــانت غـــذاءك والـــلـــحـــاف المـــبـــهمُ
بـــيـــعت لـــتـــهـــرق في الـــكـــؤوس مـــدامـــة
هـي - لا روتـــــهـم - أنـــــفـسٌ تـــــتـــــألـم

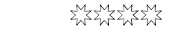

لـــبـــنـــان يـــا بـــلـــد الـــســـذاجـــة والـــوفـــا
حـــلـــمٌ... وهل غـــيـــر الـــطـــفـــولـــة يـــحـــلـم
كـــبـــر.... الـــزمـــان ولا تـــزال كـــأمـــسه
فـــعـــســـاك تـــكـــبـــر أو لـــعـــلك تـــفـــطم
زمن بـه تـــشـــقي الـــفـــضـــائل أهـــلـــهـــا
الـــصـــدقُ يـــقـــتـل والمـــروءة تُـــعـــدم

لـــبـــنـــان شـــاعـــرك الـــذي غـــاضـــبـــته
تـــرك الـــعـــتـــاب وقـــد أتـــاك يـــســـلـم
صـــداحك الـــشـــادي عـــلى هـــضـــبـــاته
كم «مـــعـــبـــدٍ» في عـــوده يـــتـــرنم
هـــو في كـلا حـــالـــيـك أنت غـــرامـه
وعـــلى كـلا حـــالـــيـه ذاك المـــغـــرم..[1]

١٩٣٣

(١) شعر الأخطل الصغير، ص: ٧٨.

١٢٢- سلمى الكورانية[١]

تـعـجَّب الـلـيل مـنـهـا عـنـدمـا بـرزت
تُـسلـسل الـنـور في عـيـنـيه عـيـنـاهـا(*)
فـظـنـهـا وهي عـنـد المـاء قـائـمـةٌ
مـنـارةً ضـمـهـا الـشـاطي وفـدَّاهـا(*)
وتـمـتـمت نجـمـةٌ في أذن جـارتـهـا
لمـا رأتـهـا وجُـنَّتْ عـنـد مـرآهـا(*)
أنـظـرن يـا إخـوتـا هـذي شـقـيـقـتـنـا
فـمن تـراهُ عـلى الـغـبـراء ألـقـاهـا؟(*)
أتـلـك من حـدّثتْ عـنـهـا عـجـائـزنـا؟
وقـلـن إن مـلـيك الجنّ يـهـواهـا(*)
فـأطـلـق المـارد الجـبـار عـاصـفـة
تـغـزو الـنـجـوم فـكـانت من سـبـايـاهـا(*)
قـصّت نُـجـيـمـتـنـا الحـسـنـاء بـدعـتـهـا
عن «نجـمـة الـشـط» والآذان تـرعـاهـا(*)
وكـان بـالـقـرب مـنـهـا كـوكب غَـزِلٌ
يـصـغي، فـلـمـا «رآهـا» سـبح الـله(*)
وراح يُـقـسم أن لا بـات لـيـلـتـهُ
إلا عـلى شـفـتـيـهـا لاثـمـاً فـاهـا(*)

☆☆☆☆☆

يـا مـلـعب الـشط من «أنـفـا»[٢] أتـعـلم من
داست عـلـى صـدرك الـبـازيّ رجلاهـا(*)

(١) ألقيت هذه القصيدة في الحفلة التي أقامتها جمعية من كرائم السيدات في بشمزين من قضاء الكورة في أيلول ١٩٣٣.
(٢) أنفا: اسم بلدة على الشط من قرى الكورة.

ويـــا نـــواتئ من مـــوج ومن زبـــد
أثـنى عـلـيك وحـسب الـفـخـر نـهـداهـا(*)
وأنت يـا هـضـبـة فـازت بـعـزلـتـهـا
فـدتك من هـضـبـات الـشـعـر أسـمـاهـا

☆☆☆☆☆

وخـيَّم الـصـمت في الـشـاطي سـوى لُـججٍ
بـعـيـدة تـتـرامى فـيه أصـداهـا
ونـائـحٍ من «عـتـابـا»(١) فـوق مـتـكـأ
من الـصـخـور تـغـنـاه شـقـيـقـاهـا
والـشط في الـصـيف جـنـاتٌ مـفـوَّفـةٌ
كم فـاخـر الجـبل الـعـالي وكم بـاهى(*)
إذا أرتك الجـبـالُ الـغـيـدَ كـاسـيـةً
فـالـشط أذوق مـنـهـا حـين عـرّاهـا(*)

☆☆☆☆☆

وافت سـلـيـمى فلا أدري أدمـعـتـهـا
تـلك الـتي لمـعت لي أم ثـنـايـاهـا(*)
وذلك الأبـيض المـنـشـور في يـدهـا
مـنـديـلـهـا أم سطـور الحب تـقـراهـا(*)
كـأنمـا الـبـدر قِـدْمـاً كـان خـادمـهـا
فـمـذ أرادته نـادته فـلـبّـاهـا(*)
تـقـرا هـواهـا عـلى أنـوار غـرته
وقـد تُـسـر إلـيه بـعض نجـواهـا
ومـا أصـاب الـهـوى نـفـساً وأشـقـاهـا
إلا وألـقت بـأذن الـبـدر شـكـواهـا(*)
كـأنه حَـكَمُ الـعـشـاقِ كم وسِـعَتْ
بـيـضـاءُ جـبِّـته شـتى قـضـايـاهـا(*)

(١) نوع من الغناء اللبناني.

أو كـــاهن الأزل الحـــالي بـــشـــيـــبـــته
قـبَّـالُ تـوبـتـهـا مـاحي خـطـايـاهـا(*)
أمـــا سُـلـيْـمى فـمـــا زاغت ولا عـــثـرت
فـالحب والـطـهـر يمـنـاهـا ويـسـراهـا(*)
تـعـلَّـقْـتـهُ طـريـــراً كـــالـــهلال عـــلى
غـصنٍ من الـبـان مـاضي الـعـزم تـيَّـاهـا(*)
نَـمَـتْه لـلـشـرف الأسـمى عـمـومـتـهـا
ونـــشـَّـأته عـــلى مـــا كـــان جَـــدّاهـــا(*)
من كـانت الـكـورة الخـضـراء مـنـبـتهُ
فـلـيس يـنـبت إلا المجـد والجـاهـا(*)

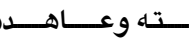

أحـــبَّـــهـــا وأحـــبـــتـه وعـــاهـــدهـــا
أن لا يـــظـــلـــلـــه في الحب إلاَّهـــا(*)
وأنهُ سـوف يـسـعى سـعي مـجـتـهـد
حـــتى يُـــوَطِّئ «للإكـــلـــيل» مـــســـراهـــا
فـيـبـنـيـا في ظلال الأرز وكـرهـمـا
ويـجـرعـا من كـؤوس الحب أشـهـاهـا(*)
وراح يـــقـــرع بـــاب الـــرزق مـــشـــتـــملاً
بـعـزمـةٍ سـنَّـهـا عـلمٌ وأمـضـاهـا(*)
حـــتى انـــثـــنى وعـــلى أجـــفـــانه بـــللٌ
ود الإبـــاء لـــهـــا لـــو كـــان أعـــمـــاهـــا(*)

لـبـنـان مـا لـفـراخ الـنـسْـر جـائـعـة
والأرض أرضك أعلاهـــا وأدنـــاهـــا(*)
أللـغـريب اخـتـيـالٌ في مـسـارحـهـا
ولـلـقـريب انـزواء في زوايـاهـا؟(*)

لا ، لم أجد لك في البلدان من شبهٍ
ولا لناسك بين الناس أشباها(*)
لو مس غيرك هذا الذلُّ من أسد
لعض جبهته سيفٌ وحنّاها(*)
قالوا «الصداقة»(١) قلنا أين شاهدها
أعندما تلفظ الأجداث موتاها
أكلما طورد الشذاذ في بلدٍ
أوما «العميد» ولبنانٌ تبناها
ونحن لو نوَّلوا الأرزاء بغيتها
وأمَّروها لكنا منْ رعاياها

بكى فؤادٌ لسُلمى والبلادِ معاً
وأنفسٍ رضيتْ في الذل مثواها(*)
فحمَّل الموج من أشجانه حمماً
وشد يضربُ أولاها بأخراها(*)
وقال - واليأس يمشي في جوارحه -
ديار سُلمى على رغمٍ هجرناها(*)
كأن ما غرس الآباء من ثمرٍ
لغير أبنائهم قد طاب مجناها(*)
وما بَنَوْه على الأحقاب من أطمٍ
لغير أبنائهم قد حل سكناها(*)
من ظن أن الرياحين التي سُقيتْ
دموعنا الحمر قد ضنت برياها؟(*)

(١) يريد بها الشاعر ما كانوا يسمونه الصداقة التقليدية بين لبنان وفرنسا.

خـمس من الـسـنـوات الـسـود لا رجـعتْ
صـبَّت عـلى رأس لـبـنـان بلايـاهـا(*)(١)
وحـب سـلـمى وريقٌ مـثـل أولـه
سـقـتـه من ذكـريـات الأمس أنـداهـا(*)
تـمـضي لـواجـبـهـا حـتى إذا انـصـرفتْ
فـلـيس يـشـغـلـهـا إلا «فـؤاداهـا»(*)

سلـمى أرى الـشـمس في خـديك ضـاحـكـة
وكـنت كـالـغـيـمـة المـقـطـوب جـفـنـاهـا(*)
أنـفـحـة من «فـؤاد» كـدت أقـرؤهـا
فـفي عـيـونك مـبـنـاهـا ومـعـنـاهـا(*)
أم سَـورة من عـتـاب؟ أيُّ فـاجـئـةٍ
في لحـظـة صـبغ الخـدين لـونـاهـا(*)
قـولي فـلـيس سـوى الخـلـجـان تـسـمـعـنـا
ورقـرقـيـهـا سلافـاً فـوق حـصـبـاهـا(*)
أو فـأمـري الـطـرس يـغـدو لـلـهـوى قُـبَلاً
حـمـراً تـرصع أجـيـاداً وأفـواهـا

وأشـرف الـبـدر يـهـوي نـحـو مـغـربه
حـتى أتى الـضـفـة الأخـرى وحـاذاهـا
وقـد تحـدَّب فـوق الـبـحـر يـفـحـصه
كـغـادة - وهي تـلـهـو - ضـاع قـرطـاهـا

(١) إشارة إلى سنوات الحرب العالمية الأولى.

فـاسـتـوقَـفَـتْه وقـالت - وهـي كـاسـفـة -

رسـالـة «لـفـؤاد» أو مـؤداهـا

قل لـلـحـبـيب إذا طـاب الـبـعـاد له

ونـقِّل الـنـفس من سُـلـمى لـلـيلاهـا(*)

واسـتـأسـرته وإخـوانـاً له سـبـقـوا

مـظـاهـرٌ من رخـاء مـا عـرفـنـاهـا(*)

إنـا إذا ضـيع الأوطـانَ فـتـيـتُـهـا

واسـتـوثـقـوا بـسواهـا مـا أضـعـنـاهـا(*)

حـسب الـبُـنـوَّة إن ضـاق الـرجـال بـهـا

أن الـتي أرضـعـتـهـا المجـد أنـشـاهـا(*)(١)

- الهوى والشباب، ص:١١٩-١٢٤.

(*) شعر الأخطل الصغير، ص:٤٢-٥١، بترتيب مختلف.

١٢٣- العبقرية ما حييت جنايةٌ[١]

ضَـمنَ الـثـنـاءَ وفَتّ في الأحـقـاد
قـدَرٌ أخفّ من الحـسـود الـعـادي(*)
وهـبـوا نـبـوغك في الحـيـاة لحـفـنـة
من أدمع مـجـبـولـة بـرمـاد(*)
الـعـبـقـريـة مـا حـيـيتَ جـنـايـةٌ
فـخـذ الـذمـام لـهـا من الألحـاد(*)
تـمـشي عـلى حَـسَك الـصدور وشـوكـهـا
وتُـلفّ بـعـد المـوت بـالأوراد(*)
لـو لم يـخـضَّب بـالـدمـاء صـلـيـبه
عـيـسى لمـا كـان المـسـيح الـفـادي
ومـحـمـد لـولا اضـطـهـاد مـعـاشـر
خُـشنٍ لمـا كـان الـرسـول الـهـادي
آلى الـهـدى أن لا يـطل عـلى الـورى
إلا عـلـى جـبـل من الأجـسـاد(*)
مـا ضـر حـظك في الـنـبـوغ لـو أنه
أعـطـاك من دنـيـاك بـعض الـزاد
حـسب الـذكـاء عـلـيك دهـر بـاخل
وضع الـقـرائح في يـدي نـقّـاد(*)
لـو نـبئ الـطـفل الـرضـيع بـحـظه
مـنـه لحـار المـوت في المـيـلاد

(١) رثاء وديع عقل، توفي سنة ١٩٣٣، كان نقيب الصحافة والرئيس الثاني للمجمع العلمي اللبناني، بعد عبدالله البستاني .

تـالـلـه مـا مـعـنـى الـوجـود وحـكـمه
حـكـم الـفـنـاء وأمـره لـنَـفـاد(*)
إلا مـشـقـات الـطـريق إلى الـثـرى
بـيـن الأسى وتـفـتـت الأكـبـاد(*)
أنـا كـالمـعـري لـست أسـأل رحـمـة
إلا مـن الآبـاء لـلأولاد(*)

☆☆☆☆☆

قـالـوا الـصـحـافـة قـلت أين حـبـيـبـهـا
ونـقـيـبـهـا يـحـتل صـدر الـنـادي
تـتـداول الآذان سـحـر حـديـثه
بـرداً عـلـى كـبـد وقـدح زنـاد(*)
أيـقـام وزن لـلـبـيـان وقـد رمى
سـهم المـنـيـة مـنه قـلب الـضـاد(*)
فـتـقـطّـعت مـهج وفـاضت أعـين
رمَتِ الخـدود بـكلّ أوطفَ صـاد(*)
مـطـر كـمـا انـتـثـر الجـمـان عـلى الـلـظى
وتـكـسـر الـبـلّـور في الأجـيـاد(*)

☆☆☆☆☆

قـالـوا الـصـحـافـة قـلت أي حـشـاشـة
سُـفـكت عـلـى سنٍّ من الـفـولاد(*)
حـمـراء رش الاصـفـرار بـهـاره
فـيـهـا كـكـفـرٍ رُعْـتَه بـجـهـاد
وتـخـالـهـا مـا قـد تجـمـد من دم
خـلل الـسـنـين عـلـى يـدي جلاد(*)

الـــلـــه أي شـــهـــيـــدة عـــربـــيـــة
نـــســـجت لـــهـــا الأقلام ثـــوب حِـــداد(*)
أدى بـــهـــا الـــغـــرب الحـــقـــوق وسـلَّـــهـــا
فـــوق المـــشـــارق صـــارم اســـتـــبـــداد(*)

☆☆☆☆☆

لـــبـــنـــان هل مـــرت بـــخـــاطـــرة المـــنى
وتـــخـــيّل المـــتـــشـــائم المـــتـــمـــادي(**)
أيـــام وكْـــرُك في الـــنـــســـور مـــقـــدسٌ
حـــرّ الجـــوانح بـــارز المـــنـــقـــاد(**)
أيـــام يـــضـــطـــجع الخـــيـــال عـــلى الـــربى
مـــتـــأثـــراً من زهـــرهـــا بـــوســـاد(**)
والـــنـــبع يـــضـــحك لـــلـــمـــزارع والجـــنى
ويـــكـــاد يـــلـــثم مـــنـــجل الحـــصَّـــاد(**)
وســـمـــاك صـــافـــيـــة وبـــيـــتك ضـــاحك
وحـــشـــاك ريّـــان وجـــارك صـــاد(**)

☆☆☆☆☆

لـــبـــنـــان هل مـــرت بـــخـــاطـــرة المـــنى
وتـــــوهـم الآبـــــاء والأجـــــداد(**)
أنَّ الأُلى غـــذّى الخـــيـــال هـــواهم
ومـــشى عـــلى جـــيلٍ من اســـتـــشـــهـــاد(**)(١)
فـــطـــمـــوا عن الحب الـــقـــلـــوب وغـــادروا
عـــين المحبّ لـــدمـــعـــة وســـهـــاد(**)

---

(١) أنّ الأُلى غـــذّى الخـــيـــال هـــواهم
ريـــشـــاً عـــلى وكـــرٍ وحـــلم حـــصـــاد
شعر الأخطل الصغير، ص: ٧٤-٧٥.

وتـنـكـروا بـعـد الـتـدلّه في الـهـوى
وشـكـايـة الـسـقـمـاء لـلـعـوّاد(**)
خـدعَـتْك أحلام الـشـبـاب بـعـصـبـة
نجـــــــــواك فـي واد وهـم فـي واد

☆☆☆☆☆

لـبـنـان أيـة دمـعـة غـربـيـة
سُـفـكتْ عـلـى (عـقل) وأي ضـمـاد
ولـقـد عـطـفت عـلى مـغـالـبـة الـلـغى
- فـعـذرتم - وشـواسع الأبـعـاد
ورجـعت لـلـشـرق الجـريح وفي يـدي
مـا في سـمـاء الـشـرق من أمـجـاد(**)(١)
فـرأيـته يـبـكي (الـوديع) بـجُـلّق
ورأيـته يـبـكـيه في بـغـداد
فـمـزجت دمـعـته الحـنـون بـدمـعـتي
ونـقـشت مـثل جـراحه بـفـؤادي

☆☆☆☆☆

عـصـفـورة الـوادي أراك حـزيـنـة
(أعـلـمت من حـمـلـوا عـلى الأعـواد)
الـنـسـر ذا نَـزِقٌ عـلى هـضـبـاته
والـعـضْبُ ذا حَـنِقٌ عـلى الأغـمـاد

---

(١) غـنـيت لـلـشـرق الجـريح وفي يـدي
مـا في سـمـاء الـشـرق من أمـجـاد
شعر الأخطل الصغير، ص: ٧٤-٧٥.

هـــجـــر الـــفـــراخ أبـــوهم لمـــفـــازة
مـــجـــهـــولـــة ولـــعـــلـــهـــا لمـــعـــاد(*)
فـتـجـمـعـوا في الـوكـر حـول حـمـامـة
بـــيـــضـــاء جـلّـلـهـا الأسى بـــســـواد(*)
نـــادوا أبـــاهم في الـــبـــراح فـــلـم يـــجب
وجـــرت عـــلـى أثـــر الـــصـــغـــار تـــنـــادي
لـــهـــفي عـــلـى تـــلـك الـــهـــواتف في الـــدجى
أفـــعـــائـــد غـــيـــر الـــصـــدى لمـــنـــاد؟(*)

قل لـــلـــوديع - ولا يـــصـــدك أنه
بـــيـــد الـــبـــلـى - لم يـــبل فـــيك ودادي
فـــلـــربمـــا لمس المـــوسّـــد في الـــثـــرى
روح الـــوفـــاء يـــســـيل في الإنـــشـــاد
صـــلـــة الـــتـــراب إذا خلا من روحه
صـــلـــة الـــبـــريء خلا من الإفـــســـاد
كم صـــاحب أحـــرقت نـــفـــسك دونه
فـــهـــوى عـــلـــيك بـــصـــورة الـــوقّـــاد(*)
وأخي انـــكـــســـار رحت تـــرأب صـــدعه
فـــبـــدا عـــلـــيك مع الـــزمـــان الـــعـــادي(*)
ورضـــــيـــع آداب أقَـــلْـــتَ عـــثـــاره
فـــإذا رمى الأعـــداء كـــان الـــبـــادي(*)

قـالـوا الـصـحـافـة قـلت أين عـمـيـدهـا

إن الـــطـــراد بـــحـــاجـــة لجـــواد(*)

طـــلـق الـــقـــوائم لا يـــعض لجـــامه

من غـــيـــظه ويـــخب في الأصـــفـــاد(*)

يـــحـــمي حـــقـــيـــقـــتـه بـــكل مـــثـــقف

قـــمـــر بـــأخْـــذ المـــســـتـــبـــد حـــداد

هـــو في شـــمـــال الـــظـــلـم ذئب حـــانقٌ

وعـــلى يمـــين الـــعـــدل طـــيـــرٌ شـــاد(**)(١)

تـــتـــدحـــرج الـــتـــيـــجـــان من ذرواتـــهـــا

إن راح يـــنـــســف أسَّـــهـــا بمـــداد(*)

جَـنَتِ الـنـفـوس عـلى الجـسـوم جـنـايـة

لـم تـــمـح ســـبّـــتـــهـــا عـــلى الآبـــاد

☆☆☆☆☆

قل لـــلـــوديع أفي جـــوارك مـــنـــزل

بـــين الـــقـــبـــور لأمـــة وبلاد(*)

والـــقـــبـــر إن عق الـــبلادَ رجـــالُـــهـــا

وتـــبـــدلت بـــالأصـــدقـــاء أعـــادي(*)

وهـــوت إلى الـــدرك الـــســـحـــيق وقـــادهـــا

فـي الـــغي شـــرذمـــة من الأوغـــاد(*)

---

(١) أنـــا في شـــمـــال الحب قـــلـب خـــافق
وعـــلـى يمـــين الحق طـــيـــر شـــاد

شعر الأخطل الصغير، ص: ٧٤-٧٥.

أوفى وأكـــرم فـــهـــو يـــشـــفق أن تـــرى

عـــطف الـــعـــذول ورحـــمـــة الأضـــداد[*]

الـــــله في مـــــهج تـــــذوب ومـــــوطن

حـــــرب عـــلى المـــتـــقـــحم الـــذواد[*]

يـــلـــقي عـــلى قـــدم الـــغـــريب بـــنـــفـــسه

ويـــــشـــــيح عن أبـــــنـــــائه الأنجـــــاد[*]

وردت مـــنـــاهـــلـــهـــا الـــشـــعـــوب إلى الـــعـــلى

فـــمـــتى أرى لـــبـــنـــان في الـــوراد[**](١)

نظمت سنة ١٩٣٣

(١) جامعة الحكمة، ١٩٣٧، ص: ١١.

(*) شعر الأخطل الصغير، «حفنة رماد»، ص: ١٥٨-١٦١.

(**) المصدر نفسه، «غنيت للشرق الجريح»، ص: ٧٤-٧٥.

١٢٤ - الكـوكـب[١]

لا تـــــخـــــلق الأعـــــذار أنت المجـــــرمُ
إن تـــسـكت الـــزّلـــفى فـــقـــد نـــطق الـــدمُ
أتـــضـــيق بـــالـــقـــتـــلى رحـــاب قـــبـــورهـــا
والـــعـــدل مـــشـــلـــول الـــســـواعـــد أبـــكم
ضـــاعت أمـــانـــات الـــنـــفـــوس لـــدى الأُلى
ولُّـــوا عـــلى هـــزل الـــزمـــان وحُـــكّـــمـــوا
سَـــقـــيـــاً ورَعـــيـــاً لـــلـــمـــنـــايـــا إنـــهـــا
ظـــفـــرت بمن يـــســـقي الـــدمـــاء ويـــولم

يـــتـــســـاءلـــون عن الأثـــيم ولـــو دروا
لـــبـــكـــوا عـــلـــيه رقّـــة وتـــرحّـــمـــوا
هـــو يـــقـــظـــة الأشـــبـــاح في غـــسق الـــدجى
رقـــصت عـــلى صـــهـــواتـــهنَّ جـــهـــنم

(١) كوكب الشرق فندق مشهور، كان يقع في ساحة البرج، وسط مدينة بيروت، وفوق مطعم «أبوعفيف» حيث كان الشعراء والأدباء وبعض رجال السياسة يجتمعون ويتندرون حول صحن الحمص والفول وكأس الشراب. ويروى أن أبا عفيف صاحب المطعم عمل على إعادة هندسة المكان، فأدى ذلك إلى انهيار المبنى وسقوط ضحايا عديدة. فاعتبر الأخطل الصغير الدولة مسؤولة عن الحادث فهو نتيجة إهمالها وسوء إدارتها. وقد أقام النادي الماروني حفلة تأبينية لضحايا الكوكب تحت رعاية رئيس الجمهورية اللبنانية، وكان شعراء الحفلة: خليل مطران، وأمين تقي الدين، وإدوار البستاني، وبشارة عبدالله الخوري، وكان خطباؤها: أميل أبوسمرا، ميخائيل نعيمة، موسى نمور - وزير الداخلية. وقد قرأنا على بطاقة دعوة الشاعر إلى الحفلة العبارة التالية وقد كتبت بخطه «منعت الحفلة بسبب القصيدة» أي قصيدته.

لا يـــخـــدعـــنّك مـــنه مـــظـــهـــر هـــادىء
فـــالـــبـــحـــر أهـــدؤه المخـــيف الأَفْـــتَم
يـــرنـــو إلـــيك ولا يَـــرى وكـــأنه
يـــنـــسى مـــحطّ يـــديه حـــين يـــسـلّم
وكـــأنه ســـلب الـــضـــحـــايـــا لـــونـــهـــا
أفلا تـــراه بـــصـــفـــرة يـــتـــلـــثّم؟
يـــتـــلـــقّف الـــهـــمس الخـــفي بـــأذنه
ويـــكـــاد يـــخـــطف مـــا يـــهم به الـــفم
ويـــخـــاف بـــادرة الـــلـــســـان تـــخـــونه
فـــإذا تـــنـــاوله الحـــديث يـــجـــمـــجم
يـــســـتـــرفـــد الألحـــاظ نـــظـــرة مـــشـــفق
ويـــبـــارك الـــكف الـــتي لا تـــرجم
ويـــواصل الـــضـــحك المـــريـــر تـــكـــلـــفـــاً
لـــيـــغـــلـــف الـــقـــلـــب الـــذي يـــتـــألم
اثـــنـــان لا يـــتـــهـــادنـــان دقـــيـــقـــة
شـبح الـضـحـيـة والـضـمـيـر المجـرم[1]

☆☆☆☆☆

بـــيـــروت هل ذرفت عـــيـــونك دمـــعـــة
إلاّ تـــرشّـــفـــهـــا فـــؤادي المـــغـــرم
أنـــا من ثـــراك فـــهل أضنّ بـــأدمـــعي
في نـــكـــبـــتـــيك ومن ســـمـــائك ألـــهم
كم لـــيـــلـــة عـــذراء جـــاذبـــهـــا الـــهـــوى
أنـــا والـــعـــنـــادل والـــربى والأنجم

(١) اثـــنـــان يمـــضي الـــدهـــر لم يـــتـــهـــادنـــا
شـــبح الـــضـــحـــيـــة والـــضـــمـــيـــر المجـــرمُ
شعر الأخطل الصغير، «الكبير المجرم»، ص: ٢٦٦-٢٦٧

أنـــا من بـــلـــوتِ وفـــاءه وبـــيـــانه
هل كـــان غـــيـــرهـــمـــا الـــطـــراز المـــعْـــلم
إن راح يـــنـــكـــرني الجـــهـــول عـــذرته
ورحـــــمـــــته أَيُـلام من لا يـــــفـــــهم
لـــهـــفي عـــلـــيك أكلُّ يـــوم مـــصـــرع
لـــلـــحق فـــيك وكل عـــيـــد مـــأتم
أرضـــيـــعـــةَ الآلام، كل مـــصـــيـــبـــة
ثـــديٌ وكل عـــصـــيـــر ثـــديٍ عـــلـــقم
مـــا أظـــلـــم الأيـــام... أي غـــمـــامـــة
لا تـــنـــجـــلي ورضـــيـــعـــة لا تـــفـــطم
كـــثـــرت عـــلـــيك الأمـــهـــات ومـــا درت
أرحـــامـــهنّ فـــكل أم ضـــيـــغم
تـــتـــداول الأحـــداث فـــيك ولاتـــهـــا
فـــمـــقـــوّض لخـــيـــامه ومـــخـــيّم
والأمـــر أمـــرك لـــو رجـــعت إلى الـــهـــدى
الحب يـــبـــني والـــتـــبـــاغض يـــهـــدم

فَـــدَتِ المـــنـــائـــر كـــلـــهن مـــنـــارة[1]
هي في فم الـــدنـــيـــا هـــدىً وتـــبـــسّم
مـــا جـــئـــتـــهـــا إلا هـــداك مـــعـــلّم
فـــوق المـــنـــابـــر أو شـــجـــاك مـــتـــيّم
قل لـــلـــكـــواكب بـــعـــد كـــوكـــبـــهـــا اســـفـــري
أو لا... فـــكل ضـــيـــاء نجمٍ مـــظـــلـــم
وتـــبـــسَّـــمي أو... لا فـــبـــعـــد زواله
ســـيّـــان من يـــبـــكي ومن يـــتـــبـــسَّم

(١) شعر الأخطل الصغير، «بيروت»، ص:١٥٦.

الأربـــعـــون[1] ولا أثـــيـــر بك الأسى
مـــتـــعـــمـــداً.. أرأيت كـــيف تـــهـــدمـــوا
جـــبل من الـــبـــنـــيـــان زلـــزل فـــوقـــهم
وانـــقض يـــعـــصف فـــيـــهم ويـــدمـــدم
لـــله مـــنـــظـــرهم وقـــد فـــغـــر الـــردى
فـمه وقـال اســتـسـلِـمـوا فـاسـتـسـلَـمـوا
جـــثث مـــطـــرّحـــة ذراهـــا عـــاصف
وحـــــمـــــالـقٌ مِـــــيـلٌ وأشلاء دم
بـــين انـــفلات الـــروح واســـتـــمـــســـاكـــهـــا
تحت الجـــنـــادل والمـــعـــاول تـــرزم
أمل كـــخـــيـط أبـــيـض في قـــاتم
مـــتـــلـــبّـــد أو ســـكـــرة وتـــوهّم
صـورٌ تـطـوف بـهم مـخـضـبـة الـرؤى
أســـد يمـــزقـــهم ويـــنـــهش أرقم
وأمـــــرّ من هـــــذا وأوجع زوجـــــةٌ
خـطـرتْ كـومض الـبـرق أو خَـطَـرَ ابْـنُم
لاحـــا كـــأخـــيـــلـــةٍ خلال غـــمـــامـــة
حـــمـــراء تـــشـــرق بـــالـــضـــرام وتـــسْـــجُم
وحـبـيـبـة في شـمـلَـتيْ مـجـنـونـة
وقـــفتْ تحـــدث في الـــفـــضـــاء وتـــرسم
وكـــأنـــهـــا لمـــا رأتـه صـــفـــقتْ
وتـــضـــاحـــكت في وجـــهه تـــتـــهـــكّم
حُـمّى لـهـا نـهم الـسـبـاع ويـقـظـة
تحت الـــتـــراب هي الجـــحـــيم الأعـــظم

(١) الضحايا الأربعون.

لـهـفي عـلـيـهم عـصـبـة عـربـيـة
في الـقـلـب جـرح مـنـهمُ لا يـلأم
قـد كـنت ألجـأ لـلـمـنـيـة فـيـهم
لـكـنـمـا قـلـب المـنـيـة أعـجم

☆☆☆☆☆

أمـسك فـؤادك أو يـسـيل فـلـم يـعـد
لجـراح قـلـبك بـعـد (مـعـبـد) بـلـسم
المـطـلـق الـوتـر المـرنّ كـأنه
تحت الـظلام أشـعـة تـتـكـلم[1]
تـلـقى الـقـلـوب كـأنـهنّ حـمـائم
حـمـرٌ عـلـى تـلـك الأنـامل حـوّم[2]
سـكـرى الـسـمـاع فـخـافق مـتـرنّح
حـول الـغـديـر ومـسـتـقـر يـلـثم
ثـمـلت به الأزهـار وهي أجـنّـة
وتـشـوقت فـانـشق عـنـهـا الـبـرعم
سـبـحـان من جـعل الـغـنـاء غـريـزة
كـالـشـعـر . أفـتنُ مـا سـبـاك الـتـوأم
تـلـد الـطـبـيـعـة شـاعـراً ومـغـنـيـا
إن لم تـكـنه فـحـسب مـا تـتـجـشّم
مـا كـنت أعـلم لـلـبلابل مـصـرعـاً
يـطـأ الـصـدور صـفـيـحه ويـحـطّم

---

(١) يـا غـابـة الـصـوت الـلـهـيف كـأنه
تحت الـظلام أشـعـة تـتـكـلم

(٢) تـسـعى الـطـيـور فـكـلـهنّ حـمـائم
حـمـر عـلـى تـلـك الأنـامل حـوّم

- شعر الأخطل الصغير «أشعة تتكلم»، ص: ٢٩٢.

قـبـــر الـــبلابل في الـــريـــاض مـــحـــفـــة

خـضـراء تحـضـنـهـا الـغـصـون وتـرأم

ربـــاه هل تـــرضى الـــشـــقـــاء لأمـــة

مـــــا أذنـــــــبت إلا لأنك تحـــــــلم

عـــدل قـــصـــاصك كم نـــبيّ جـــاءهم

وأراد أن يـــتـــوحـــدوا فـــتـــقـــســـمـــوا

عـــاشـــوا عـــلى أمل فـــكـــفـــنـــهم به

من لـــست أذكـــرهم وتـــعـــلم من هم[1]

نيسان ١٩٣٤

(١) وقعنا على القصيدة مطبوعة على الآلة الكاتبة بين أوراق الشاعر مرفقة ببطاقة الدعوة إلى الحفلة التأبينية.

- نشرت هذه القصيدة في «شعر الأخطل الصغير » مقسمة تحت العناوين التالية:

- «الكبير المجرم»، ص: ٢٦٦-٢٦٧.
- «بيروت»، ص: ١٥٦.
- «تحت الأنقاض»، ص: ١١٤-١١٥.
- «أشعة تتكلم»، ص: ٢٩٢.

١٢٥- بأبي أنت وأمي

إسقنيها بأبي أنت وأمي لا لتجلو الهم عني، أنت همي

املأ الكأس ابتساماً وغراما

فلقد نام الندامى والخزامى

زحم الصبح الظلاما فإلاما

قم نُنهنه شفتينا ونذوّب مهجتينا، رضي الحبُّ علينا

يا حبيبي

بأبي أنت وأمي، اسقنيها لا لتجلو الهم عني، أنت همي

غنني واسكب غناك ولماك

في فمي، فدَّيت فاك هل أراك

وعلى قلبي يداك ورضاك

هكذا أهل الغزل كلما خافوا الملل أنعشوه بالقبل

يا حبيبي

بأبي أنت وأمي، اسقنيها لا لتجلو الهم عني، أنت همي

صُبَّها من شفتيك في شفتيا

ثم غرّق ناظريك في ناظريا

واختصرها ما عليك أو عليّـــا

إن تـكن أنت أنـا وجـعـلـنـا الـزمـنـا قـطـرة في كـأسـنـا

يا حبيبي

بـأبي أنت وأمي، اسقـنـيـها لا لـتـجـلـو الـهمَّ عـني، أنت همي[1]

نظمت سنة ١٩٣٣

****

(١) الهوى والشباب، ص: ١٣٢.

- شعر الأخطل الصغير «بأبي أنت وأمي»، ص:٢٤٤.

١٢٦- يا ورد من يشتريك[١]

يـا ورد مـين يـشـتـريكْ ولـلـحـبـيب يـهـديكْ
يـــهـــدي إلـــيه الأمل والـــهـــوى والـــقـــبل

يـــا ورد

أبـيض غـار الـنـهـار مـنـو خـــجـــولْ مـــحـــتـــار
بـاســو الـنـدا بـخـدو وجـارت عـلـيه الأغـصـان
راح لـلـنـسـيم واشـتـكى وجـــرَّح خـــدودو وبـــكى
أفـــدي الخـــدود الـــتي تـــعـــبث في مـــهـــجـــتي
يـــا ورد لـــيه الخـــجل فـيك يـحـلـو الـغـزل

يـــا ورد

يـا ورد يـا حْـمـر قـولـلي مـــين دا الـــلي جـــرّحك
جـرّح شـفـايـفك وخـلّى عـــلى شـــفـــايـــفك دمك
شـقت جـيـوبُ الـغـزل وانـــبحً صـــوت الـــقـــبل
عـــلى الـــشـــفـــاه الـــتي تـــشـــربُ من مـــهـــجـــتي
يـــا ورد لـــيه الخـــجل فـيك يـحـلـو الـغـزل

يـــا ورد

(١) نظمت نزولاً على رغبة الصديق الموسيقار محمد عبدالوهاب.

أصـــفـــر من الـــســـقم أم من فـــرقـــة الأحـــبـــاب
يـــا ورد هـــونْ عـــلـــيك عـــاد بـــلـــبـــلك ولـــهـــان
يـــســـأل عـــلـــيك الـــربى والـــزهـــر والأنـــهـــار
يـــهـــتـف أين الـــتي وهـــبـــتـــهـــا مـــهـــجـــتي
يـــا ورد لـــيه الخـــجل فـــيك يـــحـــلـــو الـــغـــزل

يـــا ورد[1]

نظمت سنة ١٩٣٣

(١) الهوى والشباب، ص: ١٥٧.

١٢٧ - تهنئة سعيد فريحة في عرسه

عـــــرس الـــــزنـــــابق حـــــفّت
بـه خـــــــــدود الـــــــــورودِ
مـن كـل حـــــــــرّان صـــــــدر
وكـل ريـــــــان جـــــيـــــــد
غـــــنـى لـــــهـــــا الحب حـــــتى
جُـــنَّت بـــنـــات الـــقـــصـــيـــد
فـــــرحن يـــعـــبـــثن بـــين الـ
ـــعـــنـــقـــود والـــعـــنـــقـــود
كـــــأنـــــهن «ســـــعـــــيـــــد»
في ســـــكـــــرة يـــــوم عـــــيـــــد

☆☆☆☆☆

يـــــــا وردة الأدب الـــــــنـــــــضـ
ـــــرِ والجـــــمـــــال الـــــفـــــريـــــد
مـــــا قـــــلـــــت إلا دعـــــابـــــاً
لـــــصـــــاحـــــبي ومـــــريـــــدي
ســـــلـي بـه الـــــقـــــلـم الحـــــرْ
ر فـــــهـــــو خـــــيـــــر شـــــهـــــيـــــد
كـلاكـــــمـــــا خـــــيـــــر كفءٍ
لـــــذا الـــــقـــــران الـــــسـعـــيـــد
فـــــمـن كـــــمـــــالٍ قـــــديمٍ
إلـى كـــــمـــــال جـــــديـــــد[1]

١٩٣٣

****

(١) من أوراق الشاعر.

١٢٨ - رثاء حافظ إبراهيم

أي نـكـبـاء أخـرست بـلـبل الـنـيـ
ـلِ وأذرت تـلك الـلـيـالي الـرقـاقـا
ورمت صـدر مـصـر فـارتـعش الـشـر
قُ كـمـا رُعْتَ حـالمـاً فـاسـتـفـاقـا(*)(١)
نـبـأة في حـشـا الـعـروبـة مـنـهـا
مـثل هـز الـعـواصف الأوراقـا
ولـسـان من الـلـهـيب له فِحْ
حٌ رمى الـشـام واسـتـبـاح الـعـراقـا
وانـثى الـذوائب الـبـيض من لـبـ
ـنـانَ لا يـأتـلي بـهـا تحلاقـا
وقـديمـاً بـكى الـعـبـاقـرَ لـبـنـا
نٌ وروَّى الآداب والأخـلاقـا(*)
وكـسـا يـعـربـاً سـمـوطـاً من الإبـ
ـداعِ زادت جـبـيـنـه إشـراقـا(*)

☆☆☆☆☆

مـأتم في الـتـراب سـال عـلـى الآ
فـاق مـنـه مـا ضـرّج الآفـاقـا
واسـتـثـار الأرواح في الملأ الأعـ
ـلى فـأتـلَـعْن نـحـوه الأعـنـاقـا(*)

---

(١) لاهـثـاً في الحـديـد رنّـحـه الـظـلـم
كـمـا رعت حـاكـمـاً فـاسـتـفـاقـا
- راجع ، شعر الأخطل الصغير، «شاعر النيل»، ص: ١٩٥.

يـتـضـاربن بـالجـوانح تـزحـا
مـاً ويُـمـعنَّ في الـقـضـاء سـبـاقـا(*)
عـرس مـاجت الـبـشـائـر فـيه
واسـتـطـارت صـبـابـة وعـنـاقـا(*)
فـتـغـنَّى وشـبَّب المـتـنـبي
وتـصـابى الـصـابي أبـو إسـحـقَـا(*)
ومـشى بـالـدنـان حـور وولـدا
نٌ عـصـرن الخـدود والأحـداقـا(*)
ونـثـرن الأزهـار ممـا كـسـا الحـق
ـل وممـا كـسـا الـقـدود الـرِّشـاقـا(*)
وهـززن الـنـهـود من خـلل الـوشـ
ـي ولمـلـمن مـا أحـاط الـسـاقـا
مـرحـبـاً روح «حـافظ» دونك الخـلـ
ـد عـيـونـاً وكـؤوسـاً ورفـاقـا
وأكـالـيلَ من زنـودٍ وأجـيـا
دٍ كـمـا هـجْتَ جـدولاً رقـراقـا
مـنـحـة الـشـاعـر الـذي يـعـبـد الحق
ويـرضي الأوطـان والخـلاقـا

☆☆☆☆☆

شـاعـر الـنـيل خـذ بـنـاصـيـة الـنـجـ
ـمِ وداعبْ جـبـيـنه الـبـرَّاقـا
أو فـعُـدْ لـلـحـقـول دغـدغْ بـهـا الـزهـ
ـر ونـبِّهْ في صـدرهـا الأشـواقـا

أنت والـــنـــيل ضـــفـــتـــان لمـــصـــر

تـــنـــبـــتـــان الأذواق والأرزاقـــا

قل فـــكم من يـــتـــيـــمـــة لك رنَّت

قـــطَّع الـــشـــرق دونـــهـــا الأطـــواقـــا[1]

ومـــشى في الحـــديـــد رنَّـــحه الـــظـــلـ

ـم وقـــد عـــالج الحـــديـــد فـــعـــاقـــا

يـــطـــلب الحق في الـــوجـــود فـــيـــعـــطى

كـــاذبـــات الـــوعـــود والإخـــفـــاقـــا

قل فـــكم من خـــريـــدة لك لا تـــر

ضى الـــقـــوافي إلا هـــدى وخِـلاقـــا

تـسـكب الـدمع بـلـسـمـاً لـلـجـراحـا

ت وتـــفـــني شـــعـــورهـــا إشـــفـــاقـــا

تـؤثـر الـشـعـر لـلـحـقـيـقـة عـصـمـا

ء وتـــأبـــاه أن يـــكـــون نـــفـــاقـــا

قل فـكم مـجـلـس فـتَـقْتَ بـه الـفـجـ

ـر ضـحـوكـاً والـلـيل مـدَّ رواقـا

وتـركت الـنـجـوم في الـكـأس غـرقى

عـاريـات وبـعـضـهـا عـشـاقـا[2](*)

---

(١) مـا نـسـيـنـا لك الـقـصـائـد الحـمـر
قـطّع الـشـرق دونـهـا الأطـواقـا

(٢) وتـملَّ الأحلام في الـكـأس غـرقى
عـاريـات وبـعـضـهـا عـشـاقـا

- راجع ، شعر الأخطل الصغير، «شاعر النيل»، ص: ١٩٤-١٩٦.

مـقْـولٌ يـحـصـد الـهـمـوم ويـنـمي
في الـنـدامى بـشـاشـة وانـطلاقـا[*][1]
وهل الـشـعـر غـيـر مـا امـتـلك الـنـف
ـس فـحـلًّى كـأسـاً وحلَّ وثـاقـا[*]

مـا نـسـيـنـا لك المـواقف بـيـضـاً
يـوم عـاثـوا في الأمـتـين شِـقـاقـا[*][2]
ورمَـوا مـهـجـة الإخـاء فـسـمّـو
هـا وكـانت دمـوعك الـتـريـاقـا
مـا نـسـيـنـا إذ مـصـر أو بـعض مـصـر
آذن الـشـام جـفـوةً وفـراقـا
فـغـسـلت الجـراح بـالـسـلسل الـعـذ
ب وصـيـرت كل خِـلْفٍ وفـاقـا[*]
ودَوَى صـوتك الـعـزيـز بمـصـر
فـإذا الـشـرق عـنـده يـتـلاقى[*]
مـثـل سـرب من الحـمـام نَـهـيكٍ
أثـخَـنْـته يـد الـنـوى إرهـاقـا[*]
يـزرع الـريش في المـفـاوز إعـيـا
ءً وقـد عـلَّه الـرجـاء فـسـاقـا[*][3]

---

(١) شـاعـر يـحـصـد الـهـمـوم ويُـنـمي
في الـنـدامى بـشـاشـة وانـطلاقـا
- راجع ، شعر الأخطل الصغير، «شاعر النيل»، ص: ١٩٤-١٩٦.

(٢) مـا نـسـيـنـا لك الـقـصـائـد حـمـراً
قـطـع الـشـرق دونـهـا الأطـواقـا
- راجع هامش (١) في الصفحة السابقة.

(٣) يـزرع الـريش في المـفـاوز جـمـراً
مـثـل زرع الـعـواصـف الأوراقـا
- المصدر السابق.

لم تكد عينه ترى الواحة الخضـ
ـراء حتى ارتمى بها إرماقا[*]

☆☆☆☆☆

ليت لي أن أشق لحدك في صنْـ
ـنين لا بدعة ولا إغراقا
بل وفاء لما كسوت مغانيـ
ـهِ وكنت المفضَّل السبَّاقا
نحن فرعان للعروبة يا مصـ
ـر شأونا الفروع والأعراقا
كم محب على ثرى مصر منا
ذوّب الروح في الهوى وأراقا[*]
وخليل[1] لِعَيْن مصر جفا الخلـ
ـدَ وتلك الكؤوس والأحداقا
فمن الغيّ أن تدور بنا الكأ
سُ فلا نلتقي ولا نتساقى

☆☆☆☆☆

شاعر النيل جزْ طريقك للخلـ
ـدِ وخذها[2] لمن تحب صدَاقا
درة صاغها الذي ترك الحسـ
ـسَاد تجري ولا تطيق لحاقا
كلما أطبق الغبار عليهم
حشرجوا تحته وماتوا اختناقا[3]

نظمت سنة ١٩٣٣

****

(١) خليل مطران.
(٢) الضمير للقصيدة.
(٣) من أوارق الشاعر.
(*) شعر الأخطل الصغير، «شاعر النيل»، ص: ١٩٤-١٩٦.

١٢٩ - مت عزيزاً أو عش بها مستقلا [١]

مت عـــزيـــزاً أو عش بـــهـــا مـــســـتـــقلا
كـــيف تـــرضى لـــهـــا الـــعـــلى أن تـــذلا
أمـــة تـــنـــبت الـــنـــصـــال وتـــســـقـــيـ
ـــــهـــا لـــيـــوم الـــوغى إبـــاء وغلا
أمـــة تـــنـــزل الـــبلاغـــة قـــرآ
نـــاً وتـــبـــني فـــوق الـــنـــجـــوم مـــحلا
أمـــة ســـنّت الـــتـــســـاهل ديـــنـــاً
وادعى غـــيـــرهـــا الـــتـــســـاهل خـــتلا
تـــتـــحف الـــعـــالمـــين نجـــمـــاً فـــنـــجـــمـــاً
وتـــزف الـــعـــرين شـــبلاً فـــشـــبلا
ورثَتْ هـــاشـــمـــاً وحـــربـــاً وشـــادت
مـــثل مـــا شـــيَّـــدا جـــمـــالاً وعـــدلا
وعـــلـــيـــهـــا من الـــغـــســـاســـنـــة الـــصـــيـ
ـــــدِ رواء بـــــكل حـــــســـن تحـــــلّى
بـــردى والـــفـــرات هـــزّا لـــهـــا المـــهـ
ـــــد قـــديمـــاً وأرز لـــبـــنـــان صـــلّى

طـــــأطـىء الـــــرأس ذاك ثـــــامن آذا
ر ومـــحـــراب يـــعـــرف والمـــصـــلى

(١) نظم الشاعر هذه القصيدة لتتلى في الحفلة التي أحيتها الجمعية العربية في باريس تذكاراً لتتويج فيصل الأول على سوريا عام ١٩٢٠.

مـعـقـد الـتـاج من جـبـين الأمـاني
وعـلـى مـفـرقٍ أجلّ وأعـلـى
هـيـكل من دم الـفـداء ولـوح
لـوح سـيـنـاء لا يـسـاميه فـضلا
وهـبـته الـصـدور حـيـاتـهـا الحـمـر
لـعـرش تـعـيـذ أن يـثـلا
كل أيـامـنـا عـبـيـد ولـكن
ذلك الـيـوم وحـده كـان مـولى
أبـدي الخـلـود في عـالم الـذكـ
ـر فـمـا ضـره إذا مـات طـفلا
لـيت شـعـري مـاذا جـنـيـنـا عـلى الـغـر
بِ لـنـشـوى عـلى يـديه ونُـقـلى(*)
ألأنّـا من أفـقـنـا تـطـلـع الـشـمـ
ـس فـتـعـطي الـغـذاء حـبّـاً وبـقلا(*)
ألأنَّـا من تُـرْبـنـا يـنـبت الـوحـ
ـي فـيـكـسـو الـنـفـوس هـديـاً ونُـبلا
ألأنـا من صـدرنـا ولـد الحبْ
بُ الـذي شـيَّـد الحـضـارة قـبلا(*)
قـد وفـيـنـا لـكم عـلى زأرة الـلـيـ
ـث[1] وشـحـذ المـنـون سـيـفـاً وحـبلا(*)
ووفـيـنـا وحـاصـد الجـوع يـردي
من حـقـول الـنـفـوس حـقلاً فـحـقلا(*)
اشـهـدي يـا سـمـاء كـيف نجـازى
وانـظـري يـا نجـومـهـا كـيف تُـجـلى(*)

(١) إشارة إلى عهد الهول وحكم جمال السفاح.

إيه لـــبـــنـــان أين غـــرتك الـــبـــيـ
ضـاء؟ أين الـعـرين؟ كـيف اضـمـحلا؟(*)
لا أرى فـــيك كـــيـــفـــمـــا ســـرت إلا
نـــظـــراً يـــائـــســـاً وزنـــداً أشلا(*)
ولـــقـــد كـــنت قـبل عـــهـدك بـــالـــقـــو
م عـــلى ذروة من الـــرغـــد مُـــثـــلى
أملاً بـــاســـمـــاً وعـــشـــاً هـــنـــيـــئـــا
وســـمـــاء صـــحـــواً وروضـــاً وظِلا
رُبّ من يـــدّعي الـــهـــدايـــة لا يمـ
ـــلك رأيـــاً ولا يـــحـــكِّم عـــقـلا(*)
تـــبـــصـــر الـــنـــاس تحت إمـــرته الحـمـ
ـــقـــاء أســـرى مـــكـــبـــلـــين وقـــتـــلى
كل يـــوم له من الـــلـــهـــو عـــيـــد
كـــرثـــاء عـــلى ضـــريـــحك يُـــتـــلى
قم عـــلى ســـاعـــد الـــرجـــاء وجـــدد
من قـــديم الآبـــاء مـــا كـــاد يـــبـــلى

☆☆☆☆☆

قل لأشـــبـــال يـــعـــرب أين حـــلـــوا
ذروة الأرز أم من الـــشـــام فـــهـلا
أم عـــلى الـــرافـــدين حـــيث هلال الـ
مـــلْك من شـــرفـــة الجلال أطلا
نـــهـــضـــة تـــبـــعث الحـــيـــاة وتـــبـــني
حـــائط المـــلك مـــســـتـــقلا وإلاّ...(١)

آذار ١٩٣٤

✱✱✱✱

(١) من أوراق الشاعر.
(*) شعر الأخطل الصغير، «شرف الفتح»، ص: ٢٦٤-٢٦٥.

١٣٠- ما نسينا صرح تلك الليالي[١]

قل لـــوكـــر الـــنـــســـور قُـــدِّست وكـــرا
كل يـــوم تـــهـــدي إلى الأفق نـــســـرا
عـــبـــقـــري الجـــنـــاح، أقـــرب مـــرمـــاه
الـــســـمـــاكـــان، إن أراد مـــقـــرا
مـــارد الـــقـــلـــب والـــلـــســـان إذا مـــا
هِـــيجَ هـــز الـــفـــضـــاء عـــزفـــاً وزأرا
يـــحـــمل الحق مـــشـــعلاً بـــين عـــيـــنـــيه
فـــإن يـــحـــتـــرق فـــقـــد مـــات حُـــرّا

☆☆☆☆☆

إيه وكْـــر الـــنـــســـور لم يـــحـــضن الأر
ز ولـــيـــداً أبـــر مـــنك وأجـــرا
مـــا ادلـــهـــمت ســـمـــاء لـــبـــنـــان إلا
ورمى مـــنك في ديـــاجـــيه فـــجـــرا
تـــؤثـــر المـــوت أو تـــعـــيش عـــزيـــزاً
مـــارنـــاً شـــامـــخًـــا ووجـــهـــاً أغـــرًّا
فـــخـــر بـــيـــروت أن تـــمـــد جـــنـــاحـــيكَ
عـــلـــيـــهـــا ، أعـــظم بـــذلك فـــخـــرا
تحـــمل الحـــكـــمـــة الـــتي غـــرس الـــدبـ
ـس ويـــبـــني لـــهـــا المـــبـــارك قـــصـــرا

☆☆☆☆☆

(١) نظم الشاعر هذه القصيدة بمناسبة ذكرى وضع الحجر الأول للجناح الجديد بمدرسة الحكمة في تموز ١٩٣٤، وكان الشاعر ممثل جمعية قدماء الحكمة.

جـــعل الـــلـه كل عـــمـــرك عـــيـــداً
حَـــمَـــلَتْ كل ســـاعـــة مـــنه بـــشـــرى
مـــا نـــسـيـــنـــا يـــا صـــرح تـــلك الـــلـيـــالي
يـــــوم كـــــانت أم الحـــــوادث بـــــكـــــرا
نـــحـــلم الحـــلم كـــالـــصـــبـــاح افـــتـــراراً
وكـــزهـــر الـــريـــاض لـــونـــاً وعـــطـــرا
أكـــبـــر الـــهم أن نجـــوز امـــتـــحـــانـــاً
آخـــر الـــشـــهـــر أو نـــؤلّف ســـطـــرا
كم نـــظـــرنـــا من كـــوَّتَـــيْك إلى الـــكـــو
نِ وهل تـــعـــرف الـــطـــفـــولـــة شـــرا

إنمـــا الـــنـــاس كـــالحـــقـــيـــقـــة لا تـــعـ
ـــرف حـــقـــاً إلا مـــتى تـــتـــعـــرى
خـــلق الـــطـــيـــر لـــلـــغـــنـــاء فـــغـــنى
مـــا تـــرى الـــروض قـــد تـــرنح ســـكـــرا
غنِّ يـــا طـــيـــر غنِّ عـــنك وعـــنَّـــا
إن خـــيـــر الـــغـــنـــاء مـــا كـــان شـــعـــرا[1]

١٦ تموز ١٩٣٤

(١) جامعة الحكمة، ١٩٣٧، ص: ٥٣.
- شعر الأخطل الصغير، «وكر النسور»، ص، ٣٨-٣٩.

١٣١ - الصبا والجمال[١]

الصبا والجمال ملك يديك
أي تاجٍ أعزُّ من تاجيكِ
نصب الحسنُ عرشه فسألنا
من تراها له فدل عليك
فاسكبي روحك الحنون عليه
كانسكاب السماء في عينيك
كلما نافس الصبا بجمالٍ
عبقريِّ السنا نماه إليك
ما تغنى الهزار إلا ليلقي
زفرات الغرام في أذنيك
سكر الروض سكرة صرعته
عند مجرى العبير من نهديك
قتل الورد نفسه حسداً منـ
ـك وألقى دماه في وجنتيك
والفراشات ملت الزهر لما
حدثتها الأنسام عن شفتيك
رفعوا منك للجمال مثالاً
وانحنوا خُشَّعاً على قدميك[٢]

نظمت سنة ١٩٣٤؟[*]

****

(١) هنأ بها غيتا كفوري حين فازت بلقب ملكة الجمال سنة ١٩٣٤، كما أرَّخها الشاعر في ديوان الهوى والشباب.
(٢) الهوى والشباب، ص: ١٢٨؛ شعر الأخطل الصغير، ص:٣٧.
(*) هناك اختلاف في تاريخ نظم القصيدة، وقد ذكر أن غيتا كفوري فازت بلقب ملكة جمال ضهور الشوير عام ١٩٣٥، وفازت باللقب في عالية ثم بيروت عام ١٩٣٦، وهناك تهنئة مكتوبة بخط نجيب هواويني خطاط الملك فؤاد تتضمن هذه القصيدة مؤرخة في عام ١٩٣٥، وهو التاريخ الأرجح؛ انظر قصيدة «نينا معلوف» في هذا

١٣٢ - بشارة الخوري يحيي المازني[١]

أَيْ حبيب البيان لو جعل الظر
فُ كتاباً لكنتَ في عنوانه
تبعث الطرس من يمينك روضاً
يتغنى شعب على أفنانه
تنشر الابتسام فيه فتستهـ
ـوي النفوس العطشى إلى غدرانه
ترسل النكتة التي تشرب الأذ
هان في روعة الحجى وبيانه
جاحظيّ الزمان لو بعث الجا
حِظ قلنا : مَن جاحظيّ زمانه؟؟[٢]

نظمت سنة ١٩٣٤

****

(١) ألقيت في الحفلة التي أقامتها «الجمعية الأدبية» للأديب الكبير الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني.
(٢) المعرض، آب ١٩٣٤، عدد: ١٠٢٦، ص:٤.

١٣٣ - لبنان يا راحة الأرواح[١]

خـذْ عنْ طـريق الـنـدى «فـيـعـاً» و«قـلْـحـاتـا»
مـا بـات يـشـكـو الـظـمـا مَنْ فـيـهـمـا بـاتـا
كمْ رقْــرق الــسـحْــرُ من ظــرفٍ ومنْ أدبٍ
وكمْ بــنـى الــشــعــرُ لـلأخلاق أبــيــاتــا
في فـتـيـةٍ، تـطـعمُ الأوطـان مـهـجـتـهـا
وتــنــبتُ الأدب الــريَّــان إنــبــاتــا
نــسـيتُ لــوْن الــلَّــيــالي، إذْ نــزلتُ بــهمْ
لا نــتــركُ الــكــأس إلاّ والــدجى فــاتــا

ولــيــلــةٍ في «بــطــرَّامٍ»[٢] أخــذتُ بــهــا
وقـدْ جـعـلـنـا بـزوغ الـفـجْـرِ مـيـقـاتـا
في مـجـلس «مـالـكيٍّ» ، لــوْ مـنـحتُ به
جـنـاتِ عـدْنٍ، لـقـال الـقـلبُ: هـيْـهـاتـا
شــاقت كــواكــبهُ في الأُفق إخــوتــهــا
لــو اســتــطــاعت من الأَفلاك إفلاتــا
ودمـيـةٍ عـنـدمـا صـافـحت صـانـعـهـا
أكــبــرتهُ عــبــقــري الــفنِّ نــحَّــاتــا

(١) نظم الشاعر هذه القصيدة إثر زيارته بلدة الكورة في شمالي لبنان وقد كان موضع حفاوة أهليها وشبابها.
(٢) اسم قرية في شمالي لبنان.

رمى بـــهـــا في عُـــبـــاب الحبِّ لـــؤْلـــؤةً
ونـاطـهـا في جـبـينِ الحُـسْنِ مـشْـكـاتـا
ســـوانـحٌ من صـــفـــاءٍ لا تـــلـــوح لـــنـــا
في حـــالـــكـــاتِ الـــشَّـــقـــا إلاَّ أويْـــقـــاتـــا
نُـلْـقي عـلـى راحـتَـيْـهـا أنـفُـسـاً نـهـكتْ..
فـعـل الـغـريـقِ رأى في الـقـرب مـرسـاتـا

لُـبـنـان يـا جـنـة الأرواح، مـا فـعـلت
بك الـلَّـيـالي؟ فـعـاد الـعـرْسُ مـأْسـاتـا
قـــد كـــبَّـــروك ، لأمْـــرٍ صـــغـــروك به،
قـد فـخَّـمـوا الإسْم، لـكنْ حـقَّـروا الـذَّاتـا
في كُل طـــرفـــة عـــين: أنـــظُمٌ جُـــدُدٌ
من سـوء حـظك قـد ظـنـوك مـلـهـاتـا
كـأنمـا كـنتَ لـوحـاً في مـكـاتـبـهمْ
تـــمـــضي الأكف به مـــحـــواً وإثـــبـــاتـــا
فـتـيـان لـبـنـان، هـبـوا من رُقـادكمُ:
ســيَّـــانِ من نـــام عن حقٍّ ومن مـــاتـــا[1]

نظمت سنة ١٩٣٤

****

(١) المعرض، تشرين الأول ١٩٣٤، عدد: ١٠٣٢، ص:١.
- راجع: شعر الأخطل الصغير، «نسيت لون الليالي»، ص: ٣١٦-٣١٧.

١٣٤ - صـلاح المنـذر[١]

جـعـلت رسـولي نـسـيم الـصـبـاحْ
إلـــيك وطـــرسي خـــدود الملاحْ
مـنـقـطـة بـثـغـور الـنـدى
مـغـلـفـة بـشـفـاه الأقـاح
يـرفّ عـلـيـهـا فَـراش الـهـوى
فـهـنّـا جـنـاح وهـنّـا جـنـاح(*)
إذا أنت أبـرزتـهـا لـلـعـيـون
وزحـزحتَ عـنـهـا رقـيق الـوشـاح
تـشـهَّـدت لـلـحـسن تـشـهـيـدة
وكـان من الـعـقل شيء فـطـاح
حـبـيـبـة «يـهـوه» زمـان الـشـبـاب
شـبـاب الـهـوى وشـبـاب الـطـمـاح
بـرى ريـشـة من جـنـاح الملاك
وغـمَّـسـهـا بـفـؤاد الـصـبـاح(*)
تـأنق فـيـهـا فـلـمـا انـتـهى
وقـد أخـذته حُـمَـيَّـا الـنـجـاح(*)
جلاهـا عـلى مـوجـة من ضـيـاء
فـأتـعـبـنـا في الـهـوى واسـتـراح(*)
بـروحي ذانـكـمـا الـتـوأمـان
عـلى ضـفـة من عـبـيـر وراح(*)

(١) تهنئة بمناسبة قرانه، وهو نجل الأديب واللغوي المشهور إبراهيم المنذر.

كـأن لـسـانـيـهـمـا الأحـمـريـن
بـريـعـمـة «أثـخـنـتـهـا» الجـراح(*)
شَـتِـيتٌ من الحـسـن في مـفـرد
فـمـنـهـا المِراض ومـنـهـا الـصـحـاحْ(*)

صلاح أخـا الأدب المـسـتـطـاب
ويـا بن أخي قـد بـلـغت الـفلاح
بـزهـراء طـيـبـة الـنـبـعـتـين
لـهـا مـنـهـمـا الـذروات الـفـسـاح
أبـوك الـذي شـاد صـرح الـهـدى
وجـرّد أقلامـنـا لـلـكـفـاح
إذا اشـتـجـر الـرأي في غـايـة
فـإن له كـاسـبـات الـقـداح
وكـم زأرة في ذرى مـنـبـر
له هـزّت الـوطن المـسـتـبـاح

إذا شـاقك الـشـعـر حـر الـنـجـار
فـنـبِّهْ له الـعـربيّ الـقـحـاح
يـفـجـره نـبـعـة نـبـعـة
مـخـضـبـة بـالـشـذا والـصـداح
ومـا الـشـعـر إلا عـصـيـر الـنـفـوس
فـمـنـه الـقـريح ومـنـه الـقـراح(١)
١٩٣٤

****

– من أوراق الشاعر.
(*) شعر الأخطل الصغير، «يد الله»، ص:٤٠-٤١.

١٣٥ - طأطئي للرئيس يا أمة الارز [١]

طـــــويتْ رايـــــة وفُلَّ حـــــســـــامُ
فـــعـــلـى الـــعـــلـم والإبـــاء الـــسلامُ
طـــأطـــئي لـــلـــرئـــيس يـــا أمـــة الأر
زِ لـــــهـــــذا الإجلال والإعـــــظـــــام
لـــلـــذي تـــلـــثم الـــنـــزاهـــة كـــفـــيـ
ـه وتـــثـــنـي عـــلـــيـــهـــمـــا الأقلام
وحـــســـودٍ لا يـــطـــعم الـــغـــمض عـــيـــنـــيهِ
كـــأن الـــكـــرى عـــلـــيـــه حـــرام(*)
يـــلـــطم الـــوجه حـــين يُـــهـــتف بـــاســـمي
فـــكـــأني في عـــنـــقـــه آثـــام(*)
ألـــتـــقـــيه بمـــهـــجـــة تـــذرف الحبْ
بَ ووجه يـــحـــلـــو له الابـــتـــســـام(*)
مـــهـــجـــة كـــالـــريـــاض يـــغـــمـــرهـــا الـــنـــور
ويـــرتـــدّ عنْ ســـمـــاهـــا الـــظلام(*)

رب مـــــيْتٍ مـــــرأس ورئـــــيس
هـــو خـــطْبٌ عـــلى الحـــيـــاة جـــســـام
هـــز خـــطب الـــرئـــيس شُمَّ الـــرواسي
ورســـا في الـــقـــلـــوب وهْـــو ســـهـــام

(١) قصيدة في رثاء ميخائيل عيد البستاني المتوفى في أول أيلول١٩٣٤ .

سـلْنَ طيَّ الـصـدور دمـعـاً ونـاراً
فـمـيـاه يـشبّ فـيـهـا الـضـرام
أصـدق الـدمـعـتـين مـا سـفَكَ الـقـلـ
ـبُ هـنـاك الإحـسـاس والآلام
رب دمع عن الـفـؤاد غـريب
ومن الـدمع لـلـريـاء لـثـام

يـا مـنـاراً عـلى أشـعـتـه الحـمـ
ـراء ذاب الـظـلام والـظـلاَّم
من لـلـبـنـان بـعـد حـجـتـه الـغـرْ
راء دانت لحـكـمـهـا الأحـكـام
يـفـتـح المـغـلـق الـدقـيـق من الـشـرْ
عِ بـعـقـل مـفـتـاحـه الإلـهـام
عـيـسـوي الـيـقـين ألـقى إلـيـ
ـهِ بـغـوالـي آيـاتـه الإسلام
لم يـفلّ الـنـحـول من مـضـربـيـه
كـلـمـا رقَّ يُـحـمـد الـصـمـصـام
ولـقـد يـظـمـأ الـكـريم ويـأبى
أطـيب المـاء مـا سـقـاه الـغـمـام
خـلـعت هـمـهـا عـلـيه الأيـامى
راضـيـاً والأبـوة الأيـتـام
هـكـذا الأنـفس الـكـبـيـرة تـأبى
مـورد الـلـهـو والـنـفـوس تـضـام

صـانك الـلـه يـا ربى الخـلـد في الـديـ

ـــرِ فـــقـــد زيـــنت بك الأيـــام

كم تـــهـــادى عـــلى رفـــارفك الخـــضـ

ـــرِ وغـــنى الـــشـــبـــاب والأحلام(*)

وتـر الـشـعـر فـيك مـا ابـتـكـر الـله

نـــسـيم وجـــدولٌ تـــمـــتـــام(*)

يـا عـرين الأسـود يـا كـعـبـة الـعـلـ

ـمِ عـــزاء، لـــكلِّ بـــدء خـــتـــام

والـــذي أعـــقب الـــبـــنـــين كـــمـــا أعـ

ـــقب مـــا مـــات والـــبـــنـــون كـــرام

مـــا ذكـــرت الـــقـــريض إلا رعـــاني

من أبي جـــورج فـــيه بـــدر تـــمـــام

صـحف كـالـريـاض وشَّـحـهـا الـنـو

رُ وغـــنّى عـــلى ذراهـــا الـــكلام

إنمـــا يـــذكـــر الـــقـــوافي فـــتـــاهـــا

مـثـلـمـا يـذكـر الـغـصـون الحـمـام(١)

نظمت سنة ١٩٣٤

(١) جامعة الحكمة ١٩٣٧، ص: ٥٤-٥٥.

(*) شعر الأخطل الصغير، «مهجة شاعر»، ص:٥١.

١٣٦ - المتنبي والشهباء[١]

نـفـيتَ عـنك الـعـلى والـظـرف والأدبـا
وإن خُـلـقت لـهـا - إن لم تـزر «حـلـبـا»[*]
خـذ الـطـريق الـذي يـرضى الـفـؤاد به
ولا تـخف، فـقـديمـاً مـاتت الـرُّقـبـا[**]
واسكب عـلى راحـتـيـهـا روح عـاشـقـهـا
ومُصَّ من شفـتـيـهـا الـشـعـر والـعـنـبـا[**]
أفـدي الـشـفـاه الـتي شـاع الـرحـيق بـهـا
وهـمَّ بـالـكـأس سـاقـيـهـا ومـا سـكـبـا[**]
كـأنـهـا نجـمـة طـال الـسِّـفـار بـهـا
عـطـشى رأت وهي تـمـشي مـنـهـلاً عـذبـا
تـوسـدت شـقـتـيه بـعـد مـا نـهـلت
وفـارقت صـاحـبـيـهـا: الـلـيل والـتـعـبـا
مـا لـلـشـفـاه الـكـسـالى لا تـزودنـا
فـقـد حـمـلـنـا عـلى أفـواهـنـا الـقـربـا[**]
بمـهـجـتـي شـفـةٌ مـنـهن بـاخـلـةٌ
جـاران تحـسـبـنـا إن تـلـقـنـا غُـربـا[**]
أهمُّ بـالـنـظـرة الـعـجـلى وأمـسـكـهـا
إذا قـرأت عـلى ألحـاظـهـا الـغـضـبـا[**]
أنـا الـذي اتَّـهَـمَتْ عـيـنـاه قـلـبـهـمـا
فـرحت أخـلـق من نـفـسي ليَ الـريـبـا

---

(١) ألقيت في الحفلة التكريمية التي أقامتها عاصمة سيف الدولة في تشرين الأول ١٩٣٥ لصاحب هذا الديوان.

أأمـنـع الـشـفـة الـدنـيـا ولـو طـمـحتْ
نـفسي إلى شفة الـفردوس ما انـحـجـبا(**)
ويُـمـطـر الـضـيم في أرضي وأشـربه
وكـنت لا أرتـضي أن أشـرب الـسـحـبـا(**)
ذر الـلـيـاليَ تُـمـعنْ في غـوايـتـهـا
فـقـد حـشـدتُ لـهـا الأخلاق والـعـربـا(**)

☆☆☆☆☆

شـهـبـاء، لـو كـانت الأحلام كـأس طلا
في راحـة الـفـجـر كـنت الـزهـر والحـبـبـا(*)
أو كـان لـلـيل أن يـخـتـار حـلـيـتهُ
وقـد طـلـعت عـلـيه لازدرى الـشـهـبـا(*)
لـو ألّف المجـد سـفـراً عن مـفـاخـره
لـراح يـكـتب في عـنـوانه «حـلـبـا»
لـو أنـصف الـعـرب الأحـرار نـهـضـتـهمْ
لـشـيّـدوا لك في سـاحـاتـهـا الـنُّـصُـبـا(*)
لـكن خُـلـقـت لأمـر لـيس يـدركه
من يـعـشق الـذل أو من يـعـبـد الـرتـبـا(*)
تـعْـرَى الـبـطـولـة إلا من عـقـيـدتـهـا
والجـبن أكـثـر مـا تـلـقـاهُ مـنـتـقـبـا

☆☆☆☆☆

ملاعب الـصـيـد من «حـمـدان» مـا نـسـلـوا
إلا الأهـلـة والأشـبـال والـقـضـبـا(*)
الخـالـعـين عـلـى الأوطـان بـهـجـتـهـا
والـرافـعـين عـلـى أرمـاحـهـا الـقـصـبـا(*)
حـسـامـهم مـا نـبـا في وجه من ضـربـوا
ومُـهـرهم مـا كـبـا في إثـر من هـربـا(*)

مـا جـرد الـدهـر سـيـفـاً مـثل «سـيـفـهم»
يـجـري بـه الـدم أو يـجـري بـه الـذهـبـا(*)
ربُّ الـقـوافي عـلـى الإطلاق شـاعـرهم
الخـلـد والمجـد في آفـاقه اصـطـحـبـا(*)
سـيـفـان في قـبـضـة الـشـهـبـاء لا ثُـلِـمـا
قـد شـرَّفـا الـعُـرْب بل قـد شـرفـا الأدبـا(*)

عـرس من الجن في الـصـحـراء قـد نـصـبـوا
له الـسـرادق تحت الـلـيل والـقُـبـبـا(*)
كـأنه تـدمـر الـزهـراء مـارجـةً
بمـثل لـسن الأفـاعي تـقـذف الـلـهـبـا(*)
أو هـضـبـةٌ من خـرافـات مـرقـعـة
بـأعـين من لـظى أو من رؤوس ظُـبى(*)
تـخـاصـر الجنُّ فـيـهـا بـعـد مـا سـكـروا
وبـعـد مـا احـتـدمت أوتـارهم صـخـبـا(*)
فـأفـزع الـرملَ مـا زفّـوا ومـا عـزفـوا
فـطـار يـسـتـنـجـد الـقـيـعـان والـكـثـبـا(*)

تـكـشَّفَ الـصـبـح عن طـفـلٍ ومـاردةٍ
له عـلـى صـدرهـا زأرٌ إذا غـضـبـا(*)
كـأنه الـزئـبق الـرجـراج في يـدهـا
أو خـفـقـة الـبـرق إمـا اهـتـز واضـطـربـا(*)
نـادى أبـوه - عـظـيمُ الجن - عـتـرتَهُ
فـأقـبـلـوا يـنـظـرون الـبـدعـة الـعـجـبـا(*)
مـاذا نـسـمـيه؟ قـال الـبـعض صـاعـقـة
فـقـال كلاّ .. فـقـالـوا عـاصـفـاً - فـأبى(*)

فـقـام كـالـطـود مـنـهم مـاردٌ لَـسِنٌ
وقـال لم تـنـصـفـوه اسـمـاً ولا لـقـبـا(*)
سـنـبـعث الـفـتـنـة الـكـبـرى عـلى يـده
فـنـشـغل الـنـاس والأقلام والـكـتـبـا(*)
ونجـعل الـشـعـر ربّـاً يـسـجـدون له؟
فـإن غـوَوا فـلـقـد نـلـنـا به الأربـا(*)
واخـتـال غـيـر قـلـيل، ثم قـال لـهم
سـمـيـته: المـتـنـبي فـانـتـشـوا طـربـا(*)
وزلـزلـوا الـبـيـد حـتى كـاد سـالـكـهـا
يـهـوي به الـرحل لا يـدري له سـبـبـا(*)
يـرى الـسـراب عـبـابـاً هـاج زاخـرهُ
والـرمل يـلـتـحف الأزهـار والـعـشـبـا(*)

☆☆☆☆☆

إيهٍ أخـا الـوفـرة الـسـوداء[1] كم مَـلِكٍ
أعـاضك الـتـاجَ مـنـهـا. لـو بـهـا اعـتـصـبـا(*)
غـضـبت لـلـعـقل[2] أن يـشـقى فـثـرت له
بمـثل مـا انـدفع الـبـركـان واصـطـخـبـا(*)
هل الـنـبـوة[3] إلا ثـورةٌ عـصـفت
عـلى الـتـقـالـيـد حـتى تـسـتـحـيل هـبـا(*)
مـا ضـر مـوقـدهـا والخـلـدُ مـنـزلهُ
إذا رمى نـفـسه في نـارهـا حـطـبـا(*)

☆☆☆☆☆

(١) ذكروا أنه عندما كان في المكتب قيل له ما أحسن هذه الوفرة، وهي الشعر المتجمع على الرأس فقال:

لا تحـسـن الـوفـرة حـتى تـرى
مـنـشـورة الـضـفـرين يـوم الـقـتـال
عـلى فـتى مـعـتـقلٍ صـعـدة
يـعـلّـهـا من كل وافي الـسـبـال

(٢و٣) إشارة إلى قوله: ذو العقل يشقى في النعيم بعقله، ثم إلى النبوة التي ادعاها.

طلبت بالشعر دون الشعر مرتبة
فشاء ربك أن لا تدرك الطلبا(*)
إذن لأثكلتَ أمَّ الشعر واحدها
وعُطِّل الوكرُ، لا شدواً ولا زغبا(*)
لولا طماحكُ ما غنيتَ قافية
بوأتها الشمس، أو قلدتها الحقبا(*)
قد يؤثر الدهر إنساناً فيحرمهُ
من يَمنع الشيء أحياناً فقد وهبا

أبا الفتوحات لم تُزْجِ الخميس لها
ولا لبستَ إليها البيض واليلبا
تأتي التخومَ فتلقاها مهللة
مثل المريض، أتاه بالشفاء نبا
ما الفتحُ أهدى إليك الروض والسحبا
كالفتح، جرَّ عليك الويل والحربا
ولو فَتَحْتَ بحد السيف لانحطمتْ
تيجان قومٍ حشَوْها الظلم والرهبا
«ما كلُّ ما يتمنى المرء يدركه»
ويدرك الغاية القصوى وما طلبا
«خذ ما تراه ودع شيئاً حلمت به»
فرب حلمٍ جميل أورث العَطَبا(*)

يا ملبس الحكمة الغراء روعتها
حتى هتفنا: أوَحياً قلتَ أم أدبا
كأنما هي أصداء يرددها
هذا إذا بث، أو هذا إذا عتبا

قـالـوا اسـتـبـاح أرسـطـو حـين أعـجـزهم
وإنه اســتل من آيــاته الــنــخــبــا
مـهلاً ، فـمـا الـدهـرُ إلا فـيض فـلـسـفـة
يــعــود بــالــدرِّ مــنه كلُّ من دأبــا
من عـلَّم ابن أبي سـلـمى «حـكـيـمـته»
وُقسَّ ســاعــدة الأمــثــال والخــطــبــا؟

يــا خــالــقــاً جــيــلـه ، لــولاك مــا عــرفت
لـه الأواخــــر لا رأســــاً ولا ذنــــبــــا(*)
آمــنتُ بــالــشــعــر مــذْ أنــشــاك آيــتهُ
وكــان عـرشــاً من الأصْـنــام فــانــقــلــبــا
أضــرمت ثـورتك الـهـوجـاء فـالـتـهـمت
من الـقـريض الـهـشـيم الـغث والخـشـبـا(*)
وغــال شــعــرك شــعــر الــكــائــدين له
لــنــفــسـهم حـفـرت أيـديـهم الـتـربـا(*)
حــــتى رجــــعت ولـلأقلام هــــلــــهــــلــــةٌ
في كف أبــــلـغ مَن غــنَّى ومن طــربــا(*)

عــفــواً نــبي الــقــوافي، أي نــابــغــةٍ
لم يـزرعـوا حـولـه الـبـهـتـان والـكـذبـا
مـنـعت عـنـهم ضـيـاء الـشـمس فـانـحـجـبـوا
فــهلْ تــلــومــهُمُ إن مــزقــوا الحــجــبــا
لم ألق كـالـشـعـر مـظـلـومـاً، فـقـد حـشـدوا
لحــربه، حــســد الحــســاد والــنــوبــا
يُــرمى بــكل قــبــيحٍ من مــثــالــبــهم
ويــرفــعــون لـه الأنــصــاب إن ذهــبــا

مــثل المــســيح تــغــالــوا في أذيــته
وألّــهــوه، ولــكن بــعــدمــا صــلــبــا

قــالــوا الجــديــد فــقــلــنــا أنت حــجــتهُ
يــا واهــبــاً كلَّ عــصــرٍ كلَّ مــا خــلــبــا
أفــكــرة لم تــكنْ فــتــقت بــرعــمــهــا
وجــــدة لم تــــكن أمّــــاً لــــهــــا وأبــــا
بــعض الجــديــد الــذي يــدعــونهُ أدبــاً
يمــــوت في يــــومه ، هــــذا إذا وُهــــبــــا
إن لم يــكن لك حــسن الــوجه تــعــرضه
فــقــد ظــلــمتَ به أثــوابك الــقــشــبــا

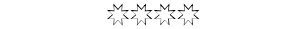

أتُــسعــد الــروضــة الخــضــراء بــلــبــلــهــا
حــتى يــفي الــروضــة «الــشــهــبــاء» مــا وجــبــا
أيــقــنــت أن «ســعــيــداً»[1] آخــذٌ بــيــدي
لمــا ســمــا بي إلى «إخــوانه» الــنــجــبــا
أتــيــتــهم فــكَــسَــوْني كل ســابــغــةٍ
وكــنت ألــبــســهــا لا تــبــلــغ الــركــبــا

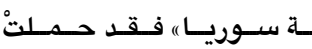

تــيــهــاً «عــروســة ســوريــا» فــقــد حــمــلتْ
لك الــقــوافي عــلى رايــاتــهــا الــغَــلَــبــا[2]

نظمت سنة ١٩٣٥

(١) محمد سعيد الزعيم أحد أركان لجان التكريم.
(٢) الهوى والشباب: ص: ١٨٦ – ١٩٣.
(*) شعر الأخطل الصغير، «المتنبي والشهباء»، ص:١٠٤.
(**) المصدر نفسه، «الشفاه الكسالى»، ص: ١٩٢، بترتيب مختلف في المقطوعتين.

١٣٧ - لبس الخريف بك الربيعا[١]

لـــبس الخـــريف بك الـــربـــيـــعـــا
ومـــحـــا عن الـــورق الـــدمـــوعـــا
أنَّـى الـــــــتـــــــفتُّ فـلا أرى
إلا زهـــــوراً أو شـــــمـــــوعـــــا
شـــهـــبـــاء يـــا وله الـــزمـــا
ن وروحَ شـــاعـــره الـــولـــوعـــا
قُـــسم الجـــمـــالُ عـــلـى الـــورى
وســـئـــلتِ فـــاخـــتـــرتِ الـــوديـــعـــا
الـــنـــافـــذَ المـــهـجَ الـــصّلا
بَ كـــأنـــهـــا مـــلـــئت خـــشـــوعـــا

☆☆☆☆☆

يـــا روضـــة الأدب الـــيـــنـــيـ
ـع وحـــصن ســـوريّـــا المـــنـــيـــعـــا
من كـــان كـــوكـــبه جـــبـــيـ
ـــنك لن يـــزلّ ولن يـــضـــيـــعـــا[٢]

نظمت سنة ١٩٣٥

****

(١) ألقيت في المأدبة التي أقامها بعض أدباء حلب على أثر مهرجان المتنبي.
(٢) الهوى والشباب، ص: ١٩٤.

١٣٨ - الفـــردوســـــي[١]
شاعر الفرس الأكبر

يـــا نـــهـــر طـــوسٍ ويـــا أظلال واديـــهـــا
رســـالـــة الـــشـــعـــر عـــني من يـــؤديـــهـــا[٢]
سل جـــارة الـــســـد هل في الـــســـد من أثـــر
لـــصـــبِّه أم مـــحـــا الآثـــار مـــاحـــيـــهـــا
مـــثّـــلـــتـــه ديمـــة في أفق مـــرحـــمـــة
قـــصـــيـــدة أدمع الـــبـــاري قـــوافـــيـــهـــا
هل لـلأزاهـــر عن أمّـــاتـــهـــا خـــبـــر
عن شـــاعـــر ســـكب الأطـــيـــاب في فـــيـــهـــا
وألـــبـــســـتـــهـــا صـــبـــاغ الخـــلـــد ريـــشـــتـــه
فـــافـــتـــر عن ألف لـــون في ذراريـــهـــا
زهـــر الـــطـــبـــيـــعـــة يـــبـــقى في أمـــاكـــنـــه
وزهـــرة في فم الـــدنـــيـــا وأيـــديـــهـــا

في جـــنـــب إيـــوان كـــســـرى من مـــواهـــبـــه
إيـــوان شـــعـــر بـــه كـــســـرى زهـــا تـــيـــهـــا
كـــأن في كل بـــيـــت من قـــصـــائـــده
روحـــاً تـــغـــلـــغـــلُ في المـــوتى فـــتـــحـــيـــيـــهـــا

---

(١) ألقيت هذه القصيدة في حفلة أدبية أقامتها جامعة خريجي الحكمة في سوريا ولبنان في ٧ نيسان ١٩٣٥ لذكرى الفردوسي، شاعر الفرس الأكبر، في السنة الألف بعد وفاته.

(٢) ولد الفردوسي في بلدة طوس وكان أكثر ما يصرف أوقاته عند نهرها وكان من أقصى أمانيه أن يجمع مبلغاً من المال ليبني به سداً لذلك النهر يمنعه أن يطغى على الأراضي المجاورة.

رد الأكاسرة الغرّان فانتصروا
تحت الدرفس[1] نجوماً في لياليها
والخيل تلهث في الميدان كالحة
حمرَ الحمالق تطويه ويطويها
ورستم[2] هرقل الفرس الفحول إذا
ما انقض قلت عقاب الحرب مذكيها
وأدهش الأرض منه عندما نظرت
إليه.. كيف مشت إحدى رواسيها!
ما عابه أن سيف الله جندله
بل شرَّف الفرس لما جاء يهديها
مشى إليها كتاب الله يخطبها
فأمهرته الغوالي من نواصيها
غزا الهدى الكفرَ ، لا فرس ولا عرب
يا وقعة هزت الدنيا تهانيها
إسلام فارس أعراس تمميس لها
حور الجنان على توقيع شاديها
لم يرتدِ المجد إلا من مطارفها
ولا انتشى النصر إلا من أغانيها

أشرقْ ابا قاسم[3] كالشمس مرتجلاً
أنشودة النور إن الله موحيها

---

(١) الدرفس: العلم الكبير (فارسية).
(٢) رستم من أبطال الشاهنامة وهو قائد الجيوش الفارسية لصد هجمات المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص وقد قتل رستم وافتتح المسلمون بلاد فارس.
(٣) أبوالقاسم كنية الفردوسي واسمه المنصور وقيل حسن.

واسكبْ لنا خمرة الفردوس تعصرها
مراشف الحور واشرب من أوانيها
لقد روَيْت.. فهل من فضلة بقيت
في الكأس؟ أفعلُها في النفس باقيها
لو شام «هومير» لمحاً من أشعتها
للألأت عينه وانجاب داجيها
أو ساف نكهتها عن ألف مرحلة
أبو نواس لفدّاها نواسيها
حنت لعرسك عرس الشعر فاندفقت
وهجاً وطوّف بالأرواح ساقيها
من مطلع الشمس حتى قاب مغربها
عيد كسا الشرق تعظيماً وتنويها
ما ألف عام وإن طال الزمان بها
من ساعة عشتها إلا ثوانيها
كأن روحك في الأدهار عاصفة
هبت تمزق أجيالاً وتذريها
حتى سفرت على أشلائها قمراً
ونور وجهك يطفو في نواحيها

عد بي إلى الأرض حدثْ عن صغائرها
أيام تصلى بها من زند واليها[1]

(١) المراد به السلطان محمود بن سكتكين وكان قد دعا الشعراء لنظم تاريخ الفرس وأساطيرهم فما فعلوا شيئاً حتى تقدم لها الفردوسي فوعده السلطان بأن يعطيه عن كل ألف بيت ألف دينار فنظم الشاهنامة في ستين ألف بيت.

نـــادى لمـــيـــراث كـــســـرى كل قـــافـــيـــة
إن مـــات قـــائـــلـــهـــا مـــا مـــات راويـــهـــا
صـــبـــرت حـــتـى اســـتـــكـــنت كل جـــائـــشـــة
وأســـلـــمَتْ زمـــر الـــدعـــوى دعـــاويـــهـــا
فـــرحتَ تـــبْـــعَـــثُـــهـــا من عـــبـــقـــر شـــرراً
مـــوصـــولـــة بـــأواليـــهـــا تـــواليـــهـــا
قـــوس من الـــنـــور مـــاجت تحـــته أمم
وغـــابـــة من ظُـــبى غـــنّى الـــردى فـــيـــهـــا
مـــيـــراث فـــارس من مـــجـــد ومن ظـــفـــر
عبء عـــلى هـــامـــة الـــعـــلـــيـــاء يـــحـــنـــيـــهـــا

وفى نجيُّ الـــقـــوافي .. هل وفـــيت له
ربَّ الأريـــكـــة إذ وافى يـــنـــاجـــيـــهـــا؟!
أم رحت تـــبـــرم فـــيه رأي حـــاســـده[1]
رأيـــاً كـــســـا حـــســـنـــات المـــلك تـــشـــويـــهـــا
أدهى الـــنـــصـــيـــحـــة مـــا يـــأتـــيك مـــرتـــديـــاً
ثـــوب الـــصـــداقـــة تـــضـــلـــيـــلاً وتـــمـــويـــهـــا
ضـــنـــنـــت بـــالـــذهب ابن الـــتـــرب تـــمـــنـــعـــه
عـــنـــه وجـــاءك بـــالأفلاك يـــهـــديـــهـــا
إن المـــلـــوك عـــلـى الـــعـــلات إن وعـــدت
فـــلـــيس غـــيـــر زوال المـــلك يـــثـــنـــيـــهـــا

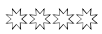

(١) هو حسن الميمندي وزير السلطان محمود الذي أقنع مولاه حسداً للفردوسي بأن يبدل الستين ألفاً من الذهب بستين ألفاً من الفضة حتى إذا وصلت الأموال إلى الشاعر غضب غضبة شديدة فأعطى إياساً نديم السلطان وكان صديقاً له عشرين ألفاً وأعطى الحمامي عشرين ألفاً ودفع الباقي لبائع جعة ثمناً لكأس منها ونظم في السلطان قصيدة هجاء مرة ثم هرب على أثر طلب السلطان له.

الله أكبر! نفس الشاعر انفجرت
حمر القذائف لم تخطئ مراميها
رمى بها العرش فاصطكت قواعده
وطوقت جيدَ محمود أهاجيها
يا للعقوق! أيبني مجد أمته
ويجعل الدهر مولى من موالِيها
ويسكب السحر يستهوي النفوس به
في ثغر زهرتها أو حلق شاديها
وينشر الوشي لم تنبته قمتها
ويفخر النهر لم ينبعه واديها
أشعة واهتزازات وأخيلة
تكسو الحقائق ألواناً أفاويها[1]
لولا الخيال لما كانت سوى لغة
جردتَ عنها كُناها والتشابيها

يا للعقوق أيبني مجد أمته
حتى إذا ساورت نفساً أمانيها
حتى إذا مد للآلاء راحته
نحو الأريكة عضته أفاعيها
فارتد يلمس جنبيه أأنصلُها
أهوت عليه أم انقضت ضواريها
جنى لها ثمر الأقلام يانعة
وراح يجني الرزايا من مجانيها

(١) الأفاويه: ألوان النور ونوافيح الطيب.

أإن وفت أمـــة يـــومـــاً لـــشـــاعـــرهـــا
رمـاه ســافــلــهــا عن قــوس واشــيــهــا
إذا أســـــاءت إلى الآداب ممـــلـــكـــة
فـاصـبـر عـلـيـهـا فـقـد قـامت نـواعـيـهـا

ابـشـــر أبـــا قـــاسم إن الـــعـــلـى لـــثـــمت
ثـغـر الـقـوافي وجـاءتـهـا تـؤاسـيـهـا
في قـــبـــة من جلال أنت رافـــعـــهـــا
وربـــوة من جـــمـــال أنت كـــاســـيـــهـــا
مـــشى إلـــيـــهـــا عـــلى لألاء غـــرته
شـمس المـلـوك رضـا شـاه يـحـيـيـهـا[1]
١٩٣٥

****

(١) جامعة الحكمة، ١٩٣٧، «ذكرى شاعر الفرس الأكبر»، الفردوسي، في ٧ نيسان ١٩٣٥»، ص: ٩٧-١٠١.

١٣٩ - الجابـي[١]

مَن الـــنـــاعبُ قـــبل الـــفـــجـ
ـــــر مَنْ هـــذا عـــلى الـــبـــابِ
أعـــيـــذُ الـــقـــبح من قـــبحٍ
بـــأظـــفـــار وأنـــيـــاب
أقَـــبْل الـــشـــمس في الآفـــا
ق والـــعـــصـــفـــور في الـــغـــاب؟
ومـــا زار الـــكـــرى جـــفـــنـي
ولـم تـــعـــلـــقـهُ أهـــدابـي
ولا غـــذيت أطـــفـــالـي
ســـوى هـــمـي وأوصـــابـي
فـــراشي يـــا وقـــاك الـــلـ
ـه مـــنـهُ بـــعـضُ أعـــشـــاب
وهـــذي كـــوبـــتـي الـــفـــخـا
ر مـــا فـــيـــهـا ســـوى صـــاب
فـــمـــا تـــبـــغـــيه في بـــابي
ومـن أنـت؟ أنـــا الجـــابـي

☆☆☆☆☆

إلـــهـي أي دهـــيـــاء
يـــردِّي مـــثـــلُـــهـا مـــثـــلي

(١) في آب ١٩٣٥ أطلقت وزارة المالية جباتها في القرى اللبنانية يمعنون في الأهلين إرهاقاً لتحصيل بقايا الأموال الأميرية خلال أزمة مضنية فأوحى ذلك الإرهاق للشاعر بهذه القصيدة.

ويـــشـــكـــو فـــقـــره قـــبـــوي
ويـــشـــكـــو مَـــحْـــلَه حـــقـــلي
وشـــــاتي وهْـي أم الـــــبـــــيـ
ـت يـــشـــكـــو ضَـــرْعَـــهـــا طـــفـــلي
رويـــداً يـــا أخـــا الـــهـــيـــجـــا
ء قـــد أســـرفت في الـــقـــتل
ألا تـــبـــقي عـــلـــى شيء؟
فـــمن يـــحـــيـــا بـلا أكل
كـــفـــانـــا أنـــنـــا نمـــشي
مـن الـــبـــؤس بـلا نـــعـل
وأنّـــا نمـــضع المـــوْتَـــيـ
ـن مـن ظـــلـــم ومـن ذل
فَـــمَنْ أغـــرى الـــرزايـــا بي
ومـن أنـت؟ - أنـــا الجـــابـي

☆☆☆☆☆

بـــرب الأرز حـــدثـــني
أحـــقـــاً قـــولـــهم حـــقـــا
بـــأن الـــنـــاس في بـــيـــرو
ت لا تـــشـــقى كـــمـــا نـــشـــقى
وأن الأُتْـن والـــثـــيـــرا
نَ تـــلـــقى الـــعـــطف والـــرفـــقـــا
فـــإن صح الـــذي قـــالـــوا
أيـــرضى الـــعـــدلُ ذا الـــفـــرقـــا
ويـــرضى صـــاحب الـــســـلـــطـــا
نِ أن نـــفـــنى وأن يـــبـــقى

ألـــلـــحـــكـــام مـــا نجـــنـي؟
مـــتـى كـــنـــا لـــهم رزقـــا
كـــذا يـــلـــقى الـــذي يـــبـــتـــا
عُ بـــالحـــريـــة الـــرقّـــا
فـــعُـــدْ بـــالـــلـــه عن بـــابي
وخـــذ مـــا شـــئت يـــا جـــابي

لمن يـــنـــســـاق هـــذا المـــا
لُ قـــولي يـــا ســـمـــا قـــولي
أأيـــلـــولٌ عـــلـــى الأبـــوا
ب لا عـــشـــنـــا لأيـــلـــول[1]
يـــبـــاعُ الخـــبـــز في بـــيـــتي
لـــتـــزمـــيـــرٍ وتـــطـــبـــيل
وخـــنـق الـــدمـــعـــة الحـــمـــرا
ءِ في كف الأبـــــاطـــــيل
أيـــحـــيـــا عـــيـــد أيـــلـــول
عـــلـى مـــلـــيـــون مـــقـــتـــول
ولا يـــرثي أولـــو الأمـــر
لأشـــبـــاحٍ مـــهـــازيل
نـــيـــامٍ بـــين تـــوراةٍ
وقـــرآنٍ وإنجـــيـــل
فـــمـــا في الـــغـــاب من نـــابِ
فـــزمـــجـــرْ أيـــهـــا الجـــابي

(١) أول أيلول عيد إعلان لبنان الكبير.

ألا سـيـف مـن الإيمـا
نِ يـبـري الـسـيف مـسـنـونـا
يُـجـلّي عن سـمـا الأوطـا
نِ هـذا الـذل والـهُـونـا
يـقـود إلى جـنـون المجـ
ـد أبـطـالاً مـجـانـيـنـا
بـقـلـبٍ يـحـمـلُ الآمـا
لَ والآلام والـديـنـا
يـهـز الـقـوم[1] بـالـذكـرى
وقـد يـنـسى الـفـتى حـيـنـا
إذا أُعـطـيتَ وعـد الحـرْ
رِ كـان الـوعـد مـأمـونـا
ولـكـن لـيـس في الـبـاب
سـوى الجـنـديِّ والجـابي[2]

سنة ١٩٣٥

****

(١) يريد بهم المنتدبين.

(٢) الهوى والشباب، ص: ١٨٠-١٨٣.
- شعر الأخطل الصغير، ص:٢٥٣.
- الصياد، آب ١٩٤٥.

١٤٠ - أحين صار ترابا

«رثاء الكاظمي»

أحـــــين صـــــار تـــــرابـــــا
لـــقـــد أتـــيـــتـم عـــجـــابـــا(*)
يـــــا أمـــــــة لا أراهـــــــا
تـــخـــطـــو إلى الحق قـــابـــا(*)
لـــبـــنـــان مـــنـــهـــا فـــسـلـــني
وعـــــدّ ضـــحـــكي جـــوابـــا
المـــــوت أكـــــرم نـــفـــســـاً
والـــقـــبـــر أرحب بـــابـــا(*)
قـــد صـــافـــحـــاه عُـــقـــابـــاً
وعـــانـــقـــاه شـــهـــابـــا(*)
هل أذنب الـــشـــيـخ حـــيـــاً
حـــــتى إذا مـــــات شـــابـــا
وحـــــين أمـــــسى غـــنـــيـــاً
عـــنـــكم غـــدوتم صـــحـــابـــا
لـــــو رُدّتْ الـــــروح فـــــيـه
لازورَّ عـــنـــكم عـــتـــابـــا
أهـــمـــلـــتـــمـــوه حـــســـامـــاً
وصـــنـــتـــمـــوه قـــرابـــا

قل لـــــلـــــعـــــراق أيـــــقـــــضي
شـــيخ الـــعـــراق اغـــتـــرابـــا؟(*)
يـــــؤلّف الـــــبـــــؤس مـــــنـــه
فـي كل يـــــوم كـــــتـــــابـــــا(*)
وقـــد بـــنـى لـــكم بـــيـــتـــاً
مـن الـــعـــلـى جـــوّابـــا(*)
يـــصـــافـح المجـــد فـــيـه
هـــارون والأحـــســـابـــا
ودولـــــــة لمـــــعـــــد
عـــلى الـــزمـــان كـــعـــابـــا
بـــيـــتـــاً بـــنـــاه وبـــيـــتـــاً
أقـــام فـــيـه خـــرابـــا(*)
إذا رأى الـــســـؤل عـــابـــاً
فـــهل تـــرى الـــبـــذل عـــابـــا
نـــفس الأبـي كـــدمع الـــسْ
ـــسِـبـاع تـأبى انـسـكـابـا(*)
ورب دمـــــعـــــة شـــــيخ
تـــنـــسي الـــشـــبـــاب الـــشـــبـــابـــا(*)
إن لـــم تـــخـــفْ أي شـــيء
خـف الـــدمـــوع الـــغـــضـــابـــا(*)
الحـــقـــد يـــنـــفت فـــيـــهـــا
من المـــنـــايـــا لـــعـــابـــا

لا يـــكـــرم الـــلـــه شـــعـــبـــاً
لا يـــــكـــــرم الآدابـــــا(*)

حظ الـــــنـــــبـــــوغ لـــــديه
أن لا يـــــنـــــال ثـــــوابـــــا(*)
يـــــغْـــــذي ولـــــكن كـلامـــــاً
يـــــســـــقي ولـــــكن ســـــرابـــــا(*)
والـــــلـــــه! حـــــلـــــفـــــة حـــــرّ
يـــــرى المـــــعـــــالي غـلابـــــا(*)
والحـق لـــــلـــــحـق شـق الـ
ـــــيـــــراع عـــــنه الحـــــجـــــابـــــا(*)
إن لـم نـــــبـــــرّ الـــــقـــــوافي الـ
ـــــمـــــســـــومـــــات الـــــعِـــــرابـــــا(*)
ونـــــرفـع الأدب الـــــســـــمـ
ـح والـــــبـــــيـــــان الـــــلـــــبـــــابـــــا(*)
عضَّ الحـــــديـــــد عـــــلـــــيـــــنـــــا
وحـــــدّد الـــــدهـــــر نـــــابـــــا(*)

☆☆☆☆☆

شـــــيـــــخ الـــــقـــــوافي سلام
ومـن يـــــردُّ الجـــــوابـــــا(*)
يـــــا حـــــفـــــنـــــة من تـــــراب
أتـــــمـــــلـــــكـــــين خـــــطـــــابـــــا
قـــــد كـــــنـــــت ظلاً فـــــولـى
وكـــــنـــــت نـــــوراً فـــــغـــــابـــــا(*)
لا يُـــــرجـع المـــــيْت حـــــيـــــاً
بُـــــنْـــــيـــــانُك الأنـــــصـــــابـــــا(*)

ولا تـــــــمن عـــــــلـــــــيه
إغـــــداقك الألـــــقـــــابـــــا(*)(١)
المـــــــرء دنـــــيـــــاه، مـن ظنْ
نَ غـــــيـــــر ذلك خـــــابـــــا
بـــــالـــــله! أعـــــني به الـــــشـــــمـ
ـس والـــفـــضـــاء الـــرحـــابـــا
وكل مـــــا هـــــزّ نـــــفـــــسي
ومـــــا أفـــــاد وطـــــابـــــا
إن الـــــقـــــبـــــور الـــــلـــــواتي
قـــــد ضـــــمت الأقـــــطـــــابـــــا
مـــا زادهـــا الـــضـــيف فـــخـــراً
زار الـــــتـــــرابُ تـــــرابـــــا(*)(١)
لـــكـــنـــهـــا خـــدعـــات
في أنـــــفس تـــــتـــــغـــــابى
الـــقـــبـــر لـــيس يـــحـــابي
ولـــــيس ممـــــا يـــــحـــــابى

يـــــا شـــــعـــــر أي عـــــزاء
يـــنـــسـيك هـــذا المـــصـــابـــا(*)
مـــحـــا الـــبـــكـــا ســـحـــر عـــيـــنـــيـ
ـك والـــثـــنـــايـــا الـــعِـــذابـــا(*)

(١) ولا تـــمنّ عـــلـــيه * زار الـــتـــراب تـــرابـــا
(٢) ولا تـــمنّ عـــلـــيه * زار الـــتـــراب تـــرابـــا

وكـــــنت حـــــلم الـــــلـــــيـــــالي

والـــــــــروض والأكـــــــــوابـــــــــا[*]

مـــــــا لـي أراك حـــــــزيـــــــنـــــــاً

فـــــــهل لمحت الـــــــربـــــــابـــــــا

كـــــدمـــــعـــــة الـــــنـــــجم ضـــــوء

لا تـــــــمـلّ انـــــســـــكـــــابـــــا

أو كـــــالـــــشـــــراع عـــــلـــــيه

بـــــنى الخـــــصم قـــــنـــــابـــــا[١]

قـــــد كـــــنت بـــــعض حـلاهـــــا

وشـــــرهـــــا المـــــســـــتـــــطـــــابـــــا[٢]

نظمت سنة ١٩٣٥

****

(١) هكذا في الأصل.

(٢) المعرض، ١٩٣٥، عدد: ١٠٨٣، ص: ٩.

١٤١ - توفيق ضومط[١]

لم أجـــد أحـــسن من فـــرخَيْ قـــطـــا
نَـــقَـــرا حَبّ الـــهـــوى قـــرب الـــغـــديـــرْ
غـــرد الـــفـــجـــر بمـــنـــقـــاريـــهـــمـــا
وتـــمـــنى الـــزهـــر لـــو كـــان الـــســـريـــر
ولـــقـــد مـــاجت عـــلى عـــطـــفـــيـــهـــمـــا
دفـــقـــات من ضـــيـــاء وعـــبـــيـــر
دهـش الـــنـــســـر وقـــد راقت له
هـذه الـغـبـطـة في الـوكـر الـصـغـيـر(*)
فـــدنـــا يـــنـــفض عن وجـــنـــته
عبء مـــا حـــمَّـــله حـــرّ الـــهـــجـــيـــر(*)
يـــســـأل الـــوكـــر وفـــرخـــيه مـــعـــاً
حُـــرْمَـــة الـضـيـف وحق الـمـسـتـجـيـر(*)

قل لـــتـــوفـــيق وعـــصـــفـــورته
زقـــزِقـــا فـــالـــروض ريـــان نـــضـــيـــر
قـــبـــلات الحـب فـــي أولـــه
هي زاد الـــنـــفس لـــلـــحب الأخـــيـــر(*)(٢)

١٩٣٥

****

(١) تهنئة توفيق ضومط في عرسه.
(٢) من أوراق الشاعر.
(*) شعر الأخطل الصغير، «الحب الأخير»، ص:٣١٣.

١٤٢ - يا جهاداً صفق المجد له [١]

سـائل الـعـلـيـاء عـنـا والـزمـانـا
هل خـفـرنـا ذمـة مـذ عـرفـانـا[*]
المـروءاتُ الـتـي عـاشت بـنـا
لم تـزل تجـري سـعـيـراً في دمـانـا[*]
قل «لجـونْ بـولٍ» إذا عـاتـبـتهُ
سـوف تـدعـونـا ولـكن لا تـرانـا
قـد شـفـيـنـا غـلـة في صـدره
وعـطـشـنـا؛ فـانـظـروا مـاذا سـقـانـا
يـوم نـادانـا فـلـبـيـنـا الـنـدا
وتـركـنـا نـهـيـة الـدين ورانـا
ضـجَّت الـصـحـراء تـشـكـو عـريـهـا
فـكـسـونـاهـا زئـيـراً ودخـانـا
مـذ سـقـيـنـاهـا الـعـلى من دمـنـا
أيـقـنـت أن مـعـداً قـد نمـانـا[*]

ضـحك المجـدُ لـنـا لمـا رآنـا
بـدم الأبـطـال مـصـبـوغـاً لـوانـا[*]

(١) كان لثورة فلسطين ١٩٣٥ - ١٩٣٦ أثرها الدامي في نفوس العرب فهبوا يساعدون الثوار بالمال والسلاح وقد أعدت هذه القصيدة لتلقى في الحفلة التي قررت مدينة ابن الوليد - حمص - إقامتها ولكن الحكومة منعت الحفلة فنشرتها مجلة «المعرض» على حدة وقدمت ما جمعته من ثمنها للجنة مساعدة الثوار.

عــرسُ الأحــرار أن تــســقي الــعــدى
أكــؤســاً حــمــراً وأنــغــامــاً حــزانى(*)
نــركب المــوَّتَ إلى (الــعــهــد) الــذي
نــحــرته دون ذنب حــلــفــانــا
أمن الــعــدل لــديــهم أنــنــا
نــزرع الــنــصــر ويــجــنــيه ســوانــا
كــلــمــا لــوحتَ بــالــذكــرى لــهم
أوســعــوا الــقــول طلاء ودهــانــا
ذنــبــنــا والــدهــر في صــرعــته
أنْ وفــيــنــا لأخي الــود وخــانــا(*)

☆☆☆☆☆

يــا جــهــاداً صــفق المجــد له
لــبس الــغــارُ عــلــيه الأرجــوانــا(*)
شــرفٌ بــاهتْ فــلــســطــينٌ به
وبــنــاءٌ لــلــمــعــالي لا يُــدانى(*)
إن جــرحــاً ســال منْ جــبــهــتــهــا
لــثــمــتهُ بــخــشــوعٍ شــفــتــانــا(*)
وأنــيــنــاً بــاحت الــنــجــوى به
عــربــيــاً رشــفــتهُ مــقــلــتــانــا(*)

☆☆☆☆☆

يــا فــلــســطــين الــتي كــدنــا لمــا
كــابــدته من أسى نــنــســى أســانــا
نــحــن يــا أختُ عــلــى الــعــهــد الــذي
قــد رضــعــنــاه من المــهــد كلانــا(*)

يـــثـــربٌ والـــقـــدسُ مـــنـــذُ احـــتـــلـــمـــا
كـعـبـتـانـا وهـوى الـعـرب هـوانـا(*)
شـــرفٌ لـــلـــمـــوت أن نـــطـــعـــمه
أنـفـســاً جـبـارة تـأبى الـهـوانـا(*)
وردةٌ من دمـــــــنـــــــا فـي يـــــــده
لـو أتى الـنـار بـهـا حـالت جـنـانـا(*)
انـــشـــروا الـــهـــول وصـــبـــوا نـــاركمْ
كـيـفـمـا شـئـتم فـلن تـلـقـوا جـبـانـا(*)
غـــذت الأحـــداثُ مـــنَّـــا أنـــفُـــســاً
لـمْ يـزدهـا الـعـنفُ إلا عـنـفـوانـا(*)
قَـرَعَ «الـدوتـشي» لـكم ظـهـر الـعـصـا
وتحـــداكم حـــســـامـــاً ولـــســـانـــا
إنهُ كـــفـــوٌ لـــكمْ فـــانـــتـــقـــمـــوا
ودعـــونـــا نـــســـألُ الـــلـه الأمـــانـــا

قم إلى الأبـــطـــال نـــلـــمسْ جـــرحـــهمْ
لمـســة تـسـبحُ بـالـطـيب يـدانـا
قم نجعْ يـــومـــاً من الـــعـــمـــر لـــهمْ
هـبْهُ صـوم الـفـصح، هـبهُ رمـضـانـا(*)
إنمـــا الحقُّ الـــذي مـــاتـــوا له
حـقـنـا، نمـشي إلـيه أين كـانـا(*)

دمـعـةٌ لـلـشـعـر في جـفن الـعـلى
كـفـكـفـتـهـا أكـرمُ الخـلق بـنـانـا

حـــمصُ... والجـــنَّـــة من أســـمـــائـــهـــا
اَنـــــةً والمـــــعـــــقلُ الجـــــبـــــارُ اَنـــــا
لـــو مـــشى «خـــالـــدُ» في فـــتـــيـــانـــهـــا
مَـــهْـــرَجَ الخـــلـــد وزاد الـــفـــتح شـــانـــا
هم ســـــيـــــاجُ الحقِّ من أمـــــتـــــهمْ
جـــعـــلـــتـــهمْ في يـــد المجـــد ضـــمـــانـــا[1]

١٩٣٦

****

(١) الهوى والشباب، ص:١٦٥-١٦٧.

(*) شعر الأخطل الصغير، «وردةٌ من دمنا»، ص: ١٦٢، بترتيب مختلف.

١٤٣ - الأخطل الصغير
يرحب بالوفد العراقي

وفد هارون... هذه راية «الفضـ
ـل» وهذا فخر القريض «النواسي»
نفح الطيب طيب دجلة من فو
دَيْكِ في موكب من الأعراس
غزوة للقلوب قام بها الحبْ
بُ فكان الأسير نفس المؤاسي
صفق الأرز للمبشر بالوفـ
ـدِ وأهدت تيجانهن الرواسي
هل عرفتم غير العراق بلبنا
ن وهل غير وحدة الإحساس
معقل من معاقل الضاد بل مهـ
ـوى بنات الخيال من برناس
عز بالصيد من ذوائب فهرٍ
ورهته الوفود من «عباس»
هو «جنيف» يعرب كل ما فيه
مؤات وكل ما فيه آس
من أقامت له القلوب دليلاً
لا يبالي بما يقول السياسي[1]

نظمت سنة ١٩٣٦

****

(١) المعرض، ٥ نيسان ١٩٣٦، عدد: ١٠٩٨، ص:١٨.

١٤٤ - الشيخ محمد الغنيمي التفتازاني

«رثـــــاء»

أتـــركت بـــعـــدك نـــشـــوة لـــلـــراحِ
يـــا ذاهـــبـــاً بـــبـــشـــاشـــة الأفـــراحِ(*)
ومـــهـــلـــهلَ الـــطُّـــرف الحـــســـان كـــأنـــهـــا
مـــــرّت بـلا إثـم عـــــلـى الأقـــــداح(*)
شـــغف الـــربـــيع بـــهـــا فـــراح يـــزفّـــهـــا
لـــبـــنـــاته من نـــرجس وأقـــاح(*)
يـــبـــغي الخـــلـــود لـــهـــا عـــلى شـــفـــة الـــورى
فـــأنـــاطـــهـــا من خـــالـــد بـــجـــنـــاح
فـــدت المـــبـــاسم بـــســـمـــة في ثـــغـــره
كـــــانت تـــــشـــــيع الأنس في الأرواح(١)
هي نجـــمـــة الـــســـاري إذا عَـــبَس الـــدّجى
فـي وجـــــهـه ، ومـــــنـــــارة المـلاح(*)
إني سـكـبت بـهـا الـبـيـان عـلى الـطلا
في عـزلـتي وجـعـلـتـهـا مـصـبـاحي(*)
فـذكـرت مـصـر ومـا ذكـرت سـوى الـعـلى
مـــهـــرت بـــأكـــرم أنـــفس وجـــراح(*)(٢)

---

(١)(٢) فـــدَت المـــبـــاسم بـــســـمـــة في ثـــغـــره
مُـــــهـــــرت بـــــأكـــــرم دمـــــعـــــة وجـــــراح

- راجع ، شعر الأخطل الصغير، «نديمي»، ص:٩٩-١٠١.

وأسفت للسيف الكريم مخضّباً[1]
بالظلم يرعف من دم الإصلاح
شرف السلاح ذياده عن حقه
لا نحر حق أو شفاء طماح

☆☆☆☆☆

أمحمد إني شربت بك الأسى
وأدمتُ، ثم عجبتُ أنيَ صاح[*][2]
جزعاً ليعرُب أن يلمّ بساحه
خطْب. وليس محمد في الساح
بيت العروبة ما تجهم وجهه
إلا جلاه بوجهك الوضّاح
الأرز فيك وقاسيون كلاهما
يتشاكيان بعبرة ونواح
وأرى العراق يدمّ شاسعة النوى
ويشدّ فوق فؤاده بالراح

☆☆☆☆☆

يا مصر ما نظم الجهاد قصيدة
إلا استهل بذكرك الفوّاح[**]
أو سال جرح من جبين مجاهد
إلا عصبت جراحه بجراح[**]
بردى شقيق النيل منذ أمية
جمعا على الأفراح والأتراح[**]

---

(١) إشارة إلى المظاهرات التي قاومها المحتلون بالسلاح وسقط فيها بعض الشباب.

(٢) واليوم يا كاسي شربت بك الأسى
وأدمت ثم عجبت أني صاح

- راجع ، شعر الأخطل الصغير، «نديمي»، ص:٩٩-١٠١.

نـسب كـخـدّ الـورد في شـفـة الـضـحى
يـخـتـال بـين الـعـاص والجـرّاح[**]

أشـقـيق نـفـسي مـا ذكـرتك لـيـلـة
إلا غـصـصـت بـأدمـعي وبـراحي[*]
خـفّـفتَ في مـصـر بـوارح عـلـتي[1]
ومـسـحتَ هـاجس قـلـبيَ المـلـتـاح
فـحـلَـلْتَ بـين مـحـاجـري وجـوانـحي
ونـزلت في المـسـطـور من ألـواحي[2]

سنة ١٩٣٦

(١) إشارة إلى ما لقيه الشاعر من عناية الفقيد أثناء مرضه أيام وجوده في مصر مندوباً عن لبنان لتأبين أحمد شوقي.
(٢) من أوراق الشاعر.
(*) شعر الأخطل الصغير، «نديمي»، ص:٩٩-١٠١

١٤٥ - طبع الصاعقات[١]

نجيَّ العلى حربٌ على الشَّهواتِ
حييٌّ كمنْديلٍ بصدْر فتاةِ
ولكنْ، إذا الأوطانُ نادت ، أجابها
وَقاحٌ كنابِ الليث عضَّ بشاة
من الجهلِ أن تلقى المهند بالعصا
وأن تدفع الأعداء بالصلوات
صداقُ العُلى: نفْسٌ تسيلُ على الظُّبى
مرصَّعة الآهات بالبسمات

أبى لك طبعُ الصاعقات إذا هوتْ
على قضب الماذيِّ منجذبات
وخِفْتَ فُجاءات الردى، فسبقتها
بوثبةِ جبارٍ إلى الذُّروات
إذا ضمن المرء الخلود على الصبا
فما عمرهُ الباقي سوى فضلاتِ
أخا الأدب الحالي، مررت على الصِّبا
فأدميت منه مهجة الزهرات
وغادرتها نشوى الهوى، وهي طفلةٌ
تفتشُ عن أحلامها النضرات

(١) رثاء عبدالرزاق الدندشي.

تُحِسُّك بالشادي إذا رق شجْوُهُ
وبالجدول الباكي على الحصبات
وبالورقاتِ الخضر، فاجأها الهوا،
فشدّت على الأغصان مرتعشات
وبالشاطئ المغمور بالظل والشذا
على حركات الماء والسكنات
فتنسكب الأنداء، بسَّامة المنى
على قلبها الصادي إلى القبلات

☆☆☆☆☆

على وجه سوريّا جديدُ تحيتي
إلى سابقات فيه مؤتلقات
وإن أنا حييتُ الشآم، تنفستْ
رُبى الأرْز عن أزهاره بلهاتي
جذبتُ إليه العُرْب، بعد نفارهمْ،
وذوبْتُ في كاساتهم نغماتي[1]

١٩٣٦

✱✱✱✱

(١) شعر الأخطل الصغير، ص: ٢٨٨.

١٤٦ - الزهـــاوي

قُـــولي لِـــشَـــمـــسكِ لا تـــغـــيـــبي
وتـــكـــبـــدي فـــلـك الـــقُـــلـــوبِ
بـــــغـــــدادُ يـــــا وطن الجـــــهـــــاد
ومُـــــــرضعَ الأدَبِ الخـــــصـــــيب
غـــــنـــــاك دجـــلـــة والـــفـــراتُ
قـــصـــائـــد الـــزَّمَنِ الـــعـــجـــيب
رقـــصت قـــوافـــيـــهـــا عـــلى
نـــغم الـــبـــشـــائـــر والحـــروب
أعـــراسُ «دارا» منْ مـــقـــاطـــعـــهـــا
وخَـــيْـــبـــة ســـنـــحـــريب
حـــــتى إذا طـــلـع الـــرشـــيـــدُ
ومـــــاج فـي الأُفُقِ الـــــرَّحـــــيب
صـــهـــر الـــقـــرون وصـــاغـــهـــا
تـــاجـــاً لمـــفـــرقك الحـــبـــيب
أُسْـــدَ الـــعـــراق، ومـــا الـــريـــا
حُ الـــهُـــوجُ طـــاغـــيـــة الـــهُـــبـــوب
أمـــضـى وأنـــفـــذُ مـــنك ، إذْ
تـــثـــبـــين لـلأمـــر الـــعـــصـــيب
قـــلّـــمت أظـــفـــار الـــزمـــا
ن ورعت داهـــيـــة الخـــطـــوب
وبـــنـــيتِ بـــالـــقـــلم الحـــلـــيـ
ـم وبـــالمـــهـــنـــدة الـــغَـــضـــوب

مـــجـــداً تـــنـــقّلَ في الـــعُـــلى
بـــين الأشـــعـــة والـــطـــيـــوب

بـــغـــداد يـــا شـــغف الجـــمـــا
لِ ومـــلـــعب الـــغـــزل الـــطـــروب
بَـــنت المـــكـــارمُ لـــلـــعـــرو
بـــة فـــيك جـــامـــعـــة الـــقـــلـــوب
بـــــــيت من الأخلاق ضـــــــا
قت عـــــنه أخلاقُ الـــشـــعـــوب
وسع الـــديـــانـــاتِ الـــســـمـــا
حَ وضم أشـــتـــاتَ الـــنـــدوب
زفـــرات أحـــمـــد في رســـا
لـــــته وآلامُ الـــصـــلـــيب

بـــغـــداد مـــا حـــمل الـــسُّـــرى
مـــني، ســـوى شـــبحٍ مـــريب
جـــفـــلت له الـــصـــحـــراء والـ
ـــتـــفت الـــكـــثـــيبُ إلى الـــكـــثـــيب
وتـــنـــصـــتتْ زمـــرُ الجـــنـــا
دب من فـــويـــهـــات الـــثـــقـــوب
يـــتـــســـاءلـــون، وقـــد رأوا
قـــيس المـــلـــوح في شـــحـــوبي
والـــتـــمـــتـــمـــات عـــلى الـــشـــفـــا
ه مـــضـــرجـــاتٍ بـــالـــنـــســـيب
تـــبـــكي لـــهـــا قُـــبَلُ الـــصـــبـــا
ويـــذوبُ فـــيـــهـــا كلُّ طـــيب

يـــتـــســـاءلـــون: من الـــفـــتى الـ
ـــعـــربي فـي الـــزِّيِّ الـــغـــريب؟

صـــحـــراء يـــا بـــنت الـــســـمـــا
ء الـــبـــكـــر والـــوحْي الخـــصـــيب
أنـــا لـــو ذكـــرتِ، ذكـــرْتِ أحـ
ـلامـي وأنـــغـــامـي وكـــوبـي
إحـــدى الـــشـــمـــوع الـــذائـــبـا
ت أمـــام هـــيـــكـــلك الـــرهـــيب
أنـــا دمـــعـــةُ الأدب الحـــزيـ
ـن رســـالـــةُ الألـم المـــذيب
من قـــلب لـــبـــنـــان الـــكـــئـــيـ
ـب لـــقـــلب بـــغـــداد الـــكـــئـــيب

لـــبـــيك نـــابـــغـــة الـــعـــرا
ق وحـــجـــة الـــشـــرق الـــقـــريب
لـــبـــيك مـــعـــجـــزة الـــبـــيـا
ن الحـــرِّ والـــقـــلم الخـــضـــيب
حُـــجَّـــاحُ روحـك ، وهـي مـل
ء الـــكـــون ، تـــقـــذف بـــالـــلـــهـــيب
تـــخـــبـــو الـــشـــمـــوس وتـــنـــطـــفي
وتـــظل نـــامـــيـــة الـــشـــبـــوب
حُـــلْمٌ ســـفـــكتَ دم الـــشـــبـــا
بِ فـــدى لمـــبـــســـمه الـــشـــنـــيب
حـبُ الخـــلـــود، وكـم أريـ
ـقَ عـــلـــيه من جـــفنٍ ســـكـــيب

لـــــولاهُ لـم تـــــلـــــد الـــــطـــــرو
سُ الحـــــمـــــرُ إكـــــلـــــيل الأديب

آلـــــيتُ أقـــــتـــــحمُ الجـــــحـــــيـ
ـم عـــــلـــــى جـــــواد من ذنـــــوبـي
فـــــأغـــــوص في الأبـــــديـــــة الـ
ـــــخـــــرسـاء والأزَلِ الـــــقـــــطُـــــوب
أتـــــلـــــمسُ الأشـــــبـــــاحَ والـ
أرواحَ من خـــــلـــــل الحـــــقـــــوب
حـــــتى إذا انـــــكـــــشف الجـــــحـــــيـ
ـمُ يـــئـــز بـــالـــضَّـــرَم الـــصـــخـــوب
ســـكَّـــنْتُ ثـــائـــرة الـــضـــلـــو
عِ وكـــادَ يـــصـــرعـــني وجـــيـــبي
وســـــــألت عـنْ «دانـــــــتـي» وعـنْ
«شـــيخ المـــعـــرةّ» ذي الـــريـــوب:
أحـــقـــيـــقـــةً عَـــرفَـــا لـــظىً؟
أم وصفُ مـــبـــتـــدعٍ نجـــيب
«لجـــمـــيل لـــيـــلى» فـــيه مـــا
شـــاء الـــتـــفـــنُ منْ ضـــروب
صـــورٌ مـــلـــونـــة الجـــنـــا
حِ عـــلى مـــخـــيَّـــلـــةٍ خَـــلـــوب
آلـــــيتُ أقـــــتـــــحمُ الجـــــحـــــيـ
ـم عـــــلـــــى جـــــواد من ذنـــــوبـي
آلـــــيتُ.. لـــــكـــــني ارعـــــوي
ـتُ وقـــلتُ: يـــا نـــفـــسي اهـــدئي بي

مـــهـــمـــا ســـمـــا عـــقلُ الحـــكـــيـ
ـم يـــزِلُّ عنْ حُـــجُب الـــغـــيـــوب

يـــا فـــيـــلـــســـوف الـــعُـــرْب، والـ
أيـــام كـــالحـــة الـــنـــيـــوب
هلاَّ ذكـــرت لـــنـــا الـــعـــرا
ق ومـــجـــدَ غـــابـــره الـــذهـــيب
يـــفـــتـــر عن مـــثل ابن ســـيـ
ـــنـــا والـــنـــواسيِّ الأريب
إرثٌ وهـــبْتَ لـه الـــصـــبـــا
وســـقـــيـــتَـهُ دمع المـــشـــيب
ونـــشـــرت أنجـــمه ، عـــلى
بـــغـــداد من كـــفن المـــغـــيب
شـــيخ الـــقـــريض، أبـــا الـــرصـــيـ
ـن الجـــزل والمـــرح الـــلـــعـــوب
مـــا زلت ألمحـــهـــا عـــلى
لـــبـــنـــان طـــافـــرة الـــوثـــوب
من مـــعـــصم الـــنـــبع الـــدفـــيـ
ـــيق لمـــعـــطفِ الـــغـــصن الـــرطـــيب..

وأخـــو الـــوفـــا، لـــبـــنـــانُ، يـــر
فُلُ مـــنـهُ في الـــثـــوب الـــقـــشـــيب
هُـــو والـــعـــراقُ الحـــرُّ: مـــهـ
ـــدُ هـــوىً وأيـــكـــة عـــنـــدلـــيب
فـــجـــرانِ من مـــزن الـــســـمـــا
ء ووردتـــان عـــلى قـــضـــيب[1]

نظمت سنة ١٩٣٦

****

(١) شعر الأخطل الصغير، «الزهاوي»، ص:١٤٤.
- العاصفة، آذار ١٩٣٧، عدد: ١٠١، ص: ١٣

١٤٧ - قوة الروح والعقيدة جيش[١]

سقط السيف بعد طول الضرابِ
من يد المجد أحمر الجلبابِ(*)
فهوت أمة عليه تفديـ
ـه بمنخوب شيبها والشباب(*)
تتلوى تحت المصاب وتصغي
لحديث الدموع في الأهداب(*)
مأتم في الخدود للأدمع الحمـ
ـراء ما بين مستهل وخاب(*)
كبقايا جيش من الشهـ
ـب ترامى الشهاب إثر الشهاب(*)
يتعثرن تارة بالذي جف
وحيناً يطفون طفو الحباب(*)
خطباء المآتم الخرس هذا
ذو اختصار وذاك ذو إسهاب(*)
أبلغ الشعر دمعة تتلظى
فوق خد لا صفحة في كتاب(*)

☆☆☆☆☆

أطغى البحر ذو العباب على العُرْ
بِ فلفَّ القصور بالأطناب؟(*)
أم هو الحشر يوم زلزلت الأر
ض على صوت بوقها الصخَّاب؟(*)

(١) في رثاء إبراهيم هنانو.

لا وربي بل ذاك مـــــصـــــرع إبـــــرا
هـــيم هـــز الـــســـمـــاء بـــالأربـــاب
ســألــوا من قــضى؟.. فــقــلــنــا حــســام
عـــربي الأفـــعـــال والأحـــســـاب
بل لـــواء من الـــكـــرامـــة في الـــذر
وة إرث الأحـــقـــاب لـلأحـــقـــاب
بل كـــتـــاب من الـــســـمـــاحـــة والأخـ
ـلاق صـــلـت عـــلـــيه أمُّ الـــكـــتـــاب
شـــرقت مـــقـــلـــة المـــنـــابـــر بـــالـــدمـ
ـع ورقَّ المحـــراب لـــلـــمـــحـــراب(*)
ومـشت خـلف نـعـشه مـشـيـة الـثّـكـ
ـل كـــــبـــــار الآمـــــال والآراب
ســأل الـــســيل نـــفـــسه: مـــا ســيـــول
من أنـــاس ســـدت عـــليَّ شـــعـــابي
أطـرقـوا واجـمـين في الحـلل الـسـو
د كـــأطـــيـــاف جِـــنَّـــةٍ في ثـــيـــاب
كـلـمـا لـوحـوا لـسـيـفـهم المـغـ
ـــمـــود خـــرّوا مـــرنـــحـــين كـــوابي
كـــنـــشـــاوى مـــدهـــدهـــين أراقـــوا
فـــضلات الحـــلـــوم في الأكـــواب
سـكـرة الحـزن سـكـرة لـيس يـصـحـو
المـرء مـنـهـا مـا دام فـوق الـتـراب
تـتـغـذى بـالـذكـريـات وتـنـمـو
بمـــآسي الأوطـــان والأحـــبـــاب(*)

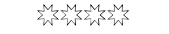

أي أبـــا طـــارق وعـــهـــدك بـــالأيـ
ـــام عـــهـــد الـــكـــفـــاح والأوصـــاب(*)
أيّ دائـــيك كـــان أفـــتك بـــالجـــسـ
ـم وأورى لـــــثـــــورة الأعـــــصـــــاب(*)
بـــأبي أنت من أســـيـــر يـــرى الأسـ
ـــر عـــلى حـــالـــتـــيه فـــدح مـــصـــاب
عـــزمـــة تـــقـــطع الحـــديـــد وجـــسم
في قـــمـــيص من الـــضـــنى والـــعـــذاب(*)
تـــتـــلاقى عـــلـــيـــه آمـــال شـــعب
بـــين دفع من دهـــرهـــا وانجـــذاب(*)
مـــا رأيـــنـــا طـــيـــفـــاً أخف من الـــظلْ
لِ عـــلى كـــاهـــلـــيه شمّ الـــهـــضـــاب(*)
لـــيس يـــزرى الـــقـــراب من ونق الـــســـيـ
ـف إذا كـــان عـــبـــقـــري الـــذبـــاب(*)
كم نـــحـــول يـــشفّ عن نـــفس جـــبـــا
رٍ جـــريء الـــفـــعـــال ضـــخم الـــرغـــاب(*)
قـــوة الـــروح والـــعـــقـــيـــدة جـــيش
من لـــهـــيب وقـــائـــد من صـــواب(*)
حـــقَـــرَتْ قـــوة الجـــســـوم وأزرتْ
بـــالـــسرايـــا وعـــســـكـــرت في الـــروابي(*)

أيـــهـــا الـــسـيف مـــا لِـسَـيف بـــني حـمـ
ـــدان في قـــبـــره اكـــتـــئـــاب
أدرى أي مـــــــارد من مـــــــعـ
ـــتـــزل من جـــوه وأي عـــصـــاب

لـطـمت صـدرهـا له الـقـلـعـة الـشـكـ[1]
ـلى فـرقَّتْ لـهـا عـيـون الـسـحـاب
فـحـنـا قـلـبيَ الجـريح عـلـيـهـا
كـحـنـوِّ الـنـدى عـلـى الأعـشـاب
كـيـف أنـسى يـداً لـهـا وحـبـاء
كـان فـيـه الـفـخـار ملء إهـابي[2]
أنـا مـنـهـا وقـلـب لـبـنـان في قـلـ
ـبي وأهـدابـه عـلـى أهـدابي

أخت مـروان أين مـحـفـله في الـ
أمسِ بـين الإكـبـار والإعـجـاب
تـطـبـع الـشـمس قـبـلـة بـين عـيـنـيـ
ـه وتـعـطي يمـيـنـهـا لـلـركـاب
والمـنـايـا عـلـى رؤوس الـعـوالي
تـتـلـقى من فـيـه فـصل الخـطـاب
في خـمـيـسـين من وقـارٍ وحـلْمٍ
وربـيـعـين من نـدىً وثـواب
والـلـيـالي ضـواحكٌ والأمـاني
سـابـحـات عـلـى الـفـسـاح الـرحـاب
والـعـنـاقـيـد من أغـانٍ وشـعـرٍ
تـتـلـوى عـلـى الـثـرى المخـصـاب[*]
هـا يـومـان يـا دمـشق فـيـوم
لـزوال وآخـر لإيـاب

(١) قلعة حلب.
(٢) أشارة إلى المهرجان الكبير الذي أقامته حلب الشهباء تكريماً للشاعر.

مـــا خـلا الـــغـــيل من دمـــشق إلى الـــشـــهـ

ـــــبـــــاء مـن حـــــافـــــز ومن وثّـــــاب

وسلاح مـن الحـــــقـــــوق المـــــدمـــــا

ة نـــســـيج الـــقـــلـــوب والألـــبـــاب

شـــهـــرت مـــثـــله فـــرنـــســـا عـــلى الـــظـــلـ

ـم فـــــردته مـن دمٍ بـــــخـــــضـــــاب

نـــاد نشء الـــبلاد: يـــا نـــشـــوة الـــنـــصـ

ـــــر ويـــــا غـــــرة الأمـــــاني الـــــعِـــــذاب

لـــــيس إلا عـــــلى ســـــواعـــــدك الخـــــضـ

ـــــراء تـــــفـــــتـــــر وحـــــدة الأحـــــزاب

مـــا بَـنَتْ مـــصـــر صـــرح عـــزتـــهـــا الـــشـــمْ

ـــــمـــــاء لـــــولا ســـــواعـــــد الـــــطلاب

يـــــا دمـــــاء الـــــشـــــبـــــاب مـــــا أنت إلا

ذائب لـــلـــطـــيب يـــا دمـــاء الـــشـــبـــاب(*)

ادفـــــقي رحـــــمـــــة وأُنـــــســـــاً وكـــــوني

جـــــدول الـــــســـــفح أو هـــــزار الـــــغـــــاب(*)

لا تـــــضـــــنـــي عـــــلى الحـــــراب وإن آ

ذتك بل عـــــطِّـــــري رؤوس الحـــــراب(*)

حـــبـــذا الـــورد عـــنـــدمـــا يـــغـــمـــر الـــكفْ

فَ الـــتـــي يـــتّـــمـــته بـــالأطـــيـــاب(*)(١)

---

(١) امـــلـــئـــيـــهـــا شـــذىً كـــمـــا يملأ الـــورد

يـــــد الجـــــارحـــــيه بـــــالأطـــــيـــــاب

- راجع ، شعر الأخطل الصغير، «سقط السيف»، ص: ٢٤٨-٢٥٢.

قـد يـروض الـلـيـان من جـامح الـطـبـ

ـع ويـلـقى الـسـيـوف وهي نـوابي

لا لـضـعفٍ لـكن لـتـبـرئـة الحـقْ

ـقِ إذا ريم بـيـن ظـفـر ونـاب

قـطـرة مـنك يـا دمـاء عـلى الحـلـ

ـم احـتـقـار لـغـضـبـة الـقـرضـاب(*)

كل حق لم تـسـقه لـضـيـاع

كل صـرح لم تـبـنه لـتـبـاب(*)

كم سـيـاجٍ من الحـديـد تـعـفَّى

وسـيـاجٍ بـاقٍ من الآداب(*)

☆☆☆☆☆

إيه صـدر الـشـآم يـا شـعـلـة الإيـ

ـمـان مـا فـيك قط من مـرتـاب

مـا رأيـنـا لـوحـاً كـلـوحك لم يـكـ

ـتب بـغـيـر الحـراب والأنـداب

آيـة الـصـدق في الـعـقـيـدة أن تـهـ

ـزأ بـالإضـطـهـاد والإرهـاب

كل غـرس سـقـتـه كـفك يـنـمـو

إنمـا الـفـرق في اخـتـلاف الـشـراب(١)

١٩٣٦

✱✱✱✱

(١) من أوراق الشاعر.

(*) راجع شعر الأخطل الصغير، «سقط السيف»، ص: ٢٤٨-٢٥٢.

١٤٨ - يا حامل الأمل المنشود[١]

يـا حـامل الأمل المـنـشـود مـقـتـحـمـاً
به المـصـاعب بـين الـعـنف واللـينِ
ولا سلاح سـوى الـوعـد الـذي قـطـعـوا[٢]
ومـا سـفـكـنـاه في تـلك المـيـادين
ونـفـحـة من قـديم الحب طـيّـبـة
أبـقى عـلى الدهـر من نـفح الـبـسـاتـين[*][٣]
«الحـمـد قَـبْلُ لـهم والحـمـد بَـعْـدُ لـهم»
لمـا اسـتـفـدنـاه من عـلم وتـمـدين
لا نجـحـد الـفـضل لـكن قـد يـجـوز لـنـا
عـتب الأحـبّـة من حـين إلى حـين
إن لم نـسـجل عـلى الأحـرار وعـدهمُ
فـالـزعم أن الـوفـا جـزء من الـدين
إيـثـارك الـعـهـد مـكـتـوبـاً عـلى ورق
بـدء الإسـاءة من دون إلى دون

---

(١) نظم الشاعر هذه القصيدة حيا فيها غبطة بطريرك الطائفة المارونية أنطون عريضة في صيف ١٩٣٦، يوم زاره في منزله زيارة رعائية.

(٢) يعود الضمير إلى الحلفاء.

(٣) لم يـتـركـوا زهـرة تـغـفـو عـلى غـصن
عـرّوا الـبـسـاتـين من زهـر الـبـسـاتـين

راجع شعر الأخطل الصغير، «تحية»، ص: ٢٨٦.

أبقى العهود التي في القلب قد طبعت

وكم تضيع عهود في الدواوين(*)(١)

☆☆☆☆☆

عميد لبنان كم فيَّأت من أمل

وكم عطفت على شاكٍ ومحزون

نفخت في الشعب روحًا لو نفخت بها

ثلوج «صنين» أجَّت بالبراكين

حيتك عني وجوه لو هي احتجبت

دلّ الشذا أنها بعض الرياحين(*)

كأن مولاي لما قام بينهم

عيسى بن مريم في يوم الشعانين

☆☆☆☆☆

يا نسر لبنان بل يا ليث غابته

رددت أشباله شمّ العرانين

شكرًا وحمدًا لقد غادرت عن دعة

وكر النسور إلى عش الحساسين(*)(٢)

١٩٣٦

✱✱✱✱

(١) تحية من قديم الحبّ طيبة

تبقى على الدهر في صدر الدواوين

راجع شعر الأخطل الصغير، «تحية»، ص: ٢٨٦.

(٢) من أوراق الشاعر.

(*) آفاق نور تهادى في مسابحها

نفح الرياض وتطريب الحساسين

- شعر الأخطل الصغير، «تحية»، ص: ٢٨٦- ٢٨٧ .

١٤٩ - نينا معلوف[١]

أي حـــســـــنـــيك غـــداة الـــسّْ
سَـــــبـق حـــــاز الأولـــــيَّه
الـــعـــيـــون الـــبـــابـــلـــيّه
والـــثـــنـــايـــا الـــلـــؤلـــؤيه؟
أنـــا لا أنـــكـــر هـــذا الـــسّْ
سِـــحـــر في هـــذي الـــظـــبـــيه
غـــيـــر أنـي ألمس الـــرو
ح ونجـــواهـــا الخـــفـــيه
فـــإذا الحـــسن لـــدى (نـــيـ
ـــنـــا) وقـــالـــته حـــيـــيّه
أدب مـن آل مـــعـــلـــو
ف وروح مـــريمـــيّه[٢]

١٩٣٦

****

(١) كريمة الشاعر قيصر بك معلوف عند انتخابها ملكة للجمال في بيروت.
(٢) من أوراق الشاعر.

١٥٠ - عجبـــاً[١]

قـــلبٌ بـــخـــيط رجـــائه يـــتـــعـــلق
قـــعـــد الـــعـــيـــاءُ به وقلَّ المُـــشـــفقُ(*)
نـــاداكِ والـــرمقُ الأخـــيـــرُ بـــصـــدره،
أملٌ يـــودِّعُ أو شـــراعٌ يـــغـــرقُ(*)
مـــدِّي يمـــيـــنك كـــالمـــسـيح فـــربمـــا
بـــعث الـــدفـــينُ وعـــاد حـــيـــاً يُـــرزق(*)
يـــا خـــفـــقـــة الأَمل الأخـــيـــرِ تـــمـــهَّـــلي
فَـــلَـــعلَّ منْ تـــأْسُـــو الجـــراحَ تُـــوفَّق(*)
في دَمْعِ بَـسْـمَـتـهـا، وفي صَـلَـواتـهـا
نُـعْـمى تُـطلُّ عـلى الـعـزاء وتُـشْـرقُ(*)

أنـــا لا أَمُنُّ، رضـــيت أنِّي طـــيْـــرُهـــا الـــشْ
شـــادي وأَني جـــفـــنـــهـــا الـــمُـــغْـــرَوْرِق(*)
كمْ ضـــحـــكـــة ، تـــشـــكـــو الـــشـــفـــاه أُوارهـــا،
تـــبـــدو لـــعـــيـــنك ديمـــة تـــتـــرقـــرق(**)
ومـــصـــفق بـــيـــديه، قـــلتُ له اتـــئـــدْ
أو خلِّ قـــلـــبك في الـــضـــلـــوع يـــصـــفّق(**)

(١) قصيدة نظمها في الرئيس إميل إدة وهي في ٢٢ بيتاً، نشرت في شعر الأخطل الصغير تحت هذين العنوانين: (*) «الرّمق الأخير»، ص:٦٧، و(**) «عجباً» ، ص: ٢١٤. ولم نقع على الأصل لذا فترتيب الأبيات ليس نهائياً.

عـجـبـاً لـشـاعـر أمـةٍ، حـسـنـاته
في جـيـدهـا، ويـكـافـأ المـتـمـلق(**)
ولـسـان صـدقٍ، لم يـزايل غـمـده
إلا ومـن قـتـلاه رأيٌ أحـمـق(**)
وشـمـائل ، حـسـد الـضـحى لمـعـانـهـا
وكـسـا الـريـاضَ أريـجُـهـا والـرونق(**)
نـفسُ الـكـريم عـلـى الخـصـاصـة والأذى
هـي في الـفـضـاء مع الـنـسـور تحـلّق(**)(١)
١٩٣٦

****

(١) جنينا هذه المعلومات من ابنه الأستاذ عبدالله الخوري.

١٥١ - كفاني يا قلب

كـــفـــانـي يـــا قـــلـب مـــا أحـــملُ
أفـي كـل يـــــــوم هـــــــوى أولُ
أيـــخـــلـق مـــنـك جـــديـــد الـــهـــوى
فـــؤاداً من الـــســـكـــر لا يـــعـــقل
له عـــثـــرة الـــطـــفل حـــول الـــســـريـــر
ودمـــعـــتـه الـــبـــكـــر إذ يُـــعـــوِل
أفـي كـل وجـهٍ لـــــنـــــا مـــــرتـع
وفـي كل ثـــغـــر لـــنـــا مـــنـــهل
كـــفى نـــهـــمـــاً لن يـــفـــر الجـــمـــال
وتـــــــــرحـل أنـت ولا يـــــــــرحـل

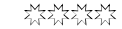

عـــذرتك يـــا قـــلـب مَن لـــلـــهـــوى
أنـــتـــركه بـــعـــدنـــا يـــذبل[١]
ســكـتـنـا فـمـا غـرد الـعـنـدلـيب
وتـــبـــنـــا فـــمـــا صـــفَّق الجـــدول[٢]

نظمت سنة ١٩٣٦

(١) في المقطوعة المنشورة في مجلة «الحديث» جاء بعد هذا البيت بيتان آخران هما:

أخـــا الحـــسن! هل قـــبـــلـــة في الـــهـــواء
يـــجـــود بـــهـــا طـــرفك الأكـــحـل
أحب إلى الـــنـــفس لـــثم الـــعـــيـــون
وأوصَـلُ لـــلـــقـــلـب بل أَفْـــعَل

(٢) شعر الأخطل الصغير ، ص:٢٥٨ .
- الهوى والشباب ص:١٤٤
- الحديث، ١٩٣٦، عدد: ٢، ص: ٢١٧.

١٥٢ - يا أمة غدت الذئاب[١]

يـــا أمـــةً غـــدت الـــذئـــابُ تـــســـوســـهـــا
غـــرقت ســـفـــيـــنـــتـــهـــا فـــأين رئـــيـــســـهـــا؟
غـــرقت ، فـــلـــيس هـــنـــاك غـــيـــر حـــطـــائم
يـــبـــكي مـــؤبـــنـــهـــا ويـــضـــحك ســـوســـهـــا
تـــتـــمـــرغ الـــشـــهـــوات في حُـــرُمـــاتـــهـــا
وتـــعـــيثُ في عـــظـــمـــاتـــهـــا وتـــدوســـهـــا
تَـــعْـــســـاً لـــهـــا من أمـــة... أزعـــيـــمُـــهـــا
جلادُهـــا وأمـــيـــنـــهـــا جـــاســـوســـهـــا
رُشـــيتْ مـــآذنـــهـــا، فـــلم تـــغـــضب لـــهـــا
غـــضب الـــكـــرام، وبـــاعـــهـــا نـــاقـــوســـهـــا
إلا شـــبـــابـــاً كـــالـــربـــيـــع، تـــهـــزهمْ
نـــســـمـــاتـــهـــا ويـــصـــدهم كـــابـــوســـهـــا
أبـــنـــاء أحـــمـــد والمـــســـيح ألا انـــهـــضـــوا
أتـــبـــاح حـــرمـــتـــهـــا وأنـــتم شـــوســـهـــا؟

---

(١) نظمها بمناسبة المعاهدة بين لبنان وفرنسا التي وقعها الرئيس إميل إدة، حُذف منها البيتان التاليان:

«أأمـــيـــل ســـرفي الأمـــر مـــتـــزن الخـــطى
ذو الـــرأي مَن يـــزن الخـــطى ويـــقـــيـــســـهـــا
إن الـــرئـــاســـة لا تـــدوم كـــعـــهـــدهـــا
فـــلـــكل يـــوم دولـــة ورئـــيـــســـهـــا»

- جنينا هذه المعلومات من ابنه الأستاذ عبدالله الخوري.

لـــيـــست من الأشـــبـــال فـــتـــيـــة أمـــةٍ
إن ســاد أحـمـقـهـا وعـزَّ خـسـيـسـهـا
أيـــحـــكَّم الـــغـــوغـــاء في أدبـــائـــهـــا
ويـذود عن سـفـهـائـهـا «بـولـيـسُـهـا»
ومـــتـى تـــؤيـــد بـــالـــرعـــاع حـكـومـــة:
كـــانت أحط من الـــرعـــاع نـــفـــوســـهـــا
وعـــصـــابـــة، ملأ المـنـاخـر نَـتْـنُـهـا،
خـضـعتْ طـوائـفـكم لـهـا وطـقـوسـهـا
من دمع بـــائـــســـكم وقـــوت فـــقـــيـــركمْ
تُـجـبى ضـرائب ظـلْـمـهـا ومـكـوسـهـا
أتـــمـــوت من فـــرط الـــهـــزال صـــغـــاركمْ
لـتـعـز شـوكـتـهـا ويـسـمن كـيـسـهـا
لـــو حـــاق مـــكـــرهم بـــأجـــهل أمـــةٍ
بـرمت مـحـاكـمـهـا بـهِمْ وحـبـوسـهـا
هـبـطـوا الجـحـيم: فـردهم بـوّابـهـا
إذ خـاف من إبـلـيـسـهم إبـلـيـسـهـا
أشـــبـــالَ ذا الـــوطن الجـــريح، إلى مـــتى؟
أنـــتـم ســـيـــوف بلادكم وتـــروســـهـــا
مـوتـوا كـرامـاً ! أو فـعـيـشـوا أمـة
تـهـوي عـلى يـدهـا الـعـلى وتـبـوسـهـا[1]
١٩٣٧

****

(١) شعر الأخطل الصغير، «يا أمة غدت الذئاب...»، ص:٢٧٩

١٥٣ - فتى المروءات[١]

فتى المروءات لم ترسل أعنتها
إلا لدفع الأذى عن كل مظلومِ
ترد عنه جيوشاً لا عِداد لها
تركتها بين مصروع ومهزوم
تدمي جلود الضحايا من أظافرها
فلم تشأ تركها من غير تقليم
بمقْوَلٍ من ضمير الحق منبجسٍ
ومرْقَمٍ بشعار العدل موسوم
وهمة تقرع الأحداث وهي ظُبى
فلا ترى غير محطوم ومثلوم
لله درك لا يثنيك عن شرف
إرعاد مختبل أو سخط محموم
يقظان للحق ترعى حق ذمته
لا تعرف النوم إلا شبه تهويم
كأن جسمك لا تعنيك راحته
فيا له من رفيق غير مرحوم

(١) يحيي الأستاذ جورج عقل.

له عـــلـــيك حـــقـــوق أنت هـــاضـــمـــهـــا
يـــا طـــالـــبـــاً كل حق غـــيـــر مـــهـــضـــوم
يـــا جـــورج إن الألى نـــاضـــلت دونـــهم
ولَّـــوكَ أمـــرهمُ من غـــيـــر مـــرســـوم
إن كـــرَّمـــوك فـــفـــرْضٌ من فـــروضـــهمُ
مـــا كل من كُـــرِّمـــوا أهلاً لـــتـــكـــريم[1]
١٩٣٧

****

(١) الجمهور، تموز ١٩٣٧، مج:١، عدد: ٤٣، ص:٨.

١٥٤ - رثاء الأستاذ ميشال زكور

نـــعى غـــررالـــشـــمـــائل من نـــعـــاكـــا
وجـــلّل بـــالأسى وطـــنـــاً نمـــاكـــا
رمى الأمـــنـــيّـــة الـــزهـــراء ســـهم
فـــوسَّـــدهـــا الـــثـــرى، لمـــا رمـــاكـــا
أجُنَّ المـــوت أم هـــو رام كـــفـــؤاً
فـــهـــز شـــبـــاب قـــومك واصـــطـــفـــاكـــا(*)
حـــبـــيب الأرز، بـــؤبـــؤ نـــاظـــريه
ســـألـــتك لِمْ حـــرمـــتـــهـــمـــا ســـنـــاكـــا(*)
إذا احـــتَـــرَقتْ حـــشـــاه أسى فـــقـــدمـــاً
حـــرقت عـــلى عـــوامـــره صـــبـــاكـــا
وإن نـــثـــرت خـــمـــائـــله حلاهـــا
فـــقـــد ذكـــرتْ ذؤابـــته شـــذاكـــا
عـــلـــى الـــتـــاريخ من ذكـــراك يـــوم
عـــصـــاميٌّ تـــمـــنَّـــته عـــداكـــا(*)
غـــداة غـــدا الـــردى بك مـــســـتـــقلاً
لك الجـــوزاء نـــعـــشـــاً والـــســـمـــاكـــا(*)
عـــلى فـــلـــذ الـــقـــلـــوب، عـــلى دمـــاهـــا
مـــشـــيت وقـــد مـــشى وطن وراكـــا(*)
ومن شـــهـــد الـــلـــواء(١) يـــذوب حـــزنـــاً
عـــلـــيك يُـــظَنُّ أمك أو أبـــاكـــا

☆☆☆☆☆

(١) إلماع إلى الراية اللبنانية التي وضعت على نعش الفقيد.

يـــضم شـــبـــابك الـــغـــالي عـــلـــيه
ويـــلـــزمه فلا يـــرضى انـــفـــكـــاكـــا
لـــئن نـــضح الـــدمـــوع عـــلـــيك حُـــمـــراً
فـــقـــد شـــربت حـــشـــاشـــته دمـــاكـــا
كـــتـــبت عـــلى جـــبـــين المجـــد ســـطـــراً
رفـــعت إلى الـــســـمـــاء به لـــواكـــا(*)
به عـــبق الجـــهـــاد كـــأن روضـــاً
تـــدفق عن جـــوانـــبه وصـــاكـــا(*)
إذا وطن أهـــاب بـــنـــابـــغـــيه
ســـبـــقتَ الـــســـابـــقـــين وقـــلت هـــاكـــا(*)
فـــيـــا وطـــنـــيـــة لا غش فـــيـــهـــا
وكم وطـــنـــيـــة جـــعـــلت شـــبـــاكـــا(*)
وأخـــســـر صـــفـــقـــة الأوطـــان شـــعب
إذا نـــكـــبت بـــكـــاهـــا أو تـــبـــاكى(*)
فـــقل لـــلـــمـــدعي وصلاً بـــلـــيـــلى
ســـألـــنـــاهـــا فـــمـــا اعـــتـــرفت بـــذاكـــا
ومن دون الـــوصـــال جـــهـــاد حـــر
يـــحث إلى الـــنـــضـــال خـــطىً وِشـــاكـــا
يـــشـــد عـــلى المـــظـــالم أين كـــانت
وإن خـــشن الـــطـــريق بـــهـــا وَشَـــاكـــا
كـــرهت الـــشـــعـــر يمـــدح غـــيـــر حـــر
ولـــو كـــان المـــلـــيك أو الملاكـــا
إذا غـــنـــى حُـــمـــاة الحق شـــعـــري
فـــكم غـــنـــى الـــبـــشـــامـــة والأراكـــا(**)

يـــطل به الـــزمـــان عـــلى الـــلـــيـــالي
شـــعـــاعـــاً من هـــنـــاك ومن هـــنـــاكـــا(**)

خـــلـــيـــلي كـــيف أنـــسى عـــهـــدَ كُـــنّـــا
وقـــد نـــسج الـــشـــبـــاب لـــنـــا وحـــاكـــا(**)
تـــطـــوف بـــنـــا مـــجـــنـــحـــة الأمـــاني
فـــتـــعـــبث في مـــفـــارقـــهـــا يـــداكـــا(**)
وكم أفق هـــنـــاك يـــفـــيض ســـحـــراً
كـــأنك قـــد طـــبـــعت عـــلـــيه فـــاكـــا(**)
فـــيـــا ذكـــرى الأحـــبـــة مـــات قـــلـــبي
فـــــإني لا أحس لـه حـــــراكـــــا(**)
أصـــــبت به وجـــــرح «أمـــــين»[1] رطب
فـــقـــطّع مـــهـــجـــتي هـــذا وذاكـــا
ذكـــرتك يـــا أمـــين وكـــيف أنـــسى
إخـــاءك أو صـــفـــاءك أو وفـــاكـــا(**)
ذكـــرْتُك والـــصـــبـــا حـــلـــو الـــعـــشـــايـــا
وقـــد غـــنـــى الـــيـــراع عـــلـــى هـــواكـــا
إذا اشـــتـــكت الـــطـــروس إلى الـــقـــوافي
ســـقـــتـــهـــا الـــعـــبـــقـــريـــةَ راحـــتـــاكـــا
وكم طـــيـــر تـــســـلى عن هـــواه
إذا غـــــنـــى الأمـــــين زَقَـى وزاكـــــا(**)
وودَّ لـــــو أنـه وتـــــر حـــــنـــــون
يـــســـيل عـــلـــى بـــنـــانك أو صـــداكـــا(**)

(١) الشاعر الكبير أمين تقي الدين.

ذكـــرتك تـــملأ الآفـــاق بـــاســـمي
فـتـنـفـحـنـي «الـزهـور»[1] شـذا شـذاكـا[**]
إذا أنـــشـــدتُ قـــافـــيـــة بـــقـــطْـــرٍ
جـعـلت طـراز بـردتـهـا ثـنـاكـا[**]
ورب أخ رأى فـــــرَجَـــــاً بـــــذمـي
فـقـلت رضـيت ذمك لـو شـفـاكـا[**]
أتـــطـــمع أن تحـــلق لـــلـــثـــريـــا
فـتـطـفـئـهـا .. عـدمت إذن حـجـاكـا

أمـــيـــشـــال الحـــبـــيب ولـــست أدري
فـــضـــاؤك مَـن أخـــاطب أم ثـــراكـــا
«يـــعـــز عـــلـي حـــين أديـــر عـــيـــني
أفـــتـش في مـــكـــانك لا أراكـــا»
مـــررت عـــلى الـشـبـاب مـــرور قـالٍ
وصـادقت الـرجـولـة والـعـراكـا[**]
تـــريق عـــلى الـــطـــروس دم الـــلـــيـــالي
فـتـرويـنـا ولم تـنـقع ظـمـاكـا[**]
وكم «لـــلـــبـــرق» عـــنـــدي من أيـــاد
غـــداة أضـــاء فـــيه أصـــغـــراكـــا
وتـــدعـــونـــا الـــبلاد فـــمـــا نـــبـــالي
«أنمـــشـــيـــهـــا نجـــاةً أم هلاكـــا»

(١) الزهور : المجلة التي كان يصدرها ميشال زكور في مصر مع الأستاذ أنطون الجميل.

عـــشـــيـــة كـــان أكـــثـــر من تـــولى

أشـــد من الـــعـــدو لـــهـــا انـــتـــهـــاكـــا[*]

فـــيـــا أرزاً عـــبـــدنـــاه صـــغـــاراً

ســـــــواءً مَـن رعـــــــاك ومـن قـلاكـــــــا

ويـــا وطـــنـــاً كـــســـونـــاه جـــمـــالاً

عـــلى الـــعـلات أنـــفـــســـنـــا فـــداكـــا[١]

أيار ١٩٣٨

****

(١) المكشوف، ١٩٣٨، مج:٤، عدد: ١٤٩، ص:٤.

- الجمهور، ١٩٣٨، السنة الثانية، عدد: ٨٣، ص: ٧.

(*) شعر الأخطل الصغير، «جنون الموت»، ص:٢٨٢.

(**) المصدر نفسه، «مات قلبي»، ص: ٢٣٢.

١٥٥ - آه ما أحلى الحُمَيّا

آه مـــا أحـــلى الحُـــمـــيّـــا
تحت أذيـــال الـــسّـــكـــونْ
والـــهـــوى يُـــوحي إلـــيّـــا
بـــرســـالات الـــعـــيـــون

كـــلـــمـــا غـــنـــيت لحـــنـــاً
فـي ديـــار الـــبـــلـــبـــلِ
ســـرق الـــلـــحن وألـــقـــا
هُ بـــأذن الجـــدول

خـــلـــق الـــلـــه فـــؤادي
مـن شـــعـــاعٍ ودمـــوعِ
قـــبـــســـاً من وجـه طه
ذاب في جـــفـــنَيْ يـــســـوع

لـــيس مـــا يـــشـــجـــيك مـــني
نـــغـــمـــاتٌ في فـــمـــي
إنـــهـــا وا لـــهف نـــفـــسي
قـــطـــرات مـن دمـي

مـلأوا كـــأسيَ خـــمـــراً
لـــيس مـن خـــمـــري ودنِّـي

وســـــقـــــوا عـــــودي فـــــغـــــنى
وفـــــــــــؤادي لـم يـــــــــــغـنِّ

أكـــــمـــــا شـــــاؤوا غـــــنـــــائي
وكـــــمـــــا شـــــاؤوا نُـــــواحي
أفـــلـــيس الـــلـــهـــو لـــهـــوي
والجـــــــراحـــــــاتُ جـــــــراحي

يـــــا حـــــبـــــيـــــبي قـم نـــــرصعْ
بـــالـــهـــوى ثـــغـــر الحـــيـــاه
نـخِّ هـــــذي الـــــكـــــأس عـــــني
واســـــقـــــني هـــــذي الـــــشـــــفـــــاه

كـــــلـــــمـــــا أومـض لحْـــــظـــــا
ك بـــــلـــــحنٍ يـــــا حـــــبـــــيـــــبي
كـــــلـــــمـــــا شـــــبَّب خـــــدا
كَ بـــــخـــــمـــــرٍ أو بـــــطـــــيب

كـــــلـــــمـــــا رتل نـــــهـــــدا
ك تـــــراتـــــيـل المـــــغـــــيبِ
صـــــفق الـــــقـــــلب ونـــــادى
يـــا حـــبـــيـــبي يـــا حـــبـــيـــبي[1]
١٩٣٩

****

(١) الهوى والشباب، ص:١٤٥-١٤٦.
- شعر الأخطل الصغير، «تراتيل المغيب»، ص:٢٠٢ .

١٥٦ - إن لبنان تربة وسماء
بسمات لوجه فيصل تهدى[١]

لبس الكبرياء والحسن بردا
وانبرى يضرب الثرى، واستعدا[*][٢]
يا سليل البخار كم من فؤاد
ودّ لو كان بين جنبيك وقدا
شرفاً! قد حملت تاج قريش
واللواء الذي أظل معدّا
فابسطي يا سماء كفك لطفاً
واجعلي حوله الملائك جندا[*][٣]
وَمُرِي القفر أن يفيضْ عيوناً
تفرش الطرق ياسميناً وورداً[*]

يا بن من أذهل النجوم إذ انقضْ
ضَ شهاباً على الثرى وتردّى[٤]
ما نسينا جرحاً على الليل أمست
فحمة الليل منه وردًا وندّا

---

(١) مدح فيصل الثاني، ملك العراق.
(٢) لبس الكبرياء والحسن بردا
وانبرى يلفح الهوى واستبدا
(٣) فابسطي يا سماء كفك عمراً
واجعلي حوله الملائك جندا
- راجع: شعر الأخطل الصغير، «كبرياء الحسن»، ص: ١١٩-١٢٠.

قـطَّـعتْ شـعـرهـا الـكـواكب كي تـمـ

ـسح جـرحـاً وكي تـوسـد خـدا(*)(١)

وانـحـنت كل نـخـلـة كـجـنـاح

أخـضـر الـريش ود لـو كـان زنـدا

يـصـرع الـسـيف في غـمـار من المجـ

ـدِ فلا يـرتـضي سـوى الـدم غـمـدا(**)

إيه ريـحـانـة الـريـاحـين فـيـضي

مـرحـاً واملأي الجـوانح وجـدا(*)

امـسـحي جـبـهـة الـظلام تـفِضْ نـو

راً وَمُـرّي عـلى الـصـخـور فـتَـنْـدى(*)

حـمـلـت كل روضـة أجـمل الـزهـ

ـرِ وصـاغت مـنـهـا لجـيـدك عـقـدا(*)

واغـتـدى كل جـدول يـتـمـنى

وانـبـرى كل بـلـبل يـتـصـدى(*)

عـرس لـلـريـاض ، لـلـطـيـر، للأنـ

ـهـار لم يـبق لـلـمـخـلـد خـلـدا(*)(٢)

كل طـفـل وطـفـلـة شـمـخـا أنـ

ـفـاً وصـاحـا، مـنـا المـلـيك المـفـدى

---

(١) قـطـعت شـعـرهـا الـكـواكب كي تـنـ

ـسج بـرداً وكي تـلازم خـدا

(٢) عـرس لـلـريـاض، لـلـطـيـر، للأنـ

ـهـار لم يُـبق لـلـمـبـاهج مـجـدا

- شعر الأخطل الصغير، «كبرياء الحسن»، ص: ١١٩-١٢٠.

إن لـــبـــنـــان تـــربـــة وســـمـــاء

بـــســـمـــات لـــوجـه فـــيـــصل تـــهـــدى

☆☆☆☆☆

أيـــهـــا الـــفـــيـــصل المـــؤمل يـــا من

بـــاســـمه هـــودج الـــعـــربـــيـــة يُـــحـــدى(**)

أنت أغـــنـــيّـــة الـــســـيـــوف إذا ثـــا

رت لـــتـــبـــني مـــجـــداً وتـــهـــدم مـــجـــدا(**)

وصـــــدى الحـــــدو من خلال الأداهـــيـــــر

إذا صـــلـــصل الحـــديـــد وشـــدا(**)

جـــدك الأكـــبـــر الـــيـــتـــيم كـــســـا الـــيـــتـ

ـم جـــمـــالاً ، أَعـــظِمْ بـــجـــدك جـــدا

حَـــوَّمَتْ روحـه عـــلـــيك لـــتـــحـــمي

صـــولجـــانـــاً عـــلى الـــعـــراق وبـــنـــدا(١)

تموز ١٩٣٩

✱✱✱✱

(١) الصياد، تموز ١٩٣٩، ص: ١١.

(*) شعر الأخطل الصغير، «كبرياء الحسن»، ص: ١١٩-١٢٠.

(**) المصدر نفسه، «رائد عربي»، ص:٣١٥.

١٥٧ - شاعر السيف والقلم

رشيد نخلة

عـــــذر لمنْ مـــــات لا عـــــذرٌ لمن ســـــلـــــمـــــا
إذا تـــــهـــــدَّم مـــــجـــــدٌ واســـــتـــــبـــــيح حـــــمى
شـــــفـــــاك داؤك، أشـــــفـــــى الـــــداء أقـــــتَـــــلُه
لـــــلـــــحـــــرِّ إنْ صَـــــدَم الأحـــــداث فـــــانـــــصـــــدمـــــا

لـــــبـــــنـــــان ، هل لي إلى أذنـــــيك صـــــاعـــــقـــــةٌ
يـــــزيلُ تـــــهـــــدارهـــــا من أذنك الـــــصـــــمـــــمـــــا
قـــــضى عـــــلـــــى الأســـــد دهـــــرٌ لا ذمـــــام له
أن تـــــركب المـــــوت حـــــتى تـــــنـــــقـــــذ الأجـــــمـــــا
هـــــذا شـــــبـــــابك يـــــشـــــقى في ضـــــراعـــــته
وهْـــــو الـــــبـــــراكـــــين، لـــــكن يـــــجـــــهل الحـــــمـــــمـــــا
زجّـــــوا بـــــكلِّ أبـــــيٍّ قـــــعـــــر مـــــوحـــــشـــــة
وحـــــكّـــــمـــــوا الـــــبـــــومـــــة الـــــشـــــوهـــــاء والـــــقـــــزمـــــا
يـــــقـــــول غـــــاضـــــرُ مـــــاضـــــيه لحـــــاضـــــره
حـــــمـــــلتُ فـــــيك الـــــهـــــوى والـــــعـــــذل والـــــتُّـــــهـــــمـــــا
أكـــــلـــــمـــــا اكـــــتـــــسح الأوطـــــان مـــــكـــــتـــــسح
طـــــأطـــــأت حـــــتى يـــــســـــاوي رأسك الـــــقـــــدمـــــا

رَبَّ الـــــنـــــشـــــيـــــد، عـــــزاء الـــــنـــــفس في وطنٍ
مـــــا أنـــــصف الحيَّ حـــــتى يـــــنـــــصف الـــــرّممـــــا

لـــــله قـــــلـــــبك مـــــا أحـــــنى، كـــــأن به
لـــــكلِّ ذي رقـــــةٍ من عـــــطـــــفه رحـــــمـــــا
تـــــرعى الـــــهـــــمـــــوم به، حـــــتى إذا عـــــرضتْ
لك الـــوجـــوهُ، عـــرضتَ الـــوجه مـــبـــتـــســـمـــا
كـــدوحـــة وسط الـــصـــحـــراء قـــائـــمـــة
صب الـــهـــجـــيـــر عـــلى أغـــصـــانـــهـــا الـــضـــرمـــا
لـــكـــنـــهـــا تـــرسلُ الأظلال وارفـــةً
عـــلى الـــقـــوافل في الـــصـــحـــراء، والـــنـــســـمـــا

يـــا نـــاشـــر الـــرايـــة الخـــضـــراء مـــا خـــفـــقت
إلا ومـــــاج ربـــــيـــعٌ تحـــــتـــــهـــــا ونمـــــا
تـــلك الـــعـــشـــيـــاتُ من وشَّى مـــطـــارفـــهـــا
وذلك الـــرفـــرفُ الـــفـــيـــنـــانُ مَن رســـمـــا؟
وهـــذه الـــقـــبلُ الـــســـكـــرى الـــتي الـــتـــهـــمت
جـــيـــد الأزاهـــر ، من أوحى لـــهـــا الـــنـــهـــمـــا
طـــوائف منْ تـــهـــاويل وأخـــيـــلـــةٍ
أعـــمـــلت ســـحـــرك فـــيـــهـــا فـــانـــبـــرت كَـــلِـــمـــا

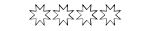

فـــتى الـــشـــوارد من خـــمـــرٍ ومن زهـــر
عـــقـــد فـــريـــدٌ عـــلى ســـلكٍ يـــســـيلُ دمـــا
يـــســـقي الـــهـــنـــاء ولا يُـــســـقى، فـــيـــا ألماً
مـــــا أنَّ تحت الـــــدجى إلا شـــــفى ألمـــــا
ســـيـــان عـــنـــد ابـــتـــنـــاء المجـــد في وطنٍ
من يـــحـــمل الـــســـيف أو من يـــحـــمل الـــقـــلـــمـــا[1]

سنة ١٩٤١

✱✱✱✱

(١) شعر الأخطل الصغير، ص: ١٢١.

١٥٨ - وقد يغني الفتى

سقيا لأيام لبنان التي سلفت
كأنها سكرات الوصل في الحلمِ
كانت شبابا وآمالاً مجنحة
رمى بها الدهرُ بين اليأس والهرم
يا صارف الكأس عنا لا تضن بها
ويا أخا الوتر المكسال لا تنم
أدرْ علينا من الصهباء أفتكها
وخدر العصب المحموم بالنغم
قد يشرب الخمر من تغلو الهموم به
وقد يغنِّي الفتى من شدة الألم[1]

سنة ١٩٤١

****

(١) الهوى والشباب، ص:١٣٤.

١٥٩ - وداد فـي العشرين[*]

يـــا قـــطـــعـــة من كـــبـــدي
فَـــــداك يـــــومـي وغـــــدي
ودادُ يـــــا أنـــــشـــــودتـي الـ
ـــبـــكـــر ويـــا شِـــعـــري الـــنـــدي
يـــا قـــامـــةً من قـــصب الـ
ـــسُـــكـــر رخص الـــعـــقـــد
حـلاوةٌ مـــهـــمـــا يـــزد
يـــوم عـــلـــيـــهـــا تـــزد
تـــوقَّـــدي في خـــاطـــري
وصـــفـــقـــي وغـــردي
تـــسـتـــيـــقظ الأحلام في
نـــفـــسي وتـــسـقـــيـــهـــا يـــدي

رفِّي عـــلـــى الـــنـــادي وقـــو
لـي الـــيـــوم عـــيـــد مـــولـــدي
عـــشـــرون... قلْ لـــلـــشـــمس لا
تـــبـــرحْ ولـــلـــدَّهـــر اجـــمـــد

(*) ابنته الكبرى.

عـــشـــرون... يـــا ريـــحـــانـــةً

فـي أنمُـــــــلَـيْ مـــــــبـــــــدِّد

عـــشـــرون.. هـــلِّلْ يـــا ربـــيعُ

لـــلـــصـــبـــا وعـــيِّـــد

وبـــشِّـــر الـــزهـــر بـــأخـ

ـتِ الـــزهـــر واطـــرب وانـــشـــد

وانـــقلْ إلى الـــفـــرقـــد مـــا

نمـــنـــمـــتُهُ عن فـــرقـــدي[1]

سنة ١٩٤١

(١) الهوى والشباب، ص: ١٥٠.

- شعر الأخطل الصغير، ص: ٨٥.

١٦٠ - تحية فلسطين[١]

فـلـسـطـين أفـديك من دمـعـةٍ
تـهـاوتْ عـلى بـسـمـةٍ حـائـره
تـعـانـقـتـا فـاسـتـحـال الـعـنـاقُ
لـهـيـبـاً عـلى شـفـةٍ ثـائـره

فـلـسـطـين يـا حـلـم الأنـبـيـاء
ويـا خـمـرة الأنـفـس الـشـاعـره
حـمـلـنـا لك المـهج الـظـامـئـات
وأصـدِيَـةَ الـقُـبَل الـطـاهـره

فـلـسـطـين يـا هـيـكل الـذكـريـات
عـلى جـبـهـة الأعـصـر الـغـابـره
مـضـمـخـة بـغـبـار الحـروب
مـخـضـبـة بـالمـنى الـزاخـره

فـلـسـطـين يـا جَـمَـحَـات الخـيـال
مـجـنـحـة بـالـرؤى الـسـاحـره

(١) ألقيت من محطة الإذاعة الفلسطينية في القدس عام ١٩٤٢.

هـــنـــاك عـــلى شـــرفـــات الـــنـــجـــوم

أرى مـــكـــةً تـــلـــثم الـــنـــاصـــره

ألا قـــطـــرةً عُـــرس قـــانـــا الجـــلـــيل

ولـــــو بـــــين جـــــدرانـك الـــــداثـــــره

تـــرد إلى الـــشـــعـــر وحي الـــســـمـــاء

فـــتـــلـــهـــمه الأنـــفس الـــكـــافـــره[1]

نظمت سنة ١٩٤٢

(١) الهوى والشباب، ص: ١٦٣ - ١٦٤

١٦١ - تحية الفـاروق [١]

عـلـيك، عـلى سـريـرك مـلْك مـصـر
فـؤاد الأرز طـوَّف ثم حـامـا

☆☆☆☆☆

أعـرني الخـلـد نـشـراً وابـتـسـامـا
فـألـثـمه وأجـعـلـه سلامـا
وقل لـلـروض قـد وافـاك روض
به افـتـضح الـبـنـفـسج والخـزامى
يـرف جـنـاحُ فـاروقٍ عـلـيه
ويـطـبع فـيه غـرّته وِسـامـا
إذا رفع الـبـنـاء لمجـد مـصـر
أبى غـيـر الـنـجـوم له دعـامـا
تـآلـفت الـقـلـوب عـلى هـواه
وروّاهـا الـهـوى جـامـاً فـجـامـا
وأطـلـع وفـده الـغـالي، فـقـلـنـا
لـقـد سـبـقت خـوافـيـهـا الـقـدامى
رأى الـطـوفـان من صـلـفٍ وبـغيٍ
بـلـبـنـان فـأطـلـقه حَـمـامـا

(١) تحية ألقاها الشاعر في مأدبة الطائفة المارونية على شرف البعثة الملكية المصرية.

حـــمـــائم تحـــمل الأغـــصـــان خـــضـــراً
وكم خـــضـــراء أنـــبـــتت الـــغـــرامـــا
فـــقل لـــلـــقـــاسط الجـــاني تـــرفَّقْ
أتـــرعى الـــنـــاس أم تـــرعى الـــســـوامـــا
مـــضى حـــكم الحـــســـام وربّ ســـطـــر
غـــزا لـــبـــنـــان وافـــتـــتح الـــشـــآمـــا!

فـــديـــتك يـــقـــظـــة لـــفـــحت لـــظـــاهـــا
كـــمـــا أشـــعـــلتَ في غـــابٍ ضـــرامـــا(*)
تـــمـــوّجَ بـــالـــلـــهـــيب فـــكـــان بـــحـــراً
وكـــان ســـفـــيـــنه جـــثـــثـــاً وهـــامـــا(*)
شـــبـــاب يـــقـــذف الـــصـــيـــحـــات حـــمـــراً
ويـــطـــعم صـــدره الـــســـيف الحـــســـامـــا(*)
لـــقـــد جـــنُّـــوا فـــعـــنـــدهم المـــنـــايـــا
مـــدام والمـــديـــروهـــا الـــنـــدامى(*)
وكم من ضـــامـــر الأحـــشـــاء ظـــامٍ
مـــشى يـــتـــأبط المـــوت الـــزؤامـــا(*)
وثـــوب الحـــسن أحـــمـــر وهـــو لمـــا
تـــشـــهَّـــد ألـــبس الحـــسن الـــتـــمـــامـــا(*)
تـــمـــرَّد فـــجـــر نـــهـــضـــته عـــلـــيه
فـــمـــزق عن جـــوانـــبه الـــظلامـــا(*)
وقـــالـــوا ثـــورة هـــدمت فـــقـــلـــنـــا
لـــقـــد بـــنت الأخـــوة والـــوئـــامـــا

فسَلْ عنها «بشارةَ» سل «رياضاً»
فقد ولدتهما العليا تؤاما
فسجل أيها التاريخ واذكر
على الأجيال صحبهما الكراما

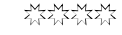

عليك، على سريرك ملك مصر
فؤاد الأرز طوَّف ثم حاما
وعلَّمه «المبارك» كيف يهوى
فكان أرقّ من دمع اليتامى
تحمّل من جراحك كل جرح
فسل عنه الكواكب كيف ناما[1]

١٩٤٣

(١) الصياد، ١٩٤٣، عدد:٤، ص:٩.

(*) شعر الأخطل الصغير، «ثائر» ص: ٢٩٠.

١٦٢ - أبوالعــلاء

يـــا لـــهـــا ثـــورة تـــأجج في صـ
ـدركَ تُـردي الـظـنـونُ فـيـهـا الـظـنـونـا

بـسـمـة الـهـزء أين مـنـهـا «أبـوبـحْ
ـرٍ» و«فـولـتـيـر» سـيـدا الـهـازئـيـنـا

فـــأحـــايـــين لا أرى لـك دنـــيـــا
وأحـــايـــين لا أرى لـك ديـــنـــا

لـــست أدري أأنت في وصـــفك الـــنـــف
ـسَ مـصـيب ، أم الحـكـيم «ابن سـيـنـا»

أيـــراهـــا ورقـــاء من رَفْـــرَف الخـــلـ
ـــدِ وتـــبـــقى لـــديك مـــاءً وطـــيـــنـــا؟

ســـرُّ ذي الـــنـــفس لا مَـــدارِهُ رومـــا
أدركـــتْه، ولا شـــيـــوخ أثـــيـــنـــا

هل رأيتَ الـــنـــجـــوم تـــزداد نـــوراً
كـلـمـا احـلـولك الـدجى، وفـتـونـا

هـكـذا الـفـكـرُ يـصـدعُ الـلـيل بـالـنـو
رِ إذا لم تك الـــعـــيـــونُ عـــيـــونـــا

ســابحٌ مـا يـشـاء في بـحـره الـهـا
دي كـمـا يـدفع الـشـراعُ الـسـفـيـنـا

أيــبــالي من عــنــده الــبــعــد والــقــر
بُ ســواءٌ، أن يــعــجــز المــعــجــزيــنــا

قــد تحــدُّ الأبــعــادُ من نــافــذ الــطــر
فِ فــيــنــهــارُ مــتــعــبــاً مــســتــكــيــنــا

عــثــرات الــعــيــون نــصف حــيــاة الـ
ـمــرءِ مــهــمــا يــكن رصــيــنــاً رزيــنــا

رُبَّ شــاكٍ فَــقْــدَ الــعــيــون ولا يَــنْ
ـفَكُّ يــهــدي الــعــيــون لــلــمــبــصــريــنــا[1]

سنة ١٩٤٤

****

(١) شعر الأخطل الصغير، ص:١٤٠.

١٦٣ - أسمهـان

عـنـد الـبلابل بـين الـسـفح والـوادي
بـعض الأحـاديث عن شـجـوي وإنـشـادي
يـا مـنـهل الـفن قـد غـاضت مـنـابـعه
مـاذا فـعـلت بـقـلب المـدْنَفِ الـصـادي
تـلـك الأصـائـل من وردٍ ومن حَـبَبٍ
وأنت في صـدرهـا ريـحـانـة الـنـادي
حـتى تحـكـمتِ بـالأرواح فـانـطـلـقت
فـنـحن من بـعـدهـا أطلال أجـسـاد
هل الـغـنـاء إذا جـرحت أهـتـه
سـوى عـصـارة أكـبـادٍ لأكـبـاد(*)
كـأنه مـوجـةٌ بـيـضـاء نـاعـمـةٌ
يمشي الشـراع بـهـا في بـحـره الـهـادي(*)
تـأوي الأغـاريـدُ مـنه حـين تـرسـله
إلى وريفٍ نـديّ الـظل مـدّاد(*)
ويـنـثـر الـروض سـكـراناً بـراعـمه
كـألسن الـطـيـر شـقت نـصف مـنـقـاد(*)

من ذا سـقى الـروض؟ مـا هـذا الـفـتـونُ به
فـلـست أبـصـر فـيه غـيـر مـيّـاد(*)
كـأن أغـصـانهُ لمـا بـرزت لـهـا
سـربٌ من الحـورِ في أثـواب أعـيـاد(*)

يـــكـــادُ يـــفُـــتنُ مـــثـــلي ثـــغـــرُ وردته
فـيـخـطف الـلـحن قـبـلي من فم الـشـادي(*)

.....

أضـــاع جـــبـــريلُ من قـــيـــثـــاره وتـــراً
في لـيـلـةٍ غـاب عـنـهـا نجـمـهـا الـهـادي
وحـــار... لـيس يـرى في الخـلـد بـغـيـته
مـا مـعـبـد؟ مـا أبـو إسـحـاق؟ مـا الـوادي(١)
حـــتى أطل عـــلى الـــدنـــيـــا فـــأذهـــله
أن شق جـــوف الـــدجى تـــرجـــيع إنـــشـــاد
فـــاهـــتـــز تـــرعش فـــيه كلُّ جـــارحـــةٍ
كـــأنـــهـــا ريـــشـــةٌ في كف عـــواد
وطـــار حـــتى أتى الـــوادي(٢) وعـــاد إلى الـ
ـفـردوس مـحـتـضـنـاً «قـيـثـارة» الـوادي(٣)

سنة ١٩٤٤

****

(١) معبد وأبو اسحق الموصلي وحكم الوادي من أشهر مغني العرب.
(٢) الوادي: وادي النيل.
(٣) الهوى والشباب، ص: ١٧٨.

١٦٤ - الجبل الملهم[١]

زهـــــــرةٌ ملء عـــــــيـــــــون الأمل
فـي الـــــــربـى الخـــــــضـــــــراءْ
نـــبـــتت بـــين ازرقـــاق الجـــدول
والـســمـــا الـزرقـــاءْ

هي حـــلم الـــغـــاب في الـــسـفح الـــوديعْ
ســلـــوة الـــراعي إذا ضـــاع الـــقـــطـــيعْ
وربـــيعُ الـــشـــعـــر إن مـــات الـــربـــيعْ
عـــلَّم الـــبـــلـــبل ســحـــر الـــبـــلـــبلِ
لِـــعْـــبُـــهـــا بـــين ازرقـــاق الجـــدول
والـســمـــا الـزرقـــاءْ

شَـــعـــرُ صـــنـــين الجـــمـــيلُ الأبـــيضُ
يـــفـــرش الأرض لـــهـــا إذ تـــركضُ
وعـــيـــون الأرز لـــيـــست تـــغـــمضُ
حـــائـــطـــاً «قِـــبْـــلـــته» بـــالـــقُـــبل

(١) إلى الشاعر شارل قرم وقد أهدى الأخطل الصغير ديوانه «الجبل الملهم» باللغة الفرنسية.

هـــائـــمـــاً بـــين ازرقـــاق الجـــدول
والـســمـــا الـزرقـــاءْ

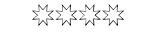

وبُـــنـــيَّـــاتُ الـــقُـــرى قـــرب المـــغـــيبِ
عـــنـــدمـــا عـــدن من الـــكـــرم الحـــبـــيبِ
بـــالـــعـــنـــاقـــيـــد، ســـرت نـــفـــحـــة طـــيب
فـــإذا الـــزهـــرةُ تـــرنـــو من علِ
ولـــهـــا زُرقـــةُ مـــاء الجـــدول
والـســمـــا الـزرقـــاءْ

إن يمـــرَّ الـــغـــيمُ أســـرابـــاً عـــلـــيـــهـــا
يـــتـــخـــذْ شـــكلاً لـــيـــغـــري نـــاظـــريـــهـــا
صـــوراً أو لُـــعَـــبـــاً تحـــلـــو لـــديـــهـــا
تـــارة يـــدنـــو وحـــيـــنـــاً يـــعـــتـــلي
راقـــصـــاً بـــين ازرقـــاق الجـــدول
والـســمـــا الـزرقـــاءْ

عـــنـــدمـــا الـــنـــحلُ انـــثـــنـــى عن ثـــغـــرهـــا
ســـألـــتـــهُ أمـهُ عـنْ ســـرهـــا
واسم مَن تحـــمـــلـــهُ في صـــدرهـــا
قـــال مَـهْ، هـــذه فـــخـــر الجـــبَلِ

هـــذه الـــزهـــرة بـــنتُ الجـــدولِ

والـسـمـــا الـزرقـــاءْ

☆☆☆☆☆

نـشـرتْ في الـغـرب شـيـئـاً من شـذاهـا

فـانـتـشى حـتى انـحـنى يـلـثم فـاهـا

لـيـتـهُ يـذكـرُ بـالـرفق «أبـاهـا»[1]

وهـــو إن يـــفـــعلْ وإن لم يـــفـــعلِ

فـــفـــدى الـــزهـــرة بـــنت الجـــدول

والـسـمـــا الـزرقـــاءْ[2]

سنة ١٩٤٥

✱✱✱✱

(١) يريد به الشرق.

(٢) الهوى والشباب، ص:١١٥ – ١١٧.

– شعر الأخطل الصغير، ص: ١٧٣.

١٦٥ - تحية الأخطل الصغير
إلى شاعر القطرين

يا واحد السبق والأخلاق ما اغتبقا
إلا على شعرك العالي ولا اصطبحا
تنافَرَ القول والإبداع فاهتجرا
حتى إذا طالعا آياتك اصطلحا
لك اللواء، رضينا أن نطوف به
محبب الظل لا زهواً ولا مرحا
يا ملء لبنان لم نلمح له أثراً
كالطيب ننشق ريّاهُ وما لمحا
هل يذكر الليل في بيروت مصرعه
والنجم والخمر في كاساتنا انسفحا(*)
لم ندر حين تناجينا أنشربها
أم نشرب الحكمة الغرّاء والمُلحا(*)
أنت الحبيب فما الشمس التي سفرتْ
بعد المغيب ولا الظبي الذي سنحا
لولا الوفاء لما راودتُ قافية
أصبحتُ أكره من أثنى ومن مدحا
إن كان لا بدّ من مدح تنمقه
فامدح لنا الحسن أو فامدح لنا القدحا
من يسرق الخبز إنقاذاً لصبيته
أحق بالعذر ممن يسرق المدحا(١)

نظمت سنة ١٩٤٥

****

(١) الصياد، ١٩٤٥، عدد: ٧٧، ص:١١.
(*) شعر الأخطل الصغير، «عاش الورد»، ص:٢٤٧.

١٦٦ - من رأى الشاعر تاب

كـــــــذب الـــــــواشـي وخـــــــابْ
مـن رأى الـــــشـــــاعـــــر تـــــابْ
عـــــمـــــره فـــــجـــــرٌ مـن الحـ
ـب ولـــــــــيـلٌ مـن شـــــــــراب
كيف أصحو؟ ... خمرتي من شفتيكِ
والمنى تضحك لي في ناظريك
وأناشيدُ الهوى في أذنيك
همسات القطر بل رنّات أيْك
غنّني يا بلبلي واسقني يا جدولي الليالي الحمر لي يا سُليمى
كـــــذب الـــــواشي وخـــــاب

رددي ذكرى لقانا الأولِ
وتساقِينا كؤوس الغزل
وافتراش العشب عند الجدول
أنا لا أنسى وقد غنيت لي
عندما الليلُ احتوانا كيف سالت دمعتانا وتلاقت شفتانا يا سُليمى
كـــــذب الـــــواشي وخـــــاب

يا لياليـنا على شط الخليجِ
وملاهينا على مرمى الثلوج
حبذا لبنانُ من أفقٍ بهيج

فاسفحي الخمر على تلك المروج
واسقني الشهد المذاب فإذا ولى الشباب كل ما يبقى تراب يا سُليمى
كـــذب الـــواشي وخـــاب

أنا طيفٌ من خيالات الليالي
من صدى الوادي ومن همس الدوالي
كم على الصحراء وشيٌ من خيالي
وعلى البحر يتيماتي الغوالي
منهما صغت حلاكِ ومنى النفس رضاكِ أنا والشعر فداكِ يا سُليمى
كـــذب الـــواشي وخـــابْ
من رأى الـــشـــاعـــر تـــابْ
عـــمـــره فـــجـــرٌ من الحـ
ـب ولـــيـــلٌ من شـــراب[1]

نظمت سنة ١٩٤٥

****

(١) الهوى والشباب، ص:١٤٧ - ١٤٩.
- شعر الأخطل الصغير، «كذب الواشي»، ص:٥٦ - ٥٧.
- الصياد، شباط ١٩٥٣، عدد: ٤٩٤.

١٦٧ - وأنا الذي غذّى الجمال بشعره
وحنا عليه سافراً وملثما [١]

من شاعر نَسَق الرياض ونظَّما
أكبرت فيه العبقريَّ الملهما(*)
قالوا الربيع فقلت ما أنكرته
رشف الدموع وردّهن تبسُّما(*)
حمل المشاعل لا يمرّ بربوة
إلا وخضب باللهيب وضرّما(*)
فإذا الأريج سحائب وردية
خاض الهزار عبابها وتحمما(*)
ثم استقرّ على مخبَّأ وردة
فشكا وداعب لحظة وترنما(*)
وإذا الفراش رسول كل عشيقة
لعشيقها، بأبي الرسول الأبكما(*)

يا صالح بن علي هل لك في يد
فلقد وجدت لكي تغيث وترحما
هذا الربيع عشيةً وصباحها
وافى ربيعك لائذاً متذمما

(١) نظمت في مدح الشيخ صالح العلي قائد الثورة في اللاذقية.

حـــتى يـــظل عـــلى الـــزمـــان مـــخـــلـــداً
ويـــظل تـــذكـــره الـــقـــصـــائـــد كـــلـــمـــا

☆☆☆☆☆

صـــرْح الـــعـــروبـــة أين كـــان مـــقـــره
أومـــا إلـــيك وقـــد تـــهـــلل وانـــتـــمى[1]
إنـي لمحت لـــــواك فـــــوق قـــــبـــــابه
مـــتـــرنـــحـــاً ولمحت روحك حـــوّمـــا
لـــو أنـــصـــفـــوا كـــتـــبـــوا عـــلى شـــرفـــاته
هـــذا الـــذي نـــفح الحـــســـام المـــرْقـــمـــا
لـــيس الـــذي صـــقل الـــبـــنـــاء وزانه
مـــثل الـــذي رفع الـــبـــنـــاء وأحـــكـــمـــا
زرع المـــهـــنـــد والـــيـــراع لـــيـــعـــربٍ
وجـــنى الـــذي جـــهـــلت يـــداه كـــلـــيـــهـــمـــا

☆☆☆☆☆

تـــعب الجـــهـــاد من الـــطـــواف فـــلم يـــجـــد
شـــرفـــاً أعـــزّ ولا مـــقـــامـــاً أكـــرمـــا[*][2]
فـــرمى الأكـــالـــيل الـــتي ضُـــفـــرت له
لمـــا رآك مـــعـــمـــمـــاً وتـــعـــمـــمـــا[*][3]

☆☆☆☆☆

قل لـــلـــمـــعـــري إن ظـــفـــرت بـــروحه
أو قف عـــلى مـــثـــواه نـــاج الأعـــظـــمـــا
وانـــقل إلـــيه (الـــضـــجـــة) الـــكـــبـــرى الـــتي
غـــمـــرت بـــهـــذا الـــنـــور هـــذا المـــوســـمـــا

---

(١) (٣) فـــرمى الأكـــالـــيل الـــتي ضـــفـــرت له
وســـعى إلـــيك وقـــد تـــهـــلل وانـــتـــمى

(٢) تـــعب الـــربـــيع من الـــطـــواف فـــلم يـــجـــد
شـــرفـــا أعـــزّ ولا مـــقـــامـــاً أكـــرمـــا

- راجع، شعر الأخطل الصغير، «بيتها والربيع»، ،ص :٢٧

أنى الـــتـــفتَّ وكـــيف طـــفتَ به تـــرى
حـــبـــاً تـــنـــصّـــر أو إخـــاء أســـلـــمـــا

☆☆☆☆☆

اللاذقـــيـــة أم وســـاوس حـــالمٍ
أصعدتُ أم هبطتْ على أرضي السما(*)(١)
إن كـــنتُ أجـــهل أرضـــهـــا وســـمـــاءهـــا
مـــا كـــان يمـــنـــعـــني الـــهـــوى أن أحـــلـــمـــا(*)
وأنـــا الـــذي غـــذى الجـــمـــال بـــشـــعـــره
وحـــنـــا عـــلـــيه ســـافـــرًا ومـــلـــثـــمـــا(*)
طـــالـــعت وجـــهك والـــصـــبـــاح فـــلم أكـــد
أتـــبـــين الـــصـــبح المـــنـــوّر مـــنـــهـــمـــا(*)
وذكـــرت في الجـــلّى شـــبـــابك والـــفـــدا
فـــذكـــرت كـــيف يـــصـــان بـــالمـــهج الحـــمى
وكـــأنمـــا الأخَـــوَان خـــلـــقك والـــنـــدى
ولـــدتـــهـــمـــا أم المـــكـــارم تـــوأمـــا

☆☆☆☆☆

خـــذهـــا إلـــيك أبـــا الجـــهـــاد فـــإنـــهـــا
لـــولاك مـــا طـــبـــعت عـــلى فـــمـــهـــا فـــمـــا(*)(٢)
صـــغـــرت فـــهَـــبْـــهـــا في الـــلآلئ حـــبـــة
أو لا..... فـــهـــبـــهـــا في الأزاهـــر بـــرعـــمـــا(*)(٣)

نظمت سنة ١٩٤٥

****

(١) بـــيت الحـــبـــيـــبـــة أم وســـاوس حـــالمٍ
أصـــعـــدت أم هـــبـــطت عـــلى أرضي الـــســـمـــا
- راجع، شعر الأخطل الصغير، «بيتها والربيع»، ص: ٢٧.

(٢) أنـــا يـــا ربـــيع، ولا أمنّ قـــصـــائـــدي
لـــولاك مـــا طـــبـــعت عـــلى فـــمـــهـــا فـــمـــا

(٣) الصياد، ١٩٤٥، عدد: ٦٧.

(*) شعر الأخطل الصغير، «بيتها والربيع»، ص:٢٧.

١٦٨ - ندى الحبيبة أهلاً [١]

وارحمتا لبشير
لم يقوَ أن يتكلَّمْ
طغى السرور عليه
فهمّ ثم تلعثم
عيٌّ يفيض بياناً
ودمعة تتبسم
بشير لو أن صخراً
في راحتيك ترنم
قرأت عينيك حتى
علمت ما لست تعلم
وداد ريحان روحي
الله صان وسلَّم

توفيق أدركت قلباً
لولاك كان تحطم
أأنت توفيق رزق
أم المسيح بن مريم
كم من زغاريد عرس
نزعت من فم مأتم

(١) نظمها عندما بُشِّر بولادة حفيدته الصغيرة «ندى» ، ويثني على الجراح المنقذ الدكتور توفيق إبراهيم رزق.

إعـــــــــــــجـــــــــــــاز آسٍ أريـبٍ
وعـــــبـــــقـــــريـــــة مـــــلـــــهم

«نـــــدى» الحـــــبـــــيـــــبـــــة أهلاً
يـــا مـــشـــتـــهى الـــعـــين والـــفم
أصـــــبـــــحت أعـــــظم مُـــــثْـــــرٍ
عـــــنـــــدي ســـــوار ومـــــعـــــصم[1]

نظمت سنة ١٩٤٦

✱✱✱✱

(١) الصياد، ١٩٤٦، عدد: ١١٢، ص:١٦.
- شعر الأخطل الصغير، «يا حبّ أهلاً» ص:٣٠٢، بتبديل في الأبيات واختلاف في الترتيب.

١٦٩ - وطن أعار الخلد بعض فتونه[١]
وسقى المكارم فضلة الأقداح

فتن الجمال وثورة الأقداح
صبغت أساطير الهوى بجراحي(*)
ولد الهوى والخمر ليلة مولدي
وسيحملان معي على ألواحي(*)
قد عشت بينهما على نغم الصبا
كفراشة علقتْ ثدياً أقاح
أشتف روحهما وأعطي مثلها
روحاً وأسلم ليلتي لصباحي(*)
روح كما انحطم الغدير على الصفا
شعباً، مشعَّبة إلى أرواح
للحب أكثرها وبعض كثيرها
لرُقَى الجمال وبعضها للراح
أنا لا أشيِّع بالدموع صبابتي
لكنْ ألُفُّ جناحها بجناحي(*)
إلفان في صيف الهوى وخريفه
عزًّا على غير الزمان الماحي(*)
ذرني وما زرع الزمان بمفرقي
ما كنت أدفن في الثلوج صُداحي(*)

---

(١) مدح الرئيس السوري شكري القوتلي.
- نشرت في «الصياد» بعنوان «شرفا أبا حسّان وفّيت العلى» الصياد، آب ١٩٤٦، عدد:١٣٠، ص:١١.

من كـــان من دنـــيـــاه يـــنـــفض راحه
فـــأنـــا عـــلى دنـــيـــايَ أقـــبض راحي(*)
إني أُفـــدِّي كل شـــمسٍ أصـــيـــلـــة
حـذر المـغـيب بـألف شـمس صـبـاح(*)
لـــبـــنـــان يـــا ولَه الـــبـــيـــان أذاكـــرٌ
أم لـست تـذكـر نجـدتي وكـفـاحي(**)
قـــبّـــلتُ بـــاســـمك كل جـــرح ســـائلٍ
وركَـزْت بـنـدك عـالـيـاً في الـسـاح(**)
أنـا إنْ حُـجـبتَ فـلـيس ذاك بـضـائـري
وعـــلى الخـــواطـــر غُـــدوتي ورواحي(**)
تـــتـــحـــجب الأرواح وهْي خـــوالـــد
وتـــرى الـــعـــيـــون زوائل الأشـــبـــاح(**)
ولـــربمـــا خـــدعـــتك صـــفـــحـــة هـــادئ
مـــني وفي الأحـــشـــاء عـــصف ريـــاح(**)
إني إذا جُـــنَّتْ ريـــاح ســـفـــيـــنـــتي
ذهب الجـــنـــون بـــحـــكـــمـــة الملاح!(**)

بـــردى نـظـمتَ لـنـا الـزمـان قـصـائـداً
بـــيـــضـــاً وحـــمـــراً من نـــدىً وصِـفـاح**
فـي كل رابـــيـــة وكل حـــنـــيَّـــةٍ
عـصـمـاء تـسـطع بـالـشـذا الـفـواح**
كم وقـــفـــة لـي في ذراك وجـــولـــةٍ
شـعـريـة وهـوى الـشـآم سلاحي**
فـــدَّيت لـــيـــلك والـــكـــواكب في يـــدي
ولـــثـــمت بـــدرك والـــضـــيـــاء وشـــاحي**

لـــيل حـــريـــريّ الـــنـــســـيج كـــأنه
شـكـوى الـهـوى وصـبـابـة الملـتـاح[**]
وعـلـى الـضـفـاف إذا تـمـوَّجت الـضـحـى
لـــونـــان من أَرَجٍ ومن تـــصـــداح[**]
والـغـصن في حـضن الـريـاض وسـادة
نمّت عـــلـى عـــنـــقـــين من تـــفـــاح[**]
مـــتلازمـــين تـــوجـــســا إثم الـــهـــوى
فـتـخـوفـا طـرف الـضـحـى الـلـمـاح[**]

☆☆☆☆☆

هل لي إلى تـــلك المـــنـــاهل رجـــعـــة
فـلـقـد سـئـمت المـاء غـيـر قـراح[*]
رُجْـعَى يـعـود بيَ الـزمـان كـأمـسه
صـــهـــبـــاءُ صـــارخـــةٌ ولـــيلٌ ضـــاح[*]
يـــا ذابح الـعـنـقـود خـضّب كـفه
بـــدمـــائه بـــوركت من ســـفّـــاح[*]
أنـــا لـــست أرضى لـــلـــنـــدامى أن أرى
كـسلَ الـهـوى وتـثـاؤب الأقـداح[*]
أدب الـشـراب إذا المـدامـة عـربـدت
في كـأسـهـا أن لا تـكـون الـصـاحي[*]
بـاكـرتـهـا والـزهـر يـشـرق بـالـنـدى
في فـتـيـة شم الأنـوف صِـبـاح
أهل الـنـدى والـبـأس إن تـنـزل بـهم
تـنـزلْ عـلـى عـرب هـنـاك فِـصـاح
الـشـام مـنـبـتـهم وكم من كـوكب
هـادٍ وكم من بـلـبـل صـدّاح

وطن أعـــار الخـــلـــد بـــعض فـــتـــونه
وســـقى المـــكـــارم فـــضـــلـــة الأقـــداح

مـــني إلى وجه الـــرئـــيس تحـــيـــة
كـــتـــحـــيـــة الأطـــيـــار لـلأدواح
الـــذائـــد الـــنـــفَّـــاح دون عـــريـــنه
والـــقـــاذف المجـــتـــاح بـــالمجـــتـــاح
هل كـــان كـــفـــؤ المجـــد غـــيـــر عـــقـــيـــدةٍ
صـــدْقٍ، ومـــهـــر المجـــد غـــيـــر أضـــاحي
حـــمل الـــلـــواء يـــقـــود تحت جـــنـــاحه
وطـــنـــاً عـــلى الأيـــام غـــيـــر مـــبـــاح
نـــادى ، فـــلـــبى من أمـــيـــة فـــتـــيـــة
خـــلـــقـــوا لـــيـــوم كـــريـــهـــة وســـمـــاح
نـــسـلَـــتْـــهمُ أمـضى الـسـيـوف فـهـذه
لابن الـــولـــيـــد وتـــلك لـــلـــجـــرَّاح(**)
فـــكـــأن (حـــطـــين) اســـتـــعـــاد زمـــانه
وكـــــأن يـــــومك فـــــيه يـــــوم صلاح
وكـــأنمـــا شُـــهَـــداهُ في حـــفـــراتـــهم
صـــلـــوا عـــلى شُـــهَـــداك في (الـــدحـــداح)
حـــتى انـــثـــنـــيت ولـــلـــشـــآم مـــكـــانـــة
عـــزت عـــلى المـــتـــجـــبـــر الـــطـــمّـــاح
والـــشـــمس فـــوق ســـهـــوله ونجـــوده
عـــربـــيـــة الإمـــســـاء والإصـــبـــاح(**)
شـــرفـــاً «أبـــا حـــســـان» كل زعـــامـــة
تـــنـــهـــار غـــيـــر زعـــامـــة الإصلاح

فـارفق بـنـفـسك لـست تـمـلك أمـرهـا
هي لـلـمـكـارم من عُـلى وطـمـاح
قـيـثـارة الـعـمـال عـنـد غـدوهم
ورواحـهم وقـصـيـدة الـفلاح

الـعـرب في طـول الـبلاد وعـرضـهـا
صـبـغـوا الـلـيـالي بـالـهـوى والـراح
يـتـطـلـعـون إلـيك نـظـرة وامقٍ
ويـطـوّقـون الـعـيـد بـالأرواح
وأتـيـتـه والـلـيل ملء جـوارحي
فـأنـرت من مـصـبـاحه مـصـبـاحي[1]

آب ١٩٤٦

أقام النادي الأهلي بدمشق حفلة كبرى بمناسبة ذكرى انتخاب فخامة شكري بك القوتلي رئيساً للجمهورية السورية. وقد حضر فخامته هذه الحفلة وألقى فيها خطابا وطنيا كبيرا وألقى رئيس النادي نائب دمشق المحترم السيد جورج صحناوي خطابا. وكان شاعر الحفلة الأخطل الصغير الأستاذ بشارة الخوري الذي ألقى قصيدة من أروع الشعر وأغناه بالعاطفة الحية، والنفس الجياش. وإذا به الأخطل الكبير ذاته، في ساح بني أمية ، يذكر أيام الصبا وينشد نشيد الخمرة، فلا يلاقي ممن حوله إلا الإعجاب والاهتزاز لرقيق شعره.

المحـرر

(١) من أوراق الشاعر.
- نشرت القصيدة تامة في الهوى والشباب، بعنوان «ولد الهوى والخمر...» ص: ١٥٤، ما خلا الأبيات الثلاثة الأخيرة.
- وردت هذه القصيدة في «شعر الأخطل الصغير»، تحت ثلاث مقطوعات عناوينها كالتالي:
(*) «أدب الشراب»، ص:٢٥.
(**) «رياح سفينتي» ص: ١٢٦.
** «الشام منبتهم، ص:٢١٥ - ٢١٦.

١٧٠ - ثـــــــــــورة

فجرتماهـا فلثمنـاهـا جـــراحـــا

يـــا رُبـــى لا تتـــركـــي ور داً ولا تُبـقـي أقـــاحـــا(*)

مـــشت الشـــــام إلـــى لبـ ـنان شـوقـاً والتـيـاحـا(*)

فـــافـــــــرشي الـطّـرْق

قلوباً وثغـــوراً وصـــداحـــا(*)

☆☆☆☆☆

جـــمـع الدهـر عـلـــى الأر ز «بشيـراً» و«صـلاحا»(*) (١)

حلَّقـــا فـــي أفـــق المجـــ ـد جنـاحـــاً وجنـــاحـــا

---

(١) جـــمـــع الدهـــر علـــى الأرز سـيوفـــا وجـــراحـــا

إشارة إلى الأمير بشير الشهابي والسلطان صلاح الدين الأيوبي.

- راجع شعر الأخطل الصغير ، «سيوف وجراح»، ص:٣٠.

يشـــرعـــان الرايـــة الحمـ ـــراء والحـــق الصّراحـــا[*]

قـــم ورحّبْ ســـــيِّد الأر زِ فـبـدر الشـــام لاحـــا

غـــرّة مـــن عبـد شـمس تمـــلأ الليـــل صبـاحـا[*]

وحســـــام يـعـربـي الـ ـحـــدّ مـا مـلَّ الكفـاحا[*]

ثـــورة فـــجَّـــرتـمـاهـــا فلـثـمـنـاهـا جـــراحـــا

وتســـــاويـنـا جـــهـــاداً

وتآخـــينا ســـــلاحـــا

ونشـــرنـــاها علـى الـدنْـ ـيا أهـازيـج فِـصـاحـا[*][1]

ضيـــف لبنـــان لـك الأر واح فـاسـكبـهنَّ راحـــا

هـــو ذا الأرز حبـيـب الـ ـخـلـد البسه وشـاحـا[2]

شباط ١٩٤٧

(١) ونـشـرنـاهـا عـلى الـدنـيـا جـنـاحـاً وجـنـاحـا

(٢) من أوراق الشاعر

(*) شعر الأخطل الصغير، «سيوف وجراح» ، ص: ٣٠.

١٧١ - الشيخ إبراهيم المنذر[١]

رفـــعـــوا عـــلى شـــرفٍ لـــواكْ
وَرَعتْ عـــيـــونـــهم ســـمـــاكْ(*)
أحـــبـــيبَ هـــذا الـــنشء تـــسـ
ـــقـــيه عـــلى ظـــمـــأ دمـــاك(*)
روّيـــــــتـــه أدب الـــــــكـلام
يـــــذوب فـــيـه أصـــغـــراك(*)
فـــمـــشى عـــلى ســـنن الـــهـــدى
مـــتـــرســـمـــاً فـــيه خـــطـــاك(*)

☆☆☆☆☆

يـــا نـــاثـــراً فِـــلَـــذ الحـــيـــا
ةِ، حـــيـــاةُ أكـــرمـــهـــا فـــداك(*)
نـــشـــروا الحـــضـــارة أيـــنـــمـــا
نـــزلـــوا يـــظـــلـــلـــهم لـــواك
وبـــنـــوا صـــروح الـــعـــبـــقـــريْ
ـــيـــة يـــقـــبـــســـون لـــهـــا ســـنـــاك

(١) نظمت بمناسبة يوبيل الشيخ إبراهيم المنذر الذهبي. وقد نشرت «مجلة الأديب» هذه القصيدة تحت عنوان «صروح العبقرية» وتوجتها بكلمة جاء فيها: «تحرّك في يوبيل العلامة الشيخ إبراهيم المنذر موكب الشعر والبيان، وعبرّ المعبرون عن الألم الثقيل الذي يعيش فيه ، في لبنان، الأديب اللبناني... يعطي دمه ويبني لوطنه صروح العبقرية، ويذوّب حشاشته في المحابر والمنابر.. إن تكريم المنذر - كما قلنا في برقيتنا إلى لجنة اليوبيل الذهبي - تكريم لعصامية الحرف العربي.... الخ». وحملت البرقية تواقيع: عبدالله العلايلي، الياس خليل زخريا، ألبير أديب «صاحب مجلة الأديب».

حـــــقَّـــــرت مـــــا وهـب الـــــكـــــرا

م ، أمـــا وهـــبت لـــهم صـــبـــاك؟(*)

لـــــولاك مـــا ســـكـــــر الـــبـــيـــا

ن بـــــــــهـم ولا غـــــــــنَّـى الأراك(*)

إيـهٍ فـــــــــتـى الأخـلاق قـــــــــد

نـسج الـــصـــبـــاحُ لـــهـــا وحـــاك(*)

جـــوَّادة الـــنـــفـــحـــات تـــغـ

ـــمـــر بـــالـــشـــذا هـــذا وذاك(*)

كـــشـــمـــائل الـــنـــبع الـــكـــريـ

ـم مـــتـى نـــزلت به ســـقـــاك(*)

تـــروي الـــظـــمـــاء الـــقـــاصـــديك

ولا تـــــــبلّ به ظـــــمـــــاك(*)

شَـــــــــمَم الأبـيّ الحـــــــرّ، والـ

ـــفـــقـــر الـــغـــنيّ تـــقـــاســـمـــاك(*)

خـــمـــســـون مـــثـــقـــلـــة المـــاَ

ثـــر كـــيف يـــقـــوى مـــنـــكـــبـــاك

بـــــين المحـــــابـــــر والمـــــنـــــا

بـــــر ذاب لـــــيـــــلك في ضـــــحـــــاك(*)

تـــشـــكـــو الـــنـــجـــوم من الـــســـهـــا

دِ ولـــيس تـــشـــكـــو مـــقـــلـــتـــاك(*)

كـم وردة مـن عـــــــــرس كـــــــــفْ

ـــفِك راح يـــجـــنـــيـــهـــا ســـواك(*)

وبـــــنـــــاء مـــــجـــــد أنت را

فـــعُهُ اســـتـــقل ومـــا دعـــاك

هـــوِّنْ عـــلـــيك فـــقـــد خـــلـــق

ـتَ لـــكي تحـــلّق في فـــضـــاك

وتحـج أعـلام الـــبـــيـــا

نِ حـــمى الـــبلاغـــة في حـــمـــاك

مـــجـــد الـــتـــراب!.. فـــمن أرا

دَكَ لـــلـــتـــراب فـــقـــد هـــجـــاك(*)

☆☆☆☆☆

شـــرفـــاً أبـــا الافلاك أسـ

ـــطع مـــا تـــألق فـــرقـــداك

وأبـــا الـــريـــاض الـــفـــيح أط

ـــيب مـــا تـــنـــفس وردتـــاك

فـــدَتِ الـــعـــراق ومـــصـــر مـــهـ

ـجـتـنـا لـتـسـلم مـهـجـتـاك

تـــلـــك الحـــلِـيّ فـــأين وا

حـــدة الـــقـلائـــد من حـلاك(*)

صـــنـــهـــا ودع عـــنك الـــسـيـا

سَـــةَ إنـــهـــا نـــهـــكت قـــواك

ملأت يـــد المـــتـلاعـــبـــيـ

ـنَ بـــهـــا وقـــد صـــفـــرت يـــداك

أتـــعفُّ حـــتـى رحت تـــخـ

ـــشى أن يـــلـــوث خـــنـــصـــراك

وســـواك يـــنـــعم في الـــقـــصـــو

رِ وكـــــــــان تحـــــــــتـك أو وراك

أزرى بمـــرتـــبـــة الـــســـيـــا

ســـــة أن غـــدت كـــذبـــاً يـلاك

تـــبـــدو كـــحـــســـنـــاء المـــوا

خِـــر تحت فـــثْـــنـــتـــهـــا الـــشـــبـــاك

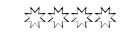

هـلا رجـــــعـت بـــــنـــــا إلـى

زمـن الـــشـــبـــاب، إلـى هـــنـــاك..(*)

فـــأرق مـــا انـــســـفـــحت عـــلـــيـ

ـه دمـــعـــتـــاي ودمـــعـــتـــاك(*)

زمـن كـــأنـــفـــاس الـــورو

دِ تـــســـيـل مـن شَـــفَـــتَـيْ مـلاك

وقـــصـــائـــد ريَّـــا الـــهـــوى

أســـنـى جـــوائـــزهـــا رضـــاك

ومـــبـــرز نـــظـم الـــروا

ئـع كـــدْنَ يـــلـــمـــسن الـــســـمـــاك

أوفى عـــلـــيَّ مـــعـــاتـــبـــاً:

مـــاذا جـــنـــيت عـــلـى عـــداك؟

الحـــانـــقـــين عـــلـى الـــبلا

بـل والأزاهـــيـــر الـــذواك

نـــشـــطـــوا ولم تحـــفل فـــلم

تـــبـــلـغ ســـمـــاؤهم ثـــراك

شـــعـــر كـــهـــيـــنـــمـــة الـــنـــســـا

ئـمِ أو كـــــزمـــــجـــــرة الـــــعـــــراك[*]

غـــــنـت بـه دنـــــيـــــا الـــــعـــــرو

بـــــةِ واســـــتـــــطـــــار بـــــهـــــا صـــــداك

خـــــذهـــــا أخـــــا الـــــيـــــوبـــــيل، إنَّ

أخـــــــاك لـم يـــــــبـــــــرح أخـــــــاك

أقـــــــصى أمـــــــانـيَّ الـــــــغـــــــوا

لـي أن أراك كـــــــــــمـــــــــــا أراك![1]

١٩٤٨

(١) من أوراق الشاعر.

(*) شعر الأخطل الصغير، «المعلم» ، ص: ١٦٩.

- الأديب، كانون الأول ١٩٤٨، ج:١٠، ص:٢.

١٧٢ - وسامان بين قاض وشاعر
عام ١٩٤٨ يرد على عام ١٩٤٣

في أيلول سنة ١٩٤٣ وجه حضرة القانوني الشاعر الشيخ فارس نصار رئيس محكمة الاستئناف يومذاك إلى صديقه الشاعر الملهم الأستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير) يهنئه بهذين البيتين:

لك لبنان وفي بعض اللهى
بوسام عزّ في الصدور مقاما
كم من الشعر وقد أطلقته
خالداً كان للبنان وساما

واغتنم شاعرنا الكبير الأستاذ الخوري مناسبة الحفلة التكريمية التي أقيمت للشيخ فارس في فندق قاصوف ضهور الشوير في ٨ آب سنة ١٩٤٨ فرد على بيتيه هذين بالقطعة التالية وقد أنشدها في تلك الحفلة:

هات يا شعر ولو قافية
فأفي الشيخ أياديه الكراما
هاتها مما تبقى من دم
كان بالأمس غراماً وسداما
أنا لا أنسى ولن أنسى يداً
لمست جيدي فكانت لي وساما
نفحة شعرية من مبدع
مثلما فَتّقت في الروض الكماما

رب بـــيت واحـــد من شـــاعـــر
وهب المـغـمـور في الخـلـد مـقـامـا

الـقـضـاء الـعـدل مـذ فـارقـته
سـفح الـدمع بـأجـفـان الـيـتـامى
يـرقـد المـظـلـوم إن تـلـمْ به
ملء عـيـنـيه وتـأبى أن تـنـامـا
هـكـذا يـنـشئ من أمـته
رجل الأمـة عـدلاً ونـظـامـا

أصـدق الإكـرام مـا نـحـني له
خـارج الأحـكـام أعـنـاقـاً وهـامـا
فـتـقـبـلـهـا قـلـوبـاً حـرة
ووجـوهـاً كـالـريـاحـين وسـامـا

آب ١٩٤٨

- من أوراق الشاعر.

١٧٣ - عيد الجهاد[١]

قم نـقـبِّل ثـغـر الجـهـاد وجـيـدَهْ
أشـرق الـكـونُ يـوم جـدد عـيـدَهْ(*)
لا تـقلْ خـانت الـقـوافي فـحـسب الـشـ
ـشِعـر مـنـهـا أبـيـاتـهـا المـعـدوده(*)
يـتـهـادين في غـلائل كـالـور
د ويـهـبـطن من سـمـاء بـعـيـده(*)
سل بـهـا الأرز يـوم مـعـتـرك الأحـ
ـداث من كـان بـوقه ونـشـيـده(*)
شـهـد الـله مـا لمـسن جـبـيـنـاً
من تـرابٍ إلا كـتَـبْنَ خـلـوده(*)

أيـهـذا الـلـواء من خـضـرة الأر
زِ كـسـاهـا دمُ الجـهـاد وروده(*)
قـد نـشـدنـاك عـنـد كلِّ قـنـاةٍ
وعـلـى كلِّ أيـكـةٍ غـرِّيـده(*)
قل لـتـشـرين مـا نـسـيـنـا لك الجـرْ
ح المـدمَّى في الـلـيـلـة الـعـربـيـده(٢)
نـحـن والمـوتُ صـاحـبـان عـلـى الـدهـ
ـر حـشـدنـا أرواحـنـا وبـنـوده(*)

(١) ألقيت من محطة الإذاعة في تشرين الثاني ١٩٥٠
(٢) اشارة إلى أمر المفوّض الافرنسي بالقبض على رئيس الجمهورية بشارة الخوري، وبعض الوزراء

نـــحـن لا نـــحـــسبُ الحـــيـــاة حـــيـــاةً
أو نـــفـــدِّي أوطـــانـــنـــا المـــعـــبـــوده(*)
هـكـذا تحـتـفي الـبـطـولـة بـالـعـيـ
ـــد وتـــســـقي أبـــنـــاءهـــا عـــنـــقـــوده
.....
قل لمن حـــــدَّد الـــقـــيـــود رويـــداً
يـــعـــرف الحقُّ أن يـــفك قـــيـــوده(*)
.....
أي بـــني الـعـرب كـدْت أخـشى عـلـيـكم
خـــطل الـــرأي وانـــهـــيـــار الـــعـــقـــيـــده
قـــد ملأتم أذن الـــلـــيـــالي غـــنـــاء
والـــلـــيـــالي يـــنـــســـجن كل مـــكـــيـــده
لا يـفـيـد ابـتـسـام ثـغـرك شـيـئـاً
إن تَـــلَـتْ كل بـــســـمـــةٍ تـــنـــهـــيـــده
خـــاب مـــســـعـــاه من يـــحـــاول مـــلـــكـــاً
مـــســـتـــقـلاً إن لم يـــحـــصِّن حـــدوده
حـــشـــد الخـــصمُ أرضهُ وســـمـــاه
وحـــشـــدنـــا آمـــالـــنـــا المـــوؤده
.....
لن نـــــراهـــــا إن لم نمت في هـــــواهـــــا
أمـــةً حـــرّة ودنـــيـــا جـــديـــده(*)(١)
سنة ١٩٥٠

****

(١) الهوى والشباب، ص: ١٦١ - ١٦٢.
(*) شعر الأخطل الصغير، «عيد الجهاد»، ص: ٢٣ - ٢٤.

١٧٤ - نـــــدى[١]

نـــــدى، نـــدى بـــســـمـــة الـــور
د لـــلـــنـــدى في الـــصـــبـــاحِ(*)
نـــدى، نـــدى هـــمـــســـة الـــطـــهـ
ـــــر في شـــــفـــــاه الأقـــــاحي(*)
نـــدى، نـــدى شـــعـــلـــة الحـــبْ
ـبِ قـــــبـــــلـــــة الأرواح(*)
كم من وشـــــاحٍ كـــســـاهـــا الـ
ـــــجـــــمـــــال كم من وشـــــاح(*)

☆☆☆☆☆

أخت الـــفـــراشـــات يـــلـــعـــب
ـنَ حـــالـــيـــات الجـــنـــاح(*)
لم تُـــبقِ لـــلـــزهـــر والـــطـــيـ
ـــــر من شـــــذا وصـــــداح(*)
رضـــابـــهـــا لـــلـــحـــمـــيـــا
والخـــــدُّ لـــلـــتـــفـــاح(*)
كم من وشـــــاحِ كـــســـاهـــا الـ
ـــــجـــــمـــــا ل كم من وشـــــاح(*)

☆☆☆☆☆

نـــــداي من ســـــلـــــسل الخـــــمـ
ـــــر في الـــثـــنـــايـــا الـــعِـــذاب؟(*)

(١) حفيدة الشاعر في الخامسة من عمرها.

مَن صـــفف الـــشـــعـــر فـــوق الـ
ـــجـــبـــين ســـطـــر كـــتـــاب؟(*)
رَدَدْتِ لـي بـــــعـــــد يـــــأسي
حـــلـم الـــهـــوى والـــشـــبـــاب(*)
من أنت؟
الـــــلـــه الـــــلـــه لمـــــا
عـــضت عـــلـى الـــعـــنـــاب(*)
وصـــفـــقت بـــيـــديـــهـــا
وغـــمـــغـــمت بـــالجـــواب(*)
سل الـــريـــاحـــين عـــنـي
وسل حـــنـــين الـــربـــاب(*)

ندى ، نـــدى بـــســـمـــة الـــور
د لـــلـــنـــدى في الـــصـــبـــاح
رضـــابـــهـــا لـــلـــحـــمـــيـــا
والخـــدُّ لـــلـــتـــفـــاح
كم من وشـــاح كـــســـاهـــا الـ
ـــجـــمـــال كمْ من وشـــاح
نظمت سنة ١٩٥١

****

(١) الهوى والشباب، «ندى في الخامسة»، ص:١٥٢ - ١٥٣.
(*) شعر الأخطل الصغير، «ندى في الخامسة» ص:٢٩.

١٧٥ - ذكرى ٢٢ تشرين الثاني ١٩٥٢

نـصـحـتُه بـعـد طـول الـغي فـانـتـصـحـا
ونـهـنه الـعـذل من سُكْـر الـهـوى فـصـحـا
قــلـب تــمــرس بــالــلــذات وهــو فــتى
كـبـرعم لمـسـتـه الـريح فـانـفـتـحـا(*)
من بـسـمـة الـنـجم هـمس في قـصـائـده
ومن مـخـالـسـة الـظـبي الـذي سـنـحـا(*)
يــلــقى الــظلام بــكــأس في أنــامــلـه
كـالـشـمس، فـالـلـيـلـة الـلـيلاء رأد ضـحى
يـبـثـهـا كـلـمـا مـست مـراشـفه
شكوى حـبـيـبـين من بـعد الجـفـا اصطلـحـا
يـبـكي ويـضـحك لا حـزنـاً ولا فـرحـاً
كـعـاشقٍ خطَّ سـطـراً في الـهـوى ومـحـا(*)
مـا (لـلأقـاحـيـة الـسـمـراء) قـد صـرفت
عـنـا هـواهـا أرق الحـسن مـا سـمـحـا(*)
سـلـي الـهـوى والـصـبـا إن كـنت جـاهـلـة
هل كـنت عـنـدهـمـا إلا كـمـا اقـتـرحـا
لــو كــنت تــدرين مــا ألــقــاه من شــجنٍ
لــكــنت أرفق من آسى ومن صــفــحــا(*)

يـخـضب الـشـوك من كـفي ومن كـبـدي
دم عـلـيه جـنيّ الـورد قـد نـفـحـا(**)
ألـبـست تـشـرين مـنه يـوم مـولـده
ألا تـراه بـلـون الـورد مـتـشـحـا(**)
يـوم كـنـوار في إشـراق بـهـجـته
كـأنه بـأريج الخـلـد قـد رشـحـا
سـقـيت ريـحـانه من مـدمـعي ودمي
هـذا إذا انـهل أو هـذا إذا انـسـفـحـا(**)
عـرسٌ أهـازيـجه حـمـر وأكـؤسه
يـرويك مـغـتـبـقاً مـنـها ومـصـطـبـحـا(**)
أرزيـة يـعـربـيـاتٌ شـمـائـلـهـا
لـو قـبَّلت أبـكـمـاً في ثـغـره فَـصُـحـا(**)

تـشـرين قل لـلـتـشـارين الـتي سـلـفت
لـنـا عـتـاب ولا نـرضـاه إن جَـرحـا(**)
تـقـضي المـروءة، والأجـفـان واكـفـة
عـلـى المـآتم أن لا تـظـهـر الـفـرحـا
أسـمى وأكـرم عـفـو أنت مـانـحه
عـفـو الـذبـيح عن الـسـيف الـذي ذبـحـا(**)
مـا ضـرني ولـسـان الـشـعـر يـهـتف بي
إذا تـبـسم وجه الـدهـر أو كـلـحـا
لـكـنه وطن فـديت مـهـجـته
بمـهـجـتي نَـبَـذَ الأحـرار واطَّـرحـا(**)

سل البحار وقد ضاقت بفتيته
من كل من لم يطق كدحاً ومن كدحا
شطران قلبيَ، شطر للمقيم به
على الوفاء ، وشطر للذي نزحا(**)

☆☆☆☆☆

تشرين! مهر المعالي ما نثرت على
حد الظبى ومثار النقع قد لفحا(**)
منحتها مهج الأحرار دامية
كذاك فليمنح الأوطان من منحا(**)
من كل ريحانة يندى الحياء بها
فإن تثرها أثرت الفاتك الوقحا(**)
نشوان يهزأ بالجلى فإن عبست
له المنايا أراها العابث المرحا(**)
يكاد يغتاله فرط النحول فلا
تدري أشخصاً رأت عيناك أم شبحا(**)
حتى إذا انقضَّ قلت السيف منجرداً
والليث محتدماً والسيل مكتسحا(**)

☆☆☆☆☆

حيِّ الأغر الذي جَلَى بطلعته
ما شان عن وجه لبنانٍ وما قبحا
تلك الجراح التي باهى الجهاد بها
لو شئت مدحاً لصاغت نفسها مِدَحا
نادتك والناس في شعواء جامحة
يستعذبون الردى والخطب قد مدحا

فـــحـــين لـــوحت بـــالآمـــال بـــاســـمـــة
لان الـــذي ثـــار وانـــقـــاد الـــذي جـــمـــحـــا[**]

حـــبـــيب لـــبـــنـــان خـــفف عن كـــواهـــله
وانـــفضْ بـــغـــاث الأذى عـــنه فـــقـــد رزحـــا
وقل لمن حـــشـــد الأمـــوال نـــافـــلـــة
إن يـــفـــسـد المـــال فـــالـــفـــقـــر الـــذي ربـــحـــا
واخـلع عـلى «الـقـصـر» مـا أنت الحـقـيق به
مـــطـــارف الأدب الـــريـــان والـــمُـــلـــحـــا
فـــالـــروض مـــهـــمـــا زهت قـــفـــر إذا حـــرمت
من جـــانـح رف أو من صـــادح صـــدحـــا[**](١)

١٩٥٢

****

(١) من أوراق الشاعر.
(*) شعر الأخطل الصغير، «أرق الحسن»، ص:١٩.
(**) المصدر نفسه، «تشرين ١٩٥٢»، ص:٢١٢ – ٢١٣.

١٧٦ - تحية الشعر[١]

سل مـــغـــاني الـــصـــبـــا وتـــلـك الملاهي
كم تـــــرشـــــفن من طُـــــلـــىً وشـــــفـــــاهِ
ســـكـــرات ومـــا تجـــرُّ فلا الـــنـــصـ
ـحُ بمـــــجـــــدٍ ولا الملام بِـــــنـــــاه
في حـــمى لمـــةٍ من الـــفـــاحم الجـــز
ل وفي مـــوكب الـــصـــبـــا الـــتـــيّـــاه
ظُنَّ مـــــا شـــــئت أن تـــــظن ولـــــكن
بـــأبي أنت لا تـــســـلـــنيَ مـــا هي
أخـــذتـــنـــا الـــعـــيـــون من كل صـــوبٍ
ودهـــتـــنـــا ومـــا ارعـــويـــنـــا الـــدواهي
أين مـــنـــا لـــيـــنـــجـــلي الـــلـــيلُ عـــنـــا
قـــبسٌ من جـــبـــين «عـــبـــدِالـــلـــه»
ســـيـــد الـــســـيف والـــيـــراع فلا الـــعـــزْ
مُ بـــنـــابٍ ولا الـــبـــيـــانُ بِـــواه
جـــدُّه جـــدُّهُ الـــذي شـــيّـــد المـــلـ
ـك عـــلى مـــفـــرق الـــنـــجـــوم الـــزواهي
قـــبـــةٌ من مـــكـــارمٍ وجـــدارٌ
من فَـــخَـــار وعـــتـــبـــةٌ من جـــبـــاه

(١) قدّم الشاعر هذه القصيدة إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل آل سعود واستهل بها ديوانه «الهوى والشباب» إذ تبنى صاحب السمو الملكي طباعته عربون تقديره للشاعر وإعجابه بشعره.

أنت لـــلـــذروة المـــشـــعـــة مـــنـهُ
في الـــرُّوائـــين من شـــبـــاب وَجـــاه

غـرة الـفـجـر تـلك غـرة عـبـدالـلـه
يـــا لـــلـــتـــوائم الأشـــبـــاه
لم يـر الـقـطـر والـنـدى من يـجـاريـ
ـه ولا الـــزهـــر والـــشـــذا من يـــضـــاهي
يـــتـــفـــيّـــا نشء الجـــزيـــرة مـــنه
بـــلـــواءٍ من رأفـــةٍ ورفـــاه
كـــلـــمـــا حلَّ ربـــوة من ربى المجـ
ـــدِ أدلَّت بـــعـــزة المـــتـــبـــاهي

أيـــهـــا الـــنـــجم من ســعـــودٍ رعـاك الـلـه
غـــوّذتُ مـــجـــدكم بـــالـــلـــه
هـاكـهـا طُـرفـة يـتـيه بـهـا الـشـعـ
ـــر غـــرام الأســـمـــاع والأفـــواه
يـــتـــغـــنى بـــهـــا المـــغـــني فـــروحي
بـــين أوتـــاره الـــلـــطـــاف وآهي[1]

صيف ١٩٥٢

(١) أوراق الشاعر.
- الهوى والشباب، «تحية الشعر»، ص: ٣١ - ٣٢.

١٧٧ - مدح الملك عبدالعزيز آل سعود

ألا تـرى الـشـعـر يـعـلـو وجـهه الخـجلُ
يـا نجـد عـفـوك أنت الـفـخـر والـغـزلُ
في كل خـافـيـة مـنـهـا وبـاديـة
سـيف مـحـلَّى وقـلـب والِهٌ ثـمل
أين الـعـرار؟ بـروحي طـيب نـفـحـته
عـلى الـعـرار بـنـجـد سـالت الـقـبل
ودار «عـبـلـة» هل رقّتْ لـعـنـتـرة
وهـل درت «أم أوفى» أنـهـا المـثل
مـا لامـرئ الـقـيس لم يـرفق بـنـاقـته
فـراح يـنـحـرهـا والـغـيـد تـغـتـسل
كـأنه وهـو يـسـتـغـوي (عـنـيـزته)
لم يـأت ذنـبـاً ولـكن أذنب الجـمل
روايـة مـنـذ كـان الـضـعف كـائـنـة
فـكم تحـدث عـنـهـا الـذئب والحـمل

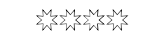

عـبـدالـعـزيـز أصـاب الـعـرب بـغـيـتـهم
لمـا طـلـعت عـلـيـهم أنت والأمل
عـبـدالـعـزيـز ومـا أومت أكـفـهم
إلا إلـيـك ، إذا قـالـوا مَن الـرجل؟
عـبـدالـعـزيـز ومن يـرجى سـواك لـهـا
والخـطـب يـفـجـأ والأحـداث تـرتجل

في فـتـرة الـرسل والأحـقـاد صـارخـة
والـظـلم يـعـصف فـيـهـا تـبـعث الـرسل

عـيـد الجـلـوس أعـرني مـنك بـارقـة
أريك لـيل الـقـوافي كـيف يـشـتـعل
جـذبت زهـر الـدراري من غـدائـرهـا
فـلـم يـزل في يـدي من شـعـرهـا خـصل
نـفـضت مـنـهـا عـلى الأسـحـار لـؤلـؤة
فـمـذ رأتـنـيَ مـدَّتْ جـيـدهـا الأُصُل
وزهـرة في حـنـايـا الـسـفح نـابـتـة
من الحـيـاء عـلى أهـدابـهـا بـلل(*)(١)
مـسـحت عن جـفـنـهـا الأسـيـان دمـعـته
حـتـى تـرقـرق فـيه الأُنس والجـذل(*)
عـرائس من عـيـون الـشـعـر سـافـرة
حـدا بـهـا الـرجـز أو غـنى بـهـا الـرمل(*)
مـبـرَّجـات عـلـيـهـا الحـلي والحـلل
طـافت بـعـرشك يـوم الـعـيـد تحـتـفل

الـعـرب في كل بـيت من بـيـوتـهم
عـرس... وأنت لـرب «الـبـيت» تـبـتـهل

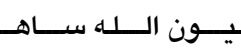

أبـا سـعـود عـيـون الـلـه سـاهـرة
عـلـيـكـمـا مـا سـيـوف الـهـنـد؟ مـا الأسل؟
أبـا الـكـواكب وجـهـاً والـغـيـوث يـداً
من كل من يـحـتـذي الـعـلـيـا ويـنـتـعل

(١) أزاهر في حنايا السفح نابتة...

أبـــا الـــعـــروبـــة لا تـــرضى به بـــدلاً
ولـــو تـــنـــكب عـــنـــهـــا أعـــجـــز الـــبـــدل
أعِـدْ لـهـا مـجـدهـا المـاضي فـقـد درجت
عـــلى مـــنـــاصـــلـــكم أيـــامـــهـــا الأُوَل
رايـــات حق عـــلى الـــدنـــيـــا مـــوزعـــة
وكل رايـــة حق تحـــتـــهـــا بـــطل
كـــتـــائب تـــزرع الإيمـــان أين سَـــرَتْ
حـــتى إذا أورق الإيمـــان تـــنـــتـــقل
من ذروة الأرز حـــتى رمل شـــاطـــئه
ومـا تـنـسم عـنه الـسـهل والجـبل(*)
قـطـفـتـهـا بـسـمـات من أزاهـره
عـذراء يـرشح مـنـهـا الـطـهـر والخـجل(*)(١)
حـمـلـتـهـا (لـطـويل الـعـمـر) تـهـنـئـة
ذابت قـلـوب عـلـيـهـا وانـتـشت مـقل(٢)

سنة ١٩٥٢

– دخل الشاعر على قصيدته بذكر ثلاثة من كبار شعراء نجد: عنترة صاحب عبلة وزهير صاحب أم أوفى وامرؤ القيس صاحب عنيزة، ملمعاً إلى قول الأول: «يا دار عبلة بالجواء تكلمي، وإلى قول الثاني: أمن أم أوفى دمنة لم تكلم، وإلى حكاية امرئ القيس مع عنيزة وصواحبها وهن يغتسلن وعن ذبحه ناقته لهن.

****

(١) رشفتها بسماتٍ من مناهله
(٢) من أوراق الشاعر.
(*) شعر الأخطل الصغير، «جبل الورد»، ص:١٦.

١٧٨ - أنت المؤمــل[١]

سـعـود يـا ألف أهلاً كل جـارحـة
من صدر لـبـنـان ضـمت قـلب مـفـتـونِ
مـواكب من أهـازيج مـزغـردة
ملء الـفـضـاء مـطـرق من ريـاحـين
لم يـتـركـوا زهـرة تـغـفـو عـلى غـصن
عـرَّوا الـبـسـاتـين من زهـر الـبـسـاتـين
لـمّـا طـلـعتَ عـلـيـهم قـال قـائـلـهم
أفـتـح مـكـة أم عـيـد الـشـعـانـين
آفـاق نـور تـهـادى في مـسـابـحـهـا
سـجْع الأذان وأجـراس الـرهـابـين
سـعـود! يـا صـارمـاً في كف مـعـركـة
حـيـنـاً ، ويـا بـسـمـة في ثـغـر مـحـزون
سـعـود! يـا أملاً يـفـتـر عن أمل
يـضـفي الـشـبـاب عـلى الـعُـرب المـيـامـين
فـيـسـتـردون من «حـطـين» روعـته
ويـغـرسـون الـعـوامي في فـلـسـطـين
أنت المـؤمل يـا بن المـسـتـوي شـرفـاً
فـوق الـكـواكب في عـز وتـمـكـين

(١) مدح جلالة الملك سعود.

عـبـدالـعـزيـز الـذي يـحـيـا الـرجـاء به

تـــبـــارك الـــلـه من دنـــيـــا ومن دين

خـــذهـــا إلـيك وليّ الـعـهـد تـهـنـئـة

نـفح الـريـاض وتـطـريب الحـســاسـين

أرْزيّـــة الـــنـــسغ يـــزدان الخـــلـــود بـــهـــا

تـبـقى عـلى الـدهـر في صـدر الـدواوين[1]

١٩٥٣

****

(١) من أوراق الشاعر.

١٧٩ - وديع فارس البستاني[١]
شـــاعـــر المـهـبـراتـــه

«سيدي العلامة»..

أفي لـــيـــالٍ دعـــا الآلام أكـــثـــرهـــا
يـعـاتب الـبـلـبل الـغـريـد إن سـكـتـا
وكـــان غـــرسك حـــلم الـــنـــفس من زمن
لا شيء يـشـغـلـهـا غـيـر الـسـؤال مـتى
فـــيـــشـــهـــد الأدب الخلاق أي فـــتى
أضـفى عـلى الـضـاد هـذا المجـد، أي فـتى

☆☆☆☆☆

قـــالت لي الـــزّهـــر نـــقّط كل قـــافـــيـــة
بمـبـسـمي، قـلـت مـا وفّـيـتـه مـدحـا
وقـــال لي الـــزهـــر خـــذ مـــني ومن أرجي
مـا شـئت، قـلـت بـأزكى مـنك قـد نـفـحـا
وقـــال لي الـــبـــحـــر عـــنـــدي كل لـــؤلـــؤة
له ، فـقـلـت الـلآلي بـعض مـا مـنـحـا

☆☆☆☆☆

أديب لـــبـــنـــان يـــا بن الـــرافـــعـــين له
في كل رابـــيـــة بـــنـــداً وإيـــوانـــا

(١) القى الشاعر هذه القصيدة في مهرجان التكريم في قاعة الجامعة اللبنانية «الأونيسكو» لشاعر المهبراته وذلك في ١٦ أيار ١٩٥٣، نقل العلامة وديع البستاني إلى الشعر العربي الملحمة الهندية المهبراته - فلقبه صحبه بشاعرها.

أهل الـعـلـى والـهـدى إمّـا نـزلت بـهم
صـافـحت لـقـمـان أو عـانـقت سـحـبـانـا
أمـا الـقـوافي فـسل عـنـهم روائـعـهـا
من دغـدغ الـنـجم أو من أسـكـر الـبـانـا

أبـا فـؤاد سـفـكت الأربـعـين «لـهـا»
عـمـراً حـرقت عـلـيه الـزهـر والـثـمـرا
قـطـعـتـهـا من قـمـيص الـدهـر وهْـو فـتىً
ورحت تـزرعـهـا الأحـداث والـعـبـرا
فـكـيف يـجـرؤ مـثـلي أن يـلـمّ بـهـا
«لا أقـرب الـورد حـتى أعـرف الـصـدرا»[1]

نظمت سنة ١٩٥٣

✱✱✱✱

(١) من أوراق الشاعر.

١٨٠ - تهنئة جلالة الملك سعود

إلام أطـــوي الـــلـــيـــالي صـــارخ الألمِ
حـسب الـهـوى مـا جـنى من قـلـبيَ الـنـهمِ
هـل مـــر بـي شـــادن أو هـل مـــررت بـه
إلا بـــذلت له من مـــدمـــعـي ودمي
في كـعـبـة الحب كم لي من مـعـلـقـة
مـحـون مـا عـلق الـعـشـاق في الـقـدم
قـيـثـارة لا تـرى قـيـسـاً لـهـا وتـراً
وإن تـغـنـت بـذات الـشـيح من إضم
لـهـا من الـشـرق مـا يـزهـو الـقـديم به
ويـنـهل الـغـرب مـنـهـا رائع الـنـغم
إذا انـتـمت عـاودت لـبـنـان صـبـوته
ومسّ خـدّ الـثـريـا راجل الـقـدم
ريـحـانه الـعُـرْب في أعـراسـهم وإذا
تجـهّمَ الـدهـر ثـارت ثـورة الحـمم
غـنى الـشـآم عـلى عـيـدانـهـا وهـفـا
لـهـا الـعـراق وطـالت لـيـلـة الـهـرم

يـا لـلـبـشـائـر قـد زفت إلى مـلك
عـلى الـقـلـوب له عـرش من الـذمم

سعود يا مُلبس الأعياد فتنتها
كأنها نشوة الأضغاث في الحلم
كم في «الرياض» رياض من مباهجها
تدغدغ الزهر فيها راحة النعم
أشعلت في خاطر الأيام بارقة
نسجت لألاءها من دمعة الألم
من الأمانيّ صرعى في أكمَّتها
بين المطامع والأهواء والتهم
لقد خشيت على الإرث الذي تركتْ
لنا الأوائل من مجد ومن عِظَم
فرحت تمطر دنياهم بما وسعتْ
فيضاً من الحب في فيض من الحِكَم
فما تمزق شمل أو نبا هدف
إلا سفرت به عن شمل ملتئم
سعود يا صرخةً في العُرب حافزة
تزيل ما قرّ في الآذان من صمم
بيت العروبة خانته دعائمه
وكاد يهوي فإن تدعمْه يندعم

☆☆☆☆☆

وربّ ورقاءَ قد ناحت على فَنَنٍ
ذاوٍ ترطبه بالأدمع السحم
تبكي زغاليلها غرث وصادية
من كل محتلم أو دون محتلم

مـــرنـــحـــين تـــهـــادوا في مـــرقَّـــعـــة
من الـــثـــيـــاب وفي بـــالٍ من الخـــيم
مـــشـــردين أُزيـــلـــوا من ديـــارهم
تـشـرد الـطـيـر تحت الـعـاصف الحَـطِم
ســبــيّــة من مــعَــدٍ في يــدَيْ قــزمٍ
تـمـسي وتـصـبح بـين الـثـكل والـيـتم
رنَتْ إلـــيك بـــطـــرْف أنت حـــبَّـــتُه
وأمَّـــلت أمل الـــظـــمـــآن بـــالـــديم
يـا غـامـر المـسـجـد الأقـصى بمـا بـذلت
يـداه طـوقت جـيـد الـعـرب والـعـجم
أنـــفـــتـــديه ونـــرضى أن يـــدنـــسه
من لم يـــصلّ ولم يـــشـــهـــد ولم يـــصم؟
يـا نجم يـعـرب بل يـا فـخـر لـيـلـته
ويـا رفـيف المـنى في ثـغـر مـبـتـسم
تـــأبى الحـــقـــيـــقـــة إلا أن تجـــردهـــا
سـيـفـاً من الـنـور يـجـلـو حـالك الـظـلم
خـذ الـقـيـادة واخـفق فـوقـهـا عـلـمـاً
يمـشي إلى الـنـصـر لا جـيش بلا عـلم
حـسب المـنى إخـوة إن تـدعُـهم هـتـفـوا
فـــدى أخي ومـــلـــيـــكي والـــبلاد دمي
من كل أزهـــر يـــفـــتـــرّ الـــنـــعـــيم له
وقـد تـراه كـحـد الـصـارم الخـذم
وليّ عـــهـــدك والأيـــام شـــاهـــدة
بـأن (فـيـصل) أرعى الـنـاس لـلـرحم

تـــنـــاقل الـــعـــرب عـــنه كل مـــأثـــرة
فـــراح يـــســـدي إلـــيه الحـــمـــد كل فم
إذا شـــكـــــوت ، وقـــاك الـــلـــه من ألم
بـــلـــوت مـــنه قـــريح الجـــفن لم يـــنم
بَـــرٌّ بـــأســـرته بـــر بـــأمـــته
كـالـسـلـسل الـعـذب مـبـذول لـكل ظـمي

هل لي إلى وقـفـة لـلـشـعـر خـاشـعـة
نـــديّـــة الجـــفن والإيـــحـــاء والـــكـــلم
مـرت عـلـى الـروض فـاخـتـارت بـنـفـسـجه
وخـــضـــبت كل هـــدب مـــنه بـــالـــعـــنم
وطـــأطـــأت ثم حـــيّتْ وهي واجـــفـــة
من المـــهـــابـــة مـــثـــوى الـــفـــرد والـــعـــلم
الـــبـــاعث المـــلْك في أســـطـــورة نـــســـخت
مـــا في الأســـاطـــيـــر عن عـــاد وعن إرم
مـــا زلت أعـــتب دهـــري يـــوم مـــصـــرعه
أن خـــانـــني فـــرمـــاني في فم الـــســـقم
(عـبـدالـعـزيـز) ومـا قـلـبي بمـنـصـرف
عن الـــــوفـــــاء ولا ودي بمـــــتـــــهم
أبـا الـغـطـارفـة الـغـرّانِ مـا لـبـسـوا
سـوى المـعـالي ومـا احـتـلـوا سـوى الـقـمم
لـــقـــد رأيـــتك حـــيـــاً في شـــمـــائـــلـــهم
وقـــد لمـــســـتك في الأخلاق والـــشـــيم

يـــا شـــعـــر كم لك عـــنـــدي من يـــدٍ ويـــدِ
مـــعـــســـولـــة المجـــتـــنـى مـــوفـــورة الـــنـــعم
آمـنت بـالـشـعـر حـسب الـشـعـر مـفـخـرة
أن أيّـــد المـــصـــطـــفى في المـــوقف الجـــهم
فـــراح حـــســـان يـــزجي كل صـــاعـــقـــة
لم تُـبقِ لـلـكـفـر صـرحـاً غـيـر مـنـهـدم
حـــتى تـــهـــلل وجه الحق تـــغـــمـــره
روح الـــرســـول ودالت دولـــة الـــصـــنم
آمـنت بـــالـــشـــعـــر أخلاقـــاً ومـــعـــرفـــة
ســبـــحـــانك الـــله من عـــلـــمت بـــالـــقـــلم

خـــذهـــا إلـــيك أبـــا فـــهـــد مـــهـــدبـــة
ســحـريـة الجـرْس في الـفـضـاء مـحـتـشم
تـــمت عـــلـى أكـــمـــات الأرز وائـــتـــزرت
بـــزهـــره وارتـــوت من مـــائه الـــشـــبم
تـــنـــقل الخـــطـــو في أمْنٍ وفي دعـــة
فـــعل الحـــمـــائم إذ يـــدرجن في الحـــرم
بـــيـــضـــاء طـــائـــفـــة في زي مـــحـــرمـــة
تـــســـعى إلـــيك ، وفي إيمـــان مـــســـتـــلم[1]

نظمت في تشرين الثاني ١٩٥٤

(١) من أوراق الشاعر.

القصائد التالية لم نقع على تاريخ نظمها ونشرها، منها ما هو منشور في الهوى والشباب، وفي شعر الأخطل الصغير ، ومنها لا يزال مخطوطاً بين أوراق الشاعر وفي

ابـــــــــــــــيـــض

١٨٨ - أنا لو كنت يا سُليمى

مقتبسة عن الفرنسية

أنـا لـو كـنت يـا سُـلـيـمى نـسـيـمـاً
لـقـطـعت الـربى وجـبت الـسـهـولا(*)
وحـمـلت الـهـوى إلـيك جـريـحـاً
وتـرامـيتُ في يـديك عـلـيلا(*)
غـيـر أني كـمـا عـلـمت ضـعـيفٌ
حـمـلـتهُ الأيـام عـبـئـاً ثـقـيلا(*)
إن مـا يـقـدرُ الـنـسـيمُ عـلـيه
بـات صـعـبـاً بل مـسـتـحـيلا(*)

(١) الهوى والشباب، ص: ٥٥.

(*) شعر الأخطل الصغير، ص:٣١٠.

١٨٩ - أنا نـاي الهوى

أيـهـا الـبـلـبل المـغـرد في الـلـيـ
ـل عـلـى كلِّ أخـضـرٍ مـيّـادِ
غـمـرتك الـنـجـوم بـالـقُـبَل الـسَّـكـ
ـرى فـنـقِّـر يـا سـاحـر المـنـقـاد
يـا شـقـي الـهـوى جـفـاك الـذي تـهـ
ـوى وملَّ الـظلام ممـا تـنـادي
خـلـق الـلـه لـلـهـوى قـبـلـة الـرو
ح وراء الخـدود والأجـيـاد
أنـا أدرى بـالـطـيـر حـين تـغـني
كم جـراحٍ سـالت عـلـى الأعـواد

(١) الهوى والشباب، ص:١٤٣.
- شعر الأخطل الصغير، «ناي الهوى»، ص:٢٣.

١٩٠ - عُودوا إلى تلك القُرى[١]

قـــالـــوا الـــبلادُ - فـــقُـــلتُ أيُّـــهـــمـــا
أهـيَ الجـــــريـــــدةُ أم هـيَ الـــــوطنُ
إن كـــــانتِ الأولى فـــحَـــســـبُـــكمُ
قَـــلَـمٌ عـــلـى الأوطـــان مُـــؤتَـــمَن
أو كـــــانتِ الأخـــرى فـــواحـــرَبـــا
الـــــبُـــــؤسُ والأرزاء والـــــفـــــتن

☆☆☆☆☆

أبَـــني أبـــيـــنـــا طـــالَ نـــومُـــكمُ
تـــشـــقى الـــنُّـــفـــوسُ ويـــنـــعمُ الـــبـــدن
لا الحـــقلُ يـــبـــسمُ عن مـــعـــاولـــكُم
فـــــيه ولا تـــــتـــــرنَّمُ المـــــهَنُ(*)
ذوتِ الـــــرِّيـــــاضُ ومـــــاؤكُم عَـــــمَمٌ
وتـــعـــطَّـــلَت من حَـــلـــيـــهـــا الـــقُـــنَنُ(*)
وخـــــوت زرائُـــــبـــــكُم وكـــــان عـــــلى
جـــنـــبـــاتـــهـــا يـــتـــدفَّقُ الـــلَّـــبنُ(*)

(١) ذكر في ديوان الهوى والشباب، ص: ١٨٤، أنها نشرت في العدد الأول من جريدة «البلاد» لصاحبيها الأستاذ موسى نمور والشيخ يوسف الخازن نزولا عند طلبهما.

مـــحـــراثُـــكم صـــدئ الحـــديـــدُ بـه
والـــفـــأسُ ملءُ عُـــيُـــونـــهـــا الـــوَسَنُ(*)
عـــودوا إلى تـــلك الـــقـــرى فـــلـــقـــد
ســـلـــخـــتـــكُمُ عن قـــلـــبـــهـــا المُـــدُنُ(*)
الـــذِّكـــريـــاتُ عـــلى مـــقـــادســـهـــا
الأمُ والأخـــــواتُ والـــــسَّـــــكنُ(*)(١)
قُـــبَلُ الـــطُّـــفـــولـــة في تـــرائـــبـــهـــا
لـــيتَ الحـــيـــاةَ لـــبـــعـــضـــهـــا ثـــمن
تحت الـــــدَّوالي مـــــلـــــعبٌ بـــــهجٌ
عـــنـــد الـــظـــهـــيـــرة والـــرُّبى وُكنُ(٢)
فَـــدَتِ الـــعُـــيُـــونُ الـــنُّـــجلُ أجـــمَـــعُـــهـــا
عـــيـــنـــاً تـــدفَّقَ مـــاؤهـــا الـــهـــتن(*)
تـــأوي الـــطُّـــيـــورُ إلى أظـــلَّـــتـــهـــا
ويـــظلُّ يـــلـــثمُ كـــفـــهـــا الـــغـــصن(*)
تـــردُ الـــصَّـــبـــايـــا بـــالجـــرار وقـــد
عـــادت عـــلـــى أكـــتـــافـــهـــا المُـــزُن(*)
تـــلك الـــلَّـــبُـــوءاتُ الـــتي عَـــمُـــرت
بـــشُـــبُـــولـــهـــا الأجـــمـــاتُ والـــعُـــرنُ(٣)

(١) السَكن: الحبيب
٢) الوكن: موقع الطير.
(٣) العرن: جمع عرين وهو بيت الأسد
(٤) العطن: موضع الماشية، والإبل.

لُـبـنـان - لُـبـنـان الحـبـيب خَـوَى
لا الـبـيتُ لا الـبُـسـتـانُ لا الـعَـطَن[٤]

خـلـتِ المـرابطُ من سـوابـقـهـا
وتـثـاءبت بـحـبـالـهـا الأُتُن

عـودوا إلى تـلكَ الـقـرى فـعـلى
بـسـمـاتـهـا يـتـمـزَّقُ الحـزَن

لُـبـنـانُ مـا فـعل الـزَّمـانُ بـنـا
سَـلـهُ أمـا لحُـرُوبـه هُـدَن؟

يـغـدو عـلـيكَ بـأوجُهٍ كَـلَـحتْ
فـمـتى يُـنَـوِّرُ وَجـهُكَ الحَـسَن؟[١]

****

(١) الهوى والشباب، ص: ١٨٤-١٨٥.
(*) شعر الأخطل الصغير، «على أكتافها المزن»، ص: ٢١٧.

١٩١ - مرحَباً مصرُ

مَرحباً مِصرُ
مَرحباً،
كُلُّ أهلٍ لك أهلُ
وكُلُّ صَدرٍ
مَحَلُّ

ليسَ تَألو الرِّياضُ
أن توقظَ الزَّهر
وأن تَجمَعَ الشَّذا
ليسَ تألو

لِتُريقَ الأريجَ
سَكباً وتهتاناً
على وجهِ مِصرَ
حينَ يُطلُّ

مرحبا مِصرُ
يا شقيقتنا البِكرَ،
ويحلو
تَرديدُ مِصرَ
وَيَغلو

نحن فَرعان
أَلَّفَ الشرَّق قلبَيْنا
على الحُبِّ
والحضارةُ أصلُ

مُعجزات الزَّمان
مِنكُمْ
ومنَّا،
زِنَّ جيدَ الوجُود
والدَّهرُ طِفلُ

☆☆☆☆☆

هرمٌ
تَجثِمُ العظائمُ فيه،
وَسَفِينٌ
على البحار يُدلُّ[1]

✷✷✷✷

(١) شعر الأخطل الصغير، ص:٤٩.

١٩٢ - غصة السراب

لـبـنـان مـا لَكَ إن غـمـزتك تـغـضبُ
أيـجـدُّ غـيـرك في الحـيـاة وتـلـعب

إني هـزززتك في الـبلاء فـلـم أجـدْ
عـزمـاً يـفلُّ ولا إبـاء يـغـضب

أمـا الـشـعـوبُ فـقـد تـألف شـمـلـهـا
فـمـتى يـؤَلَّف شـعـبك المـتـشـعب

نـضـبتْ مـوارده وجف أديمه
وتـقـلص الـريـان والمـعـشـوشب

كم مـوردٍ لك في الـسـراب وغـصـةٍ
أرأيت كـيف يـغص منْ لا يـشـرب؟[١]

****

(١) شعر الأخطل الصغير، ص:٨٦ .

١٩٣- يا مجد يا جنون

يا مجدُ
يا فنُّ
يا جنونْ
لم تبقِ مني
الليالي،
سوى
خيال خيالي،

لا النَّحْلُ
يرشف شهدي
ولا الفَراش
وكان جيدي
وخدِّي
لها فِراشْ

أبعد ما
كان نهدي يُروي
العطاشْ،

أصبحتُ

أصبحت وحدي..

يا مجدُ

يا فنُّ

يا جُنونْ

أين الهوى

والفتونْ

والعصبةُ المعجبونْ[1]

✷✷✷✷

(١) شعر الأخطل الصغير، ص: ١٩٠.

١٩٤ - الهازئ العظيم

لـــست تـــدري ولا أنـــا مـــنك أدرى
فـعلام الخـصـامُ فـالـسـلم أحـرى

رُبَّ ســـرٍّ، طـــوتهُ ظـــاهـــرةٌ حـــمـ
ـقـاءُ يـطـوي الـبـسـيط بـرًّا وبـحـرا

ويـــوالي حـــقـــائق الأمْس تـــهـــديـ
ـمـاً ويـبـني عـلى حـقـائق أخـرى..

لـيس من يـقـرأ الـصـحـائف في الـكـتـ
ـب كـمن في صـحـائف الـكـون يـقـرا

أجـهل الـنـاس مـدَّعٍ يـحـسبُ الـعـلْـ
ـمَ كـتـابـاً، ويـحـسبُ الـفنَّ سـطـرا

ويح هـذي الـعـقـول لم تـصبِ الـرَّمْـ
ـيـةَ يـومـاً إلا لـتـخـطئ عـشـرا

دون مـا تـبـتـغـيه ، من كـنه هـذا الـ
ـكـون، سـرٌّ فـيه الجـوابُ اسـتـقـرا

سـمّه الـضّـفـة الـتي يـعـبـر الأحـ
ـيـاءُ ومـنـهـا، أو سمِّ ذلك جـسـرا

سـمِّه المـصـنع الـذي يـفـعل الـتـحـ
ـلـيل في جـوفه عـجـائب كـبـرى

يـتـلـقى الأجـسـام وهي جـمـادٌ
ثم يـعـطـيـكـهـا حـيـاة وفـكـرا

سـمّـة المِـرقَم الـعـجـيب الـذي مـا
انـفكَّ يمـحـو سـطـراً ويـثـبتُ سـطـرا

سـمّه المـعـول المـطـلـسم لا يُـر
جئ حـفـراً ولا يـؤخـرُ طـمـرا

سـمـه الـهـازئ الـعـظـيم إذا را
قَكَ، أو سـمِّه إذا شـئت قـبـرا[1]

****

(١) شعر الأخطل الصغير، ص: ١٠٢.

١٩٥ - نياشين

أيفرضون
على مثلي ملابسهمْ،
ويسألون
ثيابي عن نياشينِ؟..

كأنني
لمّ أكنْ
عنوان فخرهم
يوم انطلاق القوافي
في الميادينِ

إني
لمنْ معشرٍ
لولا يراعتهمْ
ما كان لبنان
غير الماء
والطينِ[١]

****

(١) شعر الأخطل الصغير، ص: ١٧٢.

١٩٦ - النيــل

أيها النيلُ
يا حبيب الرياحين
عيون الأزهار
نسج عيونكْ
حسدتك الأنهارُ
حين أتاها
أنَّ آمونَ
منْ هواك وطينك
املأ الشاطئين
حُبّاً
وشعراً
فجناح الهوى
شراع سفينكْ
لثم الدَّهرُ راحتيك
وغنى عبقري الألحان
تحت غصونكْ[١]

****

(١) شعر الأخطل الصغير، ص: ٢٢٥.

١٩٧ - صَهٍ أيـها الموتى

صَهٍ
أيها الموتى!
ولوْ كان فيكمْ حياةٌ
لصحْتم
ملء هذي الحناجرِ

لقدْ منعوا الأنوار
عنكم،
وأَنصفوا،
متى احتاج للأنوار
أهل المقابرِ[١]

****

(١) شعر الأخطل الصغير، ص: ٢٦٨.

١٩٨ - عيد الحبيب

صغ القوافي كما تهوى أو اعتذرِ
لو كان يَرْضَى الهوى عذراً لمعتذرِ
كأن قلب المعنَّى في أنامله
إن نام وكَّله بالوجد والسهر

أدر كؤوسك، أدركني بواحدة،
وهل يطيب ، بكأس غيرها، سكري
غنيتُ حبك أبكار القصيد، فمن
غناك بعدي فقد غنى على أثري

تناولتْ أَلْسُنُ العشاق ما نفحتْ
بك القصائدُ: منْ زهرٍ ومن ثمرِ
واستمتعوا فيكَ تغريداً ورفرفة
أما رأيت ولوعَ الطير بالشجر؟

صُغْتُ الأكاليلَ منْ نور ومن أرجٍ
للعيد، للسحرِ، للأقداحِ ، للوتر
شِعرٌ، كعيدك في الأعياد، مبتكرٌ
تدفقتْ فيه أمواجٌ من الصور

أعـــيـــادك الـــبـــيض أحلامٌ مـــجـــنَّـــحـــة
كـــأنمـــا هي أطـــفـــالٌ عـــلـى سُـــرُر
بـــيضُ الـــبـــشـــائـــر، تـــنـــدى من جـــوانـــحـــهـــا
ريـــحـــانـــةُ الـــســـفحِ أو أغـــنـــيَّـــةُ الـــنـــهَـــر

الـــنـــور والـــعـــطـــرُ رقـــراقـــان في أفقٍ
من المـــبـــاسم مـــدَّ الـــظنِّ والـــنـــظـــر
تجـــاذبـــاك هـــوىً، بُـــوركتَ من فَـــلَكٍ
مـــقـــسَّم الـــوجه بـــين الـــشـــمس والـــقـــمـــر[1]

****

(١) شعر الأخطل الصغير، ص: ٢٩٨.

١٩٩ - فليخجلوا

إذا
ما ضربتَ الكلبَ
يعوي،
وربما تقحَّم مؤْذيه
وعضَّ
بنابهِ

وفي الشرْقِ
ناسٌ،
لوْ سحقتَ رؤوسَهُمْ
لما نَبَسوا
فليخجلوا
من كلابه![1]

****

(١) شعر الأخطل الصغير، ص: ٢٩٧.

٢٠٠- تقريـظ ديـــوان
الأمير عبدالله الفيصل

أعـــبـــدالـــلـــه ديـــوانك؟
أم أهـــــزاج أعـــــيـــــادِ
مـــطـــافـــاتٌ فـــراشـــات
ومـــلـــهى الـــبـــلـــبل الـــشـــادي
وآرام خـــــفـــــاف الخـــــط
ـــوِ بـــين الـــنـــهـــر والـــوادي
يـــخـــالـــسن بـــألحـــاظٍ
ويـــتْـــلَـــعْن بـــأجـــيـــاد
كـــســـاهـــا من قـــوافـــيك الـ
ـــغـــوالـي وشيَ أبـــراد
أكـــالـــيلاً لـــهـــامـــات
وأطـــواقـــاً لأجـــيـــاد

☆☆☆☆☆

أحـــمـــداً فيَّ هـــذا الـــعـــصـ
ـــر يـــا ريـــحـــانـــة الـــضـــاد
أمـــحـــروم وصـــديـــان..
أنـــا المحـــروم والـــصـــادي[1]

****

(١) من أوراق الشاعر.

٢٠١ - أعبدالله صفحك عن جرير

«لحضرة صاحب السمو الأمير عبدالله السالم آل الصباح أمير الكويت وحبيبها ومعزز دولة الأدب فيها وفي سائر البلاد العربية.»

ما برحت يا سيدي أذكر مع الاعتزاز ذلك العطف الذي شملتموني به قبيل سفركم إلى أوروبا للاستشفاء.

ما برحت كذلك أذكر نظرتكم النافذة في مطلع قصيدتي «المتنبي» «نفيت عنك العلى..» ثم انتقالكم منها إلى مطلع قصيدة «جرير» «أتصحو أم فؤادك غير صاح» وكيف أن عبدالملك بن مروان، جَبَهَ جريراً بقوله له بل «فؤادك» كراهية منه لذلك الاستهلال، وما كان ليشفع لجرير عنده قوله في هذه القصيدة ذلك البيت الذي عدّ أمدح بيت قاله شاعر وهو:

وأنتم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

وها أنا يا صاحب السمو أقدم لكم جريراً معتذراً له مستغفراً عنه بهذه الأبيات التي أرجو أن تلقى لدى سموكم حسن القبول، أيدكم الله ورعاكم.

المخلص

بشارة الخوري - الأخطل الصغير

أأندى العالمين بطون راح
سواكم... عفوكمْ آل الصباحِ
أعبد الله صفْحاً عن جرير
ومعذرة أتعتب غير صاح

فـــأول مـــوكب لـــلـــنـــور أنـــتم
وأول بـــســـمـــة بـــفم الـــصـــبـــاح
يـــزف الـــروض أبـــكـــار الأغـــاني
لـــــكم ويـــــزف عـــــذراء الأقـــــاح
كـــأن الـــلـــه جـــاء بـــكم مـــثـــالاً
لـــرحـــمـــته ورمـــزاً لـــلـــســـمـــاح
إذا عـــزت بـــغـــيـــركم المـــطـــايـــا
فـــقـــد عـــزت بـــكم ذات الجـــنـــاح
عـــلـــوت بـــهـــا فـــنـــســـر فـــوق نـــســـر
تـــذلُّ لـــديه جـــامـــحـــة الـــريـــاح

ذكـــرتك والـــبـــيـــان له مـــصـــال
وأنت تـــفـــيض بـــالـــدرر الـــصـــحـــاح
وحـــــــولـك من بـــــــنـي الآداب رهـط
تـــمـــايل نـــشـــوة من غـــيـــر راح

أبـــا الـــعـــلـــيـــاء هـــذا الأرز فـــانـــظـــر
فـــقـــد حـــيـــاك بـــالـــغـــرر الـــصِّـــبـــاح
طـــلـــعتَ فـــأشـــرق «الـــعـــيـــدان»[1] فـــيه
وقـــد جـــعل الـــقـــلـــوب من الأضـــاحي[2]

****

(١) إشارة إلى تشريف سموه في عيد الأضحى المبارك فكان «العيدان».
(٢) من أوراق الشاعر.

٢٠٢ - صفحة بيضاء

تَهوَيْن
أن أملأها صفحةً
بيضاءَ
كالقلب الذي
تحملينْ؟

برئتُ
من عقلي وشعري معاً
إن كنت أرضى
لهما
ما يشينْ

أأحملُ
السحْر إلى بابلٍ
وأسكب
العطر على الياسمينْ؟[١]

****

(١) شعر الأخطل الصغير، ص: ٣١٨.

فهـرس القوافي

قافية الهمزة:

أيـهـا الأغـنـيـاء إن كـان فـيـكم رجل ذو مـــروءة وســـخـــاءِ ١١٨

أيـنـمـا كـنت كـان لـلـكـهـربـاء أثـــر في الـــنـــفـــوس والأهـــواءِ ١٢١

قافية الباء:

وفـاتـنـتي فـتـنـة لـلـنـهى لـهـا رتـبـة فـوق كل الـرتبْ ٩٠

الحـــبل أنَّ عـــلى الخـــشبْ أَوَ مـــا تـــراه قـــد اضـــطـــربْ ١٧٦

هـــزَّ عـــطـــفـــهـــا عـــامل الـــطـــربْ ٥٧

أحـــين صـــار تـــرابـــا لـــقـــد أتـــيـــتم عـــجـــابـــا ٣٨٣

نـفـيتَ عـنك الـعـلى والـظـرف والأدبـا وإن خُـلـقت لـهـا - إن لم تـزر حـلـبـا ٣٦٥

أمـا الـفـؤاد فـبـالأسى يـتـلـهَّبُ والـدمع يمـلح في الـشـفـاه ويـعْـذبُ ١٠٠

كـان الـشـتـاء حـيـاة لـلـفـقـيـر وقـد أمـسى الـشـتـاء وفي تـهـنـانه الـعـطبُ ٢١٩

لـبـنـان مـا لك إن غـمـزتك تـغـضب أيـجـد غـيـرك في الـحـيـاة وتـلـعبُ ٥١٤

ولي في الـهـوى شـعْـرٌ أرقّ من الـهـوا و أصـفى من الـدمع الـذي أنـا سـاكـبُهْ ٦٤

غـرامي بـكم لـو تـعـلـمـون فـإنه يـغـالـبـني حـيـنـاً وحـيـنـاً أغـالـبُهْ ٨٥

سـقط الـسـيف بـعـد طـول الـضـرابِ من يـد المجـد أحـمـر الجـلـبـابِ ٤٠٤

أمـا الجـواب فـقـد عـنـا لـبـيـانه رأس الأئـــمـــة من بـــني الأعـــرابِ ١٣٧

إذا مـا ضـربت الـكـلب يـعـوي وربمـا تـــقـــحـم مـــؤذيه وعض بـــنـــابهِ ٥٢٤

تلاحـمـتـا حـتى تـخـيـلتُ أنـني أرى حـور رضـوان تـثـيـر لـظى الحـربِ ٢٩

عـــيـــد الجـــلـــوس وأي ذي أدبِ لم تـــثـــنه يـــا عـــيـــد من طـــربِ ٩

عـــفـــواً أبـــا الأملاك من هـــاشم وغـــرة الأقـــيـــال من يـــعـــربِ ٢٧٤

إن أتـــيـــلا ومـــا كـــان ســـوى نـــقـــمـــة الـــلـــه وســـيف الـــغـــضبِ ١٥١

قُـــولي لِـــشَـــمـــسكِ لا تـــغـــيـــبي وتـــكـــبّـــدي فـــلك الـــقـــلـــوبِ ٣٩٩

قافية التاء:

خذ عن طريق الندى «فيعاً» و «قلحاتا» ما بات يشكو الظما من فيهما باتا ٣٥٨
أما السقام فلا أقول كسيته من لحظهن ولا الغرام سقيته ٢٣٩
نبتت هذه الأزاهر في الدير على صدر أطهر الراهباتِ ٩٢
نجيَّ العلى حربٌ على الشَّهواتِ حييٌّ كمنْديلٍ بصدْر فتاةِ ٣٩٧
عجبوا أن يموت في ريق العمـ ـر ويطوي كالبرق سفر حياته ٢٥٤

قافية الجيم:

لبستُ الدجى حلّة والشباب شديد عليه لبوس الدجى ٩٣

قافية الحاء:

يا ليل حِدْ حِدْ عن طريق الصباحْ كم طيّ أكفانك من ذي جراحْ ١٩٢
جعلت رسولي نسيم الصباحْ إليك وطرسي خدود الملاحْ ٣٦٠
يا ربى لا تتركي وردًا ولا تُبقى أقاحا ٤٦٠
يا واحد السبق والأخلاق ما اغتبقا إلا على شعرك العالي ولا اصطبحا ٤٤٧
نصحته بعد طول الغي فانتصحا ونهنه العذل من سُكْر الهوى فصحا ٤٧٣
أأندى العالمين بطون راح سواكم... عفوكمْ آل الصباحِ ٥٢٦
ندى، ندى بسمة الور د للندى في الصباحِ ٤٧١
فتن الجمال وثورة الأقداح صبغت أساطير الهوى بجراحي ٤٥٥
أتركت بعدك نشوة للراحِ يا ذاهباً ببشاشة الأفراحِ ٣٩٤

قافية الدال:

سلَختْ عني الليالي من أودْ مثل سلخ الأم عن مهد الولدْ ٩٧
ذكرتني بعد السلو سليمي حبس القطر مدة ثم جادا ١١٦
صيرت أعياد البلاد حدادا وسفكت من حمر الدموع مدادا ٢٨٦
لبس الكبرياء والحسن بردا وانبرى يضرب الثرى واستعدا ٤٢٨

قم نقبل ثغر الجهاد وجيده أشرق الكونُ يوم جدد عيده ٤٦٩
النجم بثغرك أرصده والليل بشَعرك أعبدهُ ٦٩
كل يوم لنا حديث جديد وخطاب ملفق لا يفيدُ ٤٦
عند البلابل بين السفح والوادي بعض الأحاديث عن شجوي وإنشادي ٤٤٢
ضَمنَ الثناءَ وفَتّ في الأحقاد قدَرٌ أخفّ من الحسود العادي ٣٢٨
انطلق كالشعاع من أفق لبنا نَ ونور فوق الربى والوهادِ ٥٠٠
سل عن قديم هوايَ هذا الوادي هل كان يخفق فيه غيرُ فؤادي ٢٦٩
أعبدالله ديوانك؟ أم أهزاج أعيادِ ٥٢٥
أيها البلبل المغرد في الليـ ـل على كلِّ أخضرٍ ميّادِ ٥٠٨
حَسْناءُ أيَّ فَتىً رَأتْ تَصيدِ قَتلى الهوى فيها بلا عَددِ ١٢٥
أي أديب الشرق الكبير سلام الـ ـفجر والروض من شعاعٍ وورِدِ ٣١٠
أيها الغائبُ الذي في فؤادي حاضرٌ كيف حال قلبك بعدي ٧١
يا قطعة من كبدي فداك يومي وغدي ٤٣٣
عرس الزنابق حفّت به خدود الورودِ ٣٤٥
قِلَلُ الشرق حاذري أن تميدي سقط العرش عرش عبدالحميدِ ٣٤

قافية الراء:

شَكَتْ فقرها فبكتْ لؤلؤاً تساقَطَ من جفنها فانتثرْ ٣٩
لك الله يا بدر من صابر على حالة ذاب منها الحجرْ ٢٨
لم أجد أحسن من فرخَيْ قطا نَقَرا حَبّ الهوى قرب الغديرْ ٣٨٨
من الذَّوق أن أُتحفَ الصَّحبَ شيئاً على ذَوقهم، وهو أمرٌ يسيرْ ١٧٨
حكمة الدهر أن نعيش سكارى فاجمعا لي الكؤوس والأوتارا ٢٧٦
أيها الطائر الذي أَلِفَ الرو ض مقاماً وجاور الأنهارا ١٣٤
لست تدري ولا أنا منك أدرى فعلام الخصام فالسلم أحرى ٥١٧
قل لوكر النسور قُدِّست وكرا كل يوم تهدي إلى الأفق نسرا ٣٥٤
يا زحل كم من شاعر لك عاشق لولا الذي توحين لم يك شاعرا ٢٧٢

وقفت حيال القبر ما أنا نابس بشعر ولكن مقلتي تنبس الشعرا ٩٩
سألتك إلهامي البيان فلم تجب كأنك غضبان لهجرانيَ الشعرا ١٠٦
نبت من الزهر في إناء من بلّور تحيي بمائه العمرا ١٤٦
قد أتاك يعتذرُ لا تسألْه ما الخبرُ ٢٢٠
أخاكَ يا شعرُ فهذا عُمَرُ وهذه «نُعْمٌ» وتلكَ الذِّكرُ ٢٦٦
سلي الليل عن عيني إذا رابكِ الفجر أفازَ بها إلاَّكِ والأنجم الزُّهرُ ٣٠٣
رياضي بعد ربيعٍ، فليت يزور ويسعدني الزائرُ ٤٩١
قف في رُبى الخُلدِ واهتف باسم شاعِرِهِ فسدْرَةُ المُنتهى أدنى مَنَابِرِهِ ٣٠٥
أيوم أصبحتُ لا شمسي ولا قمري من ذا يغني على عود بلا وترِ ٥٠٣
صهٍ أيها الموتى ولو كان فيكم حياة لصحتم ملء هذه الحناجرِ ٥٢١
صغ القوافي كما تهوى أو اعتذرِ لو كان يرضي الهوى عذراً لمعتذرِ ٥٢٢
جذبتني يوم الخميس وقالت بعد يومين.. قلت إنيَ أدري ٥٩
رمتنيَ عن قوس الخطوب يد الدهر فأصمَتْ فؤادي بعد أن مزقّتْ صدري ٥٤
ماذا أقول له إذا رجعا؟ يوماً ولم يبصركِ في القصر؟ ١٢٤

قافية السين:

يا أمةً غدت الذئابُ تسوسها غرقت سفينتها فأين رئيسها؟ ٤١٦
تبسمْ وشعِشعْ لي السلافة في الكأسِ فثغرك في ليل الحوادث نبراسي ١٠٣
وفد هارون... هذه راية «الفضـ ـل» وهذا فخر القريض «النواسي» ٣٩٣
كفنوا الشمس بريحانٍ وَوَرسِ يا لشمسٍ آذنت من عبد شمسِ ٢٥٦
يا نفس بين اليوم والأمس عبرٌ لمن يغدو ومن يمسي ١٤٩

قافية الشين:

زهرة الورد صدر هند لك العر ش فهل تطمعين بعد بعرش ٨٤

قافية الضاد:

من لي بمعبد وابن عائشةٍ ومالك والغريضِ ١٤٥

قافية العين:

لبس الخريف بك الربيعا ... ومحا عن الورق الدموعا ٣٧٢
أشجاك أنك رائح لا ترجعُ ... وهواك والأوطان بعدك بلقعُ ٢٩٢
ليضحكني عنفوان الشباب ... وتضحكني نشوة للدعي ٣٢

قافية الفاء:

وقفت على الفيدار وقفة شاعرٍ ... يبين له بدر السما ثم يختفي ٦١

قافية القاف:

أي نكباء أخرست بلبل النيـ ... ـلِ وأذرت تلك الليالي الرقاقا ٣٤٦
قلبٌ بخيط رجائه يتعلق ... قعد العياءُ به وقلَّ المُشفقُ ٤١٣
ويح الفقير فما تراه يُلاقي ... سدَّت عليه منافذُ الأرزاقِ ١٥٤
يا أختَ زاهرة الربى كم قبلةٍ ... من عاشق وتحية من شيِّقِ ٢٨٠

قافية الكاف:

رفعوا على شرفٍ لواكْ ... وَرَعتْ عيونهم سماكْ ٤٦٢
ما صباح الورد المفتح في نوار ... أحلى في عيننا من صباحِك ٢٣٨
عِشْ أنتَ. إني مُتُّ بعدَكْ ... وأطِلْ إلى ما شِئتَ صدَّكْ ٢٣٦
أيطمع الداء أن يصدق ... والله بالروح قد أمدكْ ٢٥٢
أنحلتَني بالهجر ما أظلمكْ! ... فارحم عسى الرحمن أن يرحمكْ ١٤٨
نعى غررالشمائل من نعاكا ... وجلّل بالأسى وطناً نماكا ٤٢٠
لمن يفتح الأرز الممرّد صدره ... إذا هو لم يفتحه لابن المباركِ ٤٩٩
ارقدي تحرس الملائك عينيـ ... ـكِ فعيناك عزّ هذا المُلْكِ ١٥
الصبا والجمال ملك يديك ... أي تاجٍ أعزُّ من تاجيكِ ٣٥٦

قافية اللام:

خسئوا فربك يكره البطلا	والحق من تضليلهم أعلى	٦٥
لا ألوم الزمان يا أيها الشر	قُ على الذل بل ألوم الرجالا	١٥
قل لآسي الشعوب ته وتملأ:	الصديق الذي أسَوْتَ أبلاّ	٤٩٦
مت عزيزا أو عش بها مستقلا	كيف ترضى لها العلى أن تذلا	٣٥١
أنا لو كنت يا سليمى نسيماً	لقطعت الربى وجبت السهولا	٥٠٧
لك أشكو يا بدر شكوى أديب	خائف من حياته أن تطولا	٤٣
ألا ترى الشعر يعلو وجهه الخجلُ	يا نجد عفوك أنت الفخر والغزلُ	٤٧٩
مرحبا مصر مرحبا كل أهل	لك أهل وكل صدر محل	٥١٢
كفاني يا قلب ما أحملُ	أفي كل يوم هوى أولُ	٤١٥
عشت شقياً ولم أبالِ	ولم يمرّ الهنا ببالي	٢٥
أتسألوني شعراً بعدما ذبلتْ	صبابتي وتلاشت غر آمالي	٤٩٤
إيه غورو والأماني جمّةٌ	وثمار الفوز للمستبسلِ	٢٣٠
طُلتَ يا ليليَ أو لمْ تَطُلِ	مثلك الفجر الذي سوف يلي	١٦٤

قافية الميم:

أمنفرداً هكذا لا أزال	أراك متى أسودّ جنحُ الظلامْ	٥٠
أنا ساهرٌ والكونُ نام	وكل ما في الكون نامْ	١٥٩
لبستْ بعدك السواد العواصمْ	واستقلت لك الدموعَ المآتمْ	٣١٥
وارحمتا للبشير	لم يقو أن يتكلمْ	٤٥٣
يا عيوناً أوحت إلينا الغراما	أجنوناً سقيتنا أم مُداما	٣٠٤
أعرني الخلد نشراً وابتساما	فألثمه وأجعله سلاما	٤٣٧
هات يا شعر ولو قافية	فأفي الشيخ أياديه الكراما	٤٦٧
لا أبالي إذا أديرت علينا	أضياءً دارت بنا أم ظلاما	٢٣٥
عذر لمنْ مات لا عذرٌ لمن سلما	إذا تهدم مجد واستبيح حمى	٤٣٠

نم إن قلبي فوق مهدك كُلَّما ذكر الهوى صلّى عليك وسلَّما ٦٧
من شاعر نَسَق الرياض ونظَّما أكبرت فيه العبقريَّ الملهما ٤٥٠
طويت راية وفل حسام فعلى العلم والإباء السلامُ ٣٦٢
أعِرني بعض شجوك يا حمامُ فقد غلب الأسى وعصى الكلامُ ٢٨٩
أين من مقلتي الكرى يا ظلامُ انصف الليل والخليِّون ناموا ٢٤٣
يا بن الوزير وفي البلاد مجازرٌ للظلم يبرق في جوانبها الدمُ ١٢
لا تخلق الأعذار أنت المجرمُ إن تسكت الزّلفى فقد نطق الدمُ ٣٣٥
قالوا دهت مصر دهياء فقلت لهم هل غيّض النيل أم هل زلزل الهرمُ ٢٤٥
لبنان عيدٌ ما أرى أم مأتمُ لله أنت وجرحك المتبسمُ ٣٢٠
هو والوسام ، كلاهما يتبسمُ أرأيت كيف أضاء هذا الموسمُ ٢٨٣
عيد تصافح فيه السيف والقلمُ فليبشر الأشرفان العلم والعلمُ ٤٤
رويدك فالصبابة لا تدومُ ولا يبقى لك الوجه الوسيمُ ٤٠
قطيع من الأيام أدهم نائخ بكلكله في خاطري وعظامي ١٨٧
سقياً لأيام لبنان التي سلفت كأنها سكرات الوصل في الحلمِ ٤٣٢
إلام أطوي الليالي صارخ الألمِ حسب الهوى ما جنى من قلبيَ النهمِ ٤٨٦
فتى المروءات لم ترسل أعنتها إلا لدفع الأذى عن كل مظلومِ ٤١٨

قافية النون:

يا وردة طابت وطبنا بها أيام نسقيها بماء العيونْ ٢٥٠
ماذا؟ أحقاً كنتِ بي تَهزئينْ وكنتِ في حُبِّكِ لي تكذبينْ ٢٢٧
أتَتْ هِندُ تشكو إلى أُمِّها فسُبحانَ من جمع النّيِّريْنْ ١٣٢
تهوين أن أملأها صفحة بيضاء كالقلب الذي تحملين ٥٢٨
سائل العلياء عنا والزمانا هل خفرنا ذمة مذ عرفانا ٣٨٩
قد سئمنا أجل سئمنا الهوانا وسئمنا من أجله لبنانا ٨٦
بدأ الكأسَ وثنَّى وسقى الشعرَ فغنَّى ٣١٢

يـــا لـــهـــا ثـــورة تـــأجج في صـــد	ركَ تـردي الـظـنـون فـيـهـا الـظـنـونـا	٤٤٠
مـــا حـــرام ســفك الـــدمـــا مـــا حـــرام	قـــتل هـــذا الإنـــســـان يـــا إنـــســـانُ	٣٣
قـــالـــوا الـــبلادُ - فـــقُـــلتُ أيُّـــهـــمـــا	أهيَ الجـــــريـــــدةُ أم هيَ الـــــوطنُ	٥٠٩
مَـــهـــدَ الـــغـــرام ومَـــســـرحَ الـــغـــزلانِ	حـــيثُ الـــهـــوى ضـــربٌ مِنَ الإيمـــانِ	٢٠٩
مـــرحـــبـــاً شـــاعـــر الجـــمـــال وأهلاً	بـــالحـــبـــيب الـــغـــالي عـــلى لـــبـــنـــانِ	٣١٣
ســـعـــود يـــا ألف أهلا كل جـــارحـــة	من صدر لـبـنـان ضـمـت قـلـب مـفـتـونِ	٤٨٢
يـــا عـــاقـــد الحـــاجـــبـــين	عـــلى الجـــبـــين الـــلـــجـــيـــني	٣٠١
أيـفـرضـون عـلـى مـثـلـي مـلابـسـهـم	ويـســألـون ثـيـابـي عن نـيـاشـيـنـي	٥١٩
عـمـيـد الأرز سـخـطـك غـيـر هـيِّـن	يـــهـــز - إذا أردتَ - المـــشـــرقـــينِ	٥٠١
يـا حـامـل الأمـل المـنـشـود مـقـتـحـمـاً	به المـصـاعـب بـيـن الـعـنـف والـلـيـنِ	٤١٠

قافية الهاء:

رضـــيـت وقـــد ذهـب الجـــفـــا	وكـــذا الـــهـــوى لـــين وشـــده	١٧٥
ومـثـلـي لا يـنـسـي الـلـيـالـي بـإهـدن	ومـا عـنـد مـجـرى الـنـبـع من كل نـاهـده	١١٠
فـلـســطـــين أفـديك من دمـعـــةٍ	تـــهـــاوت عـــلى بـــســـمـــة حـــائـــره	٤٣٥
بـــالـــعـــصـــيـــين دمـــعـه وبـــيـــانهْ	لا تـــلـم شـــاعـــراً عـــلـى خـــذلانه	٢٦٢
أي حـبـيـب الـبـيـان لـو جـعـل الـظـر	ف كـــتـــابـــاً لـــكـــنت في عـــنـــوانهْ	٣٥٧
هـــجـــروني فـــبتّ أجـــري دمـــوعي	فـــوق خـــدّيَّ بـــكـــرةً وعـــشـــيَّهْ	٢٣
تـعـجَّب الـلـيل مـنـهـا عـنـدمـا بـرزت	تُـسـلـسل الـنـور في عـيـنـيـه عـيـنـاهـا	٣٢٢
رقـدت تـرشـف الـكـرى مـقـلـتـاهـا	مـثـلـمـا تـرشـف الـعـطـاش المـيـاهـا	١٠٥
يـا نـهـر طـوَس ويـا أظلال واديـهـا	رسـالـة الـشـعـر عـني من يـؤديـهـا	٣٧٣
أتـــرى يـــذكـــرونه أم نـــســـوهُ	هم ســقــوهُ الــهــوى وهم أســكــروهُ	٨٢
سل مـغـاني الـصـبـا وتـلك الملاهي	كم تـــرشـــفن من طُـــلـــيً وشـــفـــاهِ	٤٧٧
أيـهـا الـضـاحـكـون في الـعـيـد رفـقـاً	وانـعـطـافـا إلى الـشـقـيِّـين فـيـهِ	١١٧

قافية الياء:

أي حـــســـنـــيـك غـــداة	الـــســـبق حـــاز الأولـــيَّه	٤١٢
جلست الى الليل البهيم وما ليا	حبيب إليه أشتكي بعض ما بيا	١١١
الهوى والشبابُ والأملُ المنـ	ـنشودُ توحي فتبعثُ الشعر حيا	٢٤٢
جُرْتِ في الموت والحياة عليَّا	ومحوتِ الضِّياءَ من ناظريَّا	٢٨٥
لواءك - فاسجد يا فتى الأرز للّوا	وكن عالياً يغدو بك الأرْز عاليا	٢٢٩
صِبْيةٌ عارية أبدانهم	ومن الجوع عدوا كالموميا	١٥٣

موشحات ومخمسات ومسمطات وقصائد متعددة القوافي:

زهرة ملء عيون الأمل	في الربى الخضراء	٤٤٤
نبتت بين ازرقاق الجدول	والسما الزرقاء	
كذب الواشي وخاب	من رأى الشاعر تاب	٤٤٨
من الناعب قبل الفجـ	ـر من هذا على الباب	٣٧٩
أفي ليال دعا الآلام أكثرها	يعاتب البلبل الغريد إن سكتا	٤٨٤
ربة الشعر ألهميني	قصيداً أبكي به مختار	٢٣٢
ألهميني شعراً طليقاً جديداً	ترجع الأطيار	
أيها النيل يا حبيب الرياحين عيون الأزهار	نسج عيونك حسدتك الأنهار	٥٢٠
أيها الغزال	أيها القمر	٥٢
أنت في الجمال	فتنة البشر	
كيف أنسى ذكرى بلادي ونفسي	تشتهيها فتلك مسقط رأسي	١٤٢
كيف أنساك يا خيالات أمسي	ذكريات الصبا وأحلام نفسي	
كيف أنسى الأيام صفواً وأنساً	كيف أنسى	
لهفي ولهف الأدب عليك	يا راحلا بلا وداع	١٦٢
	ومظلم الجفن وكان مبعث النور	

وساكناً وكان ملء الأسماع والظِّبا أهدَت إليها العُنُقا ١٩٥

المها أهدتْ إليها المقلتينْ للعذارى جل من خلقا

فهما في الحسن أسنى حليتين مالي أراك تشدو فسبحان الذي قد براك ٩٥

صداح يا مؤنس هذا الأراك وللحبيب يهديك ٣٤٣

يا ورد مين يشتريك والهوى والقبل

يهدي إليه الأمل فحياتي على خطر في هواكا ١٨

وقفة أيها القمر نتشاكي ومن العلم ما قتل ٢٢٥

جفنه علم الغزل لم تبق مني الليالي سوى خيال خيالي ٥١٥

يا مجد يا فن يا جنون ومن العدل أن تعيش منعم ٢٠

أمن العدل أن أعيش شقيّا دون أدنى ذنب بنار جهنم

أي شيء في الكون يقضي عليّا

إن هذا لمنتهى الهمجية عني القلم ٢٢٢

جنبوا عني الطروس بل هما مورد العدم

فهما مجلب النحوس واضحكي في خدودها يا نجوم ٧٤

عشت فالعب بشعرها يا نسيم جسد طاهر وروح كريم

من ملاك في بردتيها مقيم

ومحيّا ترى فيه الحسن حليّا هوى بابتسام ٤٧

سلام على غصن هذا القوام سلام على نجمة الأطلس

نسيم الصبا قل بحق الغرام

وغصن النقا الأهيف الأملس بدر التمام ٤١

يا نجمة من فوق عرش الغرام فانظر إليها تحت جنح الظلام

ألبسها التسهيد ثوب السقام

ساهرة في قصارها لا تنام هم عني أنت همي ٣٤١

اســـقـــيـــنـــهـــا بـــأبي أنت وأمي تحت أذيـــــال الـــســـــكـــــون ٧٢٥

آه مـــــا أحـــــلى الحـــمـــيّـــا بـــــرســـــالات الـــعـــيـــــون

والـــــهـــــوى يـــــوحي إلـــيّـــا مـــــوقـــــفي بـــــين حـــائـــطـــين ١٤٠

آه يـــا هـــنـــد لـــو تـــرين وعـــلى الخـــد دمـــعـــتـــين

لا يـــحـــيـــران أخـــرســـين

لـــــو تلريفـــلـــين مـــا لم يـــبـــلـغ الـعـامـين ٢١٧

زوجـــان أكـــرم بـــهـــمـــا زوجـــين جـــرس عـــلم الحـــزين الأنـــيـــنـــا ٣٠

في ســـكـــون الـــظلام رن رنـــيـــنـــاً في فـــتى بـــات لـــلـــهـــمـــوم رهـــيـــنـــا

فـــأثـــار الأسى وكـــان كـــمـــيـــنـــا

فجـرى دمعـه وكان ستجيلنا مـــلك جـــديـــره ٢٠٧

أيـتـهـا الـفـتـانـة الـصـغـيـره ويـا لـــهـــا من خـــلـــة ذمـــيـــمه ١٨٩

أســمــاء كـــان دأبـــهـــا الـــنـــمـــيـــمه

✱✱✱✱

الفهـرس

- تصدير، عبدالعزيز سعود البابطين ٣
- مقدمة، سهام أبوجودة ٥
- الجلوس السعيد ٩
- خطاب ١٢
- صفحة مطوية ١٥
- وقفة أيها القمر ١٨
- هفوات الصبا ٢٠
- المرأة المظلومة ٢٣
- حنين وأنين ٢٥
- يا بدر ٢٨
- في غانيتين تضاربتا بالسيف على الملعب ٢٩
- جرس العيد ٣٠
- عنفوان الشباب ٣٢
- ما حرام سفك الدما ٣٣
- عَبرة وعِبرة ٣٤

- في حسناء فقيرة ٣٩
- عرف الحبيب ٤٠
- مع النجمة ٤١
- لك أشكو يا بدر ٤٣
- عيد الأمة ٤٤
- خطاب جديد ٤٦
- تحية وسلام ٤٧
- بين الأرض والسماء ٤٩
- حديث عاشقين ٥٠
- غزالي قمر ٥٢
- حقيقة شعرية ٥٤
- ليلة راقصة ٥٧
- هدية شاعر ٥٩
- وقفة على الفيدار ٦١
- في الهوى ٦٤
- إلى الصديق المعزول ٦٥

- النوم الهني ٦٧
- بين الشعراء (معارضة قصيدة يا ليل الصب) ٦٩
- خدعته ابتسامة ٧١
- ليلى بعد أبيها أو (قبل الدستور وبعده) ٧٤
- علّ هذي الذكرى ٨٢
- وردة على صدر ٨٤
- غرامي بكم ٨٥
- أجل سئمنا الهوانا ٨٦
- وصال الغواني ٩٠
- أزهار ٩٢
- سلمى في العيد ٩٣
- البلبل المغرد ٩٥
- لو يفهم الناس الهوى ٩٧
- رثاء والده ٩٩
- أما الفؤاد ١٠٠
- ليلة يأس ١٠٣

- وصف فتاة عند الإفرنج ١٠٥
- أمير ليالي العاشقين ١٠٦
- وابسمي للشباب ١٠٩
- فقالت أنا ١١٠
- فيالك أحلاماً ١١١
- بلا عنوان ١١٦
- رفقاً وانعطافاً ١١٧
- على ذكر الجراد ١١٨
- العيون ١٢١
- ماذا أقول له؟ ١٢٤
- المسلول ١٢٥
- هند وأمها ١٣٢
- كلانا نحارب الأقدار ١٣٤
- بين شاعرين ١٣٧
- آه يا هند لو ترين ١٤٠
- كيف أنسى ١٤٢

- حلم عربي ١٤٥
- الإناء المكسور ١٤٦
- ما أظملك ١٤٨
- يا نفس ١٤٩
- أتيلا والشاعر ١٥١
- مفكرات شاعر «صبية عارية أبدانهم» ١٥٣
- الريال المزيف - من أوراق الحرب ١٥٤
- قلب خافق ١٥٩
- أي خطب جلل (رثاء اسكندر العازار) ١٦٢
- الحرب الكبرى - ١٩١٤ ١٦٤
- فراشة في وردة ١٧٥
- الحبل أنَّ على الخشب ١٧٦
- سلفين وجيروم ١٧٨
- قطيع من الأيام - نحن في الحرب ١٨٧
- النميمة ١٨٩
- دمعة على صديق (طانيوس عبود) ١٩٢

- من مآسي الحرب ١٩٥
- القرية ٢٠٧
- عروة وعفراء ٢٠٩
- بيتهم جهنم أو بعض بيوتنا ٢١٧
- مفكرات شاعر (كان الشتاء حياة للفقير) ٢١٩
- ضاع عنده العمر ٢٢٠
- إن للدهر يوم بؤس ٢٢٢
- جفنه علم الغزل ٢٢٥
- إلى امرأة ٢٢٧
- شعار الأرز ٢٢٩
- في سبيل المجد واستقلاله ٢٣٠
- إلى روح مختار بيهم ٢٣٢
- يا عروس الأماني ٢٣٥
- أغضاضة يا روض ٢٣٦
- من الأخطل الصغير إلى شوقي بك ٢٣٨
- من الأخطل الصغير إلى شوقي بك ٢٣٩

- الهوى والشباب ٢٤٢
- لكنها آلام ٢٤٣
- لبنان يرثي سعداً ٢٤٥
- إلى ٢٥٠
- عاطفة صداقة وإجلال ٢٥٢
- إلى روح فوزي المعلوف ٢٥٤
- رثاء فوزي الغزي ٢٥٦
- شاعر يترك الخيال كسيحاً ٢٦٢
- عُمر ونُعم ٢٦٦
- زحلة ٢٧٢
- عفواً أبا الأملاك ٢٧٤
- إلى روح جبران (حكمة الدهر) ٢٧٦
- يا أخت زاهرة الربى ٢٨٠
- وسام رئاسة الجمهورية ٢٨٣
- يا خيال الحبيب ٢٨٥
- مَن للبلاد ٢٨٦

- أعرني بعض شجوك يا حمام ٢٨٩
- المهاجر ٢٩٢
- ذكرى بردى ٢٩٦
- يا عاقد الحاجبين ٣٠١
- سلي الليل ٣٠٣
- خيال من دمر ٣٠٤
- شوقي (رثاء) ٣٠٥
- تحية الأخطل الصغير (إلى رابندرانات طاغور) ٣١٠
- بدأ الكأس وثنى ٣١٢
- رد التحية لأحمد رامي عند قدومه إلى لبنان ٣١٣
- مصرع النسر ٣١٥
- لبنان عيد ما أرى ٣٢٠
- سلمى الكورانية ٣٢٢
- العبقرية ما حييت جناية ٣٢٨
- الكوكب ٣٣٥
- بأبي أنت وأمي ٣٤١

- يا ورد من يشتريك ٣٤٣
- تهنئة سعيد فريحة في عرسه ٣٤٥
- رثاء حافظ إبراهيم ٣٤٦
- مت عزيزاً أو عش بها مستقلا ٣٥١
- ما نسينا صرح تلك الليالي ٣٥٤
- الصبا والجمال ٣٥٦
- بشارة الخوري يحيي المازني ٣٥٧
- لبنان يا راحة الأرواح ٣٥٨
- صلاح المنذر ٣٦٠
- طأطئي للرئيس يا أمة الأرز ٣٦٢
- المتنبي والشهباء ٣٦٥
- لبس الخريف بك الربيعا ٣٧٢
- الفردوسي (شاعر الفرس الأكبر) ٣٧٣
- الجابي ٣٧٩
- أحين صار ترابا (رثاء الكاظمي) ٣٨٣
- توفيق ضومط ٣٨٨

- يا جهاداً صفق المجد له ٣٨٩
- الأخطل الصغير يرحب بالوفد العراقي ٣٩٣
- رثاء الشيخ محمد الغنيمي التفتازاني ٣٩٤
- طبع الصاعقات ٣٩٧
- الزهاوي ٣٩٩
- قوة الروح والعقيدة جيش ٤٠٤
- يا حامل الأمل المنشود ٤١٠
- نينا معلوف ٤١٢
- عجباً، الرمق الأخير ٤١٣
- كفاني يا قلب ٤١٥
- يا أمة غدت الذئاب ٤١٦
- فتى المروءات ٤١٨
- رثاء الأستاذ ميشال زكور ٤٢٠
- آه ما أحلى الحُميا ٤٢٥
- إن لبنان تربة وسماء ❖ بسمات لوجه فيصل تهدى ٤٢٧
- شاعر السيف والقلم (رشيد نخلة) ٤٣٠

- وقد يغني الفتى ٤٣٢
- وداد في العشرين ٤٣٣
- تحية فلسطين ٤٣٥
- تحية الفاروق ٤٣٧
- أبوالعلاء ٤٤٠
- أسمهان ٤٤٢
- الجبل الملهم ٤٤٤
- تحية الأخطل الصغير إلى شاعر القطرين ٤٤٧
- من رأى الشاعر تاب ٤٤٨
- وانا الذي غذّى الجمال بشعره ❖ وحنا عليه سافراً وملثما ٤٥٠
- ندى الحبيبة أهلاً ٤٥٣
- وطن أعار الخلد بعض فتونه ❖ وسقى المكارم فضلة الأقداح ٤٥٥
- ثورة فجرتماها ❖ فلثمناها جراحا ٤٦٠
- الشيخ إبراهيم المنذر ٤٦٢
- وسامان بين قاض وشاعر - عام ١٩٤٨ يرد على عام ١٩٤٣ ..... ٤٦٧
- عيد الجهاد ٤٦٩

- ندى ٤٧١
- ذكرى ٢٢ تشرين الثاني ١٩٥٢ ٤٧٣
- تحية الشعر ٤٧٧
- مدح جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ٤٧٩
- أنت المؤمل ٤٨٢
- وديع فارس البستاني (شاعر المهبراته) ٤٨٤
- تهنئة جلالة الملك سعود ٤٨٦
- أنا من هواك غزلت جناحي ٤٩١
- صائب سلام ٤٩٤
- شرف الفتح ٤٩٦
- يرحب لبنان معي بحبيبه ٤٩٩
- إلى الصياد في عهده الجديد ٥٠٠
- تهنئة البطريرك المعوشي ٥٠١
- أيوم أصبحت لا شمسي ولا قمري ٥٠٣
- أنا لو كنت يا سُليمى ٥٠٧
- أنا ناي الهوى ٥٠٨

- عودوا إلى تلك القرى ٥٠٩
- مرحباً مصر ٥١٢
- غصة السراب ٥١٤
- يا مجد يا جنون ٥١٥
- الهازئ العظيم ٥١٧
- نياشين ٥١٩
- النيل ٥٢٠
- صهٍ أيها الموتى ٥٢١
- عيد الحبيب ٥٢٢
- فليخجلوا ٥٢٤
- تقريظ ديوان الأمير عبدالله الفيصل ٥٢٥
- أعبدالله صفحك عن جرير ٥٢٦
- صفحة بيضاء ٥٢٨
- فهرس القوافي ٥٢٩
- الفهرس ٥٤٠

✱✱✱✱

تصدير...

لقد كان من دواعي اغتباط مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الحصول على قدر وافر من الأعمال النثرية للأخطل الصغير، فتحقق لها ضمن إصداراتها عن شاعر دورتها السادسة، جانب كبير من إبداعه النثري إلى جانب إبداعه الشعري.

إن مادة هذا الكتاب في مجملها عبارة عن افتتاحيات كتبها الشاعر في صحيفة «البرق» التي أسسها عام ١٩٠٨ وأغلقت عام ١٩٣٢ ولم تعد للصدور بعد ذلك. وإلى جانب أسلوب الأخطل الصغير الصحفي المتأدب، فإن تقلب العهود بين الصدور والإغلاق كان مصدر إثراء آخر للمادة النثرية لدى الأخطل الصغير، الشاعر والصحفي والأديب.

وعلى هذا فإنك من خلال الافتتاحيات «البرقية» ستعيش عقداً عثمانياً كاملاً من عام ١٩٠٨ – ١٩١٨ وهو العقد الأخير من عمر الدولة العثمانية. وستعيش فترة انتقالية بين انتهاء الحرب العالمية الأولى وبدء الانتداب الفرنسي على البلاد السورية (سوريا ولبنان) وستطالع أحداث أكثر من عقدين من الانتداب. وستتنقل بين متصرفية جبل لبنان ذات الامتيازات والحماية الدولية ، وصولاً إلى إعلان «دولة لبنان الكبير» في الأول من أيلول ١٩٢٠، ومروراً بإعلان الجمهورية اللبنانية عام ١٩٢٦، وما أعقب ذلك من أحداث حتى خبت ومضات «البرق».

وإن تكن ومضات «البرق» قد خبت في مفتتح الثلاثينات من هذا القرن، وألقى بشارة الخوري الصحفي عصا ترحاله بين الورق والحروف، إلا أن الشاعر فيه استمر ليواكب ما تلى إغلاق «البرق» من أحداث، بدءاً من ١٩٣٢، وحتى إعلان الاستقلال الناجز للجمهورية اللبنانية، ولم يخفت له صوت حتى أقعده المرض بعد مبايعته أميراً للشعراء عام ١٩٦١.

ومما يدعو إلى الاعتزاز أن شاعر دورتنا هذه كان وبامتياز صحفي العروبة وناثرها المجيد ، جنباً إلى جنب مع كونه شاعرها وغريدها الصداح، لم تهن له قناة في الدعوة إلى القومية العربية ونبذ الطائفية ، ومناصرة القضايا العربية في سوريا وفلسطين والعراق وكل

أقطار العروبة التي ثارت على أيامه، ناصر الأقطار العربية وناصر الأدباء العرب وحتى الأفراد العاديين من منظور قومي وإنساني رفيع، تماماً مثلما ناصر ودافع عن قضايا لبنان الوطنية ومواطنيه، معلياً شأن الجميع، دافعه الوحيد في كل ذلك الوحدة الوطنية والقومية، لا فرق بينهم بسبب دين أو مذهب «فمن نحن ومن أنتم» على حد قوله.

ولنا وطيد الثقة أن يسد هذا الكتاب فراغاً في موضوعه، ويعرّف الأجيال الطالعة بكفاح الرواد والمبدعين من رموزهم الأدبية خلال هذا القرن.

لقد كان جهداً مشكوراً قامت به الدكتورة سهام أبوجودة بجمعها مادة هذا الكتاب، فخدمت الجانب الإبداعي الصحفي والنثري للأخطل الصغير، خدمتها للجانب الشعري الغالب فيه، فلها بالغ الشكر.

كما يسعدني أن أنوه بالجهد القيم الذي نهض به الدكتور ياسين الأيوبي بمراجعته مادة الكتاب واختيار معظمها ووضع بعض الهوامش والتعليقات التي تفسر كلمة أو حدثاً وضبط كلمات الكتاب وتصويبها، وستبقى جهوده موضع التقدير والاعتزاز.

على أن الأمانة العامة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وقد راجعت الكتاب مراجعة شاملة ولأكثر من مرة، رأت إضافة هوامش كثيرة تتعلق بترجمات الأعلام وتوضيح الأحداث وإجلاء غموض بعض الإشارات والإيماءات ، إذ إنها وإن كانت جلية واضحة آنذاك، لم تعد كذلك بعد مرور تسعة عقود على إنشاء بعضها، الأمر الذي استوجب جهوداً كبيرة ووقتاً طويلاً واستعانة بمراجع كثيرة وبخاصة في تاريخ لبنان الحديث.

والله نسأل أن يكون هذا الكتاب نافعاً مع منظومة الإصدارات الأخرى للمؤسسة في دورة أمير الشعراء الكبير.

ولله الحمد والمنة على ما أنعم.

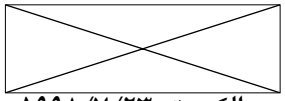

الكويت، ١٩٩٨/٧/٢٣

مقدمـة..

ما أمتع أن يكتب الشعراء بحوثاً أو مقالاتٍ تتناول الحياة والمجتمع وتدخل إلى حرم الأسرار!

والأمتعُ أن يحترفوا الصحافة، ويكتبوا على صحفاتها الأولى، الافتتاحيات يَضمِّنونها خلاصات آرائهم، وزُبْدَ أفكارهم وتأملاتهم..

وأمتعُ المُتَع أن يمتلكَ الشاعر صحيفةً، ويتولى الإشرافُ على تحريرها، وتنفيذ أهدافها وميولها واتجاهاتها.. لا رقيبَ عليه يَشطب ويُعدِّل أو يُلغي وتَحجب، وما سوى ذلك مما يفعله رؤساء تحرير صحف اليوم، في الكثير من المقالات والدراسات الواردة إليهم، يحذفون، ويَبترون، ويضعون العناوين التي يرتأون، فيصدُرُ المقالُ غيرَ المقال، ويُمنى الكاتب بالخيبة عوضاً عن الابتهاج.

ونادراً ما قُيِّض للشعراء مثلاك ناصبة التحرير والتصرف بنتاجهم المكتوب، بحرية وسلطة مطلقة.

وإنها نعمة النِّعم، وسانحةُ العمر، لا يَعلوها إلا نعمة الكتابة نفسها وممارستها: نقداً ودراسة وإبداعاً.

فكيف إذا جمع الكاتبُ مَجدَ النِّعمَتين، واعتلى صهوات الكلام، وبلغ فيه السِّما كَيْن؟.

ذلكم هو الشاعر الملهم، والكاتب المِغنُّ، بشارة عبدالله الخوري أو الأخطل الصغير، الذي أُوكل إلينا قراءة أعماله النثرية، وتقديمها إلى القارئ العربي الذي يعرفه شاعراً مُحلِّقاً، ويجهل الكثير من نحيال قلمه النثري، وهبه الله منه ملكاتٍ مختلفةٍ ألوانه ومذاقاته وأبعاده..

ومِن نعَم الصحافة عليه وعلينا أنها شرَّعت كلَّ النوافذ، ليُودعها مجمل كتاباته النثرية، فكانت «البرق» المصدر شبه الوحيد لهذا النتاج النثري، وعلهيا كان المعوَّل والرجوع.

طبيعة عملنا في هذا الكتاب

لا بد من التنويه – في هذا المقام – بالدور الهام الذي قامت به الدكتورة سهام أبو جودة، بجمع وتصوير معظم مقالات الأخطل التي كان ينشرها أسبوعياً، في جريدته المذكورة، منذ صدورها أول مرة في سنة ١٩٠٨ حتى ١٩١٤؛ ثم توقفت طوال سنوات الحرب الكبرى، ليُصدرها من جديد، يوميةً سياسية على مدى إحدى عشرة سنة (١٩١٨ – ١٩٢٩)؛ ثم تعود إلى الصدور، أسبوعية أدبية ما بين ١٩٣٠، و١٩٣٢.

وقد قامت الدكتورة أبو جودة بجمع افتتاحيات «البرق» طوال سنوات ثلاثٍ لإعداد رسالة للماجستير، ناقشتها في الجامعة الأميركية ببيروت في شباط ١٩٢٠ بعنوان :«الأخطل الصغير: بشارة عبدالله الخوري/سيرته وأدبه».

فقمنا بقراءة هذه المقالات، قراءة متأنية، سبَرْنا فيها الأغوار ورصدننا الفوائد، فأبقينا على معظمها، وأهملنا الباقي؛ لأنه يدخل في مسائل وأمور محلية تهم قارئ زمانها، ولا فائدة تذكر من إعادة نشرها..

وقد وجدنا في نص الأخطل شيئاً من التصحيف والكلام المحو، وبتراً في سياق الجمل، وشيئاً من الخلل اللغوي، وما إلى ذلك، جهِدْنا في تبيانه وتصويبه ما وسعنا إلى ذلك، وما سمحت لنا موضوعية النقل وأمانته، مع إشارات أثبتناها في الحواشي، وهي كثيرة: بعضها راجع إلى الأسلوب الصحفي أو ما يُعرف بلغة الجرائد التي يغلب عليها الارتجال والصياغة المتداولة.

ضبطنا النصوص جميعها، وصوَّبنا بعض سقطات القلم العائدة إلى سهو الناسخ أو الطابع، أو الكاتب نفسه، لم نشأ الإبقاء عليها تنزيهاً لقلمٍ مَتحَ من معين العربية وخبرأ عرقَ أساليبها، نصائح منها الدرر في إطارَي الشعر والنثر؛ ومع ذلك فسيجد القارئ عدداً من الألفاظ والصيغ المضطربة، بقيت كما هي في المتن، وتمَّ تصويهب أو تشذيبها، في الحاشية؛ مُوفِّقين بين أمانة النقل من جهة، ودَفع التُّهم الجزافية عن الكاتب، من جهة ثانية.هذا في اللغة والتراكيب..

أما الموضوعات، فقد نحَّينا جانباً، معظم مقالاته الموسومة بعنوان: «الطائفية»، لأنها سجالات صحفية حول أحداثٍ دمويَّة جرت في غضون ١٩٢٠، قام بها طائفة من المتعصِّبين، أحدثت أصداءً أليمة، ودفعت الأخطل الصغير إلى الانتقاد، ووضع النقاط والأمور في مواضعها الصحيحة.

ومن أراد الاطلاع عليها، فهي في أعداد متفرقة من جريدة «البرق» ومنها الأعداد ١٠١٧ و ١٠٢١ و ١٠٢٨ من سنة ١٩٢٠ وأعداد أخرى غيرها.

مضامين الكتاب

تحدث الأخطل في مقالاته «البرقية» ع هموم زمانه، وانشغاله هو وإخوانه أهل الصحافة والقلم؛ كما تحدث عن قضايا العصر والمنطقة كحرية الشعوب واستقلالها، والمستعمر والانتداب، والحكومات العربية، والسلطنة العثمانية؛ وتوقف طويلاً عند القضية الفلسطينية وفصول المؤامرات الصهيونية المحوكة ضدها منذ زمن طويل؛ ومثل ذلك فعل في القضايا اللبنانية والعلاقات الأخوية مع سوريا، وما يدخل في صميم الوطن اللبناني، من هجرة، ومجالس وهيئات، ومساعٍ حثيثة لمعالجة المعضلة الطائفية.

ولم يفته الكلام على القضايا الأدبية التي دارت حولها مناقشات كثيرة بين أدباء عصره داخل لبنان وخارجه، والتي تشكل مع الباب الخاص: من بقايا الذاكرة – وجُلُّه في مناسبات أدبية حميمة – ثلث صفحات هذا الكتاب، تقريباً.

إلا أن هاجسه الأكبر، ودأبه الفكري الغالب، هما مجتمع وطني عربي لا طائفي، على درجة عالية من القيم الأخلاقية.

في البداية، كان الولاء الوطني مترجِّحاً ما بين سوريا ولبنان، تارة هو ولاء سوريٌّ عام، وتارة لبناني صرف، من غير أن يكون هناك أيُّ إشارة إلى مفهوم عقائدي حزبي.. فاطلاق الأخطل، النسبة الوطنية لسورية، مرتبط بالبيئة الجغرافية التي ينضوي فيها كلٌّ من لبنان وسوريا.

ولا ضابط عنده لهذا الولاء – فهو القائل – على سبيل المثال – «وإن الوطن

السوريَّ واللبناني لم يزدهر بالعمران إلا بمال المهاجرين، من جهة، وبما نقلوه إليه من روح الديموقراطية والمعارف من جهة ثانية»[1].

ثم تأكد ولاؤه إلى لبنان وطناً لا طغيان فيه لفئة على فئة أو طائفة على طائفة؛ إلى أن انتهى به المطاف إلى مجتمع لا يدين إلا بدين الوطن والحب.

ولتكن له ديانة إنسانية كبرى موحَّدة، تأخذ من كل المذاهب والأديان، جوهرها لا قشورها وطقوسها الخارجية.

ففي مقالٍ افتتح به «البرق» يوم ٢١ تموز ١٩٢٣، العدد ١٨٨٠، كتب الأخطل تحت عنوان: «لو ملكتُ الأمر يوماً وليلة» صفحات مُضيئة، مفتتحا بأبيات شعرية للشاعر الصوفي ابن الفارض؛ أراد من ورائها التمثُّل بمضمونها وتطبيقه في مجتمعه، شريعةً لا تعرف التعصب والتزمت.. والأبيات هي:

لقد كنتُ قبل اليوم أنكِرُ
إذا لم يكن ديني على دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كلَّ صورةٍ
فمرعىً لغزلان، ودَيرٌ لرُهبانِ
وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ
وألواحُ توارةٍ ومُصحَفُ قرآنِ
أينُ بدين الحُبّ أنَّى توجَّهتْ
ركائبهُ، فالحبُّ ديني وإيماني..

فلو أنه ملكَ أمر وطنه يوماً وليلةٌ فقط، لسَنَّ كل الشرائع وجهَّز كل الوسائل والطقوس لتحقيق هذا الدين الإنساني الوجداي، قائلاً في نهاية مقاله:

«... وكان صباحٌ وكان مساءٌ. فإذا بيومَيْ سيادتي انتهَيَا، ولكنْ بعد أن جعلتُ من هذا الوطن البالي، وطناً فتياً في بُنيته، كبيراً في فكرته»..

كلُّ ذلك، ليقف في وجه الطائفية ومعوقاتها الاجتماعية، وليَحول دون وضعها في

---

(١) راجع باب: المقالات السياسية، فقرة: «في عهد الاحتلال والانتداب»

صلب الدستور اللبناني.

«.. ولا نظنُّ وظيفةً أو ظيفتين أو عشرة أو عشرين، تُضحِّي بها الطوائف اللبنانية، توازي هذا العار الذي ستزداد وصمتُه توسُّعاً وقُبحاً، عندما ننزل الطائفية بمطلق إرادتنا في صُلب دستورنا.»[٢]

المنحى والأسلوب

يغلب على كتابة الأخطل طابع النقد الأدبي الساخر الذي يجمع في طياته التوعية البنَّاءة، وشَحن الأذهان والمشاعر بالأفكار والآراء التقدمية النيِّرة والهمم الإنسانية العالية، من جهة، والطرافة والعبث المتسربل بالهزء والاستخفاف والتحسُّر على غياب القيم والمبادئ الكبرى، لدى هذه الفئة أو تلك من طبقات المجتمع وطوائفه وشرائحه المختلفة، من جهة ثانية نتبين ذلك في كثير من مقالاته الأدبية والاجتماعية التي يبدو فيها باحثاً ومعالجاً لنواقص المجتمع وثغراته وحاجاته، كقوله، وهو يشخِّص واحدةً من أكبر علل التخصص العلمي وتبعات التحصيل العالي:

«فا لطبيب يأخذ من المريض ثمن الدواء وثمن العلم.

وأما المحامون فيأخذون ولا يعطون.

وأما المصورون والشعراء، فلا يأخذون ولا يعطون، إلاَّ إذا كان للخيالات ثمن، وإلا إذا كانت تصلح أن تكون دعامةً لبنيان أمَّةٍ في هذا العام الذي لا يعترف بغير المادة.

هذه هي مدارسُنا، وهذه هي بضائعها. وهي – على شديد تُخمتنا منها – لا تزال تكثر وتنمر، حتى لنخشى أن يجيئ يوم يصبح فيه لكل بيتٍ طبيبُه ولكل بيت محامحيه، ولكل بيتٍ صحافيُّه أو شاعرُه أو خطيبه.

وبعد كل هذا، إذا احتجنا إلى خيط نرتُق فيه ثوباً، شريناه من الخارج؛ أو إلى

---

(٢) انظر مقالته:«مباذا يبرر الطائفيون موقفهم». باب الطائفية – افتتاحية «البرق ٣٠ آذار ١٩٢٦، العدد ٢٥٦٢.

مسمار نغرزه في نَعلٍ شريناه من الخارج..»[٣].

ما أصدقه من قول، وما أشدَّ انطباقه على الواقع العلمي الراهن!!

لئن تصدى الأخطل لهذه العلل، وبسطها بتؤدة على مشرحة النقد، فلأنه أدرك أن الأديب الحقَّ، والصحافيَّ الناجح، والمواطن الصالح، هم – في النهاية، الرجال الذين يرون العيب فيدلُّون عليه ويسلِّطلون الأضواء التي تنير جوانبه؛ ولا يكتفون بذلك، بل يحاولن ما وسعهم، رَتقَ الخروق، ودَمّلَ الجراح، وسدَّ الفراغات، وتقديم كل ما من شأنه شَيدُ البناء على أقوى الأسس والدعائم وأسلم الأركان والجدران.

من هنا نظرتُه المخالفة لواقع حال جريدته اليومية، من إخبارية إعلامية، إلى مجلة تعنى وتُلمُّ بشتئ المسائل التي تتطلب معالجة جادة[٤].

أما اللغة، فله معها غير أسلوب رغير اتجاهك بحسب الموضوع والمناسبة.. تتَّسم مقالاته السياسية، بأسلوب خطابي منبري، يكثر فيه تكرار الكلام، واختصاره الذي إن ساغ للجمهور المتلقي وتبيَّنَه في لحظتها، أشكل على القارئ، البعيد عن صخب المنابر، وما يكتنف النفس من عناصر التعبئة بشتى الحواس والمدركات.

وما أكثر صيغ الانشاء الطلبي لديه، من استفهام وانكار وتعجب، وزجر ونداء وتمنٍّ وما شابه. ولا تفوتنا كلمة بعينها لا يكاد يتخلى عنها في مختلف مقالاته ومحاوراته هي : «أجَل!» التي بدَت وكأنها منطلق لأفكار ومطارحات ومعالجات تضجُّ في ذاته، فيفتتحُها ويُطلقها بـ «أجَلْ»..

على أن هذا الأسلوب الخطابي،لا يبقى على وتيرة واحدة.

فهو تارة عالي النبرة، مُزبدٌ صخَّاب لكثرة الصيغ والمصطلحات التي لا تقال إلا ارتجالاً، ومِنْ فوق المنابر..

وتارةً هادئ رصين، يصدر عن عمقٍ وتؤدة، وحرص على الوفاء بأصول

(٤) انظر مقالته «حاجتنا القصوى الي زرّاع وصنَّاع» في باب: المقالات الاجتماعية.

التعبير وتراكبيه.

أما المقالات الاجتماعية والأدبية، فتتخذ اللغة فيها منحى أكثر وجدانية وموضوعية من المقالات السياسية.. وبخاصة الباب الخاص «ببقايا الذاكرة» الذي عمد فيه الكاتب الى قدراته اللغوية المتنوعة يتبرع فيها أساليب العرض والتذكر والحوار والتحليل، يُنسِّق ما بينها، ويسكُب فيها خُلاصة تأثراته وجميل انطباعاته مع هذا الأديب وذاك، وهذه المناسبة الأدبية أو تلك، بحيث لا يتوقف القارئ عن متابعة القراءة إلا للمزيد، بسبب عنصر الطرافة والصدق الجميل في سرد الوقائع والأوصاف، وسائر عناصر التشويق الأدبي من سياقٍ قصصي مطَّرد وتراكيب رشيقة المتن خفيفة الوقع، حالية الوشذ؛ أضف إلى ذلك هذا الخليط العضوي ما بين الشعر والنثر والأمثال والحكم والأقوال المأثورة، وتلك العاطفة الصادقة التي تشع وامضة بين المقاطع والسطور.

ويقف القارئ المتأمل، حائراً أمام هذا الأديب الفذ الذي يمتشق سيف الكلام، من جهة، ويخطُّ بريشة الفن، من جهة ثانية..

فهو –أي القارئ – عندما يقرأ مقالاته وافتتاحياته السياسية ومذكراته في الحرب، وما بعد الحرب، لا يقول إنه هو صاحب «الهوى والشباب» و «الصبا والجمال» و «جفننُه علَّم الغزل»..

والعكس صحيح.. أي أنه يستبعد أن يكون الأخطل الشاعر، هو نفسه الكاتب السياسي والوطني المناضل، والقلم الحرَّ الجريء..

أيكون ذلك كله، من رَحِم الأصالة التي جعلت الأخطل الصغير، شاعراً أصيلاً وعاشقاً مخلصاً متبتلاً، ومناضلاً أبيّاً ووطنياً فارساً لا يُشَقُّ له غبار؟

لا غرو.. فقد حفلَ تراثُنا بأدباء جمعوا الرصانة والصلابة في الحياة، مع الرقة وخضوع النفس لمشاعر القلب ولُبانات العمر، كأبي تمام والمتنبي والشريف الرَّضي، قديماً، وأحمد شوقي ومحمد مهدي الجواهري ومحمود درويش وغيرهم، حديثاً..

وبوسع أي قارئ الاطلاع على عدد غير يسير من قصائد الحب والغزل لدى الشعراء المذكورين، لأنهم ذوو قلوب نابضة ومشاعر تهيجُها الأحزان ونداءُ القلب، كما تهيجها الرايات الخفاقة وغبارُ الساحات ونشيدُ النفوس العطشى إلى الحرية والسيادة في آن.. وبعد،

فإنَّ عملنا في هذا الكتاب، لم يقف عند حدود الاختيار، والضبط، والمراجعة، بل تجاوزها إلى شروحٍ وتعليقات تناولت الأحداث، والأعلام، والأماكن، والأمثال، وكثيراً من الأقوال والمعاني الغامضة.

الأمر الذي رفع من درجة جهدنا إلى قاب قوسين من التحقيق الذي لاندَّعيه بحالٍ من الأحوال.. مُلتمسين العُذر حيال كلِّ تقصير، من أي نوع كان..

راجين المولى العلي القدير، أن يُثيبنا على قدر ما نستحق!!

د. ياسين الأيوبي

طرابلس – لبنان ٢٨ مخرَّم ١٤١٩ هـ

الموافق ٢٤ نوَّار ١٩٩٨

كيف عرفت
الشيخ اسكندر العازار[1]

بين عام ١٩٠٦ - و ١٩١٤ - مكانة العازار الأدبية - تذكارات قديمة - العازار في مباذله.

ما عرفت رجلاً اجتمع له الجمال والجلال، كما اجتمعا للشيخ اسكندر العازار معتدل القامة، لطيف السمت، ناضر الابتسام، رصين الخطى، أبيض الوجه، مشرب بالحمرة، حسن اللحية، لا يتركها المقص تمتد عرضاً ولا طولاً، حاشا رأساً لها رفيعاً على شكل الإجَّاصة أو قريب منها.

ولكنك إذا جلست إليه، فقد جلست الى صناجة طرب تأخذ النكتة بطرف النكتة، والحديث بطرف الحديث، حتى إنه لا يكاد يجد جليسه منفذاً لكلمة يقولها. فهو وخليل مطران، صنوان في احتكار الحديث، على تباين نوعه واختلاف نغمه، مع تطرف قليل في الأول وتأنق كثير في الثاني.

لقد عرفت العازار وشمسه في الطَّفَل[2]؛ فلم يسعدني الحظ بإدراكه أيام شمسه تتلألأ في متوسط الأفق.

كان العام ١٩٠٦ أو قريباً منه يوم أقيمت حفلة الأربعين للمرحوم نجيب حبيقة[3]، وكنت قبل سنة أختلس فرصة المدرسة لأتردد على إدارة «المصباح»[4] التي كان يرأس تحريرها؛ وكان يتردد عليها يومذاك الصديق يوسف نخلة ثابت، والشيخ سليم الدحداح، فصادفت منه عطفا كثيرا، وتشجيعاً كبيرا حتى نمت له في نفسي العاطفة التي رثيته بها.

وكانت «قاعة مار مارون» غاصة بنخبة أهل الأدب، يوم ألقيت قصيدتي في رثاء «النجيب» فما انفضت الحفلة، حتى أخذ الصديق ثابت بيدي وقال لي: لقد سألني الشيخ العازار عنك، وطلب مني أن يتعرف إليك لإعجابه بقصيدتك.

ولم ألتق بالعازار بعد ذلك اليوم حتى تركت المدرسة؛ وكانت مدرسة الفرير[٥] آخر مراحلي فأنشأت «البرق» سنة ١٩٠٨، والعازار يومذاك منصرف الى جريدة «الوطن» لصاحبها شبلي بك ملاط[٦]. ولم يأنس الى «البرق» إلا في أواخر عام ١٩٠٩، وهو العام الذي قدم فيه الرصافي[٧] إلى بيروت لأول مرة من بغداد، وكان واسطة عقدنا. ومنذ ذلك الوقت اتصل الشيخ اسكندر العازار «بالبرق» وتوثقت لنا تلك المودة، وفاض علينا ذلك النور، وشرع «البرق» يحمل الى قرائه مقاطع من خطبه العديدة القديمة والحواضر، و «الترلي ترلي» وغيرها من تلك الأطايب التي كانت خمورا معتقة.

لم يكن العازار منصرفا الى الأدب. فهو كان يأتيه لماما، نزولاً عند طلب جمعية خيرية أو تنفيساً لعاطفة، او انتقاداً لخلل. ولقد كان مع ذلك ركنًا من أركان النهضة الأدبية، لم تنطو الصحف على أسلس من عبارته، وأعذب من نكتته، وأحلى من خياله.

لقد قال لي مرارا: إنني رجل مالي أو رجل اقتصادي؛ فإذا كنت أواصل الأدب فإنها مواصلة شغف: «amateur» فكنت أغرق في الضحك لقوله عن نفسه إنه رجل مالي او اقتصادي (لم أعد أذكر الكلمة). فكان يفهم سر ضحكي، فينقلب ضاحكا معي.

والحق أن العازار شب واكتهل في إدارة «بنك سرسق» حاسباً مالياً اقتصاديا، ولكنه، لسوء الحظ، لم يكن هناك أبعد من الحساب والمال والاقتصاد، عن تصرفه.

وعلى ذكر المال هناك فقد رأت بلدية بيروت عام ١٩١٠ أن يعقد قرضاً بمئة ألف ليرة عثمانية،. فتقدمت لإقراضها هذا المبلغ، بالاتفاق مع بيت مالي في اوروبا. وكان الشيخ اسكندر يضع لي اللوائح، ويتولى الدفاع عنها، ولقد عثرت بين أوراقي على عريضة كتبها بخطه، أطلب فيها الى البلدية مهلة للبت في قضية القرض، فرأيت أن أحفرها على الزنك كأثر عزيز وذكرى جميلة، وهذه هي :

لجانب رئاستي بلدية بيروت الموقرة

المعروض لجنابكم وللمجلس البلدي الموقر، ومن مُوقِّع هذه العريضة، بشارة الخوري، صاحب جريدة «البرق» العارض إقراض البلدية مبلغا ( ) بشروط معلومة.

إنه في جلسة عقدت أخيراً، تقرر إعطائي مهلة عشرة أيام لكي يثبت المقرض اقتداره المالي. ومع أن مثل هذه المخابرات المهمة، تستلزم حصولها من البوستة[٨] لاستكمال الإيضاحات. لقد عمدت الى المراسلات البرقية، ولكن عناصر السماء حالت دون رغبتي ورغبتكم في إنجاز هذا العمل بأقرب ما يكون. فالعواصف التي هبت كل هذه الأيام، كما تعلمون، وكما لا شك قرأتم أخبارها في الجرائد، والثلوج المتراكمة التي وصلت حتى صواري – بيروت قطعت الأسلاك البرقية، ومنعت المخابرات التلغرافية، فيما أن القوة عالية سماوية، كما تشاهدون. فمن البديهي وجوب الانتظار أياماً، لا تقل عن خمسة عشر، حيثما أنتم (والعاجز)[٩] يتمكن من خدمة بلدية بيروت العزيزة خدمة صحيحة.

فالمسؤول أن تحلوا طلبي محل الاعتبار، وأرجو قبول مزيد إكرامي وإخلاصي.

٢٧ شباط ١٩٢٠

قلت: لقد اتصلت بالعازار بعد أن اصفرّت شمسه ولكنه بقي محتفظا بذلك الشعاع الضحاك، ينفذه إلى نفوس صحبه، وتلك الشوارد العطرة، يضمخ بها الجو الذي يظله.

لم يترك العازار آثاراً كبيرة، لأنه كما قلنا، لم يمارس الأدب لصنعة، ولكن في القليل الذي تركه ما هو أثمن من الدر وأنفح من العطر.

فكان كالمنهل العذب يتسابق الوراد إلى ارتشافه، أو الثمر الشهي يُدعون إلى اقتطافه.

وإنني لا أزال أحفظ من آثاره أبياتاً لي مكتوبة بخطه الفارسي الجميل، رفعتها، في عيد الجلوس[١٠] سنة ١٩١٠ إلى حازم بك والي بيروت، أستنهضه للإفراج عن جريدتي، وقد عطلها المجلس العرفي لأجل غير معين، وحكم بغرامة ستين ليرة عثمانية، وذلك على أثر ضرب السفن الطليانية مرفأ بيروت، وإنشاء مقال فُسِّر لأعضاء المجلس العسكري أني أُلمع إلى إيثار الراية الفرنساوية، وذلك في مقابلة شعرية بينها وبين

الراية الطليانية[١١]. ورأيت أن أخلد هذا الأثر بالزنك، للدلالة على ذلك الحب الصادق، والعطف الكبير اللذين كان يحيطني ذلك الصديق بهما – أما الأبيات فهي هذه:

مولاي

أبـــا بـــكـــرٍ ظَـــلـــمْتَ وأنتَ والٍ
فـــرُدَّ لـــنـــا زمـــانَ الـــراشـــديـــنـــا
أُخـــذتُ – وأنـتَ تَـــعـــلـمُ – دون ذَنبٍ
وسَلْ مَنْ شـئْتَ يُـخـبـركَ الـيَـقـيـنـا
فـإنْ أكُ مُـذْنـبـاً – لا كُـنْتَ (لـيـهـا)
فـإني جـاعل رأسي ضـمـيـنـا
وإن أنـــا لـم أكنْ إلاّ بـــريـــئـــاً
أعِـنـدكَ أنْ أكـونَ ولا تـكـونـا؟
يـعـزّ عـلـى الـعـدالـة أنْ تَـراني
فـتُـغـمض من تـأثـرهـا الـعـيـونـا
ولـــولا أنـتَ والأمـلُ المُـــرَجّـى
لـكـانت تَـملأُ الـدنـيـا أَنـيـنـا
أتى عـيـدُ الجـلـوسِ فـأيُّ شـعـرٍ
إذا يُـنـشَـد سـمـعتَ لهُ رنـيـنـا
أيـنَـطـلـقُ الـغَـرابُ عـلـى هَـواهُ
ويـبـقى الـبـلـبلُ الـشـادي سـجـيـنـا؟
ويُـجـزى المخـلـصـون كـمـا جُـزيـنـا
وَيـشـقى الـصـادقـون كـمـا شَـقِـيـنـا؟
وعَـدْتَ الـعـفـوَ مُـدَّ لهُ يمـيـنـاً
فـيُـكـرمَـهـا أمـيـرُ المـؤمـنـيـنـا[١٢]

بشارة عبدالله الخوري

صاحب البرق

بيروت ٢٧/١٤ نيسان ١٩١٢

لم أدرك العازار خطيباً يرقص المنابر، بل لم أدركه محفلاً من تلك المحافل الخطابية التي تاهت بها بيروت على سائر المدن العربية، فقد سكت العازار وسافر فياض، وطراد وخار البستاني والحوراني وغيرهم من إخوانهم، وأنا بعد ضمن، جدران المدرسة. لقد جئت في الزمن الأخير ولكن «ما يرى وما لا يرى» و«زمور فرنكلان» و «جرائدهم وجرائدنا» وأخيرا هذه (الحواضر)[١٣] التي كانت سمر الأدباء وفاكهة الندامى، ثم تلك المقاطع الشعرية البارعة، تكفي لتضع العازار في المقام الأول بين أدباء عصره وقادة الأدباء من بعده.

وبعد فاسمع إلى هذه النغمة الناشئة من شعره:

يا ترابَ الحبيب فيكَ فتاةٌ
كلُّ أرواحنا تَحِنُّ إليها
هي كانت عليكَ ألطفَ ظلٍّ
أيها الترابُ لا تُثَّقلْ عليها

وكانت قد ملكت عليه السويداءُ مشاعره، فأدمن على الشراب[١٤]، فكان ينهض من نومه، ليستحمَّ ويلبس ثيابه، فيجلس قليلا إلى مكتبه، ثم يخرج من البيت فيُعرِّجُ على صيدلية صديقه رشيد أفندي بدُّورة على مفرق المخلِّص، فيأخذ كأساً من «الأمير» (وكان هذا شرابه) ثم يمر بصيدلية (اختيارنا) داود افندي نحول فيأخذ كأساً أخرى، حتى يصل الى إدارة «البرق» حيث يكون (كل شيء جاهزا) فيبدأ عمله نقرة في القرطاس ونقرة في الكاس.

ولم يكن العازار، على ما يتوصمه[١٥] الناس، ملحداً. فلا أذكر أنه جلس على الطعام إلا وقد رسم إشارة الصليب. وكان لا يغفل ذلك – وقد قاله لي – عندما يجلس الى طعام، عليه غير النصارى. وما برحت أذكر إشارته، عندما كنا نأكل في الإدارة بيضتين مسلوقتين، مع قليل من النعنع الأخضر وشيء من الزيتون الأسود.

ما عرفت رجلا أخف روحاً من العازار، ولا ألمع نكتة؛ ونوادره كثيرة لا يتسع لها المجال هنا. ولكنني سأصطادها السانحة بعد السانحة.

ولا أذكر حادثاً وقع لي معه، إلا وقد ضحكت لنفسي – جاء الإدارة يوماً بعدما مر (ببدُّورة ونحوُّل) وأطال الإقامة، وكانت الإدارة مقفلة بفرصة الظهر؛ وقد رحبت وهو بعد لا يزال على السلم؛ وإذا آثار بول على الحائط قرب الباب، فنظرت إليه وضحكت. فقال «جِيتْ ما شفتك. حِطَّيْتلَّكْ كارت ڤِيزيتْ».

هذا ولا أنسى – وكنت لا أزال في جنون الصِّبا – كيف كان يُعنى الصديقُ العازار «بالبرق» عناية الجدِّ بحفيده الصغير؛ يعينه عليه الصديق الأوفى والكاتب القدير: يوسف أفندي نخلة ثابت؛ حتى لَيَستمرَّا الأسبوع والأسبوعين، دون أن يعلما على جناح أيِّ سحابةٍ أنا طائرٌ، أو في قلب أيِّ مهواةٍ أنا غائر.

ألا رحم الله ذلك البدر الذي أنار أفق الأدب العربي حقبةً من الدهر، وما برح يُرسل شعاعه من خلل ذلك القبر المكفَّن بوفاء هذا القلب وحنانه، ورحمة الله ورضوانه.

البرق، ١٩٣٠، عدد: ٣٣٦١، ص : ٦ – ٧

****

كيف عرفت
معـــروف الرصـــافي[1]

سبقت معروف الرصافي شهرته إلينا، بما كانت تنشره له صحف مصر، قبل إعلان الدستور[2]، من غرر القصائد، تنبعث منها لفحات الحرية، ويتطاير عن جوانبها شرر الوطنية، حتى اعتقدنا أن معروف الرصافي اسمٌ مستعارٌ لشاعرٍ عراقي كبير، وإلا فكيف يجسر رجلٌ يظله خيال عبدالحميد، ورجال عبدالحميد، على بعث هذه الثورة في قلب البلاد العثمانية، وينفخ في موقد الإصلاح الإسلامي، في بلدٍ كبغداد حيث تسود الرجعية الدينية وتطغى؟

فإذا أنت قرأت له في «سجن بغداد» وهي من أبرع قصائده:

بلادٌ أناخَ الذلُّ فيها بكَلكَلٍ
على كل مفتول السِّبالين أصيْدِ

ثم إذا قرأت له قصيدته «التربية والأمهات» :

وقالوا شِرعَةُ الإسلام تقضي
بتفضيل الذين على اللواتي
لقد كذبوا على الإسلام كِذباً
تزولُ الشُّمُّ منه مُزلْزلاتِ

شككتُ في أن يكون الرصافي اسماً من لحم ودمٍ، يُستهدف لنقمة السلطان ومن تحت قدميه البوسفور، ثم لِمَنْ في بغداد من الرجعيين وهم حَربٌ على رجال الإصلاح، يخشون منهم أن يقطعوا ما بينهم وبين العامة، فيهوون صغارا ويموتون جوعا.

ولكن معروف الرصافي لم يلبث أن قدِمَ بيروت في أوائل شباط سنة ١٩٠٩،

فاجتمعنا إليه لأول مرة في «قهوة البحر» وقد ذهبتُ إليها مع الشاعر المعروف أسعد أفندي رستم[٣]، فإذا هو يحيط به الشيخ رشيد رضا[٤] والمرحوم الشيخ محيي الدين الخياط[٥] والشيخ مصطفى الغلاييني[٦] والمرحوم الشيخ محمد ياسين ومحمد أفندي الباقر. ولقد كان الرصافي، كما هو في هذا الرسم[٧] ، مجبباً معمَّماً، فذكَّرنا مجلسه معنا، تلك المجالس التي تقرأ عنها في كتب الأدب، عندما كان يجلس النابغة بين شعراء المدينة، ينصتون إليه ويقومون على تبجيله.

ولقد كان الرصافي، على ما أذكر، يَطرَب لطريقة رستم، حتى كثيرا ما كان يقاطعه قائلا: هذا هو الشعر!.

ولكنَّ الرصافي الشاعر، يفي الكأس كما يفي القرطاسَ حقه. فما لَبثنا أن انتزعناه – ممتناً – من حلقةٍ قطبها **الشيخ رضا**، إلى حلقة أخرى قطبها العازار، وما أدراك بالفرق بين الحلقتين.

وكان «الكلوب» وهو مكان يجابه «مدرسة الثلاثة أقمار» مقراً ليلياً لنا، ونحن عصبة من أعضائها المرحوم الشيخ يوسف أبي صعب، وسعيد صباغة، وإميل خوري، وأسعد رستم، وديب العم، ويوسف نخلة ثابت وجرجي نخلة سعد، وأمين تقي الدين، والياس فياض، صيفاً، لأنهما كانا يشتوان في مصر، وغيرهم من الأدباء وعشاق الأدب. ولا تزال تلك الليالي أعذب ذكريات الماضي، لجميع الذين ترشفوا زلالها وتفيأوا ظلالها.

ولم يطل الرصافي مقامه في بيروت، لأنه كان في طريقه إلى الآستانة، وقد دعي إليها ليتولى إنشاء جريدة «إقدام» العربية. ولكنه لم ينقطع بروحه عنا؛ فلقد جعل «البرق» روضته ينشد فيها أغانيه الخالدة. وكان أول ما تلقيناه منه، عن الآستانة، الرسالةُ الآتية المؤرخة في ٣ شباط، سنة ١٣٢٤ هـ[٨] ،[الموافق للعام ١٩٠٦/١٩٠٧م.]، ينشرها البرق بخط الرصافي[٩].

وعاد الرصافي من الآستانة، في أواخر آب ١٩٠٩، فأقبل تواً على إدارة «البرق» –

عادة معظم أدباء ذلك العهد. وكنا ساعتئذٍ نَهمٌّ بنزهةٍ في الجبل. فلم يتردد الأستاذ في قبول دعوتنا، لا سيما وقد كان الريحاني[١٠] في الفريكة؛ فأطبقنا به واحتللنا صيوانه[١١] وقد كان يصحبنا الفكه المرحوم الياس خليل شديد، يمتعنا بنكاته حيناً وبصوته حيناً.

في الحق، إنها متعة الأنفس ومشتهاها: «الرصافي والريحاني» يتلاقيان لأول مرة، تحت وابلٍ من الأحاديث العلمية، والآراء في الألوهية وتأثير القمر بالجاذبية، ومكان المرأة الشرقية من الرجل، إلى ألف «ضربة» أخرى؛ لا بل نسيتُ وقفتهما أمام مكتبة المُضيف العزيز[١٢] برهةً، يتناوبان كتبها.

لا أكذب.. إنها نبراتهما كانت تقع في أذني، وأنا ورفيقُنا جالسان إلى سفرة اعتنت بها سيدة المنزل الجليلة أيما عناية، فكانت كؤوسنا تُقهقه سراً وعلانيةً، حتى أيقظتْهُما من ذلك البُحران، فهرولا إلينا وشاركانا بما لدينا.

وودعنا الريحاني في الصباح، نضربُ إلى بيت شباب، فبكفيا، فالشوير، فبْحَنِّس، وقد اجتمعنا فيها بالمرحوم الشيخ كنعان الضاهر، وكان يومئذٍ قائمقام المتن. ثم هبطنا بْعَبْدات عند الظهر، فسِرنا إلى منزل المرحوم نعوم اللبكي[١٣]، فكانت لنا فتكة بالكُبَّة والبصل. ولم يُفلح معنا غيرهما من ألوان الطعام، حاشا الجبنة الخضراء والقهوة البيضاء.

ولم نكد ننزل إلى بيروت، حتى تلقيتُ من الصديق الريحاني الرسالة الآتية، ولقد رأيتُ لها مجالا هنا.

عزيزي بشارة

إن يوما قضيته عندنا مع شاعرنا الرصافي المحبوب وذاك (الشديد) المضروب، لكوقفة الحسون على غصن الزيتون.

أما «البرق» فلا يفوتُك إرساله مع الموزع، كي لا يضيع في المدينة عند الأصحاب.

وما من أحد يكره البرق في الظلمات. ولا لوم على مَنْ يختطفُ مثل هذه الجريدة. فإن بعض الأشياء المقدسة مُتسامحٌ بسرقتها، في بعض الأحيان. و «البرق» عندي من هذه الأشياء. فإني وإن كنتُ لا أجد فيه دائما ما أتمناه، أنسى، عندما أطالع صفحاته المتقنة المرتبة الجميلة الظاهر والباطن، ما يتطلبه العقلُ دائما من بنيه والحقيقةُ من أنصارها. على أنكم لم تقصروا، والله في خدمة الاثنين ونصرهما. قوّاكم الله ووفقكم في جهادكم.

صديقكم أمين

وعاد الرصافي إلى بغداد. وكنتُ قد اقترحت عليه إثر نزولنا من الجبل، نظم قصيدةٍ في لبنان. فما هو أن استقر في بغداد حتى جاءني منه كتابٌ أشار فيه إلى هذه القصيدة؛ فرأيت إثباته هنا بخط صاحبه، لترى حكومةُ اليوم، أننا منذ ذلك العهد، ونحن نعمل في سبيل لبنان، وتحبيب الناس بالاصطياف في لبنان، دون أن نمس خزينة الحكومة كما هو حادث الآن.

ولقد كان للقصيدة التي نظمها شاعر العراق في لبنان وقعُها المستحب؛ فتناقلتها الصحف في سوريا، ومصر، وأميركا، حتى اقترح بعضها إقامة حفلة تكريمٍ للرصافي في مدينة بيروت، ليعرب له اللبنانيون عن شعورهم نحوه وتقديرهم تلك العواطف الطيبة التي ترقرقت على قصيدة الجميلة؛ فحال دون ذلك أسباب لا نذكرها. ولقد كنا نقترح على الحكومة اللبنانية أن تمنح الرصافي وسام الاستحقاق اللبناني أسوةً له بشوقي وحافظ، لولا علمُنا بشذوذه في مثل هذه الأمور.

وبعد فهذا كتاب شاعر العراق.

أخي ومولاي

أخذت كتابك، فطربت لصدق إحساسك، وعلو تصورك، ونزاهة مقالك. وها هي سيكارة أمامي، يتصاعد دخانها في الفضاء وخيالك نصب عيني، غير أنه يتلاشى في

بحر دخانها في الفضاء.

وقد أخذت تلغرافك أيضا، قبل كتابك ولم أجبك عليه، لأني على وشك السفر إلى بلادك ولأني أخذت عدة تلغرافات من مفاخرٍ[١٤] بك وأجبته عليها. أما تأخري عن السفر فلعدم وجود عربيات في بغداد. فأنا أنتظر ورود بعض العربيات من حلب الشهباء على ما يقولون قريبا ونسافر.

كتبت على غلاف رسالتك : (لا تنس قصيدة لبنان) وما كنت لها ناسياً ، ولكن الشواغل كانت مانعة عنها. غير أن كلمتك هذه منحتني قوةً تغلَّبتُ بها على تلك الشواغل فراجعت شيطاني في الشعر، فطاوعني حتى أخذت أكتب قصيدةً تم منها الآن زهاء أربعين بيتا. غير أنها لم تستوف المرام بعد بتمامه. وأنا أذكر لك هنا شيئا عنها تستأنس به حتى إذا ما تمت أرسلتها إليك، أو جئتُ بها معي هدية.

من نسيم جو العراق الهاب على شطوط دجلة والفرات، أبى شيطان الشعر إلا أن أقدم شيئا من النسيب في هذه القصيدة فقلت في مطلعها:

برزت تميس كخطرة النَّشوانِ
هيفاءُ مخجلةٌ غصونَ البانِ

وبعد أن كتبت عدة أبيات في النسيب، تخلصت إلى ذكر لبنان فيها بقولي:

لم أنس في قلبي صعودَ غرامها
إذ نحن نصعدُ في ربى لبنانِ

وهنا وصفت لبنان بأبيات ثم أخذت أخاطب صاحبي بشارة والياس[١٥]، بقولي:

يا صاحبيَّ أتذكران فإنني
لم أنس بعد كما سرى النسيان
إذ كان يغبطنا الزمان ونحن في

وادي الـفـريـكـة مـنـبت الـريـحـاني

وهنا أخذت أَهيمُ في وديان لبنان، وهضابه ضارباً صفحاً عن ذكر «حوملٍ والدَّخول» إلى ذكر «بيت شبابه» و «بكفياه»[١٦] وعن ذكر «الغدير» إلى ذكر «الشوير» تخلَّصت إلى ذكر أهل لبنان بقولي:

تـلك الـربى أمَّـا الجـمـالُ فـواحـدٌ
فـيـهـا وأمَّـا أهـلُـهـا فـاثْـنـانِ
رَجلٌ يَـسـيـرُ إلى الـنـجـاح وآخـرٌ
يـسـعى وغـايـتُه إلى الخُـسـرانِ

وأخذت في هذا الموضوع بما ستقرؤه ولم أدر هل أسقط هنا في سخط أهل لبنان الكرام أو في رضاهم.

وصلتني أعدادُ «البرق» وقدَّمتُ الأعداد الخمسة منه، إلى جميل أفندي الزهاوي[١٧]، وهو يشكركُ ويقرئك السلام، كما يقرئك السلام مشغوفاً بكل حب واحترامٍ، محبك وأخوك.

معروف الرصافي

٢٣ تشرين الأول: ١٣٢٥هـ/ [١٩٠٧م.]

ولم يُقم الرصافي في بغداد طويلاً، حتى أبرقنا إليه بالحضور، بناء على برقية من الآستانة، تأذن بتعيينه أستاذا للعربية، في مدرسة الحكومة، مع تحرير جريدة كان قد أزمع على إصدارها باسم «سبيل الرشاد». فنزل الرصافي في بيروت على قلوبٍ تشتاقه وترتقبه. وكنتُ قد هيَّأتُ مجلساً في «الكلوب» جمعت فيه بين الشيخ عبدالله البستاني[١٨] وبينه، فكانت حلقة بديعةً، كتبت على أثرها في «برق» ٤ ك١ من عام ١٩٠٩ هذه الشاردة:

«هي ليلةٌ التقى فيها الرصافي والبستاني. وكان «الكلوب» نقطة الدائرة».

وكنَّا، باركَ اللهُ – نحواً من خمسة عشر (ذاتا) – على لغة لبنان الرسمية – وكاد يُوحشنا شيخُنا العازار لولا الذي أنشده داود مجاعص وإميل خوري من شعره،

ووقف له الرصافي إعجابا[١٩].

وشرب البستاني نخب زميله، فقال:

إني لأشـــربُـــهـــا عـــلى ذِكـــرِ امـــرئٍ
هـــو بـــالـــبلاغـــة والـــنُّـــهى مـــعـــروفُ
إن كـــنتَ تـــنـــكـــره فـــلـــيس بـــضـــائـــر
أبـــداً عـــلـــيه، فـــإنه مـــعـــروفُ

فرد عليه الرصافي بقوله:

إني لأشـــربُـــهـــا عـــلى شـــرف الـــذي
الـــفـــضلُ فـــيه لـــيس بـــالمُـــتـــنـــاهي
إن الـــفـــصـــاحـــة والـــبلاغـــة والـــنُّـــهى
والـــفـــضلَ أجـــمع، عـــنـــد عـــبـــدالـــلهِ

ثم كانت ليلةٌ أخرى، حضرها العازار وأنشدنا الرصافي فيها قصيدته «العالم شعر» فما هو أن انتهى منها حتى استكتبنا العازار هذين البيتين:

«ألا إنَّ هـــذا الـــشـــعـــرَ من أبـــدع الـــشـــعـــر»
فلا تـــعـــجـــبـــوا إن كـــان في شـــعـــره سُـــكـــري
ولا تـــــعـــــجـــــبـــــوا إن كـــــنتُ أهـــــواه إنَّهُ
«عـــيـــونُ المـــهـــا بـــين الـــرصـــافـــة والجـــســـر»[٢٠]

ومضت لنا ليالٍ على هذا النمط. حتى إذا هَمَمنا بالانصراف، نادى «أبو متري» «قيِّم الكلوب» بالخادم «فُوْت عالأُوضة كنِّس أشْعار»!

ولقد جمعت بين الرصافي والبستاني والعازار، في رسمٍ واحد، فكان أحسن أثرٍ في تاريخ الأدب العربي. وقد ظهر فيه الرصافي بالبذلة الإفرنجية التي كان يرتديها عند خروجه من بغداد، حتى إذا عاد إليها، عاد إلى جُبّته وعِمَّته.

وقد كتب الشيخ عبدالله، تحت هذا الرسم، هذين البيتين:

إنْ نِـــلْتَ يـــا بَـــيْنُ مِنْ أجـــســـادنـــا طَـــبَـــعَتْ

فيـهـا، لـشـاكي الـنـوى الأنـوارُ أشـبـاحـا
تـخـالُ أرواحَـهـا رُوحـاً إذا اجـتـمـعتْ
وإن تـنـاءتْ تَـخـالُ الـروحَ أرواحـا

وأصبح الرصافي بعد ذاك، مبعوثاً[٢١]. وغامر مع مَنْ غامر في السياسة، فأصبح مقامُه في بيروت، كما يحط الطائر على الغصن. ولكنه كان لا يزال يحمل لواء الشعر العالي في الشرق العربي. غير أنَّ خروجه من بغداد، وملامسته الحضارة الغربية رقّقت من ديباجته الأولى، فلم يزد ذلك من قيمة شعره القديم الذي انفطر عليه فهو ما برح عندي شاعر «السجن في بغداد» و «التربية والأمهات» و «أم اليتيم» و «العالم شعر» و «اليتيم في العيد» و «الصديق المضاع».. وكلها مما نظمه الرصافي يوم كان عندنا «اسماً مستعارا» لشاعر محجوب. هذا عدا قصيدة «اليتيم في العيد»: فلقد بدأ بنظمها في الآستانة لسفرته الأولى إليها، وأتمها في النزهة القصيرة التي صرفناها معاً في الجبل.

وإنه ليؤلم الأدب والأدباء، أن يكون حظ الرصافي، ذلك الشاعر الذي حمل بقصائده الثورية على العرش الحميدي، وهو في قلب بغداد، أيام كان معظم القائمين في الأمر هناك، يتهالكون على نظرة رضىً وتعفير جبينٍ، أجل: إنه ليُؤلم الأدب والأدباء، أن يكون الرصافي مغموطاً حقه، مجنياً عليه؛ ولا يأكل الآكلون اليوم، سوى الفتات التي كانت تتساقط، في ذلك العهد المخيف، عن موائد الصحف الحرة والأقلام الحرة؛ فأين همُ الذاكرون؟.

بشارة الخوري

البرق، ١٩٣٠، عدد: ٣٣٦٤، ص: ٩٠٨

****

كيف عرفت

الشيخ يوسف أبي صعب[1]

كان في عداد من سلبتنا الحرب العالمية، الشيخ يوسف أبي صعب المتشرع القدير. وقد كان له مشاركة في الأدب، يتناول الشعر فيرسله، على الغالب، زوجين زوجين، بعد أن يصوغه في قالب حسنٍ على معنى دقيق جميل.

فمن شعره وقد اقترحته عليه إحدى السيدات على «رأس العين» في بعلبك:

يا بَعلبكّ، مدينةَ الشمسِ التي
ناغت قبابُك مَطْلِعَ القمرَيْنِ
لو لم تكوني مَنْزلاً للشمس ما
طَلَعَتْ كواكبُها برأس العينِ

ومنه، وقد ذهب لنزهة مع بعض أصدقاء، إلى نهر الكلب، وفيه إشارة إلى الخرافة القائلة بأنَّ ديانا إلهة الأَحراش أقامت على مياه نهر الكلب أرصاداً:

كُنوزٌ نَحَوْناها على مَتْنِ ضُمَّرٍ
وأَرصادُ نهرِ الكلبِ فُكَّتْ من الضَّرْبِ
وإنِّي لأرصادِ الكنوز وأصلُها
وُقوفٌ أَمام الأُسْدِ في الموقف الصَّعْبِ

وكان على ظاهر الشيخ يوسف أبي صعب، مسحةٌ من العَنْجهية، وفى حديثه نبرةٌ فيها شيء من العنف، قد تنبوان بك عنه لأول مرة. حتى إذا عرفت أن تمزق هذين الحجابين عن نفسه، وعرفت كيف تستميله بقليلٍ من المصانعه، أنست إلى مجلسِ طربٍ نادرِ المثيل؛ قد يكون هو محور النكات التي يُرسلها الإخوان من كل جانب.

ولقد كان – كما رأيت في حديثنا عن العازار والرصافي – أحد أركان الحلقة الأدبية، لا يكاد يتغيب ليلة. كان إذا تأخر طلبناه بجميع الوسائل، وبعثنا في أثره

الرسل نحمّلهم إليه ما نكون قد اختلقناه مما نعرف أنه يدفعه إلينا مسالماً أو محارباً راضياً أو مغاضباً.

ولقد كان له شيطانان لا يزايلانه: أنا وإميل أفندى خوري، يحاول كل منا أن يطعن في الآخر عنده، مختلقاً له عن رفيقه كل كلمة تُسيئه. فمن سَبَق إليه رمى بصاحبه في هوة غضبه أياماً إلى أن يعمل الإخوان على إصلاح ذات البين، فنجتمع على مائدة تتصافح فيها الكؤوس والنفوس، ثم لا نلبث بعد أيام أن نعيد الكرة. وهكذا دواليك.

ولقد كنا في الأشهر الأولى من الحرب العالمية – أي قبل دخول تركيا في الحرب – تجمعنا «قهوة المرصد» – كاريون اليوم – وفينا الشيخ عبدالله البستانى، والكونت طرازي، وكامل بك حمية، وشقيقه فؤاد بك، ويوسف نخلة ثابت، وجرجي أفندي نقولا باز، والأستاذ جبرائيل نصار، وإلياس أفندي الريف، والمرحومان يوسف خطار غانم، ويوسف عباس الحلو وغيرهم. وكنا نعتقد يومئذٍ أن الحرب لن تطول أكثر من أشهرٍ معدودة. فرحنا نقطع الأيام في القهاوي قتلاً للملل، وكانت لعبة «المتشكا أو البطشكا» دارجة في تلك الأيام. فأخذنا بعض دروسها على يد أستاذنا شبلي بك ملاط والمرحوم يوسف خطار غانم الذى كان يردد مفاخراً «أنا رب الطشكا في هذا البلد». (فيطيّب) له شبلي هادراً بغمغماتٍ من شعر المهلهل في كليب «لو كنت حاضر أمرهم لم يَنْبسوا»[٢]

وأقبل الشيخ يوسف يوماً يحمل ورقة؛ فانتبذ ناحيةً ودعانى إليه. فإذا هو قد نظم ثلاثة أو أربعة أبيات في مدح المرحوم الدكتور حبيب درعوني – وقد كان من أبرع أطبائنا – أذكر أنه ابتدع معنى جميلا في البيت الأخير، ولكنه لم تتفق له صياغته كما يجب؛ فرحنا نقدح الفكرة معاً حتى استوى له. فنهض ينفض السرور عن جانبيه. وقد كنت حفظت الأبيات تقريباً ولا سيما البيتُ الأخير. فعدت إلى يوسف خطار غانم، وقلت له: ما قولك في أبيات تقدمها باسمك إلى الدكتور درعوني، وهو صديقك الحميم، وقد شفي من مرضه؟ فأدرك أن في الأمر لعبة، فكشفتها له. فنهض للحال، وكتب ما هو قريب جداً من الأبيات الأولى، والبيت الأخير بحرفه. وقد وضع الأبيات ضمن إطار، وقدمها للطبيب درعوني، في ذلك اليوم. فعلقها هذا على جدارٍ في حفلة بيتية صغيرة.

ولسنا نحدثك عن الموقف في اليوم التالي، عندما جاء الشيخ يوسف بأبياته، بعد أن ضربت لها الطبول. فإذا هو يراها معلقة بتوقيع يوسف خطار غانم.

لقد اصطلينا حرباً ثانية منذ تلك الدقيقة، وكاد يكون حطبها المرحوم يوسف غانم لو لم ينقذه إخوانُ «المرصد» منه. أما أنا فلبثت متوارياً أسبوعاً لا أجرؤ على الظهور، حتى عملت على تبرئة نفسي، أن زعمت أنني لكثرة إعجابى بالأبيات ، حفظتها ورويتها لغانم، عن سلامة نية، ففعل هو فعلته المقوتة، ومن ثم عادت المياه إلى مجاريها.

لم يكن في القلوب، أطيب من ذلك القلب، ولا في المروءات أعظم من تلك المروءة، بل لم أعرف ذاكرة – بعد ذاكرة الأستاذ حبيب أسطفان– أحفظ من ذاكرة الشيخ يوسف؛ وهو فوق ذلك، قد كان حجة في الشرع الإسلامى؛ تقف الفتاوى على بابه، فيجلو غوامضها، ويفك مشاكلها، ولكنها خفة الشباب، كانت تغرينا بذلك العبث البريء، والهفوات الصغيرة، فيغسلها هو بفيض من مكارم أخلاقه ويرسل عليها بوارق مستعذبة من شفتيه وعينيه.

ولقد عثرنا بين أوراقنا المبعثرة، على أبيات نظمناها له تهنئة في ميلاد طفلته عام ١٩١٥، على نية أن يتيح لنا الزمان مجلساً مطمئناً نقرأها فيه، فإذا الدهر يواصل تهجمه، والحربُ تواصل ويلاتها، والإخوان يتبعثرون في كل مكان؛ حتى بلغنا ويا لهول ما بلغنا– أن الشيخ يوسف، مات بالتيفوس، وكان ذلك على ما نظن: عام ١٩١٥؛ فكان خطبه خطب العلم والأدب والظرف والمروءة.

وإني ناشر هنا القصيدة التى أشرت إليها، وقد سلكت فيها الطريقة التى أعرف أنها تهزه وتلذه:

أهلاً بـــهـــا كـــالـــقـــمـــرِ
في مُـــسْـــتَـــهـلِّ الـــشَّـــهَـــرِ
لـــهـــا ابـــتـــســـامُ الـــزَّهَـــرِ
لـــقَـــطَـــراتِ المَـــطَـــرِ
ونَـــغَـــمَـــاتُ الـــقَـــمَـــرِ
لِـــنَـــسَـــمـــات الـــسَّـــحَـــرِ

☆☆☆☆☆

يـــا حُـــسْـــنَـــهـــا فـي الـــصِّـــغَـــرِ
دراجـــــــةً فـي حُـــــــجـــــــرِ
لِـــسَـــيـــدٍ مُـــشَـــهَّـــرِ
مُـــــــرأَّسٍ مُـــــــصـــــــدَّرِ
عـلامَـــــــة مُـــــــقْـــــــتَـــــــدِرِ
مُـــــحـــــدِّث مُـــــحـــــرِّر
مُـــعـــيـــد فـــقْـــه زُفـــر [٣]
ولـــغـــة الـــزَّمَـــخْـــشَـــرى [٤]
ومُـــرْقـــصـــاتِ الـــبُـــحـــتـــري
ومُـــعـــجـــزاتِ عَـــنْـــتَـــر
مِـن آل صـــــعـــبِ الـــــغُـــــرَرِ
مـــا فـــيـــهمُ غـــيـــرُ الـــسَّـــرِي

وحُـــســـنُـــهـــا فـي الـــنـــظـــرِ
وهْـي بـــعُـــمْـــر الـــقَـــمَـــرِ
طـــالـــعـــةٌ فـي نَـــفَـــر
من تِـــرْبِـــهـــا، مُـــزْدَهِـــرِ
مـــصـــونـــةٌ بـــالـخَـــفَـــرِ
مـــحـــفـــوفـــةٌ بـــالـــطُّـــهُـــر
هـــاديـــةٌ بـــأثَـــرِ
لأمـــهـــا، مُـــشْـــتَـــهَـــرِ

وحـــسْـــنُـــهـــا فـي الـــكِـــبـــرِ
قُـــرْبَ فـــتىً مـــنْـــحَـــدِر
عـن والـــــدٍ ذي خَـــــطَـــــرِ
مـــــؤمَّـلٍ مُـــــؤَمَّـــــر

فـــتىً كـــنـــور الـــبَـــصَـــرِ
حـــلـــوِ المُـــحَـــيَّـــا أســـمـــرِ
ذي أدبٍ وبِـــــــــــــــــــــدَرِ
مـن أَبـــــــيـضٍ وأصـــــــفـــــــرِ
لـــــــــيـس لـه مِـنْ وَطَـــــــــرِ
بِـــغْـــيـــرهـــا فـي الـــبَـــشَـــرِ
وهْـي بِـــــمـــــا مِنْ حَـــــوَرِ
في طَـــرْفـــهـــا المُـــكَـــسَّـــرِ
تَـــفْـــعل فـــعْلَ الـــسُّـــمُـــرِ
بـــقـــلـــبه المُـــنْـــشَـــطِـــرِ
ومـــــا بـــــذاك الـــثَّـــغَـــرِ
مِن الـــرحـــيـق المُـــسْـــكِـــرِ
تَـــجْـــلي غـــيـــوَم الـــكَـــدَرِ
مِنْ رأسه المُـــعْـــتـــكـــر

وبـــعْـــدَ بـــعُضٍ الـــعُـــمُـــر
مـن ذا الـــــزواج المُـــثـــمِـــرِ
يـــجْـــني لـــذيـــذ الـــثَّـــمـــرِ
مِنَ الـــبـــنـــينَ الـــنُّـــضَّـــرِ
مـــا نـــغـــمـــاتُ الـــوَتَـــرِ
إذا شَـــــدَوْا فـي الـــــوُكَـــــرِ
وإن مـــشَـــوْا لـــلِـــكِـــبـــرِ
قـــــادوا زِمـــــام الـــــدَّهـــــرِ
كَـــجَـــدِّهِـمْ إذ يَـــنْـــبـــري
لـــلِـــخَـــطْب دامي الـــظَّـــفَـــرِ
مُـــقـــلَّـــدٌ بـــأســـمـــرِ
مـــقْـــتَـــطَعٌ مِن صَـــقَـــرِ

يَـــــــــرْمـي بـه عَـن شَـــــــــرَرِ
مِن الحِـــــمـــــام الأحْـــــمَـــــرِ

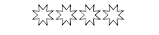

وافـــــتْكَ مـيٌّ فـــــابْـــــشِـــــرِ
ولا أقـــــول (اقـــــتَـــــصِـــــرِ)
فـــــإنـــــهـــــا فـي نـــــظَـــــري
ونَـــــظَـــــرِ المُـــــخْـــــتَـــــبَـــــرِ
أفـــــضـلُ فـي ذا الـــــعَـــــصَـــــرِ
مـن الـــــــغُـلام الـــــــذّكَـــــــرِ

هذا ، وإني ما برحت أذكر ليلةً جمعتنا دار الشيخ، وحفلت بنا سفرته الفخمة اللذيذة، وكان ذلك في تشرين عام ١٩١٢. فقلت يوم ذاك في تقريظه، وكأنما تنبَّأت عن زواجه واسم قرينته:

نـــحن في جـــنـــة الخـــلـــود بـــبـــيت
الـشـيخ بـيت الـفـخـار والـعـلـيـاء
شـيـــخـــنـــا (آدم) به فـمـــتى يـســفـر
هـــــذا الخـــــلـــــودُ عـن حـــــواءِ

فاهتز الشيخ للشعر اهتزاز المهند، وتلطف معنا بأن أقترح على الإخوان نظم هذا المعنى وهو « لا بدع أن يصدر (البرقُ) على هوله، عن فتىً كصاحبه، لأن الصواعق، على هولها، هي من الغمام اللطيف».

فقال جرجي أفندي عطية:

عَـجَـبْت هِـنْـدُ كـيفَ يـنـشـأُ (بـرْقٌ)
هـــائلٌ مِنْ يـــنـــبـــوعِ لُـــطفٍ ســـامي
قـلتُ لا بـدْعَ! فـالـصـواعق تَـنْـشـأ
يـا ابـنـةَ الـعُـربِ مِنْ لـطـيف الـغَـمـامِ

وقال جرجي أفندي سعد:

لا بـــدع في الـــبـــرقِ يـــنْـــشـــا
بَـــــزَهْـــــوه المَـــــعـــــروفِ
فـــــمـــــا الـــــصـــــواعقُ إلاَّ
مِنْ الـــغَـــمَـــام الـــلَّـــطـــيف

وقال يوسف أفندي نخلة ثابت:

عَـجِـبتْ لـهـذا الـبَـرق يـصْـدُرُ عن فـتىً
هـــو في لـــطـــافـــتهِ شـــبـــيهُ مـــدامِهِ
لا تـعْـجَـبَنَ فـالـصـاعـقـاتُ بـهَـوْلـهـا
لـيـستْ سـوى نَـفـثَـاتِ ثَـغْـرِ غَـمـامهِ

وقال الشيخ يوسف رحمه الله:

لا بِـدْعَ إن كـان هـذا الَـبـرقُ مَـصْـدَرُهُ
لُـطْفٌ يـحـاكي نُـسَـيْـمـات الـصَّـبـا سَـحَـرا
فـمـا الـصَّـواعقُ في أهـوالـهـا هَـبَـطَتُ
إلا بَـنـاتِ سـحـابٍ رقَّ فـانْـتَـشَـرا

وعلى الجملة فلقد كان الشيخ يوسف أبى صعب روضاً جنياً وماءً روياً تنشقُّ عنهما أزهارُ العلم والأدب، وتسجعُ فيهما بلابلُ الشِّعر كلَّ عشية.

بشارة الخوري

البرق، ١٩٣٠، عدد: ٣٣٦٥، ص: ٨-٩

****

كيف عرفت طانيوس عبده[1]

إذا عُدَّ أعلام الأدب العربى بين الشام مصر، جاء فيهم طانيوس عبده يزجي أمامه جيشاً من الكتب، لا تكاد تفي أيام السنة ولياليها، بمطالعتها. وحسبك منها هذه الروايات الخالدة التي عربها، والتى جعلت اسمه على شفة كل أديبٍ عربي في كل بلدٍ فيه عربي يقرأ.

ولقد كنت في عصر الحداثة، من الذين أولعوا بمطالعة الروايات، فما كنت أرقب بريد مصر ولا البحث في مكاتب بيروت إلا عن رواية عليها اسم طانيوس عبده.

فلقد كان له في التعريب طريقة عرفته فيها بعد أن رجع إلى بيروت، وذلك على ما أذكر عند إعلان الدستور في تركيا (أيلول عام ١٩٠٨).

أنظر إلى هذا الرجل الضئيل الشاحب، أو بالأحرى إلى هذا الوجه المحروق بالسويداء والكحول جالساً إلى طاولة صغيرة عليها كأس من العَرق في قهوة – خضراء – وبيده روايةٌ فرنسية، يطالع العشرين صفحة من صفحاتها دفعة واحدة، ثم يضعها جانباً ويتناول أوراقاً وقلم رصاصٍ بطول الإصبع ويأخذ في (دَرْز) الكلمات (درزاً) سريعاً، فما هو إلا نصف ساعة حتى يملأ نحو الخمسين ورقة بحجم وسط، إذن فقد عرفت أن طانيوس عبده كان يستوعب الفصل، حتى إذا تملاه أخذ هو في وضعه من غير أن يراجع كلمة، أو يأتي بحركة، إلا أن يمد يده إلى الكأس المرة بعد المرة. وكان ذلك بدء التعارف بيننا ثم أصبح شريكاً لفائق بك غرور في جريدة «الأيام» التي أصدرها عام ١٩٠٨، وما لبثا أن افترقا، فأنشأ مجلة «الراوي» ثم ما لبث أن تركها، وانبرى من هناك يكتب في بعض صحف الثغر، ويعرّب الروايات فيبعث بها إلى بعض مكاتب مصر.

ولم يكن طانيوس عبده خلال السنوات الخمس (بين ١٩٠٩ و ١٩١٤) ليحدث دوياً في العالم الأدبي، لأنه كان من عادة الصحف في بيروت أن لا تأذن لمحرريها أن يعلقوا

أسماءهم في ذيل مقالاتهم. فخمل ذكره أو كاد إلا ضمن دائرة محددة من صحبه، يرسل فيها المقطع إثر المقطع من شعره، لغرضٍ من الأغراض الخاصة، يضمنه نكتة لطيفة سائغة، فينتشر في الحلقات الأدبية الأخرى، فينعش ذلك من ذكره بعض إنعاش.

كان حظ طانيوس عبده في الحرب كحظ الأكثرين منا شؤماً وتعساً، فلقد قضى عليه سوء الطالع أن يكون تحت سن العسكرية عندما اضطر الأتراك إلى تجنيد الاحتياطي فكان يلوذ حيناً بالاختفاء، وحيناً بالسعي لجمع البدل العسكري[٢]، وهو مع ذلك رب عائلةٍ لها عليه واجبات المعيل. وعلى الجملة، فلقد كانت سنوات الحرب عليه قاسية جداً، صورها في بعض شعره فقال يصف ملاحقة الجند له:

سَجينٌ في البيوت وليس ذنبي
سوى أني أخاف من القتالِ
أروحُ فتبحثُ الأجنادُ عني
كأني من صَناديد الرجالِ
أيُرْجى مِنْ خيالاتي [٣] قِتالٌ
وقد أصبحتُ أفزعُ مِنْ خيالي؟

وقال مِن ضيق ذات يده:

أموتُ كي أكسبها ليرةً
عَزَّتْ عِنْدَ قومٍ وقَوْم
أموتُ كي أُبْدِلُها فضةً
رائجةٌ من بَعْد خُسرٍ وسَوْم
أموت حتى أشتري إنْ أجدْ
خبزاً بها من بعد جُوع وصَوْم
فيا له عيشاً نذوق الردى
ثلاثَ مرَّاتٍ به كلَّ يوم

وقد وجه بهذين البيتين الى المرحوم يوسف خطار غانم، وكان يومئذٍ خازناً في شركة القمح التي تولى إدارتها الدكتور نجيب بك الأصفر.

يـا يـوسفُ اذْكُـرْ سـمـيك يـوسـفـاً [٤]
واذكْـــر أخـــاك به وفـــرِّج كُـــربَـــتَهْ
قــد كــان مــثْــلَكَ خــازنــاً، ولــكــنهُ
لم يـــنسَ في زمن المجـــاعـــة إخـــوتَهْ

كان ذلك على ما أذكر، في أواخر سنة ١٩١٧، عندما تلقيت – وأنا مغترب في معتزلي قرب نهر بيروت، وذلك بعد انقضاء عهد الفزع الأكبر– تذكرة من طانيوس عبده يطلب إليَّ فيها أن ألاقيه إلى «قهوة النهر» لشأن من الشؤون، ولم أكن ساعة وصول التذكرة في المنزل حتى إذا عدت أسرعت إلى «القهوة » فإذا هو قد مل الانتظار فذهب تاركاً لي هذه الأبيات:

إلى الأديب الـــفـــاضل ابْنِ الخـــورِي
والـــشـــاعـــر المـــتَّـــقِـــدِ المـــشـــهـــورِ
أرجـــو بـــأن تـــدْفَعَ عـــني قـــهـــوة
قــد رســبَتْ من ثِــقــلِــهــا في الــركــوةْ
غِبَّ اطِّلاع لـــلـــخـــواجـــا مِـــثْـــري
في حـــانـــةٍ في الـــنـــهـــر قُـــرب الجِـــسْـــرِ
ربْـعَ ريـــــالٍ ورقـــــاً لا فـــــضَّه
فـــقـــد مَـــضَتْ أيـــامُـــهـــا المُـــبْـــيـــضَّه
وهـــذه الـــقـــيـــمـــةُ لـــلـــجَـــنـــابِ
تـــدْفَـــعُـــهـــا في مـــوقفِ الحِـــســـابِ
حُـــرِّر والـــيـــوم بـــأخـــريـــيه
مِنْ شَـــهْـــر تـــشـــرين بـــأوَّلَـــيْهِ

وبينما أنا في اليوم الثاني، أتفقد بقرة لي، كنت اقتنيتها في بستانٍ استأجرته للاستعانة على ضنك تلك الأيام، إذا بطانيوس مُطل عليَّ من البيت، يناديني ضاحكاً من موقفي هذا. فما إن أقبلت عليه حتى ابتدرني بقوله:

عـــهـــدْتُكَ مِنْ قَـــبْل تَـــرعى الـــبَـــشَـــرْ
فـــمـــا بـــالُكَ الـــيـــومَ تَـــرعَى الـــبَـــقَـــرْ

وكانت زيارته توسطاً لبيع مطبعة «البرق». فتمت الصفقة على يده، بعد شهرين من هذه المقابلة، فبعنا ما ثمنه ألف ليرة ذهبيةً بألف ليرة تركية، وكان سعر الليرة ستة عشر غرشاً، وكانت المطبعة آخر ما نملك.

وكان عام ١٩٢٢ عندما أصبح طانيوس عبده رفيقاً في تحرير «البرق»؛ فكان يتولى فيه تعريب الرواية، ومقالة السياسة الخارجية، فنَقَداتِ طائرٍ، هو العنوان الذي كنا نكتب تحته بعض الشوارد بتوقيع «دوري».

وكتب في اليوم الأول، نقدته الأولى بدون توقيع أو بوضع نجمة تحتها على ما نذكر، ووضع في رأس الرواية: تعريب «البرق». وشد ما كان عجبه عندما صدر «البرق» في اليوم التالي، وقد رأى اسمه تحت «النقدات» وفي رأس الرواية، لأنه كان من عادة الصحف، كما قلنا، التحريم على محرريها توقيع ما يكتبون، فالتفت إليّ، رحمه الله، وقال: عجباً منك كيف تثور على عادة زملائك؟ فقلت له مازحاً: أو تظن أني أرضى أن يُنسب إليَّ نقدتك هذه ... وكان قد كتبها على أنها ستنشر بدون توقيع فجاءت على غير ما أرضى، ولكنه عندما علم أن اسمه سيعلق على جميع ما يكتبه شرع يعتني به، حتى أصبحت النقدات قبلة القارئين، وبُعثت بها شهرة طانيوس عبده، بعد أن كان علاها الصدأ في السنوات الأخيرة.

لم يكن طانيوس عبده يعنى بإنشائه معشار عنايته بشعره. وربما ذلك بتأثير الإنشاء الروائي المتراخي، حتى إن النقدات نفسها، كان يعوزها بعض الشد في أوتارها، ولا سيما في ختاماتها؛ كأن تختم بنكته أو بسجعةٍ مستقاةٍ من نكتة، لتبقي أثرها في نفس القارئ. وهو ما لم يكن ينتبه إليه، ولكن اسمه كان يسيطر على القارئ فيخضعه لسلطانه. أما دقته في شعره، وحيلته الى النكته يرسلها علي أجنحةٍ من ذهبٍ، تحت أشعة الشمس، فهو فيه نسيج وحده.

لم يكن طانيوس عبده يخالطنا كثيراً. فهو كان من حلقة ثانية، أذكر من أركانها الشيخ وديع نفاع الذي كان شديد العطف عليه، وقد صدفنا يوماً أن أحد أعضاء حلقتنا الليلية، وأظنه المرحوم يوسف عودة، أهدى أعضاء الحلقة التي كان طانيوس من أعضائها. هدية من العرق حكمت الحلقة بعدم جودتها، وكلفوا طانيوس أن يكتب للمُهدي أبياتاً يداعبه بها فقال:

يـــا مُـــهـــديَ الـــراحِ إنـــهـــا
جـــازْت بـــرقـــتـــهـــا مـــعـــانـي الـــرَّاحِ
أَهـــــدى إليَّ مُـــــدامـهُ وكـــــأنمـــــا
أهـــــــــدى إلـي خـلاصـــــــــة الأرواحِ
ولـــقـــد شـــمَـــمْـــنـــاهـــا قُـــبـيل مـــذاقِـــهـــا
فـــإذا بـــنـــا لم يَـــبْقَ فـــيـــنـــا صـــاحي
وتـــبـــلـــجت وتـــأرَّجتْ فـــزفـــفـــتُـــهـــا
لابنَ الـــسَّـــحـــاب فـــلـم تـــطبْ بـــنـــكـــاحِ
حـــــتى إذا أدركتُ سِـــرَّ شُـــعـــاعـــهـــا
وفـــهـــمتُ مـــعـــنى عـــطـــرهـــا الـــفَـــيَّـــاحِ
أشـــفَـــقْتُ أشـــرَبُـــهـــا لـــبـــاهـــرِ نـــورِهـــا
فـــأنـــرْتُـــهـــا وجـــعـــلـــتُـــهـــا مِـــصـــبـــاحي

فنظم المرحوم الشيخ اسكندر العازار، باسم صاحب الهدية، أبياتا رد بها على أبياته، هذا بعضها:

إنّـي زَفَـــفتُ الى الـــكـــريم سَـــبِـــيَّـــةً
لـــــولاهُ لم تـــــر مِن يَـــدَيَّ سَـــرَاحـــا
كـــانت لـــروحي راحـــةً ولـــطـــالمـــا
أهَـــــدَتْ إلى ذُوَّاقِـــهـــــا الأرواحـــــا
والـــله مـــا هي خَـــمـــرةٌ لِـــيَـــظـــنُّـــهـــا
الأعـشى، بـحـالـة سُـكـره، مِـصـبـاحـا
هي بِـــنْـــتُـــهـــا، مـــاءُ الـــفـــرات أديمُـــهـــا
والـــعـــطـــرُ كـــان بـــردْنـــهـــا فـــيَّـــاحـــا

مـــا أســـكـــرتْ بـــالـــشَّم إلاَّ شـــاربـــاً
مـــا عَـــدَّ لـــيـــلـــةَ شُـــرْبِهِ الأقـــداحـــا
فـصـحـا يُـمـزِّقُ عِـرْضَـهـا بـقـريـضهِ
وعـــلى ربـــابـــته غـــدا نَـــوَّاحـــا
هي لم تـكن كُـفـؤاً فـجُـدْ بـطلاقـهـا
وكـفى الإلهُ الـصـاحـبـينَ صـيـاحـا

وتسعرت نار الحرب بين الفريقين؛ فنظم المرحوم طانيوس باسم المُهدى إليه قصيدةً طويلةً، حكمت عليَّ الحلقة التي أنا منها أن أردَّ عليها، باسم صاحب الهدية؛ ففعلت.

وها نحن ننشر بعض القصيدتين للتفكهة:

قصيدة طانيوس عبده:

وَرِهتْ[٥] قـصـيـدتُك الـتي ضـمَّـنـتَـهـا
دُرَّ الـبـيـانِ بمـنـطق الأعـرابِ
ورأيـتُـهم يـتـحـمَّـسـون كـأنـهمْ
يـتـأهـبـون حـوالـهـا لـضـرابِ
يـتـهـافـتـون عـلى انـتـقـاد قـصـيـدتي
في خـمـركم وملامـتي وعـتـابي
مـا إن عـتـبتُ عـلى انـتـقـاص قـصـائـدي
يـومـا فـلـيس الـشـعـرُ من آرابي
لـكنْ عـتـبتُ عـلـى الـنـدامى أنَّـهمْ
يـتـنـقَّـصـون مـكـانـةَ الـشُّـرَّابِ
أنـا مَنْ عـرفْتَ فـإنْ جَـهـلتَ مـكـانـتي
فـانـظـرْ إلى مَنْ شـئتَ مِنْ أصـحـابي
مِن كل مـشـغـوفٍ بـفـاتنِ حُـبِّـهـا
مُـتَـنـكِّبٍ فـيـهـا عـلى الأحـبـابِ
لـو أَعْـوَزَتْهُ وأحـبَـسـتْ أنـفـاسَهُ
لـغـدا بـهـا ثَـمِلاً بـغَـيْـر شـرابِ

هـــذا هـــو الـــرهطُ الـــعـــزيـــزُ ورأيُهُ
في الخـــمـــر رأيَ تـــعـــقُّل وصَـــوابِ
وَهَب الـــتـلامـــذةَ الـــكـــرامَ تـــخـــبَّـــطـــوا
في حُـــكـــمـــهم لـــتَـــدفُّقِ الأكـــوابِ
مـــا عُـــذْرُكم في مـــا ارتـــأى أســـتـــاذُهُمْ
وهـــو المـــشـــارُ إلـــيه في ذا الـــبـــابِ
أَفُـــتـــنـــكِـــرونَ تـــضـــلُّـــعي وتـــثـــبـــتي
وأنـــا ربـــيبُ بـــواطئٍ[٦] وخـــوابي؟
والـــلـــه لـــولا أن يـــقـــالَ أســـأْتَ في
رَدِّ الـــهـــديَّـــةِ لـــلـــحـــبـــيب جـــوابي
لـــردَدْتُـــهـــا والـــطـــبلُ يَـــضْـــرب حـــولـــهـــا
والـــزَّمـــرُ يَـــصْـــحَـــبُ زُمـــرةَ الأصـــحـــابِ

قصيدة بشارة الخوري:

أمَّـــا الجـــوابُ فـــقـــد عـــنـى لـــبـــيـــانِه
رأسُ الأئـــمـــةِ مِنْ بـــنـي الأعـــرابِ
دُررٌ من الألـــفـــاظ لـــو تَـــمَّتْ لـــهـــا
غـــررُ المـــعـــاني طـــار بـــالألـــبـــابِ
لم يُـــغْـــلَقِ المـــعـــنى عـــلـــيكَ وإنمـــا
جـــرَّبْتَ أنْ تـــمـــشي بـــغـــيـــر صَـــوابِ
أســـتـــاذَ مَنْ نـــهبَ الـــكـــؤوسَ مـــشـــعَّـــةً
عَـــفـــواً فـــحِـــلـــمُكَ فـــوق كل حـــســـابِ
هـــو مـــا زعـــمتَ فـــأنتَ من نـــدمـــائـــهـــا
في عـــنـــفـــوان المَـــلْكِ والحُـــجَّـــاب
مـــفـــتـــاحُ هـــيـــكـــلـــهـــا لـــديكَ مـــنَـــعْـــتَهُ
إلاَّ عـــلـــى رَهْطٍ من الأصـــحـــابِ
بـــرعـــوا فـــلم يَـــســـلَمْ لـــهم نَـــطْقٌ بلا
لَـــحْـــنٍ ولا رأسٌ بـــلا دولابِ

مِنْ كل مـــخـــمـــور الـــدمـــاغ إذا مـــشى
يَـكـبْـو فـتُـنـهـضُه، فـيـرجعُ كـابي
جـــحَـــظَتْ لـــواحـــظُهُ وجفَّ دمـــاؤه
فـــكـــأنه نُـــصبٌ من الأنـــصـــابِ
أنـــا إنْ أكنْ من غـــيـــر رَهْـــطكَ في الـــطِّلا
فـعـلى هـيـاكـلـهـا حـرقتُ شـبـابي
ســارت مـســيـرَ دمي، فـأعـصـابي إذا
أشـعـلْـتَـهـا شَـعَـلَتْ بـهـا أعـصـابي
وتـخـيـرتْ لي مَـعْـشـراً عـرِفـوا بـهـا
فـغـدتْ لـهم نَـسَـبـاً من الأنـســابِ
نـقـدوا مـعـانـيـهـا وإنْ دَقَّتْ، كـمـا
نـقَـدَ الـنـحـاةُ الـشـكل في الإعـرابِ
أكـــوابُـــهُمْ أبـــداً تـــدفَّقُ ولْـــيـــكُنْ
للأرض حـــصَّـــتُـــهـــا من الأكـــوابِ
ســهـروا ونمْتَ، فـلـو رجَـعتَ إلـيـهمُ
وقَّـــفْتَ مـــنـــهم مَـــوقفَ الـــطلاَّبِ
إني جـــنـــيتُ فـــكم جـــنَـــيْتُ لأنـــني
أهـــديتُ للأصـــحـــاب خـــيـــرَ شـــراب
ولـكـنتَ لـو أدركتَ مـبـلغ عـلـمـهم
فـيـهـا بـدلت الخـمـر (بـالجلاب)
رُدَّوا الـهـديـةَ واشـربـوا من غـيـرهـا
يـا بـادِلِـيـنَ حَـمَـامـةً بـغُـرابِ

وذهب طانيوس إلى مصر سنة ١٩٢٦، تحت ضغطٍ داخلي قاهر. وقُطع ما بيننا وبينه، حتى كدنا نجهل أثَرَه لولا ما كنا نقرأه من حين إلى آخر، في صحف مصر الكبرى؛ فكتَبنا الى صديقنا الكريم شاعر القطرين خليل بك مطران، نعتبه[٧] وطانيوس لسكوتهما على سابق وعدهما بالمواصلة؛ فجاءنا من الخليل بعد أسابيع الرسالةُ الآتية:

أخي الحبيب

كتابُكَ أقام في القاهرة أياماً طوالا، ينتظر عودتي من رحلة صيفية؛ ولم أدَعْ في مدتها – كعادتي – ، عنواناً يخاطبني به أحدٌ؛ لأنني التمستُ شيئاً من الراحة بعد عناء مُجْهد وشغلٍ بغيضٍ ثقيل. فلما رجعتُ كان الكتاب وتلقاءه أعدادٌ جمَّةٌ من «البرق» على المنضدة تجاهي. فأما «البرق» فقد سُررتُ كثيرا بعَوْده شائقاً مملوءاً حياةً، وأما الفرصةُ التي سنَحَتْ لي، وتولَّت قبل أنْ أستطيع انتهازها، لخدمةٍ أُؤدِّيها إلى الأخ العزيز والأديب الذي يباهي به البيانُ العربيُّ كلَّ أديبٍ، فهذا قد آسفني نهايةَ ما تُؤسفُ معاكساتُ الزمن.

على أنني سأهدي إلى «البرق» أشياء ربما كفَّرْتُ عن ذنب الزمن لا ذنبي، ويومئذٍ ينشرح صدري بعد انقباض.

الأخ طانيوس عبده مريضٌ من مدة باليرقان، وهو على ضعفه وأَخذِ العلة مأخَذَها منه، يكتب لأن واجباته غير مقصورة على ذاته. فإن هان ما يختص به فجانبُ العيلة، وهي بعيدة عنه، غيرُ هَيِّن. لهذا لم أقرأ له عتابَكَ، واكتفيتُ بأن أُبلِّغَه سلامَك. وشَدَّ ما اهتزَّ له طربا، كما أنني دعوتُ له بالشفاء العاجل، حتى يتسنى له ولي بجانبه، أن نفي ببعض ما علينا للأخ النابغة الحبيب.

وأَختَتِمُ بِلَثم عارِضَيْكَ مشتاقاً، وبإهداء أزكى تحياتي إلى إخواني الأعزاء من كل أديب ومنتسبٍ إلى الأدب؛ وإنَّ بي لحنيناً إلى كلّ منكم وأسألُ اللهَ أن يُقَيِّضَ لي لقاءكم في الصيف الآتي.

المخلص

خليل مطران

مصر ٢٧ ت١/ ١٩٢٦

ولم تمض أيامٌ على وصول هذه الرسالة، حتى فُوجئنا ذاتَ مساءٍ برسولٍ يقول لنا:

إنَّ طانيوس عبده يريد مقابلتي، وهو الآن في مستشفى الروم ويظهر أنه ثقل عليه المرض سريعا فاحتملوه إلى بيروت ثم إلى المستشفى رأسا.

لا نذكر الرفيق الذي صحبنا ذلك اليوم إلى المستشفى، وكانت الساعةُ الثامنةَ مساءً. فدخلتُ إلى الغرفة التي أقاموه فيها، لقد كان النور ضعيفاً ولكني وقفتُ عند الباب وقد وقعت عيني على خيالٍ أسود مُسجًّى على سرير أبيض أخطر ببالي تلك المومياء التي ليوسف بك كرم[٨] في إحدى كنائس اهدن. ولكنه أسرع فبادرني بكلمة ألبسها – نكتة على عادته – نكتة كانت أشبه بحرتقة عظامٍ على حفافي قبر جديد.

مر ذلك بسرعة البرق، وكنت قد دنوت منه وصافحته متكلفاً الابتسام، ومتكلفاً النكتة أريد أن أُهوِّن عليه موقفه، وأُبدِّد ولو قليلا، هذه الغيوم السوداء التي حَجَبتْ كلَّ وجهه. فما استطعتُ أن أنفذ منها إلى تلك الابتسامة الحزينة التي كانت تقف حائرة على شفتيه أيام الحياة، أقول: أيام الحياة، لأنَّ طانيوس عبده كان بالفعل قد مات وما هو إلاَّ تراب الذي حمله – كما يقولون – إلى بيروت التي استقبل فجره الأول فيها، وسكب آلامه عليها، وصبَّ فضلةَ كأسه على جبينها، وصرف وجهه إلى الأبدية عنها يائسا منها حانقاً عليها.

فلقد وهبها أبهر مواهبه، وترك في جيدها أجمل جواهره، فما ظفر منها بابتسامة، ولا بادلَته الوفاء قدرَ قُلامة.

وانصرفتُ عنه ساعةً أُدوِّنُ بعض ما أراده مني على أن أجيء في اليوم الثاني، ولقد جئتُه، ولكن لأسكب عليه الدموع؛ فأطرقتُ عند سريره برهة كأنني واحدة من تلك الشموع!

بشارة الخوري

البرق، ١٩٣٠، عدد: ٣٣٦٦، ص: ٧–٨

****

كيف عرفت جميل الزهاوي[1]

الرجوع إلى ١٩١١

شاء الزهاوي شاعرُ العراق، أن يختص «البرق» بهذه التحفة النفيسة من شعره، فكان له بذلك فضلانِ: فضلٌ للسبيل الودي وقد تلطف بتمهيده بيننا، وفضلٌ لهذه العناية (بالبرق) مع ما هو عليه الأستاذ من انحراف صحة.

وهذه الصورة الجميلة لنفس الشاعر الكبير، ونريد بها القصيدة، هي آخر ما شداه من الشعر، كما صرح لنا في كتابه إذ قال:

«.. وقد منعني الأطباء في بغداد إجهاد الفكر؛ يريدون بمنعهم أن يعودَ اليَّ قليلٌ من الصحة. ولكني أعصيهم، فأشدو الشعر؛ وهذه النفثات آخر ما شدوته منه، أهديها إلى «البرق» المتألق في سماء الصحافة العربية».

جميل الزهاوي

بغداد ١١ حزيران، ١٩١١

أما القصيدة التي أشير إليها هنا، فهي عندنا من محاسن شعر الزهاوي، وقد نشرت في «برق» ٢٤ حزيران سنة ١٩١١ نختار لهذا المقام بعض أبياتها:

لقد هَاجَ ليلُ البَيْنِ شجوي ولا غَرْوا
إذا هاجَ ليلُ البين من مُغرمٍ شجوا
متى أيها الأثْلُ[2] الذي ظلَّ ساكناً
تهُبُّ الصَّبا إنَّ الصَّبا وفدُ مَنْ أهوى؟

بـكَـيْتُ وخـلتُ الـدمعَ يُـجـدي من الأسى
فـمـا كـان دمـعي إذ بـكـيتُ بـذي جَـدوى
ولا يَـعْـلم الـصَّبُّ المـصـارعُ لـلـهـوى
أيـقـوى عـلـيه، أم عـلـيه الـهـوى يَـقـوى
لِـيَـجْـتَـنبِ الإنـسـانُ أول سـكـرةٍ
فـقـد لا يُلاقي بـعـد سـكـرته صَـحـوا
ومن كـان فـيه غـلَّـةٌ[٣] من صـبـابـة
فـقـد يَـشـرَبُ المـاءَ الـقـراحَ ولا يَـروى
ودِدْتُ لـو أنَّ الحب يَـقـسِمُ مـنـصِـفـاً
فَـيَـسلُـبَـني عـضـواً وَيـتـركَ لي عُـضـوا

في نصرة الزهاوي

وكان هذا فاتحة الوداد بيننا، وبين فيلسوف العراق وشاعره، وطَّدَه أننا جمعنا لِنُصرته – وكان قد أُسيء إليه من زعانف بلده – المرحومين الشيخ العازار والشيخ محيي الدين الخياط شاعر بيروت وكبير أدبائها. وذلك عندما علمنا أن الزهاوي أُقصي عن وظيفته في مدرسة الحقوق، عهد ولاية ناظم باشا عليها. فرُحنا نرتقبُ مرورَ جمال بك، واليها الجديد ببيروت، لنثيرَ ضجة في صُحفها حول عزل الزهاوي، وتقصير حكومة (المشروطية)[٤] نحو كبار أدباء العرب الذي ساعدوا بأدبهم على دكِّ صروح الظلم، ومهدوا للدستور سبيل الظهور، كما فعل فيلسوف العراق جميل صدقي الزهاوي، في العهد الحميديِّ من غير ما خشية.

وإننا ناشرون هنا، بعض كلمةٍ للعازار في هذا الصدد، مأخوذةٍ من «برق» ٢٦ آب سنة ١٩١١ بعنوان «نحو بَغدا»[٥] قال:

خطر في بالي «غطا» موالٌ بغداديٌّ كانوا يغنونه في صباي:

بـغـدادْ دارِ الـسَّـعـد سـكـانْـهـا إسلام

ويـا حـسرتـي مـا طِـلـعْ لي من الـرفـاق خـوّه

أتُرى يردد مثلَ هذا جميل الزهاوي، على ضفة دجلة كاسفَ البال:

«**يا ماء دجلة ما أراك تلذ لي**»؟

الجواب في ضمير الشاعر.

أعجبُ والله لصحيفة «البرق» الحبيبة إليَّ؛ فإنها قامت بشأن الرصافي البغدادي[٦]. إنها تسمعنا رنة الهناء في كرمة ابن هاني المصري[٧] فعلام لا تشجينا بأنة الشقاء في أنفاس الزهاوي[٨]؟

سعى به ساعي شَرٍّ عند ناظم باشا، وهذا الوالي عسكريٌّ خالص، خالي الذهن من مفاسد الوشاة؛ فقطع راتبه من مدرسة الحقوق، ثم حاول أن يُكفِّر عن الإساءة، ولكن بعد ضياع اللبن؛ أما جمال بك، وقد عُيِّن لولاية بغداد، فلا شك أن يُقدِّر الرجل قدره.

وفي النهاية أجسر وأذكّر حضرة جمال بك [أن] في بغداد، مثلما في كثير من مدن الشرق الداجي، ألسنةٌ كاذبةٌ نمامةٌ. وإن دار السلام هذه، تعودت أن يهجرها أدباؤها، وأن لها في كل زمن ابن زريقٍ البغدادي.

ولقد نشر المرحوم الشيخ محيي الدين الخياط، في «الاقبال» ورئيس تحرير «لسان الحال»، كلمةً بهذا الصدد، ساعدنا على إيصالها إلى جمال بك، عند وصوله إلى بيروت، سعادة عبدالغني سني بك[٩]، وكان لنا صديقاً حميما، وحسني بك مدير بوليس بيروت عهدئذٍ؛ وكان قبل ذلك مدير بوليس أضنة وله بجمال صلة صداقة.

ولم يكد يستقر والي بغداد فيها، حتى صدر الأمر بتعيين الزهاوي براتب أربعين ليرة عثمانية في الشهر.

الزهاوي في بيروت

جرى كل هذا، ولم نكن قد عرفنا الزهاوي وجهاً لوجه؛ فما هي إلا الرسائل تتردد بيننا، إلى أن كان صيف ١٩١٤ حين فاجأنا في الإدارة شيخ نحيل الجسم مسترسل اللحية والسالفين، حسبناه، لأول وهلة، أحد أحبار اليهود. فسألنا عما إذا كان بشارة الخوري موجودا في الإدارة، يحسبنا أحد «المتمرنين»، وقد ألحق سؤاله عنا بقوله: أنا جميل الزهاوي! فنهضنا نحتفي به؛ وكان الوقت قد قارب الظهر، فإذا العازار يدخل علينا؛ فعرفنا أحدهما للآخر، وتركناهما في خلوة مباركة الناصية، وانصرفنا إلى إلقاء آخر نظرة على الجريدة، ثم عدنا إليهما، ومضينا معاً إلى حديقة الأزبكية حيث تناولنا الغداء بين الماء والشجر.

لم تكن صحة الزهاوي تساعده على الخمر، وكأني به يحتسي القليل منها، وهو مع ذلك ربان بأدب المجالس، لا تُمَلُّ له الأحاديثُ، يُصرفها في الفنون والأدب، مُسندة إلى العلم، واطلاع بعيد الغور.

وإننا لا نزال نذكر ذلك الاجتماع الذي كان للأستاذ الزهاوي في مكتب «البرق»، مع الشاعر المبدع أمين تقي الدين[١٠]، وما أفاض به علينا من أحاديث «الأدب الخاص» في بغداد، وما كان يدور حوله من الأهاجي بين كبار شعرائه[١١].

أدب الزهاوي

ولبث فيلسوف العراق عندنا أياماً قليلة، كان خلالها موضوع إجلال الأدباء، تُعقد له المجالسُ، وتطوف بها كؤوس الأدب مترعةً. ولا غرو فلقد كان للزهاوي في الأدب العربي أثره البليغ بما كان يُحلِّي جيد الصحف من قلائده نظماً ونثراً. فضلا عما كان

له في الأدب السياسي، من مواقف جلتها تلك القصائد الخالدة ليحمل بها على الظلم، غير مبالٍ بطرقه أن تكون أذاةً أم نجاةً أم هلاكاً. وهو هذا الذي مهد لشهرته البعيدة عندنا، وحببه إلى النشء السوري اللبناني، المتوثب يوم ذاك إلى الحياة الحرة، يركب لها الآمال فإذا هي أوهام، ويطالع لها ابتسامات المستقبل، فإذا هي تستحيل إلى جرح دام.

وعندنا أن الزهاوي أحد بحور الشعر، ما ينفكُّ يقذف بأمواجه بين الهادئ البطيء والمتوثب السريع، لما ينبعث في نفسه من المؤثرات، أهي العواصف المهيلة أم النسائم العليلة.

ولقد قيل لنا أمس إنَّ الزهاوي قادمٌ إلى الشام، فلبنان، انتجاعاً للعافية التي نرجو أن تكون ثوبه الذي لا يبلى، وهو دعاء للعلم برفع مناره، وللشعر بحفظ ابن روميه وبشاره[١٢].

بشارة الخوري

البرق، ١٩٣٠،عدد: ٣٣٧٢، ص: ٨

****

لصقة رماد

كان ذلك اليوم، من أيام كانون الثاني سنة ١٩١٨. فهو إذن من أيام الغيوم التي كان في نفسي منها الكثيف الممطر؛ ولا غرابة، فهي الحرب العالمية بعواصفها الهوج وأنا في مهابِّها: الورقةُ الصفراء، لا تكاد تستقرُّ في جوفٍ حتى يعصف بها ثانية إلى جوفٍ آخر.

على أنَّ هذه الظلمات من أيام كانون ١٩١٨، أي بعد مغادرة جمال السفاح سوريا، واستقرار كوجك جمال باشا محله، وبعد إعلان هذا الأخير العفو عن ذنوب الماضي مهما كانت، والاقتصار على الذنوب المقبلة، كل هذا أعاد إلى النفس بعض اطمئنانها، فأصبحت أزور إخواني في الجديدة – مركز حكومة المتن[١] – على نور الشمس، وكانوا نفراً كريما حبيبا أعُدّ منهم ذلك الطيب ابن الطيب المرحوم فائز شهاب الذي كان يسهر عليَّ سهر الأخ الرفيق، والأستاذ جبرائيل نصار والشيخ سليم علم الدين ونجيب بك الحكيم والشيخ ابراهيم المنذر وملحم أفندي الزغزغي والمرحوم اسكندر عازار والإخوان الأنسباء يوسف وجرجي ومتري فاضل وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم.

صدفة[٢] جميلة

وكان أن جمعتنا «الجديدة»[٣] في يوم واحد بالصديقين الكريمين جورج بك ثابت والشيخ أمين تقي الدين بعد فرقة وشوق؛ وكان جورج بك قبل الحرب، لا يصبر عن مجالسنا، فنجتمع إليه حلقة تحتل حيناً حديقة قصره، وأحيانا الخوان عليه ألوان الشراب والطعام، تتصدره على الغالب السيدة النبيلة والدته، فنصرف الليل بين المطارحات الشعرية والمباحث الاجتماعية. وإني لأذكر أن ثلاثاً أو أربعاً من القصائد التي عربتها عن الفرنسية[٤]، له عليها حق الأبوة من حيث إنه هو الذي اقترح عليّ تعريبها.

ضياء في ظلام

ورأت السيدة النبيلة لبيبة ثابت، بعد أن نقل إليها جورج خبرنا، أن تجمعنا على مائدتها في مثل مجالسنا السالفة، فنطالع ولو بسمة واحدة، في وجه ذلك الزمن الكالح فيما وسعني النزول إلى بيروت وبعض «كرام» بوليسها لي في المرصاد؛ فاحتضنتنا يومئذٍ دار الأصدقاء الوجهاء آل فاضل في البوشرية. فامتدت لنا مائدة فخمة اجتمع حولها أكثر الذين اشتاقت إليهم نفسي من إخوان الصفاء؛ وكانوا لا يقلُّون عن خمسين شخصاً، في طليعتهم حضرة الخطيب الأشهر الدكتور حبيب اسطفان. فكان أول تعرفي إليه. وفي صدر كل واحد منا نفس العاطفة نحو الآخر، ونفس الشوق إلى معرفته.

استدراك

وكان من الذين اعتذروا عن الحضور، وهو من أحب الناس اليَّ: الصديق الأوفى والكاتب القدير «المتقاعد» يوسف نخلة ثابت، فغمَّني أن يتخلف عن شديد شوقي إليه وتعلقي به. فبعثت إليه أستحثه على الحضور بالأبيات الآتية، ففعل:

عُـــدنـــا إلى ســـالفِ الـــلـــيـــالي
نَـــعْـــبَثُ في ســـالف الحِـــســـانْ
نَـــصْـــدَعُ قـــلـــبَ الـــدجى بـــشـــمسٍ
مَـــطـــلِـــعُـــهـــا من حـــشـــا الـــدِّنـــانْ
تُـــديـــرهـــا أُخـــتُـــهـــا عـــلـــيـــنـــا
كِلا الـــشـــقـــيـــقـــتـــين خـــمـــرتـــانْ
فـــــقـــل لِـــــمَـنْ كـــــأسُه زجـــــاجٌ
ونُـــقـــلـه[٥] فـــضـــلـــة الجـــفـــانْ
إنَّـــا مـــتى نـــفـــرع الحُـــمَـــيَّـــا[٦]
فـــالـــطـــرفُ والخـــدُّ والـــلـــســـانْ

إن شـــاقكَ الـــلـــهـــوُ والـــتـــصـــابي
أَطـــلِقْ لخُـــطـــواتكَ الـــعِـــنـــانْ

ولا تـــقل: مـــطـــرحٌ بـــعـــيـــدٌ
وأنـت فـي قـــــوَّة الحـــــصـــــانْ
فـــمَنْ جـــنـى الـــوردَ لا يـــبـــالي
بـــشـــوكـــةٍ تجـــرح الـــبـــنَـــانْ

الشعر والخمر

وكانت الكؤوسُ لا تَفرغُ حتى تمتلئ. فحمَيت الرؤوسُ واحتدمت الصدورُ، فكان ميدانٌ للشعر العامي، انقسَمنا فيه إلى فريقين؛ في طليعة الواحد الدكتور أسطفان، وفي طليعة الثاني خليل أفندي الجلخ، يفتحان الردة ويغلقانها، ويتنقلان على أغصان المعاني، ما شاءت لهما حدةُ الذهن وبراعةُ القول.

وفاء واجب

أما أنا فما نسيت صاحبة الفكرة الأولى، في هذا الاجتماع؛ وكانت عقيلةٌ ثابت في تلك الأيام ترأس عدةً من جمعيات الإحسان التي أخذت على نفسها حماية العذارى، ووقاية الفتيان، ورعاية العُجَّز. فهي ما كانت تُغادر ملجأً إلا لتدخل ملجأ؛ فرأيت من واجبي أن أعد لها هذه الأبيات، وقد أنشدتُها في تلك الليلة:

لـــو نـــافس الـــروضَ يـــومـــاً
بـــزهـــرةٍ كُـــنت طـــيـــبَهْ
لـــو هـــامَ قـــلبُ المـــعـــالي
لـــكـــنتِ أنتِ الحـــبـــيـــبهْ
لـــو مَـــرَّ ثـــغـــرُ الـــلـــيـــالي
لـــكـــنتِ فـــيـــه عـــذوبهْ
لـــو كـــان مـــثـــلُك فـــيـــنـــا
هـــانتْ عـــلـــيـــنـــا المُـــصـــيـــبهْ
فـــكـــم كَـــفَـــفْت لِـــعَـــينٍ
مِنْ أدمـعٍ مـــســـكـــوبهْ

فـــــدائـــــمـــــا قـــــطـــــراتٌ
عـــــلـــى يـــــديك رطـــــيـــــبـهْ
إن تـــفـــخـــر الـــغـــيـــد يـــومـــا
بـــحِـــلـــيـــهـــا المحـــبـــوبـهْ
تـــركتِ أبـــهـــر مـــنـــهـــا
فـي دُرجـــهـــا مـــحـــجـــوبـهْ
وجـــئـــتِـــهـنَّ ولـــكـنْ
«بـــأربـعٍ مـــنـــخـــوبـــة»[٧]
من مَـــعـــدنٍ تـــابـــتـيٍّ
حـــيَّـــا الإلـهُ «فـــلـــيـــبَهْ»[٨]
وقـــلتِ لـــلـــغـــيـــد قـــولاً
مـــا شـــابـه قـطٌّ ريـــبـه
يـــا مَـنْ حُـلاهـــا الـــلآلـي
حـلاليَ هـــذي الـــشَّـــبـــيـــبـهْ

لصقة رماد

وكنتُ قد هجرتُ الخمر، إلا نادراً. وهي إذا هُجرت انتقمت، وكان انتقامها لئيما. وكنت لفرط سروري، أتبع الكأس بالكأس من غير طعام، كمألوف عادتي. فأثَّر ذلك فيَّ تأثيرا لم أعتده، حتى إذا أويت إلى السرير عمدت «ستنا أم يوسف» والدة الأصدقاء آل فاضل، إلى لصقة رمادٍ فوضعتها على بطني، فبقيت إلى الصباح حيث تركت بعدها حروقا احتملت ألمها أشهرا. وإني لا أشهد أثرها مرةً إلا جددت عهدي للخمرة، خشية انتقامها مرة أخرى؛ ولأني ما برحت أذكر كيف كان يعلو بي السرير، حتى يلتصق بالسقف، ثم يهوي بي إلى الأرض، فأنتفض ويا لها من انتفاضة.

بشارة الخوري

البرق، ١٩٣١، عدد: ٣٣٨٨ ، ص: ١-٢

****

عشرون يوما
في ريفون باسم حنا فياض [١]

بين حزيران وأيار من سنة ١٩١٦ - ساعة خوف - الصديق يوسف عباس الحلو - جمعية أرز لبنان - القبض على سليم بك المعوشي[١] - يومان قبل الفرار.

بروق في غيوم

كانت السنة ١٩١٦، إذن فعهد الإرهاب كان في عنفوانه، وجمال السفاح ماضٍ في اصطياد مَنْ بقي من نابهي البلاد، ممن عُرف لهم ضلعٌ في السياسة أو هوىً مع الأهواء؛ وكنتُ يومذاك في عزلةٍ أُسيغُ مرارة تلك الليالي، من عزوبة الحب الذي بنيتُ في شجرته «عشي العائلي». وكان البيت الذي يضمني والذي طالعت «نجمي» فيه، قائما وسط أحراج الصنوبر، على مسافة دقائق من نهر بيروت - ألهو حيناً بالغزل شعراً وهمساً، وحيناً بالدبق نصطاد به العصافير؛ ونلتقي في الليالي، حول «قصَّاصٍ» بادنٍ يدعى سليماً يحكي لنا عن فيروزة وعنترة ودليلة وأضرابهم.

وإني في هذا الحال، أعدُّ الليالي وأخشى مفاجآتها، إذا بصديقٍ هو من هؤلاء الذين تمطرهم السماء برداً على نيران القلوب، أو تُطلعهم الأرض رياحين بين أشواك اللؤم والضغينة؛ إذا بهذا الصديق يدخل عليَّ حاملا في شفتيه ابتسامةً مصطنعةً يحاول بها تهدئتي؛ فبادرته: إن وراءك لأمراً يا يوسف، فأسرع!

يوسف عباس الحلو

لا أخلو مرةً إلى نفسي، منذ سلَبَنا الموت المرحوم يوسف عباس الحلو، إلا وقد شعرت بمثل الحراب تعمل في قلبي؛ ذاك لأني لم أَفِ ذاكَ الأخ الكريم حقه عليَّ وعلى الأدب وعلى الأخلاق؛ إذ كثيرا ما يُداهمك الواجبُ، وأنت في حالةٍ نفسية أو حالة

شخصية تكون فيها أولى بالإشفاق من الميت نفسه. وكذلك كنتُ ساعة سِير بنعشه ووُوريَ في رمسه.

لقد كان المرحوم يوسف عباس الحلو، في طلائع الفوج الذي عمل للأدب حوالي عام ١٩٠٠، قبلها وبعدها قليلا، يطلع بمقالاته في الصحف خفاف الجوانح، تعلق على الغصون حالية الأزاهير؛ فهو إذا بكى ألبس بُكاءه غلافاً من البسمات، يطفو التهكم على حِفافَيْها. وأغلب ما يُرسل كلمته أساطر[٢] قلائل، كالقنا القصار لا تلتوي على الغمز، ولكنه كان لا يبالي، بعد إرسال المقالة بما أحدثته من أثر، حتى إنه كان لا يُطالعها بعد نشرها. ولقد يبقى الأشهر دون أن يتناول قلم «الأديب»، منحرفا إلى «قلم المحاسب» ولكنه يحدث أن يتألم من أمرٍ فيعمد إلى القلم، بعد سهرة طويلة أتعب فيها الكؤوس مما تروح وتغدو، أو على وجه فجرٍ باسمٍ من أيام الأحد البيضاء.

هذا هو الصديق الذي فاجأني بين ٢٧ – ٢٨ نيسان من سنة ١٩١٦، يحمل اليَّ إيعازاً شديداً لوجوب مبارحتي المكان الذي أنا فيه، لأن رضا باشا[٣] يريدني حيّا أو ميتاً.

ساعة خوف

إذا كنتُ أنا أعجزُ عن وصف الاضطراب الذي أحدثه الخبرُ فيَّ، إذن فلا يقوى أجنبيٌّ عنه، أن يُحيط بجهة من جهاته. فكيف يستطيع سَبر عمقه في نفس صاحبه؟

هي عاطفة، أنا نفسي لا أذكر الآن كيف كان وقعُها عليَّ، ولا أستطيع استعادة أشباحها إلى خاطري، فلقد كانت بهذا المقدار شديدةً حتى إنها لم تترك ألماً بعد مضائها فيَّ، كما تفعل الشفرةُ الحادّةُ في الجسم: تقتلُ ولكنها لا توجع.

وكان قد قُبض في ذلك الوقت، على المرحوم سليم بك المعوشي رئيس جمعية «أرز لبنان» – وكان رئيسها – فقضى التحقيقُ في قضيته إحضاري بصفتي كاتباً للجمعية، ثم لأن إدارة جريدة «البرق» كانت مركزا لها، تشتمل على أوراقها وسجلاتها. وكان من ضيوف الديوان الحربي يومئذٍ، المرحومان الشيخ فيليب والشيخ فريد الخازن. فأيقنتُ أن العزمَ مشحوذٌ لإعدام جديدٍ ولا سيما في سجلاتِ الجمعية مخابراتٌ مع قنصل فرنسا وغيره من القناصل.

– عليك إذن أيها الصديق، أن تنزل إلى المطبعة وتعدم جميع ما فيها من أوراق الجمعية – ومن ثم تعمدُ إلى بيع ما هنالك من الورق والغلافات؛ وهي كميةٌ غير قليلة. وجئني بما تَيَسَّر من المال. ولا تنس النظارات السوداء وأدوات الحلاقة!.

وعاد الصديق يوسف الحلو مسرعا إلى المطبعة يُنجز ما طلبت إليه، وقد طلعَ عليَّ مع فجر اليوم الثاني، يحملُ نحو مئتي ليرة تركية، هي ثمنُ ما باعَه.

احتياط للأمر

وهنا قلت للصديق يوسف: ربما فاجأ البوليس المطبعة، وقد لحظتُ أن أوراقاً بيضاء، منسيةٌ في دفتر الكوبيا، فاكتب ثلاثة كتب بلساني: الواحد لإلياس ساروفيم، وكان قد جاءني كتابٌ بتوقيعه يطعن فيه بالدولة ورجالها ويتمنى زوالها. والثاني لتوفيق مارون والثالث لشكري الخوري صاحب «أبو الهول». أما الأول فخطأه[٤] على ما جاء في كتابه؛ وأَشدِْ بمدح الدولة العثمانية، وبما نتمتع به في ظلها من النِّعم، وأما الثاني فقلْ له: إنني لا أرى لكم أن تُسَمّوا جمعيتكم «جمعية الاتحاد السوري»، وقد كان الأجدر لكم أن تُسَمّوها «الاتحاد العثماني» فتضموا إليها جميع العثمانيين المخلصين، فتقووا أدبياً ومادياً. وقل للثالث: إن الذين يغرونه من حين إلى آخر، بالإساءة إلى الدولة العثمانية، يسيئون إلى بلادهم قبل كل أحدٍ، فضلاً عن أن الخُلقَ اللبناني، يُحتِّم علينا بالوفاء في هذه الأزمة التي ستعرف بها دولتنا أصدقاءها من أعدائها».

أمليت هذه الكلمات على الصديق يوسف الحلو، وطلبت إليه أن يكتبها ويقلد إمضائي فيها، ويطبعها في الورقات البيضاء المنسية في دفتر الكوبيا، وفي نفسي أنه إذا قبض عليَّ وضبطت أوراقي، أدليت بهذه الحجة على قديم «إخلاصي» للدولة. ثم افترقنا: هو يعود إلى البلد، وأنا أدخل إلى البيت أُعد عُدَّة السفر.

ولقد كانت الساعات القليلة في ذلك البيت الذي غرست فيه حبي واخترت منه «رفيقتي»، من أفجع الساعات التي عرفتُها في حياتي؛ فلقد قام هناك شبه مأتم

اشتركت فيه العائلة بأسرها، على أني اغتنمت ساعة متأخرة من الليل، كتبت فيها رسالة الى صديقي الأستاذ جبرائيل نصار، سيرد ذكرها في ما بعد[٥] ، وهذين البيتين من الشعر وقد تركتهما على الطاولة في غرفتي:

تَـذكَّـريـني لـدى الـغـابـات كُلَّ ضُـحىً
فـقـد خـلَـعْتُ عـلـيـهـا بـيضَ أيـامي
تـركتُ آثـارَ أقـدامي هـنـاكَ وقـد
طـبَـعتُ روحي عـلـى آثـار أقـدامي

ولم يكد ينبثق فجر اليوم الأخير من نيسان ١٩١٦، حتى أقبلت العجلة التي أقلَّتني في طريق كسروان[٦]... وقد كنت قد قررت المكان الذي أنا قاصده.

بشارة الخوري

البرق ، ١٩٣١، عدد: ٣٣٩٠، ص: ٢

****

عشرون يوما في
ريفون باسم حَنَّا فياض [٢]

مديح جمال باشا - الشيخان الخازنيان - الأب العام أوغسطين - بولس سري - الأمير شكيب.

مدح جمال باشا

كانت «الجديدة» مركز حكومة المتن عام ١٩١٥ - ١٩١٧ حافلةً بعدد الأصدقاء، نأنس إليهم في أكثر الأوقات وتعقد لنا مجالس نقتنص فيها سوانح الأنس مقصوصة الجوانح.

وأردت أن يُذاع هناك أني قصدت إلى حوران أو إلى الشام. حتى إذا سُئلت القائمقامية عني، كان لها من هذه الإذاعة مستندٌ. فأرسلت وأنا على أهبة الرحيل رسالةً إلى الأستاذ جبرائيل نصار، أشكو له فيها وطأة الزمن، وأكاشفه بما اعتزمته من السفر إلى حوران، علّي أجد فيها مرتزقاً. وقد ختمتها بهذين البيتين:

أَمَّمْتُ حَوْرانَ كَيْ أقضي بهِ وَطَراً
فإن يَفُتني فإنِّي هابطُ الشامِ
لَعلَّني وجمالُ الشرق يَرمِقُني
أحيا هناكَ بآمالي وأحْلامي

الشيخان الخازنيَّان[٧]

تركتُ هذه الرسالةَ باسم الصديق نصار، وامتطيتُ العربةَ في الفجر الباكر تُخَضخِضُ بي في ساقية الدورة[٨]. حتى إذا استقبلتُ الطريقَ العام، وكدتُ أكونُ على مسافة أمتارٍ من «الجديدة» إذا بي أرى المرحومَيْن الشيخ فليب والشيخ فريد

الخازن، وبينهما الشيخ كسروان الخازن، على ما أُرجِّح، تسير بهما العربةُ إلى جهة بيروت؛ فاستوقَفتُهم أسألُهم إلى أين يقصدون؟ فقالوا إنهم قد استأذنوا جمال باشا لأيام يصرفونها بين أهلهم، وقطعوا له عهداً برجوعهم في يومٍ معينٍ، وأنَّ مُروءتهم تأبى عليهم أن يَنكُثوا بالعهد، وأنهم مطمئنون إلى سلامتهم ونِيَّة جمال من نحوهم؛ فقلتُ إنها لمُخاطرةٌ غيرُ سَليمةِ المَغَبَّة. قالوا، وأنت، إلى أين من هنا؟ قلت: إلى بلدكم الذي تركتموه، فقد أرى لي فيه ملجأً.. ثم افترقنا، وفي نفسي من القلق على هذين الأخوين الطيبين، ما فيها.

في جونية

ولقد كان الحوذيُّ الذي أقلَّني من البيت، قد اشترط إيصالي إلى «جونية»؛ فوقعتُ على حوذيّ نَدَّ اسمه عني من درعون[٩] قلت: بكم توصلُني إلى رَيفون؟[١٠] قال: بما تريد يا بك! قلت أيكفي خمس ليرات؟ قال: كما تأمر! وسارت بنا العربةُ، ولكن على عَجلٍ؛ وكيف تقوى الخيل على العجلة وثمن رطل الشعير «كمشة» من الورق الملون؟[١١].

لقد كان ذلك اليوم، الأول من أيار ١٩١٦، وكانت السماء نقيةً صافيةً، حتى كأننا في مطلع الصيف، لولا قرص البرد في الفجر والليل؛ وكان كلَّ ما يحيط بي جميلاً؛ بل غايةٌ في الجمال. ولكن أنَّى لتلك الشمس الساطعة في الأفق أن تُمزق الغيوم المتلبدة في نفسي؟.

وسألت الحوذيَّ: أترى أجدُ (لوكندة)[١٢] حسنة في ريفون؟- ولو .... رَيفون وما فيها (لوكندات)؟ بتكفيك لوكندة يوسف مانوك.

- حسن، خذنا إلى لوكندة يوسف مانوك!

وكانت الشمس قد تزحلقت عن الأفق، وأخذت أشباح المغيب تتخايل في الفضاء كأجنحة طوال رقيقة، أو كغلائل من الدخان بين الرماديِّ والقاتم، إلى أن تتلاشى رويدا، رويدا على ستارة الظلمة الزاحفة.

ووقفت بنا العجلة عند مدخل النزل؛ فأخذ الحوذيُّ «الشنتة» ووقف ينتظر حسابه.

الأب العام أوغسطين

لقد كانت لي دالَّةٌ كبيرة، في ذلك العهد، على سيادة الأب أوغسطين البستاني رئيس الرهبنة الحلبية العام – سيادة المطران البستاني اليوم – ولقد مكَّن لشخصه الكريم في نفسي، تلك المزايا العاليةُ والفضائلُ الغالية التي يتحلى بها؛ وهي إلى اليوم آخذة بالنمو ماضية في السمو، حتى بلغت الذروة العليا واستقرت، وهو فوق ذلك يجمع إلى هذه الحلى الدينية، ما لا يقل عنها جمالا في سعة الصدر، وبُعد نظرٍ إلى مروءة إنسانية ومهزة وطنية، وكان يومذاك في دير فيطرون[١٣]. فأول ما خطر لي، منذ فوجئت بنبأ عاليه[١٤]، أن ألجأ إلى ذلك الدير، وأقيم في ذلك الكنف، ولهذا أسرعت، عند دخولي إلى النزل، بكتابة كلمةٍ إلى سيادته أوجز له خبري، وأكشف له عن نيتي في الالتجاء إلى الدير، وقد أنبأته أني اتخذت لي اسم «حنَّا فياض» أستتر به ما دمت هنا؛ ودفعت الرسالة إلى الحوذيِّ فمضى بها إلى فيطرون، وهي على قيد ثلثِ ساعة من ريفون تقريبا؛ وما لبث أن عاد يحمل في عربته، راهبين حملا إليَّ تحية سيادته، وكتاباً منه يقول فيه ما خُلاصته: «إن الدير لم يعد ملجأ أمينا، لأن الجنود اللبنانيين كثيرا ما يفاجئونه ليلاً في طلب يوسف أفندي دريان؛ وقد كان مطلوبا للتجنيد». فهو إذن لا يتحمل تبعة ما يقع لي فيه، مع شديد رغبته بقربي، ثم قال لي الراهبان باسم سيادته، إنهما سيزورانني كلَّ يومٍ ويقومان بما يلزمني.

بوليس سري

كنت أول زبائن «النُّزل»، لأن المصطاف لا يقصد إلى الجبال قبل أواسط حزيران. هذا إذا أبكر؛ وأنا جئتها اليوم الأول من أيار. فمن ذا عساني أكون؟ وما هو السر في هذا التكتم؟ ولماذا تمضي عليَّ الأيام، دون أن أبرح النزل، ولو لنزهة صغيرة؟... كنت أقرأ هذه الأسئلة على شفتي الخواجة يوسف مانوك دون أن يلفظها، وأخيرا شعرت أن الرجل يرى فيَّ ضيفاً غير عادي، ولكنه على كل حال ضيف خفيف، هادئ حَسَنُ المعاملة؛ فكنت أتصور نفسي كأحد هؤلاء المجاذيب، الذين يُحجر عليهم، أو يحجرون هم على أنفسهم، لا سيما عندما كنت أبقي على ذقني أياماً دون حلاقة، رغم أني إذا

اضطررت إلى التنكر، في زيٍّ قسيسٍ، كانت اللحيةُ موجودةً جاهزةَ. هذا كله زاد في هجسِ صاحب النزل، ومن كان يلفُّ حوله من أهل القرية؛ فما لبثت الألسن أن همست: أنّ في نزل مانوك بوليساً سريا.

فإذا كان من المصائب ما يُضحك، فهذه؛ أنا أخشى أهل البلدة وأخشى على الأخص، هذه الإشاعة التي قد تنتقل بالتواتر إلى مناطق الخطر، وهناك البلية. وهم يرون فيّ البوليس السِّري، وهو يومذاك شبح الرعب والهول.

إخلاء سبيل المعوشي

وكان قد بلغني، بعد وصولي ببضعة أيام، أن الأمير شكيب أرسلان[١٥] يومئذٍ ذو الكلمة المسموعة، قد توسَّل لدى جمال باشا بإطلاق سراح سليم بك المعوشي فأفلح ولكن، أتُراني كنت أجد لي شفيعا لدى جمال، وقد سبق لي أن حملتُ في بوقي على الأمير شكيب أرسلان عفواً، نزولاً عند رغبة أحد الأدباء الدروز وهو من أصدقائي، وقد قام اليوم أحد أنسبائه يكافئني على تلك الصداقة التي كادت توردني موارد الحتف لو سقطت في يدي السفاح وكان من حق الأمير شكيب أن ينتقم مني.

ولقد سرني كثيرا إخلاء سبيل الصديق المرحوم سليم بك المعوشي لما كان له من الحب في قلبي؛ ثم لاعتقادي أن في إخلاء سبيله تمهيداً للتجاوز «عن هذه القضية» لا سيما وأن الأمير عادل كان عضوا في جمعية الأرز، إذن فقد تجمعت الأسباب لإطفائها وذلك لحُسن حظي.

بشارة الخوري

البرق،١٩٣١، عدد: ٣٣٩١، ص: ٥

****

عشرون يوما في
ريفون باسم حنَّا فياض [٣]

الخوري الياس ريشا - شنق الشيخين الخازنيين - خاتمة المشانق السياسية - ادوار لوار - مصطفى بك الحكيم - فراق غير أليم - مشهد للبدر عند المغيب.

الخوري الياس ريشا

الحق يقال: إن في الإكليروس الماروني رجالاً يفخر بهم العصر الذي نشأوا فيه؛ ولكن أمثال هؤلاء من الرجال، يتغذون بالحس العلوي إذا تغذى غيرهم بهرج الدنيا. ولكنهم على كل حال، أطيب من سواهم عنصراً، وأشرف غايةً كتلك البنفسجة التي تغطيها أوراقها، فتكتفي بنشر الطيب في الوسط الصغير الذي تقيم فيه. أما البنفسجة التي تنشَّقْتُ عَرْفَها على تلك الذرى، بين ريفون وفيطرون، فهو الخوري الياس ريشا - سيادة المطران ريشا اليوم -. فما كاد يَعْرفُ بخبري حتى قصدَ إليَّ يعرض الخدمة التي أريدُها؛ وإني لا أزال أذكر قوله لي: إننا رجال الاكليروس، ملزمون بأن نضحي بأنفسنا في سبيل أبنائنا وإخواننا؛ فإذا لم نفعل اليوم، والسيف على الأعناق، فمتى نفعل؟ فشكرت هذه العواطف وأكبرتُها، ثم طلبت إليه أن يقابل الأستاذ الشيخ ابراهيم منذر وكان، كما سبق القول، مستنطقا في حكومة المتن، فيعلمه بمقامي ويحمل إلي منه ما يهمني علمه من أخبار عاليه وغيرها، مما له علاقة بموقفي. ولقد قام حضرة الأب الياس ريشا ثلاث مرات بهذه المهمة الشاقة فمحا بمروءته الكثير من سيئات غيره.

شنق الشيخين الشقيقين

كان الخبر شديد الوطأة على النفوس، حتى لكدت أقرأ على الجباه القليلة التي كانت تمر من تحت نافذتي أسطراً دكناء، وألمس خلل الشفاه حزناً موثقاً، ذلك ساعة قيل: إن الشيخين فليب وفريد الخازن شُنقا.

ولبثت على أحر من الجمر أنتظر صحيفة من بيروت أقرأ فيها شيئا عنهما، فإذا الصحيفة عندي في اليوم التالي، وإذا هي تذكر خبر الشنق مقتضبا، ولكنها أفاضت في وصف رجل ثالث شُنق معهما، فقالت إنه يهزأ بالموت وإنه طلب قبل أن يشنق صحن فول مدمس أكله بشهية ثم مشى إلى المشنقة لاعبا هازئا.

ومن الطبيعي أن تزيد هواجسي تلك الليلة وتتكاثر عليّ الأحلام المزعجة، ولقد زاد فيها تلك الأخلاق السافلة التي ظهر بها بعضُ اللبنانيين حتى تنكر الصديق لصديقه واستراب الأخ أخاه؛ وإذا قلت لك إني لم أجرؤ أن أعلم بأمري الثلاثة الذين كانوا يحكمون قضاء كسروان وهم من أصدقائي، تبينتَ بعض ما خفي حتى الساعة من أثر اللبناني في اللبناني وشاية ودسا ونكاية.

لقد كان على قائمقامية كسروان الأمير أمين أبي اللمع وعلى قيادة الجند حنا بك حنا ضاهر وعلى مديرية الناحية الفونس أفندي منصور. وإني لأذكر بملء الأسف يوما وقعت فيه عيني من النافذة على المدير منصور، فخشيتُ أن أكلمه. وهذا يدلك على مقدار ضعف الثقة وهو أقتل ما ابتُليتْ به بلاد.

أقول هذا ولا أريد منه أن أمسّ شخصية الذين سميتهم ولكن لأدلَّ به على الحالة الروحية التي سادت لبنان مدة الحرب، وكان أبناؤها بلاءً على أبنائه.

خاتمة المشانق

ويظهر أن شنق الأخوين الطيبين كان خاتمة أعمال الرعب في لبنان وسوريا. فلقد حل محل جمال السفاح جمال باشا الصغير «كوجك جمال»[١٦] وأذيع على أثر وصوله منشور قيل فيه إنه الآن لا يؤخذ أحد بأي جرم سابق، وإن حياة كل فرد أصبحت مصونة بقوة القانون.

فأعاد هذا المنشور وما تلقَّيتُه من الصديق المنذر بعض الطمأنينة إلى نفسي؛ فسكَنْتُ قليلاً وأصبحت أتساهل بالخروج من النزل كل يوم، فأصرف الشطر الأكبر من نهاري في دير فيطرون، أو في كرسي ريفون، وأقطع الشطر الأكبر من الليل في

مطالعة روكامبول[١٧] وغيرها من الروايات التي عَمَرتْ بها صناديقُ النزل العتيقة، وكنتُ لا أزال حتى الساعة، أُدعى الخواجه حَنَّا.

إدوار لوار

كثيرون هم الذين يذكرون إدوار لوار ذلك الشابَّ الافرنسيَّ وليدَ بيروت، فهو إذن يتكلم اللغتين، وهو إذن يضرب في الجنسيتين، ثم هو يلعب على الحبلين. فلقد كان الفرنساويَّ الوحيد الذي خان وطنه ووضع نفسه تحت تصرف محيي الدين بك مدير البوليس في ذلك العهد، ومكّن له الثقة لدى الأتراك أنه اكتشف لهم آلة لاسلكية في جونية، وفي عينطورة ثم جردوا منه جاسوساً يهبط المدن والقرى فَيَجُرُّ وراءه ذيلا من الخوف يَقصر أو يطول، بنسبة ما كان يُحاط به من الزُّلفى ويُراق في جيبه من المال.

هذا هو الشخص الذي وقفت به عربته أمام باب النزل، ثم نز ل منها ودخل على الخواجا مانوك يسأله غرفة، وكنتُ لا أزال منكمشا في غرفتي، وقد شعرت بدبيب الخوف في مفاصلي، ولكنني شعرتُ فجأة بقوة اليائس على مجابهة المخاطر. وفي تلك اللحظة انكشف لي السرُّ في جراءة الذين كانوا يمشون إلى المشانق أبطالاً يتغنَّون ويتطرَّبون، وأيُّ شيء تريد أن يخطر لي، سوى أن إدوار لوار مُرسلٌ في أثري، وأنني بعد ساعاتٍ سأكون في دائرة البوليس، ومن هناك في طريق عاليه.

وسأل إدوار لوار صاحب النزل: هل عندك أحد؟

– الخواجا حنا فياض!

– إذاً فسيكون لنا شيء من السلوى.

– وحانت من الخواجا لوار لفتةٌ إلى داخل غرفتي، وكان البابُ مشقوقاً فلم ير بأسا في الدخول... «بونجور مسيو فياض». أُقدِّم لك نفسي: إدوار لوار!

– «صار لي الشرف أهلاً وسهلاً». ثم قدمت له كرسياً وطلبت له القهوة، وكان المسيو لوار خفيفاً، فيه شيءٌ من الطيش؛ فشرع منذ الساعة الأولى، يُريني صورة

قرينته وطفلته ويُحدِّثُني عن علاقة محيي الدين بك بهم، وصداقته للعائلة. ثم تناول من جيبه رسالة بتوقيع قائد البوليس، يَضعُ فيها تحت إمرته قوَّات البوليس و «الجندرمة». فنظرت إليه شذراً وقلت له، بحزمٍ فيه شيء من اللين: إجمع هذه الأوراق حالا؛ وأرجو أن لا تكون أطلعت عليها أحدا. فأنت هنا لتعمل واجبا، لا لتعكر راحة الناس الأمناء، واستأنفت الكلام بشيءٍ من عدم الاكتراث: أَلا قُلْ لي، يا مسيو لوار: كيف هي الحالة اليوم بين عزمي بك[١٨] ومحيي الدين بك؟ ولا أعلم تماما ما الذي أنطقني بهذه اللهجة، ولكني قرأت في هيئة جليسي تغيراً، مع شيء من التضاؤل أمامي، لم أستطع تفسيره إلا أنه توهمني عاملا سريا للحكومة يتمتع ببعض السلطة، ثم قال لي: أتأذن أن نتعشى معا هذا المساء؟ قلت: أنت وما تريد. فخرج يخاطب صاحب النزل بإعداد العشاء.

في أثر يوسف دريان

وإني لفي هذا الموقف الدقيق، إذا برسالةٍ تصل إليَّ من الأستاذ نصار تقول، إنَّ سؤالاً ورد على القائمقامية بشأني، فأجاب القائمقام عليها، أني توجهت إلى دمشق، والقائمقام الأمير فائز[١٩] توجه خصيصا إلى عاليه، لمعرفة الأسباب التي طُلِبتُ من أجلها. فكان خلاصة ما تجمع لديه من ذلك، هو أن اسمي ورد في معرض التحقيق في قضية «أرز لبنان»، ثم لخبر نُمي إلى الديوان العرفي، أن زورقاً أقلع إلى أرواد، من بين ركابه بشارة الخوري، ثم لأن اسمي ورد في لائحة المبعدين الأولى، وعهد إلى مغفر[٢٠] الجميزة[٢١] بطلبي، لأني كنت مقيماً في ذلك الحي؛ فأجاب المغفرُ بنزوحي عنه. تجمَّعت كلُّ هذه الأسباب، في معرض البحث عن قضية «أرز لبنان».، فساء رضا باشا أن لا أُطال في واحدة منها؛ فكانت منه تلك الكلمة العنيفة بطلبي. غير أنه، لحُسن الحظ، كان المدعي العام لدى الديوان العرفي في ذلك الوقت، حضرة الصديق الكريم مصطفى بك الحكيم؛ فعمل على طمس الأوراق، وهو يُطمنني بواسطة الأمير فائز، ويزيل كل خوفٍ في نفسي.

قرأت هذه الرسالة، بينما كان إدوار لوار والخواجة مانوك، منصرفين إلى إعداد العشاء. ولا لزوم للقول، بأنني استعدت كثيرا من نشاطي، فأخذت أُنفقُ عن سعة، حتى

أصبح السيد لوار لا يصدر إلا عن إشارتي؛ وكنت قد علمت منه أنه قدم في طلب الخواجه يوسف دريان؛ فحملتُ الخبر بنفسي إلى فيطرون، حيث أبلغته سيادة الأب العام أوغسطين.

فراق غير أليم

وشدَّ ما سُررت عندما أعلمني ذات مساء، أنه عائد إلى بيروت في صباح اليوم التالي. وبالفعل فإنه ترك النزل في الصباح الباكر، وكنتُ قد استعدت نشاطي وحريتي بعد كتاب الأستاذ نصار، فكشفت لصاحب النزل عن حقيقتي وأخذت أزور بعض البيوت في ريفون، حيث لقيت فيها كل عناية وإكرام.

إن ريفون، من أجمل قرى الاصطياف وأجودها هواءً، وأشرقها سماءً. وإني ما برحت أذكر مشهداً للبدر وقد مال إلى المغيب بين الغلس وانفتاق الفجر؛ فأوحى اليَّ هذه الأبيات:

يـا بَـدْرُ يـا مُـؤْنسَ الـزهَّـادِ هـا أنـا ذا
مـنـهُمْ وإنْ كـان ثَـوبي غـيـرَ ثـوبِـهِمِ
أمـا تـرانيَ مـذْ عـامَـيْنِ مُـعـتـزلاً
كـراهبٍ بـفـنـاء الـديـر مـعـتـصمِ
يَـمـضي الـنـهـارُ ولا أدري به فـإذا
جَنَّ الـدجى أيـقـظَـتْـني لـلـسُّرى هِـمَـمي
فـألـبَسُ الـلـيلَ جـوَّاباً بـسـاحـته
أخـوضُ فـيه بـبـحـر غَـيـرِ مـلـتـطمِ
كـأنـني شَـبَـحٌ طـوَّافُ أنـديـةٍ
لا تـسـتـقـر عـلى خـد الـثـرى قَـدَمي
في الـسـفح حـيـنـا وأحـيـانـا عـلى الأكمِ
في ظـاهـر الـسـهل أو في بـاطن الأجَمِ

وشـاقـني مـنـظـرٌ لـلـبـدر أرْسُـمُهُ
وقـد تـقـنَّع زاهي وجـهه بِـدَمِ

وذاك لمَّـا تـهـاوى نـحـوَ مـغْـرِبِهِ
وقـبَّلَ الـبـحـرَ مـنه ثـغـرُ مـبـتـسمِ
فـخْـلـتُهُ غـادةً حـسـنـاءَ خـافـيـةً
في المـاء جـسـمـا علاهُ وجهُ مـضـطَـرمِ
رأتْ على البعد - فاستحْيَتْ - خيالَ فتىً
يـدنـو مع الـغـلس الـطـافي عـلى الـظُّـلَمِ
فـكـلـمـا قـاس بـاعـاً في الـثـرى حـجَـبَتْ
من وجـهـهـا إصـبـعـاً آيـاتِ مُـحْـتَـشِمِ
حـتـى إذا مـا دنـا غـاصَتْ وقـد تَـركَتْ
في صـفـحـة المـاء آثـارا من الـضَّـرَمِ

وعـدْتُ عـنه وطَـرْفُ الـفـجـرَ يـرْمـقُـني
لا كـنتَ يـا فـجـرُ؛ قـد نَـغَّـصْتَ لي حُـلُـمي

وقد غادرتُ ريفون في الواحد والعشرين من أيار سنة ١٩١٦ إلى منزلي في الساحل، بعد أنْ خلعتُ عني مخاوفي وهمومي، ولكنْ إلى أجلٍ، فانصرفتُ إلى المطالعة والنَّظْم، أَقتُلُ بهما الوقتَ طيلة ثلاثة أشهرٍ: من حزيران سنة ١٩١٦ إلى آخر آب من السنة نفسها. وأذكر أنَّ كل ما نظَمتُهُ مدة الحرب، كان خلال هذه الأشهر الثلاثة، ما خلا بعض المقاطع.

بشارة الخوري

البرق، ١٩٣١ ، عدد: ٣٣٩١-٣٣٩٢، ص:٥-٦

بين أيلول ١٩١٦ وكانون ١٩١٧[١]

تيار من هواجس - نعوم أفندي باخوس - ساعة يأس - سليم أفندي مقصود.

تيار من هواجس

وكانت الضائقة قد أخذت بالخِناق في ذلك العهد، فأصبحت حبةُ القمح كحبة التبر؛ كلاهما يَصعُب الحصول عليه، أو هما أصبحا في عداد المستحيلات على الضعيف العاجز والأديب الخائف. وكانت الأشهرُ الثلاثة: حزيران وتموز وآب، قد أكلت ما بقي معي من الدراهم القليلة، وكان عليَّ أن أقوم بأَوَدِ عائلةٍ فيها بضعةُ أطفالٍ ألقاهم القدَرُ على عاتقي، وأيُّ عاتق ضعيف هو؟ فَطَويتُ «الأغاني»[١] وكان رفيقَ ليلتي ونهاري؛ وانصرفتُ عن قلمي وطِرْسي، أنظرُ تارة إلى تحت مخدتي، فأحسَبُ ما هناك من دراهم، وكانت لا تفي بنفقة أسبوع، وتارةً أُطلق العنان لمخيلتي، أستعيد أخيلةَ الأصدقاء القادرين، فأُحدِّثُ النفس بالالتجاء إليهم، ولو في سِلفةٍ أفيها؛ ولكني كنت أهتزُّ فجأة لما أتصور أنه عالقٌ في نفوس هؤلاء الأصدقاء من عجزي عن الوفاء، وأنَّ المال الذي سيرسلونه إليَّ، إنما هو على سبيل الهبة أو المساعدة؛ فأقطع عن مخيلتي طريقها وأرجع إلى الحالة الراهنة التي أنا فيها.

نعوم باخوس

وإني لأصارعُ هذه الأفكار، فتصرعني، فآخذ القلم وأكتب هذين البيتين، وفي نيَّتي أن أبعث بهما إلى أقدر وأوسع أصدقائي، وهما:

أتيتُك والدنيا ظلامٌ فمُرْ بها
فتُسْفِرَ عن شمس السُّعود سماؤها
فلستُ، ونبعُ المال جَفَّ براحتي
سوى سَمْكةٍ نهريةٍ جَفَّ ماؤها

على أني ما كدتُ أستعيد قراءتها، حتى أخذتُ الورقة بيدي، فدعكتها ورميت بها إلى الأرض؛ ثم نهضت لأرتمي في سريري، فإذا بعربة تقف أمام البيت، ترجل منها الصديق الكريم نعوم أفندي باخوس، فأسرعتُ إلى استقباله فالتقينا على وسط السلم مشوقين. ثم بادر الى السؤال عن أحوالي؛ فحمدت الله عليها، وقلتُ له إني في خير. فعرض عليَّ نحو ألف ليرة وألحَّ بأن آخذها منه، على أن أردَّها إليه بعد الحرب، فأنكرت أني في حاجة إلى المال من غير أن أعلم سبب الحياء الذي استولى عليَّ. فنعوم باخوس من أصدق إخواني وأقربهم إليَّ، ومن أعفِّهم يداً وأسبقهم ندىً وأكرمهم محتدا؛ وأنا على يقينٍ أني قادرٌ على الوفاء لأني لم أكن قد بعتُ مطبعتي بعد.

ساعة يأس

وشيَّعتُ الصديقَ نعوم أفندي باخوس، حتى إذا غاب عن بصري عدت إلى غرفتي، أتفحص ما بقي معي من الدراهم، فإذا هي قد فني أكثرها، فارتميتُ في سريري حائراً مُضعضعاً، وقد أخذ الشِّعرُ اليائس يعتلج في نفسي، فإذا أنا أسوِّد الصفحة التي كانت في يدي بهذه الأبيات:

يـــا لَـــنَـــفـــسـي إذا غَـــدي
أنْـــضَبَ المـــالَ مِـنْ يَـــدي
ورَمـــانـي بـــفـــاقـــةٍ
دون وقْـعِ المُـــهـــنَّـــدِ
وتـــطـــلَّـــعْـتُ لا أرى
درْهـــمـــاً تحتَ مـــسْـــنَـــدي
وإبـــائـي يَـــروحُ لـــلـــ
ـــيـــأس بـي ثُمَّ يَـــغـــتـــدي
لـــيس يَـــرْضى ليَ الـــسـوْا
لَ حـــيـــائي ومَـــحْـــتِـــدي
نـــفسُ حُـــرٍّ شـــعـــارُهـــا
الـــردى خـــيـــرُ مَـــوْرِدِ

فـــأخي في خـــصـــاصـــتي
كـــالجـــنـــيب المـــعـــبَّـــدِ[٢]
ومـعَ الـــيُـــسْـــر مَنْ نـــأى
كـــأخي مـــنـــذ مـــولـــدي
هـــكـــذا مـــنـــذ نـــشـــأتي
غـــيـــرَ ذا لـم أُعَـــوَّدِ

أخـــذ المـــالُ ثـــأرَهُ
مـن جَـــوادٍ مُـــبَـــدِّدِ
حـــقَّـــر المـــالَ كـــفُّهُ
فـــالـــثـــرى مـــثْلُ عَـــسْـــجـــدِ
فـــنـــأى عـــنـه حـــاقـــدا
أي مـن هـــنـت يـــحـــقـــدِ
أيـــهـــا المـــال إن تَـــبِنْ
بـــعـــدمـــا كـــنت فـي يـــدي
لـــست آتـــيك ضـــارعـــا
جـــلَّ عـــن ذاك ســـؤددي
لـي شـــفـــيـــعٌ إلـى الـــردى
هـــو مـــنـــي بمـــرصـــد
جـــرعـــةٌ إن كـــرعـــتُـــهـــا
فـــلـــقـــد نـــلتُ مـــقـــصـــدي
ســـجِّـــلي يـــا يـــراعـــتي
وَمُـــرِي الـــطـــرس يـــشـــهـــد

سليم مقصود

ليس سليم مقصود بالأديب الكاتب، ولا هو بالغني الطامح، ولكنه نشأ في حضن السياسة اللبنانية، ودرسها في بيت حبيب باشا السعد خاصة، فكنا نلتقي به هناك

عهد يوسف باشا[٣] حيث تُبسط الآراء وتُطبخ المؤامرات، فعجمنا منه عوداً صلبا، واعتمدنا منه ذكاء فطريا مدهشا وعرفنا فيه إخلاصا عجيبا يدل عليه بقاؤه على ولائه لحبيب باشا أكان في السراي رئيسا أو في بيته حبيسا، وإن تعجب أن يستحق سليم مقصود هذا التنويه مني، فقد تراني مُحقاً متى علمتَ أنه الرجل الذي بعثته العناية إليَّ في أحرج الساعات. فقد رآني وهو في طريقه إلى الجديدة فجُنَّ جنونه وانبرى يستمطر الأفق سبابا، ثم انحنى علي بالأسئلة: أين كنت؟ وماذا تفعل؟ وكيف أنت؟ ثم استطرد: إني سأنقل خبرك إلى نجيب بك الأصفر، وأنا واثق أنه ليسر بمساعدتك، ثم لوح بإشارة من وجهه، أراد أن يقول بها «إنهم» يحتاجون إلى شهادة مثلك فيهم، بعد أن تضع الحرب أوزارها.

وكان سليم مقصود موظفا في شركة القمح، وكان يومذاك في دورة تفتيشية – على ما أذكر – وإذا علمتَ ان قنطار القمح كان يباع في الشركة بين العشرة إلى العشرين ليرة تركية، في حين أن ثمنه في السوق كان يتراوح بين المئة إلى الخمسمائة ليرة تركية، أدركت مبلغ النعمة التي كان يتقلب فيها الذين رزقوا حظوة في عيون أولي الأمر في ذلك الزمن، ولم تعد تعجب لجامعي الثروات منهم لأنهم كانوا يبيعون ما يفضل عنهم من القمح بمبلغ كبير.

ولم تمض أيام على هذا اللقاء، حتى حمل إليَّ أحدُ المُكارين، نحو نصف قنطارٍ من القمح، مصحوباً برسالة من سليم مقصود مع بيان الثمن فأدَّيتُه للرسول مغتبطا، لأنه إذا وُجدَ القمحُ في ذلك الوقت، فقد وُجد كلُّ شيء حتى الذهبُ نفسُه.

مفاجأة مؤلمة

وكأن القدر قد كَتَب لي أنْ لا أطمئنَّ ساعةً. فلقد زارني على أثر هذا، بعض الأصدقاء أتذكر منهم الشاعر حليم دمُّوس[٤] والتاجر جبرائيل غرزوري والأديب المرحوم طانيوس عبود[٥]، فكان مما بادرني به أحدهم، أنهم تحدثوا في قطار الشام أنَّ زورقاً سافر من الشاطئ اللبناني إلى أرواد، ويقال إنَّ عليه بشارة الخوري، وإنَّ نعيم صوايا كان من شهود هذا الحديث، ولا تسل عما تركته هذه الإشاعة في نفسي من الألم المزوج بالخوف.

بشارة الخوري

البرق، ١٩٣١، عدد : ٣٣٩٣، ص: ٥

****

بين أيلول ١٩١٦ وكانون ١٩١٧[٢]

نجيب بك الأصفر - موظف ثلاثة أشهر - شتاء في بكفيا - إشاعة الصلح - بؤساء ١٩١٧.

نجيب بك الأصفر

لقد تضاربت الأقوال في نجيب بك الأصفر، مدير شركة القمح اللبنانية[٦]. ولا غَرو إذا كثُرَ الناقمون؛ وهو يومذاك في معتقد القوم، أنه يستطيع وقفَ المجاعة، ونثرَ أكياس الحنطة هنا وهناك وهنالك. ولكنهم جهلوا أن مدير شركة القمح، لم يكن مستقلاً، وأنه كان هناك علي منيف يوجه إليه بالوثائق لفلان وفلانة؛ ثم إنه لم يكن في وسعه أن يراقب معاونيه، وقد تفشَّى في معظمهم، داء الارتكاب، واشتدَّ ظمأهم إلى جمع الثروات. فهو إمّا أنه كان يعرف ويستحي أن يعاقب، أو أنه كان ذا ثقة بمن حوله، فيتسلحُ هؤلاء بهذه الثقة ويتمادون في اتباع نفوسهم. ولقد كان في وسع نجيب الأصفر أن يجمع ثروةً لا تحصدها السنون، من وراء وظيفته تلك. فإذا هو يكدح بين أوروبا ومصر والعراق، في طلب مشروع يبني عليه مركزه المادي ولمَّا يزل.

أقول هذا، لا لِمَا سبق إلي من رعاية، لأني ما اعتدت أن أصانع حتى في ذلك الزمن الكالح. ولكنها كلمة أملاها الوجدانُ، وحداها العرفان، وما شاء ربُّك كان.

موظف ثلاثة أشهر

كان ذلك اليوم في أيلول أو تشرين من عام ١٩١٦، عندما أقلَّتني (العربية) إلى جنب الأمير المرحوم فائز شهاب، لأني لم أكن بعد لأجسر على الذهاب وحدي إلى بعبدا. فسِرنا توّاً إلى إدارة الشركة؛ وشدَّ ما كان فرحُ الأصحاب بذلك الملتقى! وقد استقبلني نجيب بك استقبالاً حسنا مرفوقاً بكثير من العتاب، لعدم إخباره بمكاني وعرض حاجاتي عليه؛ فشكرتُ له وأثنيتُ عليه؛ ثم عرض علي وظيفة في دائرته، فآثرتُ

أن أكون بعيداً عن مركز الحكومة. وكان للإدارة مركزٌ في بكفيا، فأُرسلتُ إليه بمُرتَّب ثلاثينَ رطلا من الحنطة.

في بكفيا

لم أكن لأشهد الشتاء في الجبال قبل تلك السنة؛ ولقد كان أكثر ما انطبع في نفسي، تلك الملآت من البرد الصغير تتساقط طياتٍ طياتٍ على الشجر والأرض؛ والحق يقال: إن تمضية أسبوع في أعالي الجبال، حول الموقد، وعلى سَعَةٍ من العيش، لَمِمَّا يُستطابُ. ولقد كان رفيقيَّ في تلك المهمة، إلياس أفندي الحويك وسامي بك الخوري – مدير العدلية اليوم – فكنَّا نصرف أكثر أوقاتِ الفراغ، بما يُنَفِّس الكَرْب ويخفِّفُ وقعَ المصائب، إلى ما هنالك من آمال نُحيكها للمستقبل – والمستقبل عندنا نهاية الحرب –. ولقد كانت لي سَلوةٌ أخرى ببعض الرفاق الأدباء، يقصدون إليَّ من القرى المجاورة، فنتناشدُ الشعر ونتشاكى بعض ما يختلج في الصدر.

إشاعة الصلح

ولقد راجت إشاعةٌ بعقد الصلح في مستهل عام ١٩١٧. وكنا لا نزال في كانون الأول من عام ١٩١٦. فرحنا نرقصُ فرحاً ونتبادل التهاني، ونحن لا نصدِّقُ أننا خارجون من هذا السجن الكبير – لبنان –، أو أنَّ نورَ العالم الوسيع سيَنفُذُ إلينا، فنُبصر حقيقة ما جرى في ساحات الحرب وغيرها، لأننا لم نكن نُعطى من الأخبار إلا ما وافق مصلحة الدولة التركية وحلفائها. ومما يستحق الذكرَ أن الضائقة كانت قد بلغت أشدها. حتى إنَّ بعض الناس – على ما اتصل بنا – كانوا يُنقبون في رَوث الدواب عن حبوب القمح، ويحسبون الجيفة النتنة وليمةً فاخرة.

خيبة أمل

وشدَّ ما كانت الخيبة أليمةً عندما أقبل العام الجديد، دون أن تحمل الأنباء بشرى السلام. فتكاثفت الظلمة في عيوننا ونفوسنا، ورحنا نطرق وجوماً، ونتساءل همساً عمَّا حال دون السّلم، ونحن لا نقوى أن نطيل فيه بحثاً. ثم رحنا نتساءل: كيف يقوى هؤلاء الضعفاء على البقاء في الحياة، إذا استمرت الحرب سنةً أخرى؟

وكأنَّ تلك المؤثرات قد أوحت إلينا الشِّعر، والشعرُ عند الشاعر كالدمع، لا يستطيع حبسه إذا هو جاش في نفسه. فتمَّ لنا في فجر تلك الليلة قصيدة بعثنا بها إلى نجيب بك الأصفر، وقد جعلنا عنوانها «بؤساء ١٩١٧» وقد أودعنا فيها من وصف الحالة، ما لو وقع عليه أولو الأمر في ذلك العهد، لكان المصيرُ وبالاً.

بؤساء ١٩١٧

إلى نجيب بك الأصفر:

أنجـــيبُ والـــدُّنـــيـــا تـــدورُ
ســـتَـــلي بـــهـــا الأمـــورَ أمـــورُ
فـــإذا نـــدبتَ فـــكن كـــمـــا
يُـمـلي عـلى الـشَّـرف الـضـمـيـر
روحـــاً تـــذوب مع الـــفـــقـــيـ
ـــرِ فـدمـعـةُ الـلـه الـفـقـيـرُ
وتـــرقُّ لـلـعـانـي الـكـسـيـ
ـــرِ وكـلّـفـنـا الـعـانـي الـكـسـيـرُ
ونـــحـنُّ تحـــنـــانَ الـــغـــديـ
ـــرِ يـــحـــقُّه نَـــوْرٌ ونُـــور
طَـــلْقُ المـــشـــاعـــر مَنْ يَـــرِدْ
فـهـنـالك الـعَـذْبُ الـغـزيـر

بـــئـــساً لمـــولـــود الـــقـــرونِ أتى
ومـــا عَـــزَف الـــبَـــشـــيـــرُ
لا مـــرحـــبـــاً بـــالـــطـــفل أشـ
ـلاءُ الأنـــامِ لـه ســـريـــر
كـــذِبَـتْ بـه الآمـــالُ واند
ـطـفـأت وقـد كـانت تُـنـيـر

كـــــشَفَ الـــــضـــــحى عن أوجُهٍ
خطُّ الحـــــيـــــاة بـــــهنَّ زُورُ
عُـــري المـــنـــاكب، والـــريـــاحُ
أَخـــفُّـــهُنَّ الـــزمـــهـــريـــر
عـــبثَ الـــنـــحـــولُ بـــهـــا فـــشَـــفْ
فَتْ عن دخـــائـــلـــهـــا الـــصـــدور
حـــال جـــهـــنم عـــنـــدهـــا
الـــفـــردوسُ والـــعَـــيشُ الـــنـــضـــير
يـــشـــقى بـــهـــا الـــشـــيخُ الـــكـــبـــيـ
ـــرُ ويـــهـــلِك الـــولـــدُ الـــصـــغـــيـــر

وافى صـــبـــاحُ الـــعـــيـــد والـ
أجـــراسُ نَـــغـــمـــتُـــهـــا زفـــيـــر
فـــأتـــوا الـــكـــنـــيـــسَـــةَ تـــزدهي
بـــلآلئ الـــدمعِ الـــنّـــحـــورُ
وجـــثـــوا عـــلـــى ذاك الـــتـــرا
بِ وإنَّه المـــلـــجـــا الأخـــيـــر
قـــالـــوا، ومِلْءُ نـــفـــوســـهمْ
تـــقـــوى، وتـــقـــواهُمْ شُـــعـــور
وصلاتُـــهم مَـــلَـــكـــيَّـــةٌ
وشـــذا صلاتِـــهمُ بَـــخُـــور
يـــا ربُّ نـــحـــن بـــنُـــوكَ لـــيـ
س لـــنـــا من الـــدنـــيـــا نَـــصـــيـرُ
يـــا ربُّ مـــا ذنبُ الـــصـــغـــا
رِ ومـــا دَرَتْ بـــهـــمُ الـــشُّـــرور
رُحْـــمـــاكَ فـــالـــذنبُ الـــكـــبـــيـ
ـــر يُـــزيـــله الـــعـــفـــو الـــكـــبـــيـرُ

قـــــــــــال الإلــه وكـــــــــــفُّــهُ
لَـــمَـلاكه الـــبـــاكي تُـــشـــيـــر
إنـي عَـــــــفَـــــــوْتُ لأجـــــــلـه
وَيُـــشَـــفَّع المـــلك الـــطَّـــهُـــور
فـــبـــعـــثتُ لـــلـــنـــاسِ الـــنَّـــجـــيـ
ـبَ وفـــيه مـــرحَـــمـــةٌ ونُـــور
عـــوذوا بـه في الـــنـــائـــبـــا
تِ إذا دَهَـتْ، وإلـــيـه ســـيـــروا

هذا ولم يَطُلْ بعد ذلك بقاؤنا في بكفيا، لانتهاء مَهَمَّتنا فيها. وما هي إلا بضعةُ أشهرٍ من ذلك التاريخ، حتى زالت «الشركةُ»، وكانت الضائقةُ لا تنفكُّ آخذةً بخناق الناس، حتى كثرتْ ضحاياها، وحتى أصبح ثَمنُ البستانِ لا يَشتري قنطارَ حِنطة.

بشارة الخوري

البرق، ١٩٣١، عدد: ٣٣٩٤، ص: ٥

****

كيف تعرفت إلى شوقي[1]

في عاليه

كان ذلك حوالي الثلثِ الأخير من حزيران سنة ١٩٣٠؛ لا أذكر اليوم، ولكني أذكر أنني كنتُ جالساً عصاري يومٍ إلى طاولةٍ في باحة نَزْل شاهين، فإذا بالصديق الأستاذ شكري بخاش «قيس شوقي» كما يقال «قيس ليلى» لِشدة شَغَفه به وإكباره إياه، إذا بالبخاش يُبادهني بقوله: ألم ترَ شوقي؟ إنه هنا في النَّزْل، وإنه خارجٌ بعد هنيهة. قلتُ إني إلى الآن لا أعرفُ وجهه. فحَمْلق شُكري في وجهي، حتى خفتُهُ، ثم هدأ من حدَّته وقال: معَ أنك كنت بعض حديثنا في أكثر مجالسنا معه، وإذا بشوقي يخرج من النزل إلى الباحة.

يا باشا! يا باشا... هتَفَ شكري، فإذا بشوقي بك يلتفتُ مبتسماً، ثم يتابعُ. نقلَ خطواته إلينا، فنهضنا له، وشكري يشير إليّ هذا هو يا باشا... الخوري... الأخطل، ثم كانت جلسةٌ قصيرةٌ كحاشية الشَّفق.

في الرستوران[2] الفرنساوي

وكان اليوم العاشر من شهر تموز، من السنة نفسها موعدَ الحفلة التي أقامتها دمشق لتأبين فقيدها الكبير المرحوم فوزي الغزي[3]؛ وكنت أتردد كل مساءٍ إلى الرستوران الفرنساوي، فأنتبذُ مكاناً مُعتزلاً، فلا يكاد يمضي بعضُ الساعة حتى يُقبلَ شوقي – طيَّب الله روحه –. فما هو إن يُسَرِّح طرفه قليلا، في الجلوس، حتى يُقبلَ إليَّ ويستلقي على كرسيِّه، إلى الجانب الثاني من الطاولة. وكان قد أسمعه صديقانا الأستاذ جبران التويني[4] والأستاذ ميشال أبي شهلا[5]، بعضَ ما علِقَ في ذهنهم من قصيدتي في فوزي الغزي، وهو يومذاك من شعراء الحفلة؛ فكان يسألني من حينٍ إلى

آخر، أنْ أروي له بعض أبياتها مما سمع عنه من الصديقين، وكانا لم يحفظاه – وأخصُّه في المقابلة بين المرأة والحية –.

ولم تكن تمر الدقائق، إلا وتحمل إلينا جليساً جديدا، حتى كان يتجاوز عدد الجلوس أحياناً العشرة من الأصفياء المختارين. وكان أقلَّ الجميع حديثاً، شوقي. فهو لم يكن ينتبه إلا لنادرةٍ يسمعها، أو نُكتة يرسلها، أو حديثٍ شهي تستيقظ له حواسُّه، ثم ما هي إلا أن تحين الساعة التاسعة والنصف حتى ينهض إلى السينما، وقد كان شديد الشَّغف بها.

في دعوة الرئيس دباس

وكان لفخامة الرئيس دباس[٦] عطفٌ كبير على شوقي بك. فأقام له ظُهر يوم الثلاثاء في ٨ تموز مأدبةً دعا إليها الوزراء ومجلس نقابة الصحافة؛ غير أنه لم تكد السيارة تصل بنا إلى قصر الرئاسة في عاليه؛ وندخل إلى غرفة الاستقبال، حتى فوجئنا بما هزَّ قلوبنا هزّاً عنيفاً، وشوقي يومذاك مِلْءُ قلوبنا؛ ذلك أننا رأيناهُ وقد أُجلس على كرسيٍّ تحت يد الطبيب، يَغسلُ خُدوشَه ويعصب جراحه، ثم ينزعُ عنه بعضَ ثيابه ليَجُسَّ مكان الرضوض، وهو أصفر الوجه، تضطرب السيكارة في يده، وترتجفُ الابتسامة الشاحبة على شَفَتيه؛ وكان فخامة الرئيس الأستاذ دباس إلى جنب الطبيب يعمل معه بيده، وجمهور الصحافيين مُحيطونَ به. فما كاد ينتهي الطبيبُ من عمله، ويستعيدُ شوقي بعض انتعاشه، حتى وقعَ نظره عليَّ وقال مبتسماً «كان بقا يا، أستاذ بشاره رَحْ تِعْمِل قصيدة تانيَهْ» «يشير إلى قصيدة فيه مع قصيدة الغزي». فقلت له: سَلَّمك اللهُ يا باشا. «ان شاء الله تَقْبُرُ الجميعَ في أيامك»! فما تمالك أن ضحكَ وضحكنا جميعاً، ثم قمنا وقام شوقي معنا إلى الغداء.

في دمشق

ثم التقينا بشوقي بك في دمشق، بعد يومين من وليمة رئيس الجمهورية. فقد جمعنا أوتيل خَوَّام، وكنا قد قدِمنا دمشق للمشاركة في حفلة المرحوم الغزي التي لم يستطع حضورها لانحراف صحته.

ورجعنا من الحفلة بُعَيْد المغيب، وقد صحبنا إلى النزل إخوان كرام من رجال الوطنية والأدب، بينهم الأستاذان الخوري[٧] وجميل مردم بك[٨] والدكتور الأرمنازي[٩] وزملاؤنا أربابُ الصحف. ثم أقبلَ علينا دولةُ محمد علي بك العابد[١٠]، فكان اجتماعٌ لطيف افترشَ حديقةَ «خوَّام» حول موائد مُشعَّةٍ هانئة دعونا الإخوان إليها فلبوا كراماً.

وكان شوقي بك لا يزال في غرفته، وقد تجاوزت الساعةُ التاسعةَ، فدعَوناه إلينا، فأقبل، وأقمنا شطراً من الوقت في أطيب مجلس وأشهاه؛ حتى إذا انتصف الليل افترقنا.

وكان بعضُ الزملاء يزورُنا كلَّ صباحٍ، فنُقيم في الردهة، ثم يُقبل علينا شوقي فيكون أولُ سؤاله عن صُحُفِ مصر. وكانت تجري لنا معه مداعباتٌ لطيفة في اختلاق بعضِ الأخبار التي لا تَسُرُّه، ثم نَعُودُ فنجلو صفحة وجهه بكشف الحقيقة، فيعود إليه صفوُه.

وكان أكثر غُدْواته، إلى المكاتب. ونذكر أنه صرف يوماً بجملته، وهو يسأل عن ديوان التلعفري[١١]. وكان قبله قد اشترى ديوان أبي نواس. أما المتنبي فكان رفيقه الذي لا يكلُّ له صُحبة.

العودة إلى بيروت

وعاد شوقي إلى بيروت، وعادت مجالسُنا في الرستوران الفرنساوي، كما كانت قبل ذهابنا إلى دمشق. ثم لم يلبث أن غادَرَنا إلى مصر، وكانت تعلَّتُنا كلَّ صيفٍ أن نراه بيننا، فتُشرق به الربوعُ وتصفو المواردُ، حتى فاجأنا نعيُه بالأمس، فانصعقت له صدورُنا مُكبرين به رُزء الأدب العربي الذي لن يُعوض. رَحم الله شوقي وأنزله في جنة الخلد، في المقام الأسنى والمراح الأشهى.

بشارة الخوري

البرق، ١٩٣٢، عدد: ٣٣٥١، ص: ١

****

لماذا تسميت بالأخطل الصغير

«لماذا اتخذ «الأخطل الصغير» لَقَباً له، يبني عليه قصائده، على ما بين جزالة الأخطل[١]، شاعر عبدالملك بن مروان، ورقَّةِ شعر الأخطل الصغير، أو قُلْ: على ما بين خُشونة ذلك العَصر، ونُعومة هذا العصر»؟.

وجَّه إليَّ هذا السؤال لسنواتٍ خلت، حضرةُ الأستاذ مكرزل مُنشئ «الهدى»[٢]. فما وجدت يومذاك متسعاً للإجابة، وقد وطَّنت النفس على استخلاص بقايا ما حفظت الذاكرة من حوادث الأمس وفيها الضاحكُ والباكي، والشاكر والشاكي، إلى ما هناك من نوادر الإخوان ممن امتزجوا بي وامتزجت بهم، كالعازار والريحاني وملاَّط وفيَّاض وتقي الدين ونصار وثابت[٣] والنجار[٤] وغيرهم، ممن هم خارج هذا القطر، كرستم[٥] والرصافي والزهاوي[٦] ممن ملأت شهرتهم العالم العربي على إطلاقه. أما وقد وطنت النفس على هذا، فأنا بادئ اليوم، بالجواب على سؤال صديقي صاحب «الهدى» عن السبب في اختياري «الأخطل الصغير» حجاباً لاسمي الحقيقي.

كانت الحرب العالمية؛ ثم كان عهد «جمال» في سوريا ولبنان، وهو عهد النفي والمشنقة، بل هو عهد الإرهاب بجميع أسبابه وأنواعه. وورد اسمي في لائحة المبعدين ساعة أنا مطمئن في قهاوي بيروت، بين معشر الصحب، وفي يقيننا أن الحرب تنتهي بالمعركة الأولى. وكان نذيراً لي بذلك، الصديق فارس أفندي مشرق، فدب الخوف في المفاصل. ولم تغب علي شمس ذلك النهار، إلا وأنا خارج البلد على كثيرٍ من القلق.

وانطوت الأعوام بعد الشهور على حالاتٍ شتى من البؤس، ومفاجآتٍ مفعمة بالخوف، حتى كان تموز من عام ١٩١٦، فإذا أنا مطمئن قليلاً إلى نفسي، آنس كثيرا بكتبي بعد طويل وحشةٍ وأليم غُربة؛ ولقد كنت وسائر الناس، نتنسَّمُ خلال ذلك، الأخبار من البادية حيناً، ومن البحر حينا آخر، لا ندري إذا كان يُدركنا السلمُ وفينا رمق من الحياة.

وكانت الفكرة السائدة أن الحلفاء، سيبعثون الامبراطورية العربية، وعلى رأسها الحسينُ بن علي[٧]؛ وكانت الحاجة ماسة إلى إثارة الخواطر في البلاد، تعجيلا ليوم الخلاص، وهو كل أمنية البلاد العربية، ذلك العهد.

ولم يكن ليجرؤ واحدنا، ولو في الحلم، أن يرسل كلمةً في سبيل النهضة، ولو همساً.. فكيف به إذا شاء هو أن يرسل في ذلك السبيل، قصيدة يترجع صداها.

وكان يعجبني من الأخطل خفة روحه، وإبداعه في اصطياد المعاني، يقودها ذليلةً إلى فصيح مبانيه. وفوق ذلك فقد كان الشاعر المسيحيُّ الفذ تتفتح درته أبواب الخلائف[٨] يملأها لذة وطرباً وإدلالاً، بل يملأها ذلك الشرف الذي لا يبلى، والمجد الذي لا يفنى، كهذا الذي تقرأه له في بني مروان وعبدالملك:

خف القطين فراحوا منك أو بكروا
وأزعجتهم نوى في صرفها غِيَرُ

إلى قوله:

نفسي فداءُ أمير المؤمنينَ إذا
أبدى النواجِذَ يوماً عارِمٌ ذَكَرُ
الخائضِ الغَمْرَ والميمونِ طائرُهُ
خليفةِ اللهِ يُستَسْقى به المطَرُ
في نبعةٍ من قُريشٍ يعصمون بها
ما إن يُوازى بأعلى نبتها الشَّجرُ
حُشْدٌ[٩] على الخَيْر عيَّافو الخنا أُنُفٌ
إذا ألَمَّتْ بهم مكروهةٌ صَبَروا
شُمسُ العداوةِ حتى يستقادَ لهم
وأعظمُ الناس أحلاما إذا قدِروا

فرأيتُ، وأنا أدعو للدولة العربية، وموقفي منها موقفُ الأخطل من دولة بني مروان، أن أدُلَّ على حقيقة الشاعر المُتنكِّر، فلم أرَ «كالأخطل الصغير» أمضي به ما كانت تقطُرُه القريحةُ المتألقةُ من شِعر، لم يبقَ لي منه إلا كيفية الوشم في ظاهر اليد.

وكيف يستطاع حفظ ذلك الشعر الذي لم أكن أجرأ[١٠] على الاحتفاظ به بين أوراقي، في عهدٍ كان هذا لسان حاله:

أُلْجُمْ لسانكَ أُلْجُمِ
فالموتُ للمُتَكَلِّمِ
لا يسألونك إنْ قُبِضْ
تَ أَثِمْتَ أم لَمْ تَأْثَمِ
فالحَبْلُ شَرٌّ مُرَحِّبٍ
والعُنقُ خيرُ مُسلِّمِ
والسِّجن أكرمُ صاحبٍ
والنفيُ أيسَرُ مَغْنَمِ

وهي قصيدة طويلة كنتُ أحتال لحفظها بإثبات قوافيها متسلسلةٍ، ولكن لسوء الحظ، أو لحُسنه جاء النسيان عليها، فطمسها من الذاكرة، إلا بيتين عزيزين مهدت لهما بتصوير الرعب وأخذه بقلوب الناس، حتى لا يأخذ العيونَ منهم الغمضُ إلا لِماماً:

جرتْ ينابيعُ الكرى
كَتَوَهُم المُتَوهِّمِ
فإذا عيونُهُمُ عليـ
ـها كالطيور الحُوَّمِ

وكان أول ما علَّقتُ اسم «الأخطل الصغير»، بل كان أول القصائد التي مهرتُها هذا التوقيع، قصيدة نظمتُها يوم نقل إلينا أن قامت في الحجاز دولةٌ عربية لها مليكُها أو خليفتها، ولها وزراؤها؛ وقد ذكروا لنا منهم يومئذٍ السيد رشيد رضا والشيخ فؤاد الخطيب[١١] وعزيز بك المصري[١٢] واسكندر بك عمُّون؛[١٣] ففعلت تلك البشرى بنا –

ونحن بين مخالب المكاره – فِعْلها العجيبَ فقلت في ذاك قصيدةً كان أوَّلَ من قرأتُها عليه، صديقي الأستاذ جبرائيل نصار، وقد كان لي خلال الحرب رَمْزَ الوفاء ومكارِم الأخلاق، وهي طويلة لا يزال عالقا في الذهن شيء منها وهو:

لـيـالي الـبـؤسِ حَـسْـبُكِ مـا لـقـيـنـا
أردْتِ فـنـاءنـا، إنَّـا فَـنـيـنـا
ولا يَـغْـرُرْكِ إنَّ بـنـا أُنـاسـاً
قلائلَ لَمْ يـزالـوا سـالمـيـنـا
فـمُـذْ ضـاقتْ بـهم سـبُلُ المـنـايـا
تَـنَـحَّـوْا لـلـجـيـادِ الـسـابـقـيـنـا
ولـولا أنْ تَـنَـحَّـوْهـا لـكـانـوا
بـأشلاءِ الأعـزة يَـعْـثِـرُونـا
ألاَ قَـرِّي عُـيـونـاً يـا لـيـالي
لـقـد بِـدْنـا أَلاَ قَـرِّي عُـيـونـا
ونـامي مْلءَ عـيـنِكِ يـا لـيـالي
أمـا وَكَّـلْتِ سَـيفَ «جـمـال»[١٤] فـيـنـا
عُـيـوني أَين أَدمُـعِكِ الـهَـوامي
أَأَسْـأَلكِ الـدمـوعَ وتَـبْـخَـلـيـنـا
عَـهِـدْتُكِ مُـرْضـعـاً والحـزنُ طِـفلٌ
عَـكَـفتِ عـلـيه عُـمـرَك تُـرضـعـيـنـا
أَلم يَـتـرُكْ بـزاويَـتَـيْكِ شـيـئـا
يـسـيلُ فـشَـدَّ مـا تَـتَـألَّـمـيـنـا

وقد عطفتُ بعد وصف مصارع الشهداء، إلى إثارة الحميَّةِ الدينية والقومية في النفوس، فقلتُ في جلالة الحُسَين والخلافة، الأبيات الآتية:

لـقـد رَجَـعَتْ خلافـتُـنـا إلـيـنـا
وكـان رُجـوعُـهـا نـصـرا مُـبـيـنـا

فـــلـــو بُـــعِثَ «الـــرســـولُ» وقـــد رآهـــا
تُـــجَـــرّعُ في بـــني عـــثـــمـــان هُـــوْنـــا
لَـــزلـــزلَ بـــالحـــجـــاز ومـــا يـــلـــيه
وصـــاحَ: بـــنيَّ يـــا خـــيـــرَ الـبَـنـيـنـا
بـــــنيَّ ولا أخُصُّ المـــســـلـــمـــين
بلِ الـــعُـــرْبُ الأمـــاجـــدُ أجـــمـــعـــيـــنـــا
أيَـــغْـــصـــبُـــنـــا الخلافـــةَ غـــاصـــبـــوهـــا
وفي الـــبـــلـــد الأمـــين بـــنـــو أبـــيـــنـــا؟
أتُـــــرْكيٌّ، وفـــيـــنـــا هـــاشِـــميٌّ
دمي دَمُـهُ ويـــبـــقـى الـــديـنُ ديـــنـــا
حُـــسَـــيْنُ حُـــســـينُ أنتَ لـــهـــا فـــإنِّي
أُطـــالِـعُ في مُـــحـــيَّـــاكَ الـــيـــقـــيـــنـــا
كـــأني إذ أراكَ أرى حُـــسَـــيـــنـــاً[١٥]
فـــتى فِـــتْـــيـــانِـــنـــا المُـــسـتَـشْـهَـديـنـا

إذن فقد عرفت متى تَسَمَّيتُ «بالأخطل الصغير»، ولماذا تسمَّيتُ به، وقد كان من حقي أن أطرح هذا الاسم بعد الحرب العالمية، ولكنني أبَتْ لي شِيمَةُ الوفاء إلا أن أكون من الكرام الذين إذا أسبلوا[١٦] ذكروا من كان يألفهم في المسكن الخشن. و «الأخطل الصغير» قد ألفني أيام البؤس والخوف، فما أنا بناسيه أيام الهناء والطمأنينة.

****

الشهيد عمر بمناسبة ديوانه

كيف عرفت عمر حمد[1] – روحه الوطنية الشاعرة – أول وآخر مرة رأيته

لقد ضاق عُمْر عُمَر عن أن يَسَع ديواناً شعريا. فهذه النُّبذَةُ التي جمَعَها له أهْلُه في الأوراق، إنما هي شرارةٌ من روحه اللاهبة.

لقد قطع عمر حمد الحياة في وثبتين، الواحدةُ من التلميذ إلى المعلِّم، والثانية من المعلِّم إلى المشنقة. وكان في وثبته الثانية مثالاً من أمثلة الحياة العالية، تلك الحياة التي تُعوزُ الشبابَ في البلاد المُسْتَرَقَّةِ، فيثبوا بها إلى حُرِّيتها بما يُحرقونه من أنفاسهم تحت دواليبها.

فنحن إذن أمام شرارةٍ من روح عمر حمد. أفما تحس أين طبعت روحك على شعره، أنك طبعتها على دمٍ فائر وعصبٍ ثائر؛ وإذا كان الشعر ثورةً من ثورات النفس، تهيجُها العوامل المختلفةُ، فديوانُ عمر حمد عنوانٌ صغير من عنوان هذه الثورة، وهي لو استكملت نموّها واستلأمت وسطها، لعُدَّت في البراكين.

لقد كان عمر في عداد من عرفتهم بين عامي ١٩١٢ و ١٩١٤؛ وكأني به في المرة الأولى، وقد جلس إليَّ يُسمعني إعجاب إخوانه في الكلية الإسلامية بجريدتي، واستملاحهم طريقتي في الأدب.

وكأني به مرة أخرى، وقد جاء يُسمعني قصيدةً أعدَّها ليلقيها في الحفلة المدرسية السنوية، فكنت أُحسُّ بروحه تثبُ من وراء ألفاظه؛ وكان وهو في مُستَهلِّ الشباب على أدب عذب فيه الكثيرُ من الحياة والكفاية من الرصانة.

لم يكن عمر حمد ذلك العهد، يتجاوز العشرين من سنيِّه، يجنح الى الطول في قامته، على سُمرة في لونه، ورقة في بدنه؛ ولقد كنتُ أكثر ما أراه في ثوب أسود كأنما كان يحمل حداده على شبابه في جلبابه.

وكان آخر عهدي بُعمر، ليلة لقيتُه فيها صدفةً، جالساً إلى بعض إخوانه في قهوة «كوكب الشرق»، فما هو إن رآني، حتى أقبل عليَّ آخذا بي إلى طاولةٍ خالية فقال لي: أعرفت أن الخديوي أصبح سلطاناً، وهو اليوم السلطانُ حُسين[٢]؟

قلت: كيف أعرف، وأنا في عزلتي خارج البلد، حتى إذا اشتاقتها نفسي جئتها بين صديقي: الشيخ سليم علم الدين وجبرائيل أفندي نصار؟

قال: ويظهر أن الدول اتفقت على أن ينبسط سلطان مصر على سوريا، وذلك حيث يقول حافظ إبراهيم في تهنئته عند تنصيبه:

هنـــاءً أَيُّـــهـــا المـــلِكُ الأَجلُّ

لكَ الـــوادي الخَـــصـــيبُ ومـــا يُـــطلُّ

ثم سرد لي أبياتاً من تلك القصيدة، علق بعضها في ذكراتي ثم لم يلبث أن اضمحل.

وكان ذلك إما في أواخر سنة ١٩١٤ أو في أوائل سنة ١٩١٥.

ولقيته يوماً قبل هذا التاريخ بأشهر قليلة، على ما أذكر، فقال لي: أبلغك شيء عن حزب العهد؟ إنه يضم بعض ضباط العرب للعمل على استقلال البلاد العربية. قلت: أرنِيه يا عمر!

ونذكر قول الشاعر [٣]:

وصـــرتُ أشُكُّ في من أصـــطـــفـــيه

لـــعـــلـــمي أنهُ بَـــعْضُ الأنـــام

فأنت ترى أن عمر حمد لم يكن يشتمل على روحٍ شاعرة فحسب بل كان يشتمل على روح وطنية كبرت عن أن تحتملها سنُّه فسقط تحت ثقلها وأدمى القلوب سقوطه.

هذا ما وعته الذاكرة عن ذلك الصديق المهذب ذي الروح الحساسة الوطنية، والشعور الصحيح السامي، قبل أن يسار به إلى السجن – لأننا افترقنا قبل ذلك، أنا في رؤوس الجبال وهو فى ساحات المدينة.

على أن هناك صورةً أدل من كلمتي هذه على الشهيد العربي العزيز هي هذه القصائد العاصفة، فيها روح الشباب والإباء؛ فإذا شئت أن تتعرف إلى تلك الروح، فأقرأ تلك القصائد.

بشـــارة

البرق ، ٢٧ شباط ١٩٢٩، العدد: ٣١٨٥، ص: ٢

****

هوامش الباب الأول

من بقايا الذاكرة

كيف عرفت إمام العبد ٧

١ - محمد إمام العبد (١٨٦٢- ١٩١١)

- شاعر أجاد الشعر والزجل. كابتن مصر في كرة القدم عام ١٩٠٠ .
- عكف على الأدب والكتابة في الصحف، كان ذا روح مرحة برغم حياته البائسة.

٢ - ولي الدين يكن (١٨٧٣-١٩٢١)

- شاعر مجيد، ولد بالآستانة، وعين فيها عضواً بمجلس المعارف، نفاه السلطان عبدالحميد، وعندما أعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨، عاد إلى مصر، وتوفي بحلوان ودفن في القاهرة.
- له ديوان شعر وعدد من المؤلفات ، كان يجيد عدداً من اللغات.

٣ - كانت في الأصل (وانتقلا) عدلناها إلى (واستقلا) لاستقامة السياق.

٤ - أحمد شوقي ، أمير الشعراء ، سترد ترجمته لاحقاً.

٥ - حافظ إبراهيم (١٨٧١-١٩٣٢)

- شاعر مصر القومي، ولد وتوفي فيها، اشتغل في المحاماة، وخدم في الجيش، وشارك في حملة السودان، عمل في الصحافة وعين رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب المصرية سنة ١٩١١.
- له ديوان شعر وبعض المؤلفات.

٦ - خليل مطران، شاعر القطرين، سترد ترجمته لاحقاً.

٧ - رثاه الأخطل الصغير في «البرق»، نيسان ١٩١١، مج : ٣، عدد : ١٣٢، ص : ٢٣٧، قائلاً:

وصـــــارمٍ عـــــزمي لـه ضـــــجـــــعـــــة
كـــضـــجـــعـــة الـــصـــارم في غـــمـــده
يـــــنـــــام ملء الجـــــفن في جـــــفـــــنه
ولا يـــــنـــــام المـــــوت فـي حـــــده

٨ - أمين تقي الدين (١٨٨٤-١٩٣٧)

- محام وأديب وشاعر لبناني.
- ولد في لبنان وأقام في مصر، وأنشأ مجلة الزهور مع أنطون الجميل، ترجم عن الفرنسية «الأسرار الدامية»، لجول دي كاستين، عاد إلى بيروت وعمل في المحاماة حتى وفاته.

٩ - سامي جريديني (١٨٨١-١٩٥٠)

- محام لبناني، عاش في مصر، ترجم ونشر بعض مسرحيات شكسبير، وألف «خواطر في الحقوق والأدب»، و«الرسائل الضائعة»، و«خمسة في سيارة».

١٠ - الياس فياض (٠٠٠٠ - ١٩٣٠)

- أديب لبناني تعلم في بيروت ثم بمدرسة الحقوق بالقاهرة، كتب في مجلتي «الضياء» و«البيان» بمصر ثم عاد إلى لبنان فكان من أعضاء مجلس النواب فوزيراً للزراعة، توفي في بيروت، له ديوان شعر، وترجم عن الفرنسية بعض القصص.

١١ - المؤيد، جريدة أسسها علي يوسف في القاهرة عام ١٨٨٩.

١٢ -وردت هذه الأبيات في مجلة «الزهور» السنة الثانية، ١٩١١، ص: ٢٠٨، ولم يرد فيها هذا البيت وبيت آخر، وأغلب الظن أن في البيت خطأ طباعياً، إذ يصح وزنه لو قلنا: (بالعزيمة) بدلاً من (العزيمة).

١٣ - مصطفى لطفي المنفلوطي (١٨٧٦ - ١٩٢٤)

- من مشاهير الكتاب بمصر في عصره، درس في الأزهر وتتلمذ لمحمد عبده.

- له «النظرات»، و«العبرات» و«في سبيل التاج» و«الشاعر» و«مجدولين» من بين كتبه ما هو مترجم عن الفرنسية ولم يكن يحسنها وإنما كان بعض العارفين بها يترجم القصة إلى العربية فيصوغها المنفلوطي بقالبه الإنشائي.

١٤ - أحمد محرم (١٨٧٧-١٩٤٥)

- شاعر مصري، ولد في إبيا الحمراء من قرى الدلنجات، له «ديوان محرم» و«ديوان الاسلام» أو «الإلياذة الإسلامية» توفي ودفن بدمنهور.

١٥ - لم يذكر اسم الجريدة في الأصل.

١٦- يعني به أمين تقي الدين.

١٧ - محمود سامي البارودي (١٨٣٩-١٩٠٤)

- أمير السيف والقلم، من رواد النهضة الشعرية العربية في العصر الحديث.

- قائد شجاع ، ولد بالقاهرة وتوفي فيها. تقلب في المناصب حتى صار رئيساً للنظار واستقال، شارك في ثورة عرابي وحُكم عليه بالإعدام ثم بدل الحكم بالنفي إلى جزيرة سيلان وبقي فيها (١٧) عاماً.

- له ديوان شعر. أسمت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري دروتها الثالثة باسمه عام ١٩٩٢ وأصدرت عنه عدداً من المؤلفات من بينها ديوانه.

١٨ - يعني بالأستاذ الإمام، الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) مفتي مصر ، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام،. أصدر «العروة الوثقى» مع جمال الدين الأفغاني، ناصر ثورة عرابي، ونفي إلى

بلاد الشام، له عدد من المؤلفات.

١٩ - انظر صورة الرسالتين ونصهما في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير» الصادر عن «مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري» بمناسبة إقامة دورتها السادسة «دورة الأخطل الصغير» ١٩٩٨، بيروت، ص (٢٦١- ٢٦٦).

٢٠ - الذام: العيب..

كيف عرفت الشيخ اسكندر العازار ١٤

١ - اسكندر العازار (١٨٥٥-١٩١٦)، كاتب لبناني له نظم، وجعل من أعضاء محكمة التجارة، كتب فصولاً في النقد والتعليق على الحوادث ونشرها في بعض الصحف والمجلات، كان يكتبها بأسلوب فكه، مثل جريدة «البرق» وغيرها وله قصص مسرحية وديوان وخطب ومقالات.

٢ - الطفل: الوقتُ قبيل غروب الشمس، وهو من طفلت الشمسُ: مالتْ للغروب.

٣ - نجيب حبيقة (١٨٦٩ - ١٩٠٦)، أديب وشاعر لبناني مجيد ومن مشاهير رجال التعليم والصحافة.، مارس العمل الوطني في الجمعيات الخيرية المارونية، تخرج من كلية القديس يوسف، علم البيان العربي والفرنسي في الكلية اليسوعية، ثم في مدرسة الحكمة.، تولى تحرير جريدة «المصباح» وكتب في مجلة «المشرق» وجريدة «المحبة».

٤ - المصباح، جريدة أنشاها نقولا نقاش في بيروت عام ١٨٨٠.

٥ - مدرسة في بيروت، درس فيها الأخطل الصغير من سنة ١٩٠٣-١٩٠٥ بهدف إتقان اللغة الفرنسية، من أشهر أساتذتها عبدالله البستاني.

٦ - شبلي بك ملاط (١٨٧٥-١٩٦١)، شاعر لبناني ولد في بعبدا. أصدر جريدة «الوطن» في بيروت عام ١٩٠٨، لقب بشاعر الأرز، له ديوان.

٧ - معروف الرصافي ، سترد ترجمته لاحقاً.

٨ - البوستة ترجمة حرفية أو تعريب لكلمة: Post التي تعني البريد.

٩ - في الأصل (والعاجر) ولعلها تصحيف.

١٠ - عيد جلوس السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٤٢-١٩١٨)، سلطان الدولة العثمانية من (١٨٧٦-١٩٠٩).

١١ - انظر مقال «إلى اللواء الإيطالي» في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

١٢ - إشارة إلى السلطان عبدالحميد الثاني، وأمير المؤمنين أحد ألقابه، باعتباره خليفة المسلمين.

١٣ - عناوين زوايا كان يكتبها العازار في بعض الصحف مثل صحيفة «الوطن».

١٤ - هكذا وردت. والصواب أَدْمنَ الشرابَ

١٥ - يتوصمه: من الوصمة، العار أو العيب.

كيف عرفت معــروف الرصــافي ٢٠

١ - معروف الرصافي (١٨٧٧-١٩٤٥)

- أديب وشاعر العراق الكبير في عصره. اشتغل بالتعليم وانتخب عضواً في مجلس النواب ومثل العراق في مجلس المبعوثان في الآستانة له ديوان شعر.

٢ -يقصد الدستور العثماني الذي أقره السلطان عبدالحميد عام ١٩٠٨ بعد ضغوط كبيرة من جمعية الاتحاد والترقي، وعصيان من بعض ضباط الجيش المنتسبين للجمعية.

٣ - أسعد رستم (نحو ١٨٧٥-١٩٦٩)

- شاعر لبناني ولد في بعلبك، هاجر إلى نيويورك عام ١٨٩٢ وعاد إلى وطنه ١٩٥٨.
- له ديوان رستم ١٩٠٨.

٤ - محمد رشيد رضا (١٨٦٥ - ١٩٣٥)

- ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابس الشام)، نظم الشعر في صباه وكتب بالصحف، رحل إلى مصر ولازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له.
- أصدر مجلة (المنار) وأنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد) ويعتبر أحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتّاب والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير.

٥ - الشيخ محيي الدين الخياط (١٨٧٥ - ١٩١٤)

- شاعر وأديب لبناني ولد في صيدا، ونشأ وتوفي في بيروت، عارف بالتاريخ نشر أبحاثاً كثيرة في صحف بيروت. من كتبه (دروس في التاريخ الإسلامي) و(دروس في النحو والصرف) و(دروس القراءة)، و(تفسير الغريب من ديوان أبي تمام) و(تعليق على شرح نهج البلاغة للإمام محمد عبده).

٦ - الشيخ مصطفى الغلاييني (١٨٨٦ - ١٩٤٤)

- شاعر من الكتاب الخطباء ولغوي من أعضاء المجمع العلمي العربي، مولده ووفاته في بيروت، تعلم فيها وفي مصر وتتلمذ للشيخ محمد عبده عمل أستاذاً للعربية وخطيباً للجيش الرابع العثماني، نصب رئيساً للمجلس الإسلامي وقاضياً شرعياً في بيروت.
- له ديوان وعدد من المؤلفات.

٧ - يعني أن صورة الشاعر منشورة برفقة المقال.

٨ - إن التاريخ الهجري الذي ذُيِّلت به الرسالة يوافق العام ١٩٠٦/١٩٠٧ من التاريخ الميلادي. وقد ذكر الأخطل أن زيارة الرصافي لبيروت كانت ١٩٠٩، وأن الرسالة المنشورة أعلاه كتبت بعد مغادرة الرصافي بيروت، باتجاه الآستانة، فهل التاريخ الذي حدده الأخطل مصحَّف؟.

٩ - انظر صورة الرسالة ونصها في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير»، مرجع سابق، ص (٢٨٥-٢٨٨)، ورسالة أخرى ص (٢٨٣-٢٨٤).

١٠ - أمين الريحاني (١٨٧٦-١٩٤٠)
- كاتب ورحالة وشاعر، بدأ ظهوره الأدبي في المهجر وكتب الشعر المنثور والشعر المرسل.
- له عدد من المؤلفات أشهرها «ملوك العرب».

١١ - لفظ استعمل بالمدلول العامي، وقصد به غرفة واسعة للاستقبال.

١٢ - يقصد أمين الريحاني.

١٣ - نعوم اللبكي (١٨٧٥-١٩٢٤)
- صحافي وسياسي لبناني. ولد في بعبدات.
- أنشا مع أسعد خالد أول جريدة عربية في البرازيل وهي «الرقيب» عام ١٨٩٦ في ريو دي جانيرو، ثم أنشا جريدة «المناظر» في سان باولو ١٩٠١ وتابع إصدارها في بيروت بعد ١٩٠٨.
- رئيس مجلس النواب عام ١٩٢٣.

١٤ -وردت هكذا، وواضح أنه تصحيف، والمقصود هو «زكي مغامز بك» انظر صورة رسالته إلى الرصافي ونصها في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير» مرجع سابق،(ص٢٧٩-٢٨٠).

١٥ - يعني بصاحبيه بشارة الخوري «الأخطل الصغير» والياس فياض.

١٦ - يقصد بلدتي «بيت شباب» و«بكفيا» وذكرهما مضافتين إلى لبنان.

١٧ - جميل صدقي الزهاوي، ستأتي ترجمته فيما بعد.

١٨ - الشيخ عبدالله البستاني (١٨٥٤-١٩٣٠)
- لغوي لبناني ولد في الدبية وتوفي في بيروت من أعضاء المجمع العلمي العربي له معجم البستان وأربع روايات نثرية وخمس روايات شعرية.

١٩ - كان الشعراء الذين يجلّون هذا الإبداع - وما يزالون - لا يلقونه أو يستمعون إليه إلاّ وقوفاً، إعجاباً وتقديراً.

٢٠ - إشارة إلى مطلع قصيدة الشاعر العباسي علي بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

٢١ - المبعوث هو النائب في مجلس «المبعوثان» العثماني وكان مقره في الآستانة.

كيف عرفت الشيخ يوسف أبي صعب ٢٨

١ - يوسف أبي صعب - ٠٠٠٠ - ١٩١٥، قانوني ومتشرع وشاعر لبناني، كان حجة في الشرع الإسلامي.

٢ - الشعر عجز بيت قاله المهلهل، إثر رحيل أخيه كليب ناقداً الناس الذين كانوا في مجلسه لا ينبسون بكلمة واحدة تهيباً واحتشاماً. وتمام البيت:

وتـــكـــلـــمـــوا في أمـــر كلٍّ عـــظـــيـــمـــة

لـــو كـــنتَ شـــاهـــدَهُم بـــهـــا لم يَـــنـــبـــســـوا

انظر شرح المرزوقي لحماسة أبي تمام.. جـ ٢/ ص٩٢٩.

٣ - هو على الأرجح: زُفَر بن الهُذيل، بن قيس بن سَلَم. فقيه، مجتهد، تفقه بأبي حنيفة، وهو أكبر تلامذته توفي ١٥٨ هـ/٧٧٤م (سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي، جـ ٨/٣٨-٤١).

٤ - أبو القاسم الزمخشري، صاحب تفسير القرآن المعروف «بالكشاف» والمعجم اللغوي البليغ: «أساس البلاغة» توفي ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣م.

كيف عرفت طانيوس عبده ٣٥

١- طانيوس عبده (١٨٦٤ - ١٩٢٦)، شاعر لبناني ، ولد في بيروت، وبها توفي ودفن، انتقل إلى الاسكندرية وأصدر جريدة «فصل الخطاب» ثم اشترك في تحرير «الأهرام» فـ «البصير» وأصدر مجلة «الراوي» ثم عاد لـ «الأهرام»، اشتهر بترجمة الروايات عن الفرنسية ومن أشهرها: البؤساء، عشاق فنيسيا، الساحر العظيم، روكامبول في ١٧ جزءاً.

٢ - البدل العسكري: هو مبلغ نقدي يدفعه المطلوب للخدمة العسكرية الإلزامية فيعفى.

٣ - في الأصل: «خيالي» عدلّناها ليستقيم الوزن.

٤ - في الصدر خلل عروضي.

٥ - ورهت، من الوره: الحمق، ومعنى البيت أن قصيدتك متسرعة، لا حكمة فيها ولا روية.

٦ - البواطي، مفردها، باطية، لفظ معرَّب، معناه: الإناء العظيم من الزجاج وغيره، يتخذ للشراب.

٧ - هكذا وردت، وصوابها: نعتب عليه.

٨ - زعيم لبناني سيرد تعريفه لاحقاً.

كيف عرفت جميل الزهاوي ٤٥

١ - جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣ - ١٩٣٦)

- شاعر عراقي من شعراء النهضة الحديثة، غلب على شعره الاتجاه الفلسفي.
- اشتغل في التعليم وكان نائبا عن المنتفق ثم عن بغداد في مجلس النواب العثماني. له ديوان وترجم رباعيات الخيام عن الفارسية شعراً ونثراً.

٢ - الأثل: جنس من أشجار دقيقة الورق جيدة الخشب تسمى الطَّرفاء. وهذا أسلوب الشعراء القدامى، يخاطبون الآس والأراك والأرطى والأقحوان وغيرها يبثونها لواعجهم ومواجعهم.

٣ - الغُلّة: شدة العطش وحرارته.

٤ - حكومة المشروطية، أي حكومة الدستور بعد إعلانه في الدولة العثمانية عام ١٩٠٨، وهو تقريباً ما زامن وضع (المشروطية) أو (المشروطة - الدستور) في إيران المجاورة عام ١٩٠٧ إثر ثورة علمائها على الشاه في ما عرف بالثورة الدستورية.

٥ - «بغدا» اسم مختصر تحببي لبغداد.

٦ - انظر في هذا الكتاب «كيف عرفت الرصافي» وانظر أيضاً صورة رسالتي الرصافي ونصهما إلى الأخطل الصغير في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير» مرجع سابق، ص(٢٨٣ -٢٨٨)، وكذلك رسالة زكي مغامز إلى الأخطل الصغير في الكتاب نفسه ص(٢٧٩-٢٨٠).

٧ -كرمة ابن هاني اسم الدار التي كان يقطنها أحمد شوقي ومازالت معمورة بمتحف يخص الشاعر.. والمقصود هنا الإشارة إلى اهتمام صاحب البرق بشوقي على ثرائه ونعيمه وإهماله لأمر الزهاوي على ظروفه الصعبة.

٨ - انظر صورة رسالة الزهاوي ونصها إلى الشاعر ص (٢٨١-٢٨٢) في «رسائل الأخطل الصغير»، مرجع سابق.

٩ - ستأتي ترجمته لاحقاً.

١٠ - انظر ترجمته في مقال «كيف عرفت إمام العبد»، وانظر أيضاً صورة رسالته ونصها في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير»، مرجع سابق، ص (٢٥٩-٢٦٠).

١١ - الهاء في شعرائه عائدة على شعراء «الأدب الخاص».

١٢ - أراد كلاً من ابن الرومي، وبشار بن بُرد، وهما من كبار شعراء العصر العباسي.

لصقة رماد ٥٠

١ - المتن هو أحد أقضية جبل لبنان الستة، ويقسم إلى قسمين : المتن الشمالي ويضم معظم المدن وقرى الاصطياف المشهورة. والمتن الجنوبي.

٢ - صدفة بمعنى المصادفة، وهذا من الأخطاء الشائعة.

٣ - جديدة المتن عاصمة القضاء المذكور.. وهي إحدى ضواحي بيروت الشمالية.

٤ - لمعرفة المزيد حول القصائد التي ترجمها الأخطل الصغير عن الفرنسية انظر كتاب «حياة الأخطل وشعره»، د. سهام أبو جودة، رسالة ماجستير، أصدرته مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بمناسبة دورتها السادسة، ١٩٩٨، بيروت.

٥ - النقل: ما يؤكل من جوز ولوز وحلوى الأعياد المغلفة بالورق.. والجفان : القصاع.

٦ - ورد صدر هذا البيت في قصيدة محذوفة بسبب تكرار ورودها في موقع آخر هكذا: (أنّا اتخذنا الثغور كأساً).

٧ - كناية عن أنجالها الأربعة.

٨ - والدهم فيليب ثابت.

عشرون يوما في ريفون باسم حنا فياض ٥٤

١ - سليم المعوشي، رئيس جمعية أرز لبنان، من أركان المعارضة ضد العثمانيين في لبنان، قائمقام جزين.

٢ - أساطر، جمع سَطر. ولم يرد هذا الجمع في اللغة، فالسطر، يجمع على: أسطر وأسطار وسطور، وأساطير ولم يرد أساطر.

٣ - رضا باشا، قائد الفرقة العسكرية العثمانية في عاليه وبيروت، نائب جمال باشا السفاح.

٤ - هكذا وردت في الأصل.. ويقتضي السياق أن تكون على الشكل الآتي: فخطئه (فعل أمر).

٥ - لم ترد هذه الرسالة في ما توافر لدينا من مادة هذا الكتاب.

٦ - أحد أقضية جبل لبنان،. يقع إلى الشمال من قضاء المتن.. ومركزه جونية..

٧ - هما: الشيخ فيليب الخازن (١٨٦٥ - ١٩١٦) والشيخ فريد الخازن (١٨٦٩ - ١٩١٦) من شهداء الوطنية نفاهما جمال باشا السفاح إلى الأناضول ثم سيقا إلى الديوان العرفي وأعدما في بيروت يوم ٥ حزيران ١٩١٦.

٨ - الدورة: ناحية شمالية من بيروت.

٩ - درعون، بلدة في قضاء كسروان، تطل على جونية، على شاطئ البحر.

١٠ - ريفون، بلدة اصطياف تقع الى الشرق من جونية.

١١ - الورق الملون ، كناية عن الأوراق النقدية العثمانية.

١٢ - لوكندة، مصطلح عامي في لبنان وبعض الدول العربية، معناه: الفندق..

١٣ - فيطرون، بلدة اصطياف في القسم الأعلى من قضاء كسروان.

١٤ - يقصد إعدامات أحرار العرب في مدينة عاليه ١٩١٦.

١٥ - الأمير شكيب أرسلان (١٨٧١ - ١٩٤٦) أديب وسياسي لبناني. من أعلام النهضة العربية. ولد في الشويفات. له ديوان شعر وعدد من المؤلفات منها «الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية». كان مديراً فقائمقاماً في الشوف. انتخب نائباً عن حوران في مجلس «المبعوثان» العثماني.

١٦ - كوجك جمال (جمال الصغير) المعروف بالمرسيني نسبة الى بلده مرسين، خلف جمال باشا السفاح،

خفت في عهده وطأة الإرهاب في البلاد السورية، انصرف إلى مهمة الدفاع أمام هجوم البريطانيين تاركاً إدارة شؤون الحكومات إلى الولاة وحاكم جبل لبنان كل في حدود ولايته.

١٧ - رواية من ١٧ جزءاً ترجمها عن الفرنسية طانيوس عبده.

١٨ - عزمي بك، والي بيروت العثماني، سترد ترجمته لاحقاً.

١٩ - الأمير فايز شهاب (القول أغاسي «رائد، ميجر») من رجال حكومة جبل لبنان (المتصرفية) كان قائمقام المتن.

٢٠ - المغفر، لفظ عامي لكلمة «مخفر» مركز للشرطة أو (الجندرمة) أي رجال الدرك.

٢١ - الجميزة: ناحية في شمالي بيروت.

بين أيلول ١٩١٦ وكانون ١٩١٧ ..... ٦٨

١ - كتاب أبي الفرج الأصفهاني.

٢ - الجنيب المُعَبّد: المَقود الى الجنب من الخيل وغيرها، والمعبَّد: المطلي بالقطران لإصابته بالجرب، وقصد بذلك تحاشي أقرب الناس له - وهو في خصاصته أي في فقره المدقع - كما يتحاشى الناس الحصان أو البعير الجَرِب.

ومن معاني الجنيب: الغريب، فلعله يعني أن أخاه يتحاشاه في فقره ويتجنبه ابتداء وكأن ذاك الأخ غريب أجرب. أو أنه قصد بقوله (كالجنيب المعبد) أن نفسه الحرة حتى أثناء فقره المدقع - تتأبى فيعامل في حاجته أخاه كالغريب، كما يعامل في اليسر البعيد (من نأى) كأخيه أراد بذلك نقاء جوهر نفسه وإباءها في اليسر والعسر . ويؤيد ذلك قوله: «هكذا منذ نشأتي غير ذا لم أعود». «المراجعة».

٣ - يوسف فرنكو باشا متصرف جبل لبنان (١٩٠٧ - ١٩١٢) وهو ابن نصري فرنكو باشا المتصرف الثاني في سلسلة متصرفي جبل لبنان الذين حكموه وفقاً لنظام الامتيازات منذ عام ١٨٦١ وحتى ١٩١٥، تميز عهده بتذمر الشعب ومطالبته بالإصلاح بسبب موجة التفاؤل التي بعثتها ثورة ١٩٠٨.

٤ - حليم دمُّوس (١٨٨٨-١٩٥٧) أديب. شاعر،له نظم كثير، ولد في زحلة، سافر إلى البرازيل وعاد إلى بلده، فشارك في تحرير جريدة «المهذب» واستوطن دمشق بعد الحرب العالمية الأولى إلى آخر حياته، توفي في بيروت ودفن في جونية، له ديوانان وعدد من المؤلفات.

٥ - وردت في الأصل هكذا «طانيوس عبود» ولم نعثر على أي ترجمة له، وربما يعني صديقه طانيوس عبده، الذي سبقت ترجمته.

٦ - شركة القمح اللبنانية، شركة تأسست في بيروت، كان مديرها نجيب بك الأصفر ولإدارتها بعض الفروع في البلدات اللبنانية لتوفير هذه المادة الضرورية أثناء الحرب العالمية الأولى ووقاية الناس من المجاعة، ولكن الفساد تفشى في معظم مسؤوليها فكان بعضهم يبيع القمح في السوق السوداء بعشرة أضعاف سعره الرسمي. واعتمدت في توفيره على الاستيراد من سوريا. ولكن هذا الاستيراد كان يسمح

به أو يمنع وفقاً لتقلبات الأحوال السياسية، وكان من أكبر المتدخلين في شؤونها والمستفيدين من البيع في السوق السوداء عزمي بك والي بيروت وعلي منيف متصرف جبل لبنان فتفككت الشركة وتلاشت في أواسط عام ١٩١٧ قبل خروج تركيا من البلاد بمدة وجيزة.

كيف تعرفت إلى شوقي ٧٧

١ - أحمد شوقي (١٨٦٨ - ١٩٣٢)

- أمير الشعراء عام ١٩٢٧، مولده ووفاته بالقاهرة ، نشأ في ظل البيت المالك في مصر، وصار شاعر البلاط .
- له الشوقيات في ٤ أجزاء، كتب عدداً من المسرحيات الشعرية مثل: مصرع كليوباترا، مجنون ليلى، قمبيز، علي بك الكبير، من أعمدة النهضة الشعرية الحديثة . نفته السلطات البريطانية في مصر إلى اسبانيا بسبب بعض مواقفه السياسية.

٢ - الرستوران: المطعم ، مأخوذة من لفظها الأجنبي Restaurant.

٣ - فوزي الغزي، أحد كبار رجال الأدب والحقوق في سوريا ولد في دمشق ١٨٩١ وشغل عدة وظائف حكومية ورأس الجمعية التأسيسية في دمشق وانصرف للمحاماة، سجن غير مرة في سبيل بلاده، وتوفي سنة ١٩٢٩ مقتولا بالسم.

٤ - جبران التويني، كاتب وصحافي ونائب ووزير لبناني ولد ١٨٩٠ وأنشأ جريدة النهار، صار وزيراً للمعارف والفنون الجميلة ووزيراً مفوضاً في الأرجنتين وتوفي ١٩٣١.

٥ - ميشال أبي شهلا، كاتب صحفي شاعر، ولد في بيروت ١٨٩٨، عمل في مجلة «المعرض»،وأصدر مجلة «الجمهور» عام ١٩٣٦، وله ديوان شعر «أنفاس العشيات»، توفي في بيروت ١٩٥٩.

٦ - شارل دبّاس، ولد في بيروت وشغل بعض الوظائف العالية. وحكم عليه الأتراك بالإعدام ودرس في فرنسا وتبنى سياستها، انتخب أول رئيس لجمهورية لبنان ٢٦ أيار ١٩٢٦ - أول كانون الثاني ١٩٣٤ وتوفي في باريس ١٩٣٥.

٧ - لعله يقصد فارس الخوري (١٨٧٧-١٩٦٢)، سياسي وأديب سوري، رئيس الحكومة السورية عدة مرات (حيث إن عدداً من شخصيات إقليم الشام تحمل هذا اللقب).

٨ - جميل مردم بك (١٨٩٤-١٩٦٠)

- من رجال السياسة في سوريا كان مستشاراً خاصاً للأمير فيصل بن الحسين في دمشق ١٩١٩، حكم الفرنسيون بإعدامه فذهب إلى القاهرة وأقام بها ١٢ عاماً.
- عاد إلى دمشق وصار وزيراً للمالية وفر للعراق هربا من الفرنسيين، عين وزيراً للخارجية في عهد شكري القوتلي وترأس الحكومة السورية (٣) مرات، توفي بالقاهرة ودفن في دمشق.

٩ - نجيب الأرمنازي (١٨٩٧-١٩٦٨)

- من رجال السياسة في سوريا، محام وصحفي مولده في حماة ووفاته في دمشق.
- أصدر جريدة الأيام في دمشق، كان وزيراً مفوضاً لسوريا في لندن وفي الهند وتركيا ثم سفيراً لها في مصر ثم لندن. له عدة مؤلفات.

١٠ - محمد علي العابد (١٨٦٧-١٩٣٩)

- أول من سمي رئيساً للجمهورية السورية. ولد في دمشق وتعلم بها وبالآستانة، درس الحقوق في باريس، عينته الحكومة العثمانية وزيراً مفوضاً في واشنطن (١٩٠٥-١٩٠٨) ثم عين وزيراً للمالية أثناء الانتداب على سوريا ثم رئيساً للجمهورية (١٩٣٢-١٩٣٦) توفي في باريس ودفن في دمشق.

١١ - هو الشاعر المملوكي محمد بن يوسف، يُنسب الى تل أعفر، بين الموصل وسنجار. عاصر عددا من سلاطين بني أيوب ومات ٦٧٥هـ/١٢٧٧ وله ديوان شعر مطبوع.

لماذا تسميت بالأخطل الصغير ٨٠

١- الأخطل ، غياث بن غوث (٦٤٠-٧٠٨م)، من بني تغلب، شاعر أموي كبير ، من الثلاثة الكبار المتهاجين في عصره ، هو والفرزدق وجرير، اشتهر في عهد بني أمية بالشام ، أكثر من مدح خلفائهم، نشأ على المسيحية، كان يقيم بين دمشق والجزيرة. له ديوان شعر.

٢ - نعوم مكرزل (١٨٦٧ - ١٩٣٢)، من أعلام الصحافة العربية في المهاجر الأمريكية، مؤسس صحيفة (الهدى) في نيويورك ورئيس تحريرها، توفي في باريس ودفن في لبنان، انظر صور رسائله إلى الأخطل الصغير ونصوصها في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير» مرجع سابق، ص (٢٢٩- ٢٣٢، ٢٣٩-٢٤٠)

٣- اسكندر العازار، أمين الريحاني، شبلي بك ملاط، الياس فياض، أمين تقي الدين، جبرائيل نصار، يوسف نخلة ثابت، من الشخصيات الأدبية والصحفية وأصدقاء للأخطل الصغير.

٤ - إبراهيم سليم النجار ٠٠٠٠ - ١٩٥٧، صحافي لبناني مارس الصحافة في مختلف البلاد العربية. أصدر عدداً من الجرائد في القاهرة ١٩٠٢ والآستانة ١٩١٢ والقدس ١٩٢١ وأخيراً جريدة اللواء في بيروت ١٩٣٩.

٥ - أسعد رستم سبقت ترجمته.

٦ - معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي، سبقت ترجمتهما.

٧ - الحسين بن علي (١٨٥٤ - ١٩٣١)، أول من قام في الحجاز باستقلال العرب عن الأتراك وآخر من حكم مكة من الأشراف الهاشميين. ولد في الآستانة عاد إلى مكة وعمره ٣ سنوات تأدب وتفقه ونظم الشعر الملحون (النبطي)، نفي إلى الآستانة وصار من أعضاء مجلس شورى الدولة فيها، عين أميراً لمكة ١٣٢٦ هـ، راسله السير هنري ماكماهون أثناء الحرب العالمية الأولى فأعلن الثورة على الأتراك في ١٠حزيران ١٩١٦، صار ملكاً لكل الحجاز، اختلف مع ابن سعود فتنازل عن عرش الحجاز لابنه علي ورحل عنها إلى قبرص عام ١٩٢٥، توفي في عمان ودفن في المسجد الأقصى، صار نجله فيصل ملكاً على سوريا ثم العراق، ونجله عبدالله ملكاً على الأردن.

٨ - الخلائف: مفردها خليفة وتجمع على خلفاء وخلائف ، (المعجم الوسيط، ص ٢٥١)

٩ - حُشد، في الأصل هي «حُشُدٌ» (بضم الشين)، جمع حشد، بمعنى المحتشد..

١٠ - من المستغرب أن الأخطل لم يستعمل جرأ، إلا بفتح الراء - والصواب بضمها..

١١- الشيخ فؤاد الخطيب (١٨٧٩ - ١٩٥٧)

- ولد في قرية شحيم قرب بيروت، شاعر نقي الديباجة من أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق استكمل دراسته في الجامعة الأمريكية.
- عمل مدرساً في الكلية الأرثوذكسية وكلية غوردن بالخرطوم. نظم القصائد تأييداً للثورة في الحجاز ولقب بشاعر الثورة.
- تولى تحرير جريدة القبلة في مكة، ثم وكالة الخارجية للملك حسين بن علي، ثم مستشاراً للأمير عبدالله بن الحسين، واتصل بالملك عبدالعزيز آل سعود وعينه سفيراً في كابل، له ديوان شعر.

١٢ - عزيز المصري (١٨٧٩-١٩٦٥)

- ولد في القاهرة وبها تعلم ثم في المدرسة الحربية في الآستانة، دخل جمعية تركيا الفتاة قبيل الدستور العثماني، حارب العصابات البلغارية واليونانية والألبانية وحارب في القرم، تطوع للجهاد ضد الطليان في ليبيا.
- استقال من الجيش التركي بعدما تبين نوايا «تركيا الفتاة» فحكم عليه بالإعدام، أطلق سراحه وصار وكيلاً لحربية الشريف حسين بن علي بعد إعلانه الحرب على الأتراك ، عاد إلى مصر ونفاه الانجليز إلى اسبانيا ، فر إلى ألمانيا وعاد إلى مصر فأدار مدرسة البوليس ثم عين مفتشاً للجيش المصري (١٩٣٧) اعتقل حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، عين بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ سفيراً لمصر في موسكو ، توفي في القاهرة.

١٣ - اسكندر عمون بك (١٨٥٨- ١٩٢٠)، شاعر ومحام لبناني، اشتغل في الأدب كان وكيل المحكمة الأهلية في القاهرة ثم وزير العدلية في دمشق، انظر صورة رسالته إلى الشاعر ونصها «في كتاب رسائل إلى الأخطل الصغير» مرجع سابق، ص (٢٧١، ٢٧٢)

١٤ - جمال باشاالسفاح.

١٥ - يعني الحسين بن علي بن أبي طالب (٦٢٥-٦٨٠م)، الذي رفض خلافة يزيد بن معاوية ، فثار عليه، واستشهد في معركة كربلاء في العاشر من محرم سنة ٦١ هجرية.

١٦ - أسبلَ الزرعُ : خرج سَبَلُه. كنى بذلك، رخاء الحياة ورغَدها.

١ - عمر حمد : «لبنان» (٠٠٠٠- ١٩١٦)

- شاعر من شهداء الحركة القومية بالشام أصله من مصر ولد ونشأ في بيروت.، عمل ضابطاً في الحرب العالمية الأولى بالجيش التركي، وفر بعد الحرب من بطش الأتراك.، قضى بسجن عاليه أربعة أشهر بحجة إلقائه قصائد تنفر العرب من الأتراك. ثم أعدم شنقاً في بيروت ولم يتجاوز الخامسة والعشرين.

٢ - حسين كامل (١٨٥٣-١٩١٧)

- هو ابن اسماعيل باشا «الخديوي» ابن إبراهيم، أول من ولي السلطنة بمصر بعد دولة الخديويين ولد وتعلم في القاهرة وأكمل دراسته في باريس، ولي حكم مصر بعد تنحية آخر الخديويين عباس حلمي الثاني، صار سلطاناً لمصر عام ١٩١٤.

٣ - القول لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة الحُمَّى التي مطلعها:

مـــلـــومُـــكُـــمـــا يَـــجـــلُّ عـــن المَلامِ
ووقـع فَـــعَـــالِـه فـــوقَ الـــكـلام

ديوان المتنبي بشرح العكبري - جـ ٤/ ص١٤٢ و ١٤٤.

✱✱✱✱

البـــاب الثانـــي

مـقـالات سياسيــة

أولاً: العــهـد العثمـاني

ابيض

هذا الشعب

قل له لِيَحْيَ الظالم! ليحي المستبد! وكما يجيبك الصدى من أطراف الوادي، يجيبك هذا الشعب: ليحي الظالم ، ليحي المستبد!

قف به إذا شئت خطيبا، وقل له: إن الحكومة الماضية كانت عادلة رؤوفة. إن العصر الماضي كان عصر علمٍ ونور فَلْتَحيَ الحكومة الماضية وَلْيحيَ العصر الماضي! وكما يترجع الصدى من أطراف الوادي، تترجع أصوات الشعب (لِتَحْيَ الحكومة الماضية، ليحي العصر الماضي).

قل له إن جمعية « تركيا الفتاة»[1] كسرت قيود الرق التي كنت مقيداً بها، أيها الشعب الجاهل! قل له إنها صرفت ثلاثين سنةً وهي تجاهد في سبيل الحرية والدستور، قل له إن عدداً من أبنائها ذهبوا ضحية مقدسةً في سبيلها. فمنهم من قضى في جوار الطائف، ومنهم من قضى فى قصر البوسفور، قل له كل ذلك، ثم قل لتسقط «تركيا الفتاة». وكما يردد الحاكي كلامك يردد هذا الشعب: لتسقط تركيا الفتاة! نستعيذ بالله من هذا الكفر الذي قادنا إليه مجرد التمثيل: ألا عاشت «تركيا الفتاة»! فإنما عنها يشع النور وعنها تصدر الحياة.

هذا الشعب الذي رأيته مزبداً هائجاً. هذا هو التيار الذى كان يجري مندفعاً جارفاً. هذا هو القوة إذا اتحد، وكان له العلم رائداً. هذا هو كل شيء إذا علمتموه، وهذا هو العدو إذا ظل جاهلاً.

علموه وإلا كان كالحسام لا ينتفع به غير حامله، أو كالمدفع إذا استولى عليه العدو، أطلق علينا منه ناراً حاميه تحصدنا حصد المنجل للهشيم .

علموه ولا يغركم منه هذا الاتحاد، ولا تخدعكم منه هذه المظاهرات، فإنها سريعة العطب، سريعة الزوال. وإن كلمةً واحدة، تصدر عن أحد أفراده، ولو عن غير قصد، كافية لأن تثير فيه كوامن الحقد وتضرم جذوة الشر بين عناصره المختلفة.

يا دعاة الإصلاح! أنتم تقولون ولا تفعلون، وما أنتم عن العمل عاجزون، ولكنكم تختلفون على السيادة في أغلب الحين، يا دعاة الإصلاح !

أنتم تقولون كثيراً وتتحمسون في البداية حماساً قوياً، وتنطلقون حتى إذا حان وقتُ العمل وزعتكم مآرب النفس، فترجعون: لا فائزين بالقصد، ولا أنتم تشكرون.

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت، فعليكم بالغصون، عليكم بالناشئة الجديدة! هدِّموا كل الحواجز التي تفصل أبناء العثمانيين! الغوا كل القواعد التي تمنعهم من أن يكونوا إخوة متساوين، وأحلوا الجنسية الوطنية محل الجنسية الدينية، فيستتب لكم الأمر وتكونوا من الفالحين!

ومُحال أن يتسنى لكم ذلك بغير العلم، بغير المدارس الوطنية المختلطة التي ترضع الناشئة الحديثة حب الوطن، وتقلب لها صفحاتٍ تاريخيةً لامعةً، وتعيد عليها ذكر الأبطال المجيدين الذين ضفروا للوطن أكاليل النصر، وساروا به فى سبيل المجد شوطاً بعيداً.

فليكن لنا عبرةٌ فى الماضي، وليكن لنا دافع من الحاضر، ولنعلق على المستقبل أملاً كبيراً.

إن تباشير النجاح منقوشة بالنور على جبين هذا العصر، فنذرف دمعةً إثر الزمن الغابر، ولنلتفت إلى الأمان، قائلين: هيا على الفلاح.

البرق، ١٩٠٨، عدد: ٢، ص: ١

✱✱✱✱

لبنـــــان

ويعز عليَّ أن أناديك يا خامل يا جبان ! يعز علي أن أنزل بشيبتك إلى الهاوية حيث الذل والهوان. يعز علي أن تكون أضحوكة الأمم وألعوبةً تتلهى بها يدُ الزمن، وملعباً تمثل عليه المضحكات المبكيات.

وكَم فـــيكَ أَمـــسى من المُـــضـــحِـــكـــاتِ
ولـــكـــنَّهُ ضَـــحَكٌ كـــالـــبُـــكـــا[1]

يا لبنان؟ إذا كنت تفخر، فإنما تفخر بماضيك كالولد المباهي بجده وأبيه، وقد قلبت صفحات الماضي، فلم أجد لك فيه ما يدعو إلى الفخر، ولم أجد لك صفحةً يبسم لها الثغر، فما معنى هذا التباهي يا لبنان؟

تقلب الدهر عليك أطواراً. فتقلبت معه من الرق إلى الفقر، إلى انشقاق، وهي الحالة التي ترسو عليها الآن. ولم ترسُ إلا على الهاوية التي تؤدي بك إلى الدمار فالاضمحلال. فهلا كان في نفسك رادعٌ، وهلا كان لك من العقل نذير؟ فقد ملّت الألسنة وملّت الأقلام. أفما لهذا الصمم من حيلة، أوَما لهذا الداء من دواء؟ رقٌّ، ففقرٌ فشقاقٌ، فاضمحلال؛ طرق لم تسلكها أمةٌ ولا زلّت عليها قدم شعب. فماذا تكون أنت بين الأمم، وكيف تكون أنت بين الشعوب؟ إنها والله، لحالة تفطر القلب على حظك التاعس، ومصيرك الهائل، والذنب ذنبك في كل ذلك فإما تتهم به أحداً، تكن من المفترين.

كنت قبل النظام مسترَّقاً لطبقة من بنيك أتتها السيادة عن طريق الدهاء، ورافقتها عن طريق الإرث، غير أنها لم تلبث أن ضغطت على الطبقة الثانية، فانفجرت عليها كما ينفجر البارود، فمزقتها. وما كان ضغط الأولى إلا عن حمق، وما كان انفجار الثانية إلا عن ألم ووسوسة. وكان قد أزف الوقت الذي اشتريت فيه النظام بدمك، ولكن لا كما

اشترته الأمم الراقية؛ فإنما هو قد أتاك عن طريقٍ تُجلّلك بالعار، وتصمك بوصمة الذل إلى الأبدية.

وقد دك النظام معالم الاستبداد، ورفع راية المساواة بين طبقات الشعب، وأهَّل كل فرد من أبناء الأمة للمركز الذي يستحقه علمه وأدبه. ولما كنت جاهلاً يا لبنان بما كنت قد فُطِمْتَ قبل عهد الفطام ، دست هذه النعم برجلك، لأنك تجهل أنها ثمينة، فانضوى قسم منك إلى راية من طمحوا إلى الزعامة وظل القسم الآخر مستظلاً براية رجال الإقطاع، فبرهنت في كل أدوار حياتك على أنك لا تزال قاصراً، فاتخذ كل فريق منك عليه وصياً.

كنت تقول قبل الدستور، وعلى الأخص فى العهد المتأخر، إنك لا تقوى على الاجتماع. ولو مُهِّد لك ذلك، لكنت أثبتَّ العجائب، وها قد تمهدت لك تلك العقدة واصبحت بفضل الدستور، قادراً على الاجتماع جهاراً والمناداة بما تضمره نفسك من نفائس الأفكار، مجاهراً بمبادئك الحرة. وإلا فدعواك بالأمس باطلة.

أجل، فقد اجتمع بالأمس منك عصابة زحفت إلى بيت الدين[٢] حيث يستوي ابن فرنكو[٣] على منصة السيادة التي منها صدرت الأوامر الظالمة بجلب الغزيريين [٤] وإيداعهم ظلمة السجن، لوشاية كاذبة، والتى منها كانت تصدر الإرادة المطلقة المستبدة بإسناد الوظائف إلى غير مستحقيها من أبناء الجبل. زحفوا نواباً عن الشعب وألجأوا ابن فرنكو إلى تطهير الحكومة من جراثيم الفساد، وإسقاط من فقد منهم ثقة الأمة وعبث بحقوقها.

إنها المرة الأولى التى فاز بها الشعب على الحكومة، وخنق بها الصوت المجموع صوت الفرد، وهى خطوة كبيرة خطوتها بفضل الدستور، وصفحة جميلة كتبتها يد المجد في تاريخك.

بذلك توصل الغرب إلى الحالة التي هو فيها الآن، وبدون الأحزاب لا تستقيم مصلحة الأمة. ولكن شتان بين الأحزاب هنا، والأحزاب هناك. فهم إنما يجاهدون في سبيل النفع العام، ونحن إنما نجاهد في سبيل نفع أنفسنا، إذا صح تسمية الأنانية جهاداً.

ومهما يكن من الأمر، فإن الصوت الخافت أصبح مسموعاً، وإن الحاكم الذي يمد يده إلى الرشوة لا يأمن عليها من الكسر.

بقيَ أن يَنْتبه الشعب من غَفْلته، ويعرفَ أنَّ حقوقه مقدسة مرعية لا تقوى على اغتصابها يدُ الظلم.

البرق، ١٩٠٨، عدد: ٣، ص: ١

✱✱✱✱

هذه الفوضـى

نـتيـجـة الجـهـل، هـذه الـفـوضـى الـتـي يـدوي صـداهـا من الـشـرق إلى الـغـرب، ومن الشـمـال إلى الجـنـوب. والجـهـل إذا خيم في بلد، صيرَّ نوره قتاماً وغشّى على أبصار أهله، فتركهم يتسكعون فى مجاهل غيهم ويتسابقون إلى قتل أنفسهم بأنفسهم، ويرجعون القهقرى مندفعين بعوامل المفسدات إلى حيثُ لا تقوم لهم قائمة، متدافعين كأنهم الذئاب، لا يجسر الواحد أن يتخلف عن الآخر لئلا يمزقه بأظافره الدامية.

نتيجة الجهل، هذه الحوادث التي تنقض على رؤوس الشعب المستكن الهادئ، فيضطرب لها فؤاده، وتطير لها نفسه؛ فلا يقوى على معاطاة العمل لأنه غير آمن، ولا الحكومة تقوى على قطع دابر المتشدد الظالم. فأمسينا والفوضى ناشرة أعلامها، والنظام مستهان به، ولا يرعى أحد له جانباً. فكأنما في رجال الدوائر وهن، وهم غير أهل للمراكز التى يملأونها؛ أو كأنما الشعب أبطرته الحرية وهو لا يفهم حقيقتها، فتطرف حتى تهور. فإذا لم تتداركه الحكومة، بما عندها من الحكمة والحزم، سقط صريع الجهل في مهاوي الشقاء، واستحكم منه الداء وعز فيه الشفاء.

لا عاطفة شريفة ولا مبدأ نبيل، لا مزية حسنة ولا خلق كريم. عدم بعض الناس الشعور الإنسانى؛ فهم أبداً دائبون على تعكير الصفاء وتقطيع روابط الألفة. فطر بعضهم على الشر، فهم كأنما أرسلوا إلى الأرض ليلطخوا الهيئة البشرية بما يرتكبونه من الفظائع الوحشية والأعمال الأثيمة.

ألم يأتك نبأ المتقهقرين في الآستانة؟ ألم يأتك نبأ راتب والي الحجاز؟ يريد الأولون أن يحنث السلطانُ بيمينه، فيسترجع الدستور، ويقف حاجزاً في وجه الحرية، يمنع نورها أن يتسرب إلى أبناء الأمة العثمانية في ذلك الصقع السحيق. ولكن العدالة أبت إلا أن تقتص من هؤلاء، فنكلت بهم تنكيلاً، وجعلتهم عبرةً لكل بصير، على أن العدالة التي قبضت على خناق راتب والمتقهقرين، وقفت عاجزةً عن نزوة من أبناء الشر،

يعيثون فساداً في لبنان وضواحيه. إن ما تقرأه من فظائع الشقي خطار... وما جرى بين شيبوب الشقي الآخر والجنود اللبنانية، وإن ما تقرأه عن حادثتي طرابلس والمنية[١] وبعض الحوادث الإفرادية التى تجري في مدينة بيروت، يصور لك الفوضى بأقبح صورها، وينقل لك رسماً حياً عن تقاعس حكومة لبنان، وتخاذل حكومات الإيالات[٢] الأخرى، فلا تعود تعجب من تجهم السفلة الأوغاد، وتهجمهم. فإنهم أشبه شيء بأمواج البحر المتدافعة إلى الشاطئ فإذا لطمتها الصخور سقطت متكسرة على أقدامها، وإذا لم يقم في وجهها حاجز أغرقت ما يعترض في سبيلها من كل ذي حياة.

إنها لحالة وأيم الحق يستنكفها طبع الكريم. حالة لا تسلم معها عاقبة ولا تقوم معها شوكة للحكومة إذا هي لم تضع الحزم موضعه.

فوضْعُ النَّدى في موضع السَّيفِ بالعُلى
مُضِرٌ كَوَضْع السيف في مَوْضِعِ النَّدى[٣]

على أننا نعجب، ويحق لنا أن نعجب، من حكومة لبنان كيف أن الأشقياء يبيحون أعراض الرعية ودماءها، وهي تتلهى هنا بالسفاسف التي لا طائل لها ولا فائدة حقيقيةً يرجى من ورائها.

فنحن نخشى إذا ظلت الحالُ على هذا المنوال، أن يتفاقم الخطبُ ويتسع الخرقُ على الراقع، والسلام.

بشارة عبدالله الخوري

البرق ، ١٩٠٨ ، عدد: ١٠، ص ١

****

صيحة في واد

إذا ذهَبت اليوم مع الريح،فلقد تذهبُ غداً بالأوتاد[1]

هو الجهل حتى تنبت الأرض قتاداً. وتملأ فساداً. وحتى يجهل الغبيُّ مقدار نفسه؛ فيسير إلى حيثُ يقع على أُمِّ رأسه.

وهو الظلم حتى يعم البلاء، وتغضب السماء، وحتى لا ترى أبياً يقف بوجه الحاكم ويقول للظالم: يا ظالم.

الجهلُ والظلم آفتا الشرق، إذا حدَّق ففي ظلمة الأول، وإذا رسف ففي قيود الثاني. وما حال مَنْ يتخبط في دياجي الجهل؟ بل ما هي حال من يرزح تحت عبء المظالم؟

منذ أمد بعيد، وتركيا العظيمة تتقلب على فراش السقام، ومنذ أمد والخائنون من أبنائها يمتصون دماءها، ويقودونها بالناصية إلى الهاوية، حتى ذهبت مثلاً من الضعف ومسخت عبرة للأمم.

أجل أصبحت مثلاً من الضعف وعبرة للأمم، وظلت كذلك حتى مزق النور ظلمات الجهل، وحطم العدل قيود الاستعباد؛ فاندفعت الناشئة العثمانية اندفاع الأتيِّ[2] على خائني الأمة والبلاد، وكان يومهم متهدراً.

وإذا بتركيا قاربت الشفاء، وعاودها الأمل بالحياة، وجرى الدم، في عروقها نقياً. إذا بالظلام استحال ضياءً وبالشقاء هناءً، وإذا انقلب الوجه الأرضي حتى كدت لا ترى عليه شقياً.

نسمة من نسمات الحرية انعشت آمال الأتراك، ولمعةٌ من لمعات الدستور، كانت ضياء للمهتدين. وفي لبنان – في هذ الجزء الصغير من تلك المملكة الضخمة – لا حرية ولا دستور؛ وهل يخطب الحرية إلا العلم، وهل يسطع الدستور، إلا في سمائه النقية؟

تلك الجبال وهذه الأودية التي خصها الله بأجمل اللآلئ الطبيعية، آهلةٌ بقومٍ كلما نقل غيرهم خطوةً إلى الأمام، نقلوا عشراً إلى الوراء. وكلما اقتربت الأمم ميلاً من الرقي ابتعدوا عنه أميالاً.

هؤلاء الناس يتلهون بأمجاد أجدادهم، ويفاخرون بغير أعمالهم، ويحاربون أنفسهم بأنفسهم دفاعاً عن الباطل. فيقتلون الحياة وهم يحسبونها شيئاً زهيداً. هؤلاء سلالةُ المردة، أولئك الأبطال الذين كانوا يجعلون أجسادهم سوراً حول وطنهم، ودماؤهم نهراً يغرق من كان يطمع فيهم – فمن لنا بأن يروا شقاوة وطنهم وسوء مصير أبنائه – إن بين الأمس واليوم لعبرة زاجرة للأعصر الأواتي.

إن هذا الوطن التاعس يئن من بنيه. وبنوه يئنون من أولياء الأمر فيه، من رجال السيادة الذين أشربوا نفوسهم ماء الذل، وختموا على قلوبهم بخاتم الجهل. يئنون كما يئن الغدير المتدافع في الوادي. يئنون، لأن بالأنين يعرف ألم الجرح.

كانت حملتنا شعواء في عددنا الماضي، حملة من المبدأ على المبدأ، فإذا بها حملةٌ على غير ما نقصد، وإذا بنا أعداءٌ لمن كانوا أصدقاءنا بالأمس، فكفى بهذا على حالنا الحاضر شهيداً.

البرق، ١٩٠٩، عدد: ٢٨، ص: ٢١٧

****

شـــيء عـــن لبنـــان

قليلون هم الراغبون في إصلاح هذا الجبل، قليلون هم الواقفون على أطلاله يندبون سوء مصيره. وكثيرون هم اليائسون من إصلاح الحال، لأنهم يرون المخربين يعملون على الهدم، ولا يرون يداً واحدة تبني. من المتصرف إلى أصغر متوظِّف، من أكبر زعيم إلى أصغر مزعوم[1] كلهم يهدمون. وإذا استمرت الحالة على هذا المنوال، فما عسى تكون النتيجة؟؟

يقولون لي: نراك دائماً تصور لبنان بشكلٍ مظلم، ودائماً تمثله بحالة مزعجة، ودائماً دائماً تقطع خيوط الأمل التي يحوكها الصحافيون على صفحات جرائدهم، فتحول ابتساماتهم دموعاً وتهاليلهم مراثي.

أجل، إن الحقيقة لا تألف دائماً هذه الصحف التي تقرأون، وإذا ابتسمت أحياناً فإنما هي تفعل كندماء السلاطين، يضحكون السلطان طمعاً برضاء السلطان، أو خوفاً من غضبه. وربما كان الرياء شنشنة[2] البعض، فيلبسون الأبيض أسود والأسود أبيض، فيضلون بذلك من حيث يجهلون.

أما الذين يرغبون في الإصلاح، الذين يحملون في صدورهم قلباً غيوراً ونفساً وطنيةً، فإني لا أسمع لهم صوتاً، حتى كدت أشك بوجودهم، وأريد بهؤلاء أصحاب الأفكار المستقلة التي لا تربطها رابطة بأصحاب المطامع. أريد بهؤلاء أصحاب الجرائد الحرة. والجرائد الحرة هي التي تقول الحقيقة أين وجدت، ولو عاد عليها ذلك بالضرر المادي. ولما كان هؤلاء الذين أعنيهم، غير ميسور وجودهم، فإني لا أزال أقول: إن الأمل ضعيف بالإصلاح.

جعجعة أحزابٍ وقرقعة جمعياتٍ، في كل قضاءٍ بل في كل قرية. وقد مضى على هذه الجمعيات وهذه الأحزاب زمنٌ طويلٌ. فماذا صنعت من خير هذا الوطن؟

أأنشأت هذه الجمعيات الخيرية الأدبية، مدرسةً صناعيةً أو ملجأً خيرياً، أو أتت عملاً يذكر ولو زهيداً؟؟؟ وهذه الجمعيات السياسية التي تدعي أنها من أكبر أنصار الإصلاح، أي شيء غيرت في هيئة الحكومة؟ هل وقفت في وجوه رجال الزعامة. أَمَـهَّدَتْ لأصحاب العقول المفكرة، سبيلاً إلى إشغال المراكز في دوائر الحكم؟ أم وضعت نصب عينيها، مشروعاً حيوياً وباشرت العمل فيه؟

أجل إن غاية ما يصنع حتى الآن، عزل أناس وتنصيب آخرين؛ وقد يكون في من ينصبون من هم دون المفصولين خبرةً وإخلاصاً. هكذا كان لبنان، أحزاباً تتطاحن وأموالاً تبذل وبيوتاً تخرب، وكذلك هو اليوم. غير أن الأحزاب اتخذت لها أسماء غير أسمائها الأولى. فبالأمس كان حزب واصا[٣]، وفرنكو[٤]، ومظفر[٥]. واليوم حزب الأحرار، والمحافظين، والمتقهقرين.

لا يضيع حق وراءه مطالب. وكذلك الإصلاح؛ لا يضيع إذا كان في البلاد مُصلحون، إذا كان فيها رجالٌ مجردون وصحافيون يقولون ما يعتقدون، وما يرون وما يسمعون.

أكاد أجزم بأن ليس في لبنان من يفكر في إصلاحه؛ وإذا فكر أديب مرة، فما هو مما يقاس عليه. ومتى ثبت أن ليس من يعمل على الإصلاح، فكيف يمكن أن نرقى؟ متى ثبت أن الجهل، والانقياد، وحب الذات، ضاربو الأوتاد في لبنان من شماله إلى جنوبه، من شرقه إلى غربه، فكيف يمكن أن نعلق أملاً على المستقبل؟

نحن هنا نعتقد أن المهجر ينشئ لنا رجالاً يصلحون ما يفسده كبارنا وزعماؤنا، ويعتقدون في المهجر، أن الناشئة هنا، ستقلب الهيئة الحاضرة، وتقيم على أنقاضها هيئةً تناسب العصر الذي نحن فيه. وبين اعتقادهم واعتقادنا خسارةٌ لا تعوض لو ننتبه وينتبهون.

ها قد تقرر أن الجوالي[٦] في المهجر، وأن الناشئة في الوطن يضللون الرأي العام، لا عن سوء قصد، فكيف ولم؟؟؟ جرائدنا هنا إما مشتراةٌ وإما مسالمة وإما متاجرة. وهي لا تقدر أن تكون إلا كذلك. ولماذا؟ لأن اللبنانيين إما طماعون، وإما خاملون، وإما جهلاء.

«ولا أذكر هنا القسم القليل الراقي» وبحكم الاضطرار تجري الجريدة مع قرائها ونصرائها، على ما يحبون. فهي إذاً منقادة لا قائدة، بل هي كالحرباء تتظاهر بما يكون قد أثره عليها أصحابها.

وجرائدنا فى المهجر هي، والحق يقال، أخلص نية وأقوم قصداً، ولكنها تبعد عن الحقيقة أحياناً، بمقدار ما هي بعيدة عن دائرة العمل؛ ولذلك أسباب كثيرة أهمها اعتقاد جرائدنا في المهجر الصدق والحرية، ببعض جرائدنا في الوطن. واستناداً على هذا الاعتقاد الذي كثيراً ما يكون في غير محله، تأخذ هذه الجرائد بتطويب فلانٍ وتقبيح فلانٍ الآخر، وترجيح رأي هذه الجمعية على رأي تلك، بحيث يختلط الحابل بالنابل، ويشتبك الرأي الصائب بالرأي الفائل[٧].

وكل هذا لا يعد شيئاً بالنسبة الى تغرير المراسلين. فإني أعرف منهم من يتخذ جرائد المهجر واسطةً لتنفيذ مآربه أو مآرب من استخدمه. وقد تكون الجريدة الناشرة لتلك الرسالة واثقة بمراسلها فتَضل بها وتُضل.

فكيف إذاً والحالة هذه، نعلل النفس بتحطيم القيود التي نرسف بها؟ ومن هم يا تُرى الذين يرغبون بالإصلاح مجرداً؟؟؟ إن الزمن الذي مضى على الزعماء والأحزاب والجمعيات، وكل دعاة الإصلاح كافٍ لأن يكون له بعض نتيجة. فأين هو هذا البعض؟ أفلا أقدر أن آخذ ذلك برهاناً على أن هؤلاء لم يكونوا يعملون كل هذه المدة، إلا لأنفسهم، ولو خرب الوطن؟ أفلا يمكنني أن أقول للجرائد التي كانت موالية لحزبٍ دون الآخر، أو لشخص دون سواه، إنها كانت تبايعهم على الباطل، وإنها كانت تخون الشعب الذي يغذيها؟.. أتريد هذه الجرائد أن تقول لنا إن الشعب عدو نفسه وإنه متمسك بزعمائه إلى حد أنه لا يريد أن يسمع بهم تنديداً؟ أتريد أن تقول إنها إذا انتقدت فريقاً ترجع إليها أعدادها، فلا تقدر بعد أن تعيش ؟.. فلترجع إليها أعدادها، وليختنق صوتها، في سنتها الأولى، فهو خير لها من أن تعيش لتميت وطناً بأسره.

قلنا وأثبتنا أن لا أحد يعمل على الإصلاح، فهل يجب أن يسكت الأفراد الراقون وإن كانوا عدداً قليلاً؟ هل يليق بنا أن ندع وطننا فريسة بين أنياب الذئاب، وفيه لنا أمهات ووالدون، وزوجاتٌ وإخوةٌ وبنون، بل فيه كل ما يسمو إليه الفكرُ من جمال، وما تطمح فيه النفس من ثروة؟؟

فهل من وسيلة لإيقاف هذا التيار، سوى تعليم الشعب ما له من حقوق، وما عليه من واجبات نحو نفسه، وقريبه، ورئيسه الديني والمدني، وبالعكس، أي ما على كل هؤلاء من الواجبات نحوه؟ هل من وسيلة لأن تُفهم هذا الرجل من الشعب، أنه مساوٍ لذاك الرجل من سلالة الإقطاعيين أو المأمورين أو غيرهم؟ هل من وسيلة لأن تبين له أنه مطلق الإرادة يفعل ما يراه حسنا، لا ما يراه غيره، ويجتنب ما يراه قبيحا؟ هل من وسيلة لأن تجعله يُميز بين الحسن والقبيح، والنافع والضار، والخير والشر؟ وأخيراً، هل من وسيلة لإفهام هذه الألوف أنه من العار عليها أن تنقاد لرجلٍ واحدٍ يقول لها: اذهبي إلى بيت الدين، فتذهب إلى بيت الدين، وانزلي إلى بيروت، فتنزل إلى بيروت وهي لا تعلم لماذا؟ ما هي الوسيلة أيها الإخوان المنتشرون في أقطار العالم، إلى قلب هذه الهيئة التي تشتغل لأنفسها، وإبدالها بهيئةٍ تشتغل للأمة وللوطن؟

فكَّرت في ذلك، وعرضت نتيجة هذا التفكير على بعض الأدباء المشهود لهم بالعلم وصدق الوطنية، فاستحسنوه، غير أن منهم مَنْ رأى الفكر كبيراً يطول على من رامه، ومنهم من أبدى عليه بعض الملاحظات فشكر عليها.

الفرد مهما كان كبيراً لا يقدر أن يأتي عملا كبيرا، ولهذا وُجدت الجمعياتُ، أي لتأتي أعمالا كبيرة شأنها الآن في الغرب. ولَّما كان علَّة شقاء الشعب اللبناني جهله واستبداد رؤسائه فيه، كان لا بد لنا من إزالة هذه العلة. وبماذا نُزيلها؟

نزيل الجهل بالعلم، ونطحن الاستبداد بالقوة. فيجب علينا إذاً، أن نُعلم الشعب، صغيرا كان أو كبيرا. فالمدرسة للصغير، والصحافة للكبير؛ وأريد بذلك أن يُبحث عن الأذكياء من أبناء الشعب الذين لا مقدرة لوالديهم على تعليمهم، وإدخالهم إلى المدرسة على نفقة الجمعية، وأن تُرسَل الجريدة التي يُحرر مواضيعها الراقية نخبة من أفاضل

الكتَّاب، إلى مَنْ يطلبها مجانا، من اللبنانيين، ليَسْهُلَ لكل فردٍ الاستفادة منها. وعلى هذه الجريدة أن تكون القوة التي تحول بين الظالم وظُلمه، والخائن وخيانته؛ بل عليها أن تكون المُدافعة عن حقوق كلِّ وطنيٍّ، ولو كلَّفها ذلك تعباً جسيما.

هذه الجمعية القائمة الآن في مخيلتي، المؤلفة من كل عناصر اللبنانيين القائمين في لبنان، والمنتشرين على سطح الكرة الأرضية، هي الواسطة الوحيدة على ما أظن، لأن تجعل لبنان زاهرا سعيداً.

ألفا مشتركٍ لهذه الجمعية، يدفع كل منهم ذهباً واحدا في السنة دخلاً دائماً، مع بدلات اشتراكات الجريدة وريع المطبعة، وتبرعات الوطنيين، تكفي لأن تأتي عملاً مذكورا بل عملا مشكورا.

هذا هو الحلم الذي أتلذذ به الآن، ولا يبعد أن أستيقظ يوماً، وأرى شعاع الحقيقة يمزق أستار الوهم. فقد سئمنا الحياة مع الجهل، ومللنا التعلل بالأماني الكواذب.

هذه هي نقطة الدائرة التي سأعود إليها، ورجائي أن أرى الأفكار تحوم على هذا الموضوع، والهمم تنهض إلى تحقيق الآمال. وإني تاركٌ إلى إخواننا – وأخص منهم المهاجرين – رأيهم في ذلك؛ فإن حالتنا أصبحت لا تُطاق.

وما عسى يُؤمَّل من شعب معظمه جاهل، وحكامٍ كلهم مستبدون، ونوابٍ أكثرهم خائنون؟.

البرق، ٨ أيار ١٩٠٩، مج:١ ، عدد : ٣٥، ص : ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨

✱✱✱✱

حــول الموضـوع [١]

صدى مقالتنا الماضية - تنبيه الأفكار - استعداد بعض المشهود لهم بالصدق لمباشرة الإصلاح - بصيص أمل في المستقبل.

يسرنا وأيْمُ الحق، أن يكون لكلمتنا عن لبنان، في عددنا الماضي، هذا الوقعُ الجميل في أنفس الأفراد الراقين من أبناء جبلنا المحبوب.

ويسرنا أن تكون مكافأتنا على خلوص نيتنا، ما كتبه إلينا أصدقاؤنا في الأماكن المختلفة، من عبارات التنشيط التي أثارت بنا كوامن الغيرة، وأحيت بنا أملاً يُلاشيه ما يقابلنا به أصحاب المطامع، ورجال الغايات من المعاكسة والمجافاة. فليعلم ذوو المناصب العالية، أن الشعب قد بدأ بالشعور الحقيقي، وليطمئن الشعب الهادئ الساذج؛ لأن قوةً كبيرة ابتدأت تتألف من إخوانه الحقيقيين في الوطن وفي المهجر، لتُقيم حدود المساواة والعدل والحرية. وإننا ننشر هنا مع الفخر، رسائل الوطنيين الصادقين، وفيها صورةٌ حية لأنفسهم الكريمة التي تعرف الواجب وتقدسه:

أخي بشارة:

شــيء عن لبنــان

تحت هذا العنوان قرأت لك في العدد الأخير من البرق، ما لم أقرأه لك فيه من قبل؛ وكأنك أردت أن تكتب (شيئا عن لبنان) فذكرت أشياء كثيرةً، وأنحيت باللائمة على اللبنانيين وأحزابهم وجمعياتهم، إنحاءً شديداً، واندفعت على الجرائد اندفاعاً لم أتوقع حدوثه منك، مع ما أعهده من طول أناتك وشدة إغضائك على القذى.

لم أكن لأريد أن تكتب شيئاً اليوم يا أخي، لأنك جاهرت من عهدٍ غير بعيد بهذا المبدأ الطيب، وهذه الأفكار الراقية. فماذا كانت النتيجة؟- خسارة مادية إذا تجاهلت بها أنتَ، فلا أجهلها أنا، وبات كثيرون ينظرون إليك شزراً؛ أما الذين شعروا الشعور الحيَّ، فقليل ما هم!..

أنا لا أظنك في ما تقول، إلا في وجهٍ واحد، وهو أنك عمَّمت القول ولم تستثن أحداً؛ كأن النظرة الإجمالية التي ألقيتها على هذا الجبل التاعس، جعلت حجابا كثيفا على عينيك، فلم تقعا على صغار العمال المنبثين في زوايا لبنان، الذين ينتهزون الفرص للقيام بالأعمال، وإن كانت صغيرة.. يوجد يا أخي نفوس كبيرة في غير الذين تعنيهم، لا يرتزقون من الأحزاب، ولا يتاجرون بها، ولا يملقون، ولا يُدَلِّسون، ولا يكذبون، ولكنهم يتلقَّون (بذور الزارعين) بفرح ويتخذون من وميض (البرق) أقباسا يستنيرون بها في ظلمات المستقبل المجهول.

لا تلم الجرائد يا أخي على جبانتها وانحياز كلٍّ منها إلى فريق، فإنها تتخذ بذلك طريقا للحياة. وكلُّ جريدة لا تنتمي إلى حزب وإن كان سافلا، لا تحيا طويلا.

أنت تريد أن تجهر الجرائد للشعب بأن لا يتمسك بزعمائه، إلى حدٍّ أن لا يسمع بهم تنديدا.. أنت تريد أن لا تعمل الجريدة لنفسها بل للشعب الذي يُغذيها، وإلا كانت خائنة. أنت تريد أن تكون حرةً مخلصة متفانية في خدمة الوطن اللبناني، تطعن في صدور المستبدين، وتصعق رأس الكبير قبل الصغير، ولا بأس إذا رجعت إليها أعدادها، واختنق صوتها؛ فهو خير لها من أن تعيش لِتُميت وطناً بأسره!.. ذلك منتهى الشهامة يا أخي. ولكني أرى أن الفساد الثابت في الرؤوس القديمة، لا يمكن أن يُستأصل اليوم؛ فعليك بتدبير الرأس الصغير - أفِضْ في حثِّ جرائد المهجر والمهاجرين! فإننا نتوسم فيهم روحاً حياً أُشربوه من تلك البلاد الراقية؛ وضُمَّ آراءهم إلى آراء المفكرين في لبنان؛ وحينئذٍ تكون الجمعية التي تدور في خَلَدك. ومتى كانت

الجمعية، كان ما ترجوه من رقي الأمة. وما هي إلا فترةٌ من الزمن حتى ترى شعبا راقياً يقرأ ويفهم ويشعر ويتولى الأعمال عن عقل مفكر وعلم واسع.

هذا بعض من كثيرٍ مما أريد بسطه لك، أيها العزيز. فانظر إذا شئت إلى الإصلاح، من هذا الوجه الأخير. فهو أضمَنُ – لا لحياة الجريدة، فإني على ثقةٍ بأنك لا تكتب ما لا تريد – بل لحياة مَنْ لا نُريد أن يظلُّلوا منقادين انقياداً أعمى يمضي بهم وبأولادهم إلى الهاوية.

ابراهيم منذر[٨]

☆☆☆☆☆

صديقي

إن حديثك عن لبنان، في العدد الأخير، هو والحق يقال، صوت لبناننا الذي يتألم اليوم من جمعياته وأحزابه وزعمائه وصحافته. بل هو صوت الحقيقة التي قلَّما جاهر بها إنسان وسلم من ألسنة مَنْ يدَّعون الوطنية، وينادون بالإصلاح، وهم عن الإصلاح والوطنية بعيدون. وإن لم تُسمعكَ أودية لبنان، ورباه، صدى صوتك اليوم، فعسى أن يُسمعك إياه، المهجر لأن البعد عن الوطن، غالباً يُقرِّب المرء من حب الوطن الحقيقي المجرد عن المآرب الذاتية والمطامع السياسية.

صديقك

أمين ريحاني

☆☆☆☆☆

أخي

إن كلمتك عن لبنان، في العدد الماضي من «البرق»، صادفت استحساناً في قلب مَنْ أحبَّ لبنان. وتأكد يا أخي أنه، وإن لم يكُن الآن حظٌّ لتلك الكلمة، عند الزعماء، وعند

بعض اللبنانيين، فليست هذه بأول مرة رأينا الحقيقة ضائعةً عند هؤلاء القوم. وسيأتي يوم لا يذكرون لك هذه الكلمة إلا ويذكرون الضمير الحرَّ والوطنية الصادقة، والعواطف الشريفة، والمخيلة الحساسة التي أملت عليك فكتبت ما كتبت.

وأنا أسألك بحق لبنان الوطن المحبوب أن تثابر على هذه الكتابة، المرة بعد الأخرى، شفقةً على بقية ضمائر حيةٍ بين تلك الآكام، وذكرى لقومٍ نائمين. والسلام عليك.

من: رشيد تقي الدين

البرق، ١٥أيار ١٩٠٩، مج: ١، عدد: ٣٦ ، ص:٢٨٧و٢٨٨

****

حول الموضـوع [٢]

ورد علينا كثير من رسائل الفضلاء، وملؤها التنشيط على معالجة الموضوع اللبناني الذي طرقناه في عددنا الأسبق. فاكتفينا بنشر الرسائل الآتية، شاكرين لجميعهم الغَيْرة المجسمة في كل كلمة من رسائلهم:

قرأت مقالتك الأخيرة عن لبنان؛ فرأيت فيها غَيرةً متقدة، ولهجةً وطنيةً حقة. ووقفت طويلا عند كل كلمة نددت بها على ما هناك من الخلل، وشعرت باندفاعك الشديد نحو الإصلاح، ورغبتك الكبيرة ببلوغ ذرى التقدم، وموت الأحزاب التي تسعى لغاياتٍ خصوصية، ولو ضحت في سبيلها أمة بأسرها.

على رسلك يا أخي. فإن الأصوات وإن خفتت، والمآرب وإن ساءت، لا بد لها من الانقلاب، عاجلاً كان أو آجلا. سُنَّةُ الله في خلقه وليس لسنة الله تبديل.

لا بد لهذه الأصوات الساكنة أن تعلو يوماً، ولهذه الأحزاب الشخصية أن تتلاشى. فالأمة متى دخلت في النور، وتمزقت عن عيونها براقع الوهم، لا تقبل بهذه الحالة التي هي عليها. وكذلك لا يجب على الشبيبة الراقية أن تستسلم لليأس والقنوط، لأن في لبنان اليوم أفراداً نسمع صوتهم من حين إلى آخر، فترى ثمة صوت حرية الضمير، ممزوجاً بالحب الأكيد والإخلاص التام، وعلى هؤلاء الأفراد إن في لبنان أو في المهجر تُبنى الآمال، لأن صوت الحق إذا ذهب اليوم مع الريح، فسيكون له في المستقبل، بكل صدر، دويٌّ عظيم.

وليس الذنب وحده على الأحزاب، بل الذنب على كل لبناني يشعر ويفهم ولا يسعى. يشعر أن الشعب بحاجة إلى التعلم، ويفهم جيداً أنه لا يتوصل الى الرقي المطلوب إلا بهذه الواسطة، ولا يسعى لتعميم المدارس في بلاده، إن بالمال أو بالقول أو بالعمل. لا ذنب على الأحزاب لأنها هكذا نشأت وهكذا ترعرعت، ولم تجد قطُّ مانعاً لها؛ بل بعكس ذلك لم تكن ترى إلا منشطين؛ فسارت لا تلوي على شيء، وتقدمت إلى غايتها

غير مهتمة بما سيكون وراء ذلك من خير أو شر. فمتى تعلَّم الشعب وعرف حقوق وطنه عليه، وحقوقه على وطنه ورؤسائه، يقوم بوجه هذه الأحزاب، فيضطرها إلى التشتت، ويُنشئ له أحزاباً جديدة غايتها منفعة الوطن ونجاحه، كما نراه في جميع البلاد الراقية. فالأحزاب هي حياة البلاد؛ إنما يجب أن تكون غايتها منصرفة لا إلى فرد بل إلى مبدأ، فتعمل عند ذلك لنجاح الوطن.

فأكرم بهذه الروح التي تتجلى على صحيفتك، وتختلج في صدر القلائل من مواطنيك! ويوم تتابع الأصوات العارفة نافخةً في بوق الإصلاح، مستعدةً عن كل غاية سياسية أو مادية، يوم تنشر المعارف وتعم المدارس نبشر لبنان وغيره، من البلاد العثمانية بالنهوض ونبشرك بإبراز فكرك إلى عالم الوجود إن شاء الله.

يوسف نخله ثابت

☆☆☆☆☆

لم يتيسر لي أن أقرأ العدد الخامس والثلاثين من «البرق» الذي لَمَّح في «شيء عن لبنان» قبل العدد السادس والثلاثين المذكور؛ فقرأت اللمحة اللبنانية، وكنت أتمنى عند قراءة كلِّ سطرٍ من سطورها أن يكون شهاباً لامعا في كل لبنان، فيراه ويقرأه كلُّ فردٍ في لبنان، لما تضمنه من التجرد التام، والتنزه المطلق وطلب الإصلاح الصحيح.

ولا أريد أن أُلهيكَ ولا ألهي قراءك الكرام؛ بإطراء ذلك المقال، لأن القول الحسن كثير والرسائل الإصلاحية عديدة من كتابنا المجيدين، وكلها يستحق المدح والثناء، ولكننا كما تقول، أفقر اليوم إلى الأعمال منا إلى الأقوال.

وكل يعلم أن الشعب اللبناني بفطرته، حَسَنُ الطوية، شريف النية، مخلص القصد، نبيله. فإذا كثر انتشار المقاصد الإصلاحية المنزهة المجردة بينه، لا يكون أسرع منه إلى الائتلاف والانضمام، ولا أقدر منه على الاندفاع إلى الأعمال المجيدة التي يرتقي بوطنه فيها إلى مراقي التمدن وذرى العمران. ولا أريد أن أُسهب في الكلام الآن عما تقدم، لئلا يمل قرَّاؤك الكرام من طول البحث في موضوع واحدٍ، والسلام.

شاهين الخازن

مقالتك في العدد ٣٥ «شيء عن لبنان»، لم تكن أول برهانٍ على وطنيتك الحقة وإخلاصك الأكيد، ولا الحقيقة الأولى التي أبنتها بكذا جرأة مدهشةٍ عرفتها فيك.

إن جعجعة الإصلاح التي ذكرتها، لم تكن لمجرد الإصلاح، ممن ينادون به، وهم عن الإصلاح بعيدون؛ إن هنالك أمراً آخر يا أخي، يطلبونه. ومتى وصل أحدهم إليه انتهى الإصلاح عنده، بل بالحري انتهى كل شيء.

لكن ما نحوت به، بصورة عمومية، من اللوم على جمعيات لبنان، إن لم تكن مصيباً بأجمعه، فأنت ولا شك، مصيب بأكثره. على أن وراء تلك البناية التي أنت من جملة أركانها، قلوباً كبيرة ونفوساً شريفة وأيدياً عاملةً أخذت بذورها تنبت، ولا أرى زمن الحصاد ببعيدٍ. على أني أطلب إليك يا أخي، أن تداوم على بث مثل هذه الأفكار؛ وبذلك تقوم بالواجب عليك، وتفي بالعهد الذي ارتبطت به، ولست إلا من الصادقين!

جبرايل نصار

البرق،٢٢ أيار ١٩٠٩، مج.١، عدد: ٣٧ ص: ٢٩٤ و٢٩٥

****

وطـن ضائــع

لـبـنـان الـذي ضـرب أبـنـاؤه في الأقـطـار الأربـعـة أضـاعـوه. والجـبـل الـذي أدرّ الـلـبـن والعسل على أبـنـائـه رذلـوه. فعمـامـة الـثـلـج الـتـي عـلـى رأس صـنـيـن[١] هي كفن للشيخ[٢]. والأنهر التي تتفجر من الصخور هي دموع الطبيعة على الميت.

كان يعلل النفس بكسر القيد. ويفتر للأمل اللامع من وراء البحر فإذا بالتعلة أصبحت علة. وإذا بالأمل أصبح مللا.

صدّرت «المنارة» سنتها التاسعة بعدد مزدوج جالت[٣] فيه أقلام الكتاب فكان للبنان نصيب من سهامه. وصدّر العدد بمقالة لفارس أفندي نجم محررها السابق وفيها شكوى من لبنان ونظامه.

الإخوان في البرازيل قرأوا على ما أظن حكاية الثعلب والطبل؟

فعلى رسلكم أيها الإخوان. إن الحكمة تقول خير الأمور الوسط فلنكن حيث تقول الحكمة.

لفارس أفندي سؤالان: الأول – لماذا لا تسمح الدولة للبنان بفتح ثغوره[٤]. والثاني – لماذا لا تضطرها الدول الحامية[٥] الى الفتح. ويفسر السؤال الأول رغبة الدولة بمحو النقطة السوداء ويفسر الثاني تقاعد اللبنانيين «في الماضي» عن المطالبة بحقوقهم ومتى عمل الثاني أبطل الأول – من أجل هذا جاهد فريق هنا في هذا السبيل ومنه «مجلس الإدارة».

إن لبنان لم يكن نعجة الحكومة الماضية. فأي لبن امتصت منه تلك الحكومة إلا إذا كان هناك شيء أضاعه جهل اللبنانيين أنفسهم.

مهما ساءت حالة اللبنانيين تظل خيرا من كل حالة سواها. أفليسوا هم الحكومة وهم الجند؟ أو ليس لبنان حكومة ضمن حكومة ترعاه الدولة ولا تأخذ منه بدلا لرعايته.

أجل إن جهل اللبنانيين للقوانين وعدم أهليتهم للامتيازات التي منحت لهم. كل هذه الأسباب تجعلهم يستهينون بأنفسهم ولا يهتدون منها للوصول الى محجة السعادة التي يسعى إليها كل نسمة في الوجود.

ليس من الدولة يطلب إقامة المعاهد والمصايف ولا منها يطلب «إنشاء المتنزهات ولتسهيل وسائل الراحة» ذلك في الولايات نفسها يطلب من المجالس البلدية ولهو كذلك في لبنان.

فعلى الشعب الذي منه تتألف المجالس البلدية أن يقوم بهذه المكملات والبلدية كالحكومة في لبنان. كلاهما من الشعب يتألفان. ومع ذلك فلم نرِد العمل في إصلاحه.

يقول فارس أفندي «إن الدولة الدستورية لم تمد إلى لبنان يد الإصلاح ليدركها أهله. إن في الانضمام الى الدولة الجديدة الحياة التي لا يجدها بلد لا دولة له».

ونقول له أعطنا شعبا عارفا بحقوقه متحدا بقلوبه لنجرَّ المتصرف[٦] عن كرسيه ونهدم مجلس الإدارة[٧] على رؤوس من فيه. ونقول للدولة العلية أعطينا أفضل من هذا متصرفا ودعينا ننتخب أفضل من هؤلاء نوابا فقد سادنا الجهل ولكن إلى حين. ومنذ ذلك نرى إذا كانت الدولة لا تسمع صوتنا وإذا كان نداءنا لا يجاب.

إذا لم تتكفل كل ولاية بإصلاح الدولة السريع وترميم ما هدمه العهد الماضي وبعد هذا فلنفترض أن لبنان من هذه الولايات التي تشتغل لنفسها.

لنشتغل إذاً لنؤلف جمعية قوية. لنبذل المال في سبيل تعزيز حقوقنا. ولنكن شعبا راقيا. ما بالي لا أسمع إلا أصواتا مختلفة. أرونا عملا واحدا بدلا من مليون كلمة تقولونها.

«يجب أن يكون للبنانيين وطن»

فما هو الوطن إذاً؟

هو مقر الإنسان له فيه ما لإخوانه من حقوق وعليه ما عليهم من الواجبات.

وهل انطبق هذا التحديد على غير اللبنانيين من جميع عناصر الدولة.

إن حكومة لبنان من شعبه وهي مطلقة اليد في إنشاء المشاريع ومنح الامتيازات بتعدين المعادن وتوليد الكهرباء فبقي أن نكون رجالا لنصلح أنفسنا.

فبقي أن نبذل المال «لإنشاء المصانع التي تدار بقوة الكهرباء وتتولد من شلالات الأنهر الكثيرة».

إن تذلل اللبنانيين لقناصل الدول وتراجمتهم نتيجة الجهل. أما النظام الذي وضعه أقطاب السياسة الأوروبية فلا يخلق بنا أن نعده وهما.

وقد خلط «ق . م » بين الاستقلال المطلق والاستقلال الإداري. لهذا كان كلامه خارجا عن الدائرة اللبنانية في كل نقاطه الأولى.

أنا لا أسمي هذا العيد استقلالا إذ ليس كذلك ولا أنظر إليه معتزا لأنه جاءني عن طريق العار. وأنا أول لبناني يطرح[٨] الحجاب على يوم ٦ أيلول[٩] وينظر إلى حالة لبنان الحاضرة كنتيجة لمقدمة منسية.

البرق، ١٩٠٩عدد: ٥٩، ص:١

هـذا الجبــل

إذا لم ينهض اليوم فسينهض غدا. وليمزقنكم بردا وليزلزلنّ بكم عرش الظلم، وليدكنّ بكم صرح الجهل. فإذا ختم على قلبه فإنما إلى حين. وإذا أغمض الجفن فإلى أمد أقصر من قيد الرمح، فاستبدوا واظلموا فمصيركم الهاوية لو تعلمون.

كونوا أرقاء، وكونوا مأجورين، وكونوا أذلاء وكونوا كما بوأكم سيدكم، فإن إرادة السيد يا عبيد مقدسة، واطعنوا صدر وطنكم بحراب يضعها في أيديكم وما تطعنون بها سوى أنفسكم وأنتم لصغارة في نفوسكم وعماء في قلوبكم وكلب على وظائفكم بتم لا تميزون.

ساعدوا ما شئتم على تفريق العناصر وبثوا رسلكم في شعاب لبنان ومنعطفاته. وقولوا بعد ذلك إن خصومكم تعمل على تكدير الأمن ونشر الفوضى ولو كنتم عقلاء لعمدتم إلى غير هذه الوسائل التي ستجنون منها الدماء طاهرة وتذكون بها جذوة فوضى قد يطير لها صوابكم وتتقطع لها قلوبكم فيرجع كيد الكائد إلى نحره وتسقطون في حفرة نبشتموها، لقوم لا ذنب لهم سوى أنهم غضاب عليكم لأنكم خونة.

أحكومة مطلقة... نكون حزبا يناضل حزبا آخر، ورئيس حكومة مطلقة أقل صفاته الحقد وأعوان وأذيال لا يقدسون سوى مصلحة أنفسهم يعملون على خنق الأفكار وقتل الضمائر وإحياء الضغائن ومع هذا فحكومة الآستانة تنظر ولا تمدّ يداً الى جسم هذه المشاكل الداخلية. كأن فتيان الترك يجهلون ان الفتنة أقرب من الأقرب بعد حوادث القتل التي تجري بين بعض جهلة الدروز والمسيحيين وكأنما الدول تنتهز هذه الفرصة حتى تمد يداً الى ثلمة في لبنان تنفتح معها مسألة لبنانية هي قادرة على سدها اليوم وقد يصعب الخرق على الراقع فيما بعد.

نحن من غير رأي الذين يقولون بالالتجاء الى غير الدولة ولكن هذا الإغضاء من دولتنا العزيزة يوقع القلوب في اليأس، وهل من فرق بين اليأس والموت والشعب يطلب نوراً ويطلب حياة.

يقول لنا الشعب اللبناني علامَ لا تجيبنا حكومة الآستانة إلى مطالبنا ولا تصيخ إلى شكاوينا ولا تحرك إصبعها لتزيل هذا الظلم عنا، أفلا تدعي أنها والدة لنا فأين هو حنانها ونحن في حالة تتفتت لها أشد الصخور قساوة، أين هو ذلك الحنان؟

ونخشى إذا بقيت هذه الحكومة الحزينة لا تفكر سوى نصب المكايد لخصومها السياسيين ومحاكمة الصحافيين منهم أن يزيد حبل الأمن اضطرابا، وتزيد الفوضى انتشارا، ويقع ما نحن خائفون وقوعه فيبقى ذلك عارا مرسوما على جبين المتصرف وكل رجال سياسته الخرقاء.

إذا لم يبال هذا المتصرف بنا فقد سبق له واستخف بالحكومة نفسها ذلك يوم داس قرار محكمة التمييز بنقض الجناية إذ أعاد دعوى زوين لدائرة الاتهام بعد أن أوجب مجرد النقض إخلاء سبيل أسيره ولم يفعل.

لم يفعل لأنه يريد أن يسجن زوين بك لانتقام شخصي، ولأنه اعتمد على أصنام متحركة لا ضمير لها ولا عاطفة ولا شعور، ولأنه يريد أن يسترجع هيبة سحقت بأرجل الوفد من أهل لبنان يوم بيت الدين.

لم يفعل بأمر الصدارة لأنه على ثقة من أن محكمة المتن تصدر مثل الحكم الذي أصدرته على جرجي بك زوين وهو الذي بلغنا هذه الساعة ونحن عند هذه العبارة.

قالوا حكمت محكمة المتن على جرجي بك زوين بالسجن سنة وثلاثة أشهر وبتغريمه أربعين ليرة عثمانية رسوما ومصاريف.

لو علمت هذه المحكمة أنها سجلت بيدها وصمة عار على نفسها ولو علمت بما يقوله فيها الناس لاختارت تحت هذه الأرض نفقا وحسبها أننا نعتقد فيها بعد عملها هذا رقاً لا تنبته نفس نريدها لرجل نعرفه.

كل ما دلت عليه أقوال الشهود الذين سمعنا لا يستوجب حكم محكمة المتن، فكيف يريد هؤلاء الناس أن نقول إن حكمهم لم يُلَقَّنوه تلقينا. ومن الصغار أن رجلا يدعي الشرف ونقاوة الضمير يسلم قياده لقوم لا شرف لهم ولا ضمير.

يقولون إن فارس أفندي مشرق يتجول في قرى المتن عاملا على تقوية حزب المتصرف.

وقالوا لنا إنه قصد إلى المتين لمناهضة بيت عقل شديد، وقالوا إنه خاطب بعضهم في المروج وفي غيرها بشأن إدخالهم في الماسونية كأنما هو يريد أن يجعل حزب الحكومة من جماعة البنائين، وإنه ليضحك إذا عرفت من الذي خاطب ومن الذي ينتقي.

لا لوم على فارس أفندي لإنه افتتح بماسونيته قارة جديدة ولكنه يلام لتدخله في المسألة التي نحن بصددها كما بلغنا.

نعود إلى مخاطبة الدولة. نقول لها إن الشعب لن يصبر على إهانة هذه الحكومة الحزبية له وسجن نائبه واختلال الأمن في ربوعه وإراقة دماء ذويه فهو يلتجي إليك رجاء أن تنقذيه ويهمس في أذنك ما يردده عقلاء قومه في هذه الأيام.

نـــرى خـــلل الـــرمـــاد ومـــيض نـــار
ويـــوشك أن يـــكـــون له ضـــرام[1]

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٩١٠، عدد: ١٠١، ص: ٣٩٧

****

دمعـة علـى طلل

تلك ربُوعهم، فقف بها وقفة امرئ القيس على الطلل البالي. وهذه أمجادُهم تُداس لا بأخفاف المطيِّ بل بأخفاف الليالي، وابْكِ العزَّ عفَتْ معالمه، والمجدَ أشجاهُ طاسمُه.[1] فقد خُنتَ الوطنية إذا لم تقف في معالم القوم، وقوف شحيحٍ ضاع في الترب خاتمُه[2].

ثم سَلْ إذا صادفتَ مُجيباً غير الغدير، يئنُّ بين الصخور كالمرأة الثكلى خطف الذئبُ وليدها؛ فهي وراءه تهرول أو كالسهم زلَّ عن القوس، فهي تُرنُّ وتُعوِّل. وما أنين الغدير،على غير وطنٍ خانه بَنُوهُ، وجنف عليه ذووه. فهو لباسٌ للمسح، أو ينفلق فجر الإصلاح، وزحاف على الحضيض، أو تخفق راية الفلاح. فقد علت يدُه إلى عنقه وما اجترحت نكراً، ويبس لسانه في فمه وما نطق هجرا، ولكنه خمول القوم مجلبة هذه الطوارئ، وكفى بها عبرة ذكرى.

وإذا سألت عن الداء، وقد تقادم به العهد، فحول نظرك إلى هذه المعمعة، وقد عقد عليها العثير سُرادقَ مطنبة؟ ترى الأخ يحمل على أخيه، والولد يطعن في صدر أبيه، والنمّام ينفثُ سمه في الصدور، والمداهن يلين لك مجسه، حتى إذا انقلب، كان عقرباً يسعى، أو هو الأفعى. فلا صلة للألسنة مع الضمائر، ولا تنم الوجوه بما انطوت عليه السرائر، حتى كأن السماء غضبت على الأرض، فلا تُنبت لساناً حراً، ولا جناناً برّاً، أو تمطرنا غيثاً مدرارا، فيغسل هذا الدرن المتراكم؛ أو تنفحنا ريحاً إعصاراً، فيجرف هذا الوباء المتفاقم، فإننا ورب الوجود، قد سئمنا الوجود.

ودونك عن شعب لبنان جوابا وأنت غير سائر؛ شرازم تنقاد كما انقادت لراعيها السوائم بلا علمٍ يكون حجة على القائد القومَ إلى الهاوية لمطمع يبغيه، ولا نصلٍ في كف أروَعَ يشق الصدر فيستطلع خافيه، ولا جامعةٍ توجه العقول فتحكم بالألفة فتنشد، ولا رابطةٍ بين القلوب فتقضي بالوطنية، فتُعبد، ولا قدمٍ تسعى إلى المجد فنسعى وراءها

عشراتٍ ومئين. ولكنهم يسعون إلى مصلحة أنفسهم، فيتوزعون قطعانا لا رأي لهم فيُسمع، ولا قول لهم فيُتبع، ولا هم يُرحَمون.

ذلك ذنب الشعب وقد هضَّه[٣] الضيم وما نهض، وبلَّه الذل وما انتفض، وكان أجداده بالأمس دفَّاعي الأذى أن يُلمَّ بجيرانهم، ومنّاعي الحيف أن ينزل بإخوانهم. فهو اليوم طعمة الحاكم يطبخهم كيف يشاء، وأُكرة[٤] الزعيم يوجههم أين يشاء. وهم لا يبدون على هذا الجور احتجاجاً، كأن حياتهم سُخرت لهؤلاء الزعانف. أو كأن دمهم استحال ماءً صراحا، وكانت تغلي مراجله من قبل.

ويحاً له من شعبٍ فروعه نابتة على غير أصولها، يقوم فيه الهزاؤون ناهجين السبيل غير قويم القصد، صائحين لغير ما مُهْزة[٥] في النفس. أفلم يتصل بك النبأ في الأمس: «المؤامرة وما أدراك ما المؤامرة، نارٌ من الحقد حائرة، في نفس صاغرة»، تلك هي المؤامرة؟

رجلٌ عميد في المنكر، ولوع ليس بالأسود بل بالأصفر. قالوا إنه اعترف – مجانا – بأن عصابةً من أهل السوء معادية لحكومة لبنان، دفعت له بضع مئاتٍ من الليرات ليذهب بحياة جماعةٍ معلومة. فأحجم، وكان لا يحجم عن عشر هذا المبلغ، لو صحت الرواية، ولكن الصدق لا يصلح له كل لسانٍ. فهو نادر وجوده، والشرف لا ينبت في كل نفس، فهو قليل عديدُه.

وما نحن بالمهتمين للأمر، شأن الجرائد العاقلة من قبل ومن بعد؛ ولكن يؤلمنا أن يصم سافلٌ جبينَ لبنان بوصمة لا يرضى بها أديبٌ لوطنه، وفيه عظام الأجداد. وبقايا الأمجاد، تحرسها أرواحهم طاهرةً ذكية.

وأيمُ الله، لو وُجدَ في هذه البقعة الجرداء، مَنْ يجودُ بنصف هذا المبلغ، مندفعاً مع التيار أيّاً كان مصدره، لما بقي لبنان يتحركون دونه وهو جامد. ويرفلون في مطارف الحياة وهو مطروح على أقدام الموت، تصيح حوله الجرائد نادبات نوائح.

فانحرافاً الى الحكمة وأنتم تفلحون. وميلاً إلى الروية في ما تقولون وفي ما تفعلون! أما وربِّ السماء، لو مطرت ناراً سنةً بلياليها، لما طهرت جراثيم الفساد،

ووكرها قلوبكم، ولما أكلت هشيم الأحقاد، وتربته صدوركم. فقد حان لكم – رؤوس البلاد – أن تعقلوا بعد الطيش. وقد حان للشعب الذي أشقيتموه، أن يندفع عليكم كالنمر وقد شاهد دمه، وعرف خصمه.

فما الثورة، تترك عرش الظلم، بالتي ندعو إليها بني قومنا! فطيروا إليها زرافات معرضين صدوركم للقذائف تُمزقهم أشلاء. ولكننا ننظر في سماء المستقبل، إلى غيمةٍ نخاف أن تحمل الوبال في جوفها إلينا؛ فهي في صورة التنين، له لسانٌ من نارٍ مندلعٍ وقد تدلي به هذه الجلبة إلى الجبل، فيلتهم الذخيرة الواقية ويمحو الأمل المبتسم.

ومَنْ يجعلِ الضرغامَ للصيد بازَهُ
تَصَيَّدَهُ الضرغامُ في ما تصيدا[٦]

بشارة الخوري

البرق، ٥ تشرين الثاني١٩١٠، مج:٣، عدد :١١٢، ص:٦٩

****

رجال الغد

عفواً يا فتى لبنان إذا قطعت عليك حديثك فإن على اللسان كلمة إذا لم يلفظها أحرقته وفي الخاطر حديث إذا لم أقله حسبتني النفس جانيا عليها. وما كان حديثي إلا ليطربك وليطرب أمثالي وأمثالك من فتيان لبنان فاسمع وعِ.

رأيتك تفرغ جام اللوم على الرؤوس البارزة في البلاد وسمعت صنواً لك يعول وينوح على لبنان كأنه ذلك النبي الشاعر يعول وينتحب على أطلال أورشليم وكلاكما لو عرف قدر نفسه لما أعول ولا لام.

ترى في السياسة اختلالا فنقول للحكومة أنت سبب هذا الاختلال ونجد في البلاد خمولاً فنصيح في وجه البطريرك أنت يا أيها الشيخ الجليل أصل هذا الخمول، وفي اعتقادنا أن الحكومة والبطريرك قادران على إصلاح الحال، ثم نلتفت إلى كبار القبائل صيادي الوظائف ونصرخ في آذانهم حي على الفلاح فلبنان سائر على الطريق الذي تريدون! إن آباءنا والذين تقدموهم من آباء وأجداد قد علموا أن الأحوال لا تتغير بمجرد إرادة الحكومة ورضى البطريرك ومساعي الزعماء فما بالنا نحن المتأخرين المتعلمين لا نرى طلوع الشمس إلا من وراء ابتسامة الكبار ولا نرى غروبها إلا من وراء عبوسهم.

ولقد علمنا نحن أننا سلع يتاجر بها ذوو النفوذ وأبواق يصيحون بها ليخيفوا الخصوم حتى إذا كان يوم وكان فيه اتفاق بينهم وبين من خاصموا سكتوا وأشاروا علينا بالسكوت.

ألا فليقل لي فتيان لبنان أية فائدة جنوها أو جنتها البلاد من سيرهم وراء الرؤوس الكبيرة وأي المبادئ الشريفة قد أيدته اجتماعاتهم العديدة بذوي الوجاهة. فهل ذرّ قرن الإصلاح في لبنان وتحسنت حال فلاحه وأنشئت في قراه المدارس؟

لا لعمري بل وقع النفور واشتد بين فتيان البلاد ذوي القدرة على عمل شيء جيد، لِمَ لم ينشقوا وينضم كل منهم إلى زعيم ليكون لديه بمثابة درجة جديدة للسلم التي أعدَّ أو يعد للصعود إلى الوظيفة التي يريد.

ألا ويحاً لنا من شبيبة ثابتة في تربة الذل لا تجد لها لذة إلا في العبودية وتعسا لفتيان يركض الواحد منهم وراء الوجيه إلى أن يقيء مِعاه[1] ثم يجيب العاتب عليه : أنا «نصبة» زيد أو بكر من الزعماء.

بالأمس كان هذا الأمير أو هذا الكبير من رجال الحكومة يبيح لرئيسها هتك ضميره وهو ينادي تبارك الرب الذي أرسل إلينا حاكما هذه صفاته وكان فريق كبير من الشبان يردد هذا النداء ويسبّح حكومة لبنان.

واليوم هوى ذلك الأمير أو الكبير عن كرسي الوظيفة فصار للحكومة عدوا يطيل عليها لسانه وينسب لها التقهقر والجاسوسية ويلصق بها هضم حقوق الشعب الذي هو «خادمه» واندفع وراءه فريق من الفتيان يقول قوله ويلعن تلك الحكومة المستبدة الجائرة.

أنا لا أعتب على الكبراء لتقلبهم فقد عودونا من قبل ذاك ولكني أضن بالشبيبة أن يكون شأنها شأنهم وأن تبقى كالآلة بين أيديهم يديرونها كما يريدون أو كالبوق يقول عن غير علم بما يقولون.

وهلا علم شبان لبنان أنهم إذا اتحدوا قوة كبيرة تفعل في البلاد ما تقصر عن فعله الفرق والأحزاب؟

ألا فلتفق الشبيبة اللبنانية ولتكن القوة التي يجب أن تكون فينهض لبنان بنهضتها ويصير الى ما سننتظر عبثاً صيرورته بسعي البطريرك[2] وإرادة الحكومة.

شاب (بشارة الخوري)

البرق،١٠ حزيران ١٩١١، عدد:١٤١، ص:٣٠٥

****

فتاة الدستور
لسنة ١٩١٠

في الهوى لها العلمْ
والحسام والقلمْ
دولة الجمال بها
خافق لها علم
تحت بندها ازدحمت
أنفس وتزدحم
تلك ربّة سجدت
عند مجدها الهمم
تاجها لآلئه
بالنجوم يبتسم
الحجى أريكتها
صولجانها الحكم
والجلال بردتها
والوقار والحلم
والعقول وهي إذا
روّضت لها خدم
في ربوعها هبطت
من سمائها الشيم

إيه فالهوى حكم
في النفوس ترتسم

وهـي فـــــــــوق ســـــــــدتـه
حفّ عـــــرشـــــهـــــا الـــــعـــــظم
شـــمـــســـــهـــــا الـــــتـي لمـــــعت
فـــــالـــــظلام مـــــنـــــهـــــزم
والـــــعـــــيـــــون إن شـــــخـــــصت
غضّ جـــــفـــــنـــــهـــــا الألـم

«غـــــادة الـــــعـــــلى» قـــــدمـــــاً
فـــــــــيـك هـــــــــامـت الأمم
جـــــئـــــتـــــهـم وكـــــان دم
جـــــئـــــتـــــنـــــا ولـــــيس دم
والـــــــــذي لـه الـــــــــقـــــــــدم
مـــــا ســـــعت بـــــنـــــا قـــــدم
كـــــان شـــــحـــــمـــــنـــــا ورمـــــا
زال ذلـــك الـــــــــــــــــــورم[1]

مـــــرحـــــبـــــاً ومـــــرحـــــمـــــة
شفّ جـــســـمـــنـــا الـــســـقم
زرتـــــنـــــا مـــــعـــــايـــــدة
عـــــــاش ذلـك الـــــــكـــــــرم

الثمي ثغر الشرق تحييه، وعانقيه تبعثيه حيا. وضاحكيه تنعشيه، وصافحيه يعود فتيا.

ساجلي أطيار السحر، وداعبي أوراق الشجر، وكوني ابتسامة في ثغر الزهر، وابعثي من نورك إلى الزنبق في الحقل، تفتر ثناياه. واسكبي دمعة على وجنة الفل، تفوح رياه.

أنت عشيقة الحكيم. أنت قيثارة الشاعر. أنت حياة الشعوب. آية أنت كتبتها يد القدرة في صدر الفلك الأعلى حتى لا ينالها الخامل ابن التراب وابن الجهل.

كانت طريقك إلينا مفروشة بالسوسن والريحان. فخفضت لنا جناحك لطفا. وأنلتنا من وصلك ما لم نحلم به. فكنا كمن ورث مالاً ثم أضاعه فما حزنت عليه نفسه ولا بكت عليه عيناه.

جئتنا لعام مضى وكنا لم نباشر عملا صالحا فقلت إنهم أطفال في الدستور. وجئتنا في هذا[٢] العام ونحن لم نباشر عملا صالحا فماذا عساك تقولين؟

أيتها الحرية

تقول تواريخ الأمم إن السنتين من حياة الأمة بعد انقلابها لا تكفيان لترميم ما تهدم وإصلاح ما تخرب. وأنهما لا ضير من أن تعد الأمة فيهما عدتها للسير في سبيل الرقي.

أيتها الحرية

العلم هو الأساس القائمة عليه هذه المدنية. ونحن في عصرنا البائد لم نتعلم سوى ما يعود بنا الى الوراء. ولم يكن لنا من قبل – كما هو اليوم – من يلقننا دروس الوطنية وأماثيل الاتحاد. لم يكن لنا من ينزع من قلبنا بذور التعصب وجراثيم الفساد. بل كنا إذا فتحنا نافذة للنور أغلقتها اليد الحاكمة وزجت بنا في الهاوية حيث الظلام أبدي.

أيتها الحرية

الأمة جاهلة ألفت الخمول السنين الطوال. فهي لم تعتد الإقدام على المشاريع الوطنية. والحكومة ضعيفة لا تقوى على توطيد الأمن توطيداً مكيناً. فللأمة عذر في الاحتفاظ بأموالها وللحكومة عذر لرخص بنائها ولأنها محاطة بالفتن مهددة بالحروب.

ونحن أيتها الحرية نقنع بخلوص نية أولياء الأمر. ومتى خلصت النية مهدت سبيل المصلحة العثمانية ومتى مهدت هذه السبيل اندفعت الأمة كالسيل الجارف الى منازعة الأمم الأخرى بقاءها فزرعت أموالها في الأراضي المخصبة فأنبتت ذهبا وفضة ومجداً وسؤددا.

نحن نقنع بخلوص نية قادة الرأي ومتى خلصت نية هؤلاء لا يلعبون بالأمة على أهوائهم ولا يضحون بالراحة العمومية لنيل مأرب نفسي كما هو شأن هذه الجمعيات قديمها وحديثها، فقد أصبحنا ولا طاقة لنا على احتمال النوائب ومصادمة أهل الرجعى.

هذه صفحة من حياتنا الجديدة نرسل عليها الحجاب. هذه حقيقة لا ريب فيها أيتها الزائرة بعد طوال غياب. إن لك في قلوبنا لمقاما رفيعا وإن في ما نحن صانعون من ضروب الزين ومشعلون من الأنوار دليلا ساطعا على شغف النفس بك وإن كنا نجهل حقيقتك وللجاهل كل العذر.

أهلا ومرحبا أيها العيد وتحية وسلاما.

البرق، تموز ١٩١٠، مج: ٣، عدد: ٩٨، ص: ٣٧٣

✱✱✱✱

شـــــوارد

من عبدالحميد إلى عمانوئيل

أنا ناقل لكرام القراء كتابا بعث به شيخ الاتيني[1] إلى رصيفه عمانوئيل عاهل البرتوغال. يظهر أنه شق عليه أن يرى العرش يسقط بعد العرش والإطلاق يستحيل إلى التقييد والأثرة تستبدل بالشورى، ساءه ذلك فجاش في خاطره ما صبّه في هذه الكأس الملأى بأنفاسه الطيبة. الكتاب أوردته الجالية ونصه ما أنا ناقل:

قصر الاتيني: في .....

ولدي وأخي المحبوب عمانوئيل في جبل طارق[2]:

إذا دعوتك بولدي فجائز لي لأنك بمثابة أحد أولادي في العمر. وإذا دعوتك أخي فجائز أيضا لأنك أخي في المصائب. لقد بلغتني مصيبتك مع حشمتلهما[3] والدتك وجدتك المكرمتين. لا تغتظ أيها الحبيب مما وصلنا إليه ولا تبك على مجد زائل وعظمة فارغة. ألسنا مرتاحي البال. من كل قيل وقال. ألسنا بمعزل عن السياسة ورجالها. بعيدين عن المتطفلين عليها وجهالها.

كانت مصيبتي بهؤلاء المشايخ والأئمة الذين سيطروا على عقلي وجعلوني أعتقد فعلا أنني ظل الله على الأرض كمصيبتك بالقسوس والرهبان الذين جعلوك تعتقد أنك فوق بني الإنسان.

دعوني عبدالحميد فظننت أن لي علاقة فعلية معه جل جلاله. ودعوك عمانوئيل الذي تفسيره (الله معنا) فظننت أن سلطتك من الله وأنه أرسلك رحمة برعيتك مع أنها كانت تئن من مظالمك (اسمح لي أن أخاطبك بحرية ضمير فنحن في الهوى سوا).

كانوا يكثرون لي من السراري حتى عميت أبصاري ويكثرون لك من الممثلات ما أخذ عقلك وجر عليك الويلات. وما كنا ندري أنهن كالطعم الذي يلقى لصيد الأسماك.

تالله لقد فات ما كان يجب استدراكه فليس الذنب على من يصنع المفاتيح الكاذبة ولا الذنب على من يبيع آلات القتل بل على من يقتل بها.

أواه لقد لعبوا بذقني قبل أن لعب بها الشيب ولكن لا عتب عليهم ولا تثريب. ثم إذا كنت قد خطّأت نفسي وخطّأتك معي لاغترارنا بظواهر الأمور وانغماسنا بالملذات فلا يجب أن نبرر غيرنا ...

صدقني ياعزيزي عمانوئيل أن كل الناس مثل بعضهم البعض والسر في الشراب لا في الإناء.

نعم لا أنكر أن البلاد لم تكن كما يرام خالية من تداخل الأجانب. ولكني كنت أعرف من أين تؤكل الكتف وأعرف كيف أؤجل المطالب وأهزأ بالطالب.

أنا الذي كنت أهزأ بالملوك والقياصرة. أنا الذي كنت ألعب بعقول دهاقنة الساسة كما تلعب الأولاد بالأكر. فيا حسرتي على نفسي لقد أخذت على حين غرة وسقت إلى سلانيك[٤] رغماً ووضعت في بيت سَمّوه قصراً كانت اسطبلات خيلي أفخر منه.

فماذا أقول وإلى من أشكو؟ أأشكو، إلى السلطان محمد الخامس[٥] الذي كنت أقيه مثل مطعوم النجاص. وأداريه مثل العين الرمداء. وأخشى عليه من خطرات النسيم أن تجرح خديه، ومن لمس الحرير أن يدمي بنانه. وقد نسي فضلي عليه؟ أواه يا عزيزي عمانوئيل. أواه من بني البشر ما أكثر تقلبهم وما أكثر نكرانهم الجميل. لقد نسوا فضلي وفضلك. لقد نسوا معروفنا. نعم لقد نسوا لأنهم ليسوا أكثر من بشر. وعلى هذا يجب أن ننسى إساءتهم ونغفر لهم حسبما قال سيدنا عيسى في إنجيلكم.

عزيزي عمانوئيل

أرجو من بنوتك إذا ذهبت غداً إلى انكلترا أن تذكرني أمام جلالة الملك جورج[٦] البريطاني أبن أخي المرحوم إدوارد[٧] بالماسونية[٨] لعله يسعى بفكي من الأسر فقد أصبحت شيخاً هرماً لا خوف مني أن أطمع بعد بملك فأقوم بدسيسة ومكيدة ضد

شقيقي السلطان محمد هنأه الله بملكه السعيد وأطال أيامه. وغاية ما أتمناه أن أزور لوندرا[٩] ثانية لأني حافظ منها أفضل أثر جعلته دستور أعمالي مدة ٣٣ سنة ذلك هو دستور الحرية والمساواة والإخاء. ففي لوندرا رأت عيناي النور وفي لوندرا أريد أن أرى الظلمة الأبدية... الساعة الآن الثانية عشرة. ولا يؤذن لي أن أسهر إلى ما بعد هذا الوقت من الليل. ولكني قبل أن أودعك أخبرك أنه انتهى إلي بطريقة من طرقي الكثيرة أن قد ألفت جمعية سرية ولكن مخبري زاد على ذلك أن الجواسيس كشفوا أمرها وفشوا سرها.

ألا قبّح الله الجواسيس المناحيس وقبح تلك الساعة التي استخدمتهم فيها وعلّمت الناس أن يستخدموهم بعدي. فهم أشبه بغربان السوء.

فهل نظرت كيف أن طابخ السم آكله؟

يا عزيزي عمانوئيل

كنت أود أن أخوض أكثر في شأن مصيبتنا وأعطيك بعض الإشارات الفعالة لدسيسة هائلة إذا كانت عينك لاتزال تطمح إلى العرش (وهو ما أظنه لا بل أؤكده) فإنني لو كنت (شاباً) مثلك أو كان لي من العمر ضعف عمرك على الأكثر لكنت أعمل أعمالاً ترقص لها عجايز (....)[١٠] ولكني كالأسد المسن المقيد فلم يعد بطاقتي أن أقوم بعظائم الأمور، أما أنت فكل شيء موفور لك وإنما تنقصك الإرادة فقوِّ قلبك وشد حيلك وضع في بالك نابليون[١١] لما رجع من منفاه في [ألبا] وعاد إلى عرشه قوة واقتداراً وعليه فليس عودك إلى العرش مستحيلاً ولا تكون أول من خلع وأعيد. أمس حررت إلى إخواننا في المصائب مظفر الدين شاه العجم[١٢] وعبدالعزيز سلطان مراكش[١٣] والامبراطورة أوجيني[١٤] لتأليف جمعية بيننا لا نقبل فيها إلا الملوك الخلعاء غايتها توحيد كلمتنا ورفع شأننا كغاية أكثر الجمعيات، فعسى أن يصادف اقتراحي هذا آذاناً واعية لننهض بهمة وعزيمة تفلان الحديد.

ولو أتيت لأكتب كل ما في حافظتي من الأخبار لما كفتني الأوراق التي بين يدي مع ذلك فأرسل لك مع هذا صورة أحد المكاتيب التي أرسلتها الى العزيزة أوجيني ومنه تعلم ماضي وحاضري بأجلى بيان.

فالآن اسمح لي أن أودعك من صميم الفؤاد راجياً أن تنوب عني بتقديم واجباتي الاحترامية لحشمتهما الملكتين والدتك وجدتك المكرمتين. وإذا نظرت حبيب القلب عزت باشا فبلغه سلامي وقل له إنني وقعت في الشرك ولا مناص منه على ما يظهر.

سلامي له ولجميع المحبين الذين يسألونك عن أسير اللاتيني.

عبدالحميد

بشارة الخوري

البرق، ٤ شباط ١٩١١، مج: ٣، عدد: ١٢٤، ص: ١٧٦

****

يا وطناً لم يغب عن الفكر

يميناً! لم ننس واجباً للبنان وإن جنف ذووه، فإذا كدر معينه يوماً فهي الأيام لا تدوم على حال والليالي حبالى من الزمان يلدن العجائب!

لبنان! وهل رأيت بلداً طيب الهواء، طيب الماء، كهذا البلد المقدس التربة، الرامز الى جمال القدرة بما فيه من جدول صاف، وزهر بسام، وطير مغرد!

لبنان! وهل رأيت بلداً رجاله كرجالك لهم قلوب ولكن جامدات، وعقول ولكن مظلمات، يندفعون ولكن في غير سبيل الحق، ويتهالكون ولكن على هيكل الانتقام، فيا لنكبة الوطنية بمثل رجالك!

ورب الوطنية! إننا لنكبر على هذه اللحى والشوارب من المتربصين فى زوايا القصور والمتربعين في كراسي المناصب، أن لا يقوم فيهم عميد يدعو إلى نهضة إصلاحية يترامى صداها من شمال لبنان إلى جنوبه، فتهب على هذه الأرواح الرواقد نسمة من نسمات الإصلاح تنتعش لها القولب وتنتفض بها الجوانح!

سكتنا بعد أن هززنا الرجال وكشفنا عن الضمائر ثم عدنا وكانت اليك عودتنا يا وطناً لم يغب عن الفكر.

ما كان:

ذلك الماضي سافر النقاب، وتلك حوادثه لم تطو في حجاب، وإن نسيت لا تنس ضعف الحاكم يوم وقف فى وجهه مجلس الإدارة فاستعان بحكمة ذويه فكانت حادثة زوين وضائقة الوثيقة ومطاردة الصحف.

وإن نسيت لا تنس دعوى المير ووقوف الحاكم ورجاله خصوماً لخصومه وبين هؤلاء ثلاثة من أعضاء المجلس عاكسهم الحاكم في الانتخاب الأخير حتى إذا فازوا تهدد الأولين بإفساد الانتخاب فصالحاه ثم وقفا على منبر (لبنان الرسمية)[1] يكذبان أصحابهما غير حاسبين للانتقاد حساباً.

وإن نسيت لا تنس حملات الجرائد على ظلم استفحل أمره، وانتقام كبر على العدل احتماله فلم يسلم الحاكم وأشياعه من مطاعن الجرائد اللبنانية حاشا «لبنان» و«لبنان» – مطاعن سددتها إلى صدره فهاج يحمل المحاكم لتصدر الأحكام على الجرائد تباعاً دراكاً.

ولا تنس إن تنس ما كان من أمر دعاة الحرية وخيانة بعضهم تزلفاً إلى أرباب السلطة زاحفين إليها صغاراً على التراب – وهي لعمر الحق جناية في نظر العدل تستحق قطع العنق وسل اللسان، وماذا تؤمل من ذي سيرة ملطخة بالأوحال جاء يزركشها بالسمسرة والبرطلة[2]، على ما هنالك من جهل ذميم، هذا وبعض الأفراد من رجال الحكومة وأبناء الشعب يتزلفون إليه ظناً أن له مكانة عند المتصرف[3] مهدها له اعتقاد الناس بأنه سمساره الخاص وباطلاً يعتقدون.

ذلك مثال مصغر لما كان فدونك بعض ما يكون:

أما والسياسة لبست غير زيها الأول، فهي اكليركية النفوذ ماسونية اللسان، ولقد شعر المتصرف بدنو يومه فعمل على مصافحة الطيلسان، ولكن فاته أن قلبه – على كبره – لا يوزع بين الزعامتين زعامة الاكليروس وزعامة الماسون، وفاته أن الاكليركية في لبنان لن تكون متفقة من وجه مع سياسة اللبنانيين الأحرار، فأين هي الحكمة اللامعة في التوفيق بين النقيضين والجمع في وقت واحد بين الماء والنار!!

أما السياسة في قبضة الحاكم يدير دفتها كيف شاء، فهو اكليركي منذ الساعة تعاهد على ما علمنا مع شيخ بكركي[4] وهو القنوع المسالم ولسوف تكون

هذه المسالمة مجحفة بحق المنتمين الى هذا الكرسي من جميع الطوائف فينفر بهم هذا الإجحاف عنه أو ينضمون إلى من يحترم حقوقهم ويصون مصالحهم وما أكثر هذه الحقوق والمصالح!

ما يكون ! ... وهو اعتقادنا قلناه في ما سبق وقد تم، ونقوله في ما يجيء وقد يتم.

تنمر المتصرف أو أستأسد من بعد أن بطش بالمجلس فبات طوع بنانه، ولسوف يعيد نائبي المتن بعد أن يأخذ عليهما عهود الأمانة حتى لا يكون داخل جدران المتصرفية من لا يسبّح باسمه، وحتى لا يكون في من حوله غير الصادع بالأمر إنْ خطأ وإنْ صواباً!

وسلني أجبك عما ستؤول إليه محاكمة زوين ولا إخالك تجهل الرجل – تلك قضية أن يكون الحكم فيها أقل من سنة ليكون للمتصرف شبه حجة بكف يد النائب ومباشرة الانتخاب وقد يكذب وجدان المحكمة ظننا فلا يكون للمتصرف سبيل الى غايته، وقد تبرهن المحكمة إذا شاءت على استقلال في الرأي يجعلها أمثولة لصغار القلوب من زعانف المتزلفين.

وهنالك – في قضاء الشوف مسألة هي مسألة المسائل عند إخواننا الدروز، ألا وهي دعوى المير شكيب[٥]! وأوراقها اليوم (تحت طراحة[٦] المتصرف) سياسة ودهاء ...

لقد قرر المجلس الإداري (مستنطقه ومدعيه العمومي) أن في قرارات الشهود ما يوجب وضع قائمقام الشوف تحت المحاكمة – وفي المتصرفية حزب عنيد لا يهدأ له بال بغير عزله فهو ينتظر – إلى حين – نتيجة قطع المتصرف فى هذه المسألة حتى إذا لم يصدر الأمر بالعزل انقلب ذلك الحزب عليه وكان قوة تذكر في كفة الخصوم.

وإذا نظرت الى الصحافة اليوم تراها كلها في جانب الحكومة تؤيدها تصريحاً أو تلميحاً حتى إن بعضها انقلب سريعاً من العداوة الشديدة إلى الصداقة الشديدة

وسرعان ما ينقلبون !....

ما يجب أن يكون:

لا نعرف أن رجلاً فيه ذرة من العقل يقبل بالحالة وهي كما هي – فوضى في المجلس وفوضى في الأحكام وفوضى في السياسة، تيار لا يصد بغير تيار مثله من رجال الإصلاح يهيبون بمجلس الإدارة أن يكون كمجالس البشر ويقولون للمتصرف: اعتدل أو اعتزل[٧] ويطلقون ضمائر الحكام من القيود قاطعين بسيف الحق سلاسل الوسائط تضيع بها حقوق الضعفاء.

إن بارقا للأمل يلمع من سماء النهضة، ونافذاً كالقضاء يشق (مصراً) إلى لبنان ليستلم لواء الزعامة خافقاً للظفر، ومصفقاً للفلاح.

ولقد تكون – البرق – الجريدة المعارضة أبداً – في طليعة متطوعي هذه النهضة ويومها بإذن ربك قريب.

البرق،٢٠ أيار ١٩١١، مج: ٣، عدد ١٣٨، ص: ٢٨١ – ٢٨٢

****

للمقابـلـة[١]

يظنون، ونحن ننقل لهم تاريخ الثورة، وأقوال كبار الرجال، أننا نقصد التاريخ مجرداً. ولو فطنوا لعلموا أننا نريد من ذلك ما هو أسمى مما هم يظنون.

نريد أن نقف باللبنانيين على الروح التي انبعثت من قلب فرنسا، فكهربت الأمم الأخرى، أو على الشرارة التى طهرت الشعوب عن درء الخمول والانقياد.

نريد أن ننقل لكم أقولاً هي عظمة الشعب متجسمة. بل هي القنابل رمى بها الشعب المستنير عرش الاستعباد، فيدكّه من أسِّه. وما لشعب – لو يعلم أهل لبنان – سوى القوة والحق متكافلين متضامنين، وحيث يكون هذان فهناك كل شيء.

«اذهب وقل لمولاك: إننا قد اجتمعنا في هذا المكان بإرادة الشعب، فلا نخرج منه إلا على رؤوس الأسنة ».

كلمةٌ وجه بها أحد النواب عهدئذٍ إلى ملك فرنسا، وهناك السلطة المطلقة والقوة الضخمة، والعرش المنيع؛ وهناك أيضاً الشعبُ ومنه السلطة وفيه القوة وله العرش.

وحيث يكون الشعب فهناك الكفة الراجحة، ولا ترجح بغير الحق والقوة.

إن الشعب لواحد أين وجد وكيف سُمِّي. ولكن هو الجهل يسطو عليه الدهاء.

وما الجهل إلا أليف الشعب في الشرق، فهو راسف في قيده حتى ينشق الحجاب عن عينه فيبصر النور.

ولقد قرأت رجال التاريخ، وسمعت كبار رجال الثورة يقولون «لا نخرج إلا على

رؤوس الأسنة» فأرسلت بنظرة إلى المجلس في بيت الدين، وأعدت على ذاكرتى نواب اللبنانيين واحداً واحداً وأنا أقول ...

وإذا لُمتَ هؤلاء الكرام، قالوا لك إن الشعب لا يسند نوابه، كأنهم جهلوا اندفاع بني لبنان، على ظمأهم، إلى رجال الإصلاح؛ أو كأنهم جهلوا أن الشعب هو الأفراد القلائل يضحون بنفوسهم على مذبح الوطنية. فعلام لا يكونون هؤلاء الرجال؟

بشارة الخوري

البرق، ٩ أيار ١٩١١، مج: ٤، عدد: ٢١٥٣، ص:٣٩٧

****

للمقابلة [٢]

لينزل أبناء سوريا، أو ليتنازلوا، فنقف بهم ساعةً في محكمة التاريخ، ولا نعرف أعدل منه حكماً وأنزه منه ضميراً.

قد أسيء إلى قومي إذا أنا جئتهم بنتيجة صارمة، على شدة شغفهم بالإطراء؛ وقد أوجعهم إذا قلت إنهم كالماء الراكد أسنت نفوسهم؛ فما هى تلك الضمائر النقية؟. وما أفلحت بلادٌ رجالاً لها هؤلاء.

أصيبوا بأن ورثوا مجداً موهوماً؛ فهم أبداً يتكلون عليه. وأصيبوا بأن ورثوا حكومة هي الجرادُ، بل أشرُّ، ولا تترك فى حقولهم شيئاً أخضر، ولا في جيوبهم شيئاً أصفر ولا أبيض. وقد يقول القارئ إني قصدت حكومة عبدالحميد، فالأمر كما قال.

ورزح بنو قومي تحت أثقالهم، بل جمدوا جموداً هو الموت، بل شر من الموت على حد قول القائل: إنما الميت ميت الأحياء[1]. ولبثوا على جمودهم حاشا قرقعة بعض جرائدهم وشعرائهم، لو صحَّ أن تسمى القرقعة حركةً، والحركةُ التي على هذه الصورة، حياة.

ولقد يبلغ الهوس ببعض حملة أقلامنا، بأن يجردوا، متى استعرت نار الحرب بين دولتنا وأية دولةٍ، فيلقاً جراراً من القصائد ذات الأوتاد والأعاريض مؤلفة (فرقها) من التبجح بمجد الأجداد والقنا المتكسر، والسيوف المواضي، والرصاص المزمزم حتى إن الشاعر ليحسب نفسه خاض المعركة محجَّلاً وعاد غير محجلٍ.

قوة في اللسان نقول معها، مع شكر الله وحمده (القناعة كنز لا يفنى). كأن الأقوال قدمت شيئاً في مصالح الأمم من قبلنا، ولكننا نعمد في مسلكنا هذا، إلى القول المأثور (من فاته اللحم فليشبع من المرق).

إلى هنا وصل بنو قومي ولبثوا جامدين. هبطوا من حالق النباهة إلى حضيض الخمول من غير ما أسف على ما فات.

منذ شهور لو أخذت بيد السوري ووضعته إلى جنب الصيني لأنف أن تنزله هذه المنزلة. بل لعدَّ ذلك منك إهانة. عجباً أإبن ماء السماء إلى جنب واحدٍ من عبيد ابْن السماء؟ وابن سوريا مهبط الوحي ومبعث الأنبياء يقاس برجلٍ ذؤابته المرسلة من رأسه إلى قدمه شعارُ العبودية؟.

مهلاً بني قومي! سار القوم ونحن جامدون. وتحركوا وضمائرنا مبنيةٌ على السكون. فلا عجب إذا نظر إلينا ابنُ الصين اليوم، نظَرَنا إليه في الأمس. إن المرء ابن يومه. ويومه ابن جِدِّه؛ وجِدُّه هو ما قدمت يداه من صالحٍ لنفسه ولقومه.

إن الصين أصبحت جمهورية!

هنالك قادة الرأي، علموا أن القصائد والأقوال المزوَّقة لا تقيم قائمة إصلاح. هنالك علموا أن الجهل هو العدوُّ اللدود؛ فحاربوه بكتائب العلم. كتائبُ، سلاحها الأدبي مِنْ مدارس أوروبا ومجتمعاتها وصحفها.

أجل. شرعنا – والحمد لله – نُرسل بالبعثات تباعاً دراكاً إلى مواطن العلم الحقيقي. فعسى أن يكون لنا على يد هؤلاء الإخوان أسباب حياةٍ جديدة دعامتاها العدل والتساهل.

للصينيين نَشيد حريتهم، وفيه أمائر الروح الحية، ولنا أناشيد نظمتها العبودية في رقابنا، وما نثرت – يوم نثرت – غير الدمع في المحاجر.

إن يوماً لا نقابل فيه قذائف العدو بقذائف الشعر، هو اليوم الذي تلده لنا ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر!

البرق، ٢٧ كانون الثاني ١٩١١، مج: ٤، عدد ١٧١ ص:١٤٦

✱✱✱✱

بشرى للبنان

لقد ظمئت نفس لبنان إلى حاكم صالح مصلح حكيم عامل عمومي حساس فظفرت في شخص ذي الدولة، أوهانس قيومجيان باشا[١].

نهض منذ وصوله أو بعد قليلا إلى تحسين خزينة لبنان فخاطب الآستانة بلهجة العثماني المخلص من جهة أنه وكيل السلطان وناضل عن حقوق لبنان من جهة أنه حاكمه وراعيه فصرف معظم لياليه مفكرا كاتبا حاسبا منذرا مستعطفا إلى أن فاز أمس بالأمنية ونعم الأمنية.

لقد وقفت منذ الشهور شركات الريجي والديون العمومية وقفة في وجه الحاكم العزيز لنزعه من أشداقها حقوق لبنان بعد أن استطابته سنين طوالا على عهد حكامه السابقين حتى بلغ من إدارة الديون العمومية أن أرسلت مندوبها فكسر أجران الملح على شواطئ الجبل ولكن أوهانس باشا بختمه مستودعات هذه الإدارة ثأر للبنان منها فشفى بذلك غلاً كمن بين الضلوع.

ولقد كان من نتائج المفاوضات بين الصدارة العظمى[٢] وحاكم لبنان من جهة وبينه وبين شركة ريجي التنباك من جهة ثانية أن وردت على دولته البرقية الآتية خلاصتها:

«نظر في مطالعاتكم السديدة بما يتعلق بمسألة التنباك وحيث كان من المسلم استثناء لبنان من أحكام الحصر «كما ذكرتم» وكان عدم توريده الى الجبل في السابق ناتجا عن عدم وجود أسكلة لبنانية ترسو فيها البواخر كما هو حاصل الآن فقد زال هذا المحظور بفتح اسكلتي جونية والنبي يونس وعليه فيستحسن أن تتفقوا مع شركة الحصر على ما يوافق مصلحة الجبل والشركة وإذا تعذر ذلك فلكم تعيين المقدار اللازم لمقطوعية لبنان وتوريده بطريق الاسكلتين المحررتين مع شدة المحافظة على منع التهريب».

ولم تصل البرقية إلى سراي بعبدا[٣] حتى خفقت القلوب سرورا فنهض مجلس الإدارة وفي طليعته رئيسه المفضال[٤] ودخلوا على الحاكم ليشكروا له بلسان الشعب اللبناني تفانيه في سبيل استرداد حقوق لبنان المهضومة منذ القدم فأجابهم بكلمات خلاصتها:

«إني أشكر لكم ما أظهرتموه لي من صدق شعائر الشعب اللبناني غير أني أعتبر عملي هذا وسائر ما أنا مباشره من الأعمال النافعة من أوجب الواجبات فإذا حق لي أن أسرَّ فبالثقة التي لي عند الحكومة الرئيسية هذه الثقة التي أشعر بمثلها في الرأي العام اللبناني فهي وحدها خير ذريعة أصل بها إلى خدمة الجبل بكل ما فيّ من الميل إليه».

هذا وما اقتصر الانتفاع بتصريح الباب العالي[٥] على التنباك فقط بل تناول كل احتكار في السلطنة بحيث استدر دولة الحاكم لخزينة الجبل لا أقل من ٤٠ ألف ليرة سنويا. ألا فليحيَ الحاكم.

أما وقد انتهت مهمة الحاكم أو كادت مما أخذه على نفسه تجاه الآستانة فقد بقي على المجلس ان يقوم بما عليه من واجبات الوطنية. إن دولة الحاكم لا يهمه إلا أن تكون المصلحة اللبنانية فوق سواها وأن يكون له ما يريد إذا احتكوت الريجي تنباكنا ودخاننا، لما أن هذا الاحتكار يقطع ألوف الأيدي اللبنانية العاملة في معامل لبنان فنكون بذلك قد دفعنا بهم الى الهجرة التي إنما تعمل الحكومة ويكتب الكاتبون إيقافا لتيارها.

أما إذا كان لا بد للحكومة من الاحتكار فأمامها في الوطن ومصر[٦] كثير من ذوي الثروة فعليها أن تحثهم للعمل إذا هم لم يقدموا تخوفا فإنهم إذا تألفت الشركة منهم أشغلوا الأيدي اللبنانية فنفعوا من جهتين.

لقد أخذنا على المجلس سكوته في الماضي فعساه ينطق الآن.

البرق، ٧ شباط ١٩١٤، مج :٦، عدد : ٢٦٢، ص:٥٦٤ – ٥٦٥

****

السـوري المحـــارب

لم أشاهد منذ عهد بعيد كفجر أمس فَجْرا،

مرَّت بي فرقة من إخواني السوريين المتجندين تحت الراية الفرنساوية الشريفة.

كان ذلك عند نهر بيروت، الحد الذي يربط الجبل بالمدينة.

جُند سوري في أحسن زي وأحسن صحة، جاء وفي صدره عدا الحنين لبلاده سَوْرة من سَورات الانتقام.

جند سوري يمشي على تراب الوطن المقدس؛ وما الوطنُ سوى الأحبة الذين غادرهم على سطحه، يبتسمُ الجمالُ في ثغورهم وتسطع الطهارة في وجوههم، ويتمشى النشاط في أبدانهم.

جنْدٌ منا ولنا.

قِطَع من أكباد الأمهات السوريات، ذكرت العهدَ وقدَّست الواجب. رجعت طيور لبنان إلى أوكارها، والآساد عادت إلى العرين.

إلى أين؟ إلى أين؟

واستمروا في طريقهم لا يَلْوونَ على شيء، ولكنَّ صدى أغانيهم الوطنية كانت[1] تصدَع الفؤاد.

دخلوا حدود لبنان، تَسْطع الحرابُ على أكتافهم كما يسطع الدمعُ في عيونهم.

كانوا يُنشدون. واستمرَّ الجُند في سيره.

وكان على جانبي الطريق بعضُ مَنْ غَلطَ الزمانُ بهم فأبقاهم، ولكنهم كانوا كأخشاب السفينة المحطمة: قطعةٌ عند كلِّ صخر.

أين العذارى يَضفِرن لهم الأكاليل؟

أين الأمهاتُ يَهتِفن لهم بالأغاني؟

أين الشيوخُ يَضُمُّون إلى صدورهم حرَّاس البلاد؟

لا أشبال في العرين، ولا زغاليل في الأوكار، والأزهار التي غادروها ريَّانةً بسامة، لفحتها السموم فذوت، ثم ضربتها الزعزع[٢] فتناثرت.

☆☆☆☆☆

وأطلوا على قرية قريبة هي مَسقطُ رأس أحد الجنود. – وكان الجندي في مقتبل الشباب، غادر في القرية والدين وإخوةً وأقارب وأحبابا.

غادر القرية يجري فيها دم الحياة؛ النساء يَعملن في البيوت، والرجال في الحقول، والأولاد يملأون الفضاء صياحا.

وأحسَّ الجندي بخفقة عظيمة في قلبه.

تالله قد صدق النبأ.

خاطرٌ مرَّ كلمح البرق في رأسه، ولكنه وعى شيئاً كثيرا.

وعى الأنباء المتوالية عن المصائب التي حلّت: المجاعة وقتلاها والأوباء.

وكأنما كان بين قلبه وقلوب إخوانه، أسلاك كهربائية وحدت بينهم الشعور، كما وحدت بينهم المصائب؛ فوقفوا، وعلى كل وجه، أسطر للكآبة محتها الدموع أو كادت.

وبرز الجندي الشاب عن الصف، ثم قدم الى البيت القائم على كتف الطريق، ولم يكن يحتاج إلى قرع الباب، لأن الباب نزع كمعظم أبواب القرى ونوافذها وسقوفها؛ نُزعت وبيعت لتُمسك في الناس رمق الحياة، ولكنها لم تستطع.

وأسند الجندي رأسه إلى يده، ويده على الجدار وبكى...

لقد فهم كل شيء... لا دَيَّار[٣] في الدار...

وشعر الرفاق بالخطب الذي نزل بالرفيق، فنكسوا سلاحهم احتراما لحزن رفيقهم؛ وبعد أن حيَّوا تلك القرية بل المقبرة، واصلوا المسير.

افتتاحية

البرق، ١٩١٥، عدد: ١٠-٤٠٣، ص: ١

****

الانتقام العادل

لم ننس، والجرح لا يزال طريا، بربرية[١] الألى فتكوا بالشعب فتكتهم الذريعة. بل كيف ننسى وعظام الضحايا البشرية ورفاتهم لا تزال متبعثرة هنا وهناك تذكرنا بالويل الذي كابدت والهول الذي تجرعت.

عشرات الألوف من بني سوريا لم يراع بهم هؤلاء البرابرة رحما ولا ميزوا مذهبا فالسلم الأشعبي[٢] والتكالب على حطام الدنيا.

لقد طفحت حقول الجرائد على اختلاف أديانهم، بمطالبة الحكومة بعقاب هؤلاء المجرمين من جمال السفاح الى أحقر رجل في هذا البلد تعمد قتل الفقير ليملأ كيسه من ماله المنغمس بالدموع والدماء، تعمّد قتل الفقير لسرقة دريهماته التي هي حياته وحياة بنيه وكم كان في هؤلاء البنين كأفراخ القطا لم ينبت عليها الريش.

قلنا وقالت معنا الجرائد بوجوب الانتقام العادل من أولئك الولاة الأتراك – إن الإنسانية لا تخلع الحداد حتى يعاقب قاتلو بنيها والتجأنا والتجأ الجميع من أرامل وأيتام وعجائز وكل ضعيف، التجأ كل هؤلاء الى رحمة الحكومة، إلى رحمة الحلفاء النبلاء الذين حاربوا ليثأروا للعدل المضاع وللضعيف الذي انتزعت روحه من صدره إشباعاً لمطامع الأسافل.

إن شعوب الأمم المتحالفة في أوروبا قررت معاقبة الجناة من الألمان والنمساويين والأتراك، قررت ذلك ونفذت أو كادت قراراتها هذه ولكننا نحن الشعب الضعيف الذي يشكو من بعض أبنائه كما يشكو من الغريب المعادي نريد أن ننتقم فلا تقوى يدنا الضعيفة على الانتقام فنلجأ إلى الحكومة التي تمثل الحلفاء النبلاء ليجعلوا لنا ما

جعلوا لأنفسهم من حقوق الانتقام من أعداء الإنسانية انتقاما مبنياً على عدالة القانون وعدالة الوجدان.

كنا ولا نزال نعجب بصحة وجدان سعيد أفندي زين الدين مدعي عمومي الاستئناف. إنه الرجل الذي برهن في كل أدواره على الجرأة الأدبية والوجدان الحي فإننا نطلب إليه بلسان من نكب من بني قومنا، بلسان الذين تجرعوا الموت غصصا، بلسان الذين أكلوا الجيف وأكلوا أبناءهم، نسألهم بلسان هؤلاء أن يتجرد لمعاقبة القتلة ومن ساعد على القتل من غير ما مراعاة في المذاهب – داء البعض من أبناء هذه الأمة الشقية.

ليضرب المسيحي المرتكب والمسلم المرتكب بسيف القانون الذي يموت على حده نفوذ المتنفذين وعواطف المنتفعين من أية طائفة كانوا.

إن حكومة اليوم غير حكومة الأمس، هي قوية فلا تبالي في سبيل خدمة الإنسانية بعوارض الأشياء.

إن اليوم الأعظم بل الموسم الأكبر بل المهرجان الفريد هو ذلك اليوم الذي يساق به جمال وطغمة جمال، يساقون أذلاء بعصا القانون والعدل ويحاكمون ومن كان لهم يد على قتل أبناء سوريا وما ذلك اليوم على حكومة اليوم بكثير ولا موعده كما اتصل بنا ببعيد.

البرق، ١٩١٩، عدد: ٤٤–٤٣٧، ص:١٧٤

✱✱✱✱

أثر الأقدام

تبارك الله! كيف استحال القصر جنة أزهارها العيون والمباسم، وأغصانها القدود تتراوح بين الهوى والهواء.

هي ليلة في إحدى قصور بيروت، ليلة راقصة، وما أولع قصورنا بأمثال هذه الليالي – هكذا كانت على عهد الترك، وهكذا هي على عهد الفرنسيس، وهكذا ستبقى إلى أن يرث الأرض وارثوها.

وكانت الحفلة متنوعة بين شرب ورقص، وربة البيت بين السيدات كالبدر بين الكواكب، وفي الحضور كان بعض الضباط الفرنسيس دعوا فما رأوا جميلاً أن يرفضوا.

قامت حرسها الله تدعو ضابطا إلى الرقص وساءها أن رفض على ما هو مشهور من خضوع أبناء السين لحكمهن في الجور والعدل.

– علام ترفض الرقص يا سيدي وإنما أحيينا هذه الليلة إكراما لكم.

(وكانت عينا الضابط لا تبرحان البساط)

– عفواً يا سيدتي.

(واستمرت عيناه في البساط)

– نعم إني كثيرالخجل يا سيدتي.

– ولماذا؟

– لأني... لأني... أرى...

– وماذا ترى؟

– انظري «وأشار إلى البساط» ألا ترين آثار أقدام جمال باشا وضباطه عليه؟

– وجاء صباح اليوم الثاني وقد نشرت البسط على مماشي ذلك القصر وسطحه.

أإذا نظفوا البساط فهل نظفوا أنفسهم؟!..

ملاحظ

بشارة عبدالله الخوري

البرق ، ١٩١٩، عدد: ٩٤–٥٠٥، ص: ١

****

حول مجيء عزمي[1]

هول الليالي الخوالي.. هل رن في أذنيك

سوف لا يذكر التاريخ صفحةً أوجع للمروءة الوطنية، وأنفذ في قلب بيروت من موقف صحافتها وأغنيائها عند مجيء عزمي بك الوالي التركي الرهيب!

لم نكن لنعلم أن يخطر لعزمي بك أن يزور بيروت وهي لا تزال حفلى بذكريات المشانق سالت على حبالها أرواح إخواننا طاهرةً بريئة؛ يقينٌ أن في هذه النفوس بقية ذكرى لا تلبث أن يثور بركانها متى هي تمثَّلت أحبابها معلَّقين لا لذنبٍ إلا لأنهم كانوا في طليعة شباب الوطن إقداماً وإخلاصاً ووطنية.

ولكن عزمي بك جاء... وجاء يحمل إلينا تلك الذكرى الأليمة، فإذا بعضنا من صحافيين ومثرين يطوي تلك الذكرى ويأخذ بتعداد محاسن الرجل ويتسابق إلى الحفاوة به وهو لو نظر إلى أي بقعة في سماء بيروت، لحدجَته عيونُ الشهداء تترقرق فيها الدموع ملامةً وأسفاً.

لسنا في مقام محاكمة الرجل، أهو بريء في نفسه، أو غير بريء مما جناه الاتحاديون علينا. لكنه كرجل يجُرُّ وراءه ذيول ذلك العهد، عهد الإرهاب والإبعاد والقتل والتجويع؛ فقد كان علينا – حتى على اعتقاد براءته – أن نقف خاشعين للنكبة، موجعين للتذكار، فتصدر صحفُنا أجمع على إحدى زواياها إطار أسود:

احتراماً وإنعاشاً لعظام شهداء الأمة

ولو فعلنا ذلك من غير أن نقول كلمة في الرجل، ومن غير أن نتجاوز عليه كضيفٍ، لكان أول من احترمنا، ولكان الافرنسيون الذين يعدُّون علينا أنفاسنا ليعرفوا مبلغ تربيتنا السياسية ودعوانا الوطنية، يعترفون لنا بأننا أمة لها مزيَّة الأمم الحية التي إذا ألَّت بها ذكرى أو جرحت لها كرامة توحد شعورها إزاء الذكرى، واتحدت أيديها ذيادا عن الكرامة المجروحة.

ويأبى العدل علينا، أن ننكر على مجموع الأمة، شعورها الصادق ووطنيتها البريئة. وما[٢] هؤلاء الذين راحوا يشربون نخب عزمي فوق عظام الراقدين في «الرمل» فقداً لم تخل منهم أمة، إلا عاراً.

وإلى الذين نسوا تلك الخطوب المدلهمة، والمجازر الخرساء، نعيد نشر بعض الكلمة التي افتتحنا بها «البرق» بعد انحجابه طيلة مظالم الحرب وهي هذه:

«حنَّ الـــيـــــراعُ إلـــيـــكـــا
فـــابـــسُطْ له راحَـــتَـــيْـــكـــا
يـــــا بـــــرقُ لا كـــــان يـــــومٌ
ألـــقى الحـــجـــابَ عـــلـــيـــكـــا
هَـــوْلُ الـــلـــيـــالي الخـــوالي
قـــــد رَنَّ في أُذنـــيـــكـــا
ولـم تَـــزَلْ تَـــتـــمَـــشَّى
الأشـــبـــاحُ في نـــاظِـــريـــكـــا
قـــالـــوا قـــضَـــيتَ فـــسـالتْ
حُـــمْـــرُ الـــدمـــوع عـــلـــيـــكـــا
أجـلْ وهـــــــذا رشَـــــــاشٌ
مـــنـه عـــلـى بُـــرْديـــكـــا
عُـــدْنـــا أنـــا ويـــراعي
قُمْ واعـــتـــنق أخَـــوْيـــكـــا»

من أي ليل إلى أيِّ ضياء، بل مع أي قفص إلى أيِّ قضاء، خَرجَت هذه النفوسُ بعد أنْ رَسَفتْ طويلا طويلاً في سلاسل البؤس والعناء؟

ليالي لم تَقَعْ على مثلها عيونُ البواكي، ومَجازِرُ لم يَرْوِ المؤرخ لها مثيلا، ومظالمُ تَركَتْ ظلم نيرون في جنبها قليلا، ومحَتْ مساوئَ أتيلا، وصيَّرتها شيئا جميلاً، كانوا:

لا يـــســـألـــونك إنْ قُـــبـــضْ
ـتَ أثِـــــــمـتَ أم لـم تَـــــــأْثَـمِ

فـــــالحَـــــبْلُ شَـــــرٌّ مُـــــرحِّبٍ
والـــــعُـــــنْقُ خَـــــيْـــــرُ مُـــــسَـــــلِّمِ
والـــــســـــجن أكـــــرمُ صـــــاحبٍ
والـــــنَّـــــفيُ أيـــــسَـــــرُ مَـــــغْـــــنمِ[٣]

ونشر الإرهاب رايته، فكنتَ تتخيل كلَّ شبحٍ جنديا مطارداً، وكل كتابة حُكماً بالإعدام مُبرماً، حتى قلقت المضاجعُ بالناس فلا تتذوق عيونُها الكرى إلا غراراً، خيفة شرّ يفاجئ، أو خطب مستطير.

وَجَـــرتْ يَـــنـــابـــيعُ الـــكَـــرى
كـــتـــوهُّمِ المـــتـــوهِمِ

البرق، ١٤ آذار ١٩٢٧، عدد: ٢٧٤٩، ص:١

****

جمعية الإنسان الوحش

(مؤتمر مؤلف من ذئب وخنزير وثعلب وكلب)

- عن برق ٣ تشرين الثاني ١٩١٨ -

لتطمئنَّ الجثث في قبورها، ولترجع الأرواح إلى عزلتها، لأن العدل آخذٌ مجراه.

عجباً للمقابر وهي مقرُّ السكينة، أصبحت مقر الضوضاء، فمن حفيف الأرواح إلى قضقضة العظام والأقحاف[١].

عجباً للمقابر وهي هيكل القدس، ومرقد الحق، تصبح للدنس مقاما، وللرياء جلبابا.

مَنْ هؤلاء الأشباح الذين يقلقون هدوء ذلك الليل، ويلطخون بأنفاسهم الفاسدة، نسيماته النقيَّة. وماذا تراهم يريدون من هذه المدينة الساكنة في هذا الليل الساكن؟...

وكان في وسط المقبرة ضريح مرتفع من بلاط مصقول، وعلى ذلك البلاط رُفعت أربعة كراسي جلس عليها أربعة رجال.

وكان في الوسط طاولة عليها أربع جماجم مفرغة، ولكنها مترعة من الدم.

وساد فجأة سكون عميق كالسكون الذي يخيم عادة في منازل الأموات.

وكان القمر يبرز من وراء جبال لبنان، فاستضاء به المكان فكشف عن وجوه الرجال الأربعة؛ فإذا على تلك الجثث رؤوسٌ ترتعش لها المفاصل - رؤوس حيوانات على هياكل بشرية.

ولم يكد يظهر القمر بتمامه من وراء الجبل، حتى تنحنح كبير المجلس، وكان بين كتفيه رأس ذئب، وبعد أن فتح فكيه متثائبا، أخذ الجمجمة التي أمامه بيده وقال:

«إن جمعية الإنسان الوحش» التي لي الشرف أن أترأسها، مندوباً عن جمعية «الاتحاد والترقي»[٢] قد أنجزت والحمد لإبليس، مهمَّتها تماما وكمالا».

«إننا قد أخذنا على عاتقنا تمزيق البلاد وقد نجحنا، وإهلاك العباد وقد نجحنا. وهما كما تعلمون الأُسَّان اللذان ينبت عليهما مقاصد جمعيتنا الكريمة».

«لقد ضمَّتْ جمعيتُنا هذه أهم أعضاء الهيئة البشرية. وقد أخذ كل عضو منها على عاتقه، أن يبُثَّ روحَه الخبيثة في نفوس زملائه لتتعزَّز بهم قوة الجمعية، وتستعين بهذه القوة على إنجاز مقاصدها».

«وقد اجتمعنا بعد أن خرجنا من هذا المعترك ظافرين، ليُقدِّم كلُّ مندوبٍ منَّا بياناً وجيزاً عن أعماله».

«أما «الاتحاد والترقي» التي أتشرف بأن أكون مندوبها، فقد أنجزت مهمتها بكل نشاط فهي بملء الفخر، تصرح أنها هي التي مسحتْ بإصبعها عن الخارطة لون السيادة التركية».

«فلنشرب على سر الاتحاد والترقي».

ووقف [الأربعة][٣] وشربوا نهلةً من تلك الجماجم، ثم جلسوا وهم يمسحون قطرات الدماء عن أشفارهم الغليظة.

وأخذ الثاني وهو مَنْ – يحملُ بين كتفيه رأس خنزير – الجمجمة بيده وقال:

«إنَّ ما رأيتم وترون من أهوال المجاعة وضحايا المجاعة، يرجع به الفخر إلينا.

لقد خزنّا الحنطة وسائر أنواع الحبوب، وتركنا الناس يحلمون بالرغيف ولا يرونه.

تركنا الصبية الصغار يقطعون قلوب الأمهات ببكائهم، والأمهات يقطعن قلوب الرجال. وتركنا الموت يقطع قلوب الجميع.

لقد حكمنا على الإنسان الضعيف بالموت، وأنفذنا حكمنا فيه. فكنت تراهم منطرحين في الشوارع جُثثاً هوامد».

«لقد نزعنا منه دريهماته ثم أراضيه، ثم أخشاب بيته، ثم ثيابه ثم روحه».

«لقد احتكرنا كل شيء، ولقد كنا نحتكر الماء والهواء لو وجدنا إليهما سبيلا».

«أجل! لقد كان لنا مِنْ علي منيف[٤] وعزمي[٥]، عَضُدان قويان لتنفيذ غايتنا السافلة: ذاك باحتكاراته المتنوعة تحت الأسماء المتنوعة، وهذا بشركاته الخفية مع أهم أعضاء جمعيتنا البيروتية».

«وحسبُنا فخراً أننا قتلنا لا أقل من مائة وسبعين ألف نسمةٍ من أهل لبنان، ولا أقل من خمسين ألفاً من بيروت، قتلناهم بعد أن سلبناهم، ثم بنينا على جماجمهم قصور ثرواتنا الطائلة».

«فلنشرب على سر المحتكرين – وحالاً وقف الجميع وأخذوا نهلة من تلك الجماجم وهم يقولون: لنشرب على سر المحتكرين»!.

ثم وقف من يحمل على كتفه رأس ثعلب فأخذ الجمجمة بيده وقال:

«لقد فخر كل من سيدي الذئب والخنزير، بأعمالهما الفظيعة التي ملأت الأسماع والأبصار، فخراً بهذه الأعمال بعد أن جعلاها هدفاً لسهام العدى، وعرَّضاها بإعلانها لأسنة الملام غير أننا معاشر الثعالب جئنا من الأعمال ما هو أدهش وأفظع. فالمشانق التي نصبت، والعائلات التي أبعدت كانت نتيجة أعمالنا الخفية؛ ولا يخفى ما تهدم بذلك من البيوت وتشتت من العائلات».

«لقد فعلنا ما فعلناه مستعينين بالكتمان فدفعنا بذلك عن أشخاصنا أسنة اللوم ونجونا من العقاب إذا كان ثمت من عقاب».

«ولقد كانت وظيفتنا أيضاً، العمل على تلطيخ العفاف في العقائل والأوانس، فبذلنا في ذلك السبيل فوق ما بذله بعض المحتكرين تزلّفاً إلى الحاكم ببذل ما عزَّ من الشرف والمروءة».

«فلنشرب على سرِّ الجاسوسية والجواسيس والقيادة والقوَّادين»!.

ووقف الرجال الأربعة ووغلوا[٦] وغلة في الجماجم التي بأيديهم يقولون: لِنَشرب على سر الجاسوسية والجواسيس والقادة والقوَّادين!.

وأخيرا وقف رأس الكلب بعد أن قبض على الجمجمة بكلتا يديه وقال:

«من المعلوم أن لكل هيئةٍ رسمية سجلاً تُكتب فيه أعمالها ويُخلَّد فيه تاريخُها. ولمَّا كانت أعمالكُم يا سادتي تحتاج إلى تدوين، ومبادئكم إلى تعميم وتلوين، وولائمكم إلى تشهير، فقد أخذت وزملائي هذه المهمة على عواتقنا، وجاهدنا فيها جهاد الأبطال فكنا إذا عقدت شركة احتكارية نقول:

«لقد اهتم بعض أفاضل الثغر بإنزال أسعار الحنطة رحمةً بالفقير».

«فمن هنا يا سادتي تعلمون عظم مسؤوليتنا (وشرف) مهمتنا. ولا إخالكم إلا شاربين معنا على سر الألسنة المخلصة والأقلام المخلصة».

ووقفوا جميعاً وقالوا، بعد أن أفرغوا بقية الدم من كؤوسهم: لنشرب على سر الألسنة المخلصة والأقلام المخلصة.

وكانت غيمة كثيفة قد حجبت وجه القمر، عندما أعلن الرئيس ختام الجلسة، فنزلوا عن الضريح وقد تأبط كل منهم الجمجمة بكل الكأس التي سكر بها في تلك الليلة.

وحجبت الظلمة أشباحهم، فلم يكن يُسمَع سوى قضقضة العظام تحت أرجلهم – عظام قتلى الجوع والخيانة.

البرق، ١٦ آذار ١٩٢٧، عدد: ٢٧٥١، ص:١

✱✱✱✱

ثانياً: عهد الانتداب

ابيض

لماذا نريد حكومة لا دينية

الطائفية سبب انحطاطنا- مثلا روسيا واسبانيا - ماذا نحاذر وماذا نريد؟

قبل أن أقول كلمة في ما أنا قائل اليوم، أرغب إلى القارئ أن يعلم علماً يقيناً أني أحترم كل دين وليس في سوريا، والحمد لله، دين لا يأمر بطاعة الله.

أحترم الأديان، وأثق بالمتدينين فوق وثوقي بالجَحَدة، لأن الدين هو أساس كل فضيلة.

ولكني ! ولكني إذا علمت أن الدين - مع احترامي الفائق للدين - يحاول أن يندغم بالسياسة فيتألف منهما حكومة عالمية: حكومة دينية زمنية وقفتُ إذ ذاك موقف الخائف الوجل على حكومة أتصور شعبها يرجع القهقرى حينا، وتتفجر براكين تعصبه حيناً، ويكون مصيره إلى الأغلال التي لا تزال آثارها في عنقه.

أخاف ويحق لي أن أخاف، من شعبٍ رضع التعصب حتى جف ثدي التعصب، أخاف منه وعليه إذا وُضعت على رأسه حكومة لا يمكن، على ما قرأت وسمعت واختبرت، إلا أن تكون دينية؛ حكومة في بلد تنوعت مذاهبه، وسجل التاريخ على أهله أسطراً لم يجف حبرها بعد.

قد يقال: لماذا يخشى هذا المتطرف مثل هذه الحكومة؟

هنالك أسباب أهمها: أني أريد التقدم للبلاد التي أنا منها ولا يمكن التقدم إلا إذا تجرد الدين عن الحكومة، وحلَّت الجنسية الوطنية محل الجنسية الدينية.

وتريدون مثلا؟

هذه روسيا، وكان قيصرها جامعاً بين السلطتين الدينية والمدنية - أفلا تعجبون من رُقيِّ روسيا؟!

وهذه إسبانيا، ولا تزال السلطة الدينية مسيطرةً فيها، وكانت والتاريخ أصدق

شاهد، لا تغيب الشمس عن ممالكها في العالَمين القديم والحديث، وهي اليوم لا تعد في الدول العظمى لأسباب هي التي أنا أخشاها.

تشهد صفحات هذه الجريدة على محاربتي كل ما هو طائفي في البلاد، على أمل أن أرى أبناء هذه البقعة، كأبناء البلاد الأخرى، لا ينتسبون إذا نسبوا إلا إلى وطنهم.

إن الطائفية في لبنان وسوريا، هي التي فرَّقت أهله أشتاتاً، وهي التي حكمت عليهم بالضعف. فمن أجل ذلك حاربناها؛ وكذلك كان شأن الفرق المذهبية الأخرى، وانقسامها بعضها على بعض، بحيث تلاشت قواها وطمع بها الطامعون.

من أجل ذلك، من أجل أن لا نعيد على مسرح الحياة تمثيل الأدوار السالفة، ومن أجل أن لا يكون للدين دخل ولا شبه دخلٍ في الحكومة الرفيعة المستقلة التي ننشدها، نطلب أن تكون هذه الحكومة جمهوريةً ديموقراطيةً مفصولة فيها السياسة عن الدين.

قرأت في إحدى (الرصيفات) – هي في نظري أرقى الجرائد من نوعها – لكاتبٍ هو في نظري من أرقى الكتَّاب في نوعه، مقالاً عربياً دينيا سياسيا، أَيْقَنْتُ بعده استحالة انفصال الحكومة العربية عن الدين.

لم يكن ذلك المقالُ يَخلق فيَّ هذا الاعتقاد، ولكنه أيَّده وثبَّت دعائمه. فأنا بعد اليوم، أُحاذر هذه الحكومة على شدة حُبِّي لها، وعلى ما أحفظُ لها من التذكار الجميل في نفسي ومن الاحترام الذي ما بعده احترام.

ولكنني مع ذلك، أتمنى وأطالب بحكومة وطنية لغتُها العربية – بحكومة مستقلة – بضمانة ومساعدة أمةٍ لها من شرفها وسابق مجدها ما نأمل معه إخلاصها وصدق نيَّتها – وذلك إلى أن ننشأ وطنيين لا نُدخل الدين في شؤوننا الزمنية والسياسية، كما هو شأننا بين الأمس واليوم.

افتتاحية

البرق، ١٩١٨، عدد: ٣١–٤٢٤، ص: ١

****

بين عام وعام

- العام الجديد يلوّن خارطة العالم - الأمل برجال المؤتمر - برهان الدول على الإخلاص

الورقة التي سقطت أمس من شجرة الدهر، هي ورقة السنون[1] الأربع التي حملت مصائب العالم وويلاته.

تاريخٌ حبِره من الدمع والدم، وأوراقه الصدور الخافقة الضئيلة التي لم تُبْقِ منها العواصف سوى ما تبقي من ورقة الخريف، مادةٌ ولا روح، ولَونٌ كلون سكان القبور، وخَفوقٌ كالرداء المنتشر في مَهبِّ الأرياح.

سنونٌ أربعٌ هي في نظر البشر سَنَةٌ واحدة،

وحدَّت بين الدموع والمُقل، والمخاوف والقلوب، والطَّوى والبطون.

ليلة واحدة ولكنها طويلة!. طويلة حتى قيل إنها الأبدية.

فغرت الأرض فمها وابتلعت الضعفاء في سوريا، وابتلعت حتى الأقوياء في غيرها - تلك كانت السنة التي فاض نفسها الأخير على عتبة الأمس.

واليوم - مطلع عام ١٩١٩ - يحمل باليد الواحدة الكرة الأرضية، وباليد الثانية ريشةً حقيرة الشكل، جليلة الخطر، وأمامه المحابر من كل لون.

إنه يشرع بتخطيط خارطة العالم.

إذا كان في الأرض أمة ضعيفة فنحن تلك الأمة. لا سيفنا قاطع ولا بارودنا حام؛ ويا ليت ذلك كان وحده علة الضعف فينا!

فلقد أنهكت جسمنا الضئيل أمراضه. وهل كان الجهل والرِّقُّ والانقسام والتعصب، سوى أمراضٍ ضاعت بها حيلة الحكيم؟.

☆☆☆☆☆

العام الجديد! ولا ننكر عليه يده البيضاء. إنه أقبل والأمل لامع في نظره، والحنان خافق في قلبه، والأمانيُّ أمانيُّ الشعوب الضعيفة، أمانينا نحن أبناء لبنان، وأبناء سوريا، سوف لا نَعدم منه نصيرا.

أجل! أقبل العام الجديد فحيَّته الثغور الباسمة، والعيون اللامعة، وكان يُقبل فلا يُرى سوى ما يُقذي العيون ويصدع القلوب.

إنها يد للعناية علينا، يد للحكومة الحاضرة، مَن كفر بها كان من الآثمين.

فيا شمس هذا العام! إذا جئت باريس حيث تُقسم الحظوظ في الناس، فخبِّريهم أن في سوريا، بقعة جارت عليها الطبيعة، وجار عليها البشر، فلم يبق منها سوى عظام قتلى الجوع، وتربةٍ كتلك العظام؛ كانت تدرُّ اللبن والعسل، وتُنبت سهولها السنابلَ كالذهب، فما زال بها الطمع السياسيُّ والتعصب الدينيُّ، حتى اقتطع منها سُهولها واغتصبها مرافئها؛ فهي ضحية الأتراك منذ كانوا – هي لبنان!...

يا شمس هذ العام! إذا ما جلس الرئيس ويلسن «الانسانية المجسمة» مجلس الحكم في مصير الشعوب، فابعثي إلى قلبه من أشعتك، رسولاً يقول له إن لبنان شهيد هذه الحرب من كل سوريا، له عندك شفيع مشفع، أبناؤه الألى حاربوا تحت راية أمتك الكريمة، أبناؤه – شيوخا وشبانا وأطفالا – الذين شملتهم عناية أميركا الحرة، فدرجوا على أديمها، ونشقوا هواءها، وشربوا ماءها، وأكلوا ثمارها – الألى ضم ترابها أجساد الكثيرين منهم، هؤلاء شفيع هذا الجبل الأجرد إليك – هذا الجبل الذي مازالت عيونه تبكي سهوله المغتصبة وثغوره المغتصبة.

يا شمس هذا العام! قولي «له» و «لهم» ولكل قلب نبيل يضمه مؤتمر الصلح. إن أهل سوريا لا يعرفون وطنيةً، سوى الدين – نشأوا مذاهب ونحلاً – تعوَّد قويّهم أن يسود ضعيفهم، وجاهلهم أن يسود نبيههم، يريدون أن ينهضوا ولكنهم لا يقدرون؛ ويحاولون أن يتقدموا فتجذبهم إلى الوراء سلاسل التقاليد التي ربطت حاضرهم بماضيهم ربطاً محكما.

أذلَّهُم الأتراك عصورا، وشنعوا بهم طيلة هذه السنين الأربع، وهم يمضغون الضيم مضغاً، وإنما، إنما صبر المجموع السوري على الضيم، لأن الأتراك عرفوا كيف يصطادون هذه القلوب التي هي أشبه الأشياء بالسمك السابح في بحر التعصب؛ قلوب جميع الطوائف السورية، ما خلا الفئات المتعلمة من هذه الطوائف وما أعجز هذه الفئات!

إن الأمم التي حاربت مخلصة، الأمم التي يمثلها لويد جورج وكليمانصو وويلسن[٢]، الأمم العظيمة التي حملت النور والسلام للعالم، سوف تجعل من شمس هذا العالم بشيراً لهذه البلاد بالحياة، وبما تشتمل عليه الحياة من العلم والتساهل والإخاء والوطنية.

إن الدول العظمى، باختيارها فرنسا الشريفة لتكون معلماً وقائداً لنا في حياتنا الاجتماعية هذه، قدمت برهانا جديداً على أنها حاربت في سبيل سلام العالم، في سبيل العلم والرقي والمدنية.

مرحبا بالعام الجديد، ففي أشعته حرارة الأمل وإيمانه، ولا معنى للحياة بدون الأمل.

افتتاحية

البرق، ١٩١٩، عدد: ٣٨–٤٣١، ص: ١

****

المهاجرون والمقيمون

حسناتهم وسيئاتهم - أيهم أحق باختيار مستقبل البلاد - الوسط هناك والوسط هنا

أما وقد انفتح البحر ومشى بيننا البريد، فعلموا وعلمنا حقيقة ما فعلوا وفعلنا، وقرأوا وقرأنا حقيقة ما كتبوا وكتبنا، تحمل ذلك إلينا وإليهم صحفهم وصحفنا، رسائلهم ورسائلنا - أما وقد انكشف لنا كل ذلك، قد أصبح من السهل أن نقول كلمة في موضوع تناولته أقلام بعض أفاضلهم هناك، ألا وهو تنازع الحكم على مستقبل البلاد - بلادهم وبلادنا : سوريا ولبنان.

تنازعوا في أيٍّ من الفريقين المهاجرين أو المقيمين، له الحق أو له الأفضلية باختيار شكل الحكومة الداخلية واختيار الوصي، إذا كان لا بد من وصي.

قال بعضهم: إن المتخلفين[1] هم أحق باختيار شكل الحكومة، وتسمية الوصي، لِما كابدوا في هذه الحرب من الشدائد ولما تجرعوا من الأهوال، ولما حصد منهم مِنجلُ الجوع، ولما أنهم أعلم بروح البلاد من إخوانهم وراء البحار.

وقال البعض الآخر: إن المهاجرين هم أحق باختيار شكل الحكومة وتسمية الوصي، لما أنهم ركبوا الأهوال في سبيل جمع المال، ليرسلوه إلى المتخلفين الذين إنما هم عيالٌ عليهم، وأن الوطن السوري واللبناني لم يزدهر بالعمران إلا بمال المهاجرين من جهة وبما نقلوه إليه من روح الديموقراطية والمعارف من جهة ثانية.

قال الفريقان ذلك، ووقفا عند هذا الحد؛ فإذا جاز لنا أن يكون لنا رأي في الجماعة قلناه.

إن الذين ذهبوا ضحية المشانق وضحية الجوع - إن هؤلاء هم حجة على المتخلفين لا حجة لهم.

نحن نعلم أنه لو ثارت ثائرة أو بدرت بادرة من المتخلفين عند شنق القافلة الأولى[٢]، لوقف جمال عند حده، أو لشعر على الأقل مع جماعته الأتراك، بوجوب تعديل سياسة الإرهاب.

ولكن المتخلفين، وخصوصا المطالبين منهم بحق الاختيار، الواقفين على رؤوس الفرق السياسية، كانوا – ولا خجل – يصادقون، بما يُولون وبما يتظاهرون، على أعمال السفاح، وهي سيئة في كفة المتخلفين من حيث حسبوا وحسب غيرهم أنها حسنة.

أما قتلى الجوع، فكلنا نعلم أن المتخلفين، وخصوصاً زعماء الفرق ودعاة الوطنية اليوم، هم الذين كانوا يداً أثيمة على قتل هذه الألوف المؤلفة من إخوانهم، بما رفعوا من أسعار واحتكروا مِنْ أقوات وأدانوا من ربا ما فوقه ربا، وهي سيئة بل جريمة في كفة المتخلفين من حيث حسبوا وحسب غيرهم أنها حسنة.

لقد كان الحق بالاختيار للأُلى شُنقوا والأُلى قتلهم الجوع.. أما وقد أصبح هؤلاء في عالم العدم، وأصبح معظم الذين لا يزالون في قيد الحياة يتنعمون بما اغتصبوه منهم، فأيُّ حقٍّ لهؤلاء إلا إذا كانوا قد أخذوا منهم قبل أن أجهزوا عليهم، وكالةً شرعيةً باختيار مستقبل البلاد وشكلِ حكومة البلاد.

إن تجار المتخلفين، ما خلا العدد القليل منهم، جَنَوا على البلاد بما أرهقوا أبناءها، بينما كان تجار المهاجرين يتسابقون إلى إمداد أهلهم في الموطن بالمال، على ما هنالك من الخسائر الباهظة في تبديل الورق بالذهب.

إن صحافة المتخلفين كانت بلا استثناء، تُهلل وترحب وتحبذ بقوافل المشانيق، وتنشط جماعة المحتكرين في مواقف كان يمكنها فيها السكوت، بينما كانت صحف المهاجرين، في جميع مواقفها، دموعاً وأنيناً واحتجاجاً على مصير الوطن وإرهاق أبناء الوطن.

إن شعراء وأدباء المتخلفين، ما خلا القليل القليل، كانوا يصنعون من القصبة

مزمارا ينشدون عليه مدائح العتاة وينسجون من أشعارهم كفوفا حريرية بيضاء، يحجبون بها يدهم المنغمسة بدماء إخوانهم – بينما كان أدباء وشعراء المهاجرين، يصنعون من اليراع قيثاراً يوقعون عليه باكيات المراثي.

إن من المتخلفين من اتخذ الوشاية والسفالة، آلةً لإبعاد إخوانه، والقضاء عليهم؛ فضلاً عن أن البوليس الوطني، والجندرمة الوطنية في سوريا ولبنان، كانا آلة للانتقام والإرهاب والإعدام، كما هو مأثور ومعروف، بينما كان المهاجرون يتطوعون أفواجا أفواجا، ويُعرِّضون صدورهم لحراب العدى دفاعا عن المقيمين، وقياماً بالواجب الوطني الذي دنَّسه أكثرنا بأعماله.

أما القول بأن المتخلفين أعلم بروح البلاد من المهاجرين، فهو قول صواب، ولكن ما هو هذا الروح في البلاد؟

أهو الروح الذي نطالعه خلال السطور ونجسُّه خلال الصدور؟

أهو هذا روح التعصب الذي أصبح المتعلم لا يستنكف في سبيله من أن يُولِّي عليه أو يربط نفسه برجلٍ أو بيئةٍ هي دونه بمراحل، علماً ومدنيةً ورقياً – إذا كان مسلما – أو أن يقيم على رأسه راهباً قد لا يكون يُحسن القراءة – إذا كان مسيحيا؟ أقول هذا ولا أعمم، لأن فينا من هناك ومن هنا، فئةً هي فوق كل هذه السفاسف، ولكنها في العدد دون سائر المجموع.

هذا ذنب الوسط الذي نعيش فيه، وهو على عكس الوسط الذي يعيش فيه المهاجرون؛ والإنسان ابن وسطه كما يُقال.

لا جدال في أن الوسط الذي يعيش فيه إخواننا في كل المهاجر، هو أرقى من وسطنا – فهم بما تشربوا من رقي ذلك الوسط، أحق من المتخلفين باختيار شكل الحكومة. هذا إذا كان مؤتمر الصلح – إذا كان ويلسن ولويد جورج وكليمانصو –

مُثلثُ مؤتمر الصلح – يريدون أن يجعلوا الاختيار بحسب الرقي لا سواه.

إن فئة كبيرةً من كل طوائف سوريا، هي في كفة الرقيِّ – في الكفة التي تقول بإسناد الاختيار إلى المتعلمين والمتشربين الروح الديموقراطي، لأننا نريد أن نسير إلى الأمام، وأن نسير على النور – وأن لا نعاكس تيار المدنية الجارف لئلا نداس تحت الأقدام.

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٩١٩، عدد: ٥٥–٤٤٨، ص:١

****

القضية الوطنية

مطالب اللبنانيين، طريقة الطلب، الفوضى الحاضرة، الأخلق بنا أن نقول نريد من أن نقول لا نريد.

من يُنكر علينا – معاشر اللبنانيين – حقنا في طلب (الحياة)؟، من ينكر علينا قولنا، إن هذه الصخور التي دفعَنا إليها الظلم، لا تفي بمطالب الحياة لشعب له حقه في الحياة؟ ومَنْ هذا الذي يُنكر أن بيروت وصيدا وطرابلس والبقاع إنما هي في لبنان ومن لبنان، ولا غنى للبنان عنها؟

لم يُنكر علينا حتى الساعة، أحد هذا الحق. وكيف ينكرون إذا نحن سلكنا إليه من اللين سبيلا، واخترنا له الرقيق من الكلام، والمبين من البرهان، وجعلنا الابتسام في ثغور السطور، والإخلاص في صدورها؟.

نريد لبنان الكبير – أو لبنان الطبيعي – ومتى قلنا ذلك فكأنما نريد أهل هذه البلدان، وفيهم السَّريُّ والأديب والفاضل، على اختلاف الأميال[1] والمذاهب.

نريد لبنان الكبير، وقد يكون القائل من أصحاب الحرف الواطية اتخذ الصحافة مهنةً – والصحافةُ عندنا أُمُّ العجائب. فكيف نريد – وقد فهمنا معنى قولنا: نريد لبنان الكبير – أن يَحني هؤلاء السَّراة رؤوسهم لمثل هذا القائل، ويقولون له: شأنك بنا وما تريد.

أجل، إننا لَنَطلب لبنان الكبير، لَنطلبُ إلى هؤلاء الإخوان، بما لنا مِنْ حق الجوار، وحق المصلحة المشتركة، ضاربين صفحاً عن حقنا بالحياة، وحقنا الطبيعي، إننا لَنَطلبُ إليهم، أن نكون – هم ونحن – جسم هذا الوطن. أن نقول لهم: نحن لا نريد إلحاقكم بنا،

بل نريد أن لا يحول حائل بيننا؛ أن نمتزج بكم امتزاج الماء بالراح؛ أن نُوحِّد مصالحنا ونوحد نظاماتنا؛ وأن يكون حق الوطني كالمطر أو كالنور يستوي عندهما كل حي.

إننا إذا قلنا ذلك لهم، فماذا عساهم يجيبون وفيهم مَنْ فيهم من رجال الفضل وزعماء الأدب؟

إن أقلَّ ما يُجيبوننا به: مقابلة العاطفة بمثلها، وهي خطوة إلى التفاهم كبيرة!

وبعدئذٍ... بعدئذٍ ندعو هؤلاء الإخوان إلى مؤتمرٍ عامٍ، وهم إما أن يضعوا يدهم بيدنا، وإما أن يُبينوا الأسباب التي تحول دون هذا الامتزاج.

فإذا تمكن الفريق من إقناع أخيه، فهي المنى: وإن لا؛ تفارقوا أحباباً أخداناً، وعمل كل منهم بما يوحيه إليه وجدانه؛ حتى إذا تمَّت للواحد بُغيتُه، لا تكون ذراعاه بعيدتين عن أخيه، ليضمه إليه ويسير وإياه تحت الراية الواحدة والنظام الواحد.

لقد خِفنا ويحق لنا أن نخاف، أن تتحول مسألتنا الوطنية إلى مسألة دينية، وهناك المكانة العليا التي نُمهدها لنا في صدر العالم الأوروبي الذي إنما نتزلف إليه، بما ندعيه من الرقي والمدنية – إنما نتزلف إليه بهذا، ليأذن لنا بالحكم الذاتي، ويمنحنا استقلالنا الوطني، ويكون لنا منه المساعدة الخفيفة المحدودة إذا لم يكن لنا بُدٌّ منها.

كنا نود أن يقتدي دعاة السياسة بغبطة السيد الكبير بطريرك الطائفة المارونية[٢] الذي – حفظه الله – نهض لمعالجة المسألة الوطنية بالحكمة المزدان بها شخصه الكريم. فإنه على ما بلغنا، سيعمل على دعوة كبراء البلاد من رجال الدين والدنيا، من جميع الطوائف اللبنانية، ليبحث معهم في مسألتنا الوطنية ويقرروا الخطة الحكيمة التي يمشون وأهل البلاد، عليها.

إن قولنا: لا نريد هذا ولا نريد ذاك، لهو قول فوق اقتدارنا ولقد كان الأخلق بنا أن نقول: نريد هذا ونريد ذاك.

إن ويلسن نفسه ولويد جورج وكليمانصو، لا يتجاسر أحدهم أن يقول: لا أريد، أما إذا كان أحدنا يشعر من نفسه بقوةٍ فوق قوة هؤلاء، فهو أمر آخر.

نحن نريد لبنان الكبير، نريد أن نؤلف من النفوس والأراضي التي تعتبر من لبنان وطناً واحداً، ولا فرق بين أن نلتحق بهم أو أن يلتحقوا بنا، نريد أن نحترم رأي إخواننا جميعا، نريد حقنا في الحياة، وللمؤتمر حكمه النافذ ورأيه الموفق بإذن الله.

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٩١٩، عدد: ١٣٥-٦٤٥، ص:١

****

أرميه بورقة فيرميني بحجر

.... عذيرك من خليلك ....

لقد زال معظم الخلاف فعَلام نجرُّه بقرنيه؟

وكان من نعم الله علينا، أن طوينا شقةً واسعة إلى حُسن التفهم، فكيف نعود إلى أول الطريق؟!

لقد ذلَّلنا نحن وبعض الرصفاء[1] كل عثرة! وحرقنا أنانيتنا بقدر الاستطاعة على هيكل المصلحة العمومية!

تلك صفحاتُنا شهودٌ على أعمالنا، وتلك مناظراتُنا تُؤيد ما ندعيه!لم نسلم من الخطأ أحيانا، وحسبنا أن لا ندّعي العصمة.

وأعظم خطيئاتنا هي التي ركبنا لها الحدّة، وأعظم منها هي التي ركبنا لها التحامل. وأعظم منها هي التي ركبنا لها الحطّ من كرامة الآخرين؛ على أننا لم نرتكب كل هذا، ولكننا نعترف به لنمحوه.

والآن، وقد أزلنا من طريق التفاهم، عثراتٍ كبيرةً، والآن وقد انطوت كل قضية اختلفنا عليها – لم يبق أمامنا سوى لفظتين معناهما واحد: الوحدة والتجزئة: وحدة سوريا، واستقلال لبنان.

إن لكل من الفريقين رأياً، على الآخر احترامه! فكما نحن نحترم القائلين بالوحدة السورية، ولا نرى بدعة في طلبهم، كذلك نرجو من هؤلاء الإخوان أن يعاملونا – منَّةً وكرماً – نفس المعاملة ولا نطلب مزيدا.

– ما هو المقصود بالجدل؟

– الوصول إلى الحقيقة.

الجواب صحيح. ولكن كيف نصل إلى الحقيقة، ونحن نجعل لها من مهاتراتنا أكفاناً؟

لقد شاء – الميت الحيُّ – أحد الذين يكتبون في رصيفتنا «الحقيقة»[٢] أن ينتقد قرار مجلس إدارة لبنان، القائل باستقلاله عن بقية القطعة السورية – وله حقه في ذلك، لأن الكلام مباح ولأننا نطلب لأنفسنا حياةً ديموقراطية. غير أنه أخطأ بأن ألبس نقده ثوباً من التحامل ليس الآن محله.

لا نكران أنه إذا حق لفردٍ أو لأفراد أن يتكلموا في مصلحة البلاد، فمجلس إدارة الجبل أولى بذلك الحق.

وإذا كنا نرغب إلى المنشئين والصحافيين، أن يحترموا بعضهم عندما يتناظرون في المسائل الوطنية، وهم يُحسبون من عائلة واحدة، فكم يجب أن نرغب اليوم، إليهم في احترام الآخرين، ولا سيما إذا كانوا من ممثلي جماعات الوطنيين على اختلاف مذاهبهم.

إن بحثنا هذا الآن، هو في نظرنا أهم وأفيد من تبيين حقوق لبنان، وقد مُلئت بها الحقول والصحف أربع سنواتٍ بأسرها – هذه الحقوق التي لا نظن الكاتب يستطيع إنقاصها، كما أننا لا نستطيع زيادتها مهما حاول وحاولنا أن ينقص وأن نزيد.

نحن نعلم أنه مهما بلغت مسافة الخلف بيننا، فإننا سنلتقي في نقطة واحدة. أفيجوز أن نلتقي – متى التقينا – وقد هشم أحدنا الآخر، وملأ قلبه حقداً ووجهه عُبوساً؟ أم الأفضل أن نلتقي – ولا بد أن نلتقي – وملء قلوبنا صفاء وملء وجوهنا ابتسام؟.

ما هو الفرق بين قولك لمُناظرك «لقد خُنت وطنك وسخرت ضميرك، وعبدت مصلحتك» وبين قولك له: «أظنك أخطأت ما تقصد من خدمة وطنك ومصلحة قومك، مع ما هو معروف من صدق ضميرك ونزاهة قصدك».

أظن الفرق واضحاً كالصبح لِذي عينين، وأظن أنه لو سارت مناظراتنا على هذا النمط، لكنا طوينا مسافة الخلف كلها.

أيُّ كاتبٍ لا يمكنه أن يملأ السطور سفسطةً ومغالطاتٍ؟، بل أي كاتب لا يمكنه أن يملأها ألفاظا فارغة، على كثرة ما عندنا من المترادفات والمتقاربات؟ ولكن الكاتب هو الذي يكتب ليفيد، وهو الذي إذا سكت أحيانا فإنما هو الذي يسكت ليفيد.

أراد حضرة الكاتب في «الحقيقة»، أن يهزأ بقرار المجلس، ويأخذنا بكتفه؛ وكان في إمكاننا أن نجيبه بلهجته ولغته – حذوك النعل بالنعل – ولكننا لا نفعل لأننا اختبرنا الأمور وعرفنا أن أكبر الواجبات هو غسل القلوب وتوحيد الأميال وتمهيد السبل بين العواطف والمصالح.

قصد دمشق بضعة وعشرون نفراً من لبنانيين وبيروتيين[٣]. قصدوها ليسلموا على الأمير[٤]، وليعلنوا في هذه المناسبة، ميلهم إلى الوحدة السورية. ولقد كنا نؤثر السكوت اعتقاداً أن لكل إنسان حق الرأي وحق الاعتقاد وحق التصرف؛ واعتقاداً أن الكلام يوقظ الخلاف، وهذا يوقظ التنافر. ونحن في حال من التطور، أحوج بها إلى السكوت مع التيقظ، ومن الكلام مع العظة. ولكن الكاتب في «الحقيقة» أراد أن يقول في معرض كلامه عن الوفد:

«يعذرنا أصحاب فكرة «لبنان الكبير» لعدم تسميتنا هذا الوفد باسم «وفد لبنان الكبير» لأننا ما زلنا نجهل من قرار مجلس إدارة الجبل، الأخير، ما يجهله صاحب «البرق» وهي لسان حال لبنان الكبير، أو بعبارةٍ أوضح: حزب لبنان الكبير».

كان على الكاتب لو تروّى، أن يترك الجريدة تورد الخبر تحت أي عنوان شاءت. ولقد كان من المحتمل أن تسكت الجرائد المعارضة عنه، لا تصديقاً على زعم الجريدة، ولكن تجنباً للنفور الذي يجره الجدل؛ وعندئذٍ كان يسير الوفد يُظلله السلام ولا تنهشه الأقلام.

لذلك قلنا: إن السكوت أحياناً هو أفيد من الكلام.

يا حضرة الأخ الأديب:

إن لبنان، سيكون كبيراً حتى ولو ظفرت أنت ببغيتك من توحيد سوريا، إن سمو الأمير فيصل، وحزب الوحدة السورية، الذي أنتم منه، وكذلك الدول العظمى، كل هؤلاء يساعدوننا على لبنان الكبير فإذا كنا نحصل على لبنان الكبير، والظفر في جانبكم، فكيف تريدون أن لا نحصل عليه والظفر في جانبنا؟

نحن نحمد الله أن أزلنا كثيراً من أسباب الخلاف، تلك الأسباب التي أشرعنا لها الأقلام شهورا؛ نحمده لأنه لم يبق لدينا سوى هذا الخلاف البسيط – الوحدة والتجزئة – الخلاف الذي لا يتناول شره وخيره سوانا، ولا يتناول حلّه سوانا. وما ضرنا أيُّنا جذب الآخر إليه. فهو إنما يجذبه إلى صدرٍ مليءٍ إخلاصاً – كذلك يجذب الأخ أخاه.

فإذا كان بعض اللبنانيين قصد دمشق، لتحية الأمير، فقد سبق أن حييناه؛ أو لإكرامه، فقد سبق أن أكرمناه؛ إننا نحييه ونكرمه لشخصه الكريم، من جهة، وإكراما لإخواننا من جهة ثانية – كذلك نحن ننتظر منهم أن يُحبوا مَن نُحب ويُكرموا مَن نُكرم.

ولماذا لا تتوحد القلوب وتتفق الأميال، وهذه بعض أسبابها؟.

بشارة الخوري

البرق، ١٩١٩، عدد: ١٣٦–٦٤٦، ص:١

✷✷✷✷

العرس اللبناني

الجنرال غورو يعلن لبنان الكبير

اليوم يضحك ثغر لبنان وترقص عرائس المروج فيه.

اليوم يضفر للشيخ – لبنان – الذي عرك الأيام وعركته، إكليل من أرزه الأبدي.

لا ترى فيه اليوم غير قلبٍ خافق، ووجهٍ طليق.

اليوم تلبس عروس لبنان «زحلة» أبهى حُللها، وتَسكبُ على رأسها أطيبَ عُطورها، وتُرسل من صفصافها على ظهرها ذوائب، وتوقع أناملُ النسيم على نهرها الطروب، أبدع الأغاني.

اليوم يقف فخامة الجنرال غورو[1] في زحلة ليعلن ضم البقاع إلى لبنان.

إنها فاتحة النِّعم، وإنها أول الغيث، وإنها طليعة وعود فرنسا الصادقة للبنان.

اليوم تأخذ «زحلة» نصيبها من الجهاد؛ تأخذ الحق الذي سلبتها إياه جائرات الليالي. وغداً يفتح لبنان ذراعيه أو يبسط النسر الأبيض جناحيه على سائر البلاد اللبنانية – عندئذٍ يحتفل بعرس لبنان الذهبي. ثم عند تشكيل الحكومة الوطنية، الحكومة النيابية الديموقراطية، يحتفل بعرسه الألماسي؛ وهنالك يسير لبنان برعاية فرنسا الصديقة الشريفة، الصديقة منذ القدم، الأم الحنون على الشعوب الضعيفة، الثملة بالانتصار الأدبي، هنالك يسير الشيخ في ثياب الشباب، وبرعاية فرنسا الصديقة الصادقة في سبيل الحياة الحرة، والحاكمية الذاتية؛ هنالك يرجع الهاربون من الاستعمار التركي واستعباده، وهم يرددون آيات الامتنان للسيف المحرر: سيف فرنسا، وللقلب الحنون على الفكر البشري: قلب فرنسا.

البرق، ٣ آب ١٩٢٠، عدد: ١٠٥٨، ص:١

✱✱✱✱

لبنـان الكبـيـر

بيروت العاصمة: الاحتفال بالعيد

هي أولى الأماني وبيت قصيدها، هي فجرها الذي لا مساء له، هي النغم الذي لا يمل، بل هي الصلاة الوطنية وما أحبها من صلاة.

لبنان الكبير!... أجل إن اللبناني الذي لم تسعه بلاد كولومبس ولم تحل دون جده مخاطر البحر، إن اللبناني الذي نبغ في مصر ونبغ في أوروبا ونبغ في أميركا لم ير في هذا الوكر (لبنان الصغير) منبسطا لجناحيه فطلب توسيعه، طلب لبنان الكبير وبنى طلبه هذا على قاعدة حق الإنسان بالحياة.

لبنان الكبير – إن اللبناني الذي أبى إباؤه عليه أن يذل للقوي الغاشم، إن اللبناني الذي أبى أن يستباح عرضه وماله وحريته، إن هذا اللبناني أخذ يرجع مصعدا في الذرى، معتصما بالشناخيب[1]، أخذ ينسحب تاركا سهولة وثغوره مرسحا للمظالم التركية – إن هذا اللبناني – وقد استطلع وجه العدل – طلب إرجاع ما اغتصب من أراضيه، طلب لبنان الكبير وبنى طلبه هذا على قاعدة إرجاع المغتصب.

لبنان الكبير – إن اللبناني الذي كتب بدمائه، بمصائبه أفجع صفحة من صفحات الحرب الكبرى، إن اللبناني الذي صاحب الفقر فخورا، ومشى إلى الموت جسورا، إن اللبناني الذي سقط قتيل الإجاعة وكان عرضة للانتقام التركي الفظيع، إن اللبناني الذي تحمل كل ذلك في سبيل فرنسا ثم في سبيل الحلفاء طلب أن يكافأ على ما قدم من التضاحي، طلب لبنان الكبير وبنى طلبه على قاعدة الغنم بالغرم.

ونظر اللبناني إلى بعيدات الأجيال فلم ير أمة حنت عليه طفلا، وحضنته يافعا وسندته كهلا، لم ير أمة أخرجت للعالم المتمدن مثل ما أخرجته هي من الرجال، ولا كتبت بدم أبنائها مثل ما كتبته هي من المبادئ، إن من بعض ما كتبته بها (حقوق الإنسان) – لم ير اللبناني في ما رأى من الأمم أمة تعمل في سبيل هناء العالم وحرية العالم أكثر مما تعمله هي، لم ير أمة احترمت كل دين وساوت بين كل دين كالأمة الفرنساوية النبيلة فأصر على أن تكون هي الدولة المشرفة على سوريا، وحكمته أن سوريا مهد المنازع الطائفية فلا تصلح لها سوى فرنسا، لما أن غيرها[٢] من الدول متشبث بتقاليده الموروثة، تلك التقاليد في الإعلام والاصطلاحات التي قد تسيء إلى إخواننا غير النصارى الذين نريد أن نعيش معهم إخوانا في الوطن أعوانا على السراء والضراء.

إيه دولة العدل والإنسانية! لقد كدت تتخلين عن البلاد العربية بأسرها في سبيل وعد صادق وولاء مستديم.

إيه دولة العدل والإنسانية! لقد كدت تقنعين بهذه الصخور الجرداء ليعلم الملأ أنك ما نكثت عهدا ولا قعدت عن نصرة ضعيف.

إيه دولة العدل والإنسانية! إنك ألقيت على العرب أجمع درساً في الوفاء عريقا فبينما كان بعض إخواننا يشكون نكص الوعود، والهزء بالعواطف ، واللعب بالمصير[٣]، كنا معاشر اللبنانيين مطمئنين إلى مكين ودّك، وصادق عهدك.

إن إخواننا هؤلاء الذين شكوا نكص غيرك في الأمس يكبرونك اليوم.

إن هؤلاء الإخوان خافوا أن لا تكون فرنسا للجميع وها هم الآن وقد تبددت تلك المخاوف، ها هم الآن وقد علموا أن فرنسا للعدل وأن العدل لا لون له ولا دين.

أجل لقد وعدت بلبنان كبيرا وأنت اليوم للوعد تنجزين.

أما وقد وجد لبنان الكبير اليوم بفضل فرنسا فماذا تراه ليصنع ليكافئ فرنسا على يدها الكريمة هذه.

أن يعمر بالمهاجرين من بنيه لتعمل اليد اللبنانية في الأرض اللبنانية.
أن ينصرف كل إلى ما طبع عليه من صناعة أو تجارة أو زراعة.
أن تتوحد الطوائف اللبنانية في طائفة واحدة هي الطائفة الوطنية.

أن تنمو عواطف الإخاء وتبادل المنفعة بين اللبنانيين وإخوانهم السوريين المشمولين بالإشراف الواحد.

أن يثقوا بفرنسا في تأليف الحكومة اللبنانية على الشكل الذي يريدها اللبنانيون إذ ليس شكل الحكومة في نظر اللبنانيين بأقل أهمية من توسيع حدودهم.

هذا كل ما تريده فرنسا من اللبنانيين في مطلع حياتهم الجديدة، لتكون فرنسا واسعة الصدر، طويلة الأناة فما نحن في حياتنا الجديدة وحكومتنا الجديدة سوى كالطفل إذا عثر أحيانا كان له منها نعم المرشد ونعم المعين.

بورك طالع الجنرال غورو إنه كان سعيدا، ففي عهده نال لبنان أمانيه، وبحسن سياسته وإقدامه تغلب على المصاعب والمكايد.

إن لبنان لن ينسى اسم غورو ولن ينسى أن يحفر هذا الاسم العظيم إلى جنب استقلال لبنان وتكبير لبنان.

إن فخامة الجنرال غورو، سيلفظ غداً [٤] كلمة خالدة على الأيام والليالي.

سيقول للبنان هذه ثمرة الوفاء فاستطبها، لك ما طلبته من فرنسا أمك، هذه البقاع وبعلبك وتلك حاصبيا وراشيا، ثم هذه بيروت «درة تاج عثمان» جعلتها لؤلؤة في جيدك، ألا فلتحيا فرنسا وليحيا غورو ولتحيا بيروت عاصمة لبنان الكبير.

البرق، ٣١ آب ١٩٢٠، عدد: ١٠٧٠، ص:١

✱✱✱✱

إعلان لبنان الكبير

في ١ أيلول عام ١٩٢٠

يوم أعلن الجنرال غورو في أول أيلول من عام ١٩٢٠ استقلال لبنان بحدوده الطبيعية، يومذاك حققت فرنسا الشعار الأكبر من أماني اللبنانيين، ألا وهو تكوين القومية اللبنانية، والمحافظة عليها.

فإذا نحن شكرنا لفرنسا يدها، فلأننا بدونها لم نكن لنستطيع أن نحقق هذه الأمنية من استعادة الحدود والاحتفاظ بالقومية.

ولكن الذي لا تستطيع أن تمنحه فرنسا للبنان، هو الاستقلال السياسي لأنه لا يصلح أن يكون هبةً لاستقراره في نفس اللبنانيين، لا ينشأ إلا بهم، ولا تتم قواعده إلا بما يتم لهم من أسبابها. فهل هي متوفرة فيهم؟ إذا لم تكن متوفرة، فهل يعملون على إيجادها؟

لا نرى في لبنان سياسةً يصلح أن يُطلق عليها اسم السياسة الوطنية. بل نحن لا نرى في كل ما عرفه اللبنانيون من ضروب السياسة سوى سياستين: السياسة الطائفية والسياسة الشخصية.

وكلا هاتين السياستين، من مناقضات الاستقلال، بل هما إذا استمرتا قتلتاه شيئاً فشيئا وفي جسمنا السياسي ما مشهوده منهما.

ومن أسباب الاستقلال، الاستغناء عن الغير، ونحن، مع اعترافنا بحاجتنا في جميع أحوالنا إلى أوروبا، لم نفكر ولا خطر لنا أن نفكر بالاستغناء عنها، ولو ببعض ما نستطيع عمله عندنا؛ لا بل ببعض ما نستطيع الاستغناء عنه، من ضروب الزينة اقتصاداً بما في أيدينا، لأن الفقر لازمة الاستعباد.

فإذا كان الاستقلال هو من مرادفات الاستغناء، فكيف نستغني، ونحن لا نعمل إلا للمادة، وهي كما تعلم قيد في عنق صاحبها؟

كلنا يشكو ذلك القيد.

وهنالك كثير من أسباب الاستقلال، ولكنها في نظرنا فروع لهذه، أو نتائج لها؛ كالاتحاد مثلاً. هو لا يتم ما دامت السياسة طائفية أو شخصية، والجمعيات السياسية وهي لا تتم إذا لم يكن هنالك الزعماء الذين يبذلون لها من نفسهم ومالهم، ومن أين يوجد المال وهو يُحرق ويُبذر؟

أجل، لقد تم لنا اليوم الاستقلال الجغرافي، كدولة صغيرةٍ لها من يحمي حدودها، ويحافظ على الأمن في داخلها. فهو والحالة هذه أساس استقلالنا الآخر. فإذا جاز أن يؤسس لنا غيرنا، فما جاز أن يقيم البناء.

فنحن إذا احتفلنا بيوم أول أيلول، كيومٍ أوجدته فرنسا الأخت والصديقة، فعلى رجاء أن نحتفل به كيومٍ له أثره اللامع.

افتتاحية

البرق، ١٩٢٢، عدد: ١٦٣٤، ص: ١

****

تاريخ لبنان يخص اللبنانيين جميعا

لكل لبناني نصيب من الحمد والذم - متى يسحقون رؤوس الأفاعي

هذه فجائع كموج البحر لا تني تدفع الواحدة الواحدة.

هذه صحفات سود يقرأها التاريخ على الملأ ولا يرحم سمعة ذويها.

هذا لبنان تلعب به أيدي أعدائه لتحط به من شامخٍ إلى سافل.

لنقول عنه إنه يدعي الكفاءة للاستقلال، وهو إذا ارتفعت عنه يد القوة تطاحن بنوه، لا على محمدة يتلألأ لها الجبين، بل على مخزية يستمر معها غضيض الطرف حييا.

لا ويرحمك الله: فما هو بالبلد الفذ الذي يشتمل على البنين الجهلة، وما هو بالبلد الفذ الذي يشتمل على اللاعبين بشرف البلاد من أجل بلغةٍ، وما هو بالبلد الفذ الذي تمثل فيه هذه المآسي.

إن للطائفية فظائعها في الغرب، إن لها فظائعها في كبرائهم يأتونها ولا يسترونها، وحسبك بما حملت إلينا أنباء هولندا مما تشمئز له النفوس وتحمر له الوجوه.

لا وشرف لبنان أن ليس للطائفية يد في هذه المنكرات؛ فهؤلاء أدباء لبنان على اختلاف طوائفهم ما امتزج ماء براحٍ، وكان أصفى من امتزاجهم، ولا تبادلت الثغور الابتسامات وكانت أنقى من ابتساماتهم؛ وكذلك قل عن هذه الطبقة الساذجة التي أخذت من تربة لبنان جودتها، ومن هوائه نقاءها. ولكن هناك فئةً صغيرة هي كالأفاعي تنفث سمومها وتلجأ إلى أوكارها. فمن لنا بنبش هذه الأوجار وسحق هذه الرؤوس.

إننا لنربأ بلبنان أن يشتمل على غير طائفتين، لكل منهما دينها وعملها. وليس الدين الذي نعنيه سوى الوطنية، ولا العمل الذي نعنيه سوى الإصلاح، يقابلهما من الجهة الثانية الخيانة والإفساد.

إننا لنربأ بلبنان أن يشتمل بعد الآن، على غير طائفتين، بعد أن يكون قد لف تلك المذاهب الدينية بمنديل ووضعها باحترام في المعابد. أجل، إننا نريد أن يقوم فينا طائفتان تشتمل الواحدة على المصلحين المخلصين من جميع المذاهب، والثانية على الخونة الأشرار من جميع المذاهب، فتُصْلي الأولى الثانية حربا عواناً[1]؛ حرباً لا تنطفي نارها قبل انطفاء الروح في صدر هذه الفئة الباغية.

أجل إن من واجبنا جميعاً أن نطهر البلاد من الفساد والمفسدين. إن من واجبنا أن نفعل من أجل تاريخ لبنان، والتاريخ لنا جميعا.

ومن أجل استقلال لبنان، وهو لنا جميعا.

ومن أجل ازدهار لبنان وهو لنا جميعا.

بل من أجل كل ثمرة مشتهاة، وهي للبنانيين جميعاً.

فإذا نحن عرفنا هذه الواجبات واعترفنا بها، ساعدنا رجال الأمن على مهمتهم وكانت لنا يد على البلاد كثيرة البركات.

نحن نرجح، بل نؤكد أن اليد القاتلة هي واحدة تقتل اليوم، الدرزي لتثير ثائرة المسيحي، وغداً تقتل المسيحي لتثير ثائرة الدرزي. فمن واجب الفريقين إذن سحق هذه اليد في سبيل التآخي وفي سبيل المروءة.

البرق، ٢٠ كانون الثاني١٩٢٣، عدد:١٧٤٠، ص :١

****

رؤوس أقــلام

لو كانت لي السيطرة على مدارس لبنان، لأمرت بأبيات أمين تقي الدين[1] التي ستطالعونها، أن تكون صلاة الطلبة بُكرةً وعشياً. لعلها تكون شفاء لأمراض الطائفية فيه.

ولكن ماذا قلت؟ أنا الضعيف المسكين تكون لي سيطرة لا يحلم بها مدير المعارف نفسه؟... إن معظم مدارسنا جزر صغيرة في قلب البحيرة اللبنانية، وهي أمنع جانباً من الدردنيل – قبل اليوم – لما قام عليها من رشاشات الامتيازات، ولكن: مالي ولكل هذا؟ فأنا أتمنى – مازال باب التمني مفتوحاً – نعم أتمنى على جميع مدارسنا، أن توجب على الطلبة حفظ هذه الأبيات وتكرارها مراتٍ.

قال الأديب اللبناني:

يا بني لبنان! لبنانَ إذا
ما تباهَيْنا دعَوْناه أَبا
نَسَبٌ شَرَّفَنا بَيْن الأُلى
قِيل عنهمْ يدَّعون النَّسَبا
مَرَّ بالدهر أبونا أمردا
وتمشَّى فيه شيخاً أَشْيَبا
فروى التاريخُ عهدا طيباً
وروى التاريخ عهداً طيبا
نحْنُ للشيخ، بنوه. والوَفَا
أَنْ يرى أَنَّا بنوه، الأَدبا
إنما نحن اختلفْنا بيننا
حين يقضي الفضلُ أن نَعْتَصبا

فـــذهَـــبـــنـــا كلَّ آنٍ مَـــذهـــبـــاً
وركـــبْـــنـــا كلَّ يـــومٍ مَـــرْكـــبـــا
لـــيس فـــيـــنـــا رجلُ الـــشـــعب الـــذي
إنْ دعـــا الـــواجبُ لـــبَّى الـــطَّـــلـــبـــا
إنمـــا الـــشـــعبُ الـــذي أشـــكـــو له
صُـــحُفَ الـــشـــعْب فـــكـــان الـــشَّـــغَـــبـــا
وجـــعَـــلْـــنـــا الـــدينَ فـــيـــنـــا فـــارقـــاً
فـــتـــفـــرقـــنـــا به أيـــدي سَـــبَـــا
ويحَ لـــبـــنـــان إذا داعٍ دعَـــا
فَـــبَـــنُـــوهُ عن بـــنـــيه غُـــرَبـــا
كـــان في لـــبـــنـــان عَـــهْـــدٌ طـــيِّبٌ
رحمَ الـــلـــهُ الـــزمـــان الـــطـــيِّـــبـــا

البرق، ٤ شباط ١٩٢٣، عدد: ١٧٥٣، ص:١

✱✱✱✱

أعيدوا إلى الأقضية محاكمها
تُعيدوا إليها دماءها وحياتها

ماذ ينفع الرأسُ إذا هلكت الأعضاء؟

ليس غير أعمى البصر والبصيرة، مَنْ لا يرى الأضرار البليغة التي لحقت بالأقضية اللبنانية التي حرمت محاكمها، فكانت من قبل ناميةً زاهية، فإذا هي اليوم جامدة جافّة.

وليس غير هذا الأعمى، مَنْ لا يرى أن المحكمة في القضاء هي قلبه الخافق، يتوزَّع منه دمُ الحياة إلى القرى والدساكر، فإذا هو عجز عن أن يُنعِشه فلا أقلَّ من أن يُمسك له بقيةَ رمقه.

وليس غير الصلب الفؤاد، المتحجِّر العواطف، مَنْ لا يُشفقُ على ذلك العجوز المتوكئ على عصاه، القاطع الأميال البعيدة في طريقه إلى المحكمة.

بل ليس غير المتحجر العواطف، مَنْ لا يُشفق على بلادٍ بأسرها أنهكتها الحربُ وأجهزت عليها الأزمة، تنتزع منها محاكمها وهي مشكى ضيمها ومرجع قضاياها؛ فتُضطرُّ إلى تجشُّم المسافات، وتكبد النفقات، وهي بحاجة إلى ساعة قصيرة تُنفقها في طلب الرزق لتستطيع الوقوف على رجليها.

لم نسمع من قبل، ولا روى لنا راوٍ، أن بشريا يبيع قلبه ليشتريَ به إكليلاً لرأسه.

بل إنَّ حكومتنا تفعل ذلك... أفليستْ هذه الأقضية هي بمثابة القلب للبنان، تضنُّ عليها الحكومة بالفلس لتشتري من مجموع هذه الفلوس، درَّةً للرأس الذي هو العاصمة؟

ومِنْ أين يستمد هذا الرأسُ حياته وجماله، إذا لم يكن يستمدُّهما من القلب؟

لقد قلنا في «برق» أمس، إنَّ نفقة دائرةٍ واحدة تكفي لإعادة المحاكم كما كانت عليه من قبل الاحتلال.

وإعادة المحاكم إلى ما كانت عليه، معناه إعادة الدماء إلى الجسم اللبناني.

أعيدوا محكمة الكورة[١] تُنْعِشوا جميع أهل الكورة.

وأعيدوا محكمة البترون[٢] تُنْعِشوا جميعَ أهل البترون.

وأعيدوا محكمة المتن[٣] تُنْعِشوا جميعَ أهل المتن.

وأقيموا لزغرتا[٤] محكمةً ولا تَنسُوا عكار[٥] ! واذكروا المحاكم التي أُلغيتْ في لبنان الجنوبي..... أعيدوا جميع تلك المحاكم إلى ما كانت عليه تُنعشوا الأمة بأسرها.

ولا بأس إذا مَحَوتم من سِفْر هذه الدولة اللبنانية نظَارةً أو نظارتين[٦]. بل لا بأس إذا استغنيتم عن المجلس النيابيَ بأسره، وهززتم أكتافكم لمشروع شورى الدولة.

لقد أكثرتم وضع الألحفة على «الرأس» حتى كاد يختنق، فانزعوا عن هذا الرأس لحافاً واحداً وغطوا به بقية الجسم، فإنه عارٍ والبرد كبرد اليوم، شديد.

أما المجلس النيابي، ويا خجلتاه مما فعله في موازنة ١٩٢٤.

لقد رحم الأفراد وقتل المجموع.... بل هو وقف في وجه الحكومة، عندما قررت إلغاء بعض النظارات، وصرْف بعض كبار الموظفين.

ليت شعري؛ بأيِّ وجهٍ سيقابل هؤلاء النوابُ مُنتَخبيهم، يومَ يقولون لهم: لقد أحييتم العاصمة وقتلتموني، فاذهبوا إلى العاصمة لتنتخبكم، فشأنُكُم غير شأني[٧].

إنَّ النظارات التي حافظتم عليها هي للعاصمة لا لي... وكبار الموظفين الذين جاملتموهم هم للعاصمة لا لي..... والدوائر التي حافظتم عليها وأنفقتهم عليها، هي للعاصمة لا لي.

إن ما هو لي – أنا القضاء الشاسع الذي رفعكم على أكتافه إلى كراسي النيابة – إن ما هو لي، المحكمة التي لا حياة لي بدونها، المحكمة فقط فأين هي؟

إن وقت الحساب أصبح على الأبواب، وسيكون لنا – معاشر الأقضية – مواقف معكم يا نواب الأقضية.

افتتاحية

البرق ، ١٩٢٤، عدد: ٢٠٢١، ص: ١

****

الخيال اللبناني الأسمى

ما هو؟ وأين أثره في لبنان؟ وهل يعرفه أولو الأمر منا؟
في سبيل إنقاذ الجمهورية

ما جاهد اللبنانيون القدماء في سبيل الوطن اللبناني الكبير إلا جرياً وراء ما يسمونه الخيال الأسمى ألا وهو وطن لبناني يتسع لهؤلاء الذين حصرتهم مظالم الأجيال الغابرة بين الصخور الجافة فأقاموا فيها مؤثرين الضنك على أن تمس حرياتهم أو تنال كراماتهم حتى إذا انفتح لهم طريق البحر طاروا من وكناتهم إلى حيث اقتنصوا الثروات وحملوها إلى لبنانهم وحملوا معها ما نراه فيه اليوم من آثار العمران.

وليس ما كان يربط المهاجرين بلبنان ويؤجج في صدورهم لظى الحنين إليه ما تركوه وراءهم من زوجات وبنين، لا ليس هذا الذي كان ولا يزال يربطهم بلبنانهم لأنه ليس أسهل على المهاجر من حملهم إليه، بل الذي كان يربطهم به ويؤجج فيهم نار الحنين إليه هو نشوؤهم تحت سمائه الصافية الحرة، وتمتعهم فيه بالحكم الذاتي وعدم شعورهم بثقل الضرائب التي كانت ترزح تحت أعبائها الولايات القريبة منهم فاللبناني في بيته لا ينفق غرشاً إلا إذا كانت الحاجة ماسة إلى الإنفاق، وإلا إذا اقتنعت العائلة جميعها بوجوب هذا الإنفاق.

ولم يكن ذلك الحرص منهم فطرة فيهم، بل لم يكن إحدى شوائب البخل، ولكنه كان لازمة جدب جبالهم، أفلم تر كيف دفعتهم الحاجة إلى نقل التراب إليها حتى يستطاع زرعها قليلا من الحبوب والكرمة والزيتون سداً لإرماقهم، ودفعاً للمجاعة عنهم.

على أن اللبناني لم يكن ليحتمل كل ذلك الضيق لولا تنشقه ريح الحرية بفضل الحماية الدولية[1]، ولولا تمتعه بالحكم الذاتي أيام كانت الولايات تتحكم فيها الأتراك الحكم المطلق.

ومن هناك نشأ ما يسمونه «الخيال السامي» ألا وهو أن ينتقل لبنان بمثل حاله الأول إلى وطن أكبر يستطيع معه أن يقيم حاجزا منيعا ضد تيار المهاجرة. وعلى ذلك يجد اللبنانيون – قدماؤهم وحديثوهم – وطنا حرا رخيا خصيبا تحل فيه فرنسا محل الدول السبع التي حمته من قبل.

فهل توصل أصحاب ذلك «الخيال» إلى خيالهم.

وهل أحد يجرؤ على القول إن لبنان اليوم يتمتع بمثل حاله الأول؟

وهل نقلنا إلى الأراضي التي عادت إلينا شيئا من تلك المزايا التي كانت للبنان؟

لا... إن معظم الذين يقبضون على أزمَّة الأمور في لبنان الكبير يجهلون ذلك «الخيال السامي» لأنهم غرباء عنه وكيف يدافع الرجل عن شيء يجهله، عن شيء لم تحبل به شعوره.

لقد نشأ معظم هؤلاء السادة تحت حكم الولايات فهم والحالة هذه يجهلون حلاوة الحياة اللبنانية التي تقدم وصفها على ما كان يرافقها من الضنك.

ولقد نشأ هؤلاء السادة أصحاب مهن حرة لا متاجر لهم فهم إذن يجهلون مرارة الضغط التي كان يتذوقها ملاك الولاية وتاجرها بسبب الضرائب مثل جهلهم حلاوة الحياة اللبنانية من هذا القبيل، أما الملاك والتاجر في الولاية فقد كانا ينظران إلى تلك الحلاوة ويشتهيانها، وبهذا وأمثاله كان العاملون في القضية اللبنانية يحاولون إغراء هؤلاء بالانضمام إلى لبنان عن نفس راضية.

لقد انعكست الآية تماما، فبدلاً من أن يحمل لبنان للولاية مزاياه المحببة حملت الولاية إليه مزاياها البغيضة.

فماذا حصل عن هذا؟

– وهل حصل عنه إلا ما هو واقع الآن؟ وهل هذا الواقع الآن إلا نتيجة طبيعية للحال الحاضرة.

إن اللبناني القديم كان يحلم بتوسيع لبنانه على مثل ما كان من قبل مع تحمل شيء من النفقات مقابل ما يحصل عليه من الفوائد.

واللبناني الجديد كان إذا طمع بالانضمام إلى لبنان فللتمتع ببعض ما كان يتمتع به اللبنانيون من قبل.

فما هو الحاصل الآن؟

لبنان القديم ينتحر ...

واللبنانيون الجدد نكبوا فوق ما كانت تنكبهم به الولاية.

فالفريقان غاضبان، والفريقان محقان.

قد يقولون لنا لقد طلبتم إنشاء حكومة نيابية، وهذه الدوائر من لزوم تلك الحكومة. فنقول: أجل! طلبنا حكومة نيابية نستطيع تسييرها بنصف الأموال التي تنفقونها عليها.

أجل لقد طلبنا لبنان على شكله هذا، ولكننا نريد أن يعيش، ونحن نرى أنه لا يمكن أن يعيش مع هذه الحال، فنحن بموقفنا هذا ندافع عن حياة الجمهورية اللبنانية، ندافع عن هذا الخيال السامي الذي حرقنا على هيكله شبابنا ضد الذين يجهلونه ولا يزالون يجهلونه.

البرق، ١٤ آب ١٩٢٦، عدد: ٢٦٣٦، ص:١

✱✱✱✱

لمصلحة من أنشئ لبنان الكبير

هل توجد بلدة أو قرية أو مزرعة في جبل لبنان تقول لنا إنها استفادت من تكبير لبنان؟ ما هي فائدة اللبنانيين من تكبير لبنانهم إذا حل الأرمن محلهم؟ ما أحدثه مقالنا أمس في الأندية اللبنانية الصميمة من الأثر البليغ وما صادفه من الرضى والقبول.

الأمير فؤاد أرسلان يقول لنا إن ٤٠ ألف درزي يمضون في إعادة لبنان إلى ما كان عليه لزوم عقد مؤتمر لبناني يمثل جميع الأقضية اللبنانية وجوالي المهاجرين.

لقد آلينا أن نمضي في الذياد عن الحظيرة اللبنانية وإنقاذها حتى النهاية ونحن لا نذود عنها ولا ننقذها إلا إذا وضعنا أولياء الأمور بين أمرين لا ثالث لهما: فإما أن يعملوا على ما يوطد أقدام اللبنانيين في بلادهم وهذا لا يكون إلا بإنشاء إدارة صغيرة لتخفيف الأعباء عن المكلف اللبناني، ثم بجعل مقدرات البلاد في يد أصحابها ليعملوا على تسهيل عودة اللبنانيين إليها لتعمر البلاد بأبنائها.

ونحن ما دمنا نرى أولياء الأمور سالكين مسلكهم الحاضر الذي يقضي قضاءه المبرم على اللبنانيين في بلادهم، ونحن ما دمنا نرى البلاد اللبنانية تقفر من اللبنانيين لتمتلئ بالأرمن وغيرهم من العناصر الغريبة، ونحن ما دمنا نرى ذلك فسنعمل جهدنا لإنقاذ البقية الباقية من بني قومنا ولا سبيل إلى إنقاذها إلا باستخلاص لبنان القديم من الهوس الذي أخذ به فنرجع به إلى حاله الأولى وهنائه الأول.

لقد خدمت القضية اللبنانية المصلحة الفرنساوية في مطلع الاحتلال خدمات لا تقدر بثمن وخدم اللبنانيون هذه المصلحة بغيرة قد لا تجول في صدور الكثيرين من

الفرنساويين الذين عرفناهم، وحسب الذاكرة أن يرجعوا إلى عام ١٩١٩ يوم طافت اللجنة الأميركية فلسطين وسوريا ولبنان فما وجدت المصلحة الفرنساوية متكأ ناعما لها في الخلافات بينما كانت الدعاية الانكليزية والجانب الانكليزي يقضان مضاجعها في جميع البلدان السورية ومنذ ذلك الوقت تعززت فكرة لبنان الكبير في المفوضية العليا في بيروت ليكون للقضية الفرنساوية مرتكز حصين في الأراضي السورية، ولم يكن تكبير لبنان من مذهب الكثيرين من كبار مفكريه لبعد نظرهم وصدق فراستهم ولكن العاطفة اللبنانية الفرنساوية تغلبت على الحكمة، والثقة تغلبت على المجازفة فقاموا شعباً وصحافة – يطالبون بلبنان الكبير على نحو ما هو عليه، ولم يكونوا ليحلموا من قبل بغير ضم البقاع الغربي ومدينة بيروت إليهم.

إذن فما يقال من أن تكبير لبنان عمل لمصلحة اللبنانيين محض خطأ، وإذن فلا يمنَّ علينا احد بعد الآن بهذا التكبير وقد كان من حقنا أن نمنَّ به نحن لولا أننا نراه أبخس ما وهبناه للصداقة الفرنساوية، فما وهبنا لهذه الصداقة حماية الدول العظمى ومزقنا تحت أقدامها البرتوكول[1]، وخلعنا من أعناقنا تلك الامتيازات الغالية.

ونحن غير راجعين عما قدمناه وغير جاحدين مقابل ذلك نبل الروح الفرنساوي ولا سخاءه على الإنسانية ولكننا لا نطيق أن يمنعنا أحد عن المضي في ما نراه واقياً لكياننا المهدد كلبنانيين صميمين يرون بلادهم تخرج من أيديهم بسبب الفوضى الضاربة أطنابها في دوائرهم الرسمية وبسبب الضرائب التي لا تتحملها طبيعة الجبال القاحلة، وبسبب الحواجز الخفية التى تقطع خط الرجعة على المهاجرين وهم المحور الذي تدور عليه آمالنا بتجديد شباب لبنان، أضف إلى ذلك جلاء المئات والألوف من اللبنانيين في كل عام.

وماذا يفيد اللبنانيين لو خفقت الراية اللبنانية على جميع الشرق العربي وأطلق على سكانه اسم لبنانيين، وهم هم لا أثر لهم في لبنان ولا مصلحة يرجونها منه، أفلا يكون الأفضل لهم ألف مرة لو حفظوا كيانهم الصغير واستمروا على تعزيزه واستقلوا بإدارة أنفسهم على نحو ما يرونه لها كما كان شأنهم في السابق.

بل ماذا يفيدهم اليوم وهم في شر حالتين: اقتصادية وسياسية أما الاقتصادية فهذه التي أجمعت الصحف على ترديدها وأجمع أولياء الأمور على (التمسيح) بها. وأما السياسية أو قل القومية فهذه التي يذوب فيها اللبنانيون في العناصر الغريبة، ولو أنهم ذابوا في الوطنيين المنضمين إليهم لكانوا إخواناً ذابوا في إخوان. أما وهم يذوبون في الأرمن الذين منحوا جميع حقوق اللبنانيين دون أن يكون عليهم شيء من واجباتهم فإن ذلك الذوبان لبلية عظمى هي عفاء العنصر اللبناني قريباً.

وبعد فهل يجسر أن يقول لنا نواب لبنان ولا سيما نواب بيروت والبقاع أنهم يمثلون العنصر الوطني أم هم يمثلون العنصر الأرمني، وليس هذا فقط بل هم اشتروا من العنصر الأرمني نيابتهم وهو منتهى الزراية بالكرامة اللبنانية.

أجل لقد حبل صدر اللبنانيين من هذه الحال، وشرعوا يميزون بين حالهم الأول وحالهم اليوم، فإذا هم نهضوا لإنقاذ الموقف فقد نهضوا لإنقاذ كيانهم المبعثر وإقالة عثرتهم السابقة، ولا نخال فرنسا وقد تمركزت في البلاد تضن عليهم بالمساعدة الكلية للوصول إلى هدفهم، بل لا نظنها تمنع عليهم الاجتماعات التي ستشرب بروح الود لها على كل حال.

ولا ريب في أنه كيف رأى اللبنانيون أن يصرفوا وجه القضية أأعادوها إلى حالها قبل عام ١٩١٤ أم إلى حال غيرها فسيكون لفرنسا موقفها الممتاز عندهم، كما أنهم يأملون منها أن تعطف على فكرتهم هذه لتستبقي لها القلوب التي رضعت حبها منذ مئات السنين.

ولا يغرّن فرنسا ما يسمعه رجالها من بضعة نفر هي التي أوجدت معظمهم من العدم، وهم لم تربطهم بلبنان رابطة من قبل، لا يغرن فرنسا أن هؤلاء يعبرون عن الروح اللبناني السائد اليوم، فإن الذي يعبر عنه حقيقة التعبير إنما هو نحن بدليل ما سمعناه أمس من جميع الذين لقيناهم من الصحفيين اللبنانيين عن وقع مقالنا فى نفوسهم وتأكيدهم لنا أنه الصدى الصادق للأندية اللبنانية أو بالأحرى للحقول اللبنانية، ثم

بدليل ما قاله لنا الأمير فؤاد أرسلان يوم السبت الماضي من أن ٤٠ ألف درزي في جبل لبنان يؤيدون فكرتنا هذه.

ولا نريد أن نستقل بتبعة هذا الأمر بل نحن نقترح أن يعقد له مؤتمر لبناني عام يجمع إليه العناصر اللبنانية كافة، وتمثل فيه الجوالي اللبنانية في جميع المهاجر على أن ندرس هذا المؤتمر في أعدادنا القريبة إن شاء الله.

البرق، ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٧ ، عدد: ٢٨٩٦، ص : ١

****

شقاء لبنان الصغير
بلبنـــان الكبير[١]

ماذا استفاد اللبنانيون القدماء من تكبير لبنان اللهم إلا خسرانهم الامتيازات وإرهاقهم بالضرائب وانتزاع المنافع منهم؟ أين عظمة سراي بعبدا وازدهار سرايات الجديدة وأميون وجزين وكيف أصبحت قبوراً بعد أن كانت قصوراً.

خذوا لبنانكم وردوا علي لبناني

لقد انطفأ آخر أمل للبنانيين ولا سيما اللبنانيين القدماء بالإصلاح وهو عندهم تأسيس إدارة تتناسب مع اقتدارهم وعددهم، فإذا الأمر ما برح توقيعاً وإذا الوعد ما برح تعليلاً.

ولا غرو إذا استشعر أهالي جبل لبنان بالفرق العظيم بين ما كانوا عليه من هناء ورغد في حياتهم المادية ومن عزة وتمتع فى حياتهم السياسية. كيف لا وقد كانوا يجهلون أسماء هذه الضرائب الجديدة التي أخذوا يرزحون تحت أعبائها، وكيف لا وقد كانوا في معقل حصين من حماية الدول العظمى لا تكاد تنزل بهم ملمة بل لا يكادون يتحسسون بضيم حتى تمخر السوابح وتتحرك الجيوش.

إذن فللبنانيين القدماء عذرهم إذا استشعروا الفرق العظيم بين ماضيهم وحاضرهم، ليس من جهة المذلة التي يعانون بعد تلك العزة، وليس من أجل هذه الرسوم وقد كانوا يجهلونها، وليس من أجل خسرانهم تلك الامتيازات التي سيبكون عليها بدم المهج، ليس من أجل هذا فقط بل من أجل بوار قراهم العامرة ومزارعهم الزاهرة، حتى أصبحوا ذنباً لبيروت تستعملهم لهش الذباب عنها، وما قصدنا أهل

بيروت حتى ولا مدينة بيروت بل قصدنا هذه الدوائر القائمة فيها وهؤلاء الرجال القائمين على رؤوسها لا يتحسسون بما يتحسس به اللبناني القديم لأنهم ولدوا بين ذل الولاية وضغط الولاة ثم سكروا بما يترشفون من خمرة السلطان وما تعودوها من قبل، فتغلغل اليأس الى القلوب وكادت تدق أجراس الفوضى لولا الرهبة، مع ذلك لا يصحون من سكرتهم ولو علموا أن للموت سكرة لصحوا ولو قليلاً.

وكيف لا يكون للبنانيين القدماء عذرهم وهم إنما ارتقبوا هذا العهد ارتقاب الساري طلعة البدر، فإذا هم يعوضون من الزيادة بالنقص وكيف يملك اللبناني القديم مشاعره إذا مر في بعبدا وإذا هو دخل سرايها فهاله هذه الوحشة بعد ذلك الأنس وهذا الجمود بعد تلك الحركة، إن سراي بعبدا كانت قصرا تفتح عيناها على قرقعة سيوف الجند وصدحات الموسيقى وصرير أقلام المحاكم فإذا هي اليوم قبر له جميع نعوت القبور.

وما يقال عن سراي بعبدا يقال عن سراي الجديدة، وما يقال عن هذه يقال عن سرايات أميون وجزين والشويفات وأقضية غيرها يوم كانت تضحك في تقاسيمها الحياة، ويوم كنا معاشر أبناء لبنان القديم نأمل أن تكون أشد ازدهاراً وأروع مستقبلاً فإذا الأمر ينقلب إلى عكسه.

أما سراي بيت الدين[1] ذلك الأثر التاريخي العظيم وملتقى رجال الحكومة في صيف كل عام فقد أصبح في خبر كان.

إن الانتداب ليخطىء أعظم الخطأ إذا حسب أن لبنان هم هذا النفر الذي سوَّده رغم أنوف اللبنانيين عليهم، وإن الانتداب ليقصر إذا هو لم يدخل الى مكامن الشعور في صدر الشعب اللبناني (ونريد به أبناء لبنان القديم) ليتعرف الى هذه الثورة الهائلة المشتعلة في قلبه وإلى هذا التطور الغريب الذي طرأ على نفسيته القديمة، وحسبه أن يعلم أن الشعب اللبناني الصميم أصبح لا يرى في عمل الجنرال غورو منحة هو المقصود بها[2] لأنه أصبح يقول على ملأ من الناس «أي فائدة لي من أن يقال عني أني صاحب هذا القصر وأنا لا أملك حتى الدخول إليه، ولا حتى الاستفادة منه اللهم إلا

أنهم يطالبونني بثمن ورواتب أسياده حتى إذا بخلت على الأرض بما يفرضونه عليَّ أعملوا سياطهم في ظهري ولا ينفكون حتى أقطع عن أطفالي غذاءهم وأحمله إلى سادة القصر ممزوجاً بدمي ودمعهم».

إن شعباً هذه حقيقة حاله ما تراه يهمه من حديث الوزارات والمجالس بقيت الوزارة أم استقالت، أظفر الجسر[٣] بالرئاسة أم ظفر بها نمور، أتدخل أسقف في الانتخاب أم لم يتدخل، شعباً هذه حقيقة حاله لم يعد يطيق عليها صبراً، وهو إذا لم يقم على معالجته طبيب عالم حازم لم يكن الذنب ذنبه إذا استشرى الداء بل كان الذنب ذنب طبيبه وقد شكا له علته وأفضى اليه بجميع أعراضها.

أجل لم يعد أبناء لبنان القديم يطيقون صبراً على هذا المهازل التي تمثل وهم يدفعون ثمنها من أبدانهم وأرواحهم. ولقد ذكروا – مع الألم – زمناً كانوا فيه سادة أنفسهم لا يشاركهم أحد لا في سلطانهم ولا في أموالهم، ولذلك فإن فكرة قوية تتمخض وهي أن يجتمعوا في مؤتمر يضعون فيه مطالبهم ثم يحملون هذه المطالب إلى البطريرك الماروني من حيث إنه تولى في بادئ الأمر تصريف القضية اللبنانية ومن حيث إنه مسؤول بنتائجها وهي المحنة التي يعانيها اللبنانيون ولا ينكرها هو.

وغير بعيد أن يدنو اليوم الذي ينهض فيه اللبنانيون القدماء – إذا استمرت الحال على ما هي – ويهتفون بصوت واحد على ملأ من العالم قائلين:

خذوا لبنانكم وردوا علي لبناني.

بشارة الخوري

البرق، ١٩٢٧، عدد: ٢٨٩٥، ص: ١

****

شقاء لبنان الصغير
بلبنـــان الكبير[٢]

نقترح على مفكري اللبنانيين القدماء تأليف وفد يطوف القرى اللبنانية ويضع لنا تقريراً ضافياً يقابل فيه بين حالات لبنان عهد البرتوكول وحالاتها بعده.

المجلس النيابي يتمخض بفكرة لبنان القديم

الأستاذ ابراهيم منذر والأستاذ دموس ورئيس حزب التضامن اللبناني يؤيدوننا في موقفنا.

النائب الدكتور تلحوق يغضب لامتصاص بيروت الملحقات، إما لبنان الكبير وإعادة جميع دوائر لبنان القديم إليه وإما لبنان الصغير كما كان قديماً. لفتة إلى فرنسا نصيرة البؤساء والمستضعفين.

لم يسعد مقال في جريدة بل لم يكن لمقال من صدى في جريدة أشد وأوقع من الصدى الكبير الذى أحدثه مقالنا حول شقاء لبنان الصغير بلبنان الكبير حتى إننا لم نكن نلتقي مفكراً ولا وجيهاً من أبناء تلك البقعة الهانئة في الأمس التاعسة اليوم إلا وحمد لنا فكرتنا أيما حمد وأطرى إقدامنا أيما إطراء وتعهد لنا بأنه سيكون بوقاً صارخاً في تلك القباب والحقول البالية في استنهاض ما بقي من الهمم لاسترجاع الحياة الى من وما بقي في الشقي (جبل لبنان) الذي جنى على نفسه بانخداعه لبوارق الآمال وكواذب الوعود، وسياسة التقلب.

ولا نطلب الى مفكري اللبنانيين من صحافييهم الى شعرائهم الى كبرائهم الحقيقيين – تمييزاً لهم عن كبراء هذه الأيام – لا نطلب إليهم إلا أن يؤلفوا وفداً يطوف البلاد اللبنانية القديمة فيضع فيها تقريراً ضافياً يقابل فيه بين جميع حالاتها عهد

البرتوكول وحالاتها بعده فيقول لنا مثلاً: كم كان عدد سكانها قبل عام ١٩١٨ وكم أصبح اليوم يهاجر منها في السنة وكم كان يعود إليها من المهاجرين.

كم كان يرسل المهاجرون من الأموال وكم يرسلون اليوم.

كم كان فيها من البنايات ويحرث من الأراضي بأموال المهاجرين وكم يبنى ويحرث فيها اليوم.

حتى إذا انتهى الوفد من هذا كشف لنا أسبابها مهما كانت هذه الأسباب موجعة.

ثم ليقل لنا كم كان معدل سعر الأراضي والعقار فيها وكم أصبح اليوم ثم يستخرج لنا الفرق بين أسعار الأمس وأسعار اليوم لنرى جسامة هذه الخسارة وليقل لنا عن أسبابها مهما كانت هذه الأسباب موجعة.

وليقل لنا الوفد كم كان مبلغ الضرائب والرسوم التي كان يؤديها اللبنانيون القدماء وكم أصبحت اليوم وكم هي الطرق التي كانت تشق في العام وكم هو طولها وهل كانت الضرائب تنفق كما تنفق اليوم على فخفخة فارغة ودولة لو مثل الوهم لكان أقرب إلى الحقيقة منها وليحدثنا الوفد عن الخسارة الأدبية والمادية التي لحقت بالأراضي اللبنانية القديمة من جرّاء تنازلها عن الامتيازات وخضوعها للديون العمومية وما أصاب اللبنانيين بسبب هذا التنازل الأحمق عن ثروة ومتعة لو ملكهما أصغر الشعوب لكان في خير حال.

وليحدثنا الوفد عن الجو اللبناني الحاضر والجو اللبنانى السابق، ليحدثنا عن التنفس والضغط والتآلف والتفتت بل ليحدثنا عن الدستور السابق والدستور الحالي وليقل لنا أيهما كان أضمن للسيادة الشعبية، وأطبق على الأماني اللبنانية ثم ليقل عن الإدارة السابقة وما كان فيها من ضبط ودقة وسرعة وعن الإدارة الحالية المضعضعة (إدارة الأوراق والدبابيس).

ليحدث الوفد عن كل ذلك ويبين الفوارق بين كل ذلك ليرى اللبنانيون أية خسارة خسروا وأية خديعة خدعوا ثم ليقل لنا الوفد عما يصير إليه لبنان القديم واللبنانيون الصميمون إذا استمرت الحال عشر سنوات على هذا المنوال. ليقل لنا كم يبقى في لبنان من أبنائه، ومن هو الشعب الذى يرث اللبنانيين ومن يكون غداً رئيس الجمهورية ونواب المتن والبترون وكسروان أسركيس قيومجيان أم أوهانس ابليان.

ليبين الوفد للبنانيين هذه الحقائق السوداء المخيفة الساحقة القاتلة لعل بقية دم تجري في العروق ولعل بقية عقل تقيم في الدماغ، فتستدرك الخطر قبل وقوعه، وتنصب لهذه الصاعقة المنقضة القضيب اللاقف.

ولقد أدرك – والحمد لله – بعض النواب اللبنانيين خطورة الموقف فرأى الدكتور جميل تلحوق أن القرى اللبنانية أهملت وبارت فوقف صارخاً في المجلس على مسمع من مندوب المفوض السامي وأولياء الأمور « إن هذه حالة لا تطاق الى متى تمتص بيروت الملحقات أفكلما قامت مصلحة هناك هدمت وأرسلت أنقاضها إلى بيروت لتضخيم بنائها ».

ولقينا أمس الأستاذين دموس والمنذر فقال لنا الأول إني أصبحت على رأيكم وسوف أصر عليه ولو رجعتم أنتم عنه ثم التفت إلى الأستاذ المنذر وسأله عما إذا كان هو أيضاً من هذا الرأي فقال بالإيجاب. ولقينا أمس رئيس حزب التضامن اللبناني فحمد لنا موقفنا وقال لنا إن حزبه سيهتم بهذا الشأن متى بدأت أعماله وليس هذا فقط فإن هناك دوياً خفيفاً في نفس اللبنانيين أشبه بالدوي الذي يبقيه الرعد في الآذان بعد انقضائه لكنه دوي مستطيل ما زالت رعود السراي الصغير ونريد بها ضرائبها وضرباتها متوالية.

لقد قلنا مراراً إن الذين طلبوا تكبير لبنان فهم إنما طلبوه على نية أن يحملوا الى الأراضي المنضمة إليهم النعم التي كانوا يهنأون فيها فإذا الأراضي المنضمة تحمل إليهم النقم التي كانت تتشوى عليها.

لقد صبر اللبنانيون القدماء طويلاً على هذه الحال ورضوا للمتنعمين بالوظائف استمرار هذا التنعم ببقاء لبنان كبيراً على نحو ما هو الآن ولكن بشرط أن لا تستنزف هذه البهارج وتلك المرتبات دماء اللبنانيين، وبشرط أن لا يصبح لبنان القديم خراباً يباباً، وبشرط أن يعمل على استرجاع المهاجرين لتعمير القرى اللبنانية فإذا في الآذان صمم وإذا الوظائف الكبيرة تخلق محاباة ومساندة وإذا الفلاح يجر السكة بكتفه بدل الحيوان، وإذا الضعفاء يأكلون الزوان بينما الموائد تقام في كل مكان من أموال هؤلاء الضعفاء أنفسهم فمن يطيق هذا إلا إذا كان حجراً أصم، أو حيواناً أعجم.

لقد قلنا لهم خفضوا ١٥ في المئة من مرتبات الوزراء والنواب والمحافظين ورؤساء الدوائر.

وقلنا لهم أعطونا وزارات أربع على الأكثر.

وقلنا لهم أعطونا مجلساً مؤلفاً من ثلاثين على الأكثر.

وقلنا لهم لا تعطوا الموظف أكثر من معاش واحد.

وقلنا لهم اجعلوا المحافظين على درجة واحدة فلا يتناول أحدهم المئة ويتناول الآخر الخمسين.

وقلنا لهم عودوا بنا إلى التنظيم الإداري الصحيح الذي كان للبنان القديم فتقتصدوا بثلث الموظفين وبثلثي الوقت وتوفروا على طلاب المصالح أموالهم وأوقاتهم.

ثم قلنا لهم إننا معاشر أبناء لبنان القديم نصر كل الإصرار على أن تعود جميع الدوائر والمحاكم التي كانت لنا قبل تكبير لبنان إلى ما كانت عليه فإنها دواء قرانا ومبعث حركتها الاقتصادية وسبب نهضة أثمان أملاكنا.

قلنا لهم كل ذلك فقالوا لنا بسكوتهم موتوا فلا رحمكم الله.

وقالوا لنا بأعمالهم نحن وإخواننا وبنو أعمامنا وكل نطفة تنتسب إلينا قهرناكم على هذا الملك نعمل فيه ما يطيب لنا فإن حركتم ساكناً قتلنا أرواحكم في صدوركم

وأقمنا في وجوهكم الزحافات تحمل النار والحديد، فأطرقنا رهبة للقوة ولفتنا وجهنا – نحن معاشر اللبنانيين القدماء – جهة فرنسا وقلنا لها والدموع ملء عيوننا والأحزان ملء قلوبنا: يا أم الحرية! ويا قوة المستضعفين ويا نجدة المقهورين على حقوقهم: بالوفاء الذى عرفته فينا، وبالضحايا القديمة والحديثة التي قدمها كل منا للآخر أعيدي علينا لبناننا الصغير وهناءنا الصغير وسيادتنا الصغيرة.

أعيديها إلينا فتبقي في هذا الشرق ذلك الخمير الذي فعل ويفعل فعله العجيب في نفوس أبنائه لحبك وعظمتك.

بشارة الخوري

البرق، ١٩٢٧، عدد: ٢٩٠٠، ص:١

****

لا تجوروا على الأطراف
وتحافظوا على الرأس

لا نوجه خطابنا الى فخامة العميد فهو منشغل عن لبنان بسوريا ولا تحمل بطيختان في يد واحدة، إذن فنحن نوجه خطابنا الى الأستاذ إدة[1] الذى علق عليه لبنان آماله، وما هدأت تلك الثورة التي احتدمت على عهد الوزارة الخورية[2] ولا سكتت الصحف بعد ذلك الصخب إلا على رجاء إنقاذ الموقف بعمل مجاني كبير تستريح إليه النفوس وتطمئن إليه الخواطر.

يجب أن يعلم الأستاذ إده أن الأمر الوحيد الذي وطد له الثقة في نفوس اللبنانيين هو ما اعتقدوه فيه من الإقدام على جلائل الأمور، والإقدام على جلائل الأمور في عرف اللبنانيين هو محاسبة كبار رجال السراي عما يتناولون من مال الدولة غير مراعٍ في ذلك مقاما، ولا عاصم منه أحداً.

ويجب أن يعلم الأستاذ إدة أن لمعانه في سقوطه وهو يقارع الرؤساء عما يغرفون للترف اليوم، وعما يكنزون للترف غداً في حين أن الشعب نسي شكل الرغيف لطول العهد به، أجل يجب أن يعلم الأستاذ إدة أن لمعانه في سقوطه وهو يقارع في سبيل اللبناني البائس لهو أبقى على الدهر من بقائه وهو يحاول جر الإصلاح بملقط صغير.

نحن لا نقول للأستاذ إدة أن قف مشاريعك في القضاء والإدارة برغم ما فيها من التضحية بكثير من البيوت، ولكننا نقول له اجعل عملك في أطراف البلاد وعملك في العاصمة على قدم المساواة فلا تسحق الضعيف الصغير لتزيد في ترف القوي الكبير، بل إذا اضطررت الى هدم الكوخ في القرية فلا يجب أن تقف عن هدم شرفة القصر في المدينة.

من المسلم به أن إغلاق المحاكم في القرى والاستغناء عن عشرات الموظفين في

الدوائر على ما فيها من تعميم الضائقة لا يأتي بمثل الفائدة المالية التي تنتج عن تعديل قانون التقاعد وإنزال مرتبات الرؤساء والوزراء شيئاً في المئة وإلغاء التعويضات جميعها، والاكتفاء من السيارات بسيارة لرئيس الجمهورية، إلى آخر ما هنالك من الزوائد التي إذا قطعت عن أصحابها يستطيعون أن يعيشوا بما يبقى لهم من الأصول إذا لم يكن (بالزنطرة) التي يظهرون بها اليوم فبكثير من السعة التي لم يألفوا خيالها قبل هذه الأيام.

لقد لمس رئيس الوزراء هذه الأيام بؤس البيوت اللبنانية ورأى بعينه دموع أرباب العيال يتلمسون الرغيف عن طريق الوظيفة فلا يجدونه، أفيجوز ضميراً أن يموت هؤلاء شقاء وجوعاً في حين أن باحة السراي تكتظ بسيارات الرؤساء والوزراء والأقوياء وهي عصير هذه القلوب المنسحقة التي مثلت هذه الأيام في حضرة الأستاذ الرئيس.

وإذا كان الشعب اللبناني شعباً أليفاً مسالماً لا يعرف أن يثور أفليس في أفراده ونابغيه والأستاذ إدة في طليعتهم من يعرف أن يثور في سبيل العدل وفي سبيل الإنسانية.

عندما قلنا في لبنان مجاعة أنكروا علينا القول، غير أن رئيس الوزراء نفسه شهد هذه المجاعة الخرساء التي تعض العائلات المستورة من الطبقة الوسطى، تلك العائلات التي تؤثر أن تفنى عن آخرها دون أن تظهر بمظهر المحتاج، تلك العائلات التي تطوف بأبنائها على الدوائر الحكومية فتراها مقفلة وتطوف بها على البيوت التجارية فتراها مقفلة، وتطوف بها على شركات الاستثمار فتراها مقفلة، فتصور رجوع أرباب هذه العائلات الى بيوتهم مخفقين، وتصور موقفهم بين نسائهم وأطفالهم وهم في مثل هذا اليأس الخانق.

قل لي بربك ماذا ينفع هذه البيوت الجائعة أكان لها جمهورية أو لم يكن، أكان لها وزارة أو لم يكن، أكان لها مجلس نواب أم لم يكن، أفنلومها بعدما رأت من إرهاق الوضع الحاضر وجشع رجاله إذا هي لجأت الى ممثل فرنسا بإنزال الستار على هذا

المرسح الى أن تستعيد البلاد انتعاشها الاقتصادي.

ولكن البلاد انتظرت الأستاذ إدة وعلقت آمالها على الأستاذ إدة وقد رضي الأستاذ إدة أن يأخذ على عاتقه مهمة الإنقاذ فماذا تراه فاعلاً؟

إن الأستاذ إدة لا يستطيع أن يفعل شيئاً إذا لم يدعمه اثنان هما رئيس الجمهورية ومندوب المفوض السامي.

وإذا كان لا بد من ركوب الديكتاتورية الى الإنقاذ فأحبب بها مركباً.

أما أن نبقي هذا الرأس الضخم فى سراي بيروت بوزاراته الست ونوابه الأربعة والأربعين وما ينبت على جذوعهم من الطفيليات ثم نعمد إلى رجليه فننحتها حتى تصبح كالخنصر وإلى جسمه فنضغطه حتى يصبح كالرق فإننا ننتقل من قزم قبيح إلى قزم أقبح ومن عيش عسير إلى عيش أعسر.

بشارة الخوري

البرق، ٢٨ تشرين الأول ١٩٢٩، عدد:٣٢٨٨، ص:١

****

الديموقراطية وشاهدنا عليها

- الإنصاف الضائع - وعد سمو الأمير للجمعية اللبنانية في باريس - حق لبنان في تقرير مصيره.

لم نكن لنهتدي إلى العلاج الشافي؛ ضاعت الملطِّفات، وهدرت المراهم، والمريض لا يزال على حاله، حتى بتنا نخاف أن يشتد به الداء ويمشي به إلى الفناء.

نحن إذا عمدنا إلى الصراحة قالوا: إنك تَجرح العواطف وتثير الكوامن، وإذا نحن عمدنا إلى التلميح قالوا إنك لا تشفي عليلا، ولا تنفع غليلا.

حِرْنا وحار القارئ على السواء. كيف لا، وقارئنا اعتاد الحياة الديموقراطية والفكر الحر، ولكن الوسط الذي نحن فيه لم يعتدهما، فلْنُسَمَّرْ ولْيُسَمَّر القارئ في مكانه، إلى أن يعتاد الوسط تلك الحياة، وهذا الفكر، ولا بأس! لا بأس أن نخطو في سبيل الحياة خطوة واحدة في كل قرن...

نشرنا مقالةً في العمر أُفْعِمَت[1] من الفكر الحر والروح الديموقراطي؛ أُفعمت مُرَّ الحقائق التي لا تُدحض؛ أفعمت منها ومن أدب الكاتب معا. وها قد مضى الشهر تلو الشهر، ولا نزال نُرمى بأننا أنغرنا[2] الصدور ولم نقصد بها - والله شهيد - إلا خدمة الحق، وخدمة البلاد.

أجل إن المجموع الذي نحن فيه، لا يزال متأخرا عن الفئة المتعلمة، متأخراً كثيرا؛ فإ ذا اضطرت هذه الفئة أن تساير هذا المجموع بأفكاره، أن تمشي إلى جنبه، وتُسَخِّر أقلامها ومعارفها لأمياله وتقاليده، فأية فائدة لتلك الأقلام وهذه المعارف؟ خَيرٌ لها أن لا تكون مِنْ أن تكون على حالها هذه! خير لها لو ظلت تلعب والنسيمَ على ضفة النهر.

أمامنا أقاويل كخيوط العنكبوت، إذا عصفت بها ريح الحقيقة عصفةً مزَّقتها تمزيقا. وسكتنا تجاه هذه الأقاويل لا إقراراً ولا تصديقاً، ولكننا سكتنا حتى لا نرمى بما رُمينا به من تهمةٍ نبرأ إلى الله منها.

يقولون إننا ندعو إلى الحياة الديموقراطية، والحكومة الديموقراطية.

فما هي هذه الديموقراطية إذا لم تلبس الحرية دثاراً، وتتخذ الجرأة الأدبية مناراً؟ بل ما هي هذه الديموقراطية التي ينشدونها إذا نحن لم نجسر أن نوجه إلى الكبير انتقاداً، مهما التزمنا جانب الأدب والاحترام فيه؟؟؟

يقولون: نريد أن نجاري الغرب؛ يقولون ذلك وهم يرون فتكات الأقلام في رؤساء حكوماته، وكبار زملائها؛ يرونها كيف تنتقد، وكيف تخاطب، وكيف تُكرم، وكيف تُحقِّر؛ ثم إذا حاول أحدنا أن ينبه إلى تقصيرٍ عندنا، قامت عليه القيامة، كأنه انتهك قدس الأقداس وجاس سدرة المنتهى.

لا ! لقد سبق القلم إلى التشاؤم مُرغما.

لا ! فإن الروح الديموقراطي تربع في الصدور. ومهدت العلوم العصرية في الرؤوس مقاماً للحرية.

لقد قال سمو الأمير[٣]، أعزَّه الله، في إحدى خطبه النفيسة:

«استقلالنا أولاً، وبعد، فالمساومة على المساعدة»

ونحن – معشر اللبنانيين – نريد أن نستسنَّ سُنَّة الأمير وننهج نهجه؛ نريد أن نقول على نحو ما قال: «استقلالنا أولا وبعد، فالمداولة في الصلة».

لقد نقل إلينا بعض أعضاء الجمعية اللبنانية في باريس، قول سموه لهم، ذلك القول المملوء بالروح السامي والحرية الجميلة.

لقد قال: «اطلبوا استقلال لبنان وأنا أساعدكم عليه وعلى توسيع حدوده، وعلى كل ما يعود عليكم بالرغد والهناء».

ولم نُكبر ما نقله إلينا إخواننا في باريس ونحن أعلم الناس، بما في صدر الأمير من الحب للبنان وأبناء لبنان.

وها نحن نطلب استقلال لبنان، ووعد الأمير مُنجَزٌ!

قالوا إن قلب سوريا يتحسس بروح الفتح، وهي إنما تمد يدها للوحدة الاقتصادية، إذا مد لبنان عنقه للوحدة السياسية.

أجل، لقد قالوا ذلك. ولكن قولهم يحتاج إلى برهان!

وقالوا: ما ضرَّ سوريا وهي القائلة «إن لبنان بمنزلة العين واليد مني» لو تركت له استقلاله السياسي، وارتبطت به العروبة الاقتصادية؟ ما ضرها، وهو يرى سوريا أعز من روحه، يتوقف نُموه على نموها، وازدهاره على ازدهارها؟ ما ضرها، وهو يبسط من موانيه أيدياً تستقبل الصادرات والواردات، إذا كانت المسألة الاقتصادية هي الأصل في التوحيد؟.

وعندئذٍ لا تعمل سوريا على قتل لبنان إذا صدقت دعوى المحبة، ولا نُضطر أن نقول (وقتلوا ملكا معي).

إن الحب الصحيح هو الحب الذي يجلُّ عن المساومة، وهذا لا يتجاوز الوحدة الاقتصادية بعكس الوحدة السياسية التي تشف عن روح السيادة، شف الثوب الرقيق عما تحته.

«يقولون: إن للشعوب الحق في تقرير مصيرها ومستقبلها» فإذا كان ذلك كذلك، فلماذا يُمنع شعب لبنان من تقرير مصيره؟».

إن لبنان كان ولا يزال، قطعةً مستقلةً له حكومته، وله ماليته، وله امتيازاته، وله حقوقه في سجلات حكومات العالم المتمدن. فكيف يريد إخواننا هؤلاء أن يترك لهم كل ذلك، ولا يمهلونه ليرى ما سيكون من شأن حكومتهم الجديدة، وعندئذٍ لا يصعب عليه أن يعانق سوريا، تضمه ويضمها سياسياً، بعد أن تكون ضمتهما الوحدة الاقتصادية، والأمور مرهونة بأوقاتها.

افتتاحية

البرق، ١٩١٩، عدد: ١٤٠-٦٥٠، ص: ١

****

ومـــن لـــم يـــــذد
عن حوضه بسلاحه... يهدم [1]

سكتنا حتى أصبح السكوت عبئاً. ولو أنصفونا لقالوا: أبيٌّ يأنف التسفُّل إلى الصغائر، فلا يستعد لمناوأة الخصم سوى بكلمات لا تستخف ولا تنبو.

عجباً لهم! أوَ كلُّ الجرائد التي تُماشي الانتداب، هي مشتراة؟ حتى الغنية بمادتها والغنية بأدبها؟

ذلك ما كتب به مراسل جريدة «الاستقلال» التي أحياها جبرائيل بك تقلا[2] إلى جنب جريدة «الأهرام»؛ أجل ذلك ما قاله عن معظم الصحافة البيروتية.

وكان من قبله ضرب على هذا الوتر فريق من الجرائدية الصفر، هزأنا بأقوالهم لما نعلم من سابقاتٍ لهم صرفوها بين خفض و «نصب».

ولكن هل لتقلا بك أن يقول لنا، لماذا بعث «بالاستقلال» من قبره، وهو نفس الأهرام حرفاً وشكلاً، اللهم إلا ما خصص منه لمناوأة الانتداب الفرنساوي، مقابل ثمنٍ ينقده من دعاة الحجازية[3] وهم كثر؟

ولقد عُرف عن «الأهرام» نفسه أنه ماشى السياسة الانكليزية؛ فكانت هذه المماشاة سُلَّماً إلى الثروة التي جمعوا. لقد عرفنا ذلك، فقلنا لبنانيان لم يكن لهما وطن في ذلك العهد، فخدما نفسهما وجعلنا لهما مخرجا.

أما ولصاحب «الاستقلال» ثروته، وله تربيته وله عرقه اللبناني، فكيف يجوز له أن يضع هذا السلاح في يد خصوم ذويه، مهما بلغ الثمن ومهما بُولغ فيه.

صدر «البرق» على أثر انجلاء الترك، ثم أقبل الفيصليون[٤]، ثم تلاهم الإنكليز، وللبرق نزعته اللبنانية لا يرضى عنها بديلا.

وكان «البرق» عرضة للتجارب، فبذل له عن سعة رغبة استمالته، لا سيما ولم يكن هناك غيره جريدة لبنانية لها روحها السياسي، يتألب حوله شعب بأسره، ولكن «البرق» انتصرت على التجارب إلى أن ماشت الفرنساويين.

أجل، لقد ماشت الفرنساويين بعد أن عاهدوها، وعاهدوا قومها على استقلال لبنان بحدوده الطبيعية، ثم السير به إلى الاستقلال السياسي القائم على السيادة اللبنانية، كما هو مبين في الوثيقة التي رفعها الصحافيون، إلى اللجنة الأميركية وقد أنشأها يومئذٍ صاحب «البرق» نفسه.

وكانت «للبرق» منذ ذلك اليوم، مواقفه. فكان الجريدة الوحيدة التي تقول باستقلال لبنان مع الانتداب الفرنساوي، وكانت الوحيدة بين عشرات الجرائد الأخرى تتلقى وحدها السهام داميةً، وتردها الى راشقيها بعد أن تنزع منها الحديد.

وكيف يليق بنا أن نعقَّ الفرنساويين، ونحن وكل لبنان يعلم أن لبنان الكبير ما قام إلا بالمال الفرنساوي، ثم بالدم الفرنساوي؟

وكيف كان يمكن «البرق» أن يكون على غير ذلك، ولا تنكره جماعته ويبرأ منه إخوانه، لا سيما بعدما أثار دعاة الأمير فيصل، أو بالأحرى دعاة الإنكليز، العاطفة الدينية في قلوب العامة حتى عمت المخاوف، ثم زاد في الطين بلَّة سياسة العصابات والتقتيل الذي جرى في الجنوب والشرق، مما جعل الأقليات أين كانوا يرتقبون منقذاً كائناً مَنْ كان؟

وكيف نُلام على الاعتراف بحاجتنا إلى الانتداب، وهذا الأمير فيصل في الأمس، على جليل قدره، كان مِنْ أكبر دعاة الانتداب الإنكليزي؟ فلقد روى لنا بعض الصحافيين الدمشقيين أنه عندما قدمت اللجنة الأميركية عام ١٩١٩ أقام لهم مأدبةً ونقد كل واحدٍ منهم مبلغا من المال، محاولا إقناعهم بأفضلية الانتداب الإنكليزي.

لقد كنا حقيقة من الذين باعوا نفوسهم، لو أننا خالفنا تقاليد الأمة التي ننتمي إليها، أو أننا ماشينا إحدى الدول التي يذكرها اللبنانيون، ولا سيما نصاراهم متى ذكروا مذبحتهم الأخيرة ومذبحتهم الأولى، أو أننا اعتنقنا في حياتنا السياسية سوى مبدأ واحد، هو تكوين قوميةٍ لبنانية، مستندين لضعفنا إلى ذراع يساعدنا عليها.

ليغضب علينا من يحلو له الغضب؛ فحسبنا رضى الأمة التي نحن منها، علينا. وهذا رضاها ظاهر بإقبالها على «البرق» حتى لَنُعدُّ أكثر الجرائد انتشاراً. وما كنا لنرتكب هذه السماجة في المباهاة، لولا أننا نُريد أن نُعزز البرهان بكل محسوس.

لقد سمعنا أن الأفراد يرتشون، ولكننا لم نسمع شعباً بأسره يرتشي.

فقد طلب اللبنانيون الانتداب، وردَّدنا نحن صدى ذلك الطلب. فإذا كان هنالك من ذنب ولا نخاله، فهو ذنب الأمة.

على أن الأمة[٥] اللبنانية، – وفيها كبار مفكريها، وكبار قادة الجماعة فيها – أدرى بمصلحتها من أفرادٍ طرحتهم مطارح النوى كل مطرحٍ، فكتبوا إما حسداً وإما جهلاً، وإما لمآرب لا تخفى على البصير.

على أننا لَنربأُ بمَنْ كان لهم بقية احترام في نفوسنا، أن يجازفوا بكرامتهم، فيلقون الكلام على عواهنه.

وكيف يتهموننا وهم أولى بالتهم منا لأنهم يماشون دولةً لم تصادق بغير المال[٦]، ويقتفون مبدأ لا يتفق مع مبدأ الجماعة، فضلا أن لهم في المساومة على الأقلام والمبادئ شهرة تملأ الخافقين[٧].

البرق، ١٩٢٢، عدد: ١٥٨٤، ص: ١

****

١٤ تمـــوز[١]

كان للإنسان حق ضائع، بل حق مغتصب، فاهتدت إليه رؤوس الأسنة وكرات المدافع.

وكان طريقه النجيع الأحمر، نُثرت عليها الجماجم.

كانت التيجان مستمسكةً بالرؤوس، فكفت ضربة من الشعب الفرنساوي حتى تقلقلت في الهامات، ثم تدهورت عنها؛ وكفت ضربة حتى ساوى القانون بين الملك والرعية.

لا ميزة إلا للعقل، ولا مكافأة إلا للعمل، ذلك هو فضل ١٤ تموز على العالم.

فمن أجل هذا التاريخ اللامع في سماء المجد، آثر الشعب اللبناني صداقة فرنسا.

ومن أجل أنها نثرت الحريات على العالمين: الجديد والقديم، اختارها لتغذِّي حريته.

ومن أجل أياديها البيض، في الليالي السود، وثق بها عهوده.

فإذا هو أحبها، فللحرية نفسها. وإذا هو آثرها على غيرها، فلأن أرواح أديانها[٢] لم تترك في قلبه فراغاً لسواهم.

هو ذا تذكار ١٤ تموز في لبنان، مثله حتى في فرنسا نفسها، رايات خافقة، وجوارح خافقة، وثغور تبتسم للآمال.

فإذا كان لـ ١٤ تموز بركته في أميركا[٣]، وبركته في اليونان، وبركته في كل مكان تحرر بعد رقٍّ، فله أيضا بركته في لبنان وما يوم أول أيلول[٤] سوى وليد ذلك اليوم.

فباسم الشعب اللبناني نرفع للشعب الفرنساوي ولحكومته المعظمة أصدق التهنئات، ويتلطف المندوب السامي فخامة الجنرال غورو بأن يبلغ ذلك عنا: فليحيَ ١٤ تموز

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٥ تموز ١٩٢٢، عدد: ١٦٠١، ص: ١

****

أطائفيــة؟

يا للعار - ويا للخسار

دعونا أمس إلى توحيد قوى الشبيبة على اختلاف مذاهبها ونريد بالمذاهب هنا المذاهب السياسية لأننا لا نرضى أن يسجل علينا التاريخ هذه المذمة ألا وهي التفريق الطائفي في عصر انطوى على أعظم نهضة شرقية خرجت بشعب كالشعب التركي من مجاهل التقاليد البالية إلى معالم المدنية الصحيحة.

وإنه ليخلق بكل ذي مروءة وطنية أن يطوي إلى الأبد هذه الطائفية الممزقة المبددة فهي كالمعاول تعمل في أساس الألفة وتفت في ساعد القومية وتجيء على جميع المصالح العامة لا تستثني مصلحة طائفة ولا مصلحة فرد بل يسقط الجميع تحت ريحها ويؤدي الجميع ثمنها من دمهم ومالهم وكرامتهم وقد رأينا العبر في نفوسنا، ولكن من البلية أننا لم نعتبر.

لقد صفعنا المسيو دي جوفينيل[1] منذ حين صفعة توازي فناء أمة بأسرها ذلك يوم قال: إنني أحمل لكم كل الحريات ما خلا حريتين إحداهما فناء بعضكم بعضاً بحرب دينية.

فلقد وددنا والله أن تسيخ الأرض بكل من في لبنان وسوريا، من شيخها البالي الى طفلها الرضيع ولا تعلق..... بنا هذه الوصمة التي لا تسلم معها كرامة شعب ولا يصح معها الدليل على كفاءته لما هو راغب فيه من سيادة.

ولقد كنا نؤمل أن ننهض جماعات وأفرادا إلى محو هذه الوصمة التي جناها علينا بعض إخواننا فإذا نحن نتوغل في حمأة الطائفية، وإذا نحن ننشر أعلامها وإذا نحن ننفخ في أبواقها.

والله لو أن في أعماق هؤلاء المتوغلين الناشرين النافخين ذرة من عقيدة طائفية لقلنا إن للعقائد احترامها أما وهي رقوة المصلحة أو تعويذة الوظيفة فيا للخسار ويا للعار.

أفأمَّة كبيرة تجرح كرامته من أجل مصلحة زيد أو غرام عمرو، – والأمة ترضى بشيبها وشبانها، بعقلائها ومفكريها، وبكل نابض فيها.

لقد كان يهون علينا أن تصاب جسومنا وتسلم أعراضنا وعقولنا، فما بالنا أصبحنا يهون علينا ما لم يكن يهون من قبل.

لقد أشرنا أمس إلى الخطر الداهم إلى الدستور الذي يستقل بوضعه المجلس النيابي وخشينا أن تكون الطائفية هي إحدى أسسه ثم علمنا أن خشيتنا في موضعها وأن الدستور سيكون طائفيا لا للطائفية ولكن لإشباع أهواء المتاجرين بها، الخاطبين لوظائف باسمها.

مسكين هذا الشعب. غداً سيرهق[٢] فوق إرهاقه بوزارات سبع. وبمجلسين ضخمين... – وسيرهق فوق ذلك بنظام طائفي سيجعله إلى الأبد عبد الشقاق والشقاء.

ومع ذلك فالشبان سكوت وهم كما قلنا أمس أُساة هذه الأمة.

قرأت في صحف أمس دعوة إلى تأليف الأحزاب السياسية وقد قلنا مرارا إن الأحزاب السياسية هي التي تقتل بها الأحزاب الطائفية ولكن هذه الأحزاب لا تعيش إلا في حكومة دستورية كل الدستورية لا دستورية مرقعة كما نخشى أن تكون.

ولكن هذا لا يمنع من اجتماع المفكرين من كل الطوائف للتعاضد على إخراج دستور يليق بكرامة الأمة ويساعد على إنمائها ويؤلف بين قلوبها – ويمهد الطرق لنيل جميع الرغائب.

البرق، ١٩٢٦، عدد: ٢٥٥٤، ص: ١

****

السياسة

لعنة الله على السياسة

لا يلعنون السياسة عبثاً، فلهم براهينُهم على أنها تستحق لعناتهم.

ولكن، قبل أن تضم إليها لعنةً جديدةً نود أن نعرف ما هي.

إنها في الأصل، حُسن القيام على الشيء، أو قل: إنها حسن التدبير. إذن ولدت طاهرةً بريئةً ولكنها – ويا لسوء حظها – عندما تعرفت إلى البشر.

كأن يقال: ساس الطفل وساس البيت وساس الرعية، فيستفاد من قولهم، عناية بالطفل لينمو، وبالبيت ليعمر، وبالرعية لترقى.

هكذا كانت السياسة!

وجدت الشجرة لتقي مستظليها حرارة الشمس، ولتفرح القلوب بأزهارها، ولتشبع المِعَد بأثمارها، ولتدفئ المقرورين بحطبها.

فما ذنب هذه الشجرة إذا جعلوا منها قبضة سيفٍ، وخشب بندقية؟!

وهكذا السياسة لا ذنب لها إذا صيرنا خيرها شراً، ونفعها ضراً.

من ذا الذي لا يستعمل السياسة بمعناها الآخر؟؟ وأريد بمعناها الفاسد الضار؟!

فتَّشتُ كثيرا... لعلي أهتدي إلى ذي نُطقٍ كان في نجوةٍ منها فما وجدته. من ذا الذي لا يُلبس الكذب ثوب الحقيقة، والجور ثوب العدل، والقسوة ثوب الليونة، والرياء ثوب السذاجة؟

استعرض طبقات الناس: من الحكام، إلى الرؤساء، إلى التجار، إلى الصحافيين، إلى المحامين، إلى الكهان، إلى إلى...

استعرض جميع الطبقات وقل لي – إذا استطعت – إن (السياسة) ومعناها جر الربح عن طريق الأذى، غير موجودةٍ أو غير ذات أثر.

وهذه الدواهي التي نتجرع سمومها – معاشر أهل البلاد – أليست نتيجة السياسة؟!

أفما التفريق بين قلوبنا، سياسة؟ أفما الضائقة التي نعاني، سياسة؟. أفما القتل الذي يقع والعمار الذي يدمر، سياسة؟ أفما إهاجة الخواطر وإثارة النعرات، سياسة.

وليس للسياسة مهب واحد. فقد ينفخ ريحها من وراء البحار، ومن رجال الأموال، ومن سرادب المعابد، ومن مكاتب رجال الأحكام، إلى آخر ما هنالك إذا كان هنالك آخر.

وكثيراً ما تكون السياسة زجاجةً من السُّمِّ المُعطَّر.

وكثيراً ما تكون بغيًّاً في ثوب عذراء.

وكثيراً ما تكون نفاقا في سُبحة المُصلي.

وكثيراً ما تكون بسمة الخنجر المصقول.

وكثيرا ما تكون... وكثيرا ما تكون.

فلعنة الله على السياسة، وأحاذر أن أقول: على السياسيين.

البرق، ٢٨ شباط ١٩٢٦، عدد: ٢٥٤١، ص:١

✱✱✱✱

دستور البلاد عنـوانهـا

بعض أعضاء المجلس يجهلون خطورة العمل الذي انتدبوا له - العالم يتطلع إلينا - لا طائفية في الدستور - فعل مصطفى كمال لا قول نابليون، الطائفية عار الأبد واستعباد الأبد.

نرى من أقدس واجباتنا أن لا نقف سكوتاً تجاه ما يسمونه القانون الأساسي الذي يستقل المجلس بوضعه، وعلى مسؤوليته؛ والذي - لسوء الحظ - يجهل بعض أعضاء المجلس، مبلغ التبعة التي وُضعت في أعناقهم. فإما أن تحمل لهم بركة الأبد أو لعنة الأبد .

أجل، إن بعض أعضاء المجلس يجهلون خطورة هذا الأمر، فهم لا ينظرون إليه من حيث هو أساس لحياة أمةٍ توّاقة إلى النهوض، بل ينظرون إليه كعلاج مسكِّن للأهواء، كفيل بالإرضاء، جاهلين أن الدستور من الأمة كالأساس من البنيان، وأن البنيان لا يكون قوياً ولا يعيش طويلاً إلا إذا كان أساسه راسخاً متيناً خالياً من العيب.

إن سوريا، بل إن لبنان المهاجر، بل إن العالم الذي يهمه أمرنا يرسل إلينا نظر الناقد المترقب، وهو لا يلبث أن يلفظ حكمه لنا أو علينا، عندما يطّلع على الأساس الذي نُشيد عليه بنايتنا الوطنية. فإذا كان هذا الأساس على نحو ما يريده معظم أعضاء المجلس أن يكون، فلا كان لبنان ولا كان الدستور.

يريدون أن يقيموا أساساً طائفياً، وأن يشمل هذا الأساس حتى الوظائف: إدارية وقضائية؛ أي يريدون أن يرجعوا بنا إلى نظام لبنان القديم. أي يريدون أن يَسُمّوا البلاد بهذا الروح الخبيث فلا تُشفى منه إلى أبد الأبيد.

ويقولون إن البلاد لا تزال خاضعةً لعنعنات الطائفية، مأخوذةً بنفوذها، وإن الوقت لم يحن بعد لاقتلاع هذه الجرثومة... إن الوقت لم يحن بعد... فهل سُمع بأسخف من

هذا القول؟ وهل إذا كان الوقت لم يحن بعد، نقوم نحن – المُنكرين الطائفية، المُقبحيها – فنحفر خندقاً في قلب دستورنا حتى نزيدها تمكينا؟

سوف لا نجادل أنصار الطائفية في هذا المقال، بل نرجئ الجدل إلى ما بعده، فقد يطول بحثه. ولكننا نريد أن نعلن براءة موقف المقاطعين الذين أبوا أن يشاركوا المجلس في أمر لا يستطيعون معه أن يُعدّلوا أو يُرجّحوا مادةً أو يبطلوا حرفاً من الناموس الذي يضعه المجلس الكريم.

يقول رئيس المجلس في خطابه: إننا نريد أن نحكم الناس كما يريدون لا كما نريد نحن. وهذا القول وإن نُسب إلى نابليون، فهو مغلوط ولا سيما في الشرق الذي قال فيه فيلسوفه: «إنه لا يصلح بغير مُستبدٍ عادل»[1].

ومن الأمثلة الدالة على صحة هذا القول، موقف مصطفى كمال باشا[2] مع الشعب التركي. فإنه لو شاء أن يحكمه، كما يريد الشعب، لكان اليوم كما كان من مئات السنين يرعى في مجاهل الانحطاط ويضرب في مغاور الجهل.

إن التاريخ يُنبئنا أن الأفراد هم الذين كانوا ينهضون بالأمم، لا الأمم هي التي كانت تنهض بالأفراد. فإذا كنا نريد أن نماشي العامة، فمصيرنا ولا ريب، إلى القرون المتأخرة؛ لأننا في الحالة هذه نكون نمشي إلى الوراء ونمشي بمضاء القوانين وسلطة المُنفذين.

لا مشاحة في أن مجمل الشعب اللبناني هو من أرقى شعوب العالم، فلا يُعوزه للوثوب، إلا زعماء مخلصون كل الإخلاص؛ زعماء نهضةٍ لا زعماء وظائف، وزعماء أمة لا زعماء طوائف.

إن الشعب اللبناني مُجمع على تقبيح الطائفية، إذن فهو شعب فهيم. وإذا قام مَنْ يقول بإبقائها «موَّقتاً» فليعلم أن هذا «المُوقت» هو الخلود بعينه.

إن الطائفية عنصر فاسد في جسم الوطن. وطبُّ الأرواح كطب الأجسام. فكما يقضي هذا ببتر كل فاسدٍ من جسم الرجل، فقد وجب على ذاك أن يقضي على كل فاسد في جسم الوطن.

نعود فنقول: إن الشعوب يجب أن تُحكم كما يريده العصر الحالي، حتى لا يسحقنا دولابه. فلا الإسلام ولا المسيحية بدافعين عنا أذىً يلحقنا من مجرد التعصب لهما، بل بالعكس؛ فإننا بوضعنا الطائفية في صلب دستورنا، نكون قد سلَّمنا العالم المتمدن صكاً رسميا يشهد علينا بأننا لا نستحق حتى الانتداب، من الدرجة الأولى.

أجل، إننا لَنَدفع إلى العالم المتمدن، هذا الصك وكأننا نقول لهم فيه: إننا قوم لا يأمن بعضنا البعض الآخر على مصالحه ومرافقه، حتى في منصات القضاء. ولذلك فقد جعلنا لكل طائفةٍ منا رقيباً على مصالحنا ومدافعاً عنها.

وإذا قلنا لهم ذلك فلا ننس أنهم يقولون لنا: إذا كنتم أنتم لا تأمنون جانب بعضكم، فكيف تريدون أن نأمن نحن جانبكم، على مصالح رعايانا؟ فأنتم الذين حكموا على أنفسهم وأقروا عليها، والمرء يؤخذ بإقراره.

البرق، ٢٦ آذار ١٩٢٦، عدد:٢٥٦٠، ص:١

****

الدستور قدس أقداس الأمة

إن من يفرِّط بحرف منه فقد طعن شرفه

إذا اعلولى صوتنا بالشكوى لهذا التبذير، وإذا اعلولى صوتنا بالإنذار بسوء المصير، وإذا تململنا من تتبع الحكومة الجديدة، سياسة الاسترضاء التي أنهكت الأمة، وقضَّت مضاجعها، وشردت أبناءها هرباً من ضغط الضرائب تُنفق على المظاهر والزخارف – إذا اعلولى صوتنا من جميع المهازل والفواجع، فقد يهون كل ذلك إزاء ما نخشاه من إقدام الحكومة – من إقدام أول حكومةٍ وطنية على التفريط بالدستور.

إن كل ما تقدم يُستطاع إصلاحه بالحزم والتجرد والإخلاص؛ أما أن يُفرط بحرفٍ من الدستور، فإنه لا يُستطاع تعويضه، وإنه لجناية على مستقبل الأمة وشرفها وخيالها الأسمى.

الدستور! وهو ناموس الأمة، يجب أن تذود عنه بأرواحها، حتى إذا تجرأ أحدٌ على مسه ولو تأويلا، رفسته برجلها فهوت به من حالقٍ إلى الحضيض.

الدستور! وهو خلاصة أماني الأمة، بل وليد جهودها، بل رمز مجدها. فإذا ما جرؤ أحد على استخدامه لمصلحته أو تعطيله لمصلحته، فقد أعلنته البلاد خائناً، ونبذته نذلاً، ورذلته وغداً.

ونحمد الله! نعم نحمد الله! أن الرجال الذين عُهد إليهم بتنفيذه – ونريد بهم حكومة اليوم – هم من خيرة الرجال لهم ماضيهم؛ وهو مما يجعلنا نطمئن إلى أن الدستور لا يفرَّط به مهما حاول المتنفذون، كائناً من كانوا، أن يستفيدوا من هذا التفريط. وما الدستور إلا نصٌّ، وما هو إلا السيادة الداخلية المطلقة في الإدارة المالية والقضاء، ما خلا تحفظاتٍ طفيفةً يقضي بها صكُّ الانتداب للدولة المنتدبة، وقد لا تتعارض والدستور بشيء.

فإذا كان هناك تفريط، وإذا كان هناك تأويل، فإنما المسؤول به أصحابه المباشرون، وهم رجال الحكومة الذين عرفوا مقدار ثقتنا بهم من حيث شرف الضمير، ولم نقل من حيث المضاء، ولا من حيث حُسن التدبير؛ لأننا ننتظر الأعمال، ولأننا أصحاب رأي في شكل الإدارة، صرحنا به مرارا ورجونا من الحكومة أن تسلكه. فمتى سلكته أو جنحت إلى سلوكه وقفنا في صفوفها ورفعنا لها ألوية الحمد.

كثيرا ما تأخذ الحكام نشوة الحكم، فيتذرعون بكل الوسائل لاستمرار هذه النشوة. وقد يُقدمون على تسخير الدستور لمآربهم، ولكن الدستور المُستمد من روحية الأمة، هو الذي ينتصر في آخر الأمر، والمنتصر الحقيقي هو المنتصر الأخير.

إنها لتبعة شديدة الخطورة هي هذه التي تُلقى على شرف الوزارة الجديدة. وقد حمدنا الله – كما قلنا – أنها مؤلفة من خيرة الرجال، أصحاب الضمائر الحية والعلم الصحيح. ذلك لأننا نعتبر أن أقل خرقٍ في الدستور، أو أقل تساهلٍ فيه، تصبح سابقةً للحكومات التي تلي، تجني على مقدرات الأمة، وتحطم آخر سلاحٍ لها بما تدعيه من كفاءة.

إن أمام الحكومة تجارب كثيرة لا نبالي منها أي تجربة مهما بلغ خطرها. إذ إنه يُستطاع إصلاحها، اللهم إلا تجربة الأمانة على إنفاذ الدستور بحرفه مهما كلَّف الأمر.

البرق، ١١حزيران ١٩٢٦، عدد: ٢٦١٠، ص:١

****

دستور!...

لا جدال في أن الحوادث برهنت على أننا لا نصلح لِحُكم أنفسنا بأنفسنا. ليسمع هذا جميع مَنْ لهم آذان.

وإلا فليقولوا لنا إذا كنا لم نرجع خطوات إلى الوراء منذ عام ١٩١٨ إلى عام ١٩٢٩ بمعنوياتنا وماديانا، دون أن نفكر بوقف هذه الحركة الرجعية.

وإلا فليقولوا لنا إذا كنا عرفنا قدر النعمة التي ألقاها الحظ في يدنا، ونريد بها هذه الخطوة في سبيل الحكم الوطني والسيادة القومية.

وإلا فليقولوا لنا إذا كنا منذ أيار ١٩٢٦[1] إلى ١٩٢٩ استطعنا أن نصون الدستور من الشوائب أو إذا كنا عرفنا له قيمته؛ فَلِمَ نُساوم عليه حتى في أحقر المصالح الشخصية وأتفهها؟.

لا يجرؤ أحد الإنكار أن القوم في السراي الصغير، إنما استعملوا الدستور لقضاء شهواتهم، بكل ما في الكلمة من المعاني، ولقضاء مصالحهم من جميع أطرافها.

وإلا فليقولوا ماذا أثمرت المعارك الوزارية منذ بدء نشوبها؟ وبكلمة أوضح، ماذا فعلت الوزارات التي حلَّت محلَّ سابقاتها من خيرٍ للمصلحة العامة، وماذا اتخذت من حيطة لِصَون سُمعتنا كشعب ذي كفاءة لحُكم دستوري؟.

أجل! ماذا فعلت الوزارات المتتالية على لبنان، إلا اتباع سياسة الاسترضاء، واستثمار المصالح؟ وفي عهد أي وزارة لم يدخل أفواج جديدة من الموظفين، فوق الأفواج التي أدخلتها الوزارات السابقة؟ وفي عهد أية وزارة لم تكن خزينة الدولة كالأثداء تقطر المال في أفواه المتزاحمين عليها؟.

لقد دخلت أفواج الموظفين باسم الطائفية، ودخلت أفواجهم باسم المصالح الانتخابية، ودخلت أفواجهم باسم الحماية الوزارية. وبعد ذلك يطلبون إلى الشعب اللبناني أن يُحب الدستور وأن يُصلب للدستور.

إن الذي يظن أن هذا التحمس للمعارك الانتخابية ناتج عن روح دستورية، فقد أخطأ، وأن الذي يقول ذلك فقد مَوَّه.

إن الانتخابات في لبنان، يقوم بها الأفراد الذين يطمحون إلى استثمار المصالح عن طريقة النيابة – وللقاعدة شذوذها – إذن فهذا الإقبال على صناديق الانتخاب ليس مصطنعاً فحسب، بل هو مُشْرىً بالمال، محمول عليه بالوعود لصغار العمال، مدفوع إليه بالنكايات والمصالح المحلية.

ولقد كان الأمر غير ذلك، لو شاء أولو الأمر أن يزينوا للبنانيين الحياة الدستورية، بالترفيه عنهم من جهة الضرائب، وبإجراء العدل على السواء بين الخصوم والأصدقاء. ولكن شيئاً من هذا لم يكن، بل هم تمادوا في إرهاق الأعناق بالضرائب، وفي قتل العدالة انتصاراً للحزبية، الأمر الذي حمل الشعب على المقابلة بين الماضي والحاضر، فكان فرقاً جسيما، وكان خطبا أليماً.

وأين هي هذه الروح الدستورية في صدور اللبنانيين؟ وأين هو هذا الإخلاص في صدور المرشحين؟ فلا الأولون طالبوا مرشحيهم بالمناهج، يتقيدون بها لمصلحتهم، ولا الآخرون تحسسوا بالروح الدستوري، فنظموا أحزابهم، ونشروا خططهم، ليقال إن هناك على الأقل شكلاً دستورياً يستحق هذا الثمن الذي هو كناية عن إرهاق أمة خائرة القوى تحت عبءٍ لا تقوم به الجبابرة.

لقد أرسلنا هذه الكلمة تمهيدا لكلماتٍ على رجاء أن ينبعث في القوم روح جديد، فنقرأ للمرشحين وعودهم ونسمع للبنانيين إرادتهم – إذا كانوا حقيقةً يريدون أن يُقلدوا البلاد الدستورية، ويستمروا على اعتناقهم الحياة النيابية.

بشارة الخوري

البرق، ١٥ نيسان ١٩٢٩، عدد: ٣٢٠٦، ص:١

دستور ولكنه
دستور من عجـــين

لو بعث الشهداء اليوم لشنقوا مرة ثانية - تجارة البلاد تستغيث - نأكل في حصيد الأتراك.

دستور من عجين

لا تظننا نهزل إذا قلنا لك إن الدستور اللبناني مصنوع من العجين؛ وأنت تعلم أن دساتير العالم مصنوعة من جثث بنيها ممزوجةً بدمائهم. فلذلك كان الدستور اللبناني - العجين - قابلاً - بحكم رخاوة مادته - لأن تقتطع منه ما تشاء، وأن تُكيف منه أية صورة تشاء، بعكس الدستور المصنوع من جماجم الضحايا الصلبة، التي لا تموع في يدٍ، ولا تتفتت تحت إزميل.

والدساتير لم تكن في وقت من الأوقات منحة؛ والمنحة ترد. إذن، فبأيِّ حق يرفع بعض اللبنانيين عقيرتهم على المفوض الإفرنسي، إذا هو شاء أن يقتطع قطعةً من تلك «العجينة الدستورية» التي عجنها بيده وتصدَّق بها عليهم من فضله وكرمه؟ بأي حق يرفع هؤلاء عقيرتهم، وهم لم يُريقوا قطرةً من دم، ولم يرفعوا علماً لثورة، ولم ينقلوا قدماً إلى تضحية؟.

أجل، لماذا يتبجح هؤلاء الرافعون عقيرتهم، بالاحتجاج على مس الدستور، رغم أنه مساس بكرامة اللبنانيين، في حين أنه لا علاقة لكرامة لبنان في الأمر، فالدستور اللبناني ثوب عاريةٍ نسجته يد الدولة المنتدبة، وخلعته على لبنان. فهي إذا رأته طويلا قصرته، أو ثقيلا خففته، وإذا كان الفصل حاراً رقّقته، وإذا كان الفصل بارداً سمّكته؛ ولا حق ولا شبه حق لأي لبناني أن يتدخل في الأمر، وإلا فلينسج هو دستوراً لنفسه إذا كان في وسعه أن ينسج.

ولكن أنَّى للبنان أن «يعجن» دستوراً، والدستور شعلة علوية ملتهبة هي أعلى وأعلى وأعلى بكثيرٍ مما يُعفِّر به «أسياد» الموقف اليوم، جباههم، من أجل منصبٍ زائل لا يُساوي – على ضخامة اسمه – شِسْع[1] نعل الدستور.

الحياء من الشهداء

وَدِدنا أن لا يكون شيءٌ وراء الطبيعة يُدعى خلودا، حتى لا تُطل من ورائه أرواح المستشهدين منا فترى إلى المهازل – ولا سيما مهزلة رئاسة الجمهورية – التي تُمثل اليوم، قريبا من الساحة[2] التي قام عليها نُصبُهم التذكاريُّ الحزين، وحتى لا تلتقي عيونُهم بعيون هؤلاء الذين اتخذوا من تلك الضحايا سُلَّما رفعها لهم القدر، يصعدون بها إلى سراي عزمي[3]، صنيعة جمال، ليواصلوا (بروغرامه)[4] بطريقة منظمةٍ على أصول مرعيَّة.

لقد استفادوا في تمزيق الأمة طوائف، بل ساعدوا على هذا التمزيق، بأن مثلوه حتى في هذا النصب الهازل الشاحب، طائفتين مسلمةً ومسيحيةً، ثم غنوه «صليباً وهلالا» وهم أبداً يُمثلونه على هذا الشكل في كل مظهر من مظاهرهم الرسمية وشبه الرسمية.

ولو أعطي الشهداء الأعزة نعمة البعث – لا بل شقوته – وعادوا سيرتهم الأولى من انتقاضٍ على الظلم واحتجاج على تفريق عناصر الأمة، وثورةٍ على جلاديها لَشُنقوا مرة ثانية، بلا رحمةٍ وفي نفس الساحة التي أقيم فيها ذلك النصب: بقية القرون الوسطى وصبابة الفن البالي.

ولكن السادة المتنعمين بفضل تلك الأشلاء المقدسة – أدركوا ما يضمره لهم أصحابها من عتاب مُرٍّ – والأرواح لا تحقد – فآلوا أن لا يزوروا تلك الساحة يوم ذكرى إعدامهم، ذلك اليوم الذي تهبط فيه أرواحهم لمصافحة الأحرار الصادقين؛ فتحولوا إلى اليوم الثاني من أيلول ذلك اليوم المجهول منهم، فأمنوا بذلك اصطدام النظر، وما ينطوي عليه من متطاير الشرر.

التجارة تستغيث

تعالت أصوات الاستغاثة من كل بلدٍ لمقام المفوض السامي[5]، بإيقاف العمل بالقرار الأخير الذي زاد فيه الرسوم الجمركية على مواد وبضائع شتى.

ويعتب رؤساء الغرف التجارية في جميع البلاد السورية – بالدالة طبعا – لعدم أخذ رأيهم في الأمر، قبل إصدار القرار ليُتاح لهم بسط الأضرار البليغة التي تُنذر البلاد بما هو أفظع وأفتك.

وعندنا أن فخامة المفوض السامي، هذا الرجل الحريص على سمعته وعلى مصلحة البلاد التي استؤمن عليها، سيَرجع إلى القاعدة الحكيمة القائلة: «مَنْ طلب الزيادة وقع في النقصان». والزيادة الجمركية الأخيرة في أكثر بنودها، تدخل تحت حكم هذه القاعدة.

والشيء بالشيء يذكر

وغير خفيٍّ أن هذه الزيادة في الرسوم الجمركية، إنما أريد بها سدُّ العجز في الموازنتين (اللبنانية والمفوضية) بسبب النقص في الواردات الجمركية؛ ولم يقتصر العمل عند زيادة الرسوم هذه، بل تعداها إلى مفاوضة باريس بشأن تخفيض الأقساط السنوية المستحقة على البلاد المشمولة بالانتداب، أو إيقافها تمثلاً بالأتراك الذين لا يطالبون بالتخفيض أو التأجيل فحسب، بل إلغاء هذه الديون إلغاءً مطلقا. ونحن على كل حال نأكل من حصيد الترك بقوة إحدى مواد الاتفاق الذي عقده حضرة أديب باشا وربط مصيرنا في هذه الديون بمصير الأتراك لا أكثر ولا أقل.

بشارة عبدالله الخوري

البرق ص١ – عدد ٣٤٣٣ – سنة ١٩٣٢

****

الدستــور
بين الباكين عليه والمتباكين

شرعوا الآن يلغطون بالدستور وبعد أن ساد البلاد سكتة كانت نتيجة طبيعية للحدث المفاجئ بوقفه أو قل بتعليقه كما هو الأصح[١].

ترى هناك جماعة وهنالك أخرى يرفعون الصوت فيصدعون به ذلك السكون المخيم، ثم يلتفتون إلى الأمة يعاتبونها، وإلى فرنسا يطالبونها رغم أن الدستور حق من حقوقهم، فهو إذن لا يجوز انتزاعه منهم، حتى ولا وقفه، حتى ولا تعليقه.

لقد كان مقضياً على الدستور بهذا المصير، ولقد كان أكثر المشفقين اليوم على مصيره، والمطالبين ببعثه، في طليعة المشفقين على البلاد من «حماة» دستورها، وهم يرونها ويرونهم كالشاة في يد الجزار يذكر الله ويذبح وكثيرا ما كان يذبح ولا يذكر الله.

من هم الذين يطلبون الدستور؟ ولمن يطلبونه وعلى أي الأسس يطلبونه؟

لقد كان المعقول أن يكون النواب الموقفون[٢] في طليعة من يطالبون بالدستور لأنهم أعلم الناس به وأخبرهم بمنافعه ومضاره.

أفلا ترى أن في سكوتهم عن المطالبة اعترافا صريحا إما بمضاره وأما بعدم كفاءة الأمة له؟

فإذا كان الدستور «قتيلا» كما يقولون فإن النواب أهله فكيف يجوز أن يبكي الأصحاب عليه في حين أن أهل القتيل لم تُرقْ لهم عليه دمعة؟!

حسن! إننا نخطب الدستور هذه العروس الجميلة ولكن ما هو المهر الذي أعددناه لها؟ ما هي الجمعيات السياسية التي ألفناها؟ وما هي المناهج التي وضعناها وهل جرؤ رجل من جميع هؤلاء الدستوريين إعلان الإضراب عن دخول الانتخاب إذا عاد الدستور مشوَّهاً؟

فإذا لم نهيئ لهذا الدستور كما يهيئون له في الأمم الدستورية، فإلى أي مأدبة تدعو هذا المسكين الذي شوّهنا جماله بقبح أعمالنا وأنزلناه من عليائه إلى الدرك الأخلاقي الذي نحن فيه.

ألنجعل منه آلة للحكم الإقطاعي كما كانت حاله في الأمس؟

ألنخرق شمل أهل القرى ونزرع فيهم الأضغان والتحاسد؟ أم لنعيد به تلك الفوضى في الدوائر والمجالس؟

نحن لا نفهم بالدستور سوى شيء واحد هو حكم الأمة نفسها بنفسها، وبكلمة، لا نفهم فيه سوى سيادة الأمة، فهل أمكن في الأمس أو يمكن غداً إذا عاد الدستور أن تكون السيادة للأمة فتحكم نفسها بنفسها؟

فإذا كان هذا لا يُستطاع مع الانتداب سيد البلاد الأول، فلماذا هذه المهازل التي ندفع ثمنها غاليا من مالنا وكرامتنا؟.

قبل أن تطلبوا الدستور أيها السادة هيئوا له التربة التي يستطيع أن يعيش فيها وإلا استمر آلة في يد فريق صغير من الناس يسحق بها الفريق الأكبر.

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٩٣٢، عدد: ٣٤٣٨، ص:١

****

الحركة الجامدة
أو إذا شئت الجمود المتحرك

ومن أنكر أن هناك حركة جامدة أو جمودا متحركا جئنا به إلى لبنان وسوريا ووضعنا يده موضع الجرح فلا يبرح إلا وقد أيقن أن هناك الحركة الجامدة التي لا ريب فيها.

وأية فكرة أشبه بالجمود أو هي الجمود نفسه إذا لم تكن هذه المشاهد التي تطلع بها الأيام على هذه البلاد، فمن حكومة تلي حكومة ومن انتخاب يلي انتخاب ومن قانون يلغى بقانون ومن وجوه تبدل بوجوه، حتى إذا انفتحت العيون على الحقائق رأتها حيث كانت تدور على نفسها دون أن تنقل خطوة إلى الأمام.

إن الأرض نفسها في دورانها على محورها لم تكن لتفعل شيئا في حياة الحيوان والنبات فراحت تدور حول الشمس تستمد منها فصولها الأربعة فيمهد واحدها للآخر، هذا النظام الفريد في إبقال الأرض وإنضاج الثمر وحفظ الحياة.

ومع ذلك، مع معرفة القائمين بالحكم فينا هذه الحقيقة الأولية تراهم يولونها ظهورهم فهم إذا تحركوا فإنما يتحركون حول أنفسهم وليس بين هذا النوع من الحركة والجمود فرق، بل هو نوع آخر من الجمود بما يقتضيه من مشقة.

ومن استعاد الأدوار التي مثلت على مرسح سوريا منذ سنوات عشر أي منذ حاكمية حقي العظم[1] إلى حاكمية الشيخ تاج[2] – يرى صوراً متنوعة ويسمع أصواتا متناكرة فيظن أن القافلة تسرع الخطى فما هو أن يسفر الصبح حتى ينجلي الموقف الحاضر عن نفس الموقف الغابر وفي نقطة الارتكاز الأولى فلا يسعك إلا أن تعرف بأن هناك حركة جامدة تسمع وقع خطاها ولكنك لا تراها...

وأي فرق بين سوريا سنة ١٩٢٥ وسوريا سنة ١٩٣١ وقد بدلت من ثورة السلاح ثورة نفسية هي أشد خطرا على العلاقات الافرنسية من الثورة الأولى، بل أي فرق بين حالة دمشق سنة ١٩٢٥ وحالتها سنة ١٩٣١ وهذه شوارعها ترتج تحت دواليب الدبابات والمصفحات مع العلم بأنها كانت في الماضي لكبح الثورة المسلحة وهي اليوم لكبح الثورة العزلى على وحدة الغاية من الثورتين.

فإذا سلمت معنا بهذه الحقائق، إذا سلمت بأن الموقف لا يزال حيث كان منذ خمس سنوات، وأنه كان منذ خمس سنوات مثله منذ الخمس الأولى، سلمت أيضا بأن الحركة التي تقرأها في الرسائل الرسمية وتلمسها في المكاتب الحكومية إنما هي الحركة الجامدة بعينها تسمع لها جعجعة ولا ترى لها طحنا.

وليس لبنان أسعد حالا فهو قد ألف الجمود حتى نسي الحركة وتعوّد الموت حتى نسي الحياة، ولزم السكوت حتى نسي الكلام. وليست هذه الجمهورية الاسمية سوى كفن جميل لهذا الميت النبيل.

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام[٣]

فعسى أن يستيقظ أولو الأمر إلى حقيقة ما يحيط بهم من بأس البائسين، وصبر الكاظمين فيبدلوا من سياسة الجمود المتحرك في كلا البلدين السوري واللبناني بحركة يجني ثمارها الفريقان ويحمدها القلب واللسان.

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٩٣٢، عدد: ٣٤٢١، ص:١

****

هل عندنا زعماء؟

- الزعامات اللبنانية - الزعامات الحقيقية -

أضحك مع الذين يقولون بوجود الزعامة في لبنان؛ حتى إني ضحكت من نفسي مرارا عندما كنت أعتقد، لا بوجود زعيم، بل بإمكان إيجاده.

لقد كانت تُطلق كلمة زعيم، على نفرٍ من أبناء لبنان يفتح لهم الحظ، أو تفتح لهم الوسائط على أنواعها، طريقاً إلى أحد الكراسي العالية الهزازة في إحدى دوائر الحكومة.

فالزعامة اللبنانية إذن مستمدة من سُلطة الحاكم الأعلى الذي بيده الفصل والوصل؛ يُفَسِّر ذلك أنه عندما كان يرضى المتصرف عن أحد بكوات لبنان أو بشواته[1]، ويُجلسه على ذلك الكرسي، كنتَ ترى بيته محطةً لفريق كبير من الناس ينعتونه بالزعيم، أو برجل البلاد، إلى آخر ما تفيض به قرائحهم في ذلك الموقف؛ ويتوقف فَيَضان القريحة على أهمية الغاية التي ينويها صاحب اللسان المستفيض.

ومما يفسر أيضا أن الزعامة اللبنانية مستمدة من الحكومة، هو أن ذلك الزعيم لا يرى في بيته، وقد استقر به الكرسي، سوى طلاب الوظائف وأصحاب الدعاوى والمقاصد الأخرى التي يحسبون أن لموظفهم أو زعيمهم تأثيراً عليها. أما بقية الشعب المؤلف من العامل والتاجر والزارع، فلا ترى لهم أثراً في بيته، وربما لم تكن أحست بوظيفة سعادة الزعيم، لأنها لا تعترف بأدنى علاقةٍ لها به. فهو إذا كان موظفا فلمصلحة نفسه وآله، وإذا كان زعيماً فعلى هؤلاء وعلى مَنْ يَمتُّ إليه بغاية مثلِ غايته.

ويُفسر ذلك أيضا أنه، عندما كان يغضب الحاكم على هذا وأضرابه، ينقضُّ عليه حالاً غضبُ إخوانه وأخدانه ومحسوبيه بالأمس، فتُقفر أعراصه وينزوي في بيته، وتُنزع عنه حالاً ألقاب الزعامة، وتخرسُ تلك الألسنة بغتةً عن الاستفاضة في تعداد المناقب والمآثر.

أجل، لقد حاول بعضهم أن يستمد زعامته من الشعب ومِنْ هؤلاء الرجال الذين قصدوا إلى بيت الدين، في مطلع الدستور العثماني، ليُسقطوا يوسف فرنكو[٢] ويُجبروه على أن يقسم يمين الأمانة للدستور وللاتحاديين. أجل، إن هؤلاء استطاعوا في ذلك الثَّوران الدستوري، أن يرأسوا أُلوفا من الشعب ويذهبوا بهم لعملٍ عمومي. وما هم إن وُعدوا بالكراسي حتى صافحوا يوسف فرنكو، وانكفأوا إلى بيروت ولمعظمهم وظيفةٌ تُرضيه.

وكانت المرة الأولى والأخيرة التي خُدع فيها الشعب بكبرائه، وعرف هؤلاء الكبراء بما في نفس الشعب منهم، فرجعوا إلى الحكومة يستمدون منها زعامتهم كشأنهم السابق.

هؤلاء هم زعماؤنا وهذه هي زعامتهم.

لا ننكر أننا حاولنا أخيرا، أن نوجد منهم زعيماً شعبيا يعمل على تأييد المصلحة المشتركة؛ لا ننكر أننا أخذنا نمهد لهذا الزعيم السبل إلى قلب الشعب، بما كنا نكتبه على صفحات «البرق»؛ لا ننكر أننا حاولنا أن نحمل هذا الزعيم على تضحيته بشيء من آماله، فأبى بعد التردد. ولعله لم يشأ أن يخاطر بما كان ينتظره من الزعامة المستمدة من الحكومة، لأجل زعامةٍ شعبية لم تُمحِّصها التجارب.

إذن، فالزعامة التي يعرفها العالم الراقي، غير موجودة عندنا.

إن للزعامة شروطها. وفي مقدمة هذه الشروط: التضحية. فأيُّ دعاة الزعامة منا يستطيع أن يقول إنه ضحى شيئا ولو من أنانيته، في سبيل المصلحة الشعبية، ولا نقول من مصلحته المادية؟

إن من شروط الزعامة، أن يكون لأحد مُدَّعيها هؤلاء مأثرةً وطنيةً تُذكر. فأيُّ دعاة الزعامة هنا، يستطيع أن يدُلنا على إحدى تلك المآثر؟.

إن من شروط الزعامة أن يكون ماضي مدعيها نقياً وأن يكون فيها سطر واحد في كل ذلك التاريخ يستفاد منه أن فلاناً آثر مصلحة بلاده على مصلحة نفسه.

وأخيراً فإن من شروطها ولا سيما في هذه الأيام أن يقوم طالب الزعامة في وسط الشعب ويقول هذه خطتي صريحة مسجلة وهذا مالي كله أو بعضه أبذله في سبيل تأييد تلك الخطة، وإذا اقتضى الأمر إلى دمي فهو أهون ما يبذل في تنفيذ هذه الخطة.

لم يقف في دعاة الزعامة إلى الآن من قال أو من افتكر بأن يقول هذه الكلمة، ومع ذلك فهم يقولون إن عندنا زعماء.

افتتاحية

البرق، ١٩٢٠، عدد: ١١٠٥، ص: ١

****

القوي معبود الضعفاء أين كانوا

حكمة جمال الدين الافغاني في أن الشرق لا يصلح إلا بالمستبد العادل.
إغراق المعارضين في تعظيم الأستاذ إدة - مسؤولية الأستاذ على مقدار الثقة به
مسؤولية الوزارة والمفوضية تجاه اللبنانيين

أجمعت الصحف كما أجمع النواب من قبل على الإعجاب برئيس الوزارة لموقفه الصلب وصراحته الجافة حتى إنه لم يشأ ولو مجاملا أن ينقض حرفا واحدا من هذا الذي دعاه برنامجا وهو في الحقيقة «ناموس».

ويدلك هذا على أن الشعوب بين مشارق الأرض ومغاربها تؤله القوة على أن تكون هذه القوة حكيمة عادلة، بل يدلك على أن الشعوب التي فككها فساد الأخلاق وسادتها الفوضى لا تنهض على الأغلب إلا بواسطة أفراد أفذاذ من بنيها كما هو موسوليني[١] في إيطاليا ومصطفى كمال[٢] في تركيا وكما كان بوانكاره[٣] في فرنسا، وحسب هذا أن يجري في أرقى الأمم ليهون وقعه على عنجهية البعض منا، بل حسب هذا أن يجري في أرقى الأمم لتبرير قول جمال الدين الأفغاني من أن الشرق لا يصلح بغير مستبد عادل وهو لو عاش إلى اليوم ورأى ما نرى لربما ضم الغرب إلى الشرق أيضا.

ومن الأدلة على أن الناس تحب القوي العاقل وتحترمه هو ما سمعناه أمس في المجلس النيابي من المعارضين أنفسهم فلقد رأيناهم يجعلون لكل ملاحظة أو انتقاد على البيان الوزاري بطانة سميكة من الثناء والإعجاب حتى لقد أغدقوا على الأستاذ الرئيس وابلاً من التقريظ عجبنا بعده كيف يجيزون لأنفسهم البقاء في مقاعد النيابة ما دامت لهم برئيس الحكومة هذه الثقة العمياء، بل عجبنا وخفنا في وقت واحد كيف لم يغرق الرئيس على صغر جسمه في هذا الخضم المزبد من الثناء.

وبعد فلم نتبسط في هذه المقدمة إلا لنطالب رئيس الوزارة على مقدار ما اشتمل

عليه من ثقة مطلقة وإرادة مطلقة، فهو والحالة على ما وصفنا ربان هذه السفينة والمسؤول عن إيصالها إلى الميناء الأمين بعد أن تحطمت تحت مطرقته كل إرادة، واستسلمت إليه كل قوة.

وإنه ليلزمنا أن نصارح المفوضية العليا بما لابد منه لإنجاح الأستاذ إدة في مهمته لأن القوم في لبنان بل في كل مكان يعتقدون أن يد رئيس الوزارة في يدها لإخراج لبنان من فوضاه التي كادت تمحقه محقا عن طريق البطالة والكساد والمهاجرة، فنجاحه نجاحها وإخفاقه إخفاقها، وهي تعلم أكثر من كل أحد ما يترتب على هذا الإخفاق وذاك النجاح من النتائج التي لها ما بعدها، فماذا عليها إذن تجاه الوزارة الجديدة؟

نحن نعلم أن للمصالح الفرنساوية مآربها في لبنان ونعرف للفرنساويين فضلهم وأسبقيتهم، فإذا عرفنا لهم ذلك فإنه ليحسن بهم أن يعرفوا مقدرة لبنان على الوفاء لذلك الفضل وهذه الأسبقية، ومتى عرفوا مبلغ هذه المقدرة بعد أن يستعرضوا شقاء اللبنانيين، وفراغ معظم قراهم وبطالة الباقين من أبنائهم، اتأدوا أن يرهقوه بمطامح المستثمرين من إخوانهم وضغطهم، فتبقى لنا ولهم الصداقة القائمة على دعامتيها اللتين لا بد منهما لبقائها وهما الشعور المتبادل والمصلحة المتبادلة.

وعلى هذا فهل يجوز أن نرمي بمئات من العائلات اللبنانية بين أشداق العوز وما وراءه من ضياع الفضيلة وما وراءهما من التنكر للصداقة الفرنساوية لنقيم بما قطعناه عن فم هؤلاء البؤساء ومعدهم مطارا بحريا لشركة مستثمرة أقل ما يقال فيه إنه من الأعمال الكمالية وكفى.

نحن نفهم أنه لو كان هذا العمل ضروريا لسلامة فرنسا لكنا نحن الذين نقتحم المفوضية العليا بشيبنا وشبابنا متطوعين له مضحين بكل عزيز في سبيله، أما وهو عمل كمالي لفئة من المتمولة تستثمره لمصلحتها الخاصة على ضنكنا وبؤسنا فهذا ما لا نحسب الحكومة الفرنساوية تجازف به، لأن المجازفة به مجازفة بعواطفنا التي لا غنى للنفوذ الفرنساوي عنها في الشرق كما أنه لا غنى لنا عن عطف فرنسا علينا فيه.

ولا نقول عن المشاريع الأخرى ما نقوله عن محطة الطيران لتضارب آراء

اللبنانيين فيها ولانتفاع الخزينة منها، وفي هذا دليل على أننا معاشر اللبنانيين لا ننكر الأمور تعنتاً ولا نسد الأبواب جفاء ولكننا جرحى وللجريح عذره في أنينه.

لقد قلنا إن فوز الأستاذ إدة وإخفاقه يعودان عليه وعلى المفوضية في وقت واحد، فمن واجبها إذن أن تمهد الطريق أمامه لاكتساب العطف العام لأنه لا يستطيع مهما كان له من المكانة وبلغ من المقدرة واستمتع من الثقة أن يفعل شيئا يستحق الذكر إذا لم يكن مؤيدا بالرأي العام اللبناني فهو على ضعفه يوازي تأييد المفوضية العليا.

ولا تكون المفوضية العليا قد مهدت هذا السبيل لوزارة الأستاذ إدة إذا أرادتها على إنفاذ مشروع محطة الطيران، والمشاريع الأخرى التي أجمع اللبنانيون على إنكارها.

ولا نظن المفوضية والحكومة تهزلان فتقولان لنا إن المشاريع ستحال إلى المجلس فننفذ منها ما أراد ونمتنع عن تنفيذ ما لا يريد، والمجلس في عرف المفوضية والحكومة لا إرادة له معهما، أفما أريد في الأمس على نحر نفسه فانتحر؟...

إن اللبنانيين بعد اليوم لا ينظرون إلى غير المفوضية العليا والحكومة اللبنانية ولا يعتبرون غيرهما مسؤولا عنهم، وهو موقف يتنادون له في لبنان ومصر وأوروبا وأمريكا، ولقد علقوا عليه خيرا عميما وأملا كبيرا، فيجدر بالمفوضية والحكومة أن لا يضيعاه في سبيل شهوة المستثمرين، هذه الشهوة التي إذا أنكرها اللبنانيون اليوم فقد يقبلونها غداً عندما تصان مصالحهم وتنتعش حقولهم وأسواقهم ويجدون في بلادهم ما يكسبون به قوت عيالهم.

وإننا لنشفق أن يتناول منجل الحاصد غداً صغار الموظفين وأرباب العيال منهم دون أن يتناول الذين يتمتعون بالرواتب الضخمة والمخصصات الضخمة عن طرق القوانين التي وضعتها المصالح، ونامت عنها عين المراقب الصالح، الأمر الذي نربأ بالأستاذ إدة أن يأتيه وهو من أجمع حتى خصومه على الاعتراف له بالحزم الذي ما بعده حزم والوطنية التي لا يشوبها باطل.

بشارة الخوري

البرق، ٢٠ كانون الأول ١٩٢٩، عدد: ٣٣١١، ص:١

****

بطل لبنان يعود إلى عرينه

بين الأمس واليوم

لقد عاد يوسف بك كرم[1] البطل اللبناني الأشهر إلى عرينه، وعلى صهوة جواده، يتفقد ما تم لهذا البلد بعده، أهو خطا خطوته في سبيل الرقي والاستقلال، أم هو تأخر إلى الوراء، أم هو لا يزال جامداً مكانه، والجمود شر من التأخر؟

لقد عاد – أو نحن الذين عدنا بالروح إلى عصره – فالتقينا على مسطح واحد، فماذا رأى وماذا رأينا؟

إنه ولا شك مندهش من معالم العمران وتأنق الناس في لبنان؛ ثم هو مطمئن إلى المصير الذي انتهت البلاد إليه، وكان هو المؤسس، مأخوذاً بهذا الفضاء الرحيب تتلاعب فيه فرسان إهدن[2] ولبنان، ويتعانق فيه القلم والسنان.

هذا ما يراه أو بعض ما يراه هو؛ أما الذي نراه نحن، فهو هذا الفرق الكبير في الأخلاق، ويتفرع عنها: الزعامة وكان يؤدي الزعيم ثمنها من ماله ودمه؛ ثم الإخلاص الذي تقتضيه مثل هذه الزعامة من المزعومين، فيفدونها مثل تفديتها إياهم؛ ويتفرع عن الأخلاق الوفاء والصدق والعمل، وغيرها من المزايا العالية التي كانت مزية اللبنانيين في الأمس. هي التي حفظت كيانهم، وهي التي أوصلت إلينا ميراثهم، فرُحنا نُجازف به ونغامر.

ومع هذا، فلا نكران أن «الشمال» عرف كيف يحتفظ بهذه الأمانة المقدسة، مقتفيا آثار الآباء الكرام، عاملا على ترقية البلاد بما أنشأ فيها من المصانع، وأقام فيها من

المشاريع، راكباً لها متون البحار مستهدفا في سبيل تحقيقها، للمخاطر في المهاجر، مقدماً في كل يوم برهاناً جديدا على إحياء المجد القديم، وإنماء المجد الحديث. وحسبُك يوم ١١ أيلول من سنة ١٩٣٢[٣] دليلا على هذه المتانة في الأخلاق، وهذه العبقرية في الفتح أدبا وعمراناً.

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٩٣٢ العدد: ٣٤٤٥، ص:١

****

الـزعيـم !

هذا رجل إذا غضب غضب لغضبه مئة ألف من بني تميم، دون أن يعرفوا لماذا غضبوا. قيل هذا عن الأحنف[1] في ملاحاة له مع معاوية.

وفي الهند رجل إذا ثار ثارت خلفه الملايين من بني قومه، لا يسألونه، لشدة إيمانهم به، لماذا ثار. وهو إن أومأ لهذه الملايين وقفوا دون أن يسألوه لماذا، وقد علمت أنه غاندي، معبود الهنود.

هذا هو الزعيم وتلك هي الزعامة.

ولكن هل انقياد الجماهير هذا الانقياد لرجلٍ واحد، دليل على رقيها أو انحطاطها؟ وبكلمة أخرى، هل انقياد المئة ألف من بني تميم للأحنف، ثم انقياد الملايين من الهنود لغاندي، ويمكنك أن تزيد عليها انقياد ملايين المصريين لسعد[2]، هل هذا الانقياد مما يطعن في كفاءة هؤلاء وعلمهم، أم أنه محمدة من محامدهم وآية من مفاخرهم؟

إن الجواب على هذا، يتناول بالطبع ما إذا كان هذا الانقياد انقياداً أعمى يطبخ عليه الزعيم مصالحه، بعد أن يجعلهم حطباً للموقد، أو أنه انقياد البصير بما تحلى به القائد من التضحية، في سبيل أتباعه والتهالك على مصالحهم، كأمةٍ لها حقها في الحياة، ولو انتهى به الأمر إلى التلف.

فإذا كان الأول، فهو الجهل بعينه، وأقل ما يستحقه أولئك الأتباع أن يعدوا في الحيوان، يُسخرهم ربها لمصالحه؛ حتى إذا انتهى منهم أرسل حبلهم على غاربهم.

وإذا كان الثاني، فهو الحكمة بعينها، لأن الزعيم إذا شد الجمهور أزره، علا صوته واتسع نفوذه، فغنم منهما لأمته وبلاده من الخير، غايته المستطاعة.

فزعامة غاندي في الهند كزعامة سعد زغلول في مصر، من الزعامات التي تُشرف الأتباع قبل أن تشرف المتبوع، لأن الأمة التي تقضي على أهواء أفرادها في سبيل مصلحة المجموع، لهي أمة رشيدة. فما قولك إذن بمن تختاره لزعامتها؟

فلقد اتصل بك ما تحمله سعد زغلول من ضروب الإرهاق في سبيل بلاده، مِنْ سجن ونفي، واعتداء؛ وفيه ثمن عادل لزعامة الأمة المصرية. وهذه أسلاك البرق تحمل إلينا اليوم عزم غاندي السجين على الإضراب عن الأكل عشرين يوماً، إذا لم يعدل الانكليز عن قرار يعتبره مُضراً بوحدة الهند، وهو إذا قال: فَعَل.

أفنظرت إلى الزعامة، كيف هي في بلاد الناس؟ فحدثني بربك عن الزعامة في لبنان، وقل لي إن استطعت، عما إذا كنت ترى فيه زعيماً، كما كانت الحال مع سعد زغلول في مصر، وكما هي مع غاندي في الهند؟

لا نكران أن الزعامة فضيلة لأنها كناية عن تضحية الأفراد في سبيل المجموع؛ فالزعيم الذي يتحمل النفي، والزعيم الذي يمتنع عن الطعام، يعطيان المثل الأعلى للتضحية. كما أن من يليهما من أفراد الأمة البارزين، يُضحون أيضاً بكبح أهوائهم، وتسخير مواهبهم للزعيم الأول وهلمَّ جراً.

ولكن لبنان مع الأسف، معدومة فيه الفضائل، فضائل التضحية في مَن يدعون التزعم، وهم في الحقيقة عبيد. السلطان هو الذي يمنحهم الزعامة وهو الذي يمنعها عنهم. والويل للبلاد من مثل هذه الزعامات!

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٦تشرين الثاني ١٩٣٢، عدد: ٣٤٤٦، ص:١

****

غانـــدي[1]

سر الفداء العظيم

وبعد، فقد اعتنق غاندي صيامه لا يُثنيه عنه شيءٌ، إلا أن يتساوى منبوذو الهنود بالطبقات العليا في الحياة الاجتماعية والسياسية؛ وإلا أن يُرجع عن القرار القاضي بجعل المنبوذين طائفةً منفردة لها ممثلوها، ثم لها مكانتها الدنيا، يُحيط بها الرجس من كل جانب.

وإذا علمت أن أشد ما يقتل الهند، هذه العقائد الدينية واختلاف الطبقات الاجتماعية؛ حتى لَينظُرَ الهندوكي الهندي إلى المنبوذ الهندي، نظره إلى الرجس وعلمت ما تُذكيه هذه العقائد من الأحقاد، حتى لتصبح كل طائفةٍ حرباً على الأخرى؛ إذا علمت كل هذا أو بعضه، ظهر لك جلياً أي خدمة أداها غاندي لبلاده بضم صفوفها بعد إزالة تلك العقائد البالية منها، وظهرت الهند في بوتقة واحدة. حتى إذا تألفت أجزاؤها، أصبحت قوةً هائلة لا تقف في وجهها أي قوة عالمية.

وحسبُك، لكي تعرف مبلغ خطورة هذا الأمر – أي انشقاق الهنود عقائد وخرافاتٍ – أن غاندي رأى حياته أقل ما يبذله ثمناً لها، فأعلن صيامه حتى الموت. وما كاد يذيع هذا النبأ الداوي، حتى اضطربت له الهند من أقصاها إلى أقصاها. كيف لا وغاندي معبود الهنود على اختلاف الطوائف والطبقات.

وآخر ما جاءنا أن مندوبي المجلس التشريعي عرضوا على غاندي معاملة الطبقات المنبوذة معاملة جميع الهندوكيين؛ وقد قابله في سجن بافار السر تاج سابرو والمستر تايا كان، ثم قابله آيد كار زعيم المنبوذين والبادات ملافيا.

أما غاندي فسيبقى محافظاً على صومه حتى يتأكد من أن هذه الحلول أُنفذت.

وإلى القارئ الآن بعض ما حملته إلينا البرقيات من العبرة، وكله جدير بالحفظ والتكريم:

«لقد شكا غاندي من التعب عندما انصرف من لَدُنه آخر زائر. ولا يبعد أن تتدخل الحكومة لتخفيض عدد الزائرين، حرصاً على راحته؛ وقد جيء بالسيدة روجيني نايدو[٢]».

«ولحظ الذين يترددون على غاندي، الآونة الأخيرة، أن قواه الجسمية آخذة بالانحطاط؛ ويعزون هذا إلى إجهاد قواه الجسمية في محادثة زائريه الكثيرين. ومع هذا فإن غاندي يقوم بعمله اليومي على مغزله[٣]، ويُتمم واجبات الصلاة صباحاً ومساء، ويتجرع الماء بين فترة وأخرى؛ وهي المادة الوحيدة التي تدخل جوفه».

إن في غاندي شعلةً من الألوهية تلمّع مرةً في كل جيل، جبين أحد أصفيائها فتطلع به على الكون نبياً كريما وقائدا حكيما.

بشارة الخوري

البرق، ١٩٣٢، عدد: ٣٤٤٦، ص: ١

****

النهضة التركية وتأثيرها على الشرق

القبعة - السفور - الأحرف العربية واللاتينية - ترجمة القرآن

جريدة الرأي العام وقنصل تركيا

إن كلمة الأفغاني[١] في أن «الشرق لا ينهض بغير مستبد عادل» لقيت في مصطفى كمال[٢] صاحبها. فهو هو ذلك المستبد العادل، وهو هو الذي هدم تلك الهياكل البالية من التقاليد، ومزق تلك العصائب الواهية من الأوهام، وجرد الدين عن الدنيا، فرفعه عن السفاسف، ونزهه عن الصغائر، واختط للشرق سَنَناً[٣] واضحا سيحمده له الشرق، فهو - في هذه - كبير أنصاره، ورافع مناره.

إن من يُمعن في ما صنعه مصطفى كمال للشرق عامةً وللمسلمين خاصة، لا يتمالك عن إكبار هذه الأعمال متى فهم مكنوناتها وقطف ثمراتها. فهي وحدها الكفيلة بنهضة الشرق من عِثَاره، وجعل كل قطعةٍ منه قبيلاً واحد اتخذ القومية معبوده الأول، وسار سيرة الغرب في فصل الدين عن السياسة؛ فلا يعني الواحد من أمر جاره سوى أنه سوريٌّ مخلص لسوريا، أو عراقي مخلص للعراق، أو تركي مخلص لتركيا، أو لبناني مخلص للبنان، أكان هذا الجار دهريا أو أحمديا أو عيسوياً[٤]، لا يُغمط له حق ولا يفوته واجب.

أجل، إن نهضة الترك اليوم، لا ولن تقتصر فوائدها عليهم. فسوف نكون - مهما تعنت المتعنتون وتردد المترددون - أول من يقتفي آثارها، فنحن لا نجهل أن للترك مكانة أدبية تركتها لهم في النفوس ، سيطرة القرون الطويلة، لا سيما وقد ملكوا زمام الخلافة، وكانوا قبلة الإسلام إلى عهد بعيد.

لقد قامت نهضة الترك على الإخلاص، وكل عملٍ يقوم على الإخلاص، فهو عملٌ خالد، فما عهدنا قبل مصطفى كمال وعترته[٥] من القابضين على زمام الأحكام، يتهالكون هذا التهالك على تعليم الشعب وتثقيفه، وتنويره، واضعين بين يد كل فرد من أبنائه ميراث الأمة التركية من مجد وثروة وسلطان.

لقد علم الكماليون[٦] أن ما أدخل على الدين من تقاليد – حتى أصبحت جزءاً منه – هي الحائل الوحيد دون رفع الأمة. فأمروا بهدمها دفعةً واحدة كالطبيب لا يرى حيلةً في نجاة مريضه إلا بجرعة قوية من الدواء، ففعل وأنقذ المريض.

فإذا كان الطربوش – هذه الكسوة المضحكة الغريبة التي لا تقي الرأس مطر الشتاء ، ولا تمنع عنه حرارة الصيف، إذا كان هذا الطربوش الذى لم يعرفه الإسلام ولا العرب إلا منذ عهد قريب، أصبح أو كاد رمزاً دينياً أو رمزاً شرقياً، وأصبح العدول عنه إلى غيره بدعة فما قولك بغيره من الفسائل التي نبتت على جذع الدين وتفيأت بظله؟!!

لقد أصبحت القومية هدف الأتراك الأوحد، وخيالهم الأسمى – ولم يسد الغربُ الشرقَ إلا بهذه – ولا يكون للقومية هذا المقام إلا إذا انتزع من عقلية الشعب تلك التقاليد التي أصبحت كما قلنا جزءاً من الدين. وها هي اليوم قد انتزعت بجرأة غريبة، فقطع التركي بهذا، العلاقة بكل مسلم على الأرض إلا بأخيه التركي لعلمه أن الوطن لا يقوم على سواعد الغرباء، ولا يمشي على بخار الأوهام، والأشواق ، والصلوات. ويميناً لو أنه جاز للمسيحي أن يكون تركياً لكان في نظر الترك أخاهم المفدى لا يبيعونه بألوف المسلمين من غير الترك.

ونحن إذا شئنا أن يكون لنا وطن مستقل، فلن يكون لنا هذا الوطن إذا لم نحذُ حذوَ الترك؛ فلا نبيع ابن وطننا إذا كان مسلماً بألوف النصارى الأجانب عنا؛ وإذا كان مسيحياً بألوف المسلمين الأجانب عنا.

ولا نصل إلى هذا ما لم يتوحد نظام العائلة عندنا، وما لم نقتدِ بالأتراك، فنعزل الدين عن السياسة، ونجرده من التقاليد البالية التي نُعيذه ونُجلّه أن يكون منها.

وما اعتَدتْ النهضة التركية على جوهر الدين، إذ ما كانت الملابس والأزياء جزءاً منه، ولولا هذه الدعوة التي قام بنشرها مصطفى كمال وجماعته، بإبدال الأحرف العربية بالأحرف اللاتينية، لما كان لنا ما نأسف عليه؛ لأننا جماعةٌ لن نرضى عن العربية والأحرف العربية بديلاً، ولأن اللغة التركية ولأصحابها، مكانتهم تحت الشمس، يُعززون بأمر فهم العربية جانب لغتنا، ويحملون أصحاب المصالح من المغاربة[٧]، على درسها، وفي هذا من تعميم الآداب العربية والشرقية، ما فيه من النفع الأدبي والمادي.

إن الإقدام على إبدال الأحرف العربية بالأحرف اللاتينية لياذ [٨] لا يخلو من صَغار، وإذعان لا يخلو من احتقار، ولماذا يعترف الأتراك – وهم من أكبر الدول الشرقية – للأمم الغربية، بتقصير حروفهم عن تأدية ما يحتاجون إليه لآدابهم ومصالحهم؟ ولو كانت الأحرف أحرفهم وحدهم لما كان لنا ما نقول، ولكنها أحرفُ أقوام عديدة يتحفز معظمها للنهوض. فإذا ما أبقى الأتراك على أحرفهم، كانوا وهؤلاء الأقوام، خير نصيرٍ لهذه الأحرف التي رافقت القرون، وأبطال هذه القرون الذين ملأوا التاريخ أدباً وعلماً وحكمة.

أجل، لقد غلا دعاة الترك في هذه، وغلوا في ترجمة القرآن الكريم، ولو نظروا إلى الغرب وإلى الشرق أيضاً، لرأوا أن اللغات الدينية – وهي لغات ميتة – لا تزال تستعمل في المعابد؛ ومع ذلك فهي لا تزال تُعلم في الصفوف العليا، للتوسع في العلوم كاللغة اللاتينية واللغة اليونانية القديمة وغيرهما.

فإذا كانت هذه اللغات – وهي من اللغات الميتة – لا تزال تستعمل دينياً، وتُعلم توسعاً أو تفلسفاً، فأحرى بأن يبقي الأتراك على القرآن عربياً، وعلى الأحرف عربيةً، فلا يكونون بذلك إلا مقتدين بأوروبا نفسها، إذا أرادوا الاقتداء بها في كل شيء.

لقد كان يجوز لنا أن نعتقد بأن النهضة التركية بفرنجتها الأحرف العربية، تحاول أن تقطع كل صلةٍ في الماضي، ولا سيما بالإسلام، فتعمد إلى فرنجة الكتب التى تروق لها، فتدخلها مدارسها. وهكذا على التمادي، تصبح الكتبُ التي لا تروق لها نسياً منسياً، فتقطع بذلك الحلقة التي تربط الحاضر بالماضي، ولكن تتريكها القرآن يفسد علينا هذا الاستنتاج أو قد يفسده.

على أن أشد ما يهمنا، من النهضة التركية الحديثة ويهم كذلك الدولة المنتدبة، هو عدول الأتراك عن سياسة التوسع – إذا استثنينا مسألة الحدود – إذ لو كان ذلك في نفسهم وفي خطتهم، لما حطموا أمضى سلاحه وهو «السياسة الدينية»، ولا يدلك على ذلك أكثر من موقف القنصل التركي، في عيد المولد النبوي في العام الماضي، وفي هذا العام.

وعلى ذكر القنصل التركي سعادة عبد الغني سني بك[٩] فلا يجوز لنا أن نمر بحملة الزميل الفاضل طه أفندي المدوَّر[١٠]، عليه، تلك الحملة التي لم نر لها مسوغاً، لأنها تجاوز على الحرية الشخصية، وهو من أنصارها؛ ولأن أي قنصل، ملزم بأن يتقيد بأوامر حكومته، ومقررات مجلسها. وليس من ينكر على سني بك – وقد عاش بيننا زمناً طويلاً – تلك الآداب السامية التي يتحلى بها؛ ولم تكن الآداب ليحتكرها زي من الأزياء أو عادةٌ من العادات، بل هي مشاع بين البشر، يأخذ منها كل فردٍ بمقدار ما تساعده عليه تربيته البيتية والاجتماعية.

والعجيب أن يحمل الزميلُ الفاضل، على سني بك، لخروجه في الشوارع مع ذويه متبرنطين – سافرين – وهو يقول في نفس مقاله ما نصه بالحرف:

«نحن لسنا من أعداء القبعة ولا السفور بل ربما لبسناها بعد حين، وأسفرنا عن وجوه نسائنا.. لكننا موطدون العزم أن لا نفعل هذا، إلا يوم نعرف بأن سجايانا العلمية والمدنية اختمرت وصارت توزن بمكيال الأمم الراقية».

هذا ما قاله الزميل، وهو من أنصار التجدد كما ترى، بل هو سيلبس القبعة وسيعمل على السفور بعد أن ضرب لذلك موعداً هو وزن الأمة بمكيال الأمم الراقية. وله رأيه في وزن أمته، ولكن الأتراك – ولهم رأيهم أيضاً – لا يريدون أن يعترفوا لغيرهم من الأمم بأنهم أرقى من أمتهم؛ ولذلك استعجلوا هذا الموعد، فلبسوا القبعة وأسفروا متمثلين بقول الشاعر:

إذا كنت ذا رأيٍ فكُنْ فيه مُقْدما

فإن فساد الرأي أن ترددا

وليس أنصار الطربوش في هذا البلد، جماعة المسلمين وحدهم ولا المترددون في لبس القبعة هو طه أفندي وحده، بل إن في النصارى للطربوش أنصاراً وفيهم كذلك المترددون كطه أفندي؛ ونحن من هؤلاء المترددين.

وخلاصة القول، فإننا شهد الله علينا – لا نتوخى من إيقاظ هذه النهضة، سوى تعزيز القومية وملاشاة النعرة الدينية أو الطائفية، لأن البلاد لا تنهض بغير نهضة الأكثرية. فهى إن سارت سرنا وإن توقفت توقفنا.

وللمسلمين وحدهم في هذا الشرق أن يقولوا:

إذا نحن سرنا سارت الناس خلفنا

وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا[١١]

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٩٢٥، عدد: ٣٤٤٥، ص: ١

****

نهضة الهند وأثرها في الشرق

الحرب العالمية كانت خير لقاح للأمم المستضعفة

هل يستريح الذين على طريق الهند؟

لا غرو إذا كانت هذه الثورة السلمية الناشبة في الهند، قد أقضت مضاجع الإنكليز واستلفتت الدول الاستعمارية كافةً إليها.

فلقد نقلنا أمس كما ننقل اليوم، من أخبارها ما يكفي لإثارة المخاوف في صدور أولئك الذين يعملون على استثمار البشر كما تستثمر الأرض والحيوان .

وحسبك أن تعلم أن الذين تظاهروا لرئيس المؤتمر الهندي، عند وصوله إلى لاهور،[1] المدينة التي يعقد المؤتمر فيها، كانوا نحو مليوني شخص، ليتضح لك جلالة الموقف ولتثق أن الفيل الهندي الذي كظم غيظه طويلاً، انتفض اليوم تحت وخز الحراب، فراح يقحم القلعة الانكليزية لا يلوي على شيء ولا يبالي بشيء.

وأين هذه المبالاة من هذه القرارات التي عجموها في المؤتمر بمقاطعة المجالس التشريعية، والنكول عن دفع الضرائب، الى آخر هذه القنابل التي فجروها بين أرض الهند وسمائها، فراحت كالعاصفة تكتسح إرادات الملايين من الهنود لا تهمد ثوراتها ولا يهدأ دورانها قبل أن تنال الهند استقلالها ويخرج آخر إنكليزي منها مشيعاً بالكرامة.

لقد كانت الحرب العالمية لقاحاً للأمم المظلومة بتحكم الأغيار فيها. فلقد استكشف الشرق قيمة الوعود التي أمطرها ساسة الغرب عليه إبان النكبة، وتمرس الذين تجندوا من أبنائه بالعنفوان العسكري. وقد كان للهند وحدها نحو الميلونين في ساحة الوغى، ناهيك عما كان لقواعد ولسن[2] ذلك الإنساني العظيم من أثرٍ في نفوسهم رفعها عن

مستواها القديم، وهوّن في سبيل تحقيقها بذل النفوس، حتى أصبح الشرقي لا يتردد عن غسل الإهانة بدم صاحبها. كل هذا تجمع حتى أصبح حساً عاماً يرمي إلى هدفٍ عام، هو نزع سيادة الأغراب ليسودوا هم أنفسهم ويتصرفوا أحراراً بشؤونهم.

وإنه ليدهشك – على علمك بما بين الهندوس والمسلمين من البغضاء – أن يقف رئيس لجنة الاستقبال وهو مسلم، والمسلمون في الهند أقلية فيغرق إغراق الهندوس أنفسهم في محاسبة الإنكليزي على أموال الهنود والرجال الهنود بكلمات جاءت صورةً فظيعة لقسوة القوي المستبد وعجرفته.

ولا يجب أن ننسى أثر الروس في هذه الحوادث، وهم لا يغمض لهم جفن ولا يطمئن لهم بال إذا لم يعكروا على الانكليز خاصة، فنحن على مثل اليقين من أن لهم يدهم في الهند، كما أن لهم يدهم في الصين، كما أن لهم يدهم في إفريقيا الانكليزية؛ فكأنما هم آلوا على أنفسهم أن يعصفوا على الراية البريطانية في جميع البلاد التي تخفق عليها بدون حقٍ مشروع.

وإذا كانت الحركة الهندية تهم أحداً من الناس، فهي تهم على الأكثر، هذه الشعوب التي نثرها الله على طريق الهند، فكانت سبباً لبسط السيادة الانكليزية عليها. أفترى تطمع هذه الشعوب أن يقطع الهنود الطريق على الأسد البريطاني، فتسقط تلك الحجة «الواردة» وتتنفس مصرُ وفلسطين والعراق، وغيرها الصعداء؟ أجل إنه لحلم، ولكن قد تصح الأحلام.

بشارة الخوري

البرق، ١٩٣٠، عدد: ٣٣١٦، ص: ١

****

ثالثاً: موقفه من سوريا

ابيض

في سبيل دمشق

زار الأخطل الصغير دمشق فكتب في جريدة «سوريا الجديدة»[1] المقال البليغ الذي يلي عن دمشق:

ها أنا أستمد الوحي من سماء دمشق، من برداها، وما قام على ضفتيه من بواسق الحور، ومثمرات الجوز والرمان! ها أنا أستمد الوحى لأكتب سطراً في سبيل دمشق.

دمشق مرضع سوريا الحنون! دمشق الجدول العذب في وسط الرمضاء! دمشق عشيقة آلهة الغابات! دمشق أجمل عرائس المروج!

قالوا إن دمشق عاقرٌ، كأن في عيونهم عمىً عن سرواتها[2]

هي إهانة لكل دمشقي بل لكل سوري؛ بل هي كفران بواجب هذا البلد الطيب أن لا يُنبت رجلاً حقيقياً بأن يكون كرجال البلاد الأخرى، تعقد له الرئاسة مقيدةً برأي الأمة.

إذا طلبت دمشق الاستقلال، قيل لها: إن أمة تطلب ما تطلبين، لزمها أن تنبت ما تنبته البلاد المستقلة؛ فأي الرجال أنبتِّ؟ وبأيهم وثقت؟ وعلى أيهم اتكلت؟

قيل لها، إن ذلك حق لك لا يُنازع، فقدِّمي الأكفاء من بنيك!

تقولين: إن سوريا للسوريين، ذلك هو القول العدلُ، فأشيري إلى سوري يتطوع في حمل أثقالك، وتحقيق آمالك. إن في السويداء[3] رجالاً فقدمي واحداً من رجالك!.

قيل لها: إننا جئنا لنؤيد حق السوري لا غير. لنقدم مصلحة السوري لا غير، لنشارك السوري لا غير.

قيل لها لقد علمتنا الأيام القلائل التي صرفناها في حضن سوريا شرف الفطرة السورية، وطيب العنصر السوري. وإنما أفسد تلك الفطرة وذلك العنصر – إلى حين – اختماره بالأفكار الغريبة الفاسدة، أفكار طرداء بلادهم، أبناء الصدف وحملة مشاعل الأوهام.

قيل لها: إننا جئنا باسطين يد الإخاء، فقابلتِها بيد العداوة. باسمين عن ثغرٍ السلم، فقابلتِه بثغر قطوب. معلنين لك وللملأ أنك أختنا الصغرى، لك منا حنان الأم وعطف الشقيق، فإذا أنت تعمدين إلى السيف مندفعةً بالعوامل الخبيثة وراء المضلين.

وها إن الشفرةَ الحادة التي لعبت بها جرحت يدك الناعمة.

لقد أثرت غضب الوالد[٤] ولن يدوم ذلك الغاضب. هو درس كان ثمنه غالياً، فعسى أن يكون مفيداً.

يقولون: لا كلام للمغلوب، ولكن ذلك يكون إذا كان الغالب عدواً، ولكننا نرى الغالب يمسح الجراح بمنديل الرحمة، ويكفكف الدموع التي أراقتها نزعات الجهل بأنامل الحنان. إذن فليس هنالك من مغلوب وغالب. بل هنالك عمليةٌ كان لا بد منها تقليصاً لظل الفوضى وتمكيناً للأمن المضطرب، وإرجاعاً لحق السوري إليه. إن حقه كان ضائعاً، ومصيره كان على أسلات الألسن الطائشة ترمي في مهب الأرياح.

لقد جربت فيصل[٥] في من جربت؛ فأي حربٍ جرها وأي ويلٍ ساقه؟

قد يكون الأمير طيب القلب، طاهر الذيل. ولكن كان ولا جدال، عاملاً لتلك «السلطة»[٦] مؤتمراً بأوامر أصغر رجالها؛ خاضعاً – حتى في موقف الخطر على سوريا – لكل إشارة تبدو من صغار عمالها غير المسؤولين.

لقد يكون من المعقول لو استند إلى مواعيد كبراء رجالها، إلى المسؤولين منهم، إلى رجال الوزارات، إلى المفوضين الرسميين؛ لأن مصير الأمة السورية، ومصلحتها، ودماء أبنائها، تستحق هذا الحذر، وهذا التحفُّظ، وهذا الضمان. ولكنها المجازفة بكل هذه أدت إلى ما نحن فيه.

مَنْ لا يذكر يوم جاء بيكو لمقابلة الأمير، وعرض ما عرضه من الضمانات، وإلحاحه على الأمير بتوقيعه ذلك الميثاق، أنه لو أمضى يومئذٍ لكانت الوحدة السورية، وكان الاستقلال السوري، ولانصرف جميع مَن في الساحل وفي الداخل إلى المطالبة بفلسطين، الجزء المتمِّم لسوريا. ولكن الأمير استشار، فقيل له: (لا)! وعلَّلُوه. وكان أقتل الأشياء ما به علَّلُوه، [٧] وكيف ينصحون يومئذٍ بالاتفاق، ولم يكن مؤتمر سان ريمو[٨] قرر ما قرر، وقسم ما قسم، وأعطى ما أعطى.

وبعد مجيء الجنرال [غورو][٩] كم عرض على الأمير من الأمور التي ترجع لخير الأمة السورية، وتسير بها شوطا بعيداً في سبيل الرغد والترقي، في سبيل الحكومة التي يطلبها السوريون مبنىً ومعنىً!

لقد قيل لي إن أحد الأمناء سقط يومئذٍ على يد الأمير يُقبِّلها، ويرجوه أن يُوقِّع – ذلك الميثاق – لأنه نظر إلى ما وراء الوعود وعلم ما وراءها.

لا غرو أنه لو كان الأمير سورياً[١٠]، لما جازف بمُجازفته تلك. إذن فلا طيبُ النجار، ولا شرف العاطفة، ولا أية المزايا الكريمة، تدفع المسؤولية الكبرى التي نرى نتائجها؛ بينما كان في الوُسع أن ننال أكثر ما نريد على أحسن ما نريد.

إن دمشق كالنهر الذي يجري فيها هادئا ساكنا فما هو ذنب النهر إذا رماه بعض الطائشين بالحجارة فخضخض مياهه؟.

إن الدمشقيين أعشق الناس للهدوء، امتازوا برقة الخُلق كامتيازهم بعذوبة النطق، فإذا طرأ عليهم عارض خارجي، ومؤثِّر خارجي، فإنما المذنب سلامة النية. خُدعوا فانخدعوا، وينخدع الكريم.

سيرى الجنرال غورو كيف تستقبله دمشق اليوم؛ سيرى أنها غير التي علم عنها؛ سيرى صفاء الوجوه وصفاء الذين صوروا دمشق مُشوَّهة، الذين رموا ذلك النهر بالحجارة فكدَّروه، ليسوا الآن فيها.

فدمشق – كما يراها الزائر العظيم – مرْضع سوريا الحنون!

دمشق الجدول العذبُ في وسط الرمضاء!

دمشق عشيقة آلهة الغابات!

دمشق أجمل عرائس المروج!

البرق، آب ١٩٢٠، العدد: ١٠٦٣، ص:١

****

لنعمل لسوريا ولبنان
في سوريا ولبنان

لم نكن على خطأ يوم قلنا إنه يجب العمل لسوريا ولبنان في قلب سوريا ولبنان ومع الدولة المشرفة عليهما.

ولم نكن على خطأ يوم قلنا بقطع كل علاقة مع الخارج حتى لا نثير ظنون الدولة المنتدبة بنا فتطمئن إلى أننا نطلب بأنفسنا لأنفسنا لا بدافع دافع وتغرير مغرر.

ولم نكن على خطأ يوم قلنا إن فرنسا لا تطمئن – وحقها أن لا تطمئن – إلى الدعوة الشريفية[١] ما زال الشرفاء لا يستطيعون التمرد على إرادة إنجلترا وكثيراً ما تختلف مصلحتها ومصلحة فرنسا.

وإذا كنا منصفين فيجب أن نعذر فرنسا إذا عملت لمصلحتها إلا إذا كنا لا نعذر أنفسنا إذا عملنا لمصلحتنا.

وليس لمصلحة فرنسا وحدها يجب علينا تجنب الدعوة الشريفية بل هو لمصلحتنا أيضاً. للمصلحة التي من أجلها نهض العرب في كل مكان لمقاومة هذه الدعوة بعد أن بشروا بها.

علموا أن المسألة لا تخرج عن أحد أمرين: إما أن يتمرد الملك حسين وأنجاله على الإنجليز وإما أن يذعنوا لإرادتهم.

أما التمرد فهو مستحيل، لأن الإنجليز هم الذين رفعوهم ملوكاً ولولا الإنجليز لابتلع ابن السعود[٢] الحسين[٣] ولرفض العراقيون فيصلاً[٤] ولانتصر ابن العدوان[٥] ومن ورائه أحرار السوريين على عبدالله[٦].

ولولا الإنجليز لما كان المال والمال لابد عنه حتى مع وجود الإنجليز بطياراتهم ودباباتهم.

إذن فلابد من الأمر الثاني وهو الإذعان.

والإذعان لإرادة الإنجليز لا يتفق بشيء مع مصلحة الوطنيين إلا إذا كان من مصلحة الفلسطينيين والعرب عامة:

١ – الاعتراف بوعد بلفور.

٢ – إلحاق حكومة الشرق العربي بفلسطين وجعلها كفلسطين وطناً قومياً لليهود.

٣ – ضم سكة حديد الحجاز من نصيبين حتى عمان إلى سكة حديد فلسطين.

٤ – التنازل عن العقبة وتبوك للإنجليز وهي قطعة من البلاد المقدسة عند المسلمين[٧].

٥ – تقييد العراق بالمعاهدة الإنجليزية – العراقية وهو قيد يعد الانتداب عنده استقلالاً، وحسبك أن تعلم أن إنجلترا تريد أن تُخرج العراق بهذه المعاهدة من تحت نفوذ جمعية الأمم لتكون هي وحدها مرجعه.

فإذا لم تكن هذه جميعها من مصلحة الوطنيين فلماذا لا يهدمون الجسر الذى يمشي الإنجليز عليه للحصول عليها.

وإذا كانوا لا يريدون هدمه فلماذا يعملون على شده وتمكينه.

فإذا كانت النكاية فلن نضر – لو نعقل – إلا أنفسنا، وإذا كان الخوف من العامة فللعامة دواؤها لا سيما وأن بعض المفكرين هم الذين خلقوا هذا الداء.

نحن لا نقول بالاستسلام إلى الفرنساويين بل نقول بوجوب إنصافهم إذا نحن قابلنا ظلهم الخفيف مع ظل غيرهم الثقيل، ثم وقد أنصفناهم – والإنصاف مدعاة للثقة – فيمكننا عندئذٍ أن نتفاهم معهم على ما يضمن المصلحة المشتركة مع المحافظة على الكرامة القومية.

إن الذي أثار الحفائظ عندنا هو ما أدخله عمال الدعوة الإنجليزية باسم الشرفاء من أن الفلسطينيين والعراقيين هم من كل الوجوه في حال أحسن من حالنا. غير أنه ما كاد ينقشع غبار المعمعة حتى ظهر من تحته البلاء الذي يكابده جيراننا وإخواننا، أما في فلسطين والشرق العربي فأمرهما جلي واضح، وأما في العراق فهذه حادثة أمس التي سقط فيها القتلى من النواب دليل على مبلغ الضغط والألم المخيمين في عاصمة الرشيد.

فحريّ بمن يمدون بأبصارهم منا إلى خارج الحدود يستمطرون الآمال أن لا ينسوا حكمة القائل:

إن من تـــــــــرجـــــــــو بـه دفـع الأذى
عـــــنـك يـــــأتـــــيك الأذى من قـــــبـــــله

البرق، ٢٦ نيسان ١٩٢٤ ، عدد: ٢٠٧٩ ص: ١

****

في الحياة الاجتماعية

ابيض

الما بين في لبنان

إلى أين المصير والقوم سكارى بخمرة المنافع، وخمرة الوجوه، وخمرة الكروم؟ إذا بقيت الحال على هذا المنوال فالمصير إلى الانحلال

لا نعرف شعباً كالشعب اللبناني لا هدف له في هذه الحياة. فهو قانع بأن يكون في حالته المنحطة، لا تنفتح له عين على ما يجري حوله في العالم، ولا ينبض له عرق في سبيل إثبات وجوده، ولا ينطلق له لسان للتدليل على كرامته؛ بل بالعكس: فهو آخذ في الانحلال تدريجيا تحت تأثير المخدرات من النكبات المحلية في المدائن والقرى، والتكالب على المصالح والمناصب في مجلسه وسائر دوائره، إلى ما هنالك من الشهوات تراق حيث يطيب لها، حتى تحت الراية الخافقة فوق ساعة السراي، وحتى تحت قبة البرلمان. وهم مع ذلك يوجبون على الصحف أن تحترم من لا يحترم نفسه كأنهم نسوا قول الشاعر العربي الكبير من لا يكرِّم نفسه لا يُكرَّم[1].

وبعد، فإننا لننتساءل والخوف يملك علينا المشاعر: إلى أين تصير بنا هذه الحال وأولو الأمر عندنا فريقان: الروحاني الغارق في شهواته ولذاته يسخر لها نفوذه، والماديُّ الغارق في منافعه يسخر لها الهوى حيناً والدهاء حيناً آخر؟ كذلك كان «الما بين» قبل انهياره تسود فيه «الوجوه» وتتحكم فيه الدسائس، لا يفرق عنه إلا أن هناك كان للخصيان فيه السيادة، أما هنا فالسيادة للفحول كل الفحول.

وإذا شئت أن تكون المهذب القلم واللسان، بل إذا شئت أن تكون الوطني الذي حرق عمره على هيكل الأوطان، بل إذا شئت أن تكون العبقري الذي كسا بأدبه الفريد هام لبنان، إذا شئت أو بالأحرى إذا قدرت أن تكون جميع هؤلاء، فليس لك، عند أولي الأمر من الإكرام، قدر قلامةٍ، ولا أنت يُردُّ عليك السلام إلا انزعاجا، ولا أنت تصل إلى مطلبك لديهم ولو لفَّه الحق بجناحيه، وطبعه العدل على شفتيه.

لكنك تهتز لك القلوب قبل الأجسام، ويراق على قدميك الابتسام والإكرام، وتخضع لك المطالب ولو كانت حراماً، وتطوف بك الأماني مُداماً، وإن شئت فندامى؛ أجل إنك لتظفر بجميع ذلك إذا كنت وقح اليراع، لا يبالي بنشر الفضائح والمصائب – والأثيم جبان – فقُل لي، رعاك الله، إلى أين المصير مع هذه الحال؟ وقل لي كيف لا يملك الخوف علينا المشاعر من سوء هذا المصير؟

هذه الزراعة فاضت روحها بين الصخور والأشواك إذ ليس لها أثمان تفي ببعض أكلافها، وأجهزت عليها الرسوم الجمركية التي ضربتها عليها البلاد الأجنبية. ومع هذا فأين هو أثر نواب البلاد والحكام في رد هذه الفاجعة التي قامت لها المآتم في القرى والمزارع؟

وهذه الصناعة تعضُّ عليها جماركنا – نعم جماركنا – بالنواجذ قتلاً لها وإحياءً لغيرها. نضرب لك مثلاً صناعة الجلود، وما يكابد أصحاب المدابغ فيها من الضنك والقهر جيئةً وذهابا، والتماسا واسترحاما، وهم إلى هذه الساعة ينظرون إلى البرلمان (نعم هكذا سمَّوه) دون أن يسمعوا تحت قبته صوتاً نصيرا أو يلمحوا في «سمائه» أملا منيرا.

أما التجارة فالعياذ بالله منها؛ فهي كالمنشار تعمل فينا صعوداً ونزولاً. إذ ندفع ثمن ما نحتاجه منها مرتين: مرة في يد الجمرك، ومرة في يد التاجر. وتالله لو مثل الصبر نفسه لما استطاع على هذا الضيم صبرا. ومع ذلك فنحن دولة عندنا برلمان، وعندنا حرس جمهوري، وعندنا، وعندنا، وعندنا.. «وظُنَّ شراً ولا تسأل عن الخبر»[٢].

ويقولون لك مع هذا، إننا نعيش؛ ويدلّونك على ما يشاهدونه من البذخ الظاهر في مسارح البلد وملاعبها. وهم لو فَطنوا لأدركوا أن الذي يضحك لا يُبالي أن يضحك أمام الناس، أما الذي يبكي فيلجأ إلى غرفته وإلى الليل ليبكي.

فكم هو عدد الذين يضحكون في هذه البلاد ما عدا رجال السراي وفتيانها؟ والله – حلفة صادقٍ – لَنَعرفُ قوماً من كبار البيوت اللبنانية، بل هم في الذُّؤابة العليا من الوجاهة والفضل، بل هم من الذين عرفتهم مناصب الحكومة كابراً عن كابرٍ، وكان

اسمهم قريناً باسم لبنان قبل أن يخلقوا للبنان أسماء جددا، والله – حلفة صادق – لنعرف عدداً من هؤلاء: يشكون إلينا عجزهم حتى عن تأدية بدل الجريدة، ويلتمسون بانكسار أنهم في حاجة الى الستائر يُرخونها على بؤسهم حجباً له عن العيون! ووالله إن جميع ما في لبنان من الضحك لَيَغرق في دمعة واحدةٍ من هذه الدموع التي ظهَّرها الألم والخشوع!

نقول دون خشية: إن لبنان سائر في الطريق المُعَجَّل إلى فقدان مزاياه، وإغراق جنسيته في جنسيات الأمم الغريبة التي أدخلوها عليه. ونقول دون خشية: إنه إذا لم يتكاتف جميع أبناء البلاد من مسلمين ونصارى، على إقالتها من عثرتها، فهي صائرة إلى حتفها القريب؛ وسيكون أغنياؤها المستكلبون على حطام الدنيا عبيداً مرتين – مرة لأموالهم – ومرة لأسيادهم الجدد، وسوف يرون.

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٩٣١، عدد: ٣٣٩١، ص: ١

****

ابــــــــــــــــــــــــــــــيــيـــض

الهجرة اللبنانية

ابيض

ماذا يُعْوِز العيد
أين المهاجـــرون؟

غداً[1] يُعلِنُ الجنرال غورو باسم فرنسا، تأليف «لبنان الكبير» وعاصمته بيروت؛ يعلن لبنان الكبير على ما شاءه اللبنانيون: وطناً حُرّاً مستقلاً، متكئاً على ساعد الأمة الفرنساوية الكريمة.

إن فرنسا التي وعدت بتكبير لبنان، وأنجزت، وعدت أيضاً بلبنان المستقل بحكومته النيابية، وعلى رأسها إما أمير وإما رئيس، وستُنجز. إن فرنسا تعودت أن تقول وتفعل، أو أن تفعل دون أن تقول.

ولكن لفرنسا أن تسأل عن الذين طلبوا لبنان كبيراً مستقلا، لتضع هذا الوطن في عهدتهم، كما ستضعه في عهدة من انضم إليهم من أبناء البلدان الأخرى. فماذا نُجيبها؟؟؟

لا خلاف في أن الذين أوجدوا فكرة «لبنان الكبير» هم أبناء «لبنان الصغير» وفي طليعتهم المهاجرون منهم – لقد طلبوا إلى فرنسا لبنان كبيراً، فاشترته لهم بالدم والمال، فأين هم هؤلاء الطالبون ليستلموا الوديعة؟

إن اللبنانيين المتخلفين – أي أبناء «لبنان الصغير» – ليسوا بالأكفاء لهذه المهمة كما يقول بعض الصحافيين المهاجرين.

أجل، إن المتخلفين لَيَعجزون عن القيام بهذا العبء دون المهاجرين؛ إذ ليس في الجبل اليوم من أبنائه سوى الفقير العاجز، أو الغني الغبيِّ، أو الرئيس الكسول. هذا عدا عن القلة القليلة الراقية التي تضيع بين هذه الجذوع العتيقة، وكلنا نعلم أن المهاجرين هم أكثر نشاطا، وأكثر اندفاعا، وأكثر وسائل لجعل لبنان على ما حلمنا ولا نزال نحلم به: مملكةً صغيرة مسالمة لها من شرف فرنسا وعطفها أكثر ضامن في هذا الوسط المضطرب بأمواج التعصب الطائفي، وهو سُمُّ الوطنية القتَّال.

قلنا إن أصحاب فكرة «لبنان الكبير» هم أبناء لبنان الصغير، وهم الذين طلبوا ضم بيروت وصيدا وحاصبيا وراشيا وبعلبك وطرابلس إليهم. ولا نكران أن المتخلفين منهم هم حفنة صغيرة في هذا المجموع الساحلي الكبير. فإذا تقاعس المهاجرون، وجُلُّهم من الجبليين، عن الرجوع إلى الوطن، فتكون النتيجة من تكبير لبنان، هي إذابة البقية الباقية من أبناء الجبل في بوتقة كبيرة، لا تلبث أن تغيب فيها – وعندئذٍ تكون النتيجة أن لبنان انضم إلى غيره لا أن غيره انضم إليه.

إن كلمتنا هذه هي صدىً لكلامٍ فاه به أحد المجاذيب من متوجهي بيروت في زحلة، إذ زعم أنه ورفاقه، سيسيطرون على لبنان (هذا إذا انضم لبنان إلينا)، (والضمير راجع للذات[٢] المومى إليه) إلى آخر ما زعمه مما يريد أن يظهر به في مظهر الآمر الناهي في المسائل العمومية التي منها ضمُّ لبنان إلى بيروت.

إن أمثال هؤلاء الذين نفّروا إخواننا المسلمين عن السياسة الفرنساوية في أول الانقلاب، قد يُنفرون إخواننا الجبليين (أبناء لبنان الصغير) ولا نقول عن فرنسا، لأنهم أصل في حبها، بل قد ينفرونهم عن إدارة الحكومة إذا كان لهم إصبع غليظ فيها.

أما وقد علم إخواننا المهاجرون ما علموا، فلا نظنهم يتأخرون، إذا هم شاءوا أن يحفظوا عزة هذا الجبل، عن أن يرجعوا إليه، وهناك في بيروت «عدا وجيهنا وأضرابه» وفي جبل عامل وحاصبيا وراشيا وبعلبك وطرابلس، هناك في هذه الأماكن المحبوبة من لبنان، إخوان كرام وأحباب كرام يرون في إخوانهم الجبليين الوفاء المُجسَّم، والحبَّ الأكيد، والمصلحة المتبادلة.

إن عيدنا غداً مهما سيكون عليه من عظيم الأُبهة، ومهما سيُقام فيه من معالم الزِّين، ومهما ستتم فيه من الأماني، إن عيدنا هذا سيُعوزه شيء هو أغلى وأحب وأفيد من كل ذلك، سيُعوزه أبناؤه المهاجرون.

البرق، ٣١ آب ١٩٢٠، عدد: ١٠٧٦، ص:١

****

دمعة على الطلل البالي

ماذا يفيد جمال القفص إذا لم يصدح طائر فيه

بالأنين يُعرف ألم الجرح. فإذا أنت سمعتنا نئنُّ، فقُل إن هنالك جُرحاً بليغا. وأي جرحٍ أذهب بالحياة من جرحنا، وإن شئت فقل: من جراحنا لأنها – ويا للأسف – كثيرة خطيرة؟

ما الناس على سطح هذه البقعة اللبنانية سوى دمائها. هم الذين يبعثون الحياة فيها بما يغرسون، وبما يشيدون، بل بما يتبادلون من المصالح وبما يُنفقون. سُنَّة الله في العمران؛ ما قام قائمه إلا على أسس هذه الزراعة والصناعة والتجارة. ولا قائمة لهذه، إلا بالبشر يُشمِّرون لها السواعد، ويرصدون لها الأوابد والشوارد؛ ثم بالإثراء مما ينتجه الكدُّ، ويحفظه الاقتصاد. فيتسع بذلك نطاقهم، ثم يستمطرون سحب الغير بما يُصدرون من فضلائهم. فإذا ما اختل ذلك في بلد – وهو مختل عندنا – فقل: على ذلك البلد السلام.

هذه صخورنا شواهد عدلٍ على نشاط اللبناني. فلقد مهدها ترابا أنبته إثراءً. ذلك يوم كان يقنع بالعباءة والعمة البيضاء.

أما وقد دخل التفرنج أو الترفُه إلينا، فاستنزف كل دمنا ولم نستنزف قطرة من دمه، فلم يعد ذلك النشاط مفيداً لا يثمر بعض حاجة اليوم، وما أدراك بحاجة اليوم.

فكيف بنا وهذه قيود الديون العمومية تُثقل أعناقنا؟ فقد ملكت علينا البحر وأعوزتنا حتى إلى الملح، ثم أعملت فأسها بكرمتنا، فلم تُبق عليها ولم تذر، واسترقَّت تجارة الكحول فينا في عهدٍ لا ظِلَّ للرقيق فيه إلا على هذا الشاطئ التاريخي.

وماذا نقول عن الريجي[1]، وقد قتلت التبغ؟ بل ماذا نقول عن الامتيازات الأجنبية وهي ذلك الصليب الأسود القائم على قبر هذه الأمة؟.

ليس العجيب أننا لا نسير إلى الحياة، بل العجيب أن يبقى فينا بقية حياة!

ومع ذلك قالوا لنا: لا تيأسوا ! فلا بُدَّ ليوم الخلاص أن يأتي، وكلُّ آتٍ قريب؟

ولكن البواخر في كل أسبوع، تنقل المئات من هذه الكُروات الحمراء من السواعد المفتولة العاملين في الأرض وفي المخازن، المنتقلين بنشاط بين المدن والدساكر[٢]، زُرَّاعا وتُجَّارا وصُنَّاعا.

أو ما قرأت – في ما تقرأ – من الأخبار، أن الباخرة هذه سافرت تُقلُّ مئتين، وتلك ثلاث مئةٍ ضاق بهم الرزق – وكيف يتسع – فتركوا الدار تنعى القائمين فيها، وهاجروا تاركين فراغاً لا يُملأ بالسنين الطوال؟ بل إن ذلك الفراغ يتسع يوماً فيوماً باللاَّحقيهم من أبناء البلاد – الدافعي الضرائب – القائمة على أكتافهم دوائر الحكومة وملايين غروشها.

إنه لهول جسيم أن لا نُبالي بهذه الكوارث، وهي الموت يفغر فمه إذا لم نعاجله بالضربة القاضية، كان كالبحر ينشق للصخرة الهاوية، ثم يبتلعها. وكالرجم يشق جوف الليل ثم يكتنفه.

وهب نهضت الحكومة بهذا الشعب يوماً، بأن فككت عنه قيوده فألغت الامتيازات الأجنبية، وأبطلت الديون العمومية، وأنشأت شكل إدارة تقتصد به نصف نفقاتها من معاشات ولوازم، هب أنها شادت القصور تُناطح السحاب، ونفخت في الحقول روح الشباب، هب أنها فعلت ذلك ولم يكن في الديار ديار!!!

فماذا يُفيد جمال القفص إذا لم يصدح طائر فيه؟؟

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٩٢٢، عدد: ١٦٩١، ص: ١

****

المهاجرة في البيان الوزاري

وما صبابة مشتاق على أمل
من اللقاء كمشتاق بلا أمل

مغالطات الحكومة - هجرة الأمس واليوم

وخاض بعض الجرائد في موضوع المهاجرين الذين يبحرون أفواجا من السواحل اللبنانية إلى البلدان الأخرى طلبا للقوت الذي لا يجدونه في وطنهم ثم ذهبت إلى أن السبب في هجرتهم هو ثقل الضرائب. فأقول:

لا يخفى على أحد أن عبء الضرائب في لبنان القديم كان خفيفا جدا فبأي تفسير يفسرون هجرة ٢٠٠ ألف لبناني في خلال ٣٠ سنة قبل الحرب العالمية مع وجود نظام للضرائب خفيف الظل؟ لا شك ولا ريب في أن سبب تلك الهجرة لم يكن شدة العسف والجور من حكومة الجبل، فإذا لم يكن السبب وقتئذٍ عبء الضرائب أو عسف الحكومة فما هو السبب يا تُرى؟.

إن الذين يهجرون الوطن في هذه الأيام لا يقدمون على ذلك بسبب الشقاء والبؤس بل لرغبتهم في اجتناب العمل في الحقول وفي احتراف حرفة تكون أقل تعبا وأكثر ربحا من ذلك العمل.

- من البيان الوزاري -

سنتناول البيان الوزاري نقطة نقطة من سطره الأول إلى سطره الأخير ولكننا رأينا أن نخترق السطور الأولى إلى البحث في المهاجرة بسبب البيان الذي نشرناه أمس للوزير الأول[1] وقد جاء فيه أن عدد المهاجرين الذين تركوا لبنان من أول كانون الثاني ١٩٢٦ إلى ٢٢ تشرين أول من السنة نفسها بلغ عشرة آلاف، مع أن المستفاد

من المعلومات الرسمية أن مجموع عدد الجوازات التي أعطيت للبنانيين في المدة المشار إليها بلغ ٩٨٥٠، فيكون الفرق بين الحكومة والصحف ١٥٠ فقط، هذا إذا لم يكن هناك من سافر بدون جواز، وعلى كل فقد كان الأجمل بالحكومة أن تتغاضى عن هذا التصحيح إذ ليس هناك كبير فرق في الرواية.

هذا ما حدانا إلى اقتحام البحث في المهاجرة ومناقشة الحكومة في ما حسبته مبررا .... راكبة إليه متن المغالطة.

إن مهاجرة اليوم يا حضرة الوزير الأول ليست على شيء من مهاجرة الأمس لا في روحها ولا في مغازيها، فلقد كانت مهاجرة الأمس على نية رجوع المهاجر بالثروة إلى لبنان وإلا فمن أين للبنان هذه البنايات المسقوفة بالآجر وهذا الرخاء الذي كان له يوم كانت أموال المهاجرين، والمهاجرون أنفسهم، ينصبون في ميناء بيروت حاملين الحياة والرخاء للجماد والأحياء، بل أين كانت هذه الطرق المعبدة التي امتاز بها لبنان دون سائر بلاد العالم؟ أفهو فقره؟ أم هو سفر اللبناني على نية أن لا يرجع؟

هو كما تقول يا حضرة الوزير الأول «إن عبء الضرائب كان خفيفا في لبنان القديم ومع ذلك فقد كان تيار المهاجرة جارفا».

لقد جئت بالحجة على نفسك من حيث أردتها حجة لك. فإذا كان اللبناني يهاجر يوم كانت الضرائب خفيفة، نقوم فنرهقه اليوم بضرائب أشد وأبهظ لنزيد في تنفيره؟؟ ولو أن الحكومة عملت شيئا في سبيل إنماء الثروة المحلية لكان لها عذرها في زيادة الضرائب، أما وهي لم تعمل شيئا فكأنها ساعدت المهاجرة على الاستفحال، ومع ذلك فهي تعنف الصحف إذا هي تخوفت هذه المغبة.

أجل «لقد كان عدد الأهلين آخذاً في الازدياد بحيث ضاق لبنان عنهم وهو مؤلف من صخور صماء وقمم جرداء» ولكن ذلك يا حضرة الوزير الأول كان قبل الحرب العالمية وأنتم لا تجهلون عدد الذين أفنتهم الحرب ولا تنسون المئتي ألف الذين سلبتهم المهاجرة، فهل يجوز أن يقال اليوم إن ازدياد عدد السكان هو سبب هذه الهجرة وليس

في لبنان سوى قبضات صغيرة آخذة بالتفلت حتى ليخشى إذا استمرت الحكومة تنخدع بنظرياتها هذه أن لا تثبت هذه البقايا في بلادها.

ومن المدهش زعم البيان الوزاري أن سبب الهجرة ليس هو الشقاء والبؤس، فكأن ما أنزلته الثورة بإخواننا في الجنوب والشمال ليس شقاء وبؤسا، وكأن الأزمة الاقتصادية التي لم تمد الحكومة يداً لتفريجها [ليست] شقاء وبؤسا، وكأن استنزاف دم اللبنانيين بالضرائب لترفيه الموظفين ليس شقاء وبؤسا؟ فإذا لم يكن كل هذا شقاء وبؤسا فبالله دلونا على الشقاء والبؤس لنتعزى قليلا عن الحالة التي نحن فيها.

يقول البيان الوزاري «إن الناس في الشرق تعودوا أن يحسبوا الحكومة مصدر كل خير وكل رخاء والحقيقة هي غير ما يظنون» ولو فكّر واضعو البيان الوزاري قليلا لرأوا ان من حق الشرقيين أن يحسبوا الحكومة لا مصدر الخير وحده بل مصدر الضير أيضا، ذلك أن الشرق تعود السيادة المطلقة فهي وحدها دون الشعب كانت تصرف مقدراته على ما يرتئيه السيد المطلق، فلا لوم إذاً على الشعب في اعتقاده وهو لم يخلع ثوبه القديم بعد، أما إذا كانت الحكومة تريد أن تقف موقف الحكومات الدستورية التي لها شعورها المشترك مع طبقات الشعب، فلماذا لا تحذو حذوها في مساعدة شعبها؟ وأقرب مثال على ذلك موقف حكومة أميركا تجاه الأزمة القطنية وإمدادها المزارعين بالمال ليقووا على الاحتفاظ بأقطانهم فلا تباع رخيصة. وما يقال عن أميركا يقال عن مصر أيضا؛ فهل برهنت الحكومة يوما على مثل هذا الشعور؟.

وهناك ما هو من الغرابة بمكان بعيد ألا وهو زعم البيان الوزاري أن عدد المهاجرين اليوم إذا قيس بعددهم قبل الحرب تراه بالنسبة أقل منه، فهل رأيت أغرب من هذا القول؟ فإذا افترضنا أن عدد اللبنانيين كان منذ ثلاثين سنة ٥٠٠ ألف نفس سافر منهم خلالها نحو ٢٠٠ ألف نفس، فماذا تكون النتيجة إذا كان الباقي في جبل لبنان ٢٥٠ ألفا وكان يهاجر منهم ٥ آلاف كل سنة؟

ثم أفلا يرى أصحاب البيان الوزاري أن ضياع الواحد من خمسة أوقع في النفس وأدعى إلى اليأس من ضياع عشرة من مئة؟.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن مهاجري اللبنانيين قبل الحرب كانوا ينتظرون يوم الخلاص من الحكم التركي ليعودوا بثرواتهم إلى لبنان حتى إذا جاء يوم الخلاص الموهوم زاد نفورهم وزادت هجرتهم.

هذا بعض ما حضرنا من تفنيد ما جاء في البيان الوزاري في موضوع المهاجرة وحسبك به الآن.

بشارة الخوري

البرق، ٣١ تشرين الأول ١٩٢٦، عدد: ٢٦٦٥، ص:١

****

الجنسية الضائعة

قانون الحكومة لا يتقي نكبة لوزان

عندما تقرأ ما نحن ناقلوه عن الرصيفة الكبرى «الهدى» حول تعطيل «البرق» وزميلاتها، وعندما تلمس تلك العاطفة الكبيرة الصادرة عن ذلك الزميل الكبير[١]، وعندما ترى تلك النجدة القوية التي حملتها صحافة الإخوان المهاجرين، عندما ترى كل ذلك يبدو لك بعض السبب في اندفاعنا لمحاربة تلك المعاهدة التي تبتر منا تلك القوة، حتى إذا نزلت بنا نكبة وارتفع لها صوت أولئك الإخوان قالوا لهم: رويدكم فما أنتم من لبنان ولا للبنان كما قضت به معاهدة لوزان[٢].

ولقد كنا نرجو أن تنهض الحكومة اللبنانية ومن ورائها البرلمان فيتبرأوا من تلك المعاهدة، إذ أي شأن لسادة «لوزان» معنا حتى يتحكموا بما هو من حقنا كأنما الجنسية اللبنانية صباغ في يدهم لتلويننا بما يرتأون.

ولقد كان لنا بعض تعزية أو لمسنا في صدر الحكومة اللبنانية شبه عاطفة، أو سمعنا لها شبه غضبة أو أثبتنا لها شبه مأثرة، فإذا هي تعللنا بمشروع قانون وجوده وعدمه سيان، ولم يدهشنا كالأستاذ إدة حين شكر للحكومة مشروعها هذا كأنه رأى فيه شفاء الغليل ،وما هو إلا تعلة بتعليل، اللهم إلا إذا رأى الأستاذ فيه ما لم نره حتى أدى للحكومة تلك الشهادة التي توكأت عليها في بيانها وكانت تغريرا.

لقد طالع القارئ كلمتنا أمس وطالع كذلك القانون الذي وضعته الحكومة زاعمة أنها ضربت به معاهدة لوزان على رأسها، وخلاصته هي «إن كل لبناني مهاجر يعود إلى لبنان وتتوفر فيه بعض الشروط يستطيع استرجاع الجنسية اللبنانية».

ومعنى ذلك أن كل لبناني قبل سنة ١٩١٤ لا يعود إلى لبنان ولم يتقدم إلى القنصليات الفرنساوية قبل ٣١ آب من عام ١٩٢٦ تسقط عنه الجنسية اللبنانية.

فالأستاذ المكرزل مثلا ذاك الصحافي الذي أدى لبلاده ما أدى من الخدمات الجليلة إذا هو لم يتقدم إلى القنصلية وإذا لم يعد إلى لبنان تسقط عنه الجنسية اللبنانية وهكذا قل عن كل لبناني مهما كانت مكانته، وسمت مروءته، واتقدت وطنيته.

أفإذا كان هذا ما يستفاد من قانون الحكومة وهو – كما ترى – لم يفد شيئا، أفإذا كان هذا هو قانون الحكومة الجديدة فأية ميزة له عن قرار رقم ١٥ الذي وضعته حكومة المسيو كايلا[٣]، وقد منحت المادة الثالثة كل أجنبي حق التجنس بالجنسية اللبنانية بأخف من الشروط التي أودعتها الحكومة في قانونها.

نحن لا نقول إنه لا ينبغي للبنانيين المهاجرين أن يتقدموا من القنصليات لتثبيت جنسيتهم فإن ذلك أول الواجبات عليهم، ولكننا نعلم أن هناك كثيرا من الموانع التي تحول دونهم ودون هذه الرغبة وأهمها تغلغل معظم اللبنانيين والسوريين في أقاصي البلاد وتأثير الدعايات على البعض الآخر، وقد كان للثورة مهمازها الشديد في هذه الدعاية فلا يجوز والحالة هذه أن نقفل الباب ونحكم إقفاله.

ولم نكن لنعير هذا الأمر كبير أهمية لو كنا أي بلد آخر من الذين يشملهم حكم معاهدة لوزان، لو كنا الأتراك أو المصريين أو العراقيين لأن ليس لهؤلاء ما لنا من المهاجرين. أما والهجرة اللبنانية السورية قد طغى طوفانها، أما وقد أصبح اللبنانيون خارج لبنان أكثر من اللبنانيين في لبنان، وأغزر ثروة وأعز مكانا، فمن الحيف بل من الغباوة التي لا غباوة بعدها أن نسكت عن هذه الجناية التي يريدون أن يجنوها علينا بحكم مستبد قاهر.

فنحن والحالة هذه نعتبر أن القانون الذي وضعته الحكومة إنْ هو إلا ذر الرماد في العيون، كأن هذه العيون لا يكفيها ما فيها من رماد.

بشارة الخوري

البرق، ٧ تشرين الثاني ١٩٢٦، عدد: ٢٦٦٩، ص: ١

****

من لهذه الرايـة

البرق يستقبل جديده

أيْ رايةَ الوطنِ، أين أنتِ؟

للهِ أنتِ طريحةً كالحسام المحطَّم في ساحة الوغى!

معفَّرة بالدم والدمع!

مُلقاةً كورقة الريف[1] المهترئة عند الجذع النَّخر!

عاريةً حتى من عواطف المُشفقين.

حتى من دمعة الأفق التي على النبتة الحقيرة.

لله أنت من راية!...

أيْ راية الوطن أين أنتِ!

لا أبالي اللون الذي تلبَسينَ.

ولا الخيط الذي منه تنسجين.

ولا المكان الذي عليه تُرفعين.

على أن لا يكون كنيساً ولا كنيسة.

على أن لا يكون مسجداً ولا مُقاما.

على أن لا تكوني إلا لنا ومنّا وفينا.

على أن لا تكوني إلا لنا مجتمعين متحدين متضامنين.

ولكن لله أنتِ! أين أنت؟

لِمَنْ هذه الرايات الخوافق.

يتلاعب بها الهواء؟

تَتَبَّسم بها الألوان؟

تسيل عليها النفوسُ؟

تتهدَّجُ تحتها الأصوات؟

للمسيحيين راية.

للأرثوذكس راية.

للدروز راية.

للكاثوليك راية.

للموارنة راية.

لله أبينا، لقد أزرينا على المعرض بما عرضناه. لقد حقَّت علينا الغرامة وحق علينا الاحتجاج!...

وأخيرا اهتديت إليها، اهتديت إلى الراية الوطنية.

يا لها من قصبة ضعيفة، عليها خرقة بالية، مُتكئة على القصبة اتكاء اليتيم على صدر العجوز اليابس.

عزلوها كأنها الأجرب.

تربَّبوها[٢] كأنها الليل .

أنكروها كأنها العار.

إن للطوائف رايات لها جنودُها.

وإن للوطن رايةً.

فمَنْ لهذه الراية...؟

الأخطل الصغير

البرق، ١٩٢١، عدد: ١٢٦٧، ص: ١

****

لو ملكت الأمر يوما وليلة

لـقـد كـنتُ قـبلَ الـيـوم أُنـكِـرُ صـاحـبي
إذا لـم يـكنْ ديـنـي إلى ديـنـه داني
وقـد صـار قـلـبي قـابلاً كلَّ صـورةٍ
فـمَـرعىً لـغِـزلانٍ ودَيْـرٌ لِـرُهـبـانِ
وبـيتٌ لأوثـانٍ وكَـعْـبَـةُ طـائفٍ
وألـواحُ تـوراةٍ ومُـصـحَفُ قـرآنِ
أَدينُ بـديـن الحُبِّ أنَّى تـوَجَّـهتْ
ركـائـبُه فـالحُبُّ ديـنـي وإيمـاني[1]

ابن العربي

لو ملكتُ الأمر في هذا البلد يوماً وليلة؛ لو ملكتُ أمر القدير المستبدِّ، لأحدثتُ في الناس أمراً يبقى مضرب المثل إلى يوم القيامة.

وبدأتُ بالمدارس، فأمرتُ ذويها بأن يجعلوا أبيات ابن العربي هذه، صلاة الطَّلبة صغاراً وكباراً.

وأمرت بأن تُشرح بحيث تُصبح مع شرحها، الكتاب المقدَّس لهذا الوطن، لا يحفظون غيره ولا يدينون إلا به.

ولأمرت المجلس البلدي بأن يقتطع أجمل وأشرف بقعة من الأرض فيقيم لهذا النبيِّ الجديد تمثالاً من أجمل التماثيل.

ولأمرت الحفَّار بأن يجعل يُمنى التمثال ممدودةً، يُعلِّقُ فيها لوحاً هو أشبه بلوح الوصايا العشر، مكتوبة فيه هذه الآيات تُقرأ نهاراً، وتقرأ ليلاً بواسطة الكهرباء.

ولأمرت الناس – أبناء هذا الوطن – أن يزوروه كلَّ عام وأن يضع كلُّ زائرٍ منهم ما يستطيعه من المال: من الطفل الرضيع إلى الشيخ الهاوي.

ولأمرت بأن ينشأ من هذه الأموال رسالة للتبشير تكون لها المدارس والمياتم والملاجئ.

ويكون لها يد فعالة في كل صناعة، وفي كل قوة.

ويكون لها صحافة.

ثم إذا انتشر «نور الله هذا» على هذه البلاد فعمَّ الشعب بجملته، أنشأنا حكومة.

ومتى كان لنا حكومة قلبها دير رهبان، وبيتُ أوثان، وألواح توراة، ومُصحف قرآن، متى كان لنا مثل هذه الحكومة على مثل هذا الشعب، كان لنا من كل دولة عاطفة وفي كل أمة ضلع، وكان لنا إصبع في كل دين على السواء.

ولأمرت بتشييد هيكل لا أسمح بأن يعلو أو يكبر عليه هيكل؛ خالٍ إلا من الجلال. واخترت أبرع الرسامين، وأمرته بوضع صورةٍ تُمثلُ موسى والمسيح وأحمد، متفاهمين، متصافين، متلازمين. وفي زاوية من هذا الرسم صورة هارون وبطرس وعلي[٢]. وفي يد كل منهم إما كتابٌ، وإما ورقة يتباحثون في ما كتبوا ويتناقلون ويتوحدون.

ومتى تم بناء هذا الهيكل أطلقت عليه اسم هيكل «ابن العربي» إقرارا بفضله.

ثم أمرت الناس فدخلوا إليه أفواجاً أفواجا؛ فما هم إن رأوا ما رأوا حتى سجدوا خاشعين، وحتى تنقَّت ضمائرهم، فأصبحت كثلج صنين، وحتى قالوا: رب كيف ضللنا طوال السنين، فما كان لنا من هاد؟ لماذا لم نعرف قبل اليوم أن رُسُلك على وفاق؟ إننا اختلفنا حاسبين أننا نُرضيهم، فكنا من الخاسرين.

وكان صباح وكان مساء. فإذا بيومَي سيادتي انتهيا، ولكن بعد أن جعلتُ من هذا الوطن البالي وطناً فتياً في بُنيته، كبيراً في فكرته.

والحمدُ لله من قبل ومن بعد.

البرق ، ٢١ تموز ١٩٢٣، عدد: ١٨٨٠، ص: ١

****

إلى أخي في عيده
عاطفة تتجدد

من أديب مسيحي

إلى أديب مسلم

يا له من موقف...!

العيدُ غداً عيد أخي. فماذا أعددت للعيد؟!

أيَّة زهرةٍ جميلة!

أيَّة نغمةٍ طيبة!

أيَّةَ عاطفةٍ رقيقة!

لقد ظمئت هذه النفوس إلى الحب.

ظمئت إلى مجالس اللهو والأُنس.

ظمئت إلى الكأس الصافية والنفس النقية.

الهواء والماء لي وله.

الشقاء والهناء لي وله.

والتراب الذي نستحيل إليه غداً، ستضربه العاصفة فيمتزج فيكون منه بَنونا.

ماذا أعددت للعيد؟

العاطفة الكريمة في الصدر الكريم، تستطيع أن تُحوِّل الشِّقاق وئاماً، والخصام سلاماً، والبكاء ابتساماً.

ليت لي أن أصوغ الأزهار ثُغورا!

وأعكس عليها الكواكب نورا!

وأرسم العواطف في القلوب سطورا!

وقليلُ عليَّ ذلك في عيده.

في عيد أخي.

أخشع للجامع من أجله.

لأنني رأيته خاشعاً فيه.

وأحب كل «أحمد» من أجله، لأن أحمد اسمه.

والبيت الذي أحبَّه.

والصحن الذي أشبعَه.

والكأس الذي أنعشَه.

أحبُّ كل ذلك من أجله.

من أجل أخي.

كانت لنا وقفة على الرمل منذ أيام.

قال لي والدمعة تجول في عينيه:

هذه هي الحفرة التي تضم إخواننا ممن قتل (جمال).

أزل هذا التراب عنهم، وانظر إلى امتزاج هذه العظام البوالي!

وميز – إذا استطعت أن تميز – «أحمد» من «سعيد»!

ويحنا، كيف وحدتنا المصائب ومزجتنا المنايا؟

فعلام تُفرقنا الحياة على قصرها وغرورها؟

وجاءني يوماً بجريدة مصرية قال لي اقرأ.

– قلت ماذا؟.

– المسلمون والقبط يتعانقون. وكانت الدمعة تجول في عينيه، ولكنها دمعة

السرور كانت.

أصبح الجامع كنيسةً والكنيسة جامعا.

تبادلت القسسُ[1] والأئمة، المنابر.

ثم قال: ومن هم أساتذة مصر الحديثة سوى الهابطين إليهم منّا[2]؟.

أنحمل النور إلى العالم، ولا نترك قبسةً منه لنا؟

أيُّ كُرهٍ كان بين المسلمين والقبط؟

لله مصر وكرام بنيها!

ليت لنا بعض تلك المحافل!

وجاءني يوماً آخر، وفي يده بعض الجرائد وكان وجهه متجهِّما، وجبينه قاطباً، وعلى شفتيه صُفرة الموت.

وطرح الجرائد أمامي مغضباً.

قلتُ: ما بالك وما هذه؟

قال هذه جرائدكم فبئست من جرائد.

قلت: لماذا؟

قال: زعمتم أنكم نور الأمة فكنتم ظلامها؛ وهُداها، فكنتم ضلالها؛ وهناؤها فكنتم شقاءها.

قلت: ولكنها السياسة، ولكنها اختلاف الأفكار.

قال: إنكم تفعلون غير ما تقولون.

رأيتم موضع الضعف في الأمة، فضربتم عليه.

أثرتم العاطفة القتالة بما أوقدتم تحتها.

كلكم يدعي الحق، وكلكم مخطئ.

لو حسنت نياتكم لحسنت أعمالكم.

النجاح لا يكون بدون تضحية. فمن هو الذين ضحَّى بأنانيته منكم؟

تعلمون أن الشعب عبْد عاطفته؛ فمن هو الذي راعى تلك العاطفة؟

لو احترم كل منكم عاطفة أخيه، لما كنتم حيث أنتم.

لا تكونوا حطبا للموقد إن كنتم تعقلون!

وكان شعاع الحكمة يلمع في عينيه الجميلتين، وكنت لا أزال كأني منطلق في عالم روحي.

لا تزال ذكرى ذلك الأخ مالئةً نفسي.

لقد مضى على اجتماعنا الأخير عشرة أيام حسبتُها عشرين عاما.

وذكرتُ (الأضحى) غداً، فقلت أنظم هذه العاطفة إكراماً واحتراماً، وأنثر حكمته على الناس إقراراً وعرفاناً، وأدعو إلى نُصحه الإخوان لعلهم يرشدون.

العيد غداً عيد أخي، فماذا أعددت للعيد؟

أية زهرة جميلة!

أية نغمة طيبة!

أية عاطفة رقيقة!

الهواء والماء لي وله.

والهناء والشقاء لي وله.

والتراب الذي نستحيل إليه غداً، سيضربه الريح فيمتزج، فيكون منه بنونا.

أيلول ١٩١٩

بشارة الخوري

البرق، ٢٢ تموز ١٩٢٣، عدد: ١٨٨١، ص:١

****

بناياتنا الوطنية
لا تقوم على المجاملة الدينية

لم تصدر «البرق» ولا غيرها من الجرائد المسيحية مجاملة للإخوان المسلمين في عيدهم.

أن نتبادل الشعور بين أبناء الوطن جميل. فهو طريق إلى بناية الوطنية، ولكنه لا يصح أن يكون أساسا لتلك البناية.

ولقد كان هذا التبادل بالشعور، وهذه المجاملة بين أبناء الوطن، أكثر فائدة وأطول حياةً، لو هي جاءت على غير ما تجيء به اليوم: تآخي الأديان، كأن الأديان هي الألف والياء من حياتنا، كل حياتنا..

إننا بمعالجتنا انقساماتنا الدينية، بالمجاملات الدينية، نكون قد (داوينا الداء بالتي كانت هي الداء) وما أبو نواسٍ[1] بابن سينا[2]، لنتَّبع تعليمه.

كلنا نشكو من أن سبب خمولنا وضعفنا، هو هذه الخلافات الدينية وحملها من المساجد الى الساحات العمومية، والنوادي السياسية. أفلا ترى أننا، بإقامتنا مبدأ التفاهم والاتحاد في ما بيننا، على الأساس الذي شكوناه، يُعدُّ ضربا من الحُمق، ولا يتفق في شيء مع النهضة العصرية والوطنية الحديثة التي لا تعرف غير المصلحة المجموعة والشرف العام؟

إذن، فمعانقة الصليب للهلال، وقُبلة الكاهن للشيخ، وزيارة المسلمين للكنائس، والنصارى للجوامع، ليست سوى كثبانٍ من الرمل، إذا ضربتها الزعزع، نسفتها نسفا.

وإذا تنكر الكاهن للشيخ، أو الشيخ للكاهن؛ أو إذا قامت دولة للصليب على دولة للهلال، أفما ينبغي – وقد بنينا وطنيتنا على هذين – أن يغضب صليبيونا للصليب

وهلاليونا للهلال، المتنازعين في وطن غير وطننا وفي قوم غير قومنا؟

وما هي إلا رفَّةُ جفن حتى ينهدم ما بنيناه من بنايات الوئام وصروح الوطنية – هذا إذا كان أساسه المجاملة الدينية كما هو شأننا.

بل لماذا تتحارب ملوك الإسلام ولم يجفَّ تراب الرسول بعد؟ ثم لماذا تتحارب الدول المسيحية ولكلها راية للصليب رسم عليها؟؟؟

إنهم جعلوا سلامة الوطن فوق الأديان، وإنهم عزلوا الأديان جانباً عن كل ما يتناول المصلحة الوطنية.

بهذا اتحدوا وبهذا تعلَّوا وبهذا استقلوا، وما أبعدنا نحن عن كل هذا؟

إن الدين عاطفة، والعاطفة مصدرها القلب، والقلب سريع التقلب أو قُل سريع التأثر.

فلا يجب أن نُعلق حياة وطن بأسره على عاطفة تتخذ لكل حدث لونه.

وسيذكر الذاكرون أننا سنبقى على حالنا من الانحطاط، ما زالت هذه حالنا. وأنه لن يبدل ما علينا حتى نُبدل ما في أنفسنا[٣].

فإذا كان أبناء هذا الوطن يريدون حقيقةً أن يُغيِّروا ما في أنفسهم، فعليهم أن يتجردوا من كل عاطفة دينية في المسائل الوطنية، وإذا أرادوا أن تكون بنايتهم هذه طويلة العمر، متينة الأساس، فليبنوها على غير معانقة الهلال للصليب، ولا مبادلة التزاور بين الكنائس والجوامع.

إن للوطنية هيكلاً أسمى وأعظم من كل هيكل. إن للوطنية هيكلاً لا يعرف ديناً إلا إذا اعتُبرت المصلحة الوطنية والشرف القومي، ديناً يضّمان تحت جناحهما كل دينٍ.

فنحن نُهنئ إخواننا المسلمين بعيدهم الأسنى، على رجاء أن يحتفل جميعُ الوطنيين بعيدٍ واحد، هو عيد الوطن الجديد، الوطن الناهض؛ وعلى رجاء أن تضمحل المجاملات الدينية وأدواتها في أتُّون المصلحة القومية والناموس الوطني.

البرق، ٢٥ تموز ١٩٢٣، عدد : ١٨٨٢، ص: ١

فـي سبيل الوئـــام
من أنتم ومن نحن

من قال إن بيروت جامعة الأدب، وهو داعية الوئام تصبح جامعة للتنافر وهو داعية الانقصام[١]. من قال إن بيروت الوردة الذكية العرف ترسل اليوم إلى هنا وهناك رائحة لا تستطاب. من قال إن بيروت المثال الأعلى في النبل والمصافاة تصبح المثال الأدنى في الحب والخصام.

أي خطب جلل أصاب بيروت وأي أبناء بيروت ينجو من عار بيروت.

إذا كانت الطائفية سبباً لما نحن فيه فلا كانت هذه الطائفية.

وإذا كانت المصالح فلا كانت هذه المصالح.

إن الفقر والإلحاد مع الإخاء والمودة أشرف لنا من الغنى والتقوى مع الشتات والموجدة. إن الجحيم مع التضامن والمصافاة أبرد على قلوبنا من النعيم مع التنافر والشحناء.

أين دعاة الأخوة من أبناء بيروت؟

أين المخزومي القديم والقباني القديم وكرم القديم في (البلاغ)[٢]. و «اللسان»[٣] بل أين القوم[٤] القديم.

أي هؤلاء لم يكن شفيقاً على أخيه حبيباً.،.. أي هؤلاء بل أي أديب في بيروت لم يكن إلى الولاء سميعاً مجيباً.... لقد كانوا – والأتراك يقسمون – متحدين، فما بالهم – والفرنساويون يوحدون – منقسمين.

إذا كان يسرنا احترام شعائر الدين فقد كان الجامع لممثلي فرنسا كالكنيسة والأعياد شهود.

وإذا كان يسرنا المصلحة فقد مشوا إليها وإن يكن مشيهم بطيئا.

وكيف يسرعون ولا يعثرون بحواجزنا الطائفية وحواجزنا السياسية وحواجزنا القومية وحواجزنا الشخصية.

أفهذه براهيننا ندلي بها شهوداً للاستقلال، بل للحكم الذاتي؟؟؟

واخجلتاه من هذه الشهود؟

هب أن هنالك إجحافاً في الوظائف وهب أن الموظفين غير أكفاء، وهب أن أمرهم في يد المنتقد الكريم فماذا كان يفعل؟

أنا سائل سيدي الباشا – وهو عليم – عما إذا لم تكن الوظائف مفتوحة لأكفائهم على مصراعيها وقد رفضوها، ذلك قبل أن تأكدوا أن فرنسا لا يمكن أن تكون لفريق دون الآخر، كما تثبتوه أخيرا.

والآن – وقد امتلأت تلك المراكز بأربابها، فماذا يرى؟

أي سادتي المنتقدين وما فيكم إلا الذاكر ما عليه للوطن من الواجبات، إذا اعتقدتم أن حقوقكم هذه مجحف بها فأين هو فضل التضحية؟

ونحن كذلك أين هي تضحيتنا إذا لم نقابل العتاب بقلب نقي وطرف حيي.

إذا طلبتم أن تكون الوظائف للكفاءة فاسألوا الحكومة أن تؤلف لجنة فاحصة يختارها فضلاء الوطنيين بمشارفة الحكومة وننزل عند حكمها.

وإذا طلبتم أن تكون طائفية – ولا نخالكم – فما هي إلا الأشهر القليلة ويأخذ ذو الحق حقه.

لا! ولا كانت الطائفية التي آلت بنا إلى هذا المصير المعيب.

نحن نعلم أن الوظيفة مصلحة شخصية لا تتجاوز جيب صاحبها ولا بيته، أما ونحن نعلم ذلك، أفيجوز أن نعمل منها معولاً لهدم بنائنا الوطني، وهدم ألفتنا الجميلة.

فمن أنتم ومن نحن؟.

سلوا الفرنساويين عنا يجيبوا أننا وطنيون، وسلوا الأجانب عنا يجيبوا أننا لبنانيون أو سوريون، فلماذا إذا سألنا أنفسنا عن أنفسنا تكاثرت علينا الأسماء والنعوت.

من السبّاق إلى راية الوئام يحملها لنكون له جنودا.

من الفاتح صدره وبيته ليجمع هؤلاء المتنافرين على عرض زائل.

من الماحي هذه الوصمة عن جبين بيروت.

أين هذا الرسول الكريم!

البرق، ٩ تموز ١٩٢١، عدد: ١٣٠٧، ص:١

****

مولد الرسول العربي الكريم
رحمة للعرب وللإنسانية

واجبات العربي وكل إنسان

أجل، يُعذر النصارى والمسلمون الذين وجدوا في ما يُسمونه الأعصر المظلمة، الأعصر التي غذَّتهم بكُره كلِّ دين إلا دينهم، إذا هم نشأوا متباغضين متنافرين، ينظر أحدهم إلى الآخر نظر العدوِّ الألدِّ إلى العدوِّ الألد.

ولم يكن هذا التعصب القتَّال مستأثراً به الشرقُ وحده، أو مُسلمو الشرق ونصاراه وحدهم، بل هو قد جرَّ ذيله على الغرب حقبةً طويلة. فكان له بين الكاثوليك والبروتستانت، وهم أبناء دينٍ واحد، مجازر دونها أفظع المجازر.

ولم يكن هؤلاء المسلمون والنصارى في الشرق، والكاثوليك والبروتستانت في الغرب، بتباغضهم ومجازرهم، إلا كافرين بالدين الذين يحسبون مساوئهم هذه جهاداً من أجله. كيف لا وفي تعاليم كل دينٍ ما يَحُثُّ على الإخاء ويأمر بحب الناس جميعهم على السواء. أفما قال المسيحُ: أحبُّوا أعداءكم وباركوا لاعِنيكم؟ أوَ ما قال محمد: الخلق كلهم عيال الله، وأحب الخلق إليه أنفعهم لعياله؟ وكذلك، أما جاء في الكتاب الكريم: ﴿ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾.[1]

فإذا كانت المسيحية هي السَّير بموجب تعاليم المسيح، وكان الإسلام هو السير بموجب تعاليم الرسول، أفلا ينبغي أن نَعُدَّ كلَّ مخالفٍ لأحد هذه التعاليم، كافراً بدينه، مارقاً عن مسيحه ورسوله؟

أفما ينبغي أن تقوم فينا كتلة مستنيرة متشبعة بفضائل الديانتين، عارفةً بمزايا الرجلين الكبيرين، فتُدْخِلَ إلى قلوب النشء روحاً جديداً وفكراً جديداً؟..

فـأيُّ نـاشـئ مسـلـم يَعلم أن المـسـيح ظهـر في عـالم أثقـلـته قـيود المـظالم وسـادته الرذائل، وتأكلته الوثنية والأنانية، ثار عليها حتى زلزل أركانها ودكَّ كيانها، وختم حياته بأن قدَّم نفسه قُرباناً في سبيل دعوته؛ فكان الشهيد الأول.

وأيُّ نـاشـئ مسـيحي يتمثل أمـامه العرب في جاهـليتهم، وهم أمـة عدد الرمال عـكفت على عبادة الأوثـان ونشبت فيـهم العداوات، فكان الرجل لا يـأمن على عرضـه أن يسيء.[٢] وكان وأد البنات (أي قتلهن بيد آبائـهن) عادةً شائعةً بينهم، ناهيك عن القمار والسكر. فقام محمد يثور على تلك النقائص، ويدعو القوم إلى عبادة الله ويجمع من تلك القبائل قبيلةً واحدة أصبحت من بعد ذلك، أمة حملت إلى العالم مشاعل المدنية حقبة طويلة من الدهر.

أي ناشئ من أبناء هذه الأمة، إذا عرف كلا الرجلين وما عملاه لأجل خير العالم، أي نـاشـئ إذا سـمع بـرجل كـهذين أو دون هـذين، إذا سـمـع بـرجلٍ كـهـذين، كـان له في التاريخ بعض ما لهما من المآثر الغُرِّ، أيُّ ناشئ سمع بذلك، ولم تتملكه سَوْرة الإعجاب والحب والاحترام؟

نقول – ولا نخـجل – إن الكثيرين من جهلة المسلمين ينظرون إلى المسيح مثلما ينظر الكثيرون من جهلة النصارى إلى محمد. كلا الفريقين يتمثل الرجلين بأبشع الصور، يتمثلهما كعدوين أزرقين لو تقابلا يوماً لتطاعنا بالرماح.

يا ويل من لوّن هذه الصور بأقبح الألوان! يا ويله، إنه شوَّه الحقائق وجرَّ البلاء إلى الأوطان.

لقـد احـتفلت الأمم على اختلاف أديـانـها بمـرور مئـة عام علـى مـولد الـعلامة باستور[٣] مكتشف الجراثيم، ولا ننكر هذا الاحتفال على القائمين به. فهو دون ما يجب لباستور؛ ولكن لا يختلف اثنان أن الجراثيم الأدبية التي قتلها الرسول العربي الكريم تستحق إكراما أعظم واحتفالاً أكبر.

ليس الدين وحده ولا الإنسانية وحدها، اللذان يوجبان علينا إكرام الزعيمين

الأكبرين المسيح ومحمد، بل هنالك مصالحنا الدنيا، لا تحيا، بل لا تقوم لها قائمة إذا لم تتوحد عواطفنا توحداً مكينا؛ وإذا لم يعرف كل منا ويعترف بالمزايا الغُرِّ والأعمال الخالدة والتعاليم السامية التي جاءا بها رحمةً للعالمين.

إن غداً تذكار مولد الرسول،

غداً ترتجف أصنام الكعبة، فتهوي متحطِّمة على الحضيض،

غداً ترتفع ملايين العيون إلى السماء،

غداً تطمئنُّ البناتُ في حضون الأمهات، مسبِّحات للرسول شاكرات.

غداً لا أزلام ولا مدام ولا قمار ولا خمار[٤].

وهل كالقمار والخمار مَهْلكةٌ للبيوت ومَتْلفة لفضيلة العائلة؟

غداً تذكار نهضة العرب كأمة، ونهضتها كدولة، ونهضتها كمِشعلٍ للحضارة.

غداً تذكار مولد الرجل الذي يَدين له ثلاثمائة مليون، ويحترمه العالم بأسره.

«**أبو عبدالله**»

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٩٢٣، عدد: ١٩٤٣، ص:١

****

المولد السعيد[1]

﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾

- قرآن كريم -

يضحك ثغر غدٍ عن تذكار مولد الرسول العربي الكريم؛ وسيكون للعيد بهجته، وسيكون له جماله ورونقه.

إن للرسول - وهو في عنفوان الرسالة - من المعجزات ما يقف دونه الفكر صاغراً، ولكن له في حداثته ما تصغر عنده عظمة العظيم، ويبطل عنده سحر الساحر.

إنه وقد أخرج أمة بأسرها من ظلمات الجاهلية إلى أضواء المدنية،

إنه وقد أبدل معائب الجاهلية بمحاسن الإسلام،

إنه وقد أبطل وأد البنات وحرم الزنا ونقَّى القلوب من العداوات،

إنه وقد أذل لسيفه كل سيف ولعرشه كل عرش،

إنه - وهو كذلك - ليس بأعظم في عيني منه، وهو الأمين الناشئ فقيراً، الدارج يتيما، الحامل السعد في وجهه، والطهر في قلبه، والأمل في عينيه، والحكمة في شفتيه.

إنه وهو حاكم قريش يوم الفتح، ليس بأعظم منه وهو حَكَمها يوم (الرداء والحجر)[2].

المُخرج الجاهلية من الوثنية إلى عبادة الله، المخرجها من المحارم إلى المحلَّلات، المخرجها من خشونة الجهل إلى نعومة العلم،

هو ذاك الذي سيُحتفل بتذكار مولده غداً.

إن للوطنية علينا واجباً مقدساً، هو أن نتحد. وأن للاتحاد سبباً هو أن نتحابَّ؛ ولا نتحاب إلا إذا امتزجت عواطفنا امتزاج الماء بالراح.

سيحتفل إخواننا غداً بمولد نبيهم العظيم. فأية عاطفةٍ بل أية زهرة نُقدم في العيد؟

لقد نثرت الحرب ألوف الأيتام صغاراً أنقى من الفجر وأطيب من الزهر، نثرتهم كما ينثر الخريف الورق؛ فتساقطوا أذلاء جياعاً متوسلين.

ملايين لا والدين لهم، مجردون إلا من الأطمار، عاطلون إلا من الدموع، عارون إلا من الفضيلة.

إن باقة دموعهم زهرها، وأنفاسهم عطرها. إن باقة صَلاتهم بخورها، وعيونهم نورها، هي دون الوصية التي أوصى بها الرسول لملايين المسلمين حيث قال[٣] □**فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر**○. وهي دون ذلك الغدير الصافي الذي منه يرشفون والحصن الذي به يعتصمون.

إن الغدير ليجف، والحصن ليندك. ولكن وصية الرسول للمسلمين لا ينضب معينها ولا تهدم حصونها.

إن باقة الزهر هذه لمكافأة فانية إزاء الآية الرحيمة الخالدة!

عن البرق في ٢٤ ت٢ سنة ١٩٢٠

الأخطل الصغير

أعاد نشرها في البرق، ١٩٢٣، عدد: ١٩٤٣، ص: ١

****

لماذا تكتمون
العلة إذا أردتم الشفاء

لا تشفى صدور الأمة من أدغالها بغير البَضْع
لا يشفي الأمة غير شبانها فهل ينهض الشبان إلى العمل ومتى؟

ولقد كنا نود لو أن الوفد – وهو ممثل لجميع الطوائف المسيحية قد ضم بين أفراده شخصا من المسلمين، إذاً لكانت هذه الطائفة التائقة إلى السلام والاتفاق عملت مع العاملين على فض المشكل الواقع ولكان أحس المسلمون وهم عدد كبير في البلاد أن لهم من الحقوق في هذه البلاد ما لغيرهم وعليهم من الواجبات ما على سواهم.

وليس في ذلك دعوة للطائفية فنحن أبعد الناس عنها، ولكن ما دامت الفكرة قد قامت على هذا الأساس فلم يكن ثم مانع من أن يشترك المسلمون في هذا العمل حتى لا يعتقد هؤلاء أن إخوانهم لا يقيمون لهم وزناً إلا أن يكونوا في حاجة إليهم في الأمور الانتخابية وما شاكلها.

العهد الجديد[1]

هو داؤنا المستحكم تلمسه رصيفتنا «العهد الجديد» وتلمسه في هيئة راقية تألفت وفدا يحمل السلام إلى بلد مسيحي كان على وشك أن يصطدم بالقوة فتراق الدماء.

ونحن نؤكد أنه لم يخطر على بال الوفد ونؤكد انه لم يكن ليخطر على بالنا لو كنا في عداد الوفد أن ندعو إليه مسلما للاشتراك فيه، كما أننا نؤكد من الجهة الأخرى أنه لو حصل مثل هذا الأمر مع المسلمين أنفسهم لما كانوا فعلوا غير ذلك.

وإذا قام من يدعي عكس هذا فهو مراء ولا ريب.

إن أشد ما أضرَّ بنا هو إصرارنا على كتمان الداء، داء التعصب والتحاسد الذي يأكل أكبادنا جميعا، نعم جميعا. وما دعاوى التساهل والتضامن سوى دعاوى كاذبة لأنها قائمة على أسس من المآرب المكتومة، فكيف اتجهت تلك المآرب أو كيف تحورت تتجه تلك الدعاوى وتتحور وبين ليلة وضحاها، أستغفر الله! بل بين غمضة جفن وانفتاحه يصبح التساهل ضعفاً والتضامن تسليماً.

وكيف يدعو النصارى المسلمين للاشتراك معهم في دفع جائحة عن بلدة مسيحية وفي أقصى نفوسهم أن هؤلاء لا يبالون – إذا لم نقل غير ذلك – بنكبة هذه البلدة، وإذا عكست الأمر فلا يكون عكسك مغلوطا.

لا يجب أن يؤخذ علينا عدم استثنائنا أفرادا في جميع الطوائف لأننا لا نتكلم عن الأشخاص بل نتكلم عن نفسية الأمة والأمة بمجموعها لا بأفرادها.

إن أفظع الجرائم في نظرنا هي إخفاء دائنا هذا وما هو بالعار أن نعلنه، فلقد أصيبت به أعلى الأمم كعباً في المدنية اليوم، ولكنها شفيت منه لأنها اعترفت به فنزلت عند حكم الطبيب.

ومع ذلك فنحن نريد الوحدة ونريد الاستقلال وكيف تتم الوحدة إذا كانت كل طائفة منا وطنا قائما في ذاته يطالب بنفسه لنفسه ويكيد للآخرين؟

وكيف يتم الاستقلال ونحن فضلا عن هذا التمزيق بعواطفنا ومصالحنا لا نريد أن نسلك سبيله فنحاول على الأقل توحيد العاطفة في السراء والضراء ونبذر في هذه التربة نواة نحصد منها في المستقبل القريب وطنا موحدا محترما.

هذه حقائق جارحة هي أشبه بمبضع الطبيب كتبناها إلى الجماعة المخلصة المسؤولة، لا إلى العامة التي تصفق حيث يدعو المقام إلى لطم الخدود وتضحك حيث يدعو المقام إلى ذرف الدموع.

إن بين الطوائف حُفرا وأخاديد ظهرت بأقبح صورها في الأيام الأخيرة، فإذا لم ينهض الإخوان المخلصون لطمرها فلا تستطيع الأمة أن تجتازها إلى ساحة الوطن الكبرى للعمل في سبيل الغاية الكبرى.

وهذا لا يستطيعه إلا الشبان المتعلمون الراقون إذا هم انضموا جمعية واحدة تدين بدين الحق فوق كل شيء، وبدين الوطن قبل كل شيء.

افتتاحية

البرق، ١٩٢٥ عدد: ٢٣٤٨، ص:١

****

الفصل بين الحكومة والمعبد

هذا موضوع يخلق بنا تحليله. ولقد شكرنا لحضرة الصديق الفاضل الخوري أنطون عقل[1] صراحته وتساهله، ورغبته مثلنا في معالجة هذه البثور الظاهرة في جسم هذا الوطن، حتى يكون لنا منه وطن سليم نستطيع أن نسير به مرحلةً في طريق السلامة؛ وطريقها هو توحيد عواطف الأمة وغاياتها وقوانينها.

وإنما كان لنا هذا الرأي في الفصل بين الحكومة والمعبد، لاعتقادنا أن السبب الأول في شقاقنا وشقائنا، هو هذا التصادم الطائفي في مصالح الحكومة. وآخر أدلته: الموقف الأخير الذي احتكت فيه الحزازات احتكاكا أبعد ما بين القلوب مسافاتٍ سحيقة، وحفر ما بين الإخوان خنادق عميقة.

فقلنا: إذا كان الماضي أملى علينا عبره، وإذا كان الحاضر حفر في الصدور أثره، فما أحرانا بأن نتعظ وبأن نعتبر وبأن نزدجر! فقد حان لنا أن نقتنع بإخفاق السياسة الماضية، لا سيما بعد أن دفعنا ثمنها انحطاطنا هذا الانحطاط، وضعفنا هذا الضعف، وفقرنا هذا الفقر، وتشتتنا هذا التشتت.

أجل لقد بدا كل ذلك أمام عيوننا؛ فلم نجد له سبباً إلا مَزْجنا الدين بالدنيا وإدخالنا الطائفية في الوطنية. فلم نر والحالة هذه، إلا أن نقول بمبدأ الفصل، وإلا بقينا إلى أبد الأبيد عبيداً، وبقينا إلى أبد الأبيد كالذئاب؛ إذا لم يكن للأجنبي هيبته عندنا وحكمه فينا، فعلنا فعلها بأنفسنا.

هذا ما نُمهد به للرأي الذي قدمنا وهو رأي مفكري اللبنانيين كافة.

بقي أن نجول مع حضرة الأب الصديق في رسالته وهي تنحصر في النقاط الآتية:

الأولى – أن للطوائف ورؤسائها، حقوقاً منحتها إياها فرمانات[٢] السلاطين التي اعتبرتهم ممثلين رسميين لطوائفهم.

الثانية – أن الحكومة الإفرنسية حلت محل الحكومة التركية فاحتفظت بقوانينها.

الثالثة – أن واجب الحكومة احترام جميع الأديان ورؤساء الأديان.

الرابعة – أن تحافظ الحكومة على هذه التقاليد، إلى أن تقوم قوانين أخرى وممثلون آخرون رسميون شرعيون، تجد الأمة فيهم مدافعين عن حقوقها.

الخامسة – ما ذكره حضرته عن المحاكم الشرعية والبلاد السورية.

هذا مجمل رأي الأب عقل أوجزناه هنا للقارئ، ومن بعد يقرأ ما نحن قائلون فيه.

لا يجد القارئ المتمعن أن بيننا وبين حضرة الأب عقل خلافاً، حتى ولا خلافاً صغيرا يستدعي عتابا، حتى ولا عتابا صغيراً. فهو ونحن نعترف بوجود فرمانات السلاطين، والحقوق التي منحتها رؤساء الطوائف. ولو لم نعترف بوجودها لما طلبنا إبطالها. وهو ونحن نقول إن هذه التقاليد يجب أن تُبَدَّل بقوانين أخرى يضعها ممثلو البلاد الحقيقيون.

ويسرنا جداً أن يظهر حضرة الأب عقل بمظهر التساهل هذا. وليس هو وحده من أنصار هذا المبدأ، بل هناك طائفة كبيرة من الإكليروس الراقي تقول به ولكنها تمشي إليه بالتؤدة.

وما كان حضرة الأب عقل وسائر طبقته ليرضوا عن إبطال هذه التقاليد وإبدالها بقوانين شاملة عادلة، لولا أن لهم نفس اعتقادنا بضررها كل الضرر بالوحدة الوطنية.

ثم كيف نرضى ويرضون بهذه الفرمانات، وهي إنما كانت منحة السيد للمسود؟ ونحن ندَّعي اليوم أننا نمشي في طريق السيادة، ونحاول أن لا نخضع إلا لما نسنُّه نحن من الشرائع التي يتساوى أمامها جميع الوطنيين وتسقط عندها جميع الميزات.

أفلا يرى حضرة الأب عقل أن هذه الفرمانات – وهي رمز عبودية الماضي – أصبحت غير لائقة بشرف الآمال التي نحلم بها، والاستقلال الذي ننشده؟

غير أن حضرة الأب لم يفهم جيدا ما قصدناه من قولنا بقطع الحكومة لكل علاقة «رسمية» بالمعابد. فأخذ علينا أننا ندعو إلى عدم احترام الأديان. ولو علم حضرة الأب أننا من دعاة الحرية الشخصية، وأن الحرية الشخصية تُوجب احترام حرية المعتقد، لأحسن فهمنا، فضلاً عن أننا استدركنا ذلك في مقالنا بقولنا «علاقة رسمية» لنُخرج الأمر عن «العلاقة الشخصية». فلقد يكون الحاكم متديناً فيحضر إلى المعبد الذي يشاء، ويصلي فيه كيف شاء، بصفته فلاناً ابن فلانٍ، لا حاكم دولة لبنان.

وإذا كنا نقيم لحرية الأفراد هذا الوزن، فقد تحتم أن نقيم لحرية الجماعات وزنا أوفر. إذن فلا مجال للريب في أننا ندعو إلى احترام كلِّ أحدٍ، رئيسا كان أو مرؤوسا مازال يحترم القانون.

بقي ما أشار إليه من جهة المحاكم الشرعية ودار الفتوى. فهذه أيضا ستشملها القوانين التي يضعها ممثلو الأمة الحقيقيون، بما يقضي به حق الشعب على الحكومة.

أما رغبة حضرة الأب إلينا بأن نطلب فصل الحكومة عن المعبد للبلاد السورية، فلقد كنا نجيبه فيه إلى رغبته – وليس مثلنا من يردُّ مثله.

افتتاحية

البرق، ١٩٢٥، عدد: ٢٣٥٤ ، ص:١

****

صِلْ. أحسن. قل الحقَّ

«صِلْ مَنْ قَطعَك، وأحْسنْ إلى من أساء إليك، وقُلِ الحقَّ ولو على نفسك».[1]

«محمد»

إذا شئنا أن نكون أمة – بل إذا شئنا أن نحقق ذلك الحلم العظيم الذي يجول في رؤوس كبرائنا – وأريد بهم كبراء الأحلام منا – إذا شئنا، وأريد بالمشيئة هنا المشيئة الممزوجة بعصير الإرادة والشوق – إذا شئنا أن ننزع أسمالنا البالية ونخلق منا عالماً جديدا، عالماً لا يعرف إلا الإنسانية طائفةً وإلا الوطنية ديناً، وإلا العمل مبدأً، إذا شئنا أن نكون – ولا نطلب المعجزات – بشراً كسائر مَنْ نُشاهد من الأمم المستقلة، لنا رأينا في نفسنا وحُرِّيتُنا في أرضنا – إذا شئنا ذلك، فليس علينا أن نشرب ماء البحر، ولا أن نُتقن السِّحر، ولا أن نقتني الأساطيل، ولا أن نُوجد المستحيل، بل علينا أن نحفظ الوصيَّة التي قرأت ونعمل بها:

«صل مَن قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك».

وهَبْ أنك لأمرٍ جفوتني، فتنكرتَ لي، فأنكرتَ عليَّ حقي، فآذيتني.

هَب أنك فعلتَ ذلك كله. أفما ذاكر أنت الوصية، فتقول الحق ولو على نفسك؟ ومتى اعترفت به، عُدت عن الإساءة إليَّ. ومتى عدت عنها وصلتني، وعندما تصلني نتَّحد، وعندما نتحد نقوى، وعندما نقوى نعزُّ.

وأي شيءٍ حط بنا من حالقٍ سوى التقاطع؟ أفالمسلمون والنصارى غير متقاطعين؟. أفالمسلمون في ما بينهم والنصارى في ما بينهم، غير متقاطعين؟. أفأبناء العشيرة الواحدة والمهنة الواحدة، غير متقاطعين؟

وأي هؤلاء لا يعمل على الإساءة إلى غيره، والإساءة أنواع؟ بل أي هؤلاء إذا وضح له الحق أذعن له غير مُكابر؟

رأيت أننا لا نُكلفك أمراً عظيما، لا نكلفك أن تستهبط الوحي، ولا أن تستنزل القمر. رأيت أننا لا نكلفك شيئاً من ذلك، لنرفع بك إلى أعلى علِّيِّين هذا العالم؛ لا نكلفك سوى حفظ كلمة واحدة والعمل بها.

إن في اللبنانيين والسوريين، إن في نفوس هؤلاء، لؤلؤةً ولكنها غير مصقولة؛ هي لؤلؤة مكارم الأخلاق. أما التراب بل الأقذار التي شوَّهت تلك اللؤلؤة، فهي أقذار التعصب وعفونته. ثم تحجُّر هذه العفونة بتكدس الأجيال عليها، حتى ضاعت اللؤلؤة وأصبح لا يرى الناظر ولا سيما الغريب المراقب سوى ذلك التعفن الكريه الظاهر.

أجل، إنه لداء ينخر في عظامنا فيوهيها. وإنه لَقُبح يشمئز منه الناظر إلينا. ولا شفاء لذلك الداء، ولا مزيل لذلك القُبح، سوى العمل بموجب الحديث الشريف – صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك.

البرق، ٢٨ آذار ١٩٢٦، عدد : ٢٥٦١، ص: ١

✱✱✱✱

بماذا يبرر الطائفيون موقفهم

إن الطائفية كناية عن ربط البلاد بقيود تمنعها من النهوض

آلينا أن نسير في محاربة الطائفية حتى النهاية؛ فإما أن ينتصر دُعاتها علينا، وإما أن نُزحزحهم عنها.

وإنما نتهالك على تقليص شبح الطائفية اليوم، لاعتقادنا أنها الفرصة السانحة، الفرصة التي ستعض البلاد يدها ندماً إذا هي لم تغتنمها لِمَحو هذه الوصمة القبيحة عن جبينها؟ وتُقَوِّم هذا الجدار المُعوجَّ من بنيانها.

نكتفي اليوم بوضع الدعائم التي أقام «الطائفيون» عليها مذهبهم، معلقين عليها بكلمة موجزة.

قالت لجنة الدستور:

«قد أجمع المستشارون على شجب الطائفية، وتمنى أكثرهم زوال الأسباب التي تدعو الى التمسك بها؛ وأعلنوا خجلهم من القول بوجوب اعتمادها، على أن ١٢١ منهم اختاروها أساساً للتمثيل البرلماني».

نقول: إن شجب هؤلاء للطائفية وخجلهم منها، اعتراف صريح بأنها عار. ولا نظن وظيفة أو وظيفتين أو عشراً أو عشرين، تُضحي بها الطوائف اللبنانية، توازي هذا العار الذي ستزداد وصمته توسعاً وقبحا، عندما نُنزل الطائفية بمُطلق إرادتنا في صُلب دستورنا.

أما «الأسباب التي تدعو إلى التمسك بالطائفية» فإنها قائمة في نفوسهم. أجل إنها قائمة في نفوس القائلين بها. فما عليهم بعد أن شجبوها وخجلوا منها، إلا أن يقتلعوها

من نفوسهم؛ ونحن نكفل أنهم لا يشعرون بأقل ألمٍ. لأنها ليست قطعةً من هذه الأنفس بل هي طفيلية لا يؤذي اقتلاعها ولا يضيم.

ويقول أنصار الطائفية:

«إن البلاد تتألف من طوائف مختلفة العقيدة والتقاليد والعادات والآراء. فعدم اعتماد الطائفية في التمثيل يزيل التوازن فترجح طائفة على أخرى وينتج التحاسد والتباغض وبالنتيجة الفتن التي تأتي بأسوأ النتائج».

فنقول: إذا صح أن هذه الاختلافات تكون أسباباً للطائفية، فسموا لنا بلاداً مؤلفة من طائفة واحدة. أما التقاليد والعادات، فمن الضلال أن يقال إنها مختلفة. وإذا صح أن تكون الآراء السياسية سبباً للطائفية، فقد لزم أن تكون جميع بلاد العالم طائفية.

أما أن التحاسد والتباغض والفتن تنبعث عن عدم التمثيل الطائفي فهو تمويه ظاهر. أجل، قد يُحدث دفن الطائفية شيئًا من حرب الكلام؛ ولكن هذا لا يجب أن يثبط من عزم واضعي الدستور وحاملي تبعته، لا سيما وهم يعلمون أنهم إذا دفنوا الطائفية اليوم فقد دفنوها إلى الأبد.

ويقولون: إن التمثيل النيابي هو عبارة عن صورة مصغرة للبلاد؛ وبما أن البلاد مُقسمة إلى طوائف، فقد وجب أن يكون لهذه الطوائف ممثلون، وإلا جاء التمثيل غير صحيح.

فنقول: لقد تقدم لنا الرد على هذا الادعاء، ونزيد: أننا نريد أن نجعل أهل البلاد لبنانيين متضامنين متآلفين. وهم يريدون أن يجعلوهم طوائف لا تضامن بينها ولا تآلف!

ويقولون: لم تزل البلاد قائمة على أساس الطائفية، وهي غير مستعدة الآن لتضحية هذه التقاليد؛ وليس من الهيِّن أن تنقض في يوم واحد نظاماً تمشَّت عليه عمراً طويلا.

فنقول: إذا كان ليس من الهين أن تنقض البلاد في يوم واحد النظام الطائفي وقد تمشت عليه عمراً طويلا، فكيف يكون من الهين نقضه غداً، وقد أضفنا إلى هذا العمر الطويل عمراً آخر؟

إن الشعب بأسره لا يبالي بهذه التضحية؛ بل هو لا يعرف شيئا عنها. فالذي يبالي بها إذن، والذي هو غير مستعد لها، هم أفراد يطمعون بالوظائف ويخشون أن لا ينالوها عن غير الطريق الطائفي.

ويقولون:« إن التمثيل الطائفي يحفظ للأقليات حقوقها، فيقطع المجال على الشكوى والتذمر».

فنقول: إننا نرمي، بقتل الحزبية الطائفية، إلى إحياء الحزبية السياسية، ومتى حييت الحزبية السياسية فقد حييت معها الكفاءات.

وليكونن غداً أقربَ إلى قلب المسلم، المسيحيُّ الذي يجمعه وإياه هوى واحد وهدف واحد ومصلحة واحدة. وهكذا قُل عن سائر أبناء الطوائف!

عندما رأى المسيو كايلا جعل قانون الانتخابات لا طائفياً، قام المرشحون في كل بقعة من الأراضي اللبنانية إلى وضع اللوائح الانتخابية. فما اخطأت لائحة واحدة عدم مراعاة عدد الطوائف. حتى لو جرى الانتخاب على المبدأ اللاطائفي، لجاء النواب كما هم اليوم تماما. يدلك ذلك على أن الروية والإنصاف مستقران في النفوس، أضف إلى ذلك أن مصلحة المرشحين أنفسهم تقضي عليهم بإدخال جميع العناصر فيها تكثيراً لأنصارهم.

فإذا سير على هذا المبدأ، فلا تلبث الروح الطائفية أن تتلاشى مع الأيام، وهذا هو الدعامة الأولى لتوحيد كلمة البلاد.

أما قولهم إن الشعب لم يتربَّ بعد على اعتبار الجامعة الوطنية فوق الجامعة الطائفية، فعلى افتراض أن فيه شيئاً قليلاً من الصحة، أفيجوز أن نبقى سائرين في تربيته على الطراز القديم؟ وإذا نحن سرنا أفلا نزيده توغلاً في هذه التربية؟ وهل من مصلحة البلاد أن نزيده؟.

وآخر ما قالوه: إن الطوائف في لبنان حلَّت محل الأحزاب السياسية.

فنقول: إنها لكلمة كبيرة، نتيجتها الإجهاز على استقلال البلاد، وجعلها إلى الأبد ترسف في قيود الرجعي، تكابد مرارات الانشقاق، وتؤدي ثمنه من دمها ومالها وشرفها.

ولماذا تكون الطائفية أحزاباً سياسية، وهل هذا القول صحيح؟

أفالموارنة يتفقون في ما بينهم على ترشيح رجلٍ منهم، وكذلك هل يتفق المسلمون؟ أو الأرثوذكس؟

إن الأحزاب السياسية وحدها هي التي يخضع أعضاؤها لمقرراتها. فأي طائفة من الطوائف اللبنانية تجسر أن تدعي ذلك؟

والأعجب من كل هذا أن في الذين يقولون بالطائفية، مَنْ يشكو من نفوذ بعض المراجع الدينية، جاهلين أن في الطائفية ما يُقوي من ذلك النفوذ.

هذا ما نقوله الآن على أن نواصل غدا.

البرق، ٣٠ آذار ١٩٢٦، عدد : ٢٥٦٢، ص١

****

فـي سبيل الوفـاق

لنعمل على طمر الخنادق لنستطيع المرور إلى ما تريدون

«دعا الزميل الكريم أبوعبدالله، صاحب «البرق» الأغر في مقال لماع، إلى ضرورة تكاتف الشبيبة الإسلامية والمسيحية، على إيجاد حلٍّ لهذا النزاع الطائفي أو السياسي القائم بين الأمتين، وطلب أن يُشكل حزب سياسي يقوم على عقيدة يشترك في وضعها الشبان على اختلاف الديانات، عقيدة سياسية تكون الهدف الأسمى للشبيبة السورية اللبنانية.

لا يعلم إلا الله كم استحسنا هذه الفكرة الطيبة التي ابتدعتها مخيلة بشارة الوقادة. وإنما بقيت بعض النقاط الأساسية في اقتراح الزميل مبهمةً؛ وقد اجتهدنا أن نتفهمها من خلال الكلمات المكشوفة التي كانت توحي إلينا بفكرة بشارة بكل صراحة، فلم نستطع إلى ذلك سبيلا.

فالنقاط التي نريد أن نفهمها هي:

١ - إن الشبيبة الإسلامية مستعدة للدخول في الحزب الذي يقترح تشكيلة بشارة أفندي، ولكن إذا دخله فريق من الشبان المسيحيين، وكانوا بعقليةٍ غير عقلية الأولين، فهل مَن يضمن لنا بقاء هذا الحزب أكثر من ثلاثة أرباع الساعة؟

٢ - إذا سلمنا جدلاً بأن عقد الحزب لم ينفرط، وبقي كل فريق متمسكاً بعقيدته، فكيف يمكن ضمانة العمل والحصول على نتيجة؟

٣ - وهل في مثل هذه الحال، يتنازل إخوان العزيز بشارة عن تصلبهم في رأيهم، والجري مع إخوانهم في سبيل وطنٍ قويّ موحَّد وموطَّد الاركان؟

هذه هي النقاط التي أردنا أن نفهمها من الزميل صاحب «البرق» الأغر. فعساه لا يَضنُّ علينا بالجواب، حتى نواصل معالجة هذاالموضوع واستثماره بالخير إن شاء الله».

- الرأي العام -[1]

الله يعلم مبلغ الأثر الذي تركه صديقنا طه أفندي في نفسنا بالعاطفة النبيلة التي أرسلها نقية كشمائله – إنه أثر شكر بليغ!

إن الذي أوحى إلينا الدعوة إلى لمِّ شمل الإخوان تحت سماء بيروت الحبيبة، تذكارات ماضية لم نملك النفس أن تسيل لها حناناً وألما؛ تلك التذكارات العذبة الطاهرة.

يوم كانت القلوب جميعها تخفق للهناء الواحد والشقاء الواحد، يوم كانت العيون – العيون جميعها – تنظر إلى الأفق الواحد، وقد كانت مثله صافية نقية. يوم كانت دموعنا تسيل على خد واحد، وأرواحنا تسيل على حبل واحد[٢].

إن من الآلام ما هو أعذب وأهنأ من جميع الملذات. أفلم تكن آلامنا الماضية ألذ وأهنأ من كل ما نتصوره؟ إنه هناء وإنه لذة، ذلك لأن قوةً هي فوق كل قوة كانت تحول مراراتنا إلى حلاوة شهية. وتلك القوة هي الحب الذي كان يشد قلوبنا ويشد خيالاتنا، ويشد ماضينا بحاضرنا، بمستقبلنا.

لقد تهدمت تلك البناية الجميلة المحبوبة، بعاصفة من عواصف الحرب الكبرى؛ فنثرت أعضاء العائلة في كل مكان؛ حتى إذا التقت بعد ركودها، كان قد دب إليها شيء من السلوان، وبدا على الوجوه بعض الألوان، وفعلت السياسة فعلتها؛ فكان الذي هو كائن، وما شاء الله كان.

ذلك هو الباعث على دعوتنا إلى لم الشمل بعد تفرقةٍ، غير جاهلين أن هناك مصاعب كبيرة. ولكن هل يجوز أن نترك الشمل يزداد تبدداً، والمصاعب تزداد تعقداً، ونحن الذين نحمل من تذكارات الماضي وآمال المستقبل ما نحسبه العون الأكبر على تذليل كل صعب؟

إن أول ما يجب أن نبدأ به، هو أن نعيد الطمأنينة إلى النفوس النافرة، ونزرع فيها بذور الألفة، ونعيد إليها سابق الحب. حتى إذا تمَّ لنا ذلك عمدنا إلى نقاط الخلاف فعالجناها على أساس متين من حُسن النية.

إن البناية التي نريد تشييدها، لا تقوم إلا على سواعد الجميع، ولا تتكاتف هذه السواعد إلا إذا تآلفت. وكيف تتآلف إذا هي لم تجتمع؟

يقول الصديق طه: إن هناك فريقين يتصلب كلٌّ بمطالبه، وهو لأجل هذا يُحتِّم بفشل المهمة التي ندعو إليها. فنقول إنه لو لم يكن خلاف لما كان من لزوم لهذه الدعوة.

لقد قلنا مرارا إننا لسنا من خصوم الوحدة السورية، ولا نقول ذلك وحدنا؛ بل هناك كثيرون يقولونه منا. ونحسب أن في هذا القول ما يصلح أن يكون أساسا للتفاهم.

وإذا قلنا ذلك، فلا ننكر أن هناك قوات كثيرة لا تقول بقولنا. ولا ننكر أن هناك قلوباً مسمَّمة من فريقينا. فنحن نريد أن نشفي هذه القلوب. حتى إذا شفيت اطمأنت إلينا، ثمَّ اطمأنت إلى بعضها، فهانت مهمتنا.

نحن نعتقد أن هذا لا يتم سريعاً، ولكن إذا هو لم يتم سريعا، أفيجوز أن نهمله بتاتاً؟ أفليس من واجبنا أن نسعى إلى توقيف الداء إذا لم نستطع استئصاله؟.

وبعد، فماذا يُجدي التقاطع غير إبقاء القلوب حيث هي، والمصالح حيث هي؟ أفيمنع هذا التقاطع أن يمضي الدستور في طريقه، وأن يظل الحال على هذا المنوال؟

نحن نعتقد أن في مقدور فريق من الشبان المعتدلين أن يفعلوا شيئاً، وأن يمهدوا لهذا الشيء، إذا هم اجتمعوا على الأسس الآتية:

١ – الإنقاذ قبل كل شيء. ٢ – عدم تشبث أحد الفريقين بمبدئه.٣ – الإخلاص المتبادل. ٤ – الرغبة الأكيدة بالوصول إلى حلٍ مستطاع.

أي إخواننا! إن أمامنا الآن شعباً مريضاً نريد نحن أن نكون طبيبه. فتعالوا نحذُ حذو الطبيب في معالجته، حتى إذا شفي، سرتم به في الطريق الذي تشاؤون.

البرق، ٣١ آذار ١٩٢٦، عدد : ٢٥٦٣، ص:١

✱✱✱✱

الطائفية واللاطائفية

«الرأي العام» يدعم النفوذ الاكليركي من حيث يزعم هدمه

«ومن هنا تتضح غاية الإخوان[1] في مناشدتهم اللاطائفية. نعم إنهم يناشدونها حتى تذوب الكتلة الإسلامية الكبرى ضمن هذا الترياق الجميل اللون والمر المذاق.

وإذ كانت لا تخفى علينا هذه الحقيقة، فصار من البديهي أن يعارض المسلمون في اللاطائفية خشيةً من الوقوع في أحبولة سياسية تقضي على موجوديتهم السياسية أبداً، لا سيما وأن لدى طلاب «لبنان الكبير» والمؤيدين له، وسائط عظيمة باعتبار أن الحكومة بيدهم، لأجل إضعاف الكتلة الإسلامية الكبرى بهذا المحيط.

فتسليمنا باللاطائفية إذن هو تسليم بالرضوخ إلى السيطرة المارونية، والتنازل عن التفوق المحسوس الذي تملكه بالنفوس والنفوذ والثروة.

بعد اتضاح هذه الحقائق، يحق لنا أن نُعجب كثيراً لمحاولة بعض الرصيفات ترويج السياسة اللاطائفية التي ينطوي تحتها، كما علمنا آنفا، غايات هي بعيدة في الحقيقة كل البعد عن المبدأ اللاطائفي (الذي نحبه، عندما يكون مبدأً لا غايةً، كل الحب)».

– الرأي العام –

نكاد لا نصدق أن زميلنا الأديب طه أفندي المدور يقف في طليعة أنصار الطائفية، ونكاد لا نصدق أنه يتهمنا في الموقف اللاطائفي الذي نقفه مستهدَفين فيه لسهام الإكليركية تترامى علينا من كل جانب. ونكاد لا نصدق أنه يكتب مقتنعاً، لا سيما بعد مطالعته مقالنا الذي عنوانه: «ماذا يخشون من الطائفية».

إننا لا نطلب من الزميل كبير أمرٍ. بل جُلُّ ما نطلبه أن ينشر ذاك على صحيفته ويفند بنوده بنداً بنداً، حتى إذا فعل نزل كلانا عند حكم المفكرين من قراء جريدته. فلعلهم يُنصفوننا أكثر مما أنصفنا الزميل. ولعلهم على الأقل لا يتهموننا في إخلاصنا لقضية القومية.

على أن الأمر الذي لم نهتدِ إلى حله، هو أنه كيف نكون نخدم العنصرية المارونية بمناداتنا باللاطائفية، واللاطائفية معناها تذويب العناصر الدينية في بوتقة القومية الكبرى؟.

وكيف نكون نخدم العنصرية المارونية أو المسيحية، وموقفنا مناقض كل المناقضة لموقف الإكليروس الماروني، بل الإكليروس المسيحي الذي أجمعت أجوبته إلى لجنة الدستور، على تأييد الطائفية، وعلى أنه لا يرضى عنها بديلاً؟ أفنكون إذن من مؤيدي النفوذ الماروني أو النفوذ المسيحي، وقد وقفنا في وجه زعمائهما ننقض ما بنوه وننفي ما أثبتوه؟

إن الزميل صاحب «الرأي العام» بموقفه الطائفي هذا، ليؤدي أجل خدمةٍ للعناصر الإكليركية المسيحية، بل للقضية اللبنانية، خدمةً سينقشونها له بمداد الحمد.

أليس غريبا أن يقف الزميل طه أفندي في وسط القلانس والبرانس السوداء، فيرمي معهم عن سهم واحد، إلى هدف واحد، ثم يقول إنه يريد أن يقلص من نفوذهم ويُخفض من شأنهم؟

لا يأذن الله أن نتهم الزميل طه أفندي، ولكننا لا نتردد في أن نقول له إنه يطعن القضية التي يزعم أنه يخدمها، طعنةً نجلاء، ويجعل من يراعه دعامةً للنفوذ الإكليركي من حيث لا يدري.

سترى أيها الزميل إذا – لا أذن الله، وجُعلت الطائفية أساساً للوظائف – سترى بعينك سراي الحكومة أشبه بكرسيٍّ بطريركي – لكثرة من يتردد عليها من الإكليركيين وقد جاءوا يطالبون بحقوق «أبنائهم» في الوظائف التي قررها لهم الدستور وساعدت أنت على تقريرها.

ستسمع أيها الزميل غداً عصا الأسقف يقرع بلاط السراي، طالباً ما خص الدستور به طائفته من الوظائف، وكثير منها في يد أبناء طائفتك.

وعلى الجملة فسترى أيها الزميل أننا أخلصنا وأسأت، وأننا أصبنا وأخطأت. وليكن شهودنا على المستقبل، ما كتبنا وكتبت. والله خير الشاهدين.

البرق، ٧ نيسان ١٩٢٦، عدد: ٢٥٦٧، ص:١

✱✱✱✱

هوامش الباب الثالث

مقـــالات اجتماعيـة

الفقـر والغنـــى على باب الشتاء ٣١٧

١ - مُكاتب: مراسل جريدة المقطم في بيروت، و«المقطم» واحدة من كبريات الجرائد المصرية، أنشأها يعقوب صروف. في شباط ١٨٨٩ وقد تحولت فيما بعد إلى مجلة شهرية ظلت تصدر حتى تاريخ متأخر.

خطرات أفكار بين القصور والأكواخ ٣١٩

١ - عاصمة جمهورية بولندا.

٢ - الشيوعيون الروس.

٣ - لعلها كييف عاصمة جمهورية أوكرانيا.

٤ - (الضهارة) ربما قصد بها الظِّهارة، وهي أن تجعل للثوب ظهراً أي أن الشخص المعني ثيابه مرقعة لشدة فقره.

٥ - السينماتوغراف: آلة معدة لعرض الصور المشبحة على الشاشة البيضاء، دار تعرض فيها مشاهد سينمائية (المنجد، مصدر سابق، ص ٣٦٩).

ليس الدائنوان كلهم بل الأسافل كلهم ٣٢١

١- الأحوال، جريدة يومية بيروتية، أنشأها خليل البدوي، في أول آذار من عام ١٨٩١ وكان لهذه الجريدة حظ وافر من النجاح لدرجة أنها كانت تصدر مرتين في اليوم صباحا ومساء لعدة أعوام. (انظر تاريخ الصحافة العربية لـ الفيكونت فيليب دي طرازي جـ ٢/ص٦ و ٧ مع الحواشي).

٢ - ترددت في هذا المقال وفي مقالات أخرى عبارة «الورق التركي» أو «العملة الورقية» وهي عملة أنزلها الأتراك إلى الأسواق لأول مرة في تاريخ البلاد أثناء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٦، وكانت قيمتها متدنية جداً واستغلها المرابون وتجار الحروب لإقراض المحتاجين المضطرين، على أن يستردوا بدلاً منها عملة ذهبية، واستولوا من خلالها على أراضٍ وعقارات كثيرة.

بنات لبنان في الولايات المتحدة ٣٢٣

١ - حمَّانا، أحد مصايف لبنان الجميلة، في قضاء المتن من محافظة جبل لبنان.

٢ - المطران أنطوان عريضة (١٨٦٣ - ١٩٥٥) ولد في بشري، بطريرك الموارنة عام ١٩٣٢ .

٣ - بحر صاف، أحد مصايف المتن الشمالي، بمحافظة جبل لبنان.

٤ - جريدة الهدى، أسسها نعوم مكرزل في مدينة نيويورك، شباط ١٨٩٨، كانت شهرية في البداية، ثم تحولت إلى نصف أسبوعية، فإلى جريدة يومية. وكانت في نظر الكثيرين، عروس الجرائد العربية بلا منازع. (تاريخ الصحافة العربية جـ ٤٠٨/٢).

٥ - قصد بالأخوين، فريقَيْ اليتامى المشار إليهما في السطرين السابقين.

ذكرى الفصح ٣٢٨

١ - في صبيحة أيام الصوم ويكون يوم إثنين، يبكر المسيحيون إلى الكنائس، فيرسم الكاهن على جباهم صليباً، من رماد مصلّى عليه تذكيراً لهم بأنهم من التراب هم، وإليه ينتهون.
٢ - المفاقصة والمفاقسة (بالصاد والسين) قيام اثنين بكسر البيض المسلوق بينهما. وذاك من طقوس أيام الفصح لدى المسيحيين، في لبنان، ويرمز البيض هنا إلى ولادة الحياة، عبر خروج الفرخ من البيضة.
٣ - البيضة الماكنة، أي القوية التي لا تنكسر أثناء مفاقسات البيض!

كل عام وأنتم بخير ٣٣٠

١ - سوق سرسق، سوق تجاري كبير، يقع بمحاذاة ساحة البرج - أو الشهداء سابقا.. تباع فيه معظم أنواع الملبوسات ولا سيما لذوي الدخل المحدود، ويُشبه أسواق الحميدية في دمشق، والموسكي في القاهرة، وقد دمرته الحرب الأخيرة في لبنان. ولم يَعُد له أثر.
٢ - قصد بهؤلاء، أسرة العيد التي أصبحت في رأس السنة على حزن واكتئاب!!

داء السياسة لا يشفيه إلا العمل ٣٣٢

١ - قصد بها معظم الأعمال التي ترتبط بالأشغال ومصلحة شؤون السيارات ولا يزال المصطلح مستعملاً لهذا الغرض، حتى اليوم.
٢ - نهر إبراهيم نهر لبناني ينبع من مغارة أفقا، إلى الشرق الأقصى من قضاء كسروان، بمحافظة جبل لبنان، ويصب في ساحل البحر المتوسط، في منتصف المسافة بين جبيل وجونية.

حاربوا الفقر بالاقتصاد ٣٣٥

١ - البهورة، لفظة تستخدمها العامة للتدليل على مظهر كاذب في الثروة والقوة والمكانة، وأصلها من البهر: الإدهاش وما يشبهه، وقريب منه: البهرج...
٢ - تكرار يومئ إلى مقولة جمال الدين الأفغاني.
٣ - عدلها المراجع إلى (النساء)، ولكنها في الأصل (للنفساء) ويرجحها ما ورد بعدها في المادة الخامسة من منع إقامة حفلات الختان.

إلى بعض الأغنياء ٣٣٨

١ - لغة في قرش، وهو جزء من مئة من الدينار أو الجنيه أو الليرة.

لبنان بين مخالب الرزايا ٣٤٠

١ - اسماعيل باشا صبري (١٨٥٤ - ١٩٢٣) من شعراء الطبقة الأولى في عصره. وهو من شيوخ الإدارة والقضاء في مصر. ولد بالقاهرة وتوفي فيها. له ديوان مطبوع.

٢ - هو ليون كايلا حاكم دولة لبنان الكبير من ١٩٢٥ - ١٩٢٦ وهو آخر أربعة حكام تعاقبوا على الحكم بموجب النظام المؤقت ويتم تعيينهم من قبل المفوض السامي لسوريا ولبنان آنذاك.
٣ - كلمة غير واضحة فى الأصل، ولعلها الحكم أو النهم أو شيء من هذا القبيل.

١٩٣٠ - بين الأمس واليوم والغد ٣٤٣

١ - الثَّبج: علوٌّ وسط البحر إذا تلاقت أمواجه، والثَّبج أيضاً: كل ما هو وسط، في الرمل والظهر والصدر، والليل. والراجح أنه قصد به ههنا، الظهور السَّريع والارتفاع الآني، سرعان ما يزول ويختفي...
٢ - طفحى (فَعلى) مؤنث طفحان، أي ممتلئ حتى الإفاضة..
٣ - المألوف، أن يقال: «حفنة» تأكيداً لصغر الشأن وهزال التأثير. والحفنة والقبضة، في معنى واحد هو ما تملأ به كفك أو راحتيك.
٤ - نسبة إلى شخصية كشكش بيه التي ابتدعها نجيب الريحاني، وعرضت في الكثير من مسرحياته. وتمثل شخصية عمدة إحدى القرى.

يا موت خذ ما أبقت الأيام مني ٣٤٥

١ - فوزي اسماعيل الغزي - أحد رجالات سورية الميامين في النضال والترقي العلمي انتُخب رئيسا ثانيا للجمعية التأسيسية سنة ١٩٢٨ توفي في دمشق سنة ١٩٢٩.

في الحياة الاجتماعية

الما بين في لبنان ٣٥١

١ - القول لزهير بن أبي سلمى، من ميميَّته، التي مطلعها: «أَمِنْ أُمِّ أوفى دمنةً لم تُكلَّم..» وتمام البيت:

ومَنْ يغترب يحسِبْ عدوّاً صديقَهُ
ومن لا يُكرِّم نفسَهُ لا يكرَّمِ

(ديوان زهير، صنعة ثعلب، مصورة عن طبعة دار الكتب بالقاهرة، ١٩٤٤، ص٤ و٣٢).

(٢) هذا القول، عجزُ بيت شعري قاله أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ/١١١١م، وهو خارج من خلوة روحية دامت شهرين، مجيباً عن سؤالٍ عمّا تحصل له من خلوته، قائلاً:

فكان ما كان مما لست أذكُرهُ
فظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

وقد عدَّل فيه الأخطل، ساخراً، مستخدماً (الشرَّ) مكان (الخير)..

الهجرة اللبنانية

ماذا يُعْوِز العيد أين المهاجرون؟ ٣٥٧

١ - المقصود بـ «غداً» هو أول أيلول ١٩٢٠، الذي أعلن فيه لبنان الكبير.
٢ - الذات المقصودة، هي الوجيه البيروتي، صاحب الزعم المشار إليه.

دمعة على الطلل البالي ٣٥٩

١ - الريجي: دائرة حكومية تعنى بشؤون التبغ والتنباك. وهي لا تزال تعمل حتى اليوم.

٢ - الدسكرة: القرية العظيمة، جمعها دساكر. (المعجم الوسيط، ج١، ص٢٨٣، مصدر سابق).

المهاجرة في البيان الوزاري ٣٦١

(١) يعني بالوزير الأول رئيس مجلس الوزراء، ولا يزال هذا المصطلح معمولاً به في دول عربية كالمغرب وتونس.

الجنسية الضائعة ٣٦٥

١ - هو نعوم مكرزل، سبقت ترجمته.

٢ - هي معاهدة الصلح المعقودة بين تركيا والحلفاء عام ١٩٢٣. سميت باسم مدينة لوزان السويسرية التي عقدت فيها.

٣ - سبقت الإشارة إليه.

من لهذه الراية ٣٦٧

١ - هكذا في الأصل ولعلها كورقة (الخريف)؟.

٢ - تريّب: ارتاب..

لو ملكت الأمر يوما وليلة ٣٧٠

١ - هذه الأبيات لشيخ مشايخ الطرق الصوفية وإمام الطرائق الإسلامية: محيي الدين بن العربي. الأندلسي، الحاتمي، الطائي، المولود في مرسية بالأندلس ٥٦٠ هـ/١١٦٤م والمتوفى في الشام ٦٣٨ هـ/١٢٤٠م والأبيات من قصيدة بعنوان :«تناوحت الأرواح»، قوامها ستة عشر بيتاً، لم يُذكر بينها البيت الأول من الأبيات الأربعة التي استهلَّ بها الأخطل الصغير، مقالته. (انظر : «ترجمان الأشواق» لابن العربي، دار صادر - بيروت ١٩٦٦، ص٤٠-٤٤).

٢ - أسماء رمز بها للديانات الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلامية.

إلى أخي في عيده عاطفة تتجدد ٣٧٢

١- جَمعٌ غير موجود في العربية. فالقسُّ (وهو الراهب - الكاهن) يُجمع على قساوسة وقِسِّيسين، وقساقسة، على غير قياس، وقُسُوس.

٢ - إشارة إلى المهاجرين اللبنانيين في مصر ومنهم رواد في الصحافة والأدب والفكر.

بناياتنا الوطنية لا تقوم على المجاملة الدينية ٣٧٦

١ - إشارة إلى مطلع قصيدة لأبي نواس:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

(ديوان أبي نواس، شرح د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٨، ص: ٢٧).

٢ - ابن سينا: (٩٨٠ - ١٠٣٧م) عرف بالشيخ الرئيس. فيلسوف وطبيب وعالم. من مؤلفاته «القانون» في الطب و «النجاة» و «الإشارات والتنبيهات» و «الحدود» في الفلسفة والمنطق. وله قصيدة مشهورة في النفس. وكان ذا ميول صوفية عميقة.

٣ - كثيراً ما يقتبس الكاتب أجزاء من آيات قرآنية كريمة أو يشير إليها، وهنا يشير إلى قوله تعالى: □إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهمO. جزء من الآية (١١) سورة الرعد.

في سبيل الوئام من أنتم ومن نحن ٣٧٨

١ - هكذا وردت في الأصل ولعلها مصحفة وربما تكون (الانقسام) أو (الانفصام).

٢ - البلاغ، جريدة أنشأها محمد الباقر عام ١٩١١ في بيروت.

٣ - اللسان، لعلها لسان الحال، أنشأها خليل سركيس عام ١٨٧٧ في بيروت. وبالبحث في المنجد، وجدت مجلتان تحملان اسم «لسان العرب» أنشأ الأولى نجيب وأمين الحداد عام ١٨٩٤ في الاسكندرية والأخرى أنشأها عبدالغني العريسي، وفؤاد حنتش في بيروت عام ١٩١٢ .

٤ - لعلها «القرم» وصحفت ، يشير الكاتب إلى أسماء صحفيين وصحف لبنانية. أما إن كانت «القوم» فلعله يعني بها جماعة الرجال، فكلمة القوم تعني الرجال دون النساء عند العرب. قال تعالى: □ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهنO سورة الحجرات، الآية (١١).

وقال زهير بن أبي سلمى:

ومـــــــا أدري وســـــــوف إخـــــــال أدري
أقـــــــوم آل حـــــــصن أم نـــــــســـــــاء

مولد الرسول العربي الكريم ٣٨١

١ - سورة المائدة، جزء من الآية ٨٢.

١ - ربما تكون يسوء أو يُساء، وحدث خطأ مطبعي.

٣ - لويس باستور (١٨٢٢ - ١٨٩٥) عالم فرنسي اشتهر بدراساته عن الجراثيم واكتشافه لقاحاً ضد الكلب.

٤ - أيضاً هنا ينظر الكاتب إلى قوله تعالى: □يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحونO ، سورة المائدة، الآية (٩٠) .

المولد السعيد ٣٨٤

١ - كانت هذه المقالة موضع إشادة من الأوساط الإسلامية ، انظر نص رسالة عبدالباسط فتح الله وصورتها إلى الكاتب في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير»، مرجع سابق، ص (٢٤٥ - ٢٤٨).

٢ - يوم الرداء والحجر: إشارة من الكاتب إلى ما حكم به الرسول صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وكان عمره (٣٥) سنة، بين قبائل قريش التي جمعت الحجارة لإعادة بناء الكعبة المشرفة، وعندما بلغ البنيان موضع الركن اختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه دون الأخرى، حتى بلغ الأمر بينهم الاستعداد للقتال. فاحتكموا إلى أول داخل من باب المسجد ليقضي بينهم فكان أول داخل هو الرسول الكريم، فأخبروه الخبر، فقال: هلّم إليَّ ثوباً، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه، وكان حكمه موضع اتفاق الجميع.

(انظر: السيرة النبوية لابن هشام، دار مكتبة الهلال، المجلد الأول، ص: ١٥٨ وما بعدها).

٣ - إنها ليست وصية للرسول بل هو قرآن كريم، الآيتان ٩و١٠ من سورة الضحى. وقال هنا تعود إلى الله عز وجل وربما أراد الكاتب: قول الله عز وجل على لسان الرسول ﷺ.

لماذا تكتمون العلة إذا أردتم الشفاء ٣٨٦

١ - مجلة أنشاها خير الدين الأحدب في بيروت عام ١٩٢٥.

الفصل بين الحكومة والمعبد ٣٨٩

١ - كتب الخوري أنطون عقل مقالاً نشره «البرق» بتاريخ ٢٨ أيار ١٩٢٥، وجهه إلى الأخطل الصغير معاتباً إياه لقيام هذا الأخير بكتابة مقال، نشره في عدد سابق، من البرق، دعا فيه إلى الفصل بين الحكومة والمعابد ورجال الدين.. فرد عليه الأخطل بالمقال الموسوم أعلاه.

٢ - مفردها فَرَمان: عهد السلطان للولاة «فارسية» المنجد، ص: ٥٨٠

صلْ. أحسن. قل الحقَّ ٣٩٢

١ - ليست هذه الأقوال حديثاً واحداً، بل هي أحاديث ثلاثة ، وردت في مواضع مختلفة على شيء من الاختلاف في الصياغة والتركيب.

في سبيل الوفاق ٣٩٨

١ - الرأي العام، جريدة لبنانية بيروتية، أنشاها طه المدوَّر، في ٣٠ آذار ١٩١٠.

٢ - أراد حبال المشانق التي نصبت لأحرار لبنان والبلاد السورية في ساحة الشهداء في بيروت وغيرها .

الطائفية واللاطائفية ٤٠١

١ - أي الأخطل الصغير وأبناء طائفته. وقد شرح الأخطل مناسبة مقالة صاحب جريدة الرأي العام، في سياق ردِّه الملحق.

✱✱✱✱

ابيض

الباب الرابع

مقالات أدبية

ابيض

على الملعب

الجبار[1] الذي كان يُعبد في تركيا، زلّ به العرش إلى مرسحٍ في بيروت. والظل الذي كان يخيم الرعب فيه على الرؤوس، محقته شمس القوة.

عُدْ دقيقةً إلى ما قبل الدستور، وضع أذنك على قلوب القوم، تسمع نبضاتها. ويكفي لأن تَفُوه باسم عبدالحميد ليُزج بك في الهاوية.

قل: وليٌّ النعم بلا امتنان، ومالك رقاب العباد، وإلا فأنت هالك.

أحرقْ البخور مع الملايين على قدمي سلطانك، وإلا فأنت زنديق. وإذا لم تعمل من نفسك عبداً يُقبِّل رِجْل الظالم، ويُعفِّر جبينه في التراب الذي تدوسه قدماه، فأنت رجل مارق على هدم العرش وخراب الأمة.

ويلٌ لك إذا كنت لا تنتظم في هذا السلك الفريد! أمامك البحر، وأمامك السجن، وأمامك النار. فاختر لنفسك واحداً من ثلاثة، إذا أقمت في بلادٍ عبدالحميد سلطانها.

وكما يتلاشى الدخان المتصاعد في الفضاء، تلاشت تلك القوة. وبأسرع من رفَّة الجفن استحال الجبل الوعر إلى سهل خصيب. وكما يمحو الولد الكتابة عن اللوح محت إسفنجة الأيام كلَّ ما كان من أمر عبدالحميد بالأمس.

وهوى العرش بالسلطان إلى أسفل، وزُحزحت رجلاه عن رأس الأمة وصدرها، فتنفَّس الصعداء كل ذي حياةٍ في المملكة العثمانية.

ولكن أصوات المدافع بالأمس تركت في الآذان دويا ملازماً. والسَّوْرة التي ولدتها خمرة الفوز، لا تزال تلعب برؤوس العدد الأوفر. فإذا نحن لم نتفاهم فلِمَ دويُّ المدافع، وإذا نحن سقطنا مراتٍ على الطريق، فلأننا لم نعتد خمرة الفوز من قبل.

وعاد الهدوء إلى جسم المملكة. والغراب الذي وكره في «الاتيني»[2] اليوم يقف في

مرسح «زهرة سوريا» أمام المئات ليقول كلماتٍ وضعها في فمه أمين الريحاني.

ورُفع الستار ثاني مرة، فضج القوم: عبدالحميد! لم يكن بين صاحب الاسم ورجل المرسح من فرق. ومتى علمت أن الممثل كان عزيز عيد[٣] صغرت المبالغة عندك.

وكان في لهجة الشبح وحركاته جمال تولد عند ملامسة الجودة في التمثيل. فإن ليلة الأمس كانت شريفة في غايتها، جميلة بمن حضرها مفيدة بمغزاها.

الرواية فصل واحد قال فيها صاحبها، إنها وقفة على باب هذا الفن.

إن الروايات التي تُمثِّل أخلاقنا وعاداتنا، فترينا موضع الضعف فينا فنتجنبه، لهي التي يجب أن تحتفل بها المراسح.

لا يهمنا أن نرى ملك فرنسا على مرسحنا، ولكن يهمنا أن نرى سلطانا خلعته الأمة كعبد الحميد، يعترف بجرائمه أمام الشعب الذي كان يقدسه، فيزول اعتقاد الشعب بالألوهية، بألوهية سلطانه.

يهمنا أن يرى الشعب أن اليد التي كانت تقبلها الملايين من البشر كانت تغمس بيد[٤] إخوانه. يهمنا أن يعلم أن السلطان المخلوع كان صورة غضب الله على الأمة ونذير بلائها. فيهون عنده بعد ذلك خلعُ رجلٍ كان يعتقد أنه تحت الإله وفوق الإنسان.

أنكر المجرمون في سجنهم هذه المعاملة اللينة، وساءهم أن يكون المجرم الكبير يتنعم بين الجواري والخدم، ويتقلب على الحرير والأطلس، وهم هم المجرمون الصغار، يعاملون بتلك القسوة، ويزج بهم إلى قعر مهواة من البؤس مظلم.

أنكروا ذلك وقالوا أنْ ليس للسلطان معدتان، ولا العدل له ميزانان. وقبحوا وجه الأمة مدأنة[٥] الحكومة، وطلبوا أن يأتوهم بسلطانهم لأنه مجرم، وهم مجرمون، سفاح وهم سفاحون.

ورأى الحضور طلب السجناء عدلاً، فصفقوا له، وامتزجت روح المؤلف[٦] بروح القسم الراقي منهم، ورأى الآخر بعين الحس ما لم يكن ليصل إليه عن غير طريق المرسح، فرضخ لبراهين السجناء في السلطان، وهان عليه أن يراه سجينا بعد أن كان يرفض أن

يراه حتى على المرسح عزيزا.

واعترف عبدالحميد بما اقترفه من الذنوب وأصلته الأشباح حرباً عواناً، ليلةً بتمامها. فكان تارةً يُحس بالموج يلطم خده، وطورا يشير إلى الأشباح التي أكسبتها تموجات الكهرباء جمالا.

«أسرير في القصر أم قارب في البحر».

قال ذلك، وقد ألقى بيديه المرتجفتين الناحلتين على سريره، يحسبه قارباً وتمنى عبدالحميد الموت، وما كان الموت ليدنو من سلطانه، فبقي رهين العذاب كثير المخاوف.

تلك هي الرواية من حيث موضوعها. إنها إحدى ليالي عبدالحميد في منفاه فهي إذن «ليلة الاتيني» ولا بأس أن يكون ذلك اسما لرواية الريحاني.

وحبذا لو أضاف المؤلف إليها فصلاً آخر، يكون كالخاتمة لها، بحيث يضيف إلى عداد الممثلين بطلاً أو بطلين من أبطال عبدالحميد في يلدز[٧] فيعمل من هذا الفصل رواية تكون ذات شأن في عالم المراسح.

إن إقبال الناس على ما يقوله الريحاني كفيل بنجاح رواياته، ومن العار أن تكون مراسحنا خالية من المراسح الوطنية.

فعلى أدبائنا أن يضحوا وأن تكون التضحية عزيزة. والذي لا ينال اليوم ينال غداً، ومن رام أن يجني العسل لا ينجو من إبر النحل.

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٩٠٩، عدد: ٥٧، ص:١

****

الصحافة والحياكة

لا أنصف إذا دعوتها رأس قلم، فهي أشبه برأس الحربة منها رأس القلم.

أريد بذلك كلمة الصفاء[1] بعنوان «الحياكة والصحافة». وأظن الكاتب غبن الحائك فيها، لأنه حتى في ذلك الزمن كان يفرق بين (المكوك) والقلم، أما بعض حملة الأقلام اليوم، فلا أبالغ إذا قلت إن معظمهم ربما كتب بالأول وحاك في الثاني.

وإليك كلماتٍ من تلك الكلمة:

انقضى الزمن الذي كانت الحياكة فيه خير حرفةٍ للمتعطل – ولكن الزمن حال[2] – فأصبح الذي لا يستطيع أن يتقلد عملاً أو يتعاطى تجارةً أو صناعة، يعمد إلى أنبوبة من القصب فيبريها قلماً، أو يجعل نفسه صحفياً. وهكذا قامت الصحافة مقام الحياكة وناب القلم عن الوشيْ (المكوك) والصحيفة عن لوح المنوال[3]، وسبحان مُغيِّر الأحوال...

ونظرنا فإذا الجرائد في عدد الجراد، وإذا رجال الصحافة جيش عرمرم اختلط فيه الحابل بالنابل، وزاحمت ساقته المقدمة. وإذا في سورية ولبنان من الجرائد ما لا تجده في أوروبة وأميركة ومصر...

يتوهم بعض الناس أن كل من عرف كيف يبري القلم، أو يُعرب الجملة، أهل لأن ينشئ جريدةً أو مجلة، ويحشر نفسه في زمرة أرباب الصحافة. فهذا التوهم بعيد عن الصواب بعد القطب عن القطب، لأن الصحافة – مثل كل مهنة – لا يتقنها إلا من خُلق وفيه لها استعداد فطري، وله من سلامة الذوق وجودة الملكة، وحُسن الاختيار، ومتانة الأخلاق، وشرف الخلال، ما يجعله باحترافها، خليقاً. وهل يستطيع كل انسانٍ أن

يكون شاعراً أو مصوراً أو موسيقياً أو مخترعاً، فيستطيع كل من عرف كيف يبري قلماً فيخط به سطرا أن يكون صحافيا؟؟.

وأية غضاضة لحقت العربية، مثل أن تقرأ المقال الضافي في بعض الجرائد، فلا تأتي عليه حتى تكاد عيناك تبتدران أسىً على لغة البيان التي أنزل بها القرآن؟ حيث تجد الفاعل مفعولاً والمفعول فاعلاً؛ والمجرور مرفوعاً والمنصوب مجروراً؛ وما حقه التقديم، مؤخراً، وما حقه التأخير، مقدماً. إلى غير ذلك من الخليط والخبط اللذين تتصونُ عنهما الصحافة الراقية. فلئن يكن بعض أصحاب الجرائد والمجلات قد عزز اللغة ورفع لها شأناً فقد هبط بها البعض الآخر من قبس عزها وسبب لها امتهانا.

أما إذا لم يكن في الإمكان تدارك الأمر، ولم يكن بدٌّ من إقامة الصحافة، في هذا الزمن، مقام الحياكة للذين يترددون بلا عمل، فالأخلق ببلغاء المنشئين والأكفاء من رجال الصحافة أن يكسروا أقلامهم ويُمزقوا صحائفهم، ويعقدوا حفلةً يؤبنون بها هذه اللغة المزدراة قبل أن تدرج في رمسها و■لكل أجل كتاب●[٤].

البرق، ٤ نيسان ١٩٢٣، عدد: ١٨٠٠، ص: ١

✱✱✱✱

السياسة في الشعر

لنقل ما لنا «وما علينا»

لا هَمَّ لـــلـــقـــوم إلاَّ أنْ تـــكـــونَ لَـــهُمْ
يـا شـرْقُ عَـبْـداً مـتى يـا شـرقُ تَـتَّـحـدُ
لَـكَمْ أنـكـروا الـيـوم مـا بـالأمس قـد مـنـحـوا
وحـقَّـقـوا الـيـومَ مـا بـالأمس قـد جـحَـدوا
كامل شعيب

كـــأنَّـــا وإيـــاهم عـــبـــيـــدٌ وســـادة
كـــأنَّـــا شـــيـــاهٌ والمُـــســـوَّد ذيبُ
وقـــالـــوا لـــنـــا أنـــتم مِـــراضٌ وكـــلُّـــنـــا
لأمـــراضـــكُم لـــو تـــعـــلـــمـــون طـــبـــيبُ
فقلنا صححنا . . . . . .
. . . . . .
نجيب خلف[1]

نحن لسنا من عشاق السياسة في الشعر لا سيما الذي هو من هذا الطراز. فإذا كان الشعر ابن الخيال، كما يقولون، وكانت النقائص التي نحاربها حقائق، كنا كمن يحارب الحقيقة بالخيال وما أفلح هؤلاء.

قد تثير إحدى حوادث السياسة أو إحدى مفاجآتها الكوامن في نفس الشاعر الفحل، فينظمها شعراً فحلاً تتغلغل دقاته في النفوس، فتفعل بها فعل الكهرباء. وكثيرا ما غيّرت قصيدة وجه بلدٍ وغيرت وجهة ذويها. وهذا لا يزيد عن أن يكون بيضة الديك أو فلتة الدهر.

أما أن نردد ما رثَّ حبله أو كاد، ثم لا نَمَلُّ هذا الترداد، فقد بطل أن يكون ذلك شعراً، أي إحساساً دقيقاً؛ لأن الشعر أشبه بالسلك غير المنظور، يحمل من النفس إلى

النفس حباً أو بغضاً، ضحكاً أم بكاءً، عقلاً أم جنوناً، إلى آخر ما تريده نفس الشاعر من نفس القارئ.

وليس هذا في شيء مما قرأناه للسيدين شعيب وخلف. بل هما طرقا موضوعاً يحتمل الأخذ والرد، لأنهما رشقا فيه عن قوسٍ واحدة لا فرق بينهما إلا أن الأول عمم، والثاني خصص؛ وكلاهما قصد كراهية الأجنبي وتبيين معايبه، مرسلين الحجاب على مصائب الأمة التي هم منها على جهلها وخمولها، على تقسيمها وتباغضها، وهما لو أنصفا لعمدا أولاً إلى شفاء الأمة من أمراضها، حتى إذا نقهت انفض من حولها الأطباء راضين أو مكرهين.

فتح الأستاذ شعيب عينه الواحدة على الغرب فرأى أنه يستعبد الشرق، وأنه يستعيد ما منح، وينكثُ بما وعد، وهو لو فتح عينه الأخرى لرأى هذا الغرب يُنشئ المدارس في الشرق ليعلم أبناءه. وهل كان العلم طريقا إلى الاستعباد؟

ولرآه يُحدث الإنشاءات فيُقرِّب المواصلات ويُسهِّل نقل المنتوجات إنماءً؛ وهل كان العمران سبيلاً إلى الاستعباد؟

ولرآه ينشئ المياتم والملاجئ لا يسأل عن الإحسان ثناءً، فهل يجوز أن يُتهم المحسن.

ولرآه يقاسم الشرق ميراثه من علم واختراع سعياً وراء المغانم العامة والخاصة ويدعوه إلى مشاركته في الغنيمة بحيث ينال كلٌّ على قدر ما قدَّم؛ فأين منْ هذا الأثرة والنكران؟

ولو هو نظر أيضا، بهذه العين وقارن بين البلدان التي تماشت بالتمدن الغربي، وغيرها، لظهر له فضل هذا التمدن مما يتبينه من البوْن العظيم بين البلدان المتماسة به وغيرها من البلدان المعتزلة عنه.

ولو هو دقق في أمراض الشرق الكثيرة، وأفتكها داء التعصب الطائفي واضمحلال الجامعة الوطنية، لرأى أننا لا نستغني عن الغرب لنقتبس عنه درساً عالياً في إحياء الجامعة الوطنية والقضاء على التقسمات الطائفية.

نحن لا نقول للأستاذ أن ينظر بهذه العين وحدها، بل أن ينظر بعينيه الاثنتين فيعمد إلى الحسنات والسيئات فينا وفي غيرنا، حتى لا نُتهم بأننا أمة معتزلة لا ترى في الغريب حسناً ولا حسنى، وهو شر معايب البشرية في هذا العصر.

وبهذا أو بشبهه نخاطب الأستاذ خلف صاحب القصائد الرنانة في القضاء[٢] الوطني. وكم كان يُحسنُ الأستاذ إلى موضوعه وإلى قرائه لو عالج موضوعه بالكلام المنثور، لأنه أوقع وأوسع ولأن القراء كثيرا ما تتوارى أفكار الأستاذ عنهم خلال بعض القوافي وهن غير سوافر.

ثم أفلم يكن يجدر بالأستاذ، وهو ينعى القضاء الوطني أن يوجه ولو بعتاب خفيف إلى القضاة الوطنيين – الذين لم يستطيعوا أن يطهروا قضاءهم من أدرانه، والذين كانوا أسبق الناس إلى الاعتراف بمشروع الاندغام القضائي وهو اعتراف ضمني بالقصور.

فهو لو فعل لقلنا إنه منصف بقوله ما له وما عليه. أما وهو لم يفعل فقد نظر كزميله بالعين الواحدة إلى الجهة الواحدة.

إننا إذا شئنا أن تكون كلمتنا محترمةً، فعلينا أولا أن نقولها بإنصاف، وأن نقولها ولو علينا، وأن نقولها ونفعل بها. يجب أن نفعل ذلك ليحترم الخصم كلامنا، إلا إذا كنا منصفين.

إن الغرب والشرق أخوان ولكليهما حسناته وسيئاته والحكيم من أحسن الاختيار.

أبو عبدالله

البرق، ١٩٢٤، عدد: ٢٢١٤، ص:١

****

الأدب بعد الحرب

إلى الصديق الزهاوي

للأستاذ الزهاوي – فيلسوف العراق وشاعره – يدٌ على إنعاش الأدب بعد أن جف روضه أو كاد، بما انصرف له الناس من شأنهم الخاص، في زمن أصبح العيش فيه جهادا، فهجر الشعرَ أصحابُه والبيانَ أنصارُه، إلا نفراً دون القليل يتنفس به من حين إلى حين.

ولم يحتكر هذا الجفاف الأدبي لبنان وسوريا، بل تناول مصر والعراق. ولا غرو فإن نتائج الحرب شملت العالم بأسره وجعلت للوقت ثمناً على قدر غلاء المعيشة. ولمَّا لم يكن لبضاعة الأدب من ثمن، وكان لا بد للأديب أن يعيش، ولما كان لا يكفيه اليوم ما كان يكفيه قبل الحرب، فقد صرف ما كان يهدره على الأدب من وقته في سبيلٍ أضمن لسد حاجاته.

ويظهر أنه كان للحرب ضغطها على القوى النفسية أيضا؛ فأسرعت بالقرائح في طريق الهرم، وهو ما يفسر انحطاط ما نقرأه لكبار الشعراء اليوم عما كنا نقرأ لهم قبل الحرب. فأين كل منظوم شوقي[١] بعد الحرب، من «أندلسه الجديدة»؟ بل أين كل منظوم خليل[٢] من «فتاة الجبل الأسود»؟ وهل يوازي كلُّ ما قرأناه جديداً لحافظ[٣] شطراً من «بنات الشعر بالنفحات جودي»؟.

ولا أحسب الملأَّط[٤] يجرؤ على الدعوى، بأنه يستطيع اليوم أن يخلق «بين العرس والرمس»؛ ولا الياس فياض[٥] يستطيع أن ينفحنا «بنسيمه العاشق»، وطانيوس عبده[٦] يعجز اليوم عن «بنته ودواته». أما أمين تقي الدين[٧] فقد صرفته هذه الجبال عن «تلك الجبال»، وجرجي سعد[٨] هجرته «هاجر».

والرصافي على تطلعه إلى سجن بغداد بعيد عن «السجن في بغداد» ، واستحالت على الشبيبي[٩] «قبلات الحذر».

أما الزهاوي فإن علمت أنه تجاوز عمر الشعر بمرحلة طويلة، وأنه لا يزال يهزه إلى الطرب القديم بقية في الراوية – وإذا علمت أنه ينظم في كل يوم وكل ساعة – إذا علمت ذلك، فلا تستطيع بعد هذا أن تطلب إليه أن يسمعك دائما مثل «أبنيها وتنهدم»[١٠].

ولا نظن واحدا من الذين سميناهم – ولم نسمِّ جميع المجدين من شعرائنا – ينكر علينا ما نزعم من انحطاط القوى الأدبية عن مستواها قبل الحرب حتى في نفس الرجل الواحد.

فإذا كان الأدب ريحانة النفوس وكان الشعر عنوان الأدب، ثم إذا كان هذا الأدب ذابلاً روضه، ناضباً معينه، فإنه مدين بانتعاش روضه، وفيضان معينه للأستاذ الزهاوي ضيفنا الكريم.

يرجح أن تكون لبشارة الخوري لأنها افتتاحية

البرق، ١٩٢٤، عدد : ٢٠٨٠ ص: ١

****

حفلة المطـــران[1]

كلمة في غير محلها

وإنما دعوتها هكذا لأن خليل مطران – كبير شعراء العرب – بيت القصيد فيها، ولأن القوم هنا يريدون أن يسمعوه وأن يعرفوه.

المكان «وست هول» في الجامعة الأميركانية.

الزمان الساعة ٨ من مساء السبت الواقع في ١٧ الجاري.

وكان الحضور عدداً قلَّ أن ظفرت حفلة بمثله.

كان الأستاذ ضومط[2] عريف هذه الحفلة. فهزل وجدَّ؛ فكان تارةً مقبولا وتاراتٍ ملولاً. ولو حكَّمني في نفسه تلك الليلة لكان في الحضّار لا في السمَّار.

☆☆☆☆☆

أنا أجهل كيف كان يخطب العرب أيام الجاهلية وفي صدر الإسلام فإذا لم تكن لهجة الأستاذ النشاشيبي[3] لهجة عصرية متنوعة فهي إذن لهجة جاهلية.

وكان أجمل ما في خطب الجاهليين الإيجاز، أو قل (أنجى) لتلك الخطب. ولماذا؟ لأن كلاً من الأذن والعقل والقلب يطلب التنوع، ولم تكن الخطب الجاهلية القديمة تعرف ذلك، فكان إيجازها يُنقذها من السأم، فضلاً عن أن في الإيجاز كلَّ البلاغة.

لقد اجتمعت بالأستاذ النشاشيبي قبل خطبته فحدثني عن موضوعه؛ قلبٌ عربيٌّ في عقلٍ أوروبي. ويريد بذلك أن نقرن أخلاق العرب بعلوم الإفرنج؛ فأرواني حديثه، ثم سمعته خطيباً يقرأ ما كتب ويتوغل في ما نقل، فكان الأول أحسَّ أثريه في نفسي.

☆☆☆☆☆

وكنت أظن الحرب الكبرى أثرت على روح الريحاني، فحملته على تبديل نظريته، تلك النظرية التي وضعها في «مدينته العظمى» من جعل الناس أشباه ملائكة يعيشون متسالمين متآخين، شعراء وأنبياء.. فإذا هو لا يزال يريد أن يصنع من «الروحية الشرقية والعقلية المادية العربية[٤] تكوينا جديدا خاضعا لنظام الحب وقائما على وحي الشعر والنبوءة».

والذي نراه أن الضرر الذي ما بعده ضرر، هو استسلام شبيبتنا إلى مثل نظرية الأستاذ، بينما نحن نرى العقلية الأوروبية منصرفةً إلى تعزيز المادة، دائبةً مجدَّةً حتى إذا بلغ كلا الفريقين شوطه كانوا أصحاب الحقيقة وكنا أصحاب الخيال، وليس يعادل خيال الدنيا مقدار ذَرَّةٍ مما تزنه الحقيقة.

كيف يرجو الريحاني أن ينضج الشعر والنبوءة عند الغربيين، ليكونوا الصلة الحقيقية بينهم وبين شعر ونبوءة الشرقيين. كيف يرجو الريحاني ذلك بعد كبير تمرسه بشؤون العالم وكثير تنقله بين حواضر التمدن الغربي – التمدن المبني على المادة – ومهابط الوحي الشرقي – الوحي المبني على الجمود – ثم تعرفه بما بين الفريقين من اختلاف في تفهم الحياة؟ أفليس هما على طريقين متناقضين لن يلتقيا في نقطة معينة؟

وعلى الجملة فخطبة الريحاني قطعة من الشعر (بكل المعنى) وأجمل ما فيها ختامها.

☆☆☆☆☆

يقولون إن خليل مطران مثال الإنصاف، فهل كان في تلك الليلة كما هو؟.

لقد حامت عليه القلوب واشرأبت إليه الأعناق، وأرسلت إليه القُبل والبسمات. وهذا قليلٌ في جنب ما يستحقه الخليل، ولكنه أنصف اللغة العربية وظلمنا، بل أنصف الشعر العربي بأن سدَّ فيه ثلمةً أعجز فحول الشعر سدُّها، هو أنه نظم حكاية نيرون من نحو أربعمائة بيت على رويّ واحد[٥]. إنها معجزة! لا سيما إذا أطلقت عليها أشعة

التفسير حتى تتفهم ما غمض من ألفاظها – وقصيدة تتألف من ٤٠٠ بيت شعر وأربعمائة قافية لا تنجو من الغريب.

غير أن الذين شكوا حظهم من خليل تلك الليلة ذكروا أنه عائد بعد خمسة وعشرين عاما وأنه أعد قصيدته لتلقى في معهد علمي فلم يكن أليق من قصيدة الأمس بذلك المعهد.

إن الرسم والموسيقى والشعر، لتعجز بالحقيقة عن أمثالها في قصيدة الخليل فهو أحذق من رسم وأطرب من غنى وأبرع من نظم.

فإذا كان قد أنصف اللغة العربية في الأمس ليظلمنا، فلماذا لا نطلبه لليلة ينصف فيها اللغة ويُنصفنا؟.

«أبو عبدالله»

بشارة عبدالله الخوري

البرق،١٩٢٤ ، عدد :٢٠٩٥ ، ص: ١

****

الأدبان الأبيض والأحمر[1]

يريدون أن نكتب لهم شيئاً في الأدب، وهم يعنون بعض المقاطع في الغزل والوصف؛ وهو ضرب من الغزل الأبيض ينبت في تربة السلم والرخاء، وينمو في ظل الحرية والإخاء؛ فلا نكاد نحاوله حتى نصطدم بقصائد حافلة من الأدب الأحمر ينظمها غاندي وأتباعه في الهند، والنحاس وإخوانه في مصر[2] كما نظمها الفرنسيون في ثورتهم يوم علقوا قصيدة حمراء في كل شارع، وعلى كل جدار وفي رأس كل حربة. وكما نظمها العراقيون عام ١٩٢٠، وكما نظمها السوريون عام ١٩٢٥[3] وكما ينظمها كل شعب «شاعر» يستمد دمه حبراً لكتابة القصائد الخالدة، قصائد النخوة والإخاء والحرية.

فما هي قيمة الأدب الأبيض إذن، ذلك الأدب الساكن، الهانئ يرسله العُشاق أنَّاتٍ متقطعة إثر حبيبٍ هاجر، وغزالٍ نافرٍ، إذا قيس بالأدب الأحمر يُطلقه الثائرون للعدل والحرية من صدورهم شرراً تبري المناصل وتكتسحُ المعاقل؟

ما هي قيمة هذه النغمات توقَّع على الأوتار بين الكأس والزهر، إذا قيست بضربات المطارق تحطم القيود عن الأعناق، وهتاف الجماهير يدكُّ حصون الظلم والاستعباد؟

لقد اكتسح الأدب الأحمر الأدب الأبيض اكتساح الحزن للفرح؛ وهو في البلاد المستعبدة أقوى جماحاً، وأبعد طماحاً، لا سيما في هذا العصر وقد نهضت الشعوب المستعبدة لتحطيم أغلالها، واسترجاع استقلالها، لا تبالي بدمها ومالها أن يُراقا على ساحة الشرف الوحيدة، الساحة التي تتهالك فيها الشعوب للشعوب نفسها، لا تلك التي تتهالك فيها الجنود لمطامع المُتمولين.

إن أجمل قصيد في الأدب الأحمر، هي التي نظمها المسيح على صليبه فتغلغلت في العصور تعصف في العروش فتنهار، وبالمطامع فتستحيل إلى غبار.

وإن أجمل قصائد الأدب الأبيض هي هذه التي فاضت بها أرواح الملائكة، ملائكة الرحمة في شعراء الخلود:

ولا نَـــــزلَتْ عـــــلـيَّ ولا بـــــأرضي
ســـحـــائبُ لـــيس تَـــنـــتـــظم الـــبلادا[٤]

إن كلاً من الأدب الأبيض والأحمر متلازمان لا ينجو ذاك إذا لم يُمهد له هذا، وإن الشعوب التي لا تُعنى بقصائدها الحُمر لا تستحق قصائدها البيض.

بشارة الخوري

البرق، ٣٠ تموز ١٩٣٠، عدد: ٣٣٧٠، ص:١

****

شاعر بائس

يستجدون له أكفَّ المحسنين

صدر نداء وقعه أعاظم رجال الأدب والفن والسياسة في انكلترة، لمساعدة الشاعر الانكليزي السر وليم وَطْسن الذي هو الآن مريض، وفي حاجة إلى المساعدة. ويُثني النداء على مزاياه الأدبية العظيمة، ويقول إنه ظلَّ مخلصا للمقاصد العظمى التي وضعها نُصبَ عينيه. ولكنَّ العالم كثيرُ النسيان والإهمال لعظمائه إلى أن يضمَّهمُ القبرُ.

والآمال معقودة على أن يلقى هذا النداء صدىً عظيماً في بريطانيا والممتلكات المستقلة، وأميركا. وتُرسلُ الإعانات إلى بنك مولند. أما السر وطسن فإنه مصاب بالتهاب الغدد يقضي معظم وقته في الفراش. «روتر»[1].

وهذا شاعر انكليزي يستمطرون الأكف إنقاذا له من بؤسه، ولقد كنا حتى هذه الساعة نغبطُ أي أديب غير عربيٍّ حُسبان أنه يختال في بُرودٍ من العز، ويتقلب على الوثير من النعم، وتضحك له المنى عن ثغرها المعسول. فكيف به إذا كان ينظم في لغة تدور على ألسنة الملايين من الناس بين مشرق الأرض ومغربها؟

ونحن الآن بين أن نرثي لهذا القلب المنسحق في بلاد الانكليز، نعم المنسحق تحت مطرقة البؤس القاسية، وبين مخالب الاستجداء المُمِضِّ. نحن الآن بين أن نرثي لذلك القلب الحسَّاس، أو أن نتعزَّى قليلاً عن الضَّنك الذي يحيق بشعراء العرب وأدبائهم، على تفتت قواهم وانهيار عروشهم وطغيان الأمم الغربية عليهم، واستثمارها خيراتهم واستعبادها رجالهم. وانه لَخَطبٌ لو نزل بأية لغة من لغات العالم، لدرس معالمها وعفَّى آثارها. ولكن ربك لطف بلغته، فحفظها في كتابه الأمين الذي لولاه لما نعم أديب عربي بما ينعم به من لذة النفس وسعة الجاه، على قدر ما تتسع له البلاد العربية في يومها الحاضر.

وإذا كان حفظ القرآن والعناية به واجباً دينياً على المسلمين العرب، فهو واجب أدبي بل واجبٌ سياسي على العرب غير المسلمين – لأنه جامع ألسنتهم، وأساس قوميتهم، وقبلة نهضتهم، وحافظة آثارهم ومآثرهم.

فإذا عرفنا ذلك وإذا أردنا أن يعزَّ الأدب العربي في قومه، لزمنا أن نعمل على تعميم اللغة وتفهيمها، وهي لا تعمُّ ولا تُفهم إلا إذا كان هناك سلطة عربية وازعةٌ، يلجأ إليها الناس في مصالحهم، إلى ما هنالك من معامل ومصانع ومتاجر تخضع للسلطان العربي ولغته. وهذا لا يتم إلا إذا اتحدت عناصر البلاد العربية على تعزيز هذه الفكرة؛ وإلا انتحرت انتحارا زريّا.

وبعدُ، فإننا عائدون إلى هذا الزميل البائس في بلاد الانكليز، وإلى هذا النداء الذي استجدوا له به أكفَّ المحسنين؛ الأمر الذي لم نعتده عندنا، بل الأمر الذي لم نُجزه حتى عن طريق المفاوضة العلنية، مبالغةً في الحياء الشرقي. مع أن الأمر أقل خطورة مما تتقيد به تقاليدنا. أفليس الشاعر من أعظم المحسنين إلى الإنسانية، يسكب دموعه الطاهرة على جراحها، ويُدخل نور الله الى قلوبها، ويسكب نغمات الملائكة في آذانها؟

وإذا كان الروضُ على ما فيه من الجَداول وما فيه من الأزاهر، لا معنى له ولا حياة فيه إذا لم تُغرد الطيور على أنغامه، وتنفض ريشها على ضِفافه، فما بالك بالإنسانية على عُبوس وجهها، وانسحاق قلبها، إذا هي لم تستشفَّ هذه البروقَ المنسكبةَ من فم شعرائها، وهذه الأرواحَ العطرة تنتشرُ على هياكلها القدسية؟

ثم، فهل تكون البقاع من سهلٍ وجبل، أكثر شعوراً نحو (شعرائها) فتقدم لها الثمر والماء لغذائها، وتغمرها بالأزهار اعترافاً لها بالجميل، وتجعل لها من الأغصان أسرَّةً ومنابر، ونحن ، نحن الذين نزعم أننا فوق الجميع، عزَّ بالشاعر؛ بهذا الطائر الوديع المغرد يُرسل ألحانه أناتٍ ودموعه جمراتٍ، حتى إذا ضرَب منقاره على أكفهم، فكأنما يضربها على جذع جفت عروقه ونتنت ريحُه.

وبعد، فلا تعجب أن يُنبت هذا العالم العربي شاعراً على جفاف تربته، وكثرة صخوره! أما رأيت في الجبال الناتئة أزهارا على غاية من الجمال، تتمنى أجمل متاحف الزهر لو حوتها آنيتُها؟ هكذا ينبت الشاعرُ العربي عندما ينعم الدهر على العرب بشاعر.

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٩٣٠، عدد: ٣٣٨٢، ص: ١

****

الأدب العبد

استغلال المادة للأدب، جناية السياسة عليه

الأدب في الحكـومـات المطلقة والنيـابيـة

إذا كانت المادة أو إذا كان الذهب المسيطر الأول على الإنسان، وهو المسيطرُ على الأرض بما فيها من حيوان وجماد، كان الذهبُ سيد الكون بلا منازع.

ولا نحسب الناس بتنازعهم البقاء في جميع مذاهب الحياة، من زراعة وتجارة وصناعة وسياسة، بأمر هذا «السلطان الأعظم» يسجد له الملكُ في عرشه، والفقيرُ في نعشه، كان ذلك منذ أن عرف الذهب وسيبقى إلى أن تسود المساواة المطلقة بين الناس.

أفبعد هذا ترى أن يكون للأدب، وهو روح، كل حظه أنه ينعش النفس ويصقل الحس، أفبعد هذا ترى للأدب أن يزاحم المادة أو أن يكون له حظ معها، وهي قد ضربت بكل ما هو روحي حتى بالأديان نفسها إلى الحضيض، لا ينفعها عندها أنها كانت أساس هذا النظام الفريد، وأنها كانت الوازع الوحيد بين الناس قبل أن يأخذوا قسطهم من العلم وقبل أن تسودهم القواعد الأدبية المعروفة.

وقد كان للأدب عهد ازدهر فيه؛ ذلك يوم استعملته المادة لخدمتها، تجعل منه آناً ريحانة تستطيب شمها، وآونةً بوقاً يملأ بالصلاة والسلام عليها، وأحياناً تزجُ به في المعارك تثير به العصبية وتحمس به الجند، إذن فلم يكن الأدب يوماً حراً ولا سيداً حتى يكونها اليوم وهو في أَضْنَك أيامه أو آخر أيامه.

وإن الأديب نفسه في سالف الزمن وحاضره، كان يوقن أن الأدب وسيلة للحصول على الذهب؛ فهو إن أنشأ كتاباً أو نظم قصيدة، تطلع قبل كل شيء إلى ما سوف يدره عليه كتابه أو قصيدته. ولا يلام في ذلك إذا كان لابد من العيش في تنفسٍ ولو قليلاً.

وبعد، فلا تدهش إذا رأيت الأدب في الحكومات المطلقة، منذ بدء التاريخ إلى اليوم مزدهراً لأن الأديب لم يكن يطمح إلى ما وراء أدبه من مناصب ومراتب، وهي كانت قسمة فئةٍ من الناس ليس الأدباء منها، بعكس الأمر في الحكومات النيابية التي أصبح كل منْ جَرَّ القلم على الورق، يطمح إلى أعلى مراكز الدولة، فتضعف غريزة الأدب فيه تحت تأثير السياسة وطموحها.

وإذا كانت الحكومات النيابية قد وسعت الأقلام السياسية، بأن جعلتهم يطمحون إلى المناصب والرواتب، كما هو مشاهد الآن، فهي قد ضيقت على أصحاب الأقلام الأدبية لعدم حاجة السياسة إليهم، حتى ليكاد الأديب الناضج أن يصبح غريباً في بلده بين شعبه وحكومته، في حين ترى الكاتب السياسي على قلة بضاعته وضعف براعته ، يشار إليه بالبنان ويخطب ودَّه كلُّ متربع في دَسْتٍ أو كل طامحٍ إلى دست[1].

ولكن هل من الحكمة أن يُقضى على الأدب، وهل من مصلحة السياسة نفسها أن تقتل غريزة الأدب [في][2] الناشئة ليغامروا في السياسة وهي العراك المستديم بين فريقين أو أكثر من أبناء البلاد لاستثمار أبناء البلاد، فإذا كان ليس من الحكمة قتل الأدب أو تحويل الأدباء الى سياسيين، فلماذا لا تأخذ الحكومات والحكومة اللبنانيةُ خاصةً بيد الصحف الأدبية، إذا لم يكن لإنعاش الأدب نفسه، فعلى الأقل لتحويل هذا الطوفان من النشء الجديد على[3] الاشتغال بالسياسة وهي ليست بلاء الأدب وحده بل بلاء البلاد أجمع.

بشارة الخوري

البرق، ٤ آب ١٩٣١، عدد : ٣٤٠٥ ، ص: ١

****

الأدب بين عهدين
بين الحكم المطلق والحكم الوطني

قلنا لك في الأمس إن الأدب لا يفلح في الحكومات النيابية، ولا ينبه له ذكر مع السياسة، ولا يرتفع صوته مع الصخب الحزبي؛ ورجعنا بك إلى صدر التاريخ نقلب ما شئت من صفحاته، فترى أن الأدب لم يزدهر في الشرق والغرب إلا تحت رعاية مسيطر عظيم جعل من الأدب حليةً لملكه وفاكهةً لمائدته، وأنغاماً لمجالس أنسه، على عكس الحكومات التي تسيطر عليها الأمة بواسطة مجالسها المنتخبة، فإنها تنتزع من حقول الأدب أنضر أغراسه لتجعلها وقوداً للسياسة. ولا نبعد بك إلى عهد الملوك العظام في الغرب والشرق، وما نبغ في عهدهم، وتحت رعايتهم من كبار أهل الأدب، بل نقف وقفة قصيرة عند مصر، وسوريا قبل الحرب الكبرى وبعدها.

أفليس أن النهضة الأدبية في مصر بلغت أوجها في عهد الخديوي عباس حلمي[١] حتى كان لها في كل شهر على التقريب، موسم أدبي نستمع فيه لعشرات الشعراء والكتاب أروع ما فاضت به القرائح، فيتصل صدى ذلك بلبنان وسوريا، وهي تحت الحكم المطلق؟ ثم تتكون مثل تلك النهضة في بيروت والشام فيترجع صداها في سائر الشرق العربي؟

ثم أليس بوسعك أن تسمي الأدباء الذين استلبتهم السياسة من الأدب، إنْ في مصر أو في لبنان وسوريا؟ وحسبك بما آمن إليه العقاد[٢] والمازني[٣] وهما من أشهر أدباء مصر. ثم أليس بوسعك أن تدل على أضرابهما في لبنان خاصة، فترى أن السياسة شغلت نمور والخازن والتويني ودموس وفياض[٤] وغيرهم من جماعة الموظفين، عن الأدب كما شغلت معظم أصحاب الصحف عنه وقد خلقوا له وعرفوا به.

وهل كان يطمع هؤلاء في الحكومة المطلقة، إلى مثل المناصب التي يشغلونها؟ وهل هذا الانقلاب سوى ضرب من الأحلام الأدبية لم يجن على المنتوجات [الأدبية][٥]

فحسب، بل جنى على المنتوجات الاقتصادية بدليل أن كل من انفرجت عنه أمه ينظر إلى ركوب رئاسة الجمهورية مثلاً كما ينظر الطفل إلى ركوب أحد الأحصنة الخشبية الصغيرة.

وعلى ظهر هذا الطموح إلى المناصب الحكومية، من جهة وإلى استنزاف الأموال السياسية من جهة ثانية، بارت حقول الاقتصاد والأدب معاً. وكانت هناك جناية أكبر هي التباغض بين إخوان الأدب لسبب التزاحم على المنصب الواحد، أو الانتماء إلى حزبين سياسيين يتقاتلان على استثمار الخزينة وإرهاق المكلَّف بما ينفقون عن إسراف.

فأنت ترى أننا نتفاءل بفوز الأدب على السياسة؛ فهو نظيرُ فوز الروح على المادة ولم يخلق الإنسان لكل هذا.

البرق. ١٢ آب ١٩٣١، عدد: ٣٤٠٦ ، ص: ١

****

تولستـــوي[1]

١٨٢٨ - ١٩١٠

جلالٌ، وشعره الأبيض يوحيه، وذكاء وطرفهُ المتوقد يذكيه، هو الفيلسوف تجثو له خاشعاً في لحده وتبارك يمين المبدع فيه.

ودولة لها في كل دولة عرش، مستوية عليه الحكمة، يتوجها الإلهام، ويعصمها الوحي، فهي دولة الفلسفة ذات العلم الرفيع، ينضوي إليه قادة الرأي ودعاة الإنسانية يضربون في لبسه الديجور، بحسامٍ من نور حتى ينفلق فجر الهدى للعالمين.

ثم ما لهذا العَلَم المرتفع في الأمس، ملتوية عنقه، وعلام يرف على هذا الرمس، رطيباً ترابه، كالطائر رماه الصائد فشوى جناحيه، فمسكه غصن عن أن يقع، فتدلى ورأسه إلى الأرض كأن له فيها جوهراً ثميناً، أو حبيباً دفيناً. وحسب العلم شرف الانخفاض على ضريح الحكمة، وحسب الضريح شرف الارتفاع برب الحكمة، إن في القبر لتولستوي!

تلك نبأة أنَّت لها سلوك البرق، واضطربت لها محافل العلم. فما الرأسُ المتوج بالذهب «إذا حمل في نعشه» بأفعل في النفس من الرأس المتوج بالأدب «إذا هوى من عرشه»، وقد لا يوجع سقوط الأول سوى فريقٍ هو الدولة التي هو رأسها، بعكس الثاني إذا سقط فإنه ينقف على كل وتر في كل قلبٍ في كل دولة. تشهد لك أقوال الصحف في هذه الفاجعة على اختلافها، لغة وجنساً ومذهباً وسياسة. وهو دليل يؤيد قول القائل: إن العلم وطنه العالم، وحبذا عرش له في كل مملكة جندٌ، عرش كان صولجانه حتى الأمس في قبضة الفيلسوف الراقد!

وخليق بنا، ونحن إلى المجلة أقرب من الجريدة الإخبارية، أن نلم بشيء من ترجمة تولستوي، نشفعها بكلمة عن فلسفته، فكلمة ثانية عن أطواره، ثم ننتخب شيئاً من مأثوره على الترتيب الآتي:

ترجمته

في «بازانيا بوليانا» من ولاية «طولا» في الروسية انفتح للنور عينان جميلتان هما عينا الكونت لاون[٢] نيكولافيتش تولستوي، والعام يومئذٍ ١٨٢٨.

وفي «استابوفو» إحدى مدن الروسية، انطفأ ذلك النور في عيني الفيلسوف والعام ١٩١٠.

وكانت نفس الطفل في قفصها الصغير تشعر بضغط المادة، فكنتَ تراه كمن يحاول الانفلات من قيودٍ كبَّله بها الوهم. وكانت مُربيتُه إذا ركضت على صراخه، تراه كمن يعمل على فك يديه ولا رباط بهما.

وماتت والدة تولستوي وهو في الثانية من سنيِّه، ومات أبوه وهو في العاشرة منها. ثم أخذ يدرس اللغة الفرنسية على أحد أبنائها، إلى أن بلغ الخامسة عشرة من عمره. ومذ ذاك راح يطالع كبار الأدمغة من مفكري الفرنسيس كفلتر[٣] وروسو[٤]. ثم وقد بلغ التاسعة عشرة، بدأ يجتهد في المسائل الدينية بحُرِّية تحامتها علماء الروس من قبل.

ورجع تولستوي إلى مسقط رأسه، وكان قد فارقه ليُنهي دروسه في جامعة قازان ومكتب حقوق بترسبرج؛ فظهر منه عهدئذٍ ميلٌ إلى المعيشة الساذجة الطبيعية، ولكنه لم يثبت عليه.

وقد سافر إلى بلاد القوقاز سنة ١٨٥١ وساح في سويسرا وفرنسا وألمانيا سنة ١٨٥٨ وتزوج سنة ١٨٦٣ وكان أفضل تآليفه ما كتبه في أوائل زواجه.

ولمع نجم تولستوي في عالم الأدب؛ وكان من أقطاب الفلسفة الاجتماعية لهذا العصر. وقد وضع كثيرا من الكتب أشهرها «حنه كريتين»[٥] و «الاعتراف» و «البعث» و «ما هو الدين».

فلسفته

تولستوي هو أول من فكَّ القيود التي تربط الدين بالسياسة في روسيا. وأول من عمل على تفهيم الدين كما أريد به في الأصل. وأول من فسّر معاني الإنجيل بحريةٍ جلبت عليه حُرم الكنيسة الأرثوذكسية.

وهو يعتقد بسمو الروح وتأثير الذكاء، ويفضِّل عيشة القرى على عيشة المدن، لِما أنَّ المدنية الحديثة تَحُول بين المرء والسعادة، ولِما أنَّ الإنسان لا يشعر بالسعادة إلاَّ متى تمكَّن من مناجاة الطبيعة، وهو ما لا يتأتى له ضمن أسوار المدينة.

وفي مذهب تولستوي أن الحياة والوجود كناية عن «العشق»، ويريد به القوة التي تدير هذا الكون، وتُحسن نظامه، وتبلغ به من الكمال غايته القصوى.

وعنده أنَّ هذه القوة هي منبع العواطف الإنسانية. فهو يقول إن الذي يمزج أجزاء العناصر ويُوحدها هو الرابطة والعلاقة. إذاً، فناموس الجاذبية الذي يَهَبُ الكائنات هذه الحركة المنتظمة، هو أثرٌ عن تلك العلاقة. كما أنَّ العشق هو الذي يربط أبناء البشر ببعضهم[٦]، ويغسل قلوبهم من البغض، ويوحي إليهم أنهم نشأة من نبتة واحدة وأصل واحد.

ورأى تولستوي في الهيئة الاجتماعية الحاضرة أنها فاسدة؛ يبني ذلك على انحصار همِّ الأغنياء وأصحاب النفوذ بملاذِّهم من غير ما نظر إلى سواها . وهو يعتقد في أن الغنى لا يُنال بالجد والعناء، بل بالغشِّ والخديعة.

وله رأي متوغل في الاشتراكية وهو: أنَّ الأرض لا ينبغي أن يملكها أحدٌ لأنها لله. وأن على أصحاب الأملاك أن يتركوها مطلقة سائبةً، أو أن يُوزعوها على ذوي الحاجة يستغلونها.

وهو غير راضٍ عن المحاكم القضائية لِما أنَّها تُعاقب بالسجن، وهو عنده بؤرة الفساد ومستقرُّ الشر. وكان يريد أن يقابل المجرمون بالعفو رجوعاً الى مذهبه في عدم مقاومة الشر بالشر.

وقد يَغترُّ من يطالع لأوَّل وهلة كتب تولستوي بمسيحيته، لكثرة ما يستشهده من آيات الإنجيل. وهو في الحقيقة لا يعتقد بأُلوهية المسيح، بل ينظر إليه كإنسان له مذهبٌ هو خير المذاهب لخير الجنس البشري، بل هو يعتبر تعليمه كوحيٍ منزل واجب العمل به.

وعنده، وهو في ما يتعلق بآرائه السياسية، أنَّ أفضل الثورات هي التي يتفق فيها الأهلون على رفض الانتظام في السلك العسكري، وعلى عدم دفع الضرائب للإنفاق على الجيش، وهو كفيل بتقويض دعائم الحكومة على شكلها الحاضر.

وكان تولستوي يعمل جهده على تطبيق أعماله على أقواله؛ ففرق قسماً من أمواله على خَدَمته، عملاً بالقاعدة التي سنَّها، من وجوب توزيع أملاك الأغنياء على ذوي الحاجة؛ وخصَّص القسم الباقي لزوجته وأولاده، خشيةً من نشوب الشِّقاق في بيته، أو بالأحرى مراعاةً لهما، كما أشار إليه في أحد أقواله وهذا شيء منه:

«قالوا لي إنك واعظ الناس بما لا تفعل وقد أصابوا. وكان عليَّ أن أعظ بما أنا عامل لا بما أنا قائل».

«ويحاً لي، فإني مخطئ وإني أهلٌ لأن أُلام ولأن أُحقَّر. فإذا أنا كشفت عن الحقيقة فليس لكي أبرِّئ نفسي. ولكن لو قابلتُم بين يومي وأمسي، لما رأيتموني جامداً في الطريق الذي خطَّطت. وإن كنتُ لم أُتمم جزءاً من ثمانين ألف جزءٍ مما فُرض عليَّ إتمامه».

«إذا لُمتم فلوموني دون آرائي، لأني إذا كنت أعرف طريق بيتي وأسير فيه ثَملاً مترنحاً، فلا يكون هذا دليلاً على أن الطريق لا يُوصل إلى البيت أو أني لا أعرفه. وإذا كان هذا ليس بطريق بيتي، فتعالوا ساعدوني لكي لا أضلَّ. ولا تعملوا على أن تزيدوا ضلالي بندائكم وتلويمكم».

أطواره

كان تولستوي يفتخر بتعداد هفواته في شبابه، فلم يكن ينسى واحدة منها.

وكان يميل إلى الموسيقى حتى إنَّ بعض التواقيع اضطرَّته مرة لترك غرفته والوقوف أمام الغرفة التي يصدر عنها الصوت.

وكان ذا ولعٍ خاص بالأشغال اليدوية، حتى إنه كان يفلح الأرض ويحصد الغلال ويربي الماشية ويصنع الأحذية ويُعلِّم الأولاد.

مأثوراته

ومن مأثوراته القاعدة التي تتمشى عليها فلسفته وهي «لا تقابل الشر بالشر» وها نحن نذكر بعض كلماته، وهي مما عثرنا عليه في مطالعاتنا عنه؛ يقول:

أعتقدُ بالله اعتقاداً أعمى.[٧] الله جمالٌ وحقٌّ ومحبة وخير. الزواج غير قابل الانفكاك. أحتملُ الحدة من أينما جاءت. حب الطبيعة والرياضة الجسدية.

الحياة الدنيا هجعة والموت هو اليقظة[٨] . غير أن زمن الهجعة متفاوت بتفاوت البشر. فمن الناس من يقضي ليل الحياة هاجعاً ومنهم من يوقظ قسرا بنازلة تنتابه. ومنهم من هو حساس لا تُمكنه دقة شعوره من قضاء ليل الحياة على فراش الونية فتطير نفسه إلى عالم اليقظة لا تلوي على شيء.

البرق، ٣ كانون الأول ١٩١٠، عدد: ١١٦، ص: ١٠١ – ١٠٢

****

إلى اللواء الإيتالي (الإيطالي)

ما أنت – لواء روما – باللواء طُرِّزَتْ
بالشرف حواشيه، وكُتبت للمعالي آيةٌ فيه
حَيفٌ على تاجك يَضلُّ سبيلَ السؤدد، لا!
إنه لم يَرَ له في تاريخه أثراً يقتفيه،
أن تَخفُقَ فما خفَقَت على غير الجثث بريئة،
هذه شظايا تُطيِّرُها القنابلُ نَذراً بمبلغ المدنية
التي تدعي.
ويحَ العذارى، وقد دمدمتِ المدافعُ،
ما انفتحت عيونُهنَّ لمغازلة الفجر، بل لغزل
المدامع يتناثَرْن لؤلؤا على النحور،
ويحَ الأطفال، وقد انفجرت القنابل،
يَفزعَن إلى صدور الأمهات، فيستندن من الدماء
على مِثْلِ الشقِّيق[1]،
أطفال ما سمعت سوى صوت القبل في
الثغور، وما نظرت سوى الابتسامات تلمع في
الشفاه، تَسمع، ولكنْ دويَّ المدافع، وترى، ولكنْ
أشلاء الرجال على أكفِّ الرجال،
ويحَ الإنسانية منك – لواء عمانوئيل![2]
الخرقة البالية تضمد الجروح، لأَشْرف من
النسيج الملوَّن يَخفقُ على رؤوس فاتحيها.

الخرقة البالية تلتقط الدموعَ، لأَطْهَرُ من
النسيج الملون يعلو رؤوسَ سافحيها،
كأنك في وسط السارية – وقد أحاط بك الدخانُ
الأسود المنبعثُ من فوهة المدخنة – لسانُ أُفعوان
تخَضَّبَ بالدم ونفثَ سمومه على البشرية،
ويح البشرية منك – لواء عمانوئيل!...
غُبْنٌ على لواء فرنسا العظيمة أن تكون له شبيهاً.
ذاكَ لواءٌ زُرقَتُه السماء.
ذاك لواءٌ بياضُه الفجر..
ذاك لواء حمرته الشَّفَقُ..
سُمُوٌّ السماء، وطهارة الفجر، وجمال الشفق
هي راية الجمهورية،
ماذا فيك – لواء عمانوئيل – من السُّمُوِّ،
وقد روَّعت مدينةً آمنة؟(٣)
ماذا فيك من الطهارة، وقد سفكتَ دماءً بريئة؟
ماذا فيك من الجمال وقد شوَّهتَ بالفظائع محاسنَ
السماء والأرض وما بينهما؟
إذا حَجَبت غيمةٌ وجه الهلال ضربَتها زعزعٌ
من الريح فمزَّقتها
إذا غضبت الطبيعة الجامدة للإنسانية، فكيف
بالأمم ذات الشعور؟...

البرق، ٢٤ شباط ١٩١٢، مج ٤، عدد: ١٧٤، ص: ١٧١

✱✱✱✱

كيبلنج[١] يحيي بوانكاره[٢]
يـوم زار لنـدن عام ١٩١٣

فرنسا

أنتِ التي عرفت كلَّ شقاء معروف فذلَّلتِه.

لأنك كنتِ تُحمِّلين البشر درعَ الغولو[٣] الأبدي.

لا تمسكين عن البَهرجة ولا تَضعفين في الرَّوع.[٤]

أنت هائلة بقوةٍ تستخرجينها من أرضك التي لا تنفد.

أنت الحكم الصارم على نفس قوتك أيتها الأمة الحنون على الفكر البشري.

أنت أولُ مَنْ اتبع الحقيقة الجديدة وآخر مَن ترك الحقائق الهرمة.

يا فرنسا الحبيبة إلى كل نفس حساسة بالإخاء الإنساني.

مِنْ قبل أن نولد – لو تذكرين – كنا نتدافع جنباً إلى جنب.

نتدافع معاً في أحشاء رومة تحفُّزا إلى معركة نصطليها.

كان الناس لا يفرقون بعد بين لغاتنا. ومع ذلك فإنَّ مستقبلنا كان قد كُتب.

كلٌّ من الشعبين وهو يَشيد مُستقبله كان يُمهِّد مستقبل الشعب الآخر.

لذلك نحن الاثنين، اقتحمنا البشرية حتى صارت كلُّ الأرض ملِكَنا.

كم حرَّكَ غضبُنا من الممالك وأسس من العروش!

عروشٍ لم تُوجد إلا لتكون سدّاً في طريق أحدنا إلى الآخر.

تلك شعوبٌ جعلنا طلائعنا منها، ومنها جعلنا جنود غضبنا.

لقد ملأنا البحرَ عواصفَ، واجتزنا ظافرين، أبواب عوالم جديدةٍ دون أن نعرف مَنْ من الاثنين كان السَّابق؟

هل تذكرين – ويدُنا على قبضة حسامنا نهمٌّ بالضرب، ونحن على ثقة أنَّه كيف التقينا انتهينا في القتال؟

نتحفز ونقف معاً عند كل خطوة تدفع كلاً منا قوةُ الآخر.

لقد قطعنا مجاري الأعمار وعُروض البحار.

أين تقهقرتُمْ أمامنا؟ أين تقهقرنا أمامكم؟

هاتوا موجةً لم تعرف حرباً بيننا.

شغلتنا بعض الشعوب حيناً فلم نُبال.

تركناهم ليهجم أحدنا على خصمه.

لأننا كنا نشعر بلذة حرب الكفؤ للكفؤ.

كلُّ واحدٍ منا كان للآخر سرّاً وهَوْلاً لا هوىً وحبّاً.

كنا نَخفُّ الواحد إلى الآخر، مدجَّجين بالسلاح.

أيَّة حرب أتاحت لنا شرفاً أكبر وخصماً أشد.

كان أحدُنا يَنزع من حلق الآخر صوت إعجاب يبدُر بين الضربة واتِّقائها: تلك كانت منه جائزة الشجاعة السامية.

كلنا صَبَّ في كأس الآخر دمعهُ ودمَهُ.

والقوى الهمجية والآمال اللامتناهيةُ والقصص التي لا تطاق.

وكلُّ ما دنَّس الحياة، وكلُّ ما رفعها منذ أُلوف السنين.

والمحن التي لا تُحتمل، والحروب التي شهدناها تحت كل سماء.

يا فرنسا الصديقة إنَّ ذلك كان منذ القدم نصيبنا المجيد.

كلانا، وقد أثقلنا نِير التذكار والتبكيت، نتوق إلى الراحة.

إننا ونحن نضحك من الخِدعات القديمة التي هي أشبه بالمزاحات، نتسامح ذنوبنا الماضية، حاشا واحداً لا يستطيع الغفرانُ مَحْوَه.

تلك هي الغلطة الحية أبدا التي أخذ كلانا قسطه منها في ساحة روان[٥].

نحن الآن ننظر إلى السنين الجديدة الطالعة فنتساءل – إذا كانت حبلى بأشدَّ من تلك العواصف التي كنا نقتحمها من قبل.

نحن الآن نسمع أصواتاً جديدة تتعالى وتتساءل، ونفخر ونصرخ.

كذلك كنا نصرخ حنقاً – لو تذكرين – يوم كانت شعوبنا تحتدم بالغضب.

نحن اليوم نُعد الأساطيل الجديدة على الماء، ونُهَيِّئ الجنود تحت السلاح.

كذلك كانت جنودنا من قبل محشودة للقتال لو تذكرين!!!

في سبيل حب الحياة لزم كلانا أن يتفحَّص حسام الآخر.

أيُّ دم وأي حديدٍ يقدر أن يأتي بأكثر مما أتاه دمنا وحديدنا؟

صارمة كانت المدرسة التي تعلمنا أن نتعارف فيها.

أيُّ دم وأي حديد! استطاع أن يفصل ما جمعناه؟

نحن الأُلى غزا كلٌّ منا شواطئ جاره ووضع موطنه بين السيف والنار.

ذلك منذ رنَّ سيفُ بريدوس ساقطاً في ميزان رومة.

ولأن نحن نأخذ بأجسام بعضنا ولكن... للعناق.

ها إنَّ عداوتنا المنهوكة، تتساعد من الآن على وضع السلام في الأرض.

أنتِ التي عرفت كلَّ شقاء معروف فذلَّلْتِه.

لأنك كنت تُحملين البشر درع الغولو الأبدي.

لا تمسكين عن البهرجة ولا تضعفين في الروع.

أنت هائلة بقوة تستخرجينها من أرضك التي لا تنفد.

أنت الحكم الصارم على نفس قوتك أيتها الأمة الحنون على الفكر البشري.

أنت أول من اتبع الحقيقة الجديدة وآخر من ترك الحقائق الهرمة.

يا فرنسا الحبيبة إلى كل نفس حساسة بالإخاء الإنساني.

بشارة الخوري

البرق، ١٢ تموز ١٩١٣، مج: ٥، عدد:٢٣٤، ص:٣٣٢

****

الرذيلة المعبودة

أُسكبي لنا الخمر من ثغرك اللذيذ.
بلِ اسكبيها من عينك الساحرة.
واجعلي نُقلنا مما أنبت الحُسْنُ في الوجنتين.
إذا سَكرتُ، فمَنْ ذا الذي لم يَسكَر وأنتِ خَمْرتُه؟
وإذا طربتُ، فمن ذا الذي لم يَطْرب ومنكِ نَشوتُه؟
هذه نفسي ساجدة في هيكلك.
وهذه شفتي تتلو لكِ التسابيح.
منذ مطلع كل شمس حتى مغيبها.
ومنذ مغيب كل شمس حتى مطلعها.

لا يَقوى الليلُ ولا سلطانُه، ولا الكرى ولا سلطانه، أن يُزيل خيالَك من النفس، ولا أثرك من الذاكرة. وما الأحلامُ – ورديةً كانت أو ذهبيةً – إلاّ منك، ولك، وفيك أيتها الرذيلة المعبودة!!

لستُ بالوحيد الذي يُؤمن بكِ، وينضوي تحت لوائك؛ ولا بالوحيد الذي يكرز[1] بإنجيلك ويُعد من أبنائك، ولكني الوحيد الذي يُجاهر بلا حياء أنه من أتباعك.

لقد عبدك الناس ضِعْفَيْ عبادتي إياك، وجاهدوا ضِعْفَيْ جهادي في هواك؛ ولقد تصرفوا بك تصرُّفَ المصوِّر بالرسم الذي في يديه.

لقد نزعوا عنكِ اسمَك وسمَّوك بالاسم الذي يُلائم مصلحتهم. فلك في كل

يوم اسم جديد.

إذا سَمَّوْكِ «تدينا» فقد أضمروا «التعصُّب».

وإذا سَمَّوْكِ «اقتصادا» فقد أضمروا «البُخْل».

وإذا سَمَّوْكِ «مُلاطفةً» فقد أضمروا «التمليق».

وإذا سَمَّوْكِ «شجاعة» فقد أضمروا «الشَّراسة».

وإذا سَمَّوْكِ «ثباتا» فقد أضمروا «الذلّ».

وإذا سَمَّوْكِ «سياسةً» فقد أضمروا «الخِداع».

وإذا سَمَّوْكِ «وداعة» فقد أضمروا «الرِّياء».

لقد طرحوا ثوب الفضيلة عليكِ، كما تُطرح الشبكةُ للأسماك، واغتصبوا لك اسمَها اغتصاباً. فللَّه أنت ما أكثر أسماءك وأكثر أشياعك[٢].

لك في كل عصر أنصار وأعوان.

ولك في كل مكان عباد وكُهَّان.

منذ عهد المرأة الأولى، حتى عهد المرأة الأخيرة.

وأنتِ أنتِ لا تزالين مَلاك النفوس ودَفَّة سفينةِ الأهواء.

أنَّى لك السِّحر أيتها الرذيلة؟ وكيف لك تلك المقدرة على حفظ أبنائك، فهم أبدا يَسحبون ذَيلَ العلاء.

في الأمس قتلوا الناس احتكاراً في بيروت، ولثموا جزمةَ جمال[٣] في الشام، وساعدوا على طعن أبناء الوطن بالحراب مسمومة مسنونة.

واليومَ، يأتون على الرمق الأخير من هذه الأمة البائسة، ليقرعوا الكؤوس حول جثمانها الهامد غداً.

لك في كل يوم ثوبٌ قشيب.

لقد أبدع عشاقك في تصويرك.
سكبوا السِّحر في عينك.
والخَمْر في مبسمك.
صنعوا من جَسدك الشهي تمثالا للجمال.
هم يعبدونك تحت كل اسم.

وينشدونكِ تحت كل كوكب؛ ولكنهم يَخجلون جُبْنا وكَذِباً أن يصرحوا بأنك أنت الضميرُ الذي يُضمرون والإله الذي يعبدون.

لقد نزعوا عن الفضائل أسماءها وسمَّوا بها الرذائل.

هكذا تتغلغل الأفاعي تحت الورد والياسمين.

بشارة الخوري

البرق، ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٨، عدد: ١٩ – ٤١٢ ، ص:١

✱✱✱✱

هوامش الباب الرابـع

مقـــــالات أدبيـــــة

علـى الملعــب ٤١٣

١ - يعني السلطان عبدالحميد الثاني.

٢ - منفى السلطان عبدالحميد بعد خلعه، سبقت الإشارة إليه.

٣ - عزيز عيد (١٨٨٣-١٩٤٢) ولد في لبنان وهاجر إلى مصر ، تعرف إلى نجيب الريحاني في القاهرة فعمل في التمثيل وانضم إلى فرقة اسكندر فرح، ثم أسس وتنقل بين عدة فرق مسرحية وكان علامة بارزة في تاريخ المسرح المصري.

٤ - هكذا في الأصل، ويبدو أنها خطأ طباعي، والقول إنها: كانت تغمس (بدم) إخوانه، بدلاً من (بيد) هي الأقرب للسياق الصحيح.

٥ - هكذا في الأصل الذي بين أيدينا ولعلها مداهنة الحكومة.

٦ - أمين الريحاني.

٧ - قصر يلدز هو قصر الحكم في الآستانة الذي كان يقيم فيه السلطان عبدالحميد الثاني.

الصحافة والحياكة ٤١٦

١ - لعلها جريدة «الصفا» التي أسسها الأمير علي آل ناصر الدين في بيروت عام ١٨٨٦

٢ - أي تحوُّل وتغيُّر..

٣ - المنوال: نَول الحياكة.

٤ - كثيراً ما يأتي ضمن مقالات الكاتب عبارات مثل هذه، وهي جزء من الآية ٣٨ من سورة الرعد، وتتمة الآية □ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ، لكل أجل كتابO.

السياسة في الشعر ٤١٨

١ - نجيب خلف من أدباء لبنان ولغوييه وحقوقييه. ولد في بسكنتا - مسقط رأس ميخائيل نعيمة، في قضاء المتن الأعلى، ١٨٨٢، عمل في الصحافة والمحاماة وله عدد من الآثار اللغوية، توفي ١٩٤٤.

١ - إشارة إلى نظم نجيب خلف شعراً في القضاء مثل أرجوزته في «قانون الجزاء» وغيرها.

الأدب بعد الحرب ٤٢١

١ و٢ و٣ : قصد بالشعراء الثلاثة كلاً من أحمد شوقي وخليل مطران وحافظ ابراهيم وهم أعلام الشعر في عصرنا الحديث. وأما «أندلسه الجديدة» فعنى بها الأخطل قصيدة شوقي الميمية ذات المائة والخمسة أبيات، نظمها في سقوط مدينة أدرنة التركية أمام جيش البلغار ١٩١٢. وأما «فتاة الجبل الأسود» فهي قصيدة مطران خليل مطران التي وصف فيها أمرأة بزي مقاتل ضد الجيش التركي وأما قصيدة حافظ ابراهيم «بنات الشعر بالنفحات جودي» فهي التي نظمها في مقدم السير غورست عميداً لانكلترا في مصر سنة ١٩٠٧.

٤، ٥، ٦، ٧ – سبق التعريف بهم.

٨ – جرجي سعد كاتب وأديب لبناني من أصدقاء الأخطل الصغير.

٩ – محمد رضا الشبيبي. ولد في النجف ١٨٨٩ وتوفي ببغداد ١٩٦٥، وقد شغل مناصب حكومية عالية وشغل رئاسة المجمع العلمي العراقي منذ ١٩٥٨ حتى وفاته.

١٠ – «أبنيها وتنهدم» قصيدة الزهاوي التي أرسلها للكاتب هدية لنشرها في البرق، انظر صورة رسالته ونصها في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير»، مرجع سباق، ص (٢٨١، ٢٨٢).

حفلة المطـــران ٤٢٣

١ – مطران خليل مطران . (١٨٧١–١٩٤٩) شاعر وأديب لبناني ولد في بعلبك وهاجر إلى مصر، لقب بشاعر القطرين، له ديوان الخليل ، من أشهر قصائد «النيرونية» و«الأسد الباكي» و«آثار بعلبك» انظر رسالته إلى الأخطل الصغير ، في هذا الكتاب في مقالة (كيف عرفت طانيوس عبده).

٢ – جبر ضومط (١٨٥٩ – ١٩٣٠) أستاذ الأدب العربي بالجامعة الأمريكية وصاحب الآثار اللغوية المتنوعة، (انظر تفصيلاً لسيرته الحياتية والعلمية. مصادر الدراسة الأدبية، ليوسف أسعد داغر: الراحلون، الجزء الثاني، ص٥٥٣ – ٥٥٥).

٣ – هو محمد إسعاف النشاشيبي، أديب وباحث فلسطيني، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق، ولد وعاش في القدس، تميز بأسلوبه البياني الرفيع. ترك عدداً لا بأس به من الآثار الأدبية والتراثية، توفي في القاهرة، وعاش ما بين ١٨٨٥ و ١٩٤٨ (الأعلام للزركلي، جـ ٦/٣٠ – ٣١).

٤ – لعلها مصحفة، فالعقلية المادية (الغربية) أنسب للسياق.

٥ – عنى بذلك، مطولته التي نظمها خصيصاً للقاء تكريمي أقامته له جمعية تنشيط اللغة العربية بالجامعة الأميركية صيف ١٩٢٤. وقد اختار الشاعر هذه القصيدة لتكون أكبر أثر شعري يُكتب في الشرق العربي: من موضوع واحد ورويّ واحد. ومطلع القصيدة:

ذلك الـــشـــعبُ الـــذي آتـــاهُ نـــصـــراً
هـــو بـــالـــسُّـــبَّـــة من «نَـــيـــرونَ» أحـــرى

(ديوان الخليل جـ ٣ / ٥٠ – ٧٣). وللتوضيح فإن هناك مطولات شعرية تفوق بتعدادها، مطولة خليل مطران، منها همزية البوصيري ٤٥٧ بيتاً، وتائية ابن الفارض الكبرى (٧٦١ بيتاً) وغيرها الكثير من المطولات التي نظمت في موضوع وعلى وزن شعري واحد وروي واحد.

الأدبان الأبيض والأحمر ٤٢٦

١ – قصد بالأدب الأحمر أو القصائد الحمراء، تلك الثورات التحريرية الكبرى التي تكون دماء الأحرار لها

مداداً وحروفاً، أما الأدب الأبيض فهو أدب السلم والرومانسية وما شابه ذلك.

٢ - مصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد المصري ورئيس وزراء مصر لعدة مرات (١٨٧٦ - ١٩٦٥).

٣ - يقصد ثورة العراقيين ضد الاحتلال البريطاني لبلادهم وثورة السوريين في دمشق وجبل الدروز وغيرها من مناطق سوريا ضد الفرنسيين.

٤ - البيت لأبي العلاء المعرّي. من ديوانه: «سقط الزند» شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٠. وهو من قصيدة مطلعها:

أرى العنقاء تكبر أنْ تُصادا
فَعَانِدْ مَن تُطيق له عِنادا

شاعر بائس ٤٢٨

١ - روتر يعني بها وكالة الأنباء الشهيرة (رويتر) والتي عدل مسماها حاليا إلى (رويترز)، أسسها جول رويتر (١٨١٦-١٨٩٩) صحافي إنجليزي ألماني الأصل.

الأدب العبد ٤٣١

١ - الدست: صدر المجلس، والمنصب. المعجم الوسيط، مصدر سابق، ص: ٢٨٢.

٢ - أضفناها ليستقيم المعنى.

٣ - الأصوب (عن) ولعلها مصحفة.

الأدب بين عهدين - بين الحكم المطلق والحكم الوطني ٤٣٣

١ - الخديوي عباس حلمي الثاني (١٨٧٤-١٩٤٤) خديوي مصر (١٨٩٢-١٩١٤) ابن إسماعيل، دشن سد أسوان، ردَّ السودان لمصر، عزله الإنجليز وتوفي في جنيف ، خلفه السلطان حسين كامل.

٢ - عباس محمود العقاد (١٨٨٩ - ١٩٦٤)، أديب وشاعر مصري ولد في أسوان وتعلم في مدرستها الابتدائية وشغف بالمطالعة عمل موظفاً ثم معلماً في بعض المدارس الأهلية وانقطع للكتابة والتأليف في كل أنواع الأدب الرفيع ظل اسمه لامعاً مدة نصف قرن ألف خلالها ٨٣ كتاباً، كان من أعضاء المجامع العربية الثلاثة في دمشق والقاهرة وبغداد.

٣ - ابراهيم المازني (١٨٨٩ - ١٩٤٩)، أديب مصري مجدد ولد في القاهرة وامتاز بأسلوب حلو الديباجة تخرج بمدرسة المعلمين وعمل بالتدريس ثم الصحافة وكان بارعاً في الترجمة ونظم الشعر أصدر مجلة «الأسبوع» مدة قصيرة، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، له ديوان شعر وقصص وكتب في النقد.

٤ - الأعلام المذكورون هم على التوالي: فيليب قعدان الخازن (١٨٦٥ - ١٩١٦) من عرمون بكسروان، صحافيٌ، وكاتب أعدم شنقاً في بيروت. وجبران اندراوس التويني (١٨٩٠ - ١٩٤٧) كاتب وصحافي، ولد في بيروت وشغل عدة مناصب رسمية وأنشأ جريدة «النهار».. وحليم دمُّوس المولود في زحلة ١٨٨٨، كاتب ناظم، اشتغل بالصحافة وترك آثاراً شعرية ونثرية شتى وتوفي مريضاً في الجامعة الأميركية ١٩٥٧. وأما فياض، فهو الياس فياض المعرَّف به في حاشية سابقة.

٥ - أضفناها لاستقامة المعنى.

تولستـــوي ٤٣٥

١ - ليون تولستوي: ١٨٢٨ - ١٩١٠، أديب وفيلسوف روسي بارز. أشهر رواياته «الحرب والسلم» و «آنه كارنينا» حاول إصلاح المجتمع عن طريق العدل والمحبة.

٢ - هكذا في الأصل.

٣ - فرانسوا فولتير (١٦٩٤- ١٧٧٨) ولد في باريس، مؤلف فرنسي من نوابغ زمانه، تزعم حركة الفلسفة المادية وقاوم رجال السلطة الدينية والمدنية ، أشهر مؤلفاته «كنديد»، و«زئير»، و«محمد»، و«شارل الثاني عشر».

٤ - جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨) كاتب فرنسي وفيلسوف اجتماعي ولد في جنيف، نادى بالعودة إلى الطبيعة، من أشهر مؤلفاته «العقد الاجتماعي»، و«إميل»، و «اعترافات»، تأثرت بمبادئه الثورة الفرنسية والأدب الرومنطيقي..

٥ - صدرت مترجمة إلى العربية باسم «آنا كارينين». ترجمة صيَّاح الجهيم - وزارة الثقافة - دمشق ١٩٨٤.

٦ - العرب تقول: (ببعضهم البعض) ونادراً ما تقيِّد الأخطل بأصالة هذا الاستعمال ويقولون أيضاً (ببعضهم بعضاً).

٧ - يمكن قراءة هذه الجمل، بصيغة الأمر على أنها وصايا..

٨ - هناك قول عربي مأثور يرجِّحُ أن يكون صاحبه الإمام عليّ بن طالب، يكاد يكون هو نفسه قول تولستوي، وهو «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

إلى اللواء الإيتالي (الإيطالي) ٤٤٠

١ - الشقيق، ورد مخففاً. ولا ندري ما إذا عنى به الأخطل، الزهر البري المعروف بشقائق النعمان النَّور الأحمر، أم الشقيق، الأخ.. ونميل إلى المعنى الأول..

٢ - لواء عمانوئيل، لواء في الجيش الإيطالي، سمي باسم فكتور عمانوئيل الثالث (١٨٦٩- ١٩٤٧)، ملك إيطاليا عام ١٩٠٠، وامبراطور الحبشة عام ١٩٣٦، تنازل عن العرش ١٩٤٦، وتوفي بمصر .

٣ - يشير الكاتب إلى قيام إحدى البوارج الحربية الإيطالية بقصف مدينة بيروت وميناءها حيث أوقعت أضراراً في بناء المصرف العثماني. انظر كتاب «بيروت ولبنان في عهد آل عثمان» يوسف الحكيم ، دار النهار للنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠، ص ٣٩، وانظرا أيضاً: مقالة الأخطل الصغير «كيف عرفت الشيخ اسكندر العازار» في الفصل الأول من هذا الكتاب. كما يتزامن هذا مع الحرب التركية الإيطالية في ليبيا والتنكيل بشعبها ومدنها وقراها.

كيبلنج يحيي بوانكاره يـوم زار لنـدن عام ١٩١٣ ..... ٤٤٢

١ - روديارد كبلنج - Rudyard Kipling ، كاتب إنكليزي وشاعر، ترك عدداً من الآثار الشعرية والروائية وحاز على جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٠٧ عاش ما بين ١٨٦٥ و ١٩٣٦.

٢ - ريموند پوانكاره - Poincare - من كبار محامي فرنسا ورجالاتها السياسيين. شغل مناصب

حكومية عالية، كوزير للخارجية ورئيس جمهورية ما بين ١٩١٣ و ١٩٢٠، وانتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية وعاش ما بين ١٨٦٠ و ١٩٣٤.

٣ - ربما يكون اسم الدرع مستنبطاً من بلاد (الغال) وهو الاسم التاريخي القديم لفرنسا.

٤ - الرَّوع (بالفتح) الحرب، والرَّوع (بالضم) القلب والنفس والعقل.

٥ - ساحة روان حيث أُعدمت جان دارك، البطلة الفرنسية الشابّة التي أضحت فيما بعد أسطورة البطولة الفرنسية (١٤١٢ - ١٤٣١) ومدينة روان عاصمة مقاطعة النورماندي، تبعد مسافة ١٢٣ كلم إلى الشمال الغربي من باريس.

الرذيلة المعبودة ٤٤٦

١ - يكرز: يعظ وينادي ببشارة الإنجيل (سريانية) (المنجد ص٦٨٠).

٢ - الأشياع، الأنصار والأتباع. مفردها شِيعة، وتجمع أيضاً على شِيَع..

٣ - إشارة إلى جمال باشا السفاح قائد الجيش العثماني الرابع في سوريا.

✱✱✱✱

ابيض

البـاب الخامس

ابيض

مدخـل...

جمع الأخطل الصغير النثر إلى جانب الشعر، وذلك من خلال عمله كصحفي وتأسيسه «البرق» الذي بقي وامضاً منذ ١٩٠٨ وحتى عام ١٩٣٢ باستثناء فترة توقف خلال الحرب العالمية الأولى. فكانت افتتاحياته في «البرق» أشبه ما تكون بالشعر المنثور، عالج فيها شؤون وطنه الصغير لبنان، ووطنه العربي الكبير وقضايا أمته. ولما كان الشعر في حياة الأخطل الصغير هو الأساس برغم أنه صنو لعمله الصحفي، فإنك ترى الشعر والنثر مقترنين بشكل يكاد يكون دائماً في مقالاته.

وهذا الفصل مستل من مجموعة أشعاره التي جمعتها الدكتورة سهام أبوجودة لتكون ملحقة برسالتها الجامعية عن الأخطل الصغير، ومادته عبارة عن شعر ونثر في الإخوانيات والمناسبات كالتهاني والمراثي وما شابه ذلك، رأينا أن تكون ملحقة بأعماله النثرية حتى يخلص ديوانه الشعري من المقدمات النثرية الشارحة، سواء أكانت تلك المقدمات قبل الشعر أم بعده، أم كان الشعر في بدايتها أو وسطها أو نهايتها، فهي تبقى على أية حال شعراً ونثراً متداخلين ومتلازمين.

****

ابيض

سركيس والنحلة

قالها في مدح سليم سركيس[1]:

الجـــنـــاحـــان عـــنـــدمـــا حـــملاهـــا
حـــملاهـــا ومـــبـــسم الـــفـــجـــر يـــلـــمعْ
نـــحـــلـــة قـــلت إن تـــأمـــلت فـــيـــهـــا
جلّ من صـــــوَّر الجـــمـــــال فـــأبـــدع
ذات جـــدّ والمـــال بـــالجـــدّ فـــانـــظـــر
ثـــوبـــهـــا كـــيف بـــالـــنـــضـــار تـــرصَّع
بـــكـــرت مـــســـتـــخـــفـــة بـــالـــكـــســـالى
تـــقـــصـــد الـــروض وابن آدم يـــهـــجع
دخـــلـــتـه تـــقـــول قـــد آذن الـــفـــجـ
ـــــر فـــهـــبّت أزهـــاره تـــتـــطـــلع
ثم أصـــغت يـــشـــوقـــهـــا هـــزج الـــنـــحـ
ـــلـــة لا يـــنـــتـــهي ولا يـــتـــقـــطع
واشـــتـــهى ثـــغـــرهن لـــو تـــطـــبع الـــنـــحـ
ـــلـــة فـــيه مـــا الـــثـــغـــر في الـــثـــغـــر يـــطـــبع
فـــكـــأن الـــذي اشـــتـــهـــين اشـــتـــهـــته
ولـــهـــا غـــيـــر مـــطـــمع الـــزهـــر مـــطـــمع

---

١ - سليم سركيس (١٨٦٧ - ١٩٢٦) صحفي وشاعر أصدر مجلة «سركيس» في مصر كما أنشأ في مصر صحيفة «المشير» ومجلة «مرآة الحسناء» وأصدر في أمريكا «البستان» ثم «الراوي». أنظر صورة رسالته

حـــــوّمت فـــــوقـــــهنّ ثم أســـــفّتْ

تـرشف الـزهـر - هـكـذا الـطـفل يـرضع

فـــهْي إمـــا ارتـــوت تـــعـــد لخلايـــا

شـيَّـدتـهـا من قـبل لـلـشـهـد مـصـنع

فـإذا الـصـيف جـاء جـاءت بـشـهـد

ذاقه فـاســـتـــلـــذه الـــنـــاس أجـــمع

هـــكـــذا أنت يـــا بن ســـركـــيس لا يـــسـ

ـــطع فـــجـــر إلا وفـــجـــرك أســـطع

تـبْـكـر الـروض يـنـبت الأدب الـغـضْ

ضِ فـتـجـنـي مـثل الـرحـيق المـشـعـشع

وعـــلى جـــانـــبـــيك كـــيف تـــوجـــهـ

ـت طـنـــين يـــغـــشى الأصمّ فـــيـــســـمع

أنت إمـــا ارتـــويت تـــرجع إلى المـــصـ

ـنع تـمـلي عـلى الـطـروس وتـطـبع

فـــإذا مـــوعـــد المجـــلـــة وافى

أتحـفـتْـنـا بـالـشـهـد أشـهى وأنـفع

هـــكـــذا أنت يـــا ســـلـــيم ولا فـــر

ق نـشـيط تجـنـي وغـيـرك يـشـبع

قـد تـهـزّ الـغـنـي حـيـنـاً فـيـعـطي

وتـــهـــزّ الأديب حـــيـــنـــاً فـــيـــســـجع

شـــعـــراء الـــزمـــان زهـــر إذا لـم
يـتـحـرك فـقـلَّـمـا يـتـضـوع

لا تـعـجل.. نـسـيت شـيـئـاً سـواءً
أنت فـيه ونـحـلـة الـروض - فـاسـمع
فـهي إن يـعـتـدِ الـغـبيُّ عـلـيـهـا
لـذعـتـه - كـذا يَـراعُك يـلـذع

✱✱✱✱

- البرق، ٢٩ تشرين الثاني ١٩٠٩، مج: ٦ ، عدد: ٢٥٣، ص: ٤٨٥ .

في بئر حسن

أقيمت حفلة على شرف حاكم جبل لبنان أوهانس قيومجيان باشا في منزل أحد الوجوه بمنطقة بئر حسن وفي ختامها لم ير صاحب البرق جميلا أن لا يقول شيئًا من الشعر فقال:

هـــذه الجـــنـــة الـــتي وعـــد الـــله
قـــديمـــاً مـــعـــاشـــر الأصـــفـــيـــاء
مـــسـرح لـــلـــجـمـــال حـــيـــنـــاً وحـــيـــنـــاً
مـــســـرح لـــلـــفـــخـــار والـــعـــلـــيـــاء
نـــفـــحـــتـــهـــا روح الـــســـلـــيم فـــجـــاءت
آيـــــة من آيـــــاته الـــــغـــــراء
مـــشـــهـــد لـــلـــبـــهـــاء صـــوَّره الـــله
مـــــثـــــالاً لحـــــســـــنه الـــــوضـــــاء
هـــكـــذا في الجـــمـــال لـــبـــنـــان لـــكن
شـــوهت حـــســـنه يـــد الجـــهلاء
عـــصـــبـــة من رجـــال يـــوسف[1] أغـــرار
تـــداعى بـــهم رفـــيع الـــبـــنـــاء
فـــتـــداركـــته لـــنـــا بـــحـــبـــيب[2]
رجل الـــشـــعب حـــجـــة الـــفـــضلاء

أملٌ لـــلـــبلاد فـــيك إذا مـــا
نـــوَّلـــته كـــانت من الـــســـعـــداء

****

١ - هو يوسف فرنكو باشا متصرف جبل لبنان (الحاكم) من (١٩٠٧ - ١٩١٢) .

٢ - السياق يشير إلى أنه يقصد حبيب باشا السعد، رئيس مجلس الإدارة بين عامي ١٩١٣ و١٩٢٠، كما أن تاريخ القصيدة يصادف بدايات تولي أوهانس باشا المتصرفية، حيث كلف السعد بتولي رئاسة مجلس الإدارة.

- البرق، ١ شباط ١٩١٣، مج: ٥ ، عدد: ٢١١، ص: ١٥٠ .

مفكرات شاعر

شـــوارد

كتب الشاعر هذه الأبيات على طاولة وهو في انتظار بعض أصدقائه فنقلها الشيخ شاهين الخازن:

الـــنـــفـــوس يـــرهـــقـــهـــا
فـي نـــهـــارهـــا المـــلـــل
والـــقـــلـــوب وهـي لـــظى
فـي الـــظلام تـــشـــتـــعل
كـــلـــمـــا انـــتـــهى شـــغل
جـــدَّ عـــنـــدنـــا شـــغل
والخـــطـــوب أيـــســـرهـــا
أنـــنـــا لـــهـــا أكل
ضـــاقت الـــصـــدور بـــهـــا
حـــين ضـــاقت الحِـــيَل
عـــلـــة نـــدافـــعـــهـــا
لـــو تـــدافع الـــعـــلـــل
كـــلـــنـــا الـــقـــتـــيل بـــهـــا
ذاك حـــادث جـــلـــل

****

– البرق، ١٤ أيلول ١٩١٢، مج: ٥ ، عدد: ١٩٣ ، ص: ١٣ .

مفكرات شاعر
أيــن الكــرام

وكتب هذه القصيدة في ١٤ كانون الثاني وأرسلها إلى صديقه الشيخ اسكندر العازار وقد أثر عليه جمود بعض الأغنياء لدى مشاهد البؤس الأليمة في ذلك الشقاء[١] الهائل:

أين الــكــرام الأُلى كــانــوا إذا سُــئــلــوا
تــهــلــلــوا ثم أعــطــوا فــوق مــا سُــئــلــوا
ومن إذا أُنــشِــدوا شــعــراً حــســبــتــهمُ
وقــد تــرنــحت الأعــطــاف قــد ثــمــلــوا
فــخــرًا بمــا خــلّــد الــشــعــر الــبــلــيغ لــهمْ
من المــروءات والــفــضل الــذي فــعــلــوا
مــاتــوا وعــاشــوا لــئــام الــنــاس بــعــدهمُ
من كل من مــــات بــــأســــاً غــــره الأمل
إنْ أُنــشِــدوا الــشــعــر قــالــوا مــا يــقــول لــنــا
وإنْ تــمــلَّص فــلس مــنــهمُ شــكــلــوا
همْ أغــنــيــاء بلادهم لا حــيــاة لــهــا
إلا إذا انــقــرضــوا مــنــهــا أو ارتحــلــوا

١٤ كانون الثاني ١٩١٨

١ - هكذا وردت في الأصل، والأقرب للسياق أنها «الشتاء» حيث إن تاريخ الرسالة يصادف كانون الثاني (يناير).

مفكرات شاعر

لهف نفسي

عرف الشاعر رجلا لبنانيا أصيب ببنيه الخمسة في خلال شهر واحد.

كان يرى الجوع يفتك بهم ولا قبل له بصده عنهم ويراهم تتراوح بهم أرجلهم الهازلة تحمل وجوههم الشاحبة يخرجون نهارا في التماس كسرة الخبز ويرجعون مساء والسعيد منهم الذي يحمل ما بين يديه شيئا من ورق الفجل وقشر الليمون فبكاهم بقوله:

لـــهف نـــفـــسي عـــلـــيـــهم كـــيف يـــقـــوو

ن عـــلى الـــغـــمض والـــبـــطـــون خـــوالِ

يـــنـــقـــضي الـــيـــوم والـــســـعـــيـــد الـــذي فـــا

زَ بـــــقـــــرشٍ من بـــــعـــــد ألف ســـــؤال

وهب الـــقـــرش كـــان عـــشـــرين قـــرشـــاً

لا «ريـــالاً» قـــد مـــرّ عـــهـــد الـــريـــال

أتـــســـد الـــعـــشـــرون زاويـــة في

بـــطن طـــفل من أنـــحف الأطـــفـــال

ويح رب الـــعـــيـــال كـــيف يـــراهم

يـــتـــفـــانـــون - ويح رب الـــعـــيـــال

من يـــراهم يـــرى المـــنـــايـــا بـــشـــكل

تـــطـــبع الـــهـــول في قـــلـــوب الـــرجـــال

مـــا رأيـــنـــا أبـــاً كـــمـــثل أبـــيـــهم

كل يـــــوم لـــــديه يـــــوم نـــــوال

يـــطـــعم المـــوت كل يـــوم ولـــيـــداً

فـــيـــغـــذي الآجـــال بـــالآجـــال

كانون الثاني ١٩١٨

****

- البرق، ١٩١٨، عدد: ٥ - ٣٩٩، ص: ١٨ .

مفكرات شاعر

أتسألوني شعراً

اقترح خلال الحرب بعض أصدقاء «الأخطل الصغير» عليه نظم قصيدة تتلى في إحدى الحفلات الأدبية فرد طلبهم بالأبيات التالية:

أتسألونيَ شعراً بعدما ذبلتْ
صبابتي وتلاشت غرّ آمالي
وبعدما جفّ عودي والتوى زمني
وبدّل الدهر أسحاري بآصالي
وبعدما مال نجم المال عن فلكي
وكان قسمة اخواني وسوّالي
وبعدما انكسرت كأسي على شفتي
لهجرها - ويحها لِمَ أملأتها لي
أنعلْتها كبدي يوم النوى فأنا
أخشى على رجلها من نعلها البالي

****

- البرق، أيلول ١٩٢٠، عدد: ١٠٨٨ ، ص: ٢ .

فاحتكرت المروءة

قال الشاعر: كان فقيد الأدب والشباب طانيوس عبود[1] من أكمل الناس مروءة وأصدقهم وكان لي صديقًا وفيا حميما، حتى إذا اشتعلت الحرب واضطررت إلى الانزواء كان يتولى أكثر شؤوني بعطف دونه عطف الأخ الصدوق. فكتبت إليه يومذاك بالأبيات الآتية:

قـــد عـــهـــدنـــاك ملء صـــدرك حـــبـــاً
ووفـــــاء ونـــــخـــــوة وفُـــــتـــــوَّه
دقَّ إحـــســـاسك الـــلـــطـــيف فـــألـــبـــسْ
تَ جـــمـــيل المـــعـــروف ثـــوب الأخـــوه
أرأيت الجـــمـــيل مـــغـــرسه حـــلْ
ـــوٌ وثـــمـــاره كـــذلك حـــلـــوه
أم رأيت الـــتـــجـــار تحـــتـــكـــر الـــقـــو
تَ فـــأعـــدوك، فـــاحـــتـــكـــرت المـــروءه

٢٢ آب ١٩١٦

****

١ - هكذا في الأصل، ولعله طانيوس عبده، الوارد ذكره في الفصل الأول من هذا الكتاب.
- البرق، كانون الثاني ١٩٢٦، عدد: ٢٦٧٣، ص: ١ .

فــوزي بريــدي

أقــســمت بــالــلــيل إذ قــبّــلت غــرّته
وإذ ضــــفــــرت عــــلى رأسي ذؤابــــته
أقــسمت بــالــليل والــوادي يــفــيض هــوىً
ويــســكب الــنــهــر في أذني شــكــايــته
أن الــفــؤاد الــذي قــد مــات أكــثــره
مــا زال يــروي الــوفــا عــنه روايــته

☆☆☆☆☆

أقــســمت لــو أن لي قــلــبــاً يــثــور به
دم الــشــبــاب ويــســقــيه بــشــاشــته
لــــرحت ألــــهب فــــيه كل جــــارحــــة
وأســــتــــردّ من المــــاضي غــــوايــــته
وهشّ لي الــشــعــر لمــا أن هــشــشت له
وراح يــطــرح في حــضــني ربــابــته

☆☆☆☆☆

يــا شــعــر هــذا فــتى الــوادي فــغنِّ به
مــا شــئتَ تــرجع إلى الــوادي نــضــارته
وغنِّ بــالأدب الــعــالي فــإن عــجــزتْ
يــراعــتي فــاســتــعِــرْ مــنه يــراعــته
وقل له، قل لــفــوزي إذ تــعــانــقه
أنــا الــرســول الــذي أدى رســالــته

تموز ١٩٤٦

****

- من أوراق الشاعر .

يداك أم يدا ملك

يـــــــــداك أم يـــــــــدا مـــــــــلكْ
حـــــــيّـــــــرتَ مـن تـــــــأمـــــــلكْ
يـــــــا مـــــــخـــــــرج الـــــــروح مـن
الـــــــروح ولـــــــولاك هـــــــلك
كـــــأنمـــــا الـــــله إلـى الـــــنـــــاس
مـــــســـــيـــــحـــــاً أرســـــلك
يـــــا عـــــجـــــبـــــاً من ســـــاحـــــر
فـــــجّـــــر نـــــوراً مـن حَـــــلَك
أنـــــامـــــلـي الـــــعـــــشـــــر وإن
قـــــلّت تـــــفـــــدّي أنمـــــلك
يـــــا واحـــــد الـــــتـــــولـــــيـــــد مـــــا
خـــــاب جـــــنـــــين أمّـــــلك
إن نـــــقـــــتـــــســـــمه بـــــيـــــنـــــنـــــا
فـــــالجـــــســـــم لـي والـــــروح لـك

****

- نظمها للدكتور يوسف الفغالي شاكراً له عنايته بتوليد أحد أبناء الشاعر سنة ١٩٣٥ .
- من أوراق الشاعر.

الأخطل الصغير والأستاذ عبدالوهاب

بلبلان غريدان وأميران ساحران، ذلك في دولة الشعر والعاطفة وهذا في دولة الموسيقى والفن، سُحر الأول بصوت الثاني، فثار الشعر في نفسه، توحيه نغمات عبدالوهاب الجارحة، وعذوبة صوته الرخيم، ومعان عميقة القرار تجول في عينين غمرهما السحر الحلال ، فأرسل الأخطل الصغير الأنة البليغة التي يتردد صداها في هذه الأبيات:

أيـــهـــا المـــرسل الأغـــاريـــد في الـــلـــيـ
ـلِ رويـــدًا أطـــلـــت ســـهـــد الـــدراري
وتـــركت الـــنـــهـــار كـــالـــعـــاشق المـــف
ـــتـــون يـــصـــغي إلـــيك خـــلف ســـتـــار
أو كـــعـــذراء بُـــشـــرت بـــعـــريس
عـــبـــقـــري الـــشـــبـــاب جم الـــنـــضـــار
نـــقـــبت دونه الـــســـجـــوف وألـــقت
فـــوقـه أعـــيـــنـــاً من الأنـــوار
رحم الـــلـــه ذلك الـــوتـــر المـــس
ـــكـــين هـــونـــته عـــلى الـــسُـــمَّـــار
يـــرتـــمي تحت ريـــشـــة من ذنـــابى الـــطْ
ـــطَـــيـــر في كف أطـــرب الأطـــيـــار
قـد سـلـبت الـريـاض سـلـسـالـهـا الـعـذ
ب وريَّـــا نـــســـيـــمـــهـــا المـــعـــطـــار
فـــارحم الـــطـــيـــر يـــا «مـــحـــمـــد» واتـــرك
بـــعـض هـــذا الحـــنـــين لـلأوكـــار

****

– البرق، آب ١٩٣٠، عدد : ٣٣٧١، ص: ١ .

المهاجرون يكرمون الأمير خالد شهاب

أمـا مـحـيّـوك مـحـفـوظ وإخـوتـهم
بـنـو فـطـيط فـقل في الـروض والـسـحـرِ
الـنـور والـعـطـر رقـراقـان في أفق
من المـبـاسم أو أفق من الحـور
تجـاذبـاك هـوى بـوركت من فـلك
مـقـسم الـوجه بـين الـشمس والـقـمـر
أهـدوا إلـيك شـعـاعـاً من مـحـبـتـهم
كـالخـمـر لـلـروح أو كـالـنـور لـلـنـظـر
تحـيـة من وراء الـبـحـر عـاطـرة
لآل مـحـفـوظ فـيـهـا أطـيب الأثـر
مـا صـوَّروك لـتـخـلـيـد ولا زعـمـوا
وأنت كـالـدهـر ملء الـسـمع والـبـصـر
لـكنْ قـلـوبٌ ومـآقٍ مـلـهّـفـةٌ
إلى مـحـيـاك نـالت غـايـة الـوطـر
تـنـاقـلت ألـسن الأيـام مـا نـفـحت
بك المـنـابـر من زهـر ومن ثـمـر
وكم نـثـرتَ بـهـا دمـعًـا عـلى وطن
مـعـلّق الجـفن بـين الـهم والـسـهـر

- ألقى الشاعر هذه القصيدة في قصر الأمراء الشهابيين، وذلك في ١٧ تموز ١٩٣٢ .

أصـــابه يـــومه المـــاضي بـــعـــزته
فـــبـــات من يـــومه الآتي عـــلى حـــذر

☆☆☆☆☆

فـتى الـنـيـابـة قل لـلـمـسـتـمـيت بـهـا
هـــات الـــدلـــيل عـــلى دعـــواك أو فَـــذَر
إن الـدسـاتـيـر لا تـعـطي أعـنَّـتَـهـا
إلا الأعـــاصـــيـــر من جنّ ومن بـــشـــر(*)
من هـابط كـقـضـاء الـله مـكـتـسح
أو صـاعـد كـفم الـبـركـان مـنـفـجـر(*)
تـبـغي الـسـيـادة لم تـبـذل لـهـا ثـمـنـاً
إلا الـتـمـسك بـالـبـالي من الـهـذر
تـبـغي الـسـيـادة لم تـبـذل لـهـا ثـمـنـاً
إلا الـتـمـسح بـالـصـلـبـان والـسُّـوَر
إذا تـلـمَّـسْـتَـهـا من كف مـقـتـدر
أبـشـر فـقـد نـلت مـنه هـزء مـحـتـقـر
دع الـدسـاتـيـر لا يـعـلق هـواك بـهـا
وسـلّم الأمـر لـلـنـسـيـان والـقـدر
حـمَّـلت نـفـسك عـبـئـاً كـاد يـقـتـلـهـا
هلا اسـتـرحت رعـاك الـله من حـجـر

☆☆☆☆☆

عـفـواً فـمـا هي إلا فـكـرة سـنـحت
وأهـنـأ الـنـاس من يـحـيـا بلا فـكـر
أدر كـــؤوسك ، أدركـــني بـــواحـــدة
تـخـتـال في الأبـيـض الـزاهي من الأزر

(*) شعر الأخطل الصغير، «الدستور» ٢٢، ص: ٢١١ .

من كـرم مـرْج عـيـونٍ أو شـقـيـقـتـهـا[1]
وهل يـطـيب بـكـأس غـيـرهـا سَـكَـري
فـدى الـتـي عـصـرتـهـا كل عـاصـرة
حـاشـا الأعـاريب من بـدو ومن حـضـر
تـسـقـيك سـكـراً وزجـرًا من لـواحـظـهـا
سـكـر الجـمـال وزجـر الـطـاهـر الخـفـر
كـأنمـا حـاصـبـيـا من جـآذرهـا
بـيت من الـشـعـر في قـيـثـارة الـنـهـر
سل الـكـنـائس فـجـر الـعـيـد هل طـلـعت
إلا عـلـى صُـوَرٍ صـلَّـين لـلـصـور
أم الـقـشـاعم لـلأفلاك مـا نـسـلت
من كل من طـار مـكـسـابـاً ولم تَـطِـر
كـأنـهـم وعـيـون الـدهـر تـشـزرهم
إغـفـاءة عـذبـة في مـقـلـة الخـطـر
في كل طـارئـة مـنـهـم وجـالـيـة
بـيت من المجـد في أفق من الـظـفـر
رأوا الأمـيـر ربـيـعـاً في مـنـاقـبه
حـالـي الأصـائل والأسـحـار والـبُـكُـر
فـاسـتـمـتـعـوا فـيه تـغـريـداً ورفـرفـة
أمـا رأيت ولـوع الـطـيـر بـالـشـجـر

****

---

١ - حاصبيًا.
- البرق، تموز ١٩٣٢، عدد: ٣٤٣٩، ص: ١

الدكتور ربيز
الدستور بيـــن
الأخطل الصغير ودموس

ألمَّ داء بالشاعر بشارة الخوري فدخل مستشفى الدكتور نقولا ربيز.

فنام في السرير نفسه الذي لازمه الأستاذ النائب دموس منذ عامين، فجال الشعر في خاطره ونظم هذه القصيدة معاتبًا بها الأستاذ دموس ويذكره شؤوناً كثيرة وشجونًا أكثر.

يـــا شـــبل طـــويت شـــبلا
وطـــبت بـــعـــضـــاً وكُلا
يـــا أضـــعف الـــنـــاس قـــلـــبـــاً
وأقـــدر الـــنـــاس عـــقـلا
ويـــا خـــطـــيـــبـــاً لـــديه
فـــيـــلـــكس أصـــبـح طـــفلا [1]
بـــراعـــة لا تـــدانـى
مـــهـــمـــا خـــطـــيب تـــعلا
قـــد تـــرفع الـــســـهل حـــزنـــاً
وتـــخـــفض الحـــزن ســـهلا
وتـــســـكب الخَلَّ خـــمـــراً
وتـــســـكب الخـــمـــر خلا

(١) فليكس فارس.

وأنـت أكـــــــــبـــــــــر مـن أن
يـــــنـــــال خـــــصم وأعـــــلى

يـــــا شـــــبل أيـن وفـــــاء
عـــــهـــــدته فـــــيـك قـــــبلا
أَيَـــفْـــتِك الـــداء فـــيـــنـــا
ولا نـــــــــــــــرى لـــك ظـــلا
وكـــــــنت لا تـــــتـــــوانى
وكـــــنت لا تـــــتـــــخـــــلى
غـــامت عـــلـــيـــنـــا الـــسـويـداء
فـــــــصُبَّ الـــــــهـم وبـلا
فـــنـــحن لا نـــتـــهـــنـــا
ونـــــحن لا نـــــتـــــسـلّى
وكـــيف يـــســـلـــو ســـلـــيب
أو كـــــيف يـــــنـــــقـع غـلا
إن لـم يـــكـن عـــنـك يُـــروى الـ
ـــحـــديث أو مـــنـك يُـــتـــلى
نـــــوادر مـــــثـل نـــــسج الـ
ـــــرِيـــــاض زهـــــرًا وطـلا
ومـــحـــكـــمـــات قـــوافٍ
كـــالحـــبل حـــبـــكـــاً وجـــدلا
ومـــدهـــشـــات نـــكـــات
شـــبـل بـــهـن اســـتـــقـلا
أخـــاك يـــا شـــبل! فـــانـــظـــر
إلـــــــيـه بـــــــين لا عـلا

مـــعـــذب لـــيس يـــســـلـــو
لـــكـــنـه ســـوف يـــســـلى
عـــنـــد «الحـــكـــيـم» الـــذي لم
نـــــــر لـه قـط مـــــــثـلا
ذاك الـــــــذي قـــــلـت فـــــيـه
وكـــــان قـــــولـك فـــــصـلا
إن الـــطـــبـــيب نـــقـــولا
قـــد صـــيَّـــر الـــصـــعب ســـهلا
بـل أرجـع المـــــيت حـــــيـــــاً
من بـــعـــد مـــا كـــاد يـــبـــلى
لـــــلـه يـــــومـك مـــــنـه
هـلا تـــــــذكـــــــرت هـلا
غـــــــداة سلَّ الحـــــصى من
كـلاك صـــــغـــــرى وجُـــــلَّى
فَـــــكَـلَّ عـــــزيـل لـــــكـن
جـــــرّاحـــــنـــــا لـم يـــــكِلا
يـــا بـــالـع الـــصـــخـــر! هلا
فـــكـــرت في الـــهـــضـم قـــبلا
قـــد يُـــشـــرب المـــوت شـــربـــاً
ويـــــــؤكـل المـــــــوت أكـلا

لـــــلـه درّ نـــــقـــــولا
نـــصـلاً تـــقـــلـــد نَـــصْلا
يـــديـــره بـــيـــديـه
في الجـــــسـم فـــــصـلاً ووصـلا

كـــــأن في الـــــرأس مـــــنه
عـــــيـــــنـــــاً أبت أن تـــــضـلا
يـــــكـــــمن لـــــلـــــداء حـــــتى
تـــــفـــــنى بـــــقـــــايـــــاه قـــــتلا
كـــــأنمـــــا الـــــداء خـــــصم
لـــه فـــــــأدرك تـــــــبـلا[1]
رأيـــت كـــل رشـــــــــــيـــق
لـــــــدى نـــــــقـــــــولا أشـلا
فَـــــهْـــــو المـــــرجّى إذا اســـــتـــــنـ
ـــــصَـــــرَ الحـــــديـــــد وصلا[2]

يـــــا شـــــبل بـــــالـــــله حـــــدّث
عـــــمّـــــا بـــــنـــــا قـــــد حلا
دســـــتـــــورنـــــا هل تـــــراه
يمـــــوت في المـــــهـــــد طـــــفلا
وشـــــعـــــبـــــنـــــا هل تـــــراه
يـــــطـــــيق هـــــذا الحـــــملا
قـــــد بـــــاع فـــــوقـــــاً وتحـــــتـــــاً
وذاق يـــــتـــــمـــــاً وثُـــــكلا
وودع الـــــبـــــبـــــيـت والأهـ
ـل والـــــهـــــوى والحـــــقلا
إلـى أمِـــــركـــــا مـــــجـــــدّاً
بـه الـــــبـــــواخـــــر تُـــــمْلا

(١) الثأر.
(٢) من العليل .

إذا الـــــــــدعـــــــــائـم ولـت
يـــــا شـــــبل فـــــالمـــــلك ولّى

الـــــلـه ! رفـــــقـــــاً بـــــشـــــعب
مـــــصّـــــوه حـــــتى اضـــــمـــــحلا
فـــــصـــــار يـــــركب «أوتـــــو»
مـن كـــــان يـــــركب نـــــعـلا
وصـــــار فـــــيـــــنـــــا عـــــزيـــــزاً
مـن كـــــان يـــــعـــــصـــــر ذلا
وصـــــار فـــــيـــــنـــــا رئـــــيـــــســـــاً
مـن كـــــان يـــــعـــــدم شـــــغـلا
وصـــــار لـــــبـــــنـــــان أنـــــثى
من بـــــعـــــد مـــــا كـــــان فـــــحـلا
أوطـــــانـــــكم!! فـــــاســـــتـــــفـــــيـــــقـــــوا
إن الـــــلـــــيـــــاليَ حـــــبـــــلى

****

- المعرض، ١٩٢٦، عدد: ٥١٥، ص: ٣ .
- البرق، أيلول ١٩٢٦، عدد: ٢٦٣٥، ص: ١ .

«البرق» والريحاني[1]

كاللؤلؤة في النحر، والابتسامة في الثغر، كانت ليلتنا في الأمس ونعم الليلة.

فما خطر على قلب بشر هذا الإقبال الذي صادفنا، ولا وقع بصر على مثل النخبة الراقية من كرام وكرائم في حفلة أدبية كالتي أقمناها.

قلب بيروت، دم مهجتها، هيكل مستقبلها، هم كل الذين كانوا مساء الخميس في «زهرة سورية» لتنشيط أول جريدة أقدمت على تكريم الأدب في صورة الريحاني.

تلك الليلة ما بعدها دليل على حقيقة حب الإخوان لجريدتهم، وما بعدها دليل على سمو الشعور في هذا البلد العزيز فما هي سوى تاريخ لأجمل فوز جنينا لذته ورشفنا صهباءه.

كانت الساعة قبل التاسعة «الأمد المضروب» فدخلنا وإذا بالمسرح لا ترى فيه مكانا فارغا.

سيدات وسادة جاؤوا ليسمعوا خطبا لا يقاطعها نغمة وتر ولا مشهد سينما غراف، ولا فصل هزلي ، فقل ما شئت في أدبهم المحض وعقلهم الراجح.

وهنا وقف صاحب البرق فافتتح الحفلة بالكلمة التالية:

بالذي في البدور من لمعانِ
والذي في الغصون من ميلانِ
بالطيور التي على قبعات الـ
ـغيد تشدو لكن بغير لسان

---

١ - أمين الريحاني، سبقت ترجمته.

بـالـعـيـون الـتي يـذوب بـهـا الـسـحـ
ـــرُ بمـــا في الـــقـــلـــوب من خـــفـــقـــان
بـلـيـالي الـشـعـور تـشـرق فـيـهـا
كل شـــمس من مـــطـــلـع الـــعـــرفـــان
بـالـنـسـيم الـذي إذا عـطف الـغـصـ
ـنُ أصـــاب الأوراق بـــالـــرجـــفـــان
بـــالأديـــبـــات بل بـــكل أديب
طـيّب الـنـفس صـادق الـوجـدان
مـا ظـفـرنـا بمـثل لـيـلـتـنـا الـفـ
ـضل فـيـهـا والحـسن مـعـتـنـقـان
كل فـــرد مـــنـــكم خـــطـــيب بـــلـــيغ
قـــام مـــنـه في وجـــهـه شـــاهـــدان
وكلام الـــعـــيـــون أفـــعل في الـــنـــفـ
ـس من الـــلـــفظ لـــيس فـــيه مـــعـــاني

☆☆☆☆☆

هـذه الـلـيـلـة الـتي جـمـعـتـنـا
زهـــرة عـــلّـــقت بـــصـــدر الـــزمـــان
فَـــلَكٌ أنـــتـم كـــواكـــبه الـــزهـ
ـــرُ وأنـــتم فـــيه شـــعـــاع الـــبـــيـــان
يـسـتـمـد الـعـازار مـنـكم وحـيـا
عـــنـــده ضـــاع وحي بـــنت الحـــان
ذلك الـــوحي ســـوف يـــنـــثـــر مـــنه
زهـــرة فـــوق مـــفـــرق الـــريـــحـــاني

✱✱✱✱

يا سـادة:

هذه الليلة أنتم أقمارها، وهذه الروضة أنتم أزهارها، فيا أقمار الفضل ويا أزهار الأدب سلام ومرحبا.

إما بعامل الحب وإما بعامل الفائدة أنتم هنا يا سادة ومن أجل تلك الرغبة أنتم تشكرون.

يقولون إن ميل الناس إلى تلك الحفلة يكاد لا يوجد. ويقولون إن الآداب غير رائجة السوق في سوريا، ويقولون إن الأديب لا يكافأ في الشرق. أجيلوا نظركم في هذا المحضر الكريم تروهم لا يصدقون.

أعطونا أديباً ناضجًا وخذوا حفلة ناضجة. الذي ينقل آداب الشرق للغرب والذي يعرف الانكليز بأبي العلاء وصاحب كتاب «خالد» ورواية الإمام علي بن أبي طالب لا تكبر عليه هذه الحفلة.

أنتم تحبون الريحاني، تحبون روحه. تحبون أدبه ، تحبون أن تسمعوا منه آخر خطاب يقوله قبل سفره، ومن أولى من جريدة «البرق» التي جعلها ميدانا لقلمه ومستودعا لبذوره بتحقيق هذه الأمنية.

تكريم الأدباء يا سادتي أكبر منشط لهم، كافئوا أديبا على كتاب ألفه اليوم يؤلف أفضل منه غداً. وفي كتب الأدباء أفضل غذاء للعقول ونور للأفكار . في كتب الأدباء أساس الرقي وعنوان التقدم فعززوا الكتب تعززوا الأدباء وإذا شئتم تعزيز أمة فعززوا أدباءها.

باسم هذا المبدأ أحيت جريدة «البرق» هذه الليلة وباسم جريدة «البرق» أرحب بكم وأشكر الغيرة التي أظهرتم تاركا لكبير الأدباء شيخنا العازار أن ينثر الزهرة التي أعدها لصديقه وليس بين نبرات العازار ونغمات القيثار من فرق لذوي الأبصار.

****

- البرق،أيار ١٩١٠، مج: ٢، عدد: ٨٨، ص:٢٨٨.

صلح وبستاني[1]
مبعوثان
١٣٢٦

كـتب الحق لـنـا الـنـصـر المـبـيـنـا
فـرجـعـنـا بـالأمـاني ظـافـريـنـا
ظـفـر الـعـلـم وكـانت نـهـضـة
ركـنـهـا خـيـر الـرجـال المـسـلـمـيـنـا
هـدّمـوا بـالـسـمـر من أقلامـهم
مـعـقل الجـهل وقـد كـان حـصـيـنـا
أرؤسٌ تحـوي عـلـوم الـغـابـريـنـا
ونـفـوس لـلـعـلى تـبـدي الحـنـيـنـا
وقـلـوب مـلـؤهـا الحب الـذي
يـقـتـفي فـيه الـبـنـون الـوالـديـنـا
هـمم تحـكي شـبـا الـهـنـدي إذ
اطـلـعت من دجن الـشك الـيـقـيـنـا
فـهْـو كـالـرايـة يمـشي تحـتـهـا
كل يـتـخـذ الـتـألـيف ديـنـا

إلى مدينة بيروت الى مدينة العلم ولؤلؤة التاج مالت أبصار الأمة بأسرها وعلى هذه المدينة كانت تحوم الآمال ومنها كان يُرجى تحقيقها. في بيروت خمسة وثلاثون صوتا والبستاني الذي رشحته الطبقة المتنورة من الشعب لم يكن له سوى خمسة أصوات فإذا هو لم يتفرد بأصوات المدينة كان الفشل محتوما.

١ - رضا صلح وسليمان البستاني انتخبا ليمثلا ولاية بيروت في مجلس «المبعوثان» العثماني بالآستانة.

هنا اقتتلت العواطف.. هنا ضحيت المصالح.. هنا برهنت بيروت على علم صحيح وفضل راجح. هنا انتصر الحق على الباطل وكان للسادة المسلمين في ذلك يد لا تكفر. فسلام على النفوس الكبيرة الكامنة في صدورهم، سلام على الشرف الجاري مع الدم في عروقهم، بل سلام على بيروت التي أرتنا في هذه الحرب الأدبية رجالا يتفانون في سبيل الوطن ولا يبخلون عليه بالنفائس.

كان البستاني يقرأ مكنونات الصدور. كان يقف على دقائق الأمور. كان يرى القلوب الكبيرة تلجم مطامعها الكبيرة تضحية لمنفعة النفس وإيثاراً لمصلحة العموم على مصلحة الفرد.

المدينة بأسرها على اختلاف أديانها وطبقاتها على اختلاف نياتها ومآربها جعلته موضع ثقتها وسلمت إليه زمامها وفوضت إليه شؤونها فهل يكون عند ثقة الأمة به ويملأ الكرسي المعد له في المجلس الكبير؟؟

إن البستاني الرجل النابغة يناجي بلا ريب ضميره في هذه الساعة، إنه ينظر بعينه النافذة الى أحشاء المستقبل ويرى ما أعده له الغد من المصاعب التي سوف تجشمه السهر الطويل والمتاعب الجلى.

إن البستاني «مندوب مدينة بيروت» رأى في بداية الانتخاب تأثير الجهل على القسم الأكبر من الشعب وهل يحارب الجهل بسوى التعليم الإلزامي في مدارس وطنية تؤلف بين قلوب أبناء الأمة العثمانية؟

إن العلم كالروح ينتعش به قلب الأمة ولكنه متى أصبح لزاما تنتعش به أطرافها وهي القوى العاملة فيها بل هي كناية عن الطبقة الجاهلة التي لو صرفت قواها الى عمل مفيد لعاد على الوطن منه نفع شامل وخير عميم.

غير أن هذا ليس بالمسألة الوحيدة التي يجب أن تشغل رأس المبعوث بل هنالك مسائل كثيرة لا تفوت مبعوثينا، هناك تأليف اللجان الوطنية والشركات الوطنية التي تشتغل في الوطن وللوطن. هنالك استثمار الأراضي الغنية بتربتها ومعادنها، هناك كف غيث الرتب والأوسمة عن أن ينهمر على قوم لا يعرفون للفضل مصدرا ولا للعلم مقاما. هنالك ضرب المكوس الباهظة على واردات البلاد الأجنبية إذا كان لدينا منها ترويج لما هو عندنا بل هنالك محاسبة البلديات والحتم عليها بنشر أعمالها وميزانيتها في كل سنة الى آخر ما لا يطوله علمنا القاصر مما لا يفوت مندوبينا الكريمين.

فإلى الصلح والبستاني نوجه هذه الجملة وعلى عاتقهما نلقي تبعة ما انتدبا اليه فإن لنا من علمهما كفيلا بتحقيق الأمل ومن خلالهما دليلا على خلوص النية.

فنحن نرفع لهما تهنئة الأمة عاطرة ونسأل الله أن ينفعنا بهما فهو على كل شيء قدير.

✱✱✱✱

- البرق، تشرين الثاني ١٩٠٨، مج: ١، عدد: ١١، ص: ١ .

بنديكتس الحادي عشر

إلى بعض الاكليروس

قــرأت من بــنــدكــتس الحــادي عــشــرْ
نــادرة كــالــعــقــد في جــيِّــد الــســيــرْ
وهـــا أنـــا لـــقـــارئـي أرويـــهـــا
ولي - ولا أنـــكـــر - مـــغـــزى فـــيـــهـــا
وكـــنت قـــبلاً أكـــره المـــغـــازي
لمـــا بـــهـــا من بـــارد الألـــغـــازِ
لـــكـــنـــمـــا والحـــر يـــشـــوي شـــيًّـــا
يـــســـتـــمـــلح الـــبـــارد لـــكن شـــيـــا

كـــان بـــنـــديـــكـــتس من أنجـــالِ
فـــتى مـــزارع قـــلـــيل المـــالِ
فـــصـــعـــدت أخلاقه به إلى
أعـــلى ذرى إلى أعـــلى الـــعـــلى
وفـــتـــحت لـــربـــهـــا الأبـــوابـــا
قـــداســـة الـــنـــفس تـــســـيم بـــابـــا
وشـــــــاع في رومـــــــة أن أمـه
عـــازمـــة في الـــغـــد أن تـــؤمه

- بنديكتس الحادي عشر هو بابا روما بين عامي (١٣٠٣- ١٣٠٤م).

فـــزيـــنـــوا والـــســـهم إثـــر الـــســـهمِ
لـــيـــكـــرمـــوا الابن بـــشـــخص الأمِ
وخـــــرج الـــــبـــــابـــــا مع الأقـــــوامِ
يـــســـتـــقـــبل الـــزائـــر بـــالإكـــرامِ
لـــــكـــــنه لمـــــا رآهـــــا أجـــــفلا
وأنـــكـــرت عـــيـــنـــاه تـــلك الحـــللا
فـــقـــال لا أعـــرف ذي الأمـــيـــره
لأن أمي امـــــرأة فـــــقـــــيـــــره
فـــشـــد مـــا من قـــوله تـــأثـــرتْ
ونـــثـــرت من دمـــعـــهـــا مـــا نـــثـــرتْ
وانـــصـــرفت[1] ولـــبـــثت في خـــلـــوه
ولـــبـــست عـــتـــيق تـــلك الـــكـــسـوه
ورجـــعت إلـــيه فـــارتـــمى عـــلى
عـــنـــقـــهـــا وضـــمـــهـــا وقـــبَّلا
وقـــال والـــعـــين مـــســـرورة تـــهـــمي
عـــــرفـــــتك الآن فـــــأنت أمـي

عـــد بي إلى الـــشـــرق ولا تـــبـــتـــئس
وانـــظـــر إلى أقـــارب الاكـــلـــيـــروس
تـــراهم من بـــعـــد ذاك الـــفـــقـــر
أمـــســـوا وهم دون الـــورى يُـــســـر
وبـــعـــد لـــبس «الجـــبـــة» المـــرقـــوعه
أمـــســـوا ذوي الـــكـــلـــمـــة المـــســـمـــوعه

١ – في الأصل الذي لدينا (انحرفت).

وبـــعـــد أن كـــانـــوا ذَنَـــبـــا في الـــنـــاسِ
تحـــولـــوا فـــأصـــبـــحـــوا بـــالـــراسِ
كـــأنمـــا الـــوقف عـــلـــيـــهم وقفْ
ومـــــا يـــــدب فـــــيـــه أو يـــــرفْ
ومن غـــدا نـــســـيـــبه مـــطـــرانـــا
فـــقـــد ســـمـــا حـــتى علا كـــيـــوانـــا
يـــــرفل في الـــــدمـــــقس والحـــــريـــــر
وربمـــــا كـــــان من الـــــنـــــذور
ويـــــنـــــثـــــر المـــــال بلا حـــســـاب
عـــلى الـــغـــواني[٢] وعـــلى الـــشـــراب
يـــهـــنـــا وتـــشـــقى دونه الـــرعـــيه
وهـي بمـــا يـــنـــفـــقه الحـــريه
ألـــيـــست الأوقـــاف من آبـــائـــهـــا
إلى بـــنـــيـــهـــا وبـــني أبـــنـــائـــهـــا
كـــانت لـــصـــنع الخـــيـــر بـــين الـــنـــاس
من غـــيـــر تـــمـــيـــيـــز ولا قـــيـــاس
هـــــذا ولا أعـــــمم الـــــكلامـــــا
لأن في ســـــاداتـــــنـــــا كـــــرامـــــا
قـــد عـــلـــمـــوا بـــواجب الآبـــاء
فـــعـــامـــلـــوا الأبـــنـــاء بـــالـــســـواء
وعـــــززوا وشـــــيـــــدوا الأوقـــــافـــــا
وأرشـــــدوا ودبـــــروا الخـــــرافـــــا

٢ – في الأصل المتوافر لدينا (الغوافي).

وإن في ذويـــــهم شـــــبـــــانـــــا
بـــزوا بـــأفـــعـــالـــهم الأقـــرانـــا
وقـد ركـبـوا الجـد إلى نـيل الـعـلى
ونـــــال كل مـــــنـــــهم مـــــا أملا
لـكـنـمـا الـواحـد في المـلـيـون
يـكـاد لا يـظـهـر لـلـعـيـون
فـشـكـت الـنـاس وشـكـت فـيـهم
وفـي ذويـــــهـم وذوي ذويـــــهـم
وبـــات كل مـــنـــهـم يـــقـــول
وقـــلـــبه من الأسى مـــتـــبـــول
لـو اشـبـهت (آبـاؤنـا) بـنـديـكـتـسـا
لـعـبـدت أبـنـاؤنـا الاكـلـيـروسـا
الأخطل الصغير

****

- البرق، تموز ١٩٢٥، عدد: ٢٣٨٥، ص: ١.

قال في بطرس أفندي داغر:

كـــــنت كـــــالـــــوردة فـي الـــــكُمّ فلا
حـــسـنـــهـــا يـــبـــدو ولا نـــشـــر يـــفـــوح
عـــــجب الحـــــاســـــد لمـــــا جـــــرحت
كـــيف فـــاح الـــعـــطـــر من تـــلك الجـــروح

****

- قال هذين البيتين في صديقه بطرس داغر يوم اتهموه بمخالفة الأوامر التركية.
- البرق، ١١ حزيران ١٩١٠، مج: ٢، عدد: ٩٢، ص: ٣٢١.

عـن المدارس

إن المـــــدارس كـــــالـــــريـــــاض
تـــــنـــــوعت فـــــيـــــهـــــا الأزاهـــــر
هـــــــــــذا يـــــــــــروق وذاك لا
والـــفـــرق مـــثل الـــصـــبح ظـــاهـــر
(بشارة)

****

- البرق، آب ١٩١٠، مج: ٢، عدد: ١٠٠، ص: ٣٩٣.

بطـــروا للغنـــى

– من أوراق الحرب –

قـد نـكـبـنـا فـمـا لـنـا أصـحـابُ
سـنّـة الـدهـر لـيس فـيـهـا عـتـابُ
صـــادقـــونـــا فـــكـــان ذلك ذنـــبـــا
مـــا عـــلـــيـــهم إذا هم الـــيـــوم تـــابـــوا
بـطـروا لـلـغـنى كـأنـا جـهـلـنـاه
ولـــــكن ضـــــنت بـــــنـــــا الآداب
أمس كـنـا ومـا عـلـيـهم حـجـاب
وهم الـــيـــوم دونـــهم حـــجـــاب

الأخطل الصغير

****

– البرق، ١٩٢٨، عدد: ٣٠١٢، ص: ١.

في الحمى سنة ١٩٠٥

أرسلها لصديقه عادل أرسلان

هـو الـغـزال الـذي تـعـني وذاك هـو الـرْ
رامي الـذي لم تـطش قـطـعـاً مـرامـيه
رمى فـؤادي فـأصـمـاه وخـلَّـفـني
كـمـا تـراني كـسـيـر الـقـلب دامـيه
فـرحت أقـصـد بـيـتي لا أفـيق ولا
أعي ولا أرعـوي عن عـظم حُـبِّـيه
حـتى إذا مـا دخـلت الـبـيت صـحت بـهم
إلـيّ - مـا بك - دور ذا نـلافـيه
وأقـبـلت عـجلاً أمي «تـدسـدسـني»
فـقـلت يـا أم قـلـبي لا (تـدسـيه)
وبت أصـرخ من تحت الـلـحـاف من الـ
ـجـمـر الـذي هـو في الأحـشـاء صـالـيه
حـتى تحـيَّـرَ في دائي الـطـبـيب ولا
بـدْعٌ ودونك مـا قـد قـاله فـيه

لـداء هـذا الـفـتى داء يـعـزّ عـلى
من كـان مـثـلي شـفـاه وهـو خـافـيه

وإن يـــكن من دواء فـــلـــيـــصف لـه
نـــقـــيع زهـــرٍ نمـــا في خـــد مـــضـــنـــيه
ولـــيُـــسقَ مـــنه مـــتى هـــاج الـــدوار به
بـــكـــأس وجـــنـــته (جـــرعه) فـــتـــشـــفـــيه

***

- البرق، كانون الثاني ١٩٠٩، مج: ١، عدد: ٢٠، ص: ١٥٧-١٥٨

الرثـــــاء

ابيض

رثاء الأمير محمد أرسلان

عـــربيٌ هـــذا الـــشـــهـــيـــد عَـــلَتْ
نـــفـــسه صـــهـــوة الـــعـــلى فـــكَـــبَتْ
وعـــــلى صـــــدره شـــــهـــــادته
بـــــرؤوس الحـــــراب قـــد كـــتـــبت

على باب مجلس الأمة سقط الأمير محمد أرسلان شهيد الواجب . وبسيف الجهل قُطع غصن حياته اليانع. وبينما هو يستقبل فجر الأماني حجبته ظلمة الأبدية. كان يحمل في صدره آمالاً أكبر من صدره ويمزق بعين الفكر الحجاب الذي يفصل مستقبل الدولة عن حاضرها وما هي إلا ثورة ليلة حتى رأيت صدر نائب اللاذقية ممزّقا وآماله الجميلة متناثرة كالهباء.

كان الأمير محمد أرسلان في طليعة نواب العرب جرأة واقتدارا. وقد طالما رددت جدران مجلس الأمة صدى صوته، وما صوته غير صدى الوطنية المتأججة في صدره، ذاك الصدر الذي مزقته رؤوس الحراب ورصاص البنادق. سقط الأمير صريعاً على باب مجلس الأمة التي انتدبته لخدمتها، وها هو الآن بين يديها مطعون بخناجر الأثمة، سقط كما يسقط المجاهد في حومة الجهاد، سقط وهو يردد هذه الأبيات.

للأمة وللوطن

فالأمة والوطن أيها الراحل الكريم سيحفظان لك ذكرًا خالدًا ترددده الأجيال الآتية وسيكون استشهادك درسًا يعلم الناس حقيقة الوطنية.

فارقد قي ضريحك هادئًا فإن العصافير المغردة بين أوراق السرو التي تظللك، ستحمل إليك في كل صباح تحية الأمة التي مت في سبيلها.

****

- البرق، ٢٧ نيسان ١٩٠٩، مج: ١، عدد: ٣٤، ص: ٢٦٨

وردة على غصن

لم يـــبق في مـــقـــلـــتي دمـــوعْ
يـــا غـــصن حـــتى أبـــلِّـــلَكْ
يـــا بـــدر إن تـــهـــجـــر الـــربـــوع
فـــأدمـــعي أنجم الـــفـــلك
في المـــهـــد يـــا غـــصن أنت نـــائم
ولا حـــــــراك ولا نـــــــفَسْ
وقـــلـــبـــنـــا كـــالـــفـــراش حـــائم
بـــجـــانـــحـــيه عـــلى قـــبس
يـــــحـــــرقه وجـــــده الملازم
عـــلى الـــبـــنـــاء الـــذي انـــدرس
داهـــمك المـــوت في الـــربـــيع
بـــلافحٍ مـــــــنـــه أذبـــــــلك
فـــبتّ فـــوق الـــثـــرى صـــريع
وعـــنـــدك الـــنـــور كـــالحـــلك

يـــا زهـــرة في فم الحـــبـــيبْ
جـــارت عـــلـــيـــهـــا يـــد الـــقـــدرْ

- رثاء فؤاد كنعان الضاهر، صديق الشاعر.

فـــفـــارقت غـــصـــنـــهـــا الـــرطـــيب
يـــلـــعب مع نـــســـمـــة الـــســـحـــر
كـلاكـــــمـــــا ســـــاكت مـــــريب
يـــســـتـــوكف الـــدمع كـــالمـــطـــر
فـــأنت كـــالـــطـــفـــلـــة الـــرضـــيع
وأنـت فـي المـــهـــهـــد كـــالمَـــلَـــك
يـــا زهـــرتي روضـــة الـــبـــديع
وزهـــرتـي روضـــة الـــفـــلـــك

☆☆☆☆☆

يـــا مـــوحـــشـــاً هـــذه المـــعـــاهـــد
ومـــؤنـــســـاً ظـــلـــمـــة الـــضـــريحْ
كم من حـــبـــيب وكم مـــعـــاهـــد
يـــبـــكـي بـــجـــفـن له قـــريح
أمـــلّت الـــنـــفس مـــا تـــكـــابـــد
فـــرحت لـــلـــقـــبـــر تـــســـتـــريح
وكـــان مـــثـــواك في الـــضـــلـــوع
وكـــان عـــرش الجـــمـــال لك
فـــؤاد! لـــو أن لـي شـــفـــيع
إلـى الـــردى كـــان أمـــهـــلك

☆☆☆☆☆

هـــنـــاك حـــيث الـــســـكـــون شـــاملْ
في لـــيـــلـــة بـــدرهـــا اكـــتـــملْ
وقـــفـــت والأدمـع الـــســـوائل
تجـــري ولـــكن عـــلـــى مـــهـل
والـــبـــدر في ســـيـــره يُـــســـائل
عـن كـــوكب في الـــثـــرى أفل

فـــقـــلت مـــا أنت تـــســـتـــطـــيع
يـــــا بـــــدر إرجـــــاع من هـــــلك
فـــالـــنـــجم في مـــشـــيه الـــظـــلـــيع
من قـــــبل أن غـــــاب عـــــلّـــــلك

ورفـــــرف الـــــقـــــلب وهـــــو دام
عـــــلى ضـــــريح بـه فـــــؤادْ
يـــــودع فـي ذمَّـــــة الـــــظلام
مـــــا فـــــيه من صـــــادق الـــــوداد
وقـــبِّل الـــقـــبـــر بـــاحـــتـــرام
كـــأنه مـــعـــبـــد مـــشـــاد
وقُلْ لـــلـــقـــبـــر في خـــشـــوع
فـــؤاد يـــا قـــبـــر جـــمّـــلك
من أجـــلـــه جـــادت الـــدمـــوع
ثـــراك والـــزهـــر كـــلّـــلك

بشارة

****

– البرق: كانون الثاني، ١٩١٠، مج: ٢، عدد: ٦٨و ٦٩، ص: ١٤٤.

رثاء نجيب حبيقة

بـــعـــد طـــول الـــغـــيـــاب جـــئت أنـــادي
صـــاحـــبـــاً مـــا ســـمـــعت مـــنه جـــوابـــا
غـــيـــر أن الـــروح الـــتي تحـــرس الـــقـــبـــر
أجـــابت صـــار الـــنـــجـــيب تـــرابـــا

يا تراباً كان حياة . ويا حياة كانت رجلاً، ويا رجلاً كان صديقاً وأخاً، سلام مني عليك.

حفنة التراب التي في زاوية القبر. والعظمات النخرة المتبعثرة في أرضه هي كل الرجل الذي أحببناه. وما تلك الحركة الدائمة، ما ذاك الأدب المحض، ما نجيب حبيقة إلا ما ترون يا إخواني.

يا تراب نجيب

ماذا يسرك تذكري وماذا يسيئك سُلوّي – سواء عندك أين وجدت. في القبر أو في القصر أو على السابلة أو بين الزهر أو تحت الشوك، تراب أنت وإلى التراب تعود.

يا تراب نجيب

نحن إخوانك أبناء التراب ذكرناك فزرناك وإلى مدفنك الجديد حملناك فارقد هنا مستريحا. نحن نحفظ عهودك ونحترم همودك ونبارك روحك الساهرة على قبرك، إنها كانت روحًا شريفة طيبة.

وأنت يا روحه التي أحببتها دعيني أخاطب طير السروة الذي تساجلين وأخاطبه باللغة التي تعشقين. فتسمعين ما لا تجهلين:

ويـــا أيـــهـــا الـــطـــيـــر المـــغـــرّد في الـــضـــحـــى
عـــلـــى غـــصـــنٍ لـــدنِ الـــقـــوام رطـــيـــبِ

أتـــنـــدب إلـــفـــاً فـــرّق الـــدهـــر بـــيـــنه
وبـــيـــنك أمْ تـــبـــكي لـــفـــقـــد نـــســـيب
تـــفـــتش عـــنه في الـــريـــاض وتـــنـــثـــني
بـــلـــوعـــة مـــلـــذوع الـــفـــؤاد كـــئـــيب
فلا أنت تـــلـــقـــاه فـــتـــنـــقع غـــلّـــة
ولا وهـــو إن نـــاديـــتـــه بمـــجـــيب
فـــتـــمـــسي غـــريـــبـــاً في الـــفلاة مـــشـــرّداً
ونـــار الأسى في الـــقـــلب ذات لـــهـــيب
تحـــاول أن تـــلـــقى مـــبـــيـــتـــاً بـــذا الحـــمى
وقـــد آذنت شـــمس الـــضـــحى بمـــغـــيب
فـــإن لم تجـــد وكـــراً يـــقـــيك من الأذى
فـــقـــلـــبيَ مـــفـــتـــوح لـــكل غـــريب
وإن كـــنت لا تـــبـــغي الـــســـلـــوَّ ولا تـــرى
لـــقـــلـــبك بـــداً من جـــوىً ووجـــيب
فَـــسِـــرْ بي بـــســـربي لـــوعـــة ونـــحـــيب
إلى جـــدث فـــيـــه يـــقـــيم حـــبـــيـــبي

وقـفت لـدى مـثـوى الـنـجـيب ولـلـدجى
جلالـــة مـــلْكٍ في الأنـــام مـــهـــيب
وقـد خـيّم الـصـمت الـرهـيب بـسـاحـة
يـــحـــوم عـــلـــيـــهـــا الـــيـــوم كلّ أديب
ومـــيّل مـــعـــتل الـــنـــســـيم بـــكـــفه الـ
ـــلـطـيـفـة عـنق الـزهـر عـنـد هـبـوب
ســـكـــون ظلام لا يـــقـــطّـــعه ســـوى
حـــفـــيف نـــفـــوس أو حـــنـــين قـــلـــوب
ومـــــا هي إلا وقـــــفـــــة ثم ضـــــرجت
ثـــيـــابي بـــدمع بـــالـــدمـــاء خـــضـــيب

وقـد هـلع الـعـصـفـور من هـول مـا رأى
فـــقـــال بـــصـــوت خـــافت ومـــريب
عـلام أرى هـــذي الـــنـــفـــوس حـــزيـــنـــة
وأســمع في ذا الـــقـــفـــر صـــوت نـــحـــيب
فـــقـــلت وقـــلـــبي واجف ونـــواظـــري
تـــشـــيـــر إلى مـــثـــوى إليَّ قـــريب

هـنـا أيـهـا الـعـصـفـور مـضـطـجع الـوفـا
هـــنـــا أيـــهـــا الـــعـــصـــفـــور قـــبـــر نجـــيب
بشارة

****

- البرق، أيار ١٩١٠، مج: ٢، عدد: ٨٩، ص: ٣٠٥-٣٠٦.

الخطب جلل! مات بطرس داغر

مـــات فـــالـــقـــصـــر مـظـلـم وطـــيـــور الـ
ـقـصـر خـرْسٌ ووجـنـة الـفـضل تـلـطمْ
عـصـفـة لـلـخـطـوب كـانت وبـنـيـا
ن المـــعـــالي من أسِّه قـــد تـــهـــدّم
فـــمن الـــقـــصـــر وهـــو أرحب من يمْ
مٍ إلى الـــقـــبـــر وهْـــو أضـــيق من سَم
ولـســـان بـــالأمس كـــان فـصـيـحـاً
فـــإذا الـــيـــوم والـــلـــســـان تـــلـــعـــثم
وجـنـان مـا نـام يـومـهـا عن الـفـضـ
ـل فـــنـــادت بـه المـــنـــيـــة نم! نم!

☆☆☆☆☆

أيـــهـــا الـــقـــبـــر ضم قـــلـــبك شـــخـــصـــاً
كل قـــلـــب في صـــــدر كل فـــــتى ضم
فـــإذا مـــرّ فـــيك صـــاحب قـــلـــب
طـــأطـــأ الـــرأس ثم صـــلّى وســـلّم

بشارة

✱✱✱✱

– البرق، تشرين الثاني، ١٩١٠، مج: ٣، عدد: ١١٥، ص: ٩٦.

الخطب الأليم

فتحي وصادق طياران عثمانيان استشهدا وهما يؤديان واجبهما الوطني، فرثتهما بيروت ودمشق، نشرت البرق ثلاث قصائد: الأولى للياس فياض، والثانية لشبلي ملاط، والثالثة لبشارة عبدالله الخوري، وهذه قصيدته:

خانت الأرض (بطيريها) السماءُ
يا سماء عفواً فما هذا وفاءُ
هما ضيفاك فماذا لاقيا
بعض ما قد لاقيا منك الفناء
قرنا الشوق بمنطادهما
فالجناحان هواه والهواء
يتعلى بهما ذا عزة
وعليه للتباهي خيلاء
طائر يخفق قلبان به
مثلما يخفق في البئر الرشاء
ودّعانا فاتحي سبل العلى
ثم ما قالا لنا أين اللقاء
أجزاء الحب ما نالهما
إن ما نالهما ليس الجزاء
هبك أنّ الأرض هذي رسلها
وهي تبغي الفتح فالرسل براء
لا! فإنّا أمة من دينها
أن يموت الشّر أو يحيا الإخاء

يـا سـمـا نـحن حـلـيـفـا مـبـدأ
أفـمـا كـان «الـهلالـين» الـلـواء؟

إن لـلـعـلـم رجـالاً بـعض مـا
بـذلـوا في سـبل الـعـلـم الـدمـاء
تـنـفـح الأيـام ابـنـاهـا بـهم
نـفـحـة المـقـتـر يـشـجـيه الـعـطـاء
زيـنـوا الأرض بـآثـارهم
هـكـذا تـزدان بـالـزهـر الـسـمـاء
ركـبـوا المـوت لـكي نـحـيـا بـهم
فـأرونـا كـيف يـقـضي الـشـهـداء
نـحـن لـولاهم لـكـنـا أمـة
تـرتـديه ثم يـرتـديـهـا الـشـقـاء
نـحـن لـولاهم لـكـنـا أمـة
لا تـريـهـا المـعـجـزات الـكـهـربـاء
نـحـن لـولاهم لـكـنـا أمـة
يـتـمـشى فـاتـكـا فـيـهـا الـوبـاء

من تـراه الـكـوكب الـهـادي وقـد
قـلـق الـنـسـر وقـد ريع الحـداء
وأصـاب الـطـيـر مـنه نـكـبـة
فـلـهـا في جـانب المـثـوى رثـاء
عـجـبتْ كـيف هـوى جـبـارهـا
عـجـبت كـيف به ذلّ الـفـضـاء

جـــزعت نـــفس ذكـــاء أن تـــرى
ذلك الـــهـــول فـــلم تـــطـــلع ذكـــاء
وهـلال الأفـق ممـــــــا نـــــــابـه
بـأخـيه اصـفـرَّ في فـيه الـسـنـاء
حـــادث فـي عـــالم الـــطـــيـــر له
عـــالم الإنـــســـان لـــو شـــاء فـــداء

أي صلاح الـــدين ضـــيـــفـــاك وقـــد
يـــحـــتـــفي بـــالـــبـــسلاء الـــبـــسلاء
زورة لـــو كـــنت حـــيـــاً عـــنـــدهـــا
لـــتـــولى كـــرم الـــنـــاس الحـــيـــاء
هـــمـــا ركـــنـــا أمـــة غـــادرتـــهـــا
ولـــــديـــــهـــــا أمم الأرض إمـــــاء
عـــرشـــهـــا الـــسـؤدد والحـــلم لـــهـــا
صـــولجـــان والـــبـــســـاط الـــكـــبـــريـــاء
فـــامـــتـــطـــاهـــا الجـــهل حـــتى مـــضَّـــهـــا
فـــانجـــلى عن ذلك الـــوجه الـــضـــيـــاء
أهـــمـــلت حـــيـــنـــاً ولـــكن لم يـــطل
أن تـــصـــبّـــاهـــا الـــبـــنـــون الـــنـــجـــبـــاء
ذاك فـــتـــحـــي وأخـــوه صـــادق
فـــهـــمـــا - حـــيّـــاهـــمـــا الـــله - رجـــاء
نـــهـــضـــةٌ عـــثـــمـــان إن يـــشـــعـــر بـــهـــا
وهـــو في الـــقـــبـــر يـــخـــامـــرْه انـــتـــشـــاء

أي صلاح الـــدين ذا يـــوم الـــقـــرى
جـاء ضـيـفـاك فـأكـرم مـا تـشـاء

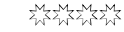

لـــهف بـــيـــروت وقـــدمـــاً ضـــحـــكت
لحـبـيـبـيـهـا فـهل حـان الـبـكـاء
ذويـــا كـــالـــزهـــر في أكـــمـــامه
إن عـــمـــر الـــزهـــر صـــبحٌ ومـــســـاء
غـرسـا فـيـهـا الـهـوى مـذ أقـبلا
فـإذا مـاتـا فـمـا مـات الـنـمـاء

****

- البرق، ٧ آذار ١٩١٤، مج: ٦، عدد: ٢٦٦ ، ص:٦٩٥ و٥٩٧.

العـذارى الثـلاث

وقـفن حـيـال الـقـبـر من بـعـد مـا انـثـنى
عن الـقـبـر أحـبـاب الـذي سـكن الـقـبـرا
ثلاث عـــذارى كلّ عـــذراء شـــمـــعـــة
عـلى عـنـقـهـا الـذاوي لمـدمـعـهـا مـجـرى
يَـسِـلْنَ كـمـا سـال «الـدفـين» تـهـالـكـا
عـــلى الـــعـــلم لا شـــكـــراً أراد ولا أجـــرا
ويـهـمـسن فـوق الـقـبـر مـا هـمس الـنـدى
بمـسـمع زهـر الـروض لمـا هـمى فـجـرا
فـقـرّبت خـطـوي لا يـحسُّ بيَ الـثـرى
كـطـيـف إلى غـايـاته ركب الـفـكـرا
وإذ صـرت خـلف الـبـاكـيـات خـشـيت أن
يـنـبَّه مـنـهـا الحسّ زفـراتي الحـرّى
فـألـقـيت صـدري في يـديَّ لـعـلـني
أعـالجه بـالـصـبـر - لـو أحـمـد الـصـبـرا

ومـا هـي إلا وقـفـة كـنت عـنـدهـا
كـأني إلى الـدنـيـا بـعـثت من الأخـرى
فـمـا راعـني في مـوقـفي غـيـر زفـرة
عـلى ذلك المـثـوى بـهـا بـاحت الـكـبـرى

- قيلت في رثاء محيي الدين الخياط.

فـقـالت لأخـتـيـهـا فـقـدت به فـتى
سـمـوت به نـثـراً وفـقت به شـعـرا
فـجـعت به كـالـزهـر يـفـجع بـالـنـدى
فـإن أنـا أذوي فـالـنـدى فـارق الـزهـرا
فـقـالت لـهـا الـوسـطى صـدقت وقـد رنت
بـلـحظٍ يـتـيـمٍ يـصـدع الـرجل الـصـخـرا
إذا فـقـدت أخـتـي من الـتـاج درة
فـإنيَ من روحي فـقـدت به شـطـرا
فـقـد كـان مـني مـوضع الحس في الـفـتى
وكـان اسـمي المحـبـوب في وجـهه يُـقـرا
فقـالت لـهـا الـصـغـرى صدقت وأجـهـشت
فـقـلت لـنـفـسي آه من لـوعـة الـصـغـرى
فـمـا مـلـكتْ من نـفـسـهـا فـضل قـوة
لـتـرثي بـلـى كـانت مـدامـعـهـا حـمـرا
وألـقت عـلـى ذاك الـضـريح بـنـفـسـهـا
فـألقت عـلـيـهـا نـفسـهـا أخـتـهـا الـكـبرى

هـنـا انـسـحـقت نـفسي فـلـمـلـمت قـوتي
وهـرولت أمـشي مـشـيـة المـنـتـشي سـكـرا
وكـنـت قـرأت اسم الـعـذارى مـسـطـراً
عـلى مـبـسمٍ.. سـبـحـان من صـور الـفـجـرا
فـمـا كـانت الـكـبـرى سـوى الـلـغـة الـتي
بـهـا نـزل الـفـرقـان لـلـنـاس بـالـذكـرى

وقــد كــانت الــوســطى المــروءة والــتي
رمت نـفسـهـا، وهي الـوداعـة ، فـالـصـغرى
لـئن تـبـكه هـذي الـفـضـائل فـالـسـمـا
بـكت مـنه روحـاً مـثل نجـمـتـهـا الـزهـرا

ألا أيــهــا الــثــاوي المــكــفن بــالــوفــا
مـحـبـوك جـاءوا.. أين طـلـعـتك الـغـرا؟
وأين الـنـثـيـر الجـزل يـعـبث بـالـنـهى
وأين الـنـظـيم الـعـذب نـحـسـبه سـحـرا
أتـيـنـاك نـسـتـسـقي الـبـيـان وعـهـدنـا
قـريب بـذاك الـوجه مـنـطـلـقـاً بـشـرا

له الـلـه مـا روّى الـغـلـيل بـلـفـظـة
فـدى لك مـحـيي الـدين أكـبـادنـا الحـرّى
وداعـاً فـإنّـا بـعـد حـين سـنـلـتـقي
تـفـرقـنـا الـدنـيـا وتجـمـعـنـا الأخـرى

✱✱✱✱

– البرق، أيار ١٩١٤، مج: ٦، عدد: ٢٧٣، ص: ٦٥٣.

رثاء يوسف سرسق

أيـهـا الـنـسـر يـا عـظـيم الجـنـاحـيـ
ـن ويـا مـالئ الـفـضـاء الـرحـيـبـا
لـست مـهـمـا ارتـفـعت أعـلى من الـشـمـ
ـس وإن كـنت لـلـقـلـوب قـريـبـا
إن تـغب مـرة لـتـسـعـين عـامـا
إن لـلـشـمس كل يـوم مـغـيـبـا
كـنت أعـلى من أن تـرى الـشـكـر يـأتـيـ
ـك ابـتـسـامـا ممـا وهـبت لـعـوبـا
بل رفـعت الـبـنـاء ضم المـصـابـيـ
ـن فلاقـوا به الـدوا الـطـبـيـبـا
فـأتـاك الـشـكـران تـسـكـبه الـنـفـ
ـس رطـيـبـا من الـعـيـون وطـيـبـا
نم عـلـى راحـة الملائـكـة واخـلـد
كـيف تـفـنى وقـد ولـدت نجـيـبـا

****

- البرق، شباط ١٩٢٣، عدد: ١٧٥٠، ص: ١

فداك الورد

أبـــا ســـامي ســـقى الـــرضـــوان ســـامي[1]
بـــقـــلـــبي مـــا بـــقـــلـــبك من ســـهـــامِ
أتجـــــزع إن أصـــــبت بـــــألمـــــعيِّ
بـــعـــيـــد الـــهمّ طـــمـــاح المـــرامي
إذن فَـــلِـــدِ الـــبـــنـــين ذوي خـــمـــولٍ
ولا تـــنـــهجْ بـــهم نـــهج الـــكـــرام
إذا عـــصف الـــردى بـــالـــغـــيل يـــومـــاً
أيـــســـلم غـــيـــر شـــبل لـــلـــحـــمـــام
وإن الـــتـــرب مـــعـــدنـــنـــا ولـــكنْ
تـــنـــوعتِ المـــنـــابت والأســـامي

فـــــداك الـــــورد وردة آل قـــــزح
ومـــا في الـــورد من صـــور وســـام
أرادت أن تـــشق الـــكمَّ عـــنـــهـــا
ولم يـــأذن ، فـــمـــاتت في الـــكـــمـــام

✱✱✱✱

١ – رثاء سامي، نجل كمال بك قزح.
– البرق، أيار ١٩٣٢، عدد: ٣٤٣٢، ص: ٥.

الأسد الصريع

مات نعوم مكرزل «صاحب الهدى»

هوى النسر بعد أن نفذ فيه سهم القدر.

وأبيح الفيل بعد أن رقد الأسد رقدة الأبد.

وأظلم الأفق بعد أن محا الموت بدره الأسنى عن لوحته.

لقد تعطلت لغة الكلام، ووهت عزائم الأقلام عندما قالوا مات المكرزل نعوم.

لقد كان صاحب الهدى أمة بنفسه، وجيشاً بيراعه وطرسه، بل كان عنوان لبنان المهاجر وآمال لبنان المقيم، لا يعرف في حبهما هوادة، ولا يقعده سقام، فهو أبداً فارس الحلبة لا يأتلي جهاداً وجلاداً، ولا ينثني إلا وعليه حلة من الأرجوان والعنفوان.

لقد كان يسمى بحق الصحافي الجبار..

إنه أول من حمل اللغة العربية إلى وراء البحار.

وأول من رفع لواء الصحافة حراً جريئاً.

وأول طلائع الغوث لبلاده في جميع نكباته.

وأول من رفض أن يحمل من الأوسمة إلا جراح المعارك القلمية التي خاضها في سبيلها. لقد كان بيت «الهدى» بيت لبنان في غربته، وملجأ اللبناني في محنته ونجمة القطب في الليالي المدلهمة.

لقد مات صاحب «الهدى» وهو يناضل في سبيل عقيدة وطنية حمل نفسه إليها من باريس. مات تحت مبضع الجراح، كما يموت الأسد، لا على فراش الخمول بل في

ساحة[1] الجهاد، وكانت نبأة دوت لها البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، إذ تصدعت معاقل آمالها ، وتلاشت غر أحلامها، ألا وهي ربط لبنان بأبنائه وراء البحار ربطاً وثيقاً بعواطفه ومصالحه وأهدافه.

وقد كانت ترى في صاحب «الهدى» الساعد الأقوى لتحقيق هذه الأماني.

والآن وقد وقعت الكارثة وأصبح نعوم مكرزل خيالاً تطالعه العيون من خلل دموعها والآمال من خلل آلامها.

والآن وقد سكت صوت نعوم إلى الأبد. وهدأت ثورة «الهدى» خمرة النفوس المتمردة، وحبيبة العقول المفكرة، وصناجة الوطنية الصاخبة.

والآن وقد لفظ الجهاد الوطني آخر انفاسه واضطجع «النمر» عند باب العرين، يحف به وقار الشيب وجلال السنين.

الآن تنحني الرؤوس إجلالا لمن لم يحنِ في حياته رأساً ولمن كان في حياته ومماته، قدوة للمجاهدين ودرساً.

أما أنا، أيها الفضاء اللامتناهي من الحب والمروءة ، بل أيها الينبوع المتدفق عذوبة لقارئيك ولمحبيك، أما أنا فهذا جفني الباكي وقلبي الحزين يخشعان عند جثمانك الطيب ويناجيان روحك الكريم.

****

١ – كانت في الأصل (ساعة) الجهاد.
– البرق، نيسان ١٩٣٢، عدد: ٣٤٣٠، ص: ١.

إلى بطل لبنان يوسف بك كرم[1]

رجـــعت كـــالـــلـــيث إلى عـــريـــنه
في الـــذروة الـــشـــمـــاء من عـــرنـــيـــنه
تـــــــزأر مـن دون الحـــــــمـى ودونـه
مـــســـلِّـــمـــاً بـــحـــقه وديـــنه
وربّ وثـــاب عـــلى حـــصـــونه
كـــفَّـــنْـــته بـــدمه وهـــونه
وضـــحك الـــثـــلج عـــلى صـــنـــيـــنه
من صـــلف الـــبـــاغي ومن جـــنـــونه
يـــا من رأى ســـيـــفك في مـــتـــيـــنه
يـــجـــوّد الخـــطـــبـــة في تـــأبـــيـــنه
فـــمـــا صلاح الـــدين في حـــطـــيـــنه
يـــقـــذف بـــالـــعـــادي إلى ســـفـــيـــنه
أنـــفـــذ من ظـــنك في يـــقـــيـــنه
يـــــا رافع الأرز عـــــلى يمـــيـــــنه
وخـــالـع المجـــد عـــلى غـــصـــونه
لأنت نـــور الـــله في جـــبـــيـــنه

****

١ - ألقيت بمناسبة الاحتفال بإزاحة الستار عن تمثال يوسف بك كرم في إهدن في ١١ أيلول ١٩٣٢، انظر مقال: بطل لبنان يعود إلى عرينه، ص : ٢٤٦.
- البرق، أيلول ١٩٣٢، عدد: ٣٤٤٦، ص:١

لبنان يشيع والدة الرئيس
«بشارة خليل الخوري»

أعـطـيتِ لـبـنـان مـا لم يـعـطه أحـد
هـذا الـلـواء المـفـدى رأس لـبـنـانـا
لـولاه مـا اتحـدت شـتى طـوائـفه
ولا غـدا لـكـتـاب المجـد عـنـوانـا
لـئن بـكـاكِ بـعـيـنـيه ومـهـجـته
فـقـد جـزاك عـلى الإحـسـان عـرفـانـا

الأخطل الصغير
١٩٥١

****

- الصياد، ١٩٥١، عدد: ٣٤٩، ص: ١٠.

في سبيل الوظائف

معركة دموية في قضاء الكورة[1]

ألا مـــا لـــقـــلـــبك لا يـــقـــطـــرُ
دمـــــاً ولـــــدمـــــعك لا يـــــبـــــدرُ
ألم يـــأتك الـــنـــبـــأ المـــســـتـــطـــيـــر
ومـــا فـــعل الـــشـــعب والـــعـــســـكـــر
نـــــبـــــأ ســـــعت الـــــبـــــارقـــــات به
فـــقـــابـــلـــهـــا جـــفـــنك المـــمـــطـــر
لـــقـــد فـــتك الجـــهل بـــالجـــاهـــلـــين
وعـــاقـــبـــة الجـــهل لا تـــنـــكـــر
وقـــد مـــارس الـــدهـــر مـــنـــهم رجـــالا
كـــأنـــفـــســـهم لم تـــر الأدهـــر
إذا أنت تـــصـــرعـــهـــا تـــســـتـــمـــيت
وإن أنت تـــضـــرعـــهـــا تـــصـــبـــر

دوَتْ نـــبـــأةٌ من شـــمـــال الـــبلاد
فـــأنَّتْ وأنَّ لـــهـــا المـــهـــجـــر

---

١ - وقعت هذه المعركة بين الشعب والعسكر أثناء الانتخابات النيابية لمجلس الأمة اللبنانية في «أميون» أيام المتصرف أوهانس قيومجيان باشا وقد أسفرت عن عدد من القتلى والجرحى.

وطـــاشت لـــديـــهـــا حـــلـــوم الـــرجـــال
فـــــكل فـــــتـى طـــــرفه أصـــــور
مـــصـــاب به أرهـــقت خـــمـــســـة
وقـــد جـــرح الـــعـــدد الأكـــثـــر
وقـــد صـــبغ الـــثـــلج لـــون الـــدمـــاء
وفـي كل نـــاحـــيـــة مـــجـــزر

لـــقـــد أســـفـــر الـــعـــيـــد عن مـــشـــهـــد
قـــلـــوب الـــعـــذارى لـه تـــذعـــر
فـــقـــد نـــشـــرت شـــعـــرهـــا الأمـــهـــات
وقـــد لـــطـــمت خـــدهـــا المـــعـــصـــر
وســـالت عـــيـــون الـــصـــغـــار دمـــاً
فـــإن أنت لـم تـــبك لا تـــعـــذر
لـه الـــلـــه من فـــاجع عـــنـــده
أشـــد الـــفـــواجع تـــســـتـــصـــغـــر

ألـــبـــنـــانُ دعـــنـي أذيب الجـــفـــون
وأنـــثـــر مـــنـــهنّ مـــا أنـــثـــر
فـــأين هـــو الـــلـــيث حـــول الحـــمى
وأين نـــرى يـــســـرح الجـــؤذر
لـــقـــد كـــنت عـــالي الجـــدار مـــنـــيـــعـــاً
وكـــانت تـــدين لك الأعـــصـــر

وكـــانت اذا خـــطـــرت نـــســـمـــة

عـلـيك بـســمـر الـقـنـا تـعـثـر

زمـــان مـــضى وأتى غـــيـــره

فـــذلك يـــجـــني وذا يـــثـــأر

وربك بـــيـــنـــهـــمـــا آمـــر

ومن ذا يـــرد لمـــا يـــأمـــر

ألـــبـــنـــانُ إن دمـــاء بـــنـــيك

يـــحـــلـــلـــهـــا «الحـــاكم الأكـــبـــر»

فـــمن كـــان من قـــبل مـــثل الـــبـــغـــاث

فلا بـــدْعَ إن هـــو يـــســـتـــنـــســـر

****

- البرق، كانون الثاني، ١٩٠٩، مج: ١، عدد: ٢٠، ص: ١٥٣-١٥٤.

تاريخ عام

١٩١٢-١٩١٣

يا عيد أما كنت أنت
الذي أتى منذ عامِ
فما عليك صلاتي
ولا عليك سلامي
حتى لأنف من أن
أضيع فيك كلامي
دعني أسألك ماذا
علقته في الأنام
حتى رجعت اليهم
بثغرك البسّام
أفسدت لي حسن ظنّي
في هذه الأيام
يا ضاحكا لنفوس
قلوبهن دوامي
نسيت يوم طرابلس[١]
كيف جزّ الهام؟؟
ويوم بيروت[٢] فعل
الحديد بالأجسام؟؟

١، ٢ – يشير إلى غزو إيطاليا لليبيا في ما عرف بالحرب التركية الإيطالية عام ١٩١١ وتنكيل جيش الغزو الإيطالي بالشعب الليبي وقصف البوارج الإيطالية لبيروت.

غـــداة تـــهـــمي عـــلـــيـــهـــا
مـن «غـــابـــلـــدي»[٣] هـــوامي
قـــوانف بـــالـــشـــظـــايـــا
نـــواسف لـــلـــعـــظـــام
مـــجـــرّحـــات قـــلـــوبـــا
لـــصـــبـــيـــةٍ أيـــتـــام
أبـــصـــارهـــا شـــاخـــصـــات
الـى وراء الـــغـــمـــام
كـــأنـــهـــا ســـائـلات
عـن الـــرجـــال الـــكـــرام
فـــلـــم تـــكـن لمـــعـــة الـــبـــر
قِ فـي حـــنـــايـــا الـــظلام
أمـــضى لـــهـــا من (عـــلـي)[٤]
ربّ الـــفـــعـــال الـــعـــظـــام
نـــادى بمـــصـــر فـــلـــبى
الأمـــيـــر كلّ هـــمـــام
ولـــيـــس فـي الأمـــر بـــدع
فـــمـــصـــر أخت الـــشـــآم

☆☆☆☆☆

مـــا انـــسى لـــو كـــنت أنـــسى
يـــومـــاً شـــديـــد الـــقـــتـــام
يـــومـــا بـه دول الـــبـــلـ
ـــقـــان[٥] انـــتـــضت لـــلـــحـــسـام

٣ – غريبالدي (١٨٠٧ – ١٨٨٢) مقاتل إيطالي حارب في سبيل الوحدة الإيطالية، ولعل ذكره هنا إشارة إلى بارجة إيطالية ربما تحمل اسمه قصفت ميناء بيروت عام ١٩١٢.

٤ – محمد علي باشا ، شقيق الخديوي، الذي ترأس الحفلة التي أقيمت في مصر لمساعدة منكوبي بيروت.

فلاح في ثغر رومـــا
إذ ذاك برق ابتسام
وصحّ للمتنبي
قول من الإلهام

(مصائب لأنام فوائد لأنام)

كذا بسطنا يميناً
لها على ارغام
فيها طرابلس بل فيـ
ـها خادع الأحلام
نقول والعين قرحى
لها اذهبي بسلام
ولا تكوني علينا
في جملة اللوام
بل فاذكري عهد قوم
لهم حقوق الذمام

يهنيك يا عيد أن لا
تحسّ بالآلام
ماذا بقرق كليسه
من الخطوب الجسام
بكت هناك المعالي
تفوّق[٦] الإسلام

٦ – هكذا في الأصل ولعلها (تفرق) فهي الأقرب للسياق.

وزاغ لـــــــلـــــــجـــــــيش ذاك
المجـــد الـــقـــديم الـــســـامي
وروّعـت بـــــعـــــزيـــــز
كـــــرامـــــة الأهـــــرام

هـلال عـــثـــمـــان مـــهـلاً
يـــا ســـيـــد الأعـلام
لأنـت رغـم الـــعـــوادي
فـي المـعـتـلى المـتـسـامي
مـجـد الـسـنـين الخـوالي
لا يـسـتـبـاح بـعـام
مـن ذا تـعـاتـب أو مـن
تـريـشـه بمـلام
جـنـوا عـلى الجـيش في مـا
غـذّوه مـن أوهـام
فـراح كـلّ فـريـق
يمـشي بـغـيـر لجـام
عـافـوا الـظُّـبى واسـتـعـاضـوا
عـنـهـنّ بـالأقـلام
إن الـسـيـاسـة سـيـف
الأديـب لا المـقـدام
يـا أكْـلـةً أكـلـوهـا
والمـوت بـعـض الـطـعـام

اربط عـــلى الـــقـــلب بـــالـــك
ـف فـــالخـــطـــوب طـــوامي
ســـور من الـــنـــاس يـــهـــوي
لمـــــــوطـئ الأقـــــــدام
وأنـــــفس غـــالـــيـــات
تـــســـاق كـــالأنـــعـــام
لا تـــــســـــمـع الأذن إلاّ
مـــزمـــجـــرات الحِـــمـــام
ولا تـــــرى الـــــعـــــين إلاّ
الـــنـــيـــران ذات الـــضـــرام
ركـــبت يـــا يـــوم بـــرغـــاس
أقـــــــبـح الآثـــــــام
فـــــراع هـــــولـك حـــــتى
الأطـــفـــال فـي الأرحـــام
ورحت تـــنـــسج لـــلـــعـــصـــر
مـــــئـــــزرا مـن ظـلام
يـــهـــيم أهـــلك بـــالـــفـــضـ
ـل أيّ أيّ هـــــيـــــام
بل بـــالـــهـــدى بل بـــحب
الإخـــاء بل بـــالـــنـــظـــام
فـــضـــائـل بـــاهـــرات
لـــكـــنـــهـنّ أســـامي

ويـح المـــــطـــــامـع كـم ذا
تجـــــنـي عـــــلى الأحـلام

غـــداً بمـــؤتـــمـــر الـــصـــلـ
ـح عـــــادل الأحـــــكـــــام
غـــداً يـــقـــولـــون هـــذا
بـــيـت الـــهـــدى والـــسلام
هـــنـــا يـــعـــرّف حـ
ـق الـضـعـيف لـلـمـتـعـامي
إلام هـــذي الـــرزايـــا
خـــفـــاقـــة الأعـلام
فـــحـــسب سـيف المـنـايـا
حـــصْـــد الـشـبـاب الـنـامي

مـــزخـــرفـــات مـــعـــان
فـي قـــــالـب نمّـــــام

لـلـيـاقـظـيـن بـبـيـروت
بـــعـــد طـــول المـــنـــام
تحـــــيـــــة مـن أديـب
كـــالـــزهـــر في الأكـــمـــام
لـــــــــكـن لـه فـي ذوي الـ
ـرأي جـمـلـة اسـتـفـهـام
قـــد لا تـــصـــيب المـــرامي
وقـــد تـــصـــيب المـــرامي
من مـــنـــكم الـــرأس حـــتى
يـــقـــودنـــا بـــزمـــام
من مـــنـــكم الـكفء لـلـحـكـ
ـم يـــا ذوي الأفـــهـــام

أو مـن لـه فـيـه شـيء
نـزر مـن الإلـمـام
والـكفء وهـو مـحـال
سـهـل أمـام الـوئـام

فـدى لـلـبـنـان نـفـسي
وصـبـوتي وغـرامي(*)
لـمـنـبـت الـشـيـح فـيـه
ومـسـرح الآرام(*)
لـلـهـادلات عـلـى الـغـصـ
ـن من بـنـات الحـمـام
لـلـبـاسـمـات عن الـزهـ
ـر في ربـى الآكـام
لـمـا كـسـا واديـيـه
من نـابـتـات الخـزام
هـنـاك سـيـنـا الـتـجـلي
ومـهـبط الإلـهـام(*)

يـا سـائـلي عن بـنـيـه
سـألت نـفس حـذام(*)
لـكـن إذا رشـت سـهـمي
فـجـارحـاتي سـهـامي(*)
خـيـر الـشـوافي عـلاج
شـفـى بـلا إيـلام(*)

نـــــادوا (المـــــطـــــالـب) لـــــكن
مـــــاذا جـــــنـــــوا فـي الخـــــتـــــام
أتـت نـــــــــواقـص والحـــــــــسـ
ـن كـــــلّـه فـي الـــــتـــــمـــــام(*)
مـــــــتـى أراكـم تـــــــكـــــــرّو
نَ كـــــــــــرّة لـلأمـــــــــــام(*)
وتـــــلـــــبـــــســـــون إلـى الحـقّ
خـــــــــــوذة الإقـــــــــــدام(*)
وتـــــــدرســـــــون عـــــــلـى المجـ
ـــــد كـــــره الاســـــتـــــرحـــــام(*)
عـــــيـش الـــــكـــــرام مـن الـــــنـــــا
س غـــــيـــــر عـــــيـش الـــــلـــــئـــــام(*)
إنـي أخـــــــاف عـــــلـــــيـــــكـم
مـلامـــــــــة الـــــــلـــــــوّام(*)

☆☆☆☆☆

يـــــا عـــــام أهـلا وســـــهـلا
نـــــزلـت عـــــنـــــد كـــــرام
هـم من خـــــيـــــار الـــــبـــــرايـــــا
فـــــكـن لـــــهـم خـــــيـــــر عـــــام
(بشارة)

✱✱✱✱

(*) – البرق، ١ كانون الثاني، ١٩١٣، مج: ٥، عدد: ٢٠٧، ص: ١٢٤.

تحايا وتهاني

ابيض

تحية المهاجرين

بـــقـــيـــة من مـــهـــجـــتي بـــاقـــيه
عـصـرتـهـا - الـلـيـلـة - في كـاسـيَه
ودمـــعـــة جـــارت عـــلى مـــقـــلـــتي
فـأصـبـحت - لا أصـبـحت - جـاريه
ومـــقـــلـــة نمّـــامـــة بـــالـــهـــوى
كـــأنـــهـــا الـــرايـــة في الـــرابـــيه
وأضـــلـع كـــالـــقـــوس مـــحـــنـــيـــة
مـــطـــويـــة عـــلى حـــشى بـــالـــيه
كـــأنمـــا في جـــوفـــهـــا هـــيـــكل
نـفـسي عـلى مـعـبـده جـاثـيه
وكـــبـــدي «مـــحـــفـــظـــة» لـــلـــهـــوى
كـــأنـــهـــا الـــصـــنـــدوق في الـــزاويه
صـــدري كـــتـــاب فـــافـــتـــحـــوه تـــروا
فـيه تـقـاريـر الـهـوى الـصـافـيه
كـــتـــبـــهـــا قـــيس ومن بـــعـــده
كم لـــزهـــيـــر تحـــتـــهـــا حـــاشـــيه
حـــبي لـــكم حـــاولت كـــتـــمـــانه
فـحـاول الـكـتـمـان كـتـمـانـيه
ونـــار قـــلـــبي كـــيف لا تـــنـــطـــفي
ومـــاء عـــيـــني فـــوقـــهـــا ســـاقـــيه؟؟

****

- البرق، تشرين الثاني، ١٩١٠، مج: ٣، عدد: ١١٢، ص: ٧٣.

هدية شاعر

قرأت جملة من الشعر أحببت أن أقدمها هدية إلى فلاحينا في لبنان وكل سوريا، هؤلاء الفلاحون الذين نسيهم كتابنا أو تناسوهم ولو أنصفوا لباركوهم في كل مرة تمد أيديهم إلى الزاد الذي يشبعون به بطونهم، إنه مما زرع لهم الفلاح وجنى.

حسن:

انظر إلى الفلاح يا محمد
عليه ثوبه القصير الأسود
قدمه حافية وصدره
عريان حتى بان منه شعره

محمد:

هذا الذي تضحك منه يا حسن
من يده تخرج خيرات الوطن
وقيمة الرجال بالأعمال
لا بثيابهم ولا بالمال

نعم يا سادتي. يا أولياء الأمر ويا كبار هذا الجبل، إن قيمة الرجال بالأعمال .. لا بالثياب والمال... أخاف والله أن نزنكم فلا يشيل بكم ميزان.

****

– البرق، تشرين أول ١٩١٢، مج: ٥، عدد: ١٩٧، ص: ٤٤.

وقد تنفع الذكرى

نـحن شـئـنـا والـبـطْـرَيَـرْكُ بـحـمـد الـله
قـد شـاء مـثـلـمـا الـلـه شـاءَ
فـاصـطـفـيـنـاك دون كل حـبـيب
وانـتـدبـنـاك مـفـعـمـين رجـاء
واعـتـقـدنـا فـيك الـكـفـاء فـحـقّقْ
مـا اعـتـقـدنـاه أن فـيك الـكـفـاء
وعـقـدنـا عـلـيك آمـال قـوم
نـتـمـنى أن لا تـصـيـر هـبـاء
مـركـز أنت فـيه كـالـراكب الـبـحـ
ـر وقـد عـارك الـسـفـين المـاء
بـين قـوم غـنـيـهم صـاحب الـقـو
لِ وإن كـان لـيس يـدري الـهـجـاء
والأديب الـذي إذا قـال قـولاً
عـاهـد الـنـفس لا يـقـول ريـاء
جـفَّـلـته عـواطف الحـقـد كـيـدًا
وتـنـاسى ذكـر الحـمى فـتـنـاءى
أنت في مـلّـة يـعـز عـلى الـنـا
شئ فـيـهـا أن لا تـرى زهـراء

- نظمت لسيادة المطران شبلي يوم سيم أسقفاً على بيروت.

مـلّـة مـثـلـمـا تـرى مـلل الـشـر
قِ وحـال تُـبـكي الـعـيـون دمـاء
مـلـة مـسـهـا الجـمـود إلى أن
بـات داء الجـمـود داءً عـيـاء
مـرض سـفّه الأسـاة قـديم
وخـمـول قـد حـيّـر الـعـقلاء
فـإذا تـمت الأمـاني فـحـمـدًا
وإذا لـم تـتـم؟ كـنـت بـراء..!

أيـهـا الـسـيـد المـوفق رفـقـاً
بـالـذي فـيك خـالف الـشـعـراء
نـظـمـوا الـشـعـر يـؤثـرون الـثـنـاء
ونـظـمـت الحـقـيـقـة الـغـراء
زمـن عـاشت المـداجـاة فـيـه
كـان - لا كـان - نـقـطـة سـوداء
أي عـصـر راجت به سـلـع المـد
حِ ومـا كـان أهـلـه جـهـلاء
أي حـرّ وأنـت أعـلـم يـرضى
أن يـكـون ابـتـسـامك اسـتـهـزاء
فـمـن الـضـحك مـا يـكـون عـقـاباً
ومن الـضـحك مـا يـكـون جـزاء

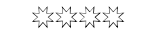

خـلـف الـدبس وهـو ربّ المـعـالي
وهـو من قـد بـنى فـأعـلى الـبـنـاء

سـر بـنـا لـلـعـلى فـأنـفـسـنـا ظـمـ
ـأى إلـيـهـا واحـلل بـنـا الجـوزاء
وأفـدنـا عن عـلـمك الجم عـلـمـاً
ومـن الحـزم هـمـة ومـضـاء
وبـنـا فـانـفخ الحـيـاة وجـدد
مـن قـوانـا ووحِّـد الآراء
وانـتـدبـنـا تجـد بـنـا كلّ نـدب
الـذي تـبـتـغي يـبـاري الـهـواء
فـلـنـا من شـبـابك الـغض نـور
لـلأمـاني يمـزّق الـظـلـمـاء
فـإذا الـدبس جـاء قـبـلك شـيـئـاً
هـات يـا شـبل بـعـده أشـيـاء

****

- البرق، نيسان ١٩١٠، مج: ٣، عدد: ٨٥، ص: ٢٦٩.

شفي الحبيب

زحزح لثامك عن جبينكْ
وابعث بسحرك من عيونكْ
واسكب شعاعك في قلو
بٍ لم تَدِنْ إلا بدينك
سِرْ فالكواكب عن شما
لك يا هلال وعن يمينك
وتودّ أجملهنّ لو
هي نقطة برزت بِنُونك
أو وردة بيضاء نا
بتةٌ على زاهي جبينك
حدّثْ أمير الليل هـ
ـذا الناس عن ماضي شؤونك
فالناس في ظمأ إلى
تخليص شكِّك من يقينك
حدّثْ عن الفلك المدا
ر وكل بسَّام خديـنك
وعن السوافر والثوا
بت والسوائر في سفينك

- حبيب باشا السعد، سبقت ترجمته.

والـــــهِمْ فـــتـــاك الـــوحي يـــسـ
ـــتـــجـــلي الـــبـــدائع من فـــتـــونك
طـــمـــعـــاً بـــوحـــيك يـــســـتـــمـــرّ
صـــعـــوده في طُـــور ســـيـــنك
يـــا دائـــنـــي هـــذي الـــقلا
ئـــدِ مـــا تحـــصّل من مـــديـــنك
أنـــفـــقت لـــؤلـــؤ أدمـــعي
و حـــرصت أنت عـــلـــى شـــؤونك
ونـــثـــرت أزهـــاري - وكـــنْـ
ـنَ الـــزاهـــيـــات - عـــلـــى غـــصـــونك

☆☆☆☆☆

مـــاذا دهـــاك فـــأنت في
وجـه يـــتـــرجم عن شـــجـــونك
أجـــزعت إذ مـــرض الحـــبـــيـ
ـب عـــلـــى نـــظـــيـــرك بل قـــريـــنك
فـــبـــعـــثت بـــالأرواح تـــر
وي لـــلـــعـــوالم عن أنـــيـــنك
شـــفي الحـــبـــيب لك الـــهـــنـــا
ء به فـــجـــدّد من ســـنـــيـــنك
وابـــثث هـــواك إلى الـــنـــجـــو
مِ فـــهنّ من خـــفـــرات عـــيـــنك
واســـكب عـــلـــيـــهن الـــشـــعـــا
ع يَـــعُـــمْن في صـــافي مـــعـــيـــنك

☆☆☆☆☆

أحـــبـــيب لـــبـــنـــان وخـــا
دمه كـــمـــا هـــو في «يمـــيـــنك»
بـــشـــرى شـــفـــائك في الجـــوا
نح جـــاوزتْ حـــســـنى ظـــنـــونك
إن يـــأســـر الـــعـــنف الـــنـــفـــو
س فـــأنت تـــأســـرهـــا بـــلـــيـــنك
أمـــا الـــصـــدور فـــمـــا انـــطـــوت
إلا عـــلـــى قـــلـــب رهـــيـــنك
(بشارة)

****

– البرق، آب ١٩١٣، مج: ٥، عدد: ٢٤١، ص: ٣٨٩ .

تهنئة البطريرك المعوشي
في رأس السنة

آثـــروا أنـــفـــســـهم لا مـــنَّـــةً
إنـــهـــا عبء الـــعـــلى والـــســـؤددِ
عـــجـــبًـــا أنى لـــهم أن يـــجـــدوا
ســـيـــد المـــوقف لـــو لم تـــوجـــد
أنت - والـــدنـــيـــا ضـــرام ودم -
مـــبـــتـــغى الـــيـــوم ومـــأمـــول الـــغـــد

١٩٥٨

****

- الصياد، ١١ كانون الثاني، ١٩٥٨، عدد: ٧٤٤، ص: ٢٦.

بالرفاء والبنين

رجـل لـــــــــيس لـه امـــــــــرأة
هـــو في شـــرع الـــورى لم يـــكـــملِ
وكـــمـــال المـــرء بـــالمـــرأة مـــا
تمَّ إلا بـــــاقـــــتـــــدار الـــــرجل
شـيـمـــة نـــعـــرفـــهـــا في «يـــوسف»
مـــثـــلـــهـــا في «افـــلـــين» يـــنـــجـــلي
فـــهي كـــالـــزهـــرة في أكـــمـــامـــهـــا
تـــلـــحظ الـــفـــجـــر بـــطـــرف خَـــجِلِ
وهـــو في مـــا عـــرف الـــنـــاس به
عـــزة الـــلـــيث ولـــطف الحَـــمَل

أيـــهـــا الجـــاني عـــلى أصـــحـــابه
عـــدّ عن ذكـــرى الـــلـــيـــالي الأُوَل
واجـــتل الـــزهـــرة وانـــشق عـــرفـــهـــا
فـــــهي من آدابـــــهـــــا في حـــــلل
نـــحـــمـــد الـــله فـــقـــد نـــلت المـــنى
وتـــــصـــــيـــــدت طـــــيـــــور الأمل

****

- تهنئة يوسف بك أبوصعب المتشرع.
- البرق، تموز ١٩١٤، مج: ٦، عدد: ٢٨٣، ص: ٧٣٢.

تهـنئــة

اليـاس خليل شديد

قـــــالـــــوا تـــــزوج... قـــــلت من؟
قـــالـــوا الـــيـــاس فـــقـــلت من؟
أأبـــــو شـــــديـــــد قـــــلت؟ قـــــا
لـــــوا أنت قـــــلت فـــــقـــــلت جن
مـــــــاذا دهـــــــاه وكـــــــان إن
ذكـــــــر الـــــــزواج لـــــــديـه عن
ويح الـــــقـــــهـــــاوي لـــــيس تـــــنـ
ـــــفق بـــــعـــــده فـــــنـــــجـــــان بن
ويح الـــــنـــــوادي كـــــيف تـــــمـ
ـــــسي بـــــعـــــد بـــــلـــــبـــــلـــــهـــــا الأغن
ويح الـــــكـــــؤوس فـــــمن يـــــشـــــعـ
ـــــشـــــعـــــهـــــا إذا مـــــا الـــــلـــــيل جن
فـــــمن الـــــتي فـــــتـــــنت نـــــهـــــا
ه بـــحـــلـــيـــتـــيـــهـــا فـــافـــتـــتن؟
ولـــــقـــــد نـــــظـــــرت إلى الـــــعـــــرو
س وذلـــك الأدب الحـــــــــــــــــسـن
فـــعـــتـــبت نـــفـــسي واعـــتـــذر

ت لمن أســـــــــأت لـه عـــــــــلـن

وعـــــــــــــــرفــت أن زواجــه الـ

ـــمـــبـــروك من حـــسن الـــفـــطن

☆☆☆☆☆

يـــا صـــاحـــبي عش بـــالـــهـــنـــا

ءِ وعــش تحــفّ بــك المـــــــــــــــنن

فـــحَـــبَـــاك ربك بـــالـــبـــنـــيـ

ـن لـــيـــســـتـــفـــيـــد بك الـــوطن

ويـــــظل ذكـــــرك قـــــائـــــمـــــاً

فـي مـــــا يـــــجـيء من الـــــزمـن

✱✱✱✱

- البرق، حزيران ١٩١٤، مج: ٦، عدد: ٢٨١، ص: ٧١٦.

شبلي ملاط في عرسه

حسناء قد نازعت شقيقتها الـ
ـحسناء قلباً متيّماً بهما
قلب فتى شاعر عواطفه
ما نالها شاعر ولا وهما
والناس بالعاطفات ليس بما
يطلون من باطل وليس بما
غارت على قلبه وما رحمت
قلب التي قد أحبها قدما
فعاتبت هذه شقيقتها
عتبا كهزّ المدامة الندما
قالت لها يا بنة البهاء ومن
جبينها بالفضيلة اتسما
ومن إذا افتر حلو مبسمها
نطالع النجم فيه مبتسما
ومن إذا استقبلت بوجنتها
الورد شككنا في الورد أيهما
بحرمة البيت حيثما درجت
خطاك والبيت للعفاف حِمى
ردي فتى صبوتي إليّ فما
أفلح يا أختي الذي ظلما

- نظمت عام ١٩١٦ أثناء الحرب العالمية الأولى.

أحـــبـــبـــته مـــنـــذ شبّ ، مـــنـــذ نمـــا
نـبت الـــهـوى في حـشـاه مـذ نـظـمـا
عـــرفـــته بـــاســـمـــاً ومـــكـــتـــئـبـا
رافـــقـــته راضـــيـــاً ومـــحـــتـــدمـــا
فـــكـــنت أوحي في حـــالـــتـــيه له
مـا يـجـعل الـطـرس يـحـمـد الـقـلـمـا
شـــواردا تـــســـكـــر الـــعـــقـــول بـــهـــا
فـــتـــحـــسب الـــلـــفظ وجـــنـــةً وفـــمـــا
لـــنـــا عـــلـى كل لـــيـــلـــة عـــرس
نجـلـو به المـرقـصـات والحـكـمـا
فـمـا لأخت الـنـجـوم تـغـصـبـني
فـــؤاده والـــوداد والـــذممـــا

عـــروســـة الـــشـــعـــر لا أصـــبت بمن
لـو غـادر الـشـعـر يـتّم الـكـلـمـا
أحـــبـــهـــا - إنمـــا صـــبـــابـــته الـــتي
تـــــعـــــدت لا تـــــزال كـــــمـــــا
أحـــبـــهـــا - ســـنّـــة الـــورى فـــإذا
مـــا اتحـــدا في الـــهـــوى فلاجـــرمـــا
قـلـبـاهـمـا مـذ تـقـابلا خـفـقـا
روحـاهـمـا مـذ تـعـارفـا انـدغـمـا
والـــكـــون لـــولاك يـــا انـــدغـــامـــهـــمـــا
مـــا افـــتـــر عن حـســـنه ولا انـــتـــظـــمـــا
مـــشـــيـــئـــة الـــلـــه في خـــلـــيـــقـــته
مـذ قـال حـبّـا في الخـلـد بـعـضـكـمـا

واملأا الـــكـــون بـــهـــجـــة وســـنـــا
وزيـــنـــا صـــدره بـــولـــدكـــمـــا

عـــروســـة الـــشـــعـــر قـــدك مـــعـــتـــبـــة
لمـــا تـــلـــومـــيـــن أن أحب لمـــا؟
أنـت الـــــذي زيّـن الجـــــمـــــال لـه
وزين الـــعـــاطـــفـــات والـــشـــيـــمـــا
فـــهل فـــتـــاك الـــذي عـــتـــبت ســـوى
طـــيـــر رأى جـــدولاً وفـــيه ظـــمـــا
أو أبـــصـــر الـــشـــمس و هي طـــالـــعـــة
في مـــوكـــبـــيـــهـــا فـــجـــوه الـــنـــغـــمـــا
أو راقه الـــغـــصن خـــالـــيـــا فـــهـــوى
أو شـــاقه الـــنـــجم بـــاســـمـــاً فـــسَـــمَـــا
مـــحـــاسن لم يـــكن لـــيـــعـــلـــمـــهـــا
فـــأنت عـــلّـــمـــتـــه الـــذي عـــلـــمـــا
فـــهـــام فـــيـــهـــا حـــتى لـــيـــعـــبـــدهـــا
عـــبـــادة الـــنـــاس قـــبـــلـــنـــا الـــصـــنـــمـــا
لـــكـــنـــه والـــوفـــاء شـــيـــمـــتـــه
يـــبـــقى عـــلى عـــهـــده وإن قـــدمـــا

شـــبـــلـــي إذا مـــا أتـــتـــك عـــاطـــفـــتـــي
و «كـــنـــتـــمـــا» راضـــيـــين فـــاقـــتـــسِـــمـــا
فـــاهـــنـــأ بمـــاري وارفق بـــضـــرتـــهـــا
واعـــدل إذا مـــا حـــكـــمت بـــيـــنـــهـــمـــا

✱✱✱✱

– البرق، آذار ١٩٢٦، عدد: ٢٥٦٢، ص: ١

أيها الهاجر الليالي

إلى الصديق جورج؛

أيـــهـــا الـــهـــاجـــر الـــلـــيـــالي - الـــتي كـــا
نت غـــرامـــاً وأدمـــعـــاً وكـــؤوســـا
وصـــبـــابـــات أنـــفس تـــتـــلاشى
وجـــراحـــات أكـــبـــد لا تـــوسى
ونـــواحـــاً وصـــبـــوة وعـــتـــابـــاً
وابـــتـــســـامـــاً ووجـــمـــة وعـــبـــوســـا
واكـــتـــواء بـــنـــارهن ولا فـــر
ق أســـلـــمى أو زيـــنـــبـــاً أو لمـــيـــســـا
وإذا واصل الحـــبـــيـــب، ســـعـــوداً
وإذا قـــاطع الحـــبـــيـــب نـــحـــوســـا
وذهـــابـــاً مع الـــهـــوى وإيـــابـــاً
وقـــيـــامـــاً مع الـــنـــوى وجـــلـــوســـا

أيـــهـــا الـــهـــاجـــر الـــلـــيـــاليَ ظـــلـــمـــاً
ويك مـــاذا يـــتـــمت من تـــعـــريـــســـا
و(المـــريمـــان) هل حـــنـــنـــت إلـــيه
و(حـــبـــيـــســـا) هلاّ ذكـــرت حـــبـــيـــســـا
أَربُع لـــلـــهـــوى تـــطـــوف بـــهـــا الـــذكـــرى
فـــتـــحـــيي من الـــغـــرام نـــســـيـــســـا
يـــوم كـــنـــا نـــهـــوى مـــجـــون الـــنـــواسيْ
ي ونـــقـــلـــى هـــذي أرســـطـــالـــيـــســـا

- تهنئة صديقه الشاعر جرجي سعد.

نـنـهب الـلـهـو لا نـقـيس به الخـطـر
وكـــان الـــضلال أن لا نـــقـــيـــســا
في حـــمى لمـــة من الـــشـــعـــر المـــسـ
ـــود لا عـــاريـــاً ولا تـــلـــبـــيـــسـا
وحـــمى صـــبـــوة إذا انـــتـــفض الـــطـا
ووس أزرى انـــتـــفـاضـــهـا الـطـاووسـا
نـــزرع الـــشـــعـــر والـــهـــوى وكـيف سـر
نـا والـصـبـابـات والـصـبـا والـنـفـوسـا
يـا جـــنـــون الـــشـــبـــاب إذ أنت تـــغـــرّ
سـوف يـغـدو هـذا الـنـفـيـر يـبـيـسـا

أيـــهـــا المـــبـــدع الـــذي بـــعث الـــشـــعـ
ـــرَ فـقـلـنـا أحـيـى الـعـازار عـيـسى
بـــعث الـــشـــعـــر روضـــة وغـــديـــراً
وســـمـــاء ضـــحـــاكـــة وشـــمـــوســا
هب لـنـا مـنك قـدرة الـسـحـر يـا جـرجي
فـنـحـيي بـالـسـحـر هـذي الـطـروسـا
ونـــرد الـــشـــعـــر الـــنـــفـيس بمـــا تـــو
حي فـقـد مـلّت الـطـروس الخـسـيـسـا

يـــا بـــنـــة الـــصِّـــيـــد من طـراد وقـد طـبـ
ـت وطـــابـــوا مـــجـــانـــيـــاً وغـــروســا
والملاك الـــــذي عـــــلى شـــــفـــــتـــــيه
أنـــزل الـــطـــهـــر وحـــيه الـــقـــدوســا
مـا غـبـطـنـا نـظـيـر جـرجي عـريـسـاً
وغـــبـــطـــنـــا نـــظـــيـــر مـــاري عـــروســا

****

- البرق، آذار ١٩٢٦، عدد: ٢٥٥١، ص: ١

أحسن الزهر ما انعقد

أيـــهـــذا الـــبـــشـــيـــر قل
والـــفظ الـــورد والـــبَـــرَدْ
أي بـــشـــرى حـــمـــلـــتـــهـــا..
هي كـــالـــروح لـــلـــجـــســـد
مـــا احـــتـــفى الـــروض بـــالـــنـــدى
واشـــتـــفى مـــبـــســـم بـــخـــد
كـــاحـــتـــفـــال المـــنـــى (بـــهـــا)
إنـــهـــا نـــشـــوة الأبـــد
الـــســـلـــيـــم الـــذي ابـــتـــنـــى الـ
ـــمـــجـــد في جـــبـــهـــة الأســـد
وتحـــــلّـــى بـــه الـــنـــدى
وتـــكـــنّـــى بـــه الـــبـــلـــد
حـــازهـــا مـــريـــمـــيّـــة الـــطْ
ـــطـــهـــر حـــوريـــة الـــغَـــيَـــد
روضـــــة مـــن مـــحـــاســـن
أنت عـــصـــفـــورهـــا الـــغَـــرِد
يـــعـــشـــق الـــزهـــر إنمـــا
أحـــسـن الـــزهـــر مـــا انـــعـــقـــد

سنة ١٩٣٠

****

- وجه بها إلى صديقه سليم بك تقلا بمناسبة قرانه وكان محافظاً لمدينة بيروت.
- البرق، ١٩٣٠، عدد: ٣٤٠٢، ص: ٧.

تهنئة عبدالله الجابر الصباح

لـــيـــلى ومـــا ســـمَّى الـــعـــربْ
أحـــلى ولا غـــنَّى الـــقـــصبْ
الـــزهـــرة الـــفـــواحه
والـــنـــجـــمـــة الـــلـــمّـــاحه
عـــلى ضـــفـــاف الخـــلـــد
وفي ســـمـــاء الـــســـعـــد
حـــلـــيُّـــهـــا الـــشـــبـــاب
والأدب الـــلـــبـــاب
كـــأنـــهـــا عـــصـــفـــوره
إن غـــردت أو صـــوره
صـــلَّت لـــهـــا الأرواح
والـــلـــيل والـــصـــبـــاح

«لـــيـــلى» ومـــا ســـمَّى الـــعـــرب
أحـــلى ولا غـــنَّى الـــقـــصب
قـــيـــثـــارة الإلـــهـــام
ونـــشـــوة الأحـــلام
نـــفـــحـــة عـــبـــدالـــقـــادرِ
لـــلأريـــحـــيِّ الجـــابـــرِ
الـــرافع المـــنـــائـــرا
والـــنـــاشـــر المـــآثـــرا

- نظم الشاعر هذه القصيدة بمناسبة عقد قران الشيخ عبدالله الجابر الصباح والآنسة ليلى المرعبي.

قـــــنّـــــاص كل مـــــكـــــرمـه
مـــــا حـــــاتمٌ؟ مـــــا عـــــكـــــرمه؟
إيـــهٍ أخـــي المـــــــــفـــــــــدى
زد رفـــــعـــــــةً ومـــــجـــــدا
أمـــــا تـــــرى لـــــبـــــنـــــانـــــا
كـــــــــيـف ازدهـى وازدانـــــــــا
مـــــهـــــلاً لـــــلـــــعـــــرس
مـــــفـــــدِّيـــــاً بـــــالـــــنـــــفس
فـــــصـــــفـــــقتْ جـــــداولـه
وغـــــــــــرّدت بـلابـــــــــــلـه
يـــــســـــــــفح كل طـــــــيب
«لـــــصـــــهـــــره» الحـــــبـــــيب

إلـــيـــكـــهـــا حـــيـــيّه
تـــــفـــــتـــــرُّ عن تحـــــيّه
نمَّـــــقـــــهـــــا ونمـــــنـــــمـــــا
من اســـــتـــــبـــــاح الأنجـــــمـــــا
وصـــاغ مـــنـــهـــا قـــلـــمـــا
يـــــــخـط بـــــــاسـم الـــــــلـــــــه
«لـــــيـــــلـى لـــــعـــــبـــــدالـــــلـــــه»

تشرين الثاني ١٩٥٥

– الصياد، تشرين الثاني، ١٩٥٥، عدد: ٥٨٤، ص: ٣٥.

كأن ما كان لم يكن

قالها في حفلة قران الأستاذ فؤاد قاسم رئيس قسم الإذاعة في المحطة اللبنانية.

قد كنت حرَّ الهوى كم من مرشحةٍ
غنى فؤادك بين الماء والغصنِ
فماله اليوم لا سجع برابية
ولا اصطفاق كأنْ ما كان لم يكن
أسلمته في الهوى رقاً «لعادلة»
والرق في الحب غير الرق في الوطن

****

- من أوارق الشاعر.

في حفلة تنصير
فريد ميشال أبوشهلا

وقد شرب صاحب هذه الجريدة على تهنئة صديقه فقال مما حضره في ذلك المجال:

كـنت في الأمس تـنـظم الـشـعـر أشـطـا
راً فـتـرمي بـهـا هـنـا وهـنـاكـا
فـإذا أنت تـنـظم الـشـعـر أنجـا
لاً وتحـيـي في كل نجل مـلاكـا
هم شـعـر الحـيـاة فـانـظم فـريـداً
وشـقـيـقـيه لـلـعـلى أسلاكـا
وإذا مـا أردت فـانـظم فـؤادي
إنه كـان مـنـذ كـان فـداكـا

****

- البرق، كانون الثاني ١٩٢٦، عدد: ٢٧٠٠، ص: ٣.

تهنئة
الدكتور رئيف أبي اللمع بفاروق

يا بن من يبسم الشفاء لمرضاه كما يبسم اللقاء للمشوقِ
والضحى للرياض والماء للظمآن والشطّ لابن ليلٍ غريق
أيها البرعم الجميل من الورد على صدر ألمعيّ عريق
يملأ البيت بالشذا كلما افترّ ويغزو الأعناق بالتطويق
دمت في الذروة العلى من أبي اللمع وفي الصالحات من فاروق

****

- من أوارق الشاعر.

طلعة باشا حرب

يا طلعة العُرْب قد حققت بغيتهم
فكنت أعطف من أم على الضادِ
للمال آناً وللآداب آونةً
صحائف من مروءات وأمجاد
في كل يوم على كفيك مأثرة
كأنها بسمة في ثغر ميعاد

****

- من أوارق الشاعر.

شـرف الجـرح

أهدى إليه صديقه الصحفي الأستاذ نجيب الريس صاحب جريدة «القبس» كتابه «نضال» فقدم له بهذه الأبيات.

يـا جـراحـاً تـقـطّـر الـطـيب مـنـهـا
أقـسم المجـد أن تـكـوني نـشـيـده
شـرف الجـرح أن يـسـيل كـريمـاً
من كـريمٍ عـلى الـبلاد الـشـهـيـده
حـسب هـذا «الـنـضـال» في طـلب الحق
مـضـاء الـظـبى ونـور الـعـقـيـده

****

– من أوارق الشاعر.

ميشال معلوف

ألقيت خلال حفلة على البردوني احتفاء بعودة الشاعر ميشال معلوف من ديار الهجرة.

يـــا وتـــر الـــنـــهـــر وهـــمس الـــوادي
وبـــســـمـــة الـــشـــعـــر بـــثـــغـــر الـــضـــاد
لـــلـــفـــضل أحـــيـــانـــا ولـلإنـــشـــاد
هـــنـــا أيـــادٍ وهـــنـــا أيـــاد
تـــضـــحـك كـــالـــنـــور عـــلـى الأعـــواد
نمـــاكم لـــلـــمـــجـــد والجـــهـــاد
أب جـــــــــواد عـــن أب جـــــــــواد
أقـــبـــلـت بـــالـــيـــمن عـــلـى الـــبلاد
فـــلـــبـــست بـــشـــاشـــة الأعـــيـــاد
مـــيـــشـــال يـــا خـــمـــرة هـــذا الـــنـــادي

****

– من أوارق الشاعر.

يا ناظم العقد

وجّه بها إلى المربي جبران مكاري بمناسبة يوبيل مدرسة «المساواة».

يـــا نـــاظم الـــعـــقـــد فـــيه كل جـــوهـــرة
من نشء لـــبـــنـــان زانت جـــيـــد لـــبـــنـــانِ
مـــنـــائـــر شـــقت الـــظـــلـــمـــاء وانـــبـــلـــجت
في كل نـــاحـــيـــة عن فـــجـــر عـــرفـــان
بـــعـــثـــتـــهـــا كـــالحـــواريـــين حـــامـــلـــة
ألـــواح عـــلـــم عـــلـــى ألـــواح إحـــســـان
خـــلـــعت مـــنـــهم عـــلـــى لـــبـــنـــان نـــضـــرته
وزنت هـــام الـــربى مـــنـــهم بـــتـــيـــجـــان

****

- من أوارق الشاعر.

الباب الأول: من بقايا الذاكرة

تصدير ٣

كيف عرفت إمام العبد ٧

كيف عرفت الشيخ اسكندر العازار ١٤

كيف عرفت معروف الرصافي ٢٠

كيف عرفت الشيخ يوسف أبي صعب ٢٨

كيف عرفت طانيوس عبده ٣٥

كيف عرفت جميل الزهاوي ٤٥

لصقة رماد ٥٠

عشرون يوما في ريفون باسم حنا فياض [١] ٥٤

عشرون يوما في ريفون باسم حنا فياض [٢] ٥٨

عشرون يوما في ريفون باسم حنا فياض [٣] ٦٢

بين أيلول ١٩١٦ وكانون ١٩١٧ [١] ٦٨

بين أيلول ١٩١٦ وكانون ١٩١٧ [٢] ٧٢

كيف تعرفت إلى شوقي ٧٧

لماذا تسميت بالأخطل الصغير ٨٠

الشهيد عمر بمناسبة ديوانه ٨٥

هوامش الباب الأول ٨٨

الباب الثاني: مقالات سياسية

أولاً: العهد العثماني

هذا الشعب ١٠٣

لبنان ١٠٥

هذه الفوضى ١٠٨

صيحة في واد ١١٠

شيء عن لبنان ١١٢

حول الموضوع[١] ١١٧

حول الموضوع[٢] ١٢١

وطن ضائع ١٢٤

هذا الجبل ١٢٧

دمعة على طلل ١٣٠

رجال الغد ١٣٣

فتاة الدستور لسنة ١٩١٠ ..... ١٣٥

من عبدالحميد إلى عمانوئيل ١٣٩

يا وطناً لم يغب عن الفكر ١٤٣

للمقابلة [١] ١٤٧

للمقابلة [٢] ١٤٩

بشرى للبنان ١٥١

السوري المحارب ١٥٣
الانتقام العادل ١٥٦
أثر الأقدام ١٥٨
حول مجيء عزمي ١٦٠
جمعية الإنسان الوحش. ١٦٣

ثانياً: عهد الانتداب

لماذ نريد حكومة لا دينية ١٦٩
بين عام وعام ١٧١
المهاجرون والمقيمون ١٧٤
القضية الوطنية ١٧٨
أرميه بورقة فيرميني بحجر ١٨١
العرس اللبناني ١٨٥
لبنان الكبير ١٨٦
تاريخ لبنان يخص اللبنانيين جميعا ١٩١
رؤوس أقلام ١٩٣
أعيدوا إلى الأقضية محاكمها تُعيدوا إليها دماءها وحياتها ١٩٥
الخيال اللبناني الأسمى ١٩٧
لمصلحة من أنشئ لبنان الكبير ٢٠٠

شقاء لبنان الصغير بلبنـان الكبير [١] ٢٠٤
شقاء لبنان الصغير بلبنـان الكبير[٢] ٢٠٧
لا تجوروا على الأطراف وتحافظوا على الرأس ٢١٢
الديموقراطية وشاهدنا عليها ٢١٥
ومـن لـم يـذد عن حوضه بسلاحه... يهدم ٢١٨
١٤ تمـوز ٢٢١
أطائفيـة؟ يا للعار - ويا للخسار ٢٢٢
السياسة... لعنة الله على السياسة ٢٢٤
دستور البلاد عنـوانهـا ٢٢٦
الدستور قدس أقداس الأمة ٢٢٩
دستور! ٢٣١
دستور ولكنه دستور من عجين ٢٣٣
الدستـور بين الباكين عليه والمتباكين ٢٣٦
الحركة الجامدة أو إذا شئت الجمود المتحرك ٢٣٨
هل عندنا زعماء؟ ٢٤٠
القوي معبود الضعفاء أين كانوا ٢٤٣
بطل لبنان يعود إلى عرينه ٢٤٦
الـزعيـم ٢٤٨

غانـدي سر الفداء العظيم ٢٥٠

النهضة التركية وتأثيرها على الشرق ٢٥٢

نهضة الهند وأثرها في الشرق ٢٥٧

ثالثاً: موقفه من سوريا:

في سبيل دمشق ٢٦١

لنعمل لسوريا ولبنان في سوريا ولبنان ٢٦٥

أَحَرْبٌ بين إخـوان! ٢٦٨

الشقيقان المتعانقان ٢٧٠

رابعاً: موقفـــه مـــن القضيـة الفلسـطينية

قتـل شعب آمن ٢٧٧

في سبيل الإخاء ٢٨١

صدى مقالين - الإخلاص يملي فنكتب ٢٨٣

الأقربون أولى بالمعروف - في سبيل فلسطين ٢٨٧

واجب اللبنانيين المقدس إزاء نكبة إخوانهم في فلسطين ٢٨٩

لبنان ومأساة فلسطين ٢٩١

أهذا هو العدل الذي انتظرناه؟ ٢٩٤

هوامش الباب الثاني ٢٩٧

الباب الثالث: مقـــالات اجتماعيـة

الفقـر والغنـى على باب الشتاء ٣١٧

خطرات أفكار بين القصور والأكواخ ٣١٩

ليس الدائنوان كلهم بل الأسافل كلهم ٣٢١

بنات لبنان في الولايات المتحدة ٣٢٣

عززوا مدارس الصنائع والفنون ٣٢٥

ذكرى الفصح ٣٢٨

كل عام وأنتم بخير ٣٣٠

داء السياسة لا يشفيه إلا العمل ٣٣٢

حاربوا الفقر بالاقتصاد ٣٣٥

إلى بعض الأغنياء ٣٣٨

لبنان بين مخالب الرزايا ٣٤٠

١٩٣٠ - بين الأمس واليوم والغد ٣٤٣

يا موت خذ ما أبقت الأيام مني ٣٤٥

في الحياة الاجتماعية

الما بين في لبنان ٣٥١

الهجرة اللبنانية

ماذا يُعْوِز العيد... أين المهاجـرون؟ ٣٥٧

دمعة على الطلل البالي ٣٥٩

المهاجرة في البيان الوزاري ٣٦١

الجنسية الضائعة ٣٦٥

الطائفية

من لهذه الراية ٣٦٧

لو ملكت الأمر يومًا وليلة ٣٧٠

إلى أخي في عيده عاطفة تتجدد ٣٧٢

بناياتنا الوطنية لا تقوم على المجاملة الدينية ٣٧٦

في سبيل الوئام من أنتم ومن نحن ٣٧٨

مولد الرسول العربي الكريم ٣٨١

المولد السعيد ٣٨٤

لماذا تكتمون العلة إذا أردتم الشفاء ٣٨٦

الفصل بين الحكومة والمعبد ٣٨٩

صِلْ. أحسن. قل الحقَّ ٣٩٢

بماذا يبرر الطائفيون مواقفهم ٣٩٤

في سبيل الوفاق ٣٩٨

الطائفية واللاطائفية ٤٠١

هوامش الباب الثالث ٤٠٤

الباب الرابع: مقـــــالات أدبيـــــة

على الملعب ٤١٣

الصحافة والحياكة ٤١٦

السياسة في الشعر ٤١٨

الأدب بعد الحرب ٤٢١

حفلة المطـران ٤٢٣

الأدبان الأبيض والأحمر ٤٢٦

شاعر بائس ٤٢٨

الأدب العبد ٤٣١

الأدب بين عهدين - بين الحكم المطلق والحكم الوطني ٤٣٣

تولستــوي ٤٣٥

إلى اللواء الإيتالي (الإيطالي) ٤٤٠

كيبلنج يحيي بوانكاره يوم زار لندن عام ١٩١٣ ..... ٤٤٢

الرذيلة المعبودة ٤٤٦

هوامش الباب الرابع ٤٤٩

الباب الخامس: اخوانيات ومناسبات

مدخل ٤٥٧

سركيس والنحلة ٤٥٩

في بئر حسن ٤٦٢
مفكرات شاعر/ شوارد النفوس يرهقها ٤٦٣
مفكرات شاعر/ أين الكرام ٤٦٤
مفكرات شاعر/ لهف نفسي ٤٦٥
مفكرات شاعر/ أتسألوني شعراً ٤٦٧
فاحتكرت المروءة ٤٦٨
فوزي بريدي ٤٦٩
يداك أم يدا ملك ٤٧٠
الأخطل والأستاذ عبدالوهاب ٤٧١
المهاجرون يكرمون الأمير خالد شهاب ٤٧٢
الدستور بين الأخطل الصغير ودموس ٤٧٥
البرق والريحاني ٤٨٠
صلح وبستاني مبعوثان ٤٨٣
بنديكتس الحادي عشر ٤٨٦
بطرس داغر ٤٩٠
عن المدارس ٤٩١
بطروا للغنى ٤٩٢
في الحمى سنة ١٩٠٥ ..... ٤٩٣

الرثـــــــــاء

رثاء الأمير محمد أرسلان ٤٩٧

وردة على غصن ٤٩٨

رثاء نجيب حبيقة ٥٠١

الخطب جلل مات بطرس داغر ٥٠٤

الخطب الأليم ٥٠٥

العذارى الثلاث ٥٠٩

رثاء يوسف سرسق ٥١٢

فداك الورد ٥١٣

الأسد الصريع ٥١٤

إلى بطل لبنان يوسف كرم ٥١٦

لبنان يشيع والدة الرئيس ٥١٧

في سبيل الوظائف ٥١٨

تاريخ عام ١٩١٢ - ١٩١٣ ..... ٥٢١

تحايا وتهاني

تحية المهاجرين ٥٢٩

هدية شاعر ٥٣٠

وقد تنفع الذكرى ٥٣٣

شفي الحبيب ٥٣٦

تهنئة البطريرك المعوشي في رأس السنة ٥٣٩

بالرفاء والبنين/ تهنئة يوسف بك أبو صعب ٥٤٠

تهنئة الياس خليل شديد ٥٤١

شبلي ملاط في عرسه ٥٤٣

أيها الهاجر الليالي/ تهنئة جرجي سعد ٥٤٦

أحسن الزهر ما انعقد/ تهنئة سليم تقلا ٥٤٨

تهنئة عبدالله الجابر الصباح ٥٤٦

كأن لم يكن/ تهنئة فؤاد قاسم ٥٥١

في حفلة تنصير فريد ميشال أبو شهلا ٥٥٢

تهنئة الدكتور رئيف أبي اللمع بفاروق ٥٥٣

طلعة باشا حرب ٥٥٤

شرف الجرح/ إلى نجيب الريس ٥٥٥

سركيس والنحلة ٤٥٩

ميشال معلوف ٥٥٦

يا ناظم العقد/ الى جبران مكاري ٥٥٧

✱✱✱✱

تصدير..

بمناسبة إقامة الدورة السادسة من دورات مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري (دورة الأخطل الصغير) في بيروت ١٤ – ١٧ أكتوبر ١٩٩٨ يسعدني أن أقدم هذا الكتاب.

لقد كانت مفاجأة سارة بالنسبة لي أن تقع بين أيدينا هذه المجموعة النادرة من صور الرسائل الموجهة للأخطل الصغير من عدد من المشاهير، والفضل في ذلك يعود للأكاديمية البارعة الدكتورة سهام أبو جودة التي حفظت هذا الكنز الثمين من الضياع... حيث ضاعت الأصول أثناء أحداث بيروت المؤلمة في السبعينات والثمانينات كما عرفنا من ورثة الشاعر.

إنك ستتجول بين أفكار أجيال من صناع الثقافة والأدب والسياسة منذ مطالع القرن العشرين حتى نهاية العقد السادس منه، لقد استفدت كثيراً وتمتعت بالتعرف على كل هذه السمات والمعلومات الوفيرة المتصلة بأشخاص أحببناهم ولهم دورهم المهم في حياتنا العربية.. سياسيين وشعراء وكتاباً وأدباء وفنانين ورجال أعمال مرابطين ومهاجرين.

وحتى على مستوى المعلومات الطريفة ستجد مستوى الأجور والأسعار والمرتبات، وكذلك ستتعرف على خفايا بعض المشاهير، وأساليبهم وأخطائهم الصغيرة بخطوطهم.. ولقد كان العمل في كل ذلك كما وصفه الأخ أمين عام المؤسسة متعة له وللعاملين معه الذين أبلوا بلاءً حسناً في جمع المعلومات عن حياة كل من أصحاب

الرسائل فلجأوا للموسوعات وكتب التراجم ولئن كانت الدكتورة أبوجودة قد زودتهم ببعض هذه التراجم، فإنهم تغلبوا على الكثير من الصعوبات في جمع المعلومات من مختلف مصادرها المكتوبة والشفوية.

أما عناء قراءة الخطوط وكلها مصورات وليست أصولاً فقد كان عملاً شاقاً لابد أن المتفحص سيلاحظه ولو على سبيل التجربة بمحاولة قراءة إحدى الرسائل قبل الاطلاع على النسخة المطبوعة منها..إنه جهد يذكر لأصحابه ويشكر..

فباسم مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري وقراء هذا الكتاب أوجه الشكر أولاً للمحامي الشاعر الأستاذ عبدالله الأخطل النجل الأكبر للأخطل الصغير الذي أبدى أريحية في التعامل مع هذا الحدث حيث وافق مشكوراً على نشر هذه الرسائل، كما أشكر الإخوة أعضاء اللجنة المنظمة لدورة الأخطل الصغير التي تقام في بيروت في الفترة من ١٤ – ١٩٩٨/١٠/١٧، وأكرر الشكر للدكتورة سهام أبوجودة ولأمين عام المؤسسة الأخ عبدالعزيز السريّع ومعاونيه على هذا الإنجاز الطيب وأخص بالذكر الأخ عبدالعزيز جمعة.

والحمدالله

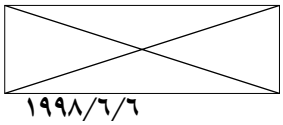

١٩٩٨/٦/٦

الدكتور سامي الدهان

عضو مجمع اللغة العربية

صندوق البريد ٣٤٤ (دمشق)

دمشق ١٩٦٢/١٢/٢

سيدي الأخ الكبير الشاعر العبقري

الأستاذ بشارة الخوري الأخطل الصغير أدامه الله

تحياتي وأشواقي، وإكباري

وبعد، تلقيت رسالتك العظيمة المؤرخة في (٢) أيلول سنة ١٩٦٢ وأنا على سرير المستشفى الإفرنسي بدمشق، أعاني من ارتفاع ضغط مفاجيء حرمني السير وأبعد عني النظر في أقرب الأشياء وأقدسها، ومنها رسالتك الغالية التي حملت إلي من أخبارك العزيزة، ولو كانت في المرض والطب والأطباء، فتآخينا على المرض بصورة غريبة... ودعوت لك ولي بالشفاء.

ولكن في هذه الأيام الأخيرة سمح لي الأطباء أن أستأنف السير مستعيناً بالشوفير (السواق)، وأتيح لي أن أخط أول رسالة من ديون كثيرة وهي هذه الرسالة فمعذرة لارتجاف الحروف، ولكنه دين في عنقي يجب أن أوفيه لأبي عبدالله أخطل العصور العربية كلها، وشاعرنا الوفي الذي سجل مكرمة في كل قلب وسمع عربيين.

أجل إنه دين في عنقي أن أستجيب لروحك السمحة في إهداء دواوينك، الى أعضاء المجمع، ولكني أظن أنك تستطيع أن ترسل نسخة الى المجمع العلمي العربي وأخرى الى رئيسه الأمير مصطفى الشهابي. فإذا جدت على أخيك كذلك بنسخة جعلته من السعداء ، وأتحت لي أن أكتب عنه في مجلة المجمع العلمي لزملائنا لا تعريفاً بالديوان، فأنا أُعرّف بديوانك وأشتهر بك، ولكن إنصافاً للشعر الرصين الحلو المحلق المبدع.

وقد كنت أرجو أن تجمع ما في الصحف القديمة من شعرك الغزلي وأن تصدره بعنوان ترتضيه، وكم أحب أن يكون «الأخطل يغني» فهو عنوان يغريني على إصدار كتاب عنك كما تعاقدت من قبل مع دار المعارف بمصر فيما تذكر، وطواه الإرجاء.

الدكتور سامي الدهان
صندوق البريد ٢٤٤
دمشق

دمشق ٢/١٢/١٩٦٤

سيدي الأخ الكبير الشاعر العقيري
الأستاذ بشارة الخوري الأخطل الصغير أدامه الله

تحيات وأشواق، وأكبار

وبعد، تلقيت رسالتك الكريمة المؤرخة في ٥ ايلول ٦٤ وأنا على سرير المستشفى الافرنسي بدمشق، أعاني من ارتفاع ضغط مفاجئ هرمني السير وأبعدني النظر في أقرب الأشياء وأقربها، ومنذ رسالتك الغالية التي حملت إليّ مراثي أخيك العزيزة، ولوعانت في المرض والطب والأطباء، فتآخينا على المرض بصورة غريبة... ودعوت لك وطبا بالشفاء.

ولكنه في هذه الأيام الأخيرة سمح لي الأطباء أن استأنف السير مستعينا بالكرسي (الدولاب)، وأتيحت لي أن أغط أذيال رسالة من ديون كثيرة وهي هذه الرسالة المعضدة لارتجاف الحروف، ولكنه دين في عنقي يجب أن أوفيه لأبي عبدالله أخطل العصور العربية قاطبة؛ وشاعرنا الوفي الذي حبته نكبة في كل قلب وسمع عربيين.

أحل إنه دين في عنقي أن أستجيب لرغبة السيدة زوجة الشاعر وأولاده، إلى أعضاء المجمع، ولكني أظنه أنت تستطيع أن ترسل نسخة إلى المجمع اللغوي وأخرى إلى رئيسه الأمير مصطفى الشهابي. فإذا جدت على أخيك كذرين بنفسه وبمعنته وبالسعداء، وأنت كما أكتب عنه زميلة المجمع اللغوي لا حاجة لي لا تعريفا بالديوان، فأنا أعرف بديوانك وأشتهيه، وأكبر انطباعا للشعر الرصين الحلو الحلو المبدع.

وقد كنت أرجو أن تجمع ما في الصحف القديمة من شعر الفقيد وأن تصدره بمقدمة ترتضيه، وكم أحب أن يكون "الأخطل الصغير" هو عنوانه ليزين على اصداء كتاب عنه كما تناقلت مراثيه دار الصحافي بمصر فيما تذكر، وطراء الأخبار.

وما أحب أن أطيل عليك في التعلة والاعتذار، فربما استطعت بعد أسبوعين أو ثلاثة أن أسافر الى بيروت، لأمتع العين برؤيتك والأذن بالاستماع إليك والقلب بالاطمئنان على صحتك الغالية.

شفاك الله وقواك وأمد في عمرك الطويل سنداً لنا، وذخراً للشعر العربي، وثروة لهذه الأمة المسكينة الضائعة في بياتة التقليد وحب الغرب حباً أعمى من غير عمق أو تفكير.

وتقبل السلام من أخيك القلق على صحتك وعافيتك فأنت إذا عوفيت عوفي المجد والكرم والسماحة العربية، كما قال شاعرنا القديم. وأنا في انتظار أخبارك المطمئنة، وشوقي إليك لا ينتهي.

والسلام والعافية خير ما أختم به هذه السطور.

أخـــوك

سامي الدهان(*)

****

(*) **سامي الدهان** «**سوريا**» - ١٩١٢ - ١٩٧١

- مؤلف وباحث ودكتور. وضع كتاباً في إصلاح طرق التعليم في اللغة العربية. من أعضاء المجمع

وما أحب أن أطيل عليك في التعلة والاعتذار، فربما
استطعت بعد أسبوعين أو ثلاثة أن أسافر إلى بيروت، لأمتع العين برؤيتك
ولأذن بالاستماع إليك والقلب بالاطمئنان على صحتك الغالية.
شفاك الله وقواك وأمد في عمرك الطويل سنداً لنا،
وذخراً للشعر العربي، وثروة هذه الأمة المسكينة الضائعة في بيادر
التقليد وحب الغرب حباً أعمى من غير عمق أو تفكير.
وتقبل السلام من أخيك القلق على صحتك وعافيتك فأنت
إذا عوفيت عوفي المجد والكرم والسماحة العربية، كما قال شاعرنا القديم.
وأنا في انتظار أخبارك المطمئنة، وشوقي إليك لا ينتهي،
والسلام والعافية خير ما أختم به هذه السطور

أخوك
سامي الدهان

صقر بن سلطان القاسمي
حاكم الشارقة وملحقاتها

الشارقة: تحريراً في ١٩٦٢/١١/٢١

أخي الحميم أبو عبدالله

حرسك للأدب وحماك للشعر ومن بلادك هذه أبعث إليك بأكمام فواحة من التحيات والأشوق وأرجو لك دوام الصحة والعافية.

أخي كم أنا آسف لعدم تمكني من زيارتك مرة ثانية كما وعدتكم فقد حالت الأشغال بيني وبين الوفاء بالوعد وأرجو أن تتاح لي فرصة زيارة لبنان هذا الشتاء فأسعد بلقياك.

ويسعدني جداً أن أقدم إلى الأخ ديواني المتواضع ويسعدني أكثر أن يشمله رضاك مع غض النظر عن عيوبه وقصر شأوه وإلى لقاء قريب أسأل الله أن يرعاك وتحياتي الى أم عبدالله وعبدالله،

أخـــوك

صقر بن سلطان القاسمي (*)

****

(*) **صقر بن سلطان القاسمي** «الإمارات» - ١٩٢٥ - ١٩٩٥
- سياسي وشاعر جعل من سكنه ندوة للأدب والشعر. تولى حكم الشارقة، فأخذ ينشر التعليم. عزله

SAQR BIN SULTAN AL QASIMI

RULER OF SHARJAH AND ITS DEPENDENCIES

صقر بن سلطان القاسمي

حاكم الشارقة وملحقاتها

SHARJAH

الشارقه : تحريرا فى ٢١/١١/١٩٦٢

اخي الحميم ابو عبد الله

حرسك للادب وحماك للشعر ومن بلادك هذه البعث اليك

باكمام فواحة من التحيات والاشواق واجولك دوام الصحة

والعافية

اخي كم انا اسف لعدم تمكني من زيارتك مرة ثانية كما

وعدتكم فقد حالت الاشغال بيني وبين الوفاء بالوعد

واجوان تتاح لي فرصة زيارة لبنان هذا الشتاء فاسعد

بلقائك

ويسعدني جدا ان اقدم الى الاخ ديواني المتواضع

ويسعدني اكثر ان يشمله رضاك مع غض النظر عن عيوبه

وقصر شأوه والى لقاء قريب اسال الله ان يرعاك

وتحياتي لام عبد الله وعبد الله

اخوك [illegible]

اليـــــوم

يومية سياسية مستقلة

صاحبها ومديرها المسؤول
عفيف الطيبي

أستاذي الأخطل... حفظه الله

تحياتي وأشواقي. وشكري لصبرك على تقصيري، وأنت الذي لا يغيب واجبه عن النفس، وقد قمت دائماً بأكثر من واجب تجاه إخوانك، وتجاه الجميع.

التهنئة التي أزجيتها بمناسبة المولد النبوي الشريف، أصيغ جوابي عليها ابتهالاً إليه تعالى أن يحفظك بخير، وأن يسبغ ثوب العافية عليك.

أرجو أن ينوب عني أخي وفيق بتقديم أحر الشوق وأسمى الاحترام، وأرجو أن يكون في عودتي طمعاً بكرمك، مجالي الشخصي للتشرف بذلك.

حفظك المولى

المخلص

عفيف الطيبي(*)

بيروت ١٩٦٢/٨/١٧

****

(*) **عفيف الطيبي** «**لبنان**» - ١٩١١ - ١٩٦٦ .
- كاتب وصحافي - كرّس حياته للصحافة ودعا إلى الوحدة الوطنية والعدالة الاجتماعية.

اليوم يومية سياسية مستقلة

صاحبها ومديرها المسؤول
عفيف الطيبي

استاذي الافضل حفظه الله.

تحياتي واشواقي. وشكري لصبرك على تقصيري، وانت الذي لا يغيب واجبه عن النفس، وقد قمت دائماً بأكثر من واجب تجاه اخوانك، وتجاه الجميع.

التهنئة التي ازجيتها بمناسبة المولد النبوي الشريف، اصيغ جوابي عليها ابتهالاً اليه تعالى ان يحفظك بخير، وان يسبغ ثوب العافية عليك.

ارجو ان ينوب عني اخي وفيق بتقديم احر الشوق واسمى الاحترام، وارجو ان يكون في علاقتي طيباً بكرمك، مجالي الشخصي للتشرف بذلك.

حفظك المولى

المخلص

عفيف الطيبي

بيروت

١٧/٨/١٩٦٧

الجمهورية العربية المتحدة
اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني
للقوى الشعبية
الأمين العـــام

القاهرة في ٢١ يناير ١٩٦٢

عزيزي الأخ الشيخ بشارة عبدالله الخوري

تحية مباركة طيبة،

تسلمت بيد الشكر ديوانكم الذي تفضلتم بإهدائه إلي ويطيب لي بهذه المناسبة أن أبعث اليكم بأخلص أماني الود والمحبة وأن أنتهزها فرصة لكي أجدد صداقتنا التي أحرص عليها وأفخر بها.

وتفضل يا أخي بقبول أجمل تمنياتي ودعواتي،

أخـــوك

أنور السادات(*)

(*) أنور السادات «مصر» - ١٩١٨ - ١٩٨١
- ضابط وسياسي انضم مع جمال عبدالناصر وآخرين الى تنظيم (الضباط الأحرار) بهدف الإطاحة بالحكومة الملكية وتحرير مصر من السيطرة البريطانية شارك في ثورة الجيش التي أطاحت بالملك فاروق. تولى عدداً من المناصب الحكومية منها رئاسة مجلس الأمة ورئاسة تحرير صحيفة الجمهورية وتولى منصب نائب رئيس الجمهورية ثم صار رئيساً للجمهورية خلفاً للرئيس جمال عبدالناصر عام ١٩٧٠، وقع مع مناحيم بيغن اتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٨، اغتيل عام ١٩٨١ .

الجمهورية العربية المتحدة
اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني
للقوى الشعبية

الأمين العام

القاهرة فى ٢١ يناير ١٩٦٢

عزيزى الاخ الشيخ بشاره عبد الله الخورى

تحية مباركة طيبة ،

تسلمت بيد الشكر ديوانكم الذى تفضلتم باهدائه الى ، ويطيب لى بهذه المناسبه ان أبعث اليكم بأخلص أمانى الود والمحبة وأن أنتهزها فرصة لكى أجدد صداقتنا التى احرص عليها وأفخر بها .

وتفضل يا أخى بقبول أجمل تمنياتى ودعواتى ،

أخوك

البهى الساداتى

كويت، ١٩٦١/٩/١٢

عزيزي الأستاذ الشاعر الكبير،

فأما التحية، فمن القلب خالصة لك، نَسْمها من شذى الورد، ولمحُها من رؤى الخدود، ولكن، من غير دم يريقه حسد الجمال للجمال، فيقضي الأول منتحراً ليتيه الآخر بالدم المسفوح..!

أجل يا سيدي، إنها تحية حب وإكبار، تطوي إليك البيد اللواهب بلفح الهجير، لتبلغك من هنا، من الكويت، صدىً حلواً غوياً لهذا الذي تحتويه لك القلوب من إجلال وتقدير، وأنت أنت الشاعر الفحل الذي يلوذ به الشعر اليوم هرباً من عنت المتشاعرين، ومحاولات الطغمة العاجزة التي تريد أن تسلبه أبهى ما يتمتع به من مقوماته الجمالية، في قافية راسية، وفي موسيقى ورنين.

وما من أجل هذا كتبت إلى الأخ الكبير، بل من أجل شيء آخر أرجو أن يتسع صدرك الذي طالما اتسع لمتاهات الشعر المترامية، تلك التي جُبتها أنت جوب الفارس المقدام، فبلغت منها الشأو البعيد.

كنا في جلسة هنا صافية، نتذاكر الشعر، ونستعرض وجوه التطور الموضوعي فيه، فعرض لأحدهم ذكرك، فأثنى عليك ثناء المنصف، وروى لك من الشعر رائعه، فسرى الإمتاع في الجلسة على هز الرؤوس وغمغمات التطريب.

وفجأة قال أحدهم:

– ما ترون من قصد الشاعر الكبير في مطلع قصيدته المشهورة:

جفنه علّم الغزل
ومن العلم ما قتل؟

قال الآخر: القصد منه يتضح حين تربط طرفي الاشتقاق اللفظي ما بين «علّم» في المصراع الأول، و «العلم» في الشطر الثاني.

قال الأول: أتعتقد بأن هذا يكفي لجلاء المعنى الذي أراده الأستاذ الشاعر؟

قال الثاني: يمكن أن نزيد عليه أن صاحبنا – المقصود في البيت – إنما تعلّم الغزل من هذا السحر الآسر في جفن حبيبه، وعِلْمه به، هو الذي مهّد أمامه الطريق ليخوض معركة القلب، وقد يُقتل هو في جولة ما، فيكون سببَ قتله، علمُه بالغزل من الأساس.

كويت ، ١٢/ ٩/ ٩٦١

عزيزي الأستاذ الشاعر الكبير ،

فأما التحية ، فمن القلب خالصةً لك ؛ نَسْمُها من شذى الورود ، ولمحُها من رؤى الخدود ، ولكنْ ، من غير دمٍ يريقه حسدُ الجمال للجمال ، فيقضي الأولُ منتحراً ليتيه الآخرُ بالدم المسفوح ..!

أجل يا سيدي ، إنها تحية حبٍ وإكبار ، تطوى إليك البيد اللواهثَ بلفح الهجير ، لتبلغك من هنا ، من الكويت ، صدىً حلواً غوياً لهذا الذي تحتويه لك القلوب من اجلالٍ وتقدير ، وانت انت الشاعر الفحل الذي يلوذ به الشعر اليوم هرباً من عنت المتشاعرين ، ومحاولات الطغمة العاجزة التي تريد ان تسلبه أبهى ما يتمتع به من مقوماته الجمالية ، في قافيةٍ راسية ، وفي موسيقى ورنين .

وما من أجل هذا كتبتُ إلى الأخ الكبير ، بل من أجل شيء آخر أرجو ان يتسع له صدرك الذي طالما اتسع لمتاهات الشعر المترامية ، تلك التي جُبْتَها أنت جَوْبَ الفارس المقدام ، فبلغت منها الشأو البعيد .

كنا في جلسةٍ هنا صافية ، نتذاكر الشعر ، ونستعرض وجوه التطور الموضوعي فيه ، فعرض لأحدهم ذكرك ، فأثنى عليك ثناء المنصف ، وروى لك من الشعر رائعه ، فسرى الإمتاعُ في الجلسة على هز الرؤوس وغمغمات التطريب .

وفجأةً قال أحدهم :

– ما ترون من قصد الشاعر الكبير في مطلع قصيدته المشهورة :

جفنه علّم الغزل ومن العلم ما قتل ؟

قال الآخر : القصد منه يتضح حين نربط طرفي الاشتقاق اللفظي ما بين « علّم » في المصراع الأول ، و « العلم » في الشطر الثاني .

قال الأول : أتعتقد بأن هذا يكفي لجلاء المعنى الذي أراده الاستاذ الشاعر ؟

قال الثاني : يمكن ان نزيد عليه أن صاحبنا – المقصودَ في البيت – إنما تعلّم الغزل من هذا السحر الآسر في جفن حبيبه ؛ وعِلْمُهُ به ، هو الذي مهّد أمامه الطريق ليخوض معركة القلب ، وقد يُقتل هو في جولةٍ ما ، فيكون سببَ قتله ، علمُه بالغزل من الأساس .

أي إن (العلم) في المصراع الثاني لا يراد به (مطلق العلم) في مفاهيمه الشاملة ، التي تنطوي تحتها نواميس الوجود ، والا لفسد معنى البيت . هذا إذا اجزنا لأنفسنا أن نتخيل في البيت شخصين لا شخصاً واحداً ، أعني الحبيبَ والمحبوب معاً ، او المحب والمحبوب بتعبير أصح .

أي أن (العلم) في المصراع الثاني لا يراد به (مطلق العلم) في مفاهيمه الشاملة، التي تنطوي تحتها نواميس الوجود، وإلا لفسد معنى البيت. هذا إذا أجزنا لأنفسنا أن نتخيل في البيت شخصين لا شخصاً واحداً، أعني الحبيبَ والمحبوب معاً، أو المحب والمحبوب بتعبير أصح.

قال آخر: قد يكون الأمر كذلك، ولكن، هل تعتقدون بأن البيت في جملته، يصلح لأن يكون مطلعاً لهذه المقطوعة الجميلة؟

هل يرقى جمال هذا المطلع إلى جمال هذا البيت من المقطوعة ذاتها:

فحرقنا نفوسنا
في جحيم من القبل؟

قلت: لو أبدل الأستاذ لفظ الجحيم بلفظ النعيم لكان ذلك أدعى إلى قوة التخييل...

قال المتكلم السابق: هذا رأيٌ يناقَشُ، ولكننا ما دمنا بسبيل المقارنة والقياس، فهل ترون تكافؤاً في جمال المطلع مع قول الأستاذ الشاعر:

يا حبيبي أكُلَّما ضمنا
ضمنا للهوى مكان
أشعلوا النار حولنا
فغدونا لها دخان

قلت إن فيهما لمعنىً جميلاً، ولكني ما أراك رويت أولهما روايةً صحيحة...

وعاد القوم الى المقصود من المعنى في مطلع المقطوعة، واحتدم الجدل بينهم، وتشعبت بهم الآراء، فرأوا أن يستفسروا الشاعر نفسه عما قصد إليه من معنى البيت، على اعتبار أن صاحب البيت أدرى بالذي فيه...

كان في الجلسة أمير البلاد الجليل[1]، وهو الذواقة للشعر والأديب الكبير.

وبعد، فهل لأستاذنا الفاضل أن يتكرم بشيء من الشرح للمقصود من هذا البيت؟

عَلّهُ يفعل مشكوراً ،

ولك بعد هذا يا سيدي أطيب تحية وأكرم رجاء.

العنوان : كويت ص . ب ٣٢١٢

المخلص

فـؤاد الرفاعـي(*)

(*) **فؤاد الرفاعي** «**سوريا**»- ١٩٢٠ - ١٩٨٠، شاعر، عاش فترة من حياته في الكويت وتوفي فيها.

(١) **الشيخ عبدالله السالم الصباح** ١٨٩٥-١٩٦٥، حاكم الكويت ١٩٥١-١٩٦٥

قال آخر : قد يكون الأمر كذلك ، ولكن ، هل تعتقدون بأن البيت في جملته ، يصلح لأن يكون مطلعاً لهذه المقطوعة الجميلة ؟

هل يرقى جمال هذا المطلع إلى جمال هذا البيت من المقطوعة ذاتها :

فحرقنا نفوسنا في جحيم من القبل ؟

قلت : لو أبدل الاستاذُ لفظَ الجحيم بلفظ النعيم لكان ذلك أدعى إلى قوة التخييل .

قال المتكلم السابق : هذا رأيٌ يناقَشُ ، ولكننا مادمنا بسبيل المقارنة والقياس ، فهل ترون تكافؤاً في جمال المطلع مع قول الاستاذ الشاعر :

يا حبيبي أكلما ضمنا ضمنا للهوى مكان

أشعلوا النار حولنا فغدونا لها دخان

قلت ان فيهما لمعنىً جميلاً ، ولكني ما أراك رويت أولهما روايةً صحيحة ..

وعاد القوم الى المقصود من المعنى في مطلع المقطوعة ، واحتدم الجدل بينهم ، وتشعبت بهم الآراء ، فرأوا ان يستفسروا الشاعر نفسه عما قصد اليه من معنى البيت ، على اعتبار ان صاحبَ البيت أدرى بالذي فيه ...

كان في الجلسة أمير البلاد الجليل ، وهو الذواقةُ للشعر والأديب الكبير .

وبعد ، فهل لأستاذنا الفاضل ان يتكرم بشيء من الشرح للمقصود من هذا البيت ؟

عَلّهُ يفعل مشكوراً ،

ولك بعد هذا يا سيدي أطيب تحية وأكرم رجاء .

المخلص

فؤاد الرفاعي

العنوان : كويت
ص.ب/ ٣٢١٢

الدكتور سامي الدهان
عضو مجمع اللغة العربية
صندوق البريد ٣٤٤ (دمشق)

دمشق في ١١ أيلول ١٩٦١

سيدي الأخ الحبيب الشاعر الكبير بشارة الخوري
إمام القوافي وربّ النظيم

تحية وأشواقاً

وبعد تلقيت كتابكم الكريم منذ أيام، فقد كان ينتظرني وأنا في جولة للترويح عن النفس في المصايف، أخفف عناء التأليف في المعاصرين الذين أتعبوني في تسقط أخبارهم وحياتهم وشعرهم.

فرحت يا سيدي أشد الفرح بتماثلك للشفاء، فقد كانت صحتك خلال المهرجان تقلقني وتثيرني إلى أن أكون عندك أبداً لو كان الدواء بيدي، ولكنني أعلم أني لا أملك من الأمر شيئاً، فاَثرت الدعاء، والصلاة ليديم الله عليك القوة ويسبغ عليك ثوب العافية، ويجعلك أبداً صناجة العرب تغني وتغني فما ينقطع لك تغريد في دنيانا المحمومة بالشعر الجديد القاتل.

كنت أتمنى أن أسافر إلى بيروت لأحتمل نسخة الديوان من يد جميلة بارة سخية، ولكن المهرجانات تقام في دمشق لصديقك البحتري، فما يحول بيني وبين تكريمه إلاّ أمرك لي بالقدوم، ومتى انتهى المهرجان قدمت وجعلت نفسي طوع بنانك.

إنني أتمنى أن ترسل إلي صورة من صورك في حجم (الكارت) لأجعلها بين يدي دراساتي في الشعر الحديث، كما أتمنى أن تمطرني بمعلومات عن حياتك قد وقعت في مجلة أو في كتاب، المعلومات في خطوط عريضة تختصر في السنين، فقد سافرت الى دار الكتب اللبنانية ورجعت إلى «البرق» وفيها شعرك القديم ونثرك الماضي، وهما جديدان لكل زمان ومكان. فسجلت على الورق ما عرفت منهما. ولكن ذلك لا يكفي. ومتى سافرت اليك سألتك عن ذلك كله.

وفي انتظار اللقاء أرجو أن تتقبل من أخيك شارة الإكبار والود والوفاء، والدعوات.

أخوك المخلص
سامي الدهان(*)

(*) **انظر الهامش ص(٧).**

الدكتور سامي الدهان
عضو مجمع اللغة العربية
صندوق البريد ٢٤٩
(دمشق)

دمشق في ١١ ايلول ١٩٦١

سيدي الأخ الحبيب الشاعر الكبير بشارة الخوري
امام القوافي ورب النظيم

تحية واشواقاً ،

وبعد تلقيت كتابكم اليكم منذ أيام ، فقد كان ينتظرني وأنا في جولة للترويح عن النفس في المصايف ، أخفف من عناء التأليف في المعاصرين الذين أتعبوني في تسقط أخبارهم وحياتهم وشعرهم .

فرحت يا سيدي أشد الفرح بتماثلك للشفاء ، فقد كانت صحتك خلال المهرجان تقلقني وتثيرني إلى أن أكون عندك أبداً لو كان الدواء بيدي ، ولكنني أعلم أني لا أملك من الأمر شيئاً ، فآثرت الدعاء والصلاة ليديم الله عليك القوة ويسبغ عليك ثوب العافية ، ويجعلك أبداً صناجة العرب تغني وتغني فما ينقطع لك تغريد في دنيانا المحرومة بالشعر الجديد القاتل .

كنت أتمنى أن أسافر إلى بيروت لأحتمل نسخة الديوان من يد جميلة بارة سخية ، ولكن المهرجانات تقام في دمشق لصديقك البحتري ، فما يحول بيني وبين تكريمه إلا أمرك لي بالقدوم ، ومتى انتهى المهرجان قدمت وجعلت نفسي طوع بنانك .

إنني أتمنى أن ترسل إليّ صورة من صورك في حجم (الكارت) لأجعلها بين يدي دراساتي في الشعر الحديث ، كما أتمنى أن تمطرني بمعلومات عن حياتك قد وقعت في مجلة أو في كتاب ، المعلومات في خطوط عريضة تختصر في السنين ، فقد سافرت إلى دار الكتب اللبنانية ورجعت إلى "البرق" وفيها شعرك القديم ونثرك الماضي ، وهما جديدان لكل زمان ومكان . فسجلت على الورق ما عرفت منهما . ولكن ذلك لا يكفي . ومتى سافرت اليك سألتك عن ذلك كله .

وفي انتظار اللقاء أرجو أن تتقبل من أخيك شارة الأكبار والود والوفاء ، والدعوات

أخوك المخلص
سامي الدهان

بسكنتا لبنان ١٨ آب ١٩٦١

أخي أبا عبدالله

أحسنت الى نفسك وإلى الأدب العربي عندما صحّت عزيمتك على لمِّ شتيت شعرك ونشره على الملأ في ديوان بعنوان «شعر الأخطل الصغير». وأحسنت اختيار معاونيك في إخراج ديوانك بحيث جاء مظهره لائقاً بمضمونه. فريشة رضوان الشهال بالإضافة الى الورق النفيس والحرف الجميل، قد أضفت عليه الكثير من الروعة.

إنها لغلة وفيرة ومباركة تلك التي انطوت عليها دفتا كتابك. أما الساعات البيض والسود التي أفنيتها في العناية بتلك الغلة منذ أن كانت أشواقاً ورؤى تدغدغ روحك وحتى باتت أحاسيس ورسوماً وأنغاماً محبوسة في حروف ومقاطع وأوزان وقوافٍ – وكأنها المارد في القمقم، وأما ما كابدته من تأرّق وتحرّق وأنت تطارد المعنى اللطيف والنغمة التي لم ينبض بها وتر بعد، وأما نشوة الظفر بما تريده، ومرارة الشعور بأنك قنعت من الطراد بأقل مما كنت تريد – أما هذه الأمور كلها فما أظن قارئك يفطن لها. بل ما أظنك ، لو حاولت، تستطيع إحياءها في ذاكرتك ووصفها بقلمك أو لسانك. إنها الشعر الذي لم ينظمه، ولن ينظمه، شاعر بعد.

سيؤرخ المؤرخون للنهضة الأدبية الحديثة في دنيا العرب. ولن يستقيم لهم تاريخ لا يكون لك فيه مقام الدعامة من الدعامات التي قامت عليها تلك النهضة. ولهذه الغاية تمنيت لو أنك وضعت في آخر كل قصيدة تاريخ السنة التي نُظمت فيها.

بارك الله فيك، ومتعك بالعافية، ومدّ في نشاطك وسنيك.

المخلص

ميخائيل نعيمة(*)

(*) **ميخائيل نعيمة** «**لبنان**» – ١٨٨٩ – ١٩٨٨

– كاتب وشاعر وناقد. له عدد كبير من الكتب من أشهرها «**الغربال**».

بسكنتا لبنان ١٨ / ١ / ٩٦١

أخي أبا عبد الله

أحسنت الى نفسك والى الأدب العربي عندما صحت عزيمتك، على لم شتيت شعرك ونشره على الملأ في ديوان بعنوان «شعر الأخطل الصغير». وأحسنت اختيار معاونيك في إخراج ديوانك بحيث جاء مظهره لائقاً بمضمونه. فريشة رضوان الشهال، بلا ضافة الى الورق النفيس والحرف الجميل، قد أضفت عليه الكثير من الروعة.

إنها لغلة وفيرة ومباركة تلك التي انطوت عليها دفتا كتابك.

أما الساعات البيض والسود التي أفنيتها في العناية بتلك الغلة منذ أن كانت أشواقاً ورؤى تدغدغ روحك وحتى باتت أحاسيس ورسوماً وأنغاماً محبوسة في حروف ومقاطع وأوزان وقوافٍ - وكأنها المارد في القمقم؛ وأما ما كابدته من تأرق وتحرق وأنت تطارد المعنى اللطيف والنغمة التي لم ينبض بها وتر بعد؛ وأما نشوة الظفر بما تريده، وحرارة الشعور بأنك قنعت من الطراد بأقل مما كنت تريد - أما هذه الأمور كلها فما أظن قارئك يفطن لها. بل ما أظنك، لو حاولت، تستطيع إحياءها في ذاكرتك ووصفها بقلمك أو لسانك. إنها الشعر الذي لم ينظمه، ولن ينظمه، شاعر بعد.

سيؤرخ المؤرخون للنهضة الأدبية الحديثة في دنيا العرب. ولن يستقيم لهم تاريخ لا يكون لك فيه مقام الدعامة من الدعامات التي قامت عليها تلك النهضة. ولهذه الغاية تمنيت لو أنك وضعت في آخر كل قصيدة تاريخ السنة التي نظمت فيها.

بارك الله فيك، ومتعك بالعافية، ومد في نشاطك وسنيك.

المحب

ميخائيل نعيمة

رياض معلوف

من نادي القلم الدولي

والعصبة الأندلسية

زحلة – لبنان في ١٤ آب ١٩٦١

أخي الصديق العزيز الاستاذ بشارة حفظه الله

وصل إليّ ديوانك النفيس بعد رحلة دامت ما يقارب الشهر أو أكثر فأهلاً وسهلاً بشعرك الأخطلي الذي يسيل رقة وعذوبة! وقصائدك هذه أعرفها واحدة واحدة، ولكنني كلما عدت إليها وإلى مطالعتها وجدت شيئاً جديداً فيها رغم تقادم عهدها، كمعتقات الخمر التي تطيب كلما زادها الدهر عمراً في الخوابي!

كان طلب مني قبل الحفلة الأب منعم كلمة فيك أرسلتها إليه في ذلك الحين لنشرها فهل نشرت يا ترى؟ وأين؟ فهل تعلمني ولك جزيل الشكر والتهنئة بديوانك – شعر – واسلم للذي يفتخر بصداقتك ويحفظ لك الود كله!.

ريـــاض(*)

****

(*) **رياض معلوف** «**لبنان**» – ١٩١٢ –

– شاعر من المهجريين وإنتاجه الشعري بالعربية والفرنسية والإنجليزية. عضو نادي القلم الدولي

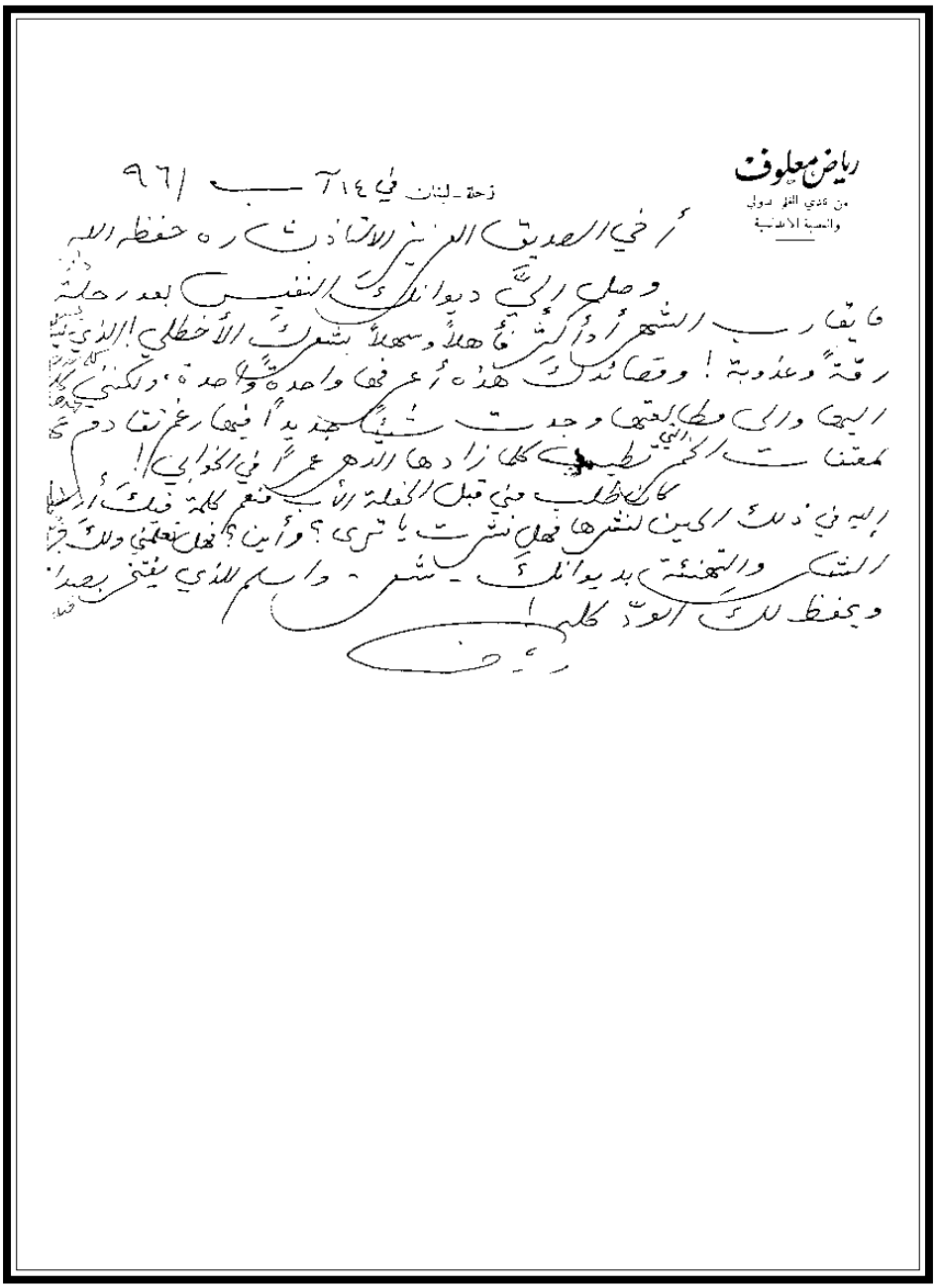

رياض معلوف
من نادي القلم الدولي
والعصبة الاندلسية

زحلة - لبنان في ١٤ آب ٩٦١

أخي الصديق العزيز الاستاذ بشاره حفظه الله

وصل إليّ ديوانك النفيس بعد رحلة
ما يقارب الشهر أو أكثر فأهلاً وسهلاً بشعرك الأخطلي! الذي
رقة وعذوبة! وقصائدك هذه أعرفها واحدة واحدة، ولكنني
إليها وإلى مطالعتها وجدت شيئاً جديداً فيها رغم تقادم
لمعتنات الخمر التي تطيب كلما زادها الدهر عمراً في الخوابي!
كان طلب مني قبل الحفلة الأب فنعم كلمة فيك أرسلها
إليه في ذلك الحين لنشرها فهل نشرت يا ترى؟ وأين؟ فهل تعلمني ولك جزيل
الشكر والتهنئة بديوانك - شعر - واسلم للذي يفتخر بصداقتك
ويحفظ لك الود كله!

رياض

سيدي شاعر العرب الأكبر الأستاذ العبقري

بشارة الخوري (الأخطل الصغير) **المحترم**

تحية العروبة والأدب

سبق وأن تشرفت بدعوتكم للاشتراك في كتابنا «شعراء العروبة في القرن العشرين» في الماضي ولكني لم أحصل على جواب منكم وذلك بعد تفضلكم بإرسال رسالتكم الكريمة حول أبياتي التافهة التي أهديتها اليكم.. والآن أكرر دعوتي إليكم وكلي أمل بتلبية طلبي ومساعدتي في إنجاز هذا المشروع الكبير وذلك بالتفضل بإرسال:

١ – ترجمتكم مع صورة.

٢ – تعريف بمؤلفاتكم المخطوطة والمطبوعة.

٣ – شيء من شعركم القومي.

٤ – إرسال ما تيسر من مطبوعاتكم لدراستها.

٥ – أسماء الشعراء الذين أثروا في حياتكم الأدبية.

ولي وطيد الأمل بإجابة طلبي

والسلام عليكم سيدي.

المخلص

عبدالله الجبوري(*)

عضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة

وعضو جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين

١٩٦١/٦/٢

بغداد – الرحمانية ٩٧/٨٣

****

(*) **عبدالله الجبوري «العراق» – ١٩٣٩ –**

– شاعر وأستاذ جامعي. عمل محاضراً بالجامعة، وخبيراً في مكتب التربية العربي لدول الخليج

سيدي شاعر العرب الأكبر الأستاذ العبقري بشارة الخوري
(الأخطل الصغير) المحترم

تحية العروبة والأدب .

سبق وان تشرفت بدعوتكم للأشتراك في كتابنا ((شعراء العروبة في القرن العشرين)) في الماضي ولكني لم احصل على جواب منكم وذلك بعد تفضلكم بإرسال رسالتكم الكريمة حول أبياتي التافهة التي اهديتها اليكم .. والآن اكرر دعوتي اليكم وكلي أمل بتلبية طلبي ومساعدتي في انجاز هذا المشروع الكبير وذلك بالتفضل بإرسال :

١ - ترجمتكم مع صورة .
٢ - تعريف بمؤلفاتكم المخطوطة والمطبوعة
٣ - شيئاً من شعركم القومي
٤ - ايصال ما تيسر من مطبوعاتكم لدراستها .
٥ - اسماء الشعراء الذين اثروا في حياتكم الأدبية ..

ولي وطيد الأمل بإجابة طلبي

والسلام عليكم سعيداً

بغداد - الرحمانية
٩٧/٨٢

المخلص
عبد الله الجبوري
عضو رابطة الأدب الحديث
بالقاهرة
وعضو جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين
٢/٦/٩٦١

البركة الرسولية تشمل ولدنا العزيز الشاعر الكبير الأستاذ بشارة الخوري الأخطل الصغير المحترم

وجهت إلينا اللجنة المنبثقة من مؤتمر أدباء لبنان دعوة للاشتراك بالحفلة التكريمية التي تقيمها لكم في الرابع من الشهر الجاري.

إننا إذ نشكر اللجنة المحترمة دعوتها نثني على العاطفة الطيبة التي احاطكم بها إخوانكم الأدباء تقديراً للنتاج الخير الذي تفتقت عنه قريحتكم نثراً أنيق الديباجة وشعراً من أطيب الشعر جاء سحراً حلالاً ولُعاً صادقة مما استعر بين جوانحكم من عاطفة وطنية وأتى صدىً عميق الأغوار لما اكتنز في روعكم من ثقافة شرقية غربية زاهية الألوان وتجلى صورة ناطقة بما تزخر به طبيعة لبنان من جمال وروعة وقد غنيتموه قصائد ستبقى مثاراً للنخوة في صدور الأجيال الطالعة ومتعة للأُذن واللسان والخيال.

وفيما نشترك في حفلة تكريمكم بالفكر والعاطفة نزجيها إليكم تهنئة أبوية خالصة سائلين الله أن يسبغ عليكم ثوب العافية ويمتعكم برغد العيش لتظلوا في دولة الشعر والأدب علماً من أرفع أعلامها وفخراً للناطقين بالضاد ومجداً للبنان.

الحقيـــر

بولس بطرس المعوشي(*)

عن كرسينا في بكركي في أول حزيران سنة ١٩٦١

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

****

(*) **بولس بطرس «البطريرك بولس المعوشي» «لبنان»** - ١٨٩٤ - ١٩٧٥
- عالم فصيح، اهتم بالشؤون الروحية والوطنية. وانتخب بطريركاً للموارنة سنة ١٩٥٥، وكاردينالاً

بطريركية انطاكية وسائر المشرق للموارنة
لبنان

عدد ١٩٠/٦١ د م د ـ و

البركة الرسولية تشمل ولدنا العزيز الشاعر الكبير الاستاذ بشاره الخوري الأخطل الصغير المحترم

وجهت الينا اللجنة المنبثقة من مؤتمر أدباء لبنان دعوة للاشتراك بالحفلة التكريمية التي تقيمها لكم في الرابع من الشهر الجاري .

انا اذ نشكر للجنة المحترمة دعوتها نثني على العاطفة الطيبة التي احاطكم بها اخوانكم الادباء تقديراً للنتاج الخير الذي تفتقت عنه قريحتكم نثراً أنيق الديباجة وشعراً من أطيب الشعر جاء سحراً حلالاً ولمعاً صادقاً مما استعر بين جوانحكم من عاطفة وطنية وأتى صدى عميق الأغوار لما اكتنز في روحكم من ثقافة شرقية غربية زاهية الالوان وتجلى صورة ناطقة بما تزخر به طبيعة لبنان من جمال وروعة وقد غنيتموه قصائد ستبقى مثاراً للنخوة في صدور الأجيال الطالعة ومتعة للأذن واللسان والخيال .

وفيما نشترك في حفلة تكريمكم بالفكر والعاطفة نزجيها اليكم تهنئة أبوية خالصة سائلين الله أن يسبغ عليكم ثوب العافية ومتعكم برغد العيش لتظلوا في دولة الشعر والأدب علماً من أرفع أعلامها وفخراً للناطقين بالضاد ومجداً للبنان .

عن كرسينا في بكركي في اول حزيران سنة ١٩٦١

+ المعوشي
الحقير بطريرك انطاكية
وسائر المشرق

الى حبيب الشعر الأخطل الصغير:

تـــلـــمسْ وتـــر الـــشِّـــعـــر
وحـــــدِّثْ عن هـــــوى صَـــــبّهْ
وســـلـــسلْ من مـــعـــانـــيه
هـــــدىً أرشفُ من عَـــــذْبـه
وأضـــــــرم لـــــــهب الحب
أخـــــاف أتـــــيـه في رَحْـــــبـه

حـــبـــيب الـــشـــعـــر من أين
لمـــــثـــــلي الـــــنـــــأي عن دَربه
وســـلكُ الـــشـــعـــر مـــوصـــولٌ
الى قـــلـــبيَ من قـــلـــبه
وهـــــذا الـــــفن مـــــطـــــواعٌ
لـه والـــــســـــحـــــرُ في رَكْـــــبه
إلـــــيه، والـــــهـــــوى درسٌ
وعـــــتْهُ الـــــروح في كُـــــتْـــــبه
طـــويت الـــســـهل والـــوادي
دلـــيـــلي من ســـنـــا شـــهـــبه

بحمدون ١٥ آب ١٩٦٠

أنـــور شـــاؤل(*)

(*) **أنور شاؤل** «**العراق**» - ١٩٠٤ - ١٩٨٤
- أديب وشاعر من يهود العراق. مارس المحاماة والصحافة والتحق بدورة ضباط الاحتياط فنال رتبة

BHAMDOUN
LEBANON

The Ambassador Hotel

الى حبيب الشعر
الاخطل الصغير

تلمّسْ وترَ الشِّعرِ — وحدّثْ عن هوى صَبِّهْ
وسلسلْ من معانيه — هدىً أرشفُ من عَذْبِهْ
وأضرمْ لهبَ الحبِّ — اخافُ أتيه في رَحْبِهْ

× × ×

حبيبُ الشِّعرِ من اينَ — لمثلي النأيُ عن دَرْبِهْ
وسلكُ الشعرِ موصولٌ — الى قلبيَ من قَلْبِهْ
وهذا الفنُّ مطواعٌ — له والسحرُ في رَكْبِهْ
اليه، والهوى درسٌ — وعتْه الروحُ في كُتْبِهْ
طويتُ السهلَ والوادي — وليلي من سنى شُهْبِهْ
~~أريدُ القربَ لكنّي — أعيذُ [illegible] من قُرْبِهْ~~

انور شاذل

بحمدون
١٥ آب ١٩٦٠

باريس ١٩٦٠/٥/١٩

أخي وشاعري الحبيب بشارة

أحييك يا صناجة العرب وشاعر السحر والطرب وأضمّك الى صدري كلما رددت أبياتاً من شعرك تهبط من فمي الى قلبي لتتلاقى مع ناظمها فيه. أتخالني وهذا حالي بعيداً عنك في باريس؟ لا وحياة محبتك. فكري معك وروحي تعانقك وفي شفتيّ صلاة ترتفع الى ربك كي يعافيك ويرعاك ويجمعني بك. لقد غلبتني شواغل الأسبوع الأخير في بيروت وحرمتني من أن أزورك مودعاً، متزوداً من مجلسك وحديثك ما أشتهيه، فإن صفحت عن قصوري بشرني بخبر منك أو عنك يشرح صدري ويريح بالي. واسلم للمخلص المعجب.

جورج صيدح(*)

****

(*) جورج صيدح «لبنان» - ١٨٩٣ - ١٩٧٨
- أديب وشاعر ومؤرخ للأدب المهجري. عمل تاجراً في مصر وباريس وفنزويلا ثم انتقل للإقامة في الأرجنتين.

GEORGES SAIDAH

72 bis, RUE MICHEL-ANGE
PARIS-XVIe
TÉL.: BAGATELLE 51-33

باريس ١٤ / ٥ / ١٩٦٠

اخي وشاعري الحبيب بشاره

احييك يا ضاجة العرب وشاعر السحر والطرب
واضمك الى صدري كلما رددت ابياتا من شعرك
تهبط من فمي الى قلبي لتتلاقى مع ناظمها فيه.
اتخالني وهذا حالي بعيدا عنك في باريس ؟
لا وحياة محبتك. فكري معك وروحي تعانقك
وفي شفتي صلاة ترتفع الى ربك كي يعافيك
ويرعاك ويجمعني بك. لقد غلبتني شواغل
الاسبوع الاخير في بيروت وحرمتني من ان ازورك
مودعا، متزودا من مجلسك وحديثك ما اشتهيه
فان صفحت عن قصوري بشرني بخبر منك او
عنك يشرح صدري ويريح بالي. واسلم للخلق العجيب

جورج صيدح

الدكتور سامي الدهان

عضو مجمع اللغة العربية

صندوق البريد ٣٤٤ (دمشق)

دمشق في٢٧ كانون الأول ١٩٥٩

سيدي الأخ الكبير شاعر الأجيال العربية

الأستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير)

تحياتي وأشواقي،

أجل عجبت للرسالة الحلوة تتهادى إليّ بدمشق، بعد شهور، وما كنت أعلم أن الشاعر الكبير أسير المرض، فقد طوحت بي الأسفار ثانية، وشرقت وغربت، فلما عدت علمت بنبأ المرض، فأسفت أني لم أسأل عن صحتك الغالية خلال هذه المدة، والآن أردد مع المتنبي صنوك في الشاعرية:

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم
وزال عنك إلى أعدائك الألم

ولست أدري إن كان لك أعداء حقاً، وإنما لك حسّاد يزرعون حولك البهتان والكذب، كما يزرعونهما حول كل نابغة، ولو أنصفوا وعقلوا لتلفتوا إلى أنفسهم الصغيرة فغسلوها من كدر الحسد والبغضاء، لأنهم لن يبلغوا مجدك السامق المتطاول. ولعلهم يفعلون في هذه الأيام المباركة والعام القديم يموت، ويولد عام جديد، وذكرى ميلاد السيد المسيح الذي يبشر بالمحبة تملأ الأسماع وتحلّي المجالس وتزين الكتب وتذكّر الغافلين، فعسى أن يستغفروا لأنفسهم، ويؤمنوا بأن النور العبقري لا تطفئه شفاه هزيلة، وأيد قصيرة وإنما تزيده شعلة ونوراً.

سيدي، بمناسبة هذا الميلاد، أدعو إلى الله أن يكلأك برعايته وأن يمنّ عليك بتمام الصحة والقوة، وأن يعيد هذه الأيام المباركة عليك وعلى آلك وأنتم ترفلون في حلل السعادة والنشاط والإنتاج، عسى أن تكتحل أعيننا بجزء آخر من دواوين « شاعر الهوى والشباب» وأن يقدر لها الوجود فالوجود يكفل لها الرواج. ولعلي حين أفد الى بيروت أتحدث الى إخوان لنا هناك في إنشاء لجنة لنشر الدواوين الأخطلية. ولك الحب والود، والعيد الذي أنت عيده.

والسلام عليك من أخيك.

سامي الدهان (*)

(*) انظر الهامش ص(٧).

سامي الدهان
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
ص. ب ٢٤٤

دمشق في ٢٧ كانون الأول ١٩٣٣

سيدنا الشيخ الكبير شاعر الأجيال العربية
الأستاذ بشارة الخوري الأخطل الصغير
تحيات وأشواق،

أخجل مخجلت للرسالة الحلوة التي بعثتها إليّ بدمشق، بعد حضوري، وما كنت أعلم أن الشاعر الكبير أسير المرض، فقد طوحت في الأسفار ثانية، وشرقت وغربت، فلما عدت علمت بنبأ المرض، فأسفت أني لم أسأل عن صحتك الغالية خلال هذه المدة، والآن أردد مع المتنبي صنوك في الشاعرية

الجد عوفي إذ عوفيت والكرم
وزال عنك إلى أعدائك الألم

ولست أدري إن كان لك أعداء حقاً، وإنما هم حسّاد يزعمون حول البهتان والكذب، كما يزعمها حول كلّ نابغة، ولو انصفوا وعقلوا لتلفتوا إلى أنفسهم الصغيرة فغلوها من كدر الحسد والبغضاء، لأنهم لن يبلغوا مجدك المؤثل. ولعلهم يقضون في هذه الأيام المباركة وأيام التقويم يموت، ويولد عام جديد، وذكرى ميلاد السيد المسيح الذي يبشر بالمحبة تملأ الأسماع وتجلّى المجالس وتزين الكتب وتذكر الغافلين، فعسى أن يستفيقوا لأنفسهم، ويؤمنوا بأن النور المبقرى لا تطفئه شفاه هزيلة، وأن قصبة واهنة تزيده شعلة ونوراً.

سيدي، بمناسبة هذا الميلاد، أرجو الله أن يكلأك برعايته وأن يمنّ عليك بتمام الصحة والقوة، وأن يعيد هذه الأيام المباركة عليك وعلى آلك وأنتم ترفلون في حلل السعادة والنشاط والانشراح، عسى أن تكتحل أعيننا بجزء آخر من دواوينك "شعاعاتها" والكتاب، وأن يقدر لها الوجود فالوجود يكفل لها الرواج. ولعلي عسى أن أعد إلى بيروت أتحدث إلى إخواننا هناك في إنشاء لجنة لنشر الدواوين الأخطلية. ولك الحب والود، وللعيد الذي أنت عيده،

والسلام عليك مني أصفى

الدكتور سامي الدهان
عضو مجمع اللغة العربية
صندوق البريد ٣٤٤ (دمشق)

دمشق في ٢٣ آب ١٩٥٩

سيدي الأخ الحبيب شاعر العرب الأكبر
الأستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير)

تحية وإكباراً،

وبعد، من شطئان بردى الذي غنيته ومن مرابع الأخطل جدك الذي خَلَفْته، تنسّمت عبير قوافيك، ورددت أهازيج أغانيك فرحت ألثم الديوان كأني ألثم وجناتك في اللقاء والوداع، وطفقت أريق على جنباته دمع الصبا والشباب، فقد كان نشيدي في الأصائل والأسحار ، وكان سحري إلى رباب السحر والخدر، تسلحت بك صغيراً، وقدستك كبيراً، فأنا أقف منه الساعة كما يقف العابد من هيكله، أعترف وأتذكر وأضلاعي تردد أغاريدك صلوات، وبخورك يصعد الى روحي فيعطر أطرافها، ويلمس خيالك الجامح جوانب نفسي فيطهرها، فهل تسمح لي بصلاة الشكر والذكر على يدك في التحفة والهدية، أقولها كلما فتحت مصاريع الديوان، داعياً معتزاً، مزهواً كأني كسوت من ريشك جناحي المهيض، لعلي أطير إلى سمائك أو أبلغ إلى آفاقك حين أكتب فيك. وهيهات أن أبلغ، فما بلغ عربي في الحديث عنك لأنه لم يسبح في جوك ولم يرتع في حبك ولم يسكر بنشيدك. أما أنا فاعتزازي أني سأشرب

الدكتور سامي الدهان
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
صندوق البريد ٢٤٤

دمشق في ٢٢ آب ١٩٥٩

سيدي الأخ الحبيب شاعر العرب الأكبر
الأستاذ بشارة الخوري الأخطل الصغير

تحية وإكباراً،

وبعد، من شطآن بردى الذي غنيته ومن مرابع الأخطل جدك الذي خلفته، تنسمت عبير قوافيك ورددت أهازيج أغانيك فرحت ألثم الديوان كأني ألثم وجناتك في اللقاء والوداع، وطفقت أريق على جنباته دمع الصبا والشباب، فقد كان نشيدي في الأصائل والأسحار، وكان سحري إلى رباب السحر والخدر، تسلحت بك صغيراً، وقدستك كبيراً، فأنا أقف منه الساعة كما يقف العابد من هيكله، أعترف وأتذكر وأضلاعي تردد أغاريدك صلوات، وبخورك يصعد إلى روحي فيعطر أطرافها، ويلمس خيالك الجامح جوانب نفسي فيطهرها، فهل تسمح لي بصلاة الشكر والذكر على يدك في التحفة والهدية، أقول كلما فتحت مصاريع الديوان، داعياً معتزاً، مزهواً كأني كسوت من ريشك جناحي المهيض، لعلي أطير إلى سمائك أو أبلغ إلى آفاقك حين أكتب فيك. وهيهات أن أبلغ، فما بلغ عربيّ في الحديث عنك لأنه لم يسبح في جوك ولم يرتع في حبك ولم يسكر بنشيدك. أما أنا فاعتزازي أني سأشرب بكأسك دهاقاً وأنتشي بهواك مصفقاً، أعيش مع قوافيك وأنغامك إلى أن يسكر الدهر وترقص الألفاظ بين يدي، وحينذاك أوفي بعض مالك على العرب وعليّ.

سيدي الأخ الكبير، نعمت بالديوان مهدى كما تنعم الحسناء بزجاجة العطر، تخفيه في طيات صدرها، وتنشقه صباح مساء، وأحببت لو تكرمت بالصورة لأعيش مع اللحم والدم والهيكل والروح جميعاً، فهل أنت متفضل، طابت أيامك ولياليك، ونعمت بأغاريدك وقوافيك،

بكأسك دهاقاً وأنتشي بهواك مصفقاً، أعيش مع قوافيك وأنغامك إلى أن يسكر الدهر وترقص الألفاظ بين يدي، وحينذاك أوفي بعض ما لك على العرب وعليّ.

سيدي الأخ الكبير، نعمت بالديوان مهدىً كما تنعم الحسناء بزجاجة العطر، تخفيه في طيات صدرها، وتنشقه صباح مساء، وأحببت لو تكرمت بالصورة لأعيش مع اللحم والدم والهيكل والروح جميعاً، فهل أنت متفضل، طابت أيامك ولياليك، ونعمت بأغاريدك وقوافيك، وأدامك الله للعرب شاعرهم الأوحد، وللإنسانية غريدها الفذ، ومتعك بالصحة والقوة، ومتعنا بديوانك الثاني لنعلَّ وننهل، وما أنت ببخيل على محبيك، فتكرم بتقبل خالص الود والحب والإكبار.

من المشوق الى لقائك

سامي الدهان(*)

****

(*) **انظر الهامش ص(٧).**

وأدامك الله للعرب شاعرهم الأوحد، وللإنسانية غريدها
الفذ، ومتعك بالصحة والقوة، ومتعنا بديوانك الثاني
لنعل وننهل، وما أنت ببخيل على محبيك، فتكرم بتقبل
خالص الود والحب والإكبار

من المشوق إلى لقائك

[illegible]

طنطا - الجمهورية العربية المتحدة في ١٩٥٨/٣/٢٤

.. أحييك تحية مباركة زكية، وبعد فأشهد الله أنني ترددت طويلا قبل أن أكتب لمن لا تربطني به سابقة من الود تشفع لي عنده في الإصغاء لما أقول.. ولقد كانت معركة مستحرة اصطرع في ساحتها العقل والقلب حتى أديل لثانيهما من أولهما.

سيدي

من أعيب عيوب هذه الدنيا أنها لا تعطي إنساناً ما يستحقه، فهي إما زادته وإما بخسته.. ولقد جرت الطبيعة في حكمها هذا على سننٍ واحدٍ لم تستثن منه منهم أحداً.. وأنا واحد من أولئك الذين منحتهم الطبيعة - لسوء الحظ أو لحسنه لست أدري - إحساساً فوق كفايتي ثم حرمتني في الوقت نفسه أسباباً كثيرة كنت بحاجة إليها لتغذية ذلك الإحساس، فأصبح إحساسي هذا هو سر آلامي في هذه الدنيا، ومصدر شقوتي وعذابي، بل سبب ذبولي وانطوائي!!

لست أرق الناس عاطفة، بل كل ما هنالك أنني أخالف الكثير منهم في نظري الى كل ما تقع عليه عيني، مما قد لا يلفت نظراً، أو يسترعي انتباهاً، لا لأنه تافه لا يسترعي الانتباه ولا الالتفات، بل لأن غيري لا يجد فيه من المعاني مثلما أجد، ولا يفهم له من الشأن ما أفهم.. فهم ينظرون - إن نظروا - بعين الشهوة وأنظر أنا بعين الإعجاب، وشتان.. ويعطفون بألسنتهم، وأعطف بقلبي، ويشعرون بعقولهم، وأشعر بوجداني، ويتألمون بملامح وجوههم وحركاتها، وأتألم أنا بعاطفتي، ويرحمون - إن همو رحموا - بالقول، وأرحم أنا بالفعل، وهذا هو كل ما بيني وبينهم من فارق.. ولهم أن ينعتوني من بعد ذلك بما شاؤوا، فليس ذلك بضائري، ما دمت هكذا قد خلقت ، وكذلك قدر لي أن أكون.

على أنني كثيرا ما تمر بي شتى المناظر والصور، فأجد لمرآها ما يجد العليل المشرف إذا ما برّح به داؤه، وبلغت به العلة منتهاها، إذ لا تكاد تأخذ عيني منظراً أليماً كان أو مونقاً حتى يخفق قلبي لذلك خفقة لا أعرف مبعثها ولا مأتاها، فإما ضحكت وإما بكيت!

مَن من الناس لا يستبيه منظر خد نديّ دبت فيه نمال العذار، فمثل للعين كيف تأتلف الجنة والنار، أو عين فاترة ذابلة تقتل إن نظرت وإن هي أعرضت، كالسهام أليمٌ وقعها وانتزاعها، أو لمّة من الشعر يضيء من خلالها جبين مشرق وضاح، كفلق الصبح إذا ما انشق عنه رداء الليل، أو منظر ذلك السحاب الرقيق وهو يشف عن سنا البدر، كما تشف خمُر الملاح عن وجوههن الحسان، أو ذلك النسيم الذي يهب سحراً، فيستروح منه المحبون ريح أحبابهم، ويستثير ذكراهم، وفي الذكرى - كما يقولون - بعض العزاء... أو منظر ذلك

طنطا - الجمهورية العربية المتحدة
في ٢٤/٣/١٩٥٨

.. أحبيك تحية مباركة زكية ، وبعد فأشهد الله أني تردد طويلاً قبل أن أكتب لمثلك رسالة بخط يدي ، سابقة منه الود تشفع لي عنده في إصغاء لما أقول .. ولقد كانت معركة مستمرة يصطرع في ساحتها العقل والقلب حتى أديل لشانيهما منه أولهما .

سيدي

منه أعجب عجيب لهذه الدنيا أنها لا تعطي إنساناً ما يستحقه ، فهي إما زادته وإما بخسته .. ولقد جرت الطبيعة في حكمها لهذا على حسن واحد لم تستثن فيه منهم أحداً .. وأنا واحد من أولئك الذين منحتهم الطبيعة - لسوء الحظ أو لحسنه لست أدري - إحساساً فوق كفايتي ثم حرمتني في الوقت نفسه أسباباً كثيرة كنت بحاجة إليها لتغذية ذلك الإحساس ، فأصبح إحساسي لهذا الكون سر آلامي في هذه الدنيا ، ومصدر شقوتي وعذابي ، بل سبب ذبولي وانطوائي !!

.. لست أرى الناس على طبقة ، بل كل ما هنالك أني أخالف الكثير منهم في كل ما تقع عليه عيني ، مما قد لا يلفت نظراً ، أو يستحق انتباهاً ، لا لأنه تافه لا يستحق الانتباه ولا الالتفات ، بل لأنه غريب لا يجد في عالمي مثلما أجد ، ولا يلهمهم له من الشأن ما ألهم .. فهم ينظرون - إذا نظروا - بعين الشهوة وأنظر أنا بعين الإعجاب ، وشتان .. ويعطفون بالستهم ، وأعطف بقلبي ، ويشعرون بعقولهم ، وأشعر بوجداني ، ويتألمون بهموم وجودهم وحرمانها ، وأتألم أنا بعاطفتي ، ويرحمون - إذا رحموا - بالعقل ، وأرحم أنا بالفعل ، ولهذا فكل ما بيني وبينهم من فارق .. ولهم أن يسفتوني من بعد ذلك بما شاءوا ، فليس ذلك بضائري ، ما دمت لهكذا قد خلقت ، وكذلك قدر لي أن أكون .

على أني كثيراً ما أترنح بين المناظر والصور فأجد لها ما يجد العليل المشرف إذا ما يرح به داؤه ، وبلغت به العلة منتهاها ، إذ لا تكاد تأخذ عيني منظراً أليماً قاتماً أو موئساً حتى يخفق قلبي لذلك هنيهة لا أعرف مسعرها ولا مأتاها ، فإما ضحكة وإما بكية !

.. منه من الناس لا يستطيع منظر جندي دبت في مفاصل العظام ، فشل للعين كيف تأتلف الجثة والسلاح ، أو عين فارة ذابلة تقتل إذا نظرت وإذا لحى أعرضت ، كالسهام ألمّ وقعها وانتزاعها ، أو لمة من الشعر يضئ منه جبين مشرق وضاح ، كضوء الصبح إذا ما انشق عن رداء الليل ، أو منظر ذلك السحاب الرقيق [redacted] ولهو يشف عن سنا البدر ، كما تشف خمر المزج عن وجوه الحسان ، أو ذلك النسيم الذي يهب سحراً ، فيسترجع من المحبوب مع أحبابهم ، ويستثير ذكراهم ، وفي الذكرى - كما يقولون - بعض العزاء .... أو منظر ذلك البستان الحالي بأفنانه وحمائله ، تستغيث أزهاره ، وترنو أطياره ، فيه للمحزون سلوة ، وللحب مجلى ، وللشاعر بهجة وخيال ... أو منظر زهرة ناضرة ، أو وردة ذابلة ، أو نرجسة قد اعزورقت عيناها ، كأنما تبكي بدموع الندى ، أو بنية الكواكب ودرها حيالها ، أو قميص الكؤوس ونشوة شرابها ، ورقة الشاعر ، وتنهدات المزمار ، ودموعة العنقود ، وطيب العناق .

... منه من الناس لا يستطيع قلبه لسماع أنة صامتة ، أو تنهدة خافتة ، أو آهة مشتعلة ، أو

البستان الحالي بأفنانه وخمائله، تعتنق أزهاره، وترن أطياره، فيه للمحزون سلوة، وللمحب ملجأ، وللشاعر بهجة وخيال... أو منظر زهرة ناضرة، أو وردة ذابلة، أو نرجسة قد اغرورقت عيناها، كأنما هي تبكي بدموع الندى، أو رنين الأكواب ودرّ حبابها، أو قرع الكؤوس ونشوة شرابها، ورقة الندامى، وتنهدات الأوتار، ووسوسة القبل، وطيب العناق.

مَن من الناس لا يختلج قلبه لسماع أنّة صامتة، أو تنهدة خافتة، أو آهة مشتعلة، أو دمعة مترقرَقة. أو ذلة يتيم شريد، أو لوعة بائس طريد.

ثم من ذا الذي لا تدركه رقة لمنظر بلبل سجين، يحييه الليل سهداً، ويميته النهار كمداً.. ينشد الناس شكواه، فيحسبون ترجيعه ألحاناً وهي أشجان، وتغريده غناء وهو أحزان... ومَنْ ومَنْ مِن كل هاتيك المناظر والصور التي تمرّ بي وأمرّ بها، فتفعل بالقلب ما الله به أعلم.

ولقد قدر لي – وهذه روحي – أن ألتقي بك في شعرك، بل وفي كل آثارك، كما لقيت سواك من قبل ممن كان لهم أثر في حياتي، فكان أن لقيت الروح التائهة عني، والتي طالما نشدتها في الكثير ممن عرفت ومن لم أعرف، فأنست بك – معذرة – على البعد أنساً كبيراً، وحمدت الله كثيراً على أن وجدت ضالتي إذ وجدتك، فقنعت منك بأدبك دون شخصك، إذ ليس لي في أحد من مأرب ولا مطمع، بل إنما هي خلة لي أن أستهيم بكل جميل، دون أن أعنت نفسي باكتناه سر جماله وفتنته، إبقاءً على سحره من أن تبطله يد الإعجاب. ورعياً لإعجابي من أن توهنه زهادة الاتصال، فقنعت منك بأن أكون كذلك العابد (الذي) الماثلة بين يديه صورة عذرائه... يعبدها، ولا يتطلع إليها... أو كعاشق الزهر، يقنع بنضرته وشذاه، دون أن يعبث بأوراقه أو يمد له يد الاقتطاف.

فحسبك يا سيدي أن تقنع مني بإعجابي على البعد كما أقنع منك، ولعل ذلك أوكد لائتلاف روحينا – عفواً – كلما علمت بأن هنالك بعيداً يستهيم بأدبك وأسلوب شعرك... وأعلمُ دائماً بأن هنالك غائباً يرضيني بروحه، ويسعد خيالي بكل شيء فيه.

واغتفرها لي زلة أنني أشغلتك، وبددت وقتك، فيما قد لا يهمك أو يعنيك في كثير ولا قليل... أو فيما خولت لنفسي أن أتسامى إلى سمائك كي أحدثك وأناجيك.

عذري عن ذلك كله أنني أحسست فكتبت، وأكبر اليقين أن العذر عند كرام الناس مقبول.

تحية.. إعزاز.. محبة ووفاء.

الوفـــــي

محمد نديم فوزي(*)

رئيس قلم الحفظ بمحكمة استئناف طنطا

مصر / الجمهورية العربية المتحدة

(*) **محمد نديم فوزي** «**مصر**» – ١٩٠١ – ١٩٨٨

– خطاط تخصص في كتابة المصاحف وزخرفتها وأهدى بعض أعماله إلى الرؤساء والملوك وكبار القوم وكان يكتب الشعر ويمارس النقد الأدبي ونشر بعض إبداعاته في الصحف والمجلات المصرية وكان عازفاً

دمعة متدفقة، أو ذلة يتيم شريد، أو لوعة بائس طريد

ثم من ذا الذي لا تدركه رقة لمنظر بلبل سجين، يحييه الليل سهداً، ويميته النهار كمداً .. ينشد الناس شكواه، فيحسبون ترجيعه ألحاناً وهي أشجان، وتغريده غناء وهو أحزان ... ومن ومن من كل هاتيك المناظر والصور التي تمر بي وأمر بها، فتفعل بالقلب ما الله به أعلم.

ولقد قدر لي - وهذه روحي - أن ألتقي بك في شعرك، بل وفي كل آثارك، كما لقيت سواك من قبل ممن كان لهم أثر في حياتي، فكان أن لقيت الروح التائهة عني، والتي طالما نشدتها في الكثير ممن عرفت ومن لم أعرف، فأنست بك - معذرة - على البعد أنساً كبيراً، وحمدت الله كثيراً على أن وجدت ضالتي إذ وجدتك، فقنعت منك بأدبك دون شخصك، إذ ليس لي في أحدٍ من مآرب ولا مطمع، بل إنما هي خلة لي أن أستهيم بكل جميل، دون أن أعنت نفسي باكتناه سر جماله وفتنته، إبقاء على سحره من أن تبطله يد الإعجاب، ورعياً لإعجابي من أن توهنه زهادة الاتصال، فقنعت منك بأن أكون كذلك العابد الذي الماثلة بين يديه صورة عذرائه .... يعبدها، ولا يتطلع إليها ... أو كعاشق الزهر، يقنع بنضرته وشذاه، دون أن يعبث بأوراقه أو يمد له يد الاقتطاف.

فحسبك يا سيدي أن تقنع مني بإعجابي على البعد كما أقنع منك، ولعل ذلك أوكد لائتلاف روحينا - عفواً - كلما علمت بأن هنالك بعيداً يستهيم بأدبك وأسلوب شعرك ... وأعلم دائماً بأن هنالك غائباً يرضيني بروحه، ويسعد خيالي بكل شيء فيه.

واغتفر لي زلة أنني أشغلتك، وبددت وقتك، فيما قد لا يهمك أو يعنيك في كثير ولا قليل ... أو فيما خولت لنفسي أن أتسامى إلى سمائك كي أحدثك وأناجيك.

عذري عن ذلك كله أنني أحسست فكتبت، وأكبر اليقين أن العذر عند كرام الناس مقبول.

تحية .. إعزاز .. محبة ووفاء

الوفي

محمد نديم فوزي

رئيس قلم الحفظ بمحكمة استئناف طنطا

مصر الجمهورية العربية المتحدة

شعـــــــر
صندوق البريد ٣٦٠٨
بيروت ـ لبنان

٢٢ كانون الثاني ١٩٥٧

عزيزي الشاعر الكبير

تحية تقدير واحترام.

تلقيت كلمة الاعتذار التي تفضلت بتوجيهها إليّ. عسى أن لا يحول أي حائل في المستقبل دون توسطك حلقات الشعر في هذا البلد الفخور بك.

إننا بسبيل تهيئة الجزء الثاني من «شعر» وقد ذكر لي الشاعر أدونيس أنكم وعدتموه بأن تخصوا المجلة بنفحة من نفحاتكم الزكية. فكان هذا الوعد عزاء لنا لخلو الجزء الأول من «أخطلية» نتوّجه بها.

نحن نعتبر أن من حق مجلة للشعر تصدر لأول مرة في لبنان أن تحظى بعطفك وتأييدك. وهي لن تؤدي رسالتها على الوجه الأكمل ما لم تَزْدَهِ أعدادها بنتاجك.

مع الدعاء لك بالخير والعافية.

المخلص

يوسف الخال(*)

****

(*) **يوسف الخال** «**لبنان**» - ١٩١٧ - ١٩٨٧
- مؤلف وشاعر ومحاضر بالجامعة الأمريكية. حرر «صوت المرأة» وصحيفة «الهدى» اليومية التي تصدر في نيويورك وأسس «مجلة الشعر» في بيروت.

صندوق البريد ٣٦٠٨ - بيروت - لبنان

٢٢ ب ٥٧
٢

عزيزي الشاعر الكبير

تحية تقدير واحترام.

تلقيت كلمة الاعتذار التي تفضلت بتوجيهها اليّ. عسى ان لا يحول اي حائل في المستقبل دون توسّطك حلقات الشعر في هذا البلد الفخور بك.

اننا بسبيل تهيئة الجزء الثاني من "شعر". وقد ذكر لي الشاعر أدونيس انكم وعدتموه بأن تخصوا المجلة بنفحة من نفحاتكم الذكية. فكان هذا الوعد عزاء لنا لخلو الجزء الأول من "أخطلية" نتوجه بها.

نحن نعتبر ان من حق مجلة للشعر تصدر لأول مرة في لبنان ان تحظى بعطفك وتأييدك. وهي لن تؤدي رسالتها على الوجه الأكمل ما لم تزده اعدادها بنتاجك.

مع الدعاء لك بالخير والعافية

المخلص
يوسف الخال

أخي وأستاذي الكبير الأخطل الصغير

كلمتك الشعرية جعلتني أتفاءل بطالع هذا العام وأستبشر بنعمة الاتصال بك أكثر فأكثر كما تشتهي نفسي وكما يتمنى كل أديب عرفك أو قرأك. أطال الله في عمرك ونفعنا بشعرك أعواماً تتلوها أعوام كلها سعادة وسلام وإلهام.

وإني لا أسأل لذاتي إلا أن أكون عند حسن ظنك، جديراً بمودتك والتفاتك. عزيزي.

جورج صيدح(*)

بيروت ١٩٥٧/١/١

****

(*) **انظر الهامش ص(٣١).**

جورج صيدح

أخي وأستاذي الكبير الأخطل الصغير

كلمتك الشعرية جعلتني أتفاءل بطالع هذا العام وأستبشر
بنعمة الاتصال بك أكثر فأكثر كما تشتهي نفسي وكما يتمنى كل
أديب عرفك أو قرأك. أطال الله في عمرك وتوجعنا بشعرك
أعوانٌ تتلوها أعوام كلها سعادة وسلام والهام
وإني لا أسأل لذاتي إلا أن أكون عند حسن ظنك
جديرًا بمودتك وانتقائك. عزيزي جورج صيدح

بيروت ١/١/١٩٥٧

GEORGE SAIDAH – B.P. 3301 – TELPH. 22986 – BEYROUTH (LIBAN)

مؤتمر الأدباء العرب

الدورة الثانية - دمشق ١٩٥٦

دمشق: ص.ب (٢٥١٩)

الأديب الكبير الأستاذ بشارة الخوري

تحية طيبة وبعد:

يسر المكتب الدائم لمؤتمر الأدباء العرب الثاني الذي سيعقد في دمشق بين ٢٠- ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٦ أن يدعوكم باسم الحكومة السورية لتكونوا ضيفاً عليها مدة انعقاد المؤتمر ويرجو أن تعلموه بأقرب فرصة عن الطريقة التي تختارونها لقدومكم الى دمشق ليرسل إليكم بطاقة السفر وبطاقة الاشتراك في المؤتمر كمدعو رسمي.

والمكتب الدائم على يقين من أن مساهمتكم الأدبية لها أثرها في إنجاح المؤتمر وتحقيق غاياته الفكرية والقومية.

وتفضلوا بقبول أسمى عواطف الشكر والتقدير.

١٩٥٦/٨/٥

المكتب الدائم
لمؤتمر الأدباء العرب
أمين السر
سعيد القضماني(*)

****

ملاحظة: أرفق هذا الكتاب بنشرة تفصيلية عن المؤتمر.

(*) **سعيد بن حسين القضماني «سوريا»** - ١٩١٠ - ١٩٨٤

دمشق : ص.ب (٢٥١٩)

الأديب [illegible]

تحية طيبة وبعد :

يسر المكتب الدائم لمؤتمر الأدباء العرب الثاني الذي سيعقد في دمشق بين ٢٠ — ٢٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٦ أن يدعوكم باسم الحكومة السورية لتكونوا ضيفاً عليها مدة انعقاد المؤتمر ويرجو أن تعلموه باقرب فرصة عن الطريقة التي تختارونها لقدومكم الى دمشق ليرسل اليكم بطاقة السفر وبطاقة الاشتراك في المؤتمر كمدعو رسمي .

والمكتب الدائم على يقين من أن مساهمتكم الأدبية لها أثرها في أنجاح المؤتمر وتحقيق غاياته الفكرية والقومية .

وتفضلوا بقبول اسمى عواطف الشكر والتقدير

المكتب الدائم لمؤتمر الأدباء العرب
امين السر

ملاحظة : أرفق هذا الكتاب بنشرة تفصيلية عن المؤتمر

قصيدة الشيخ عبدالله الجابر(*)، رداً على قصيدتنا

(أرسلها الشيخ عبدالله الجابر الصباح إلى صديقه الشاعر تعبيراً عن إعجابه به وجواباً على تهنئة الشاعر ومدحه للشيخ).

إن أبيات شعرك اليوم تتلى ... بين شعب الكويت دوماً وتملى
ولها في القلوب أحسن وقع ... إذ غدت في جمالها تتحلى
صاغها من غدا يجر فخاراً ... وعلا في الورى جدوداً ونسلا
وتسمى بأخطل الشعر فينا ... وهو أهل إلى انتساب تدلى
وهو فرد بشعره وأديب ... ومزاياه بيننا تتجلى
صغت لي من بنات فكرك شعراً ... زانه لفظه ومعنى تحلى
شعب لبنان مفخر العرب يسمو ... بين كل الشعوب مجداً وفضلا
ولك الفضل يا بشارة خوري ... من سما في العلوم نهلاً وعلا
عاد عيد لنهضة العز فيكم ... أبداً دائماً يعود مطلا
أكثر الله منك للعرب شكلاً ... لتكون الحياة للعرب ظلا
أنت بالأخطل الصغير تسمى ... بل من الحق بالكبير وأعلى
خذ جواباً على المديح بمثلٍ ... لكن المدح منك أحلى وأغلى
ولك الشكر من لساني وقلبي ... كل وقت الحياة يُملى ويُتلى
وكذا الشعب في الكويت تراه ... بلسان المقال يهديك أهلا
وإلى شعب لبنان أبدي سلامي ... أنت نعم الوسيط تبديه قولا
حقق الله للعروبة مجداً ... وسموا في الحياة قولاً وفعلا
أنت لا زلت سابقاً بالتهاني ... ولك الفضل ترتقيه محلا

(*) الشيخ عبدالله الجابر الصباح «الكويت» - ١٨٩٦ - ١٩٩٦
- رائد التعليم الحديث في الكويت. عمل رئيساً للمحاكم ورئيساً لدائرة الأيتام، ووزيراً للتربية، ثم وزيراً للتجارة. رأس النادي الأدبي عام١٩٢٤.
- المستشار الخاص لصاحب السمو أمير الكويت كان آخر مناصبه.

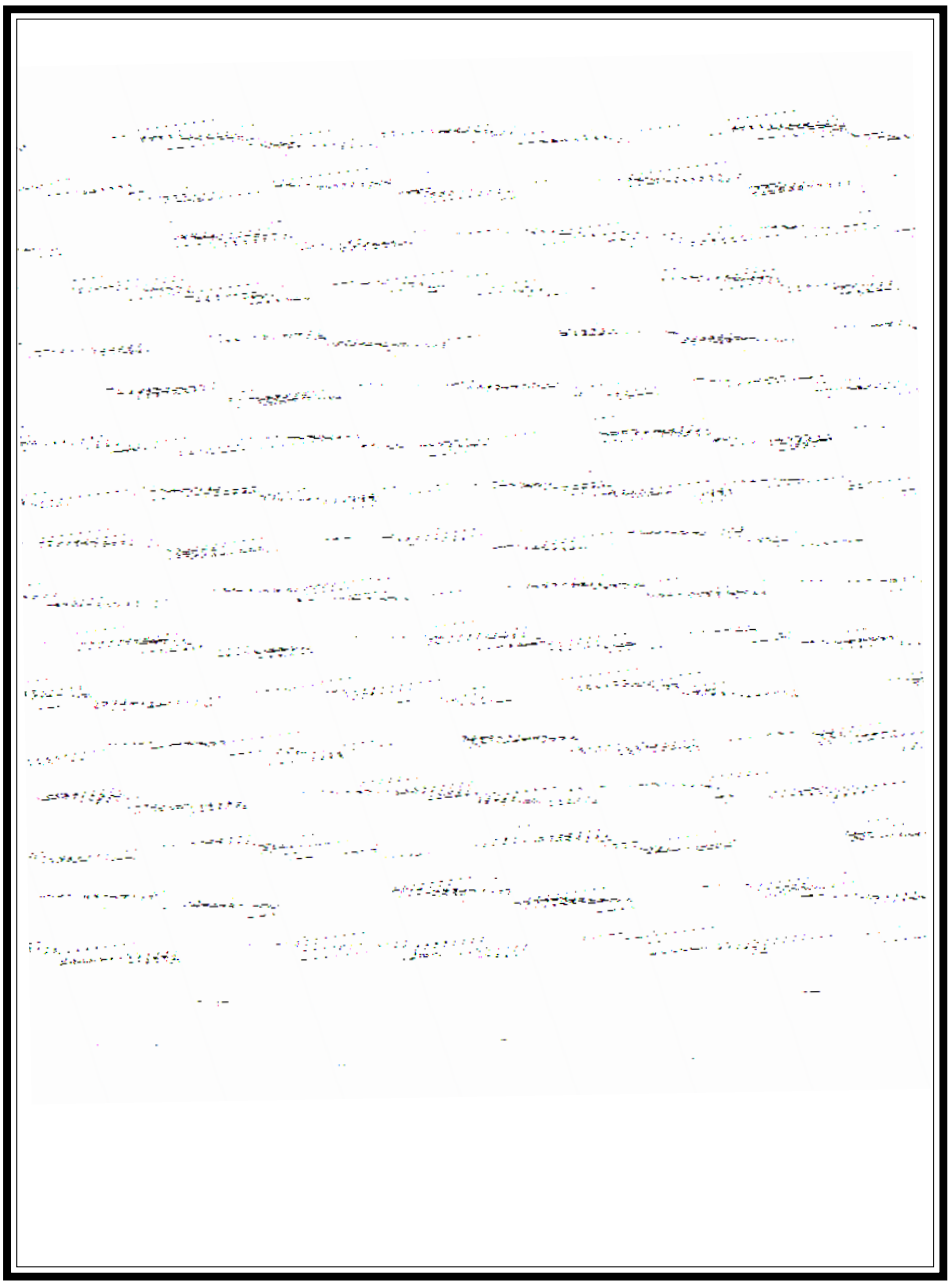

عن مدينة الغمائم الزرقاء
ريوده جانيرو في ١٨ أيلول ١٩٥٤

يا أبا عبدالله

رجوتك بألا تحسب سكوتي عن كلمة أقولها في «الهوى والشباب». تجنياً على وداد عاطر حفظته لك في الصدر والقلب. أو تعنتا مني على شعر رفيع كنتَ أول من شرع شراعه وحسر قناعه على فجوة المتوسط، فلا استغراق في الصحراء – ولا توثب إلى ما وراء الدأماء.... بل كان بين مد الغرب وجزر الشرق موجة مستقلة لها في اشرئبابها لمعة الشمس في غمائم الربيع.

إنما في الفترة التي تناولت بها ديوانك الخالد اتفق أن تناولت خلالها دواوين شعرية لبعض الأدباء من لبنان ومصر ومن مهاجرنا هنا. وكلها تستحق التقريظ والتمحيص.

بيد أن ديوانك الهوى والشباب له في النفس حرمة خاصة وفيه من بسمات الحب ودموعه ما يوقظ في الأعصاب نزوات الصبا يوم كنا لا نعرف على مقاعد المدرسة شعراً سوى شعرك ينسرب في عروقنا هزة من طرب وخمرة من عنب تذكي لواعج وخوالج وذكريات.

وكم ذا حملناه على شفاهنا الى صبايا القرية في عشيات الصيف المقمرة قُبَلاً رمانية الطعم وردية الشم... ففي كل مقطع منه تذكار لوعد في مخبأ محبب.. وفي كل شطرة ذكرى لخلوة هنية رضية في عرزال مقبّب.

وكم تنقل شعرك يا أخي بين خيام منصوبة في كروم الجبل وقصور مرفوعة على رمال الشاطئ.

وكم دخل خدور الحسان واستقر بين نهود وقلوب قصاصات مبللة بالدمع والطيب لذكرى حبٍ وحبيب...

عن مدينة الغمائم الزرقاء

ريو ده جانيرو ١٨ ايلول ٩٥٤

يا ابا عبدالله .

رجوتك بالا تحسب سكوتي عن كلمة اقولها في الهوى والشباب تجنيا على وداد عاطر حفظته لك في الصدر والقلب . او تعنتا مني على شعر رفيع كنت اول من شرع شراعه وحسر قناعه على فجوة المتوسط ، فلا استغراق في الصحراء - ولا توثب الى ما وراء الدماء .. بل كان بين مد الغرب وجزر الشرق موجة مستقلة لها في أشرء بابها لمعة الشمس في غمائم الربيع .

انما في الفترة التي تناولت بها ديوانك الخالد اتفق ان تناولت خلالها دواوين شعرية لبعض الادباء من لبنان ومصر ومن مهاجرنا هنا . وكلها تستحق التقريظ التمحيص .

بيد ان ديوانك الهوى والشباب له في النفس حرمة خاصة وفيه من بسمات الحب ودموعه ما يوقظ في الاعصاب نزوات الصبى يوم كنا لا نعرف على مقاعد المدرسة شعرا سوى شعرك ينسرب في عروقنا هزة من طرب وخمرة من عنب تذكي لواعج وخوالج وذكريات .

وكم ذا حملناه على شفاهنا الى صبايا القرية في عشيات الصيف المقمرة قبلا رمانية الطعم وردية الشم .. ففي كل مقطع منه تذكار لموعد في مخبأ محبب .. وفي كل نظرة ذكرى لخلوة هنية رضية في عرزال مقبب

وكم تنقل شعرك يا اخي بين خيام منصوبة في كروم الجبل وقصور مرفوعة على رمال الشاطئ .

وكم دخل خدور الحسان واستقر بين نهود وقلوب قصاصات مبللة بالدمع والطيب لذكرى حب وحبيب ..

ويشهد الله أنني ما بخستك يوماً حقك في التقدير يا أبا عبدالله، فلكم ناديت بك أميراً على الشعراء العاطفيين وإماماً للمتغزلين على صفحات مجلتي (الأندلس الجديدة) يوم أشرق بإشراقها الأدب اللبناني في هذه الشواطئ القصية الشذية.

وإذا كنتُ ممن يبخسونك حقاً ويتجاهلون لك فضلاً فأي علم نهزه في جبهة الشرق سواك وأي سنديانة جبارة للشعر نصبها الجبل الأشم في ساحة الدهر إلاك، وفي (عُمر ونعمى) وحدها ما يؤبد ذكراك.

شوقي إليك وحنيني الى عشية مفاكهة معك في دارك الأنيسة بين طلاوة وحلاوة أحاديثك وبياض شعرك وجلال الأيام من حولك والأضواء تنتشر في غبوة المغيب عن يمينك وشمالك في السفح والجبل تحسه وتلمسه في الحروف والحركات من رسالتي هذه إليك.

أبقاك الله للبنان ذخره وللأدب والشعر دنّه وزقّه وللمعجب المخلص.

شكـــر الله الجـــر(*)

قبلات لمحامينا العزيز عبدالله واحترام لأمه.وتحية خاصة للعزيز بطرس معوض (في الأحرار) وقبلات خاصة لكم جميعا من الأخ العزيز نخلة وهو جالس الى يميني يذرف دمع الشوق والحنين إليكم.

****

(*) **شكر الله الجر «لبنان - المهجر» - ١٩٠٧ - ١٩٧٥**

- شاعر - عمل بالتجارة في البرازيل وانقطع إلى الصحافة سنة ١٩٣٠ فأصدر مجلة «الأندلس الجديدة» شهرية، وصحيفة «الحرية» أسبوعية عمل على تأسيس «العصبة الأندلسية» في «سان باولو».

ويشهد الله انني ما بخستك يوما حقك من التقدير يا ابا عبدالله، فلكم ناديت بك اميرا على الشعراء العاطفيين واماما للمتغزلين على صفحات مجلتي (الاندلس الجديدة) يوم اشرقت باشراقها الادب اللبناني في هذه الشواطئ القصية الشذية.

واذا كنتُ ممن يبخسونك حقا ويتجاهلون لك فضلا فاي علم نهزه في جبهة الشرق سواك واي سنديانة جبارة للشعر نصبها الجبل الاشم في ساحة الدهر الاك، وفي (عمر ونعمى) وحدها ما يؤبّد ذكراك.

شوقي اليك وحنيني الى عشية مفاكهة معك في دارك الانيسة بين طلاوة وحلاوة احاديثك وبياض شعرك وجلال الايام من حولك والاضواء تنتشر في غشوة المغيب عن يمينك وشمالك في السفح والجبل تحسه وتلمسه في الحروف والحركات من رسالتي هذه اليك

ابقاك الله للبنان زخره وللادب والشعر دنه وزقّه وللمعجب المخلص

شكر الله الجرّ

قبلات لمحامينا العزيز عبدالله

واحترام لأمه.

وتحية خاصة للعزيز بطرس معوض (في الاحرار)

وقبلات خاصة لكم جميعا من الأخ العزيز نخله وهو جالس

الى يميني يذرف دمع الشوق والحنين اليكم..

مكسيكو ٣٠ أيار ١٩٥٤

سيدي وأخي أبا عبدالله

حمل إليّ البريد عشية أمس هديتك الثمينة «الهوى والشباب» فانصرفت إليها عن مشاغلي كلها وقضيت معك ساعات غمرني فيها شعرك الساحر بجو فني لا يتسنى للواحد منا إلا في حضرة الملهمين وأنت منهم في الطليعة.

غداً عندما يكتب مؤرخو الآداب تاريخ الأدب العربي في النصف الأول من القرن العشرين فسيضفرون على مفرق وطننا لبنان ـ بفضلك أنت ـ إكليلاً من المجد ينضم إلى عشرات

LEGACION DE LIBANO
CAMPOS ELISEOS 297
MEXICO, D. F.

مكسيكو ٢٠ أيار ١٩٥٤

خليل تقي الدين

سيدي وأخي أبا عبدالله

حمل إلي البريد عشية أمس
هديتك الثمينة «الهدى والشباب» فانصرفت إليها عن مشاكلها وقضيت معك ساعات غمرني فيها شعرك الساحر بجوّ فنّي لا يتسنى للواحد منّا إلّا في حضرة المهيمن وأنت منهم في الطليعة.

غداً عندما يكتب مؤرخو الآداب تاريخ الأدب العربي في النصف الأول من القرن العشرين فسيظفرون على مفرق وطننا لبنان - بفضلك أنت - إكليلاً من المجد ينضم إلى عشرات

الأكاليل التي يكاد ينوء بها رأس جبلنا الفتي الأشيب. فلقد حملتَ لواء الشعر العربي مدى خمسين عاماً غنّيت فيها ألحان الحب والجمال، وذوبت نفسك في قوافيك، ورجّعت صدى ملايين النفوس النابضة بخفقة الحب، وعلّمتها كيف يكون الإحساس بالحسن والهوى وصبابة العاشقين. ثم التفتّ الى أفراح قومك وأتراحهم فجعلت من الفن الرفيع وسيلة عليا إلى الإعراب عنها ببيان عربي مبين وشعر جمعت فيه بين جديد العصر وجزالة القديم، فكنت ولا تزال ثروة أغنى بها لبنان دنيا العرب وكان بك لبنان جبل الوحي والعبقرية كما كان الأولب في حضارة اليونان.

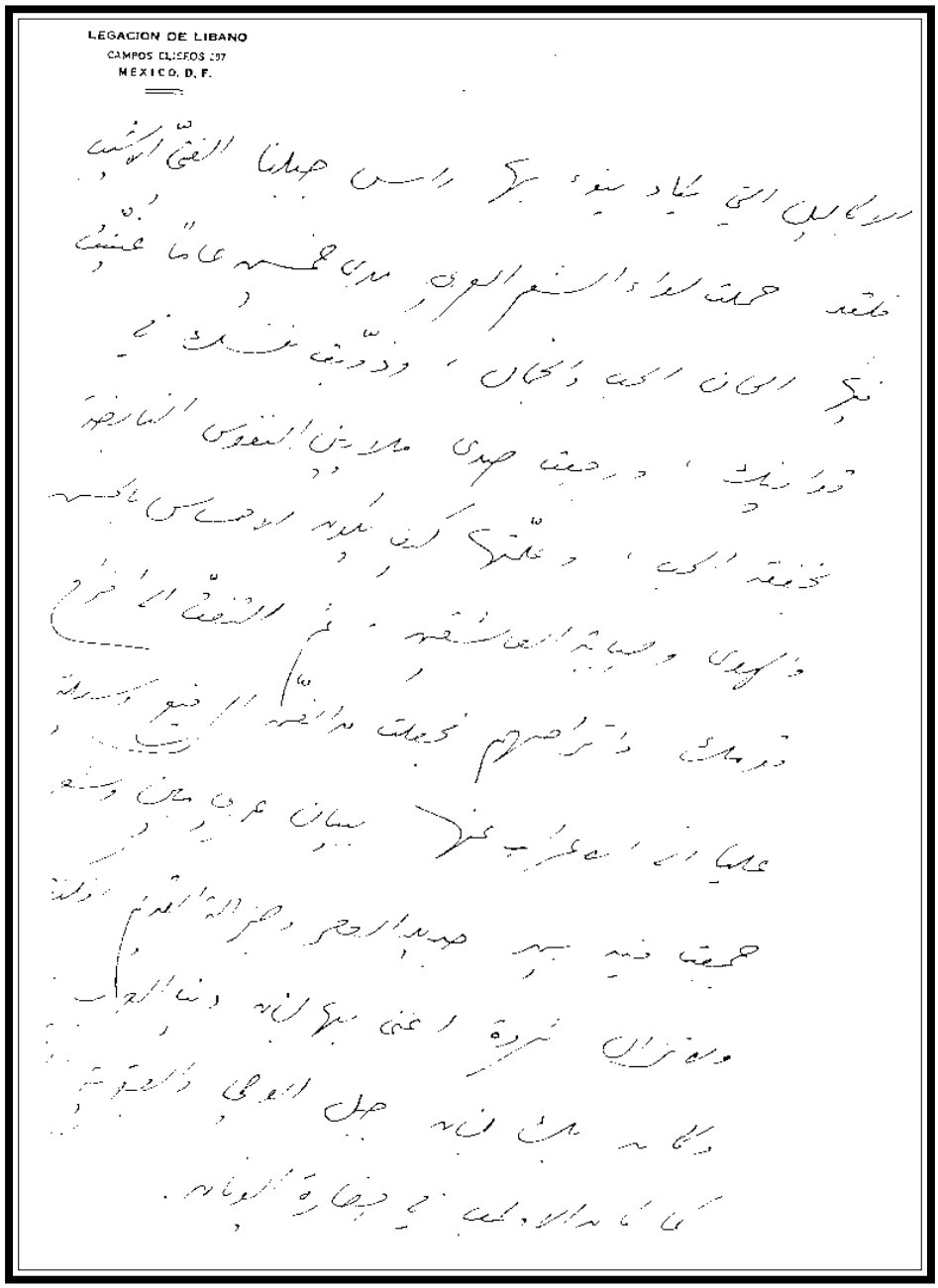
LEGACION DE LIBANO
CAMPOS ELISEOS 257
MEXICO, D. F.

فإليك يا سـيدي وأخي وصديقي تهنئتي الخالصة على هـذه التحفـة التي أغنيت بها المكتبة العربية.

حفظ الـله دولـة الأدب والشـعـر وأبـقـاك أمـيـراً مـن أمـرائها المقدمـين.

خليل تقي الدين(*)

****

(*) **خليل تقي الدين (لبنان)** -١٩٠٨-١٩٨٧

- أديب ودبلوماسي نال إجازة الحقوق وشغل وظيفة أمين عام مجلس النواب عام ١٩٤٣
- عين سفيراً للبنان في موسكو ثم في استكهولم وعاد إلى موسكو ومنها إلى القاهرة، فأنقرة ثم لندن..

LEGACION DE LIBANO
CAMPOS ELISEOS 297
MEXICO, D. F.

ميخائيل نعيمة

بسكنتا ـ لبنان

٢٩ آذار ١٩٥٤

أخي العزيز بشارة

أسلم عليك أطيب السلام وأرجو أن تكون في خير حال.

وبعد، فقد تلقيت بالشكر النسخة الخاصة من «الهوى والشباب» التي تلطفت بإهدائها إليّ. فأحللتها من نفسي ومن مكتبتي المتواضعة المكانة اللائقة بها.

لقد غنّيت جيلك يا أخي أعذب الأغاني. فأطربته وأغنيته وأطلقت لسانه بالثناء والغناء. وكنت أميناً في غنائك لنفسك ولجيلك وللشعر الذي اخترته وسيلة للإفصاح عن خلجات قلبك فأضفيت عليه الكثير من زاهي الألوان ومستحبها، وأفرغت في عروقه دماً من جراحك وسلافة من أفراحك. وإذا به ذو رونق خاص، هو رونق «الأخطل الصغير».

أمّا وقد خطوت الخطوة الأولى في نشرك «الهوى والشباب» فما عليك إلا أن تتبعها بثانية وثالثة فتنشر كل ما تبقى لديك من صالح شعرك. فهو ليس بعد ملكك بل ملك العرب أينما كانوا ومن حقهم أن يحتفظوا به في مكتباتهم. بارك الله فيك وزادنا من مواهبك وخيراتك.

المخلص

ميخائيل نعيمة(*)

****

(*) **انظر الهامش ص(٢١).**

ميخائيل نعيمه

بسكنتا ـ لبنان

٢٩ اذار ١٩٥٤

اخي العزيز بشاره

سلام عليك أطيب السلام وأرجو ان تكون في خير حال.

وبعد فقد تلقيت بالشكر النسخة الخاصة من "الهوى والشباب" التي تلطفت باهدائها اليّ. فاحللتها من نفسي ومن مكتبتي المتواضعة المكانة اللائقة بها.

لقد غنّيت جيلك يا أخي أعذب الأغاني. فاطربته وأغنيته، وأطلقت لسانه بالثناء والغناء. وكنت أميناً في غنائك لنفسك ولجيلك وللشعر الذي اخترته وسيلة للافصاح عن خلجات قلبك فأضفيت عليه الكثير من زاهي الالوان ومستحبها، وأفرغت في عروقه دماً من جراحك وسلافة من افراحك. واذا به ذو رونق خاص، هو رونق "الأخطل الصغير".

اما وقد حظوت الحظوة الاولى في نشرك "الهوى والشباب" فما عليك إلا ان تتبعها بثانية وثالثة فتنشر كل ما تبقى لديك من صالح شعرك. فهو ليس بعد ملكك بل ملك العرب اينما كانوا ومن حقهم أن يحتفظوا به في مكتباتهم. بارك الله فيك وزادنا من مواهبك وخيراتك

المخلص

ميخائيل نعيمه

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الداخلية
مكتب الوزير

الرقـــــم: ٥٠
التاريـــخ: ١٣٧٣/٧/١٢
(١٩٥٤م.)

حضرة الفاضل الأستاذ بشارة الخوري المحترم

شكراً لتحيتكم ولهديتكم معاً.. وقد تلقيت المجلد الخاص بي من ديوانكم (الهوى والشباب) وكل نفسي ابتهاج وتقدير، ابتهاج بهذه التحفة الرائعة، وتقدير لعبقريتكم الشعرية الساطعة.

مرة أخرى شكراً وإلى اللقاء في ربوع لبنان الحبيب،،،

عبدالله الفيصل (*)

****

(*) الأمير عبدالله الفيصل آل سعود «المملكة العربية السعودية» - ١٩٢٣ -
- شاعر وواحد من أبرز المساهمين في الحركة الأدبية والرياضية في المملكة، غنت له أم كلثوم بعض أشعاره.
- تبوأ عدداً من المراكز بينها وزير الداخلية.وحالياً رئيس مجلس الأمناء لمؤسسة الملك فيصل الخيرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الداخلية
مكتب الوزير

الرقم ... ٥٠
التاريخ ... ١٢/٧/٧٣
المشفوعات .....

حضرة الفاضل الاستاذ بشاره الخورى المحترم

شكرا لتحيتكم ولهديتكم معا .. وقد تلقيت المجلد الخاص بي من ديوانك ((الهوى والشباب)) وكل نفسي ابتهاج وتقدير ابتهاج بهذه التحفة الرائعه ، وتقدير لعبقريتكم الشعريه الساطعة .

مرة اخرى شكرا والي اللقاء في ربوع لبنان الحبيب ...

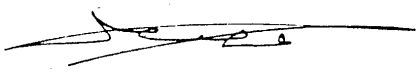

سيدي الشاعر الكبير

تلقيت هديتك النفيسة «الهوى والشباب» بفرح وفخر كبيرين وسررت كل السرور لعبارة الإهداء الرقيقة التي تفضلت وكتبتها إلي راجية أن أكون عند حسن ظنك بي.

وثق يا سيدي الأديب بأني لست حديثة العهد بالإعجاب فيك وفي شعرك الموسيقي الرقيق الذي يلاقي صدىً في كل روح متطلعة للحب والخير والجمال. بل كنت منذ شببت وما زلت أترنم بترديد قصائدك الحلوة وأناشيدك العذبة.

حفظك الله دعامة للشعر العربي المعاصر وذخراً لوطنك والعروبة. ولك مني خالص الامتنان والاحترام مع فائق الإعجاب.

سلمى الحفار الكزبري(*)

دمشق ١٩٥٤/٣/١٠

****

(*) **سلمى الحفار الكزبري** «**سوريا**» - ١٩٢٣ -
- أديبة. ساهمت في تأسيس جمعية الهلال الأحمر وانتخبت رئيسة جمعية مبرة التعليم والمواساة، مثلت الحكومة السورية في مؤتمر لجنة حقوق المرأة وطالبت منظمة الأمم بالعمل في سبيل منح

سيدي الشاعر الكبير

تلقيت هديتك النفيسة «الهوى والشباب»
بفرح وفخر كبيرين وسررت كل السرور
لعبارة الإهداء الرقيقة التي تفضلت
وكتبتها إلي راجية أن أكون عند حسن
ظنك بي.

وثق يا سيدي الأديب بأني لست حديثة
العهد بالإعجاب فيك وفي شعرك
الموسيقي الرقيق الذي يلاقي صدىً في
كل روح متطلعة للحب والخير والجمال. بل
كنت منذ شببت وما زلت أترنّم بترديد
قصائدك الحلوة وأناشيدك العذبة
حفظك الله دعامة للشعر العربي المعاصر
وذخراً لوطنك والعروبة. ولك مني خالص
الامتنان والاحترام مع فائق الإعجاب

دمشق ١٠/٣/٩٥٤

إلى الشاعر الساحر الأستاذ بشارة الخوري

الآن في هدأة من الليل الساجي طويت آخر صفحة من ديوانك «الهوى والشباب» فما أدري أكنت أنشد شعراً أم أعاقر خمراً:

رقـيق كـمـا غـنـت حـمـامـة أيـكـةٍ

وجـزل كـمـا شق الـهـواء عـقـابُ

فشكراً لك على ما أهديت وما أحلى ما أهديت... «الهوى والشباب» بعد مشيبي والمتاب... أفشعر هذا أم سحر مبين أيها الساحر العظيم.

تقبل أطيب تحية من أخيك.

المخلص

خليل مردم بك(*)

دمشق في ١٥ شباط سنة ١٩٥٤

****

(*) **خليل مردم بك** «**سوريا**» - ١٨٩٥ - ١٩٥٩

- أديب وشاعر وناثر «رئيس الجمعية الأدبية في دمشق» وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق وأمينه العام وعين وزيراً للمعارف وعضواً مراسلاً لمجمع فؤاد الأول بالقاهرة وعين وزيراً مفوضاً لسوريا في العراق ثم عين وزيراً للخارجية ورئيساً للمجمع العلمي العربي، له عدد كبير من المؤلفات.

الى الشاعر الساحر الاستاذ بشارة الخوري

الآن في الهدأة من الليل الساجي طويت آخر صفحة من ديوانك «الهوى والشباب» فما أدري أكنت أنت شعراً أم أعاقر خمراً

رقيق كلما غنت حمامة أيكة وجزل كلما شق الهواء عقاب

فشكراً لك على ما أهديت وما أحلى ما أهديت ... «الهوى والشباب» بعد سيجي والمتاب .... أفشعر هذا أم سحر مبين أيها الساحر العظيم.

تقبل أطيب تحية من أخيك

المخلص
خليل
مردم بك

دمشق ١٥ شباط ١٩٥٤م

في ١٠ شباط سنة ١٩٥٤

أستاذي الكبير

تلقيت بيد السرور هديتكم الغالية «الهوى والشباب» فنزلت من نفسي أطيب منزل، وأرجعتني نفائسها ربع قرن الى الوراء، أستعيد ذكريات الدراسة واقتبال الشباب، يوم كانت قصائد شاعرنا العبقري الأخطل الصغير تملأ جوَّنا طربا، وقلوبنا نشوة، وتخلق لنا ساعات العمر السعيد.

ومرت الأيام، وراحت معها ذكريات كثيرة، وأما شعرك الحي فظل راسخاً في القلب وعلى اللسان، يرينا الجمال ساعة نشتاق إليه ويسقينا العذوبة ساعة نظمأ إليها، ومشى بشارة الخوري يكبر فينا، ولا سيما في أيامنا الوطنية، حتى بلغ القمة من تقديرنا وحبنا وإعجابنا.

وإذا قلت لك إني فخور بك ففخاري بشعرك الذي غنّى لأمتك أمجادها وأمانيها، وبأنك الوفي بقومك وإخوانك. وإذا كانت هذه الحقبة التي مرت على بلادنا كانت مليئة بالحوادث والأحداث، فإن من حقنا أن نرى فيها أننا ملكنا بشعرك الرائع مجلس الصدارة من الشعر، وظل لبناننا فخر العروبة ومفخرة الضاد.

ولك ختاماً أطيب تمنياتي وأصدق مودتي.

المخلص

صائب سلام(*)

(*) **صائب سلام «لبنان» - ١٩٠٥ -**

- سياسي نال شهادة الاقتصاد من جامعة لندن وأسس ورأس طيران الشرق الأوسط ، عين سنة ١٩٤٦ وزيراً للداخلية وعام ١٩٥٢ رئيساً للوزارة وأوكلت إليه وزارات: الداخلية، الخارجية، الدفاع، الأنباء، الزراعة.

في ١٠ شباط سنة ١٩٥٤

استاذى الكبير

تلقيت بيد السرور هديتكم الغالية " الهوى والشباب " فنزلت من نفسي اطيب منزل ، وارجعتني نفائسها ربع قرن الى الوراء ، استعيد ذكريات الدراسة واقتبال الشباب ، يوم كانت قصائد شاعرنا العبقرى الاخطل الصغير تملأ جونا طربا ، وقلوبنا نشوة ، وتخلق لنا ساعات العمر السعيد .

ومرت الايام ، وراحت معها ذكريات كثيرة ، واما شعرك الحي فظل راسخا في القلب وعلى اللسان ، يرينا الجمال ساعة نشتاق اليه ويسقينا العذوبة ساعة نظمأ اليها ، ومشى بشارة الخورى يكبر فينا ، ولا سيما في ايامنا الوطنية ، حتى بلغ القمة من تقديرنا وحبنا واعجابنا .

واذا قلت لك اني فخور بك ففخارى بشعرك الذى غنّى لامتك امجادها وامانيها ، وبانك الوفي بقومك واخوانك ، واذا كانت هذه الحقبة التي مرت على بلادنا كانت مليئة بالحوادث والاحداث ، فان من حقنا ان نرى فيها اننا ملكنا بشعرك الرائع مجلس السدارة من الشعر ، وظل لبناننا فخر العروبة ومفخرة الضاد .

ولك ختاماً أطيب تمنياتي واصدق مودتي

المخلص

صائب سلام

أخي الحبيب بشارة!

وصلت إلي نسخة «الهوى والشباب» التي تفضلت بإهدائها إلي فسررت بها سروراً عظيماً. ومع أني كنت قد قرأت من قبل جميع القصائد والمقطوعات المثبتة في هذا الديوان وأحفظ الكثير من أشعارة، فقد وجدت لذة عظمى في إعادة قراءته. فهو من نوع تلك الصور واللوحات الفنية البديعة والتماثيل البارعة التي يطيب للإنسان تكرار مشاهدتها، أو الموسيقى العذبة المطربة التي لا تمل الأذن سماعها، أو الوجه الجميل الفاتن الذي لا تكل العين من النظر إليه على حد قول الشاعر:

يزيدك وجهها حسناً

إذا ما زدته نظرا

وسأعيد مطالعة «الهوى والشباب» كلما أردت اللذة والمتعة، ثم هو يذكرني بصديق الصبا الذي لا تبلي الأيام والحوادث صداقته في زمان قل من يحفظ فيه الصداقات.

وبعد فإني أهنئك بإخراج هذه التحفة التي أضافت درة فريدة الى قلادة الشعر العربي، قديمه وحديثه، بل الشعر العالمي. وضمنت لك تسجيل اسمك في زمرة الخالدين. وتقبل في الختام شكري الجزيل على هديتك الثمينة وطال بقاؤك لصديقك المخلص.

شكري كنيدر(*)

حلب في ١٠ شباط ١٩٥٤

(*) **شكري رزق الله كنيدر** «**سوريا**» - ١٨٨٢ - ١٩٦٤

AT-TAKADDOM
JOURNAL QUOTIDIEN
POLITIQUE & LITTÉRAIRE
FONDÉ EN 1908

PROPRIÉTAIRE - DIRECTEUR
CHOUKRI KNAIDER

BOITE POSTALE 129
TÉLÉPHONE : 5-45
TÉLÉGR. : ATTAKADDOM

ALEP, le
(SYRIE)

التقدم
جريدة يومية سياسية ادبية
انشئت سنة ١٩٠٤
صاحبها ورئيس انشائها
شكري كنيدر
صندوق البريد ١٢٩
رقم التلفون : ٤٥-٥
العنوان التلغرافي : التقدم

حلب في

اخي الحبيب بشارة!

وصلت الي نسخة "الهوى والشباب" التي تفضلت باهدائها الي. فسررت بها سرورا عظيما. ومع اني كنت قد قرأت من قبل جميع القصائد والمقطوعات المثبتة في هذا الديوان واحفظ الكثير من اشعاره. فقد وجدت لذة عظمى في اعادة قراءته. فهو من نوع تلك الصور واللوحات الفنية البديعة والتماثيل البارعة التي يطيب للانسان تكرار مشاهدتها، او الموسيقى العذبة المطربة التي لا تمل الاذن سماعها، او الوجه الجميل الفاتن الذي لا تكل العين من النظر اليه على حد قول الشاعر

يزيدك وجهها حسنا اذا ما زدته نظرا

وساعيد مطالعة "الهوى والشباب" كلما اردت اللذة والمتعة، ثم هو يذكرني بصديق الصبي الذي لا تبلى الايام والحوادث صداقته في زمان قل من يحفظ فيه الصداقات وبعد فاني اهنئك باخراج هذه التحفة التي اضافت درة فريدة الى قلادة الشعر العربي، قديمه وحديثه، بل الشعر العالمي. وضمنت لك تسجيل اسمك في زمرة الخالدين. وتقبل في الختام شكري الجزيل على هديتك الثمينة وطال بقاؤك لصديقك المخلص

شكري كنيدر

حلب في ١٠ شباط ١٩٥٤

في ٩ شباط ١٩٥٤

أستاذي وصديقي الحبيب أبا عبدالله

غمرتني بحبك وعطفك فكان «الهوى والشباب» أغلى هدايا العمر. وأمنيتي أن تساعدك الظروف الكريمة فتكمل طبع غررك في دواوين متتابعة لتكون مدرسة، وأية مدرسة! لأدباء العربية – الآن ، وفي الأجيال المقبلة – في مختلف أمصارهم، فيظل عزاؤنا الوحيد في أن جنة الشعر العربي ما تزال هنا، في موطننا الصغير الجميل – لبنان.

وأغتنم هذه المناسبة السعيدة لأنقل اليك بعض ما سمعته في مجلس الرئيس المحبوب، صائب بك من ثناء عليك، وإعجاب بك، وتقدير لصرخاتك الوطنية الخالدة. وأتمنى أن أراك في أقرب وقت فأتفق معك على موعد تعينه لأن الرئيس يود أن يجمع حولك بعض إخوانك الذين تختارهم أنت، في جلسة خاصة في بيته تكريمًا لك وتقديراً.

تكرارًا يا أستاذنا الحبيب أشكرك وأبثك ، من الأعماق، شوقي وإخلاصي.

أخوك

يوسف يزبك(*)

****

(*) **يوسف يزبك** «**لبنان**» – ١٩٠١ – ١٩٨٣

– مؤرخ وصحفي أصدر سنة ١٩٥٥ «أوراق لبنانية» وهي مجلة فصلية اعتنت بتاريخ لبنان.

طيران الشرق الاوسط

(شركة الطيران اللبناني ش.م)

المركز الرئيسي : بيروت - ساحة النجمة

تلغرافيا : الاجنحة
صندوق البريد : ٢٠٦
السجل التجاري : ١٨٣٨

تلفونات المركز الرئيسي: ٩٦ - ٦٠ / ٩٦ - ٦١ / ٩٦ - ٦٢ / ٩٦ - ٦٣ / ١٩ - ٢٧

المطار: ٨٨ - ٦٦ / ٨٨ - ٦٧

في ٩ شباط
١٩٥٤

استاذي وصديقي الحبيب ابا عبدالله

غمرتني بحبك وعطفك فكان "الهوى والشباب" اغلى هدايا العمر. وامنيتي ان تساعدك الظروف الكريمة، فتكمل طبع غررك في دواوين متتابعة لتكون مدرسة، واية مدرسة! لادباء العربية - الآن، وفي الاجيال المقبلة - في مختلف امصارهم، فيظل عزاؤنا الوحيد في أن جنة الشعر العربي ما تزال هنا، في موطننا الصغير الجميل - لبنان

واغتنم هذه المناسبة السعيدة لانقل اليك بعض ما سمعته في مجلس الرئيس المحبوب، صائب بك من ثناء عليك، واعجاب بك، وتقدير لصرخاتك الوطنية الخالدة. وأتمنى ان اراك في أقرب وقت فاتفق معك على موعد تعيّنه لان الرئيس يود ان يجمع حولك بعض اخوانك الذين تختارهم أنت، في جلسة خاصة في بيته تكريماً لك وتقديراً

تكراراً يا استاذنا الحبيب أشكرك وأبثك، من الاعماق، شوقي واخلاصي

اخوك

[illegible]

[illegible]

الوكلاء العموميون: لشركة بان اميركان الجوية العالمية

عن حلب ٤ شباط عام ١٩٥٤

سيدي المفضال الأستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير) المحترم

بيروت

تحية وشوقاً. وصلتني هديتك القيمة والتحفة الكريمة، ديوانكم (الهوى والشباب) ولقد نزل في فؤادي وفي هواي أحسن منزلة فهو حقاً هواي وشبابي، ولئن كانت المكتبات العربية قد انتظرت طويلاً ديوان أبي عبدالله فهو لا شك أنه اليوم يحتل منها الصدارة، وإن الأرواح لمغتبطة جداً بهذا الذي يحييها، ومن للروح غير شعر الأخطل يبعث بها ويجددها ويذكيها.

سيدي الأستاذ!

إني لأشكركم أجزل الشكر على عاطفتكم وعلى ذكراكم للمعجبين بكم، وما أنت إلا معلم الناس الوفاء بالرغم عما تطبع به هذا الزمان من جحود ونكران، فبورك بالشعر والأدب ينشران الأخلاق، والله يجزيك خيراً ويبقيك لدولة الأدب والشعر تحمل لواءهما ويديمك للعروبة سيداً كريماً.

لقد أهاجت الذكرى الحنين إليك، فهلا قبلت مني دعوة لزيارة حلب في نيسان أم مايس نعيد مجلس الأدب والشعر بعد هجران وتطفئ نار الشوق إليك المتأججة في صدر عاصمة بني حمدان ولقد رفعتها الى سدرة المنتهى في شعرك؟

آمل أن يكون جوابك قبولاً وإلى اللقاء والسلام عليكم ورحمة الله.

المشتاق

محمد سعيد الزعيم(*)

(*) **محمد سعيد الزعيم «سوريا»** - ١٩٠٥ - ١٩٦٣

محمد سعيد العريس
حلب

هاتف : المكتب : ١٠٦٦٠
المنزل : ١٤٩٧٦
ص.ب : ٧٢

عن حلب شباط عام ١٩٥٤

سيدى المفضال الأستاذ بشارة الخورى (الأخطل الصغير) المحترم

بيروت

تحية وشوقا • وصلتني هديتكم القيمة والتحفة الكريمة ، ديوانكم (الهوى والشباب) ولقد نزل في فؤادى وفي هواى أحسن منزلة فهو حقا هواى وشبابي ، ولئن كانت المكتبات العربية قد أنتظرت طويلا ديوان ابي عبد الله فهو لا شك اليوم يجتل منها الصدارة ، وان الأرواح لمغتبطة جدا بهذا الذى يحييها ومن للروح غير شعر الأخطل يبعث بها ويجددها ويذكيها •

سيدى الأستاذ !

اني لأشكركم أجزل الشكر على عاطفتكم وعلى ذكراكم للمعجبين بكم ، وما أنت الا معلم الناس الوفاء بالرغم عما تطبع به هذا الزمان من جحود ونكران ، فبورك بالشعر والأدب ينشران الأخلاق ، والله يجزيك خيرا ويبقيك لدولة الأدب والشعر تحمل لوائهما وبديعك للعروبة سيدا كريما ،

لقد أهاجت الذكرى الحنين اليك ، فهلاقبلت مني دعوة لزيارة حلب في نيسان أم مايس نعيد مجلس الأدب والشعر بعد هجران وتطفىء نار الشوق اليك المتأججة في صدر عاصمة بني حمدان ولقد رفعتها الي سدرة المنتهى في شعرك ؟

أمل أن يكون جوابك قبولا والي اللقاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

دمشق ٣ شباط ١٩٥٤

أخي أبا عبدالله:

هبت عليَّ نفحات الهوى، وطلعت عليَّ روائح الشباب، فأخذت أُروّي شفتي من هذا الهوى، وأُمتّع قلبي من هذا الشباب، وكل شعر يروّيني من الهوى ويشبعني من الشباب إنما هو الشعر الذي يحركني، وشعرك يا أخي من هذا الطراز: فيه شبَع وفيه ريّ! مدَّ الله في حياتك .

شفيق جبري(*)

****

(*) **شفيق جبري** «**سوريا**» - ١٨٩٨ - ١٩٨٠
- أديب وشاعر وناثر. رئيس ديوان وزارة المعارف وعين عميداً لكلية الآداب بدمشق، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ومقرر لجنة الشعر مراسل مجمعي القاهرة وبغداد.

دمشق ٣ شباط ١٩٥٤

أخي أبا عبد الله!

هبت على نفحات الهوى، وطلعت علي روائح الشباب، فأخذت أروي شفتي من هذا الهوى، وأمتع قلبي من هذا الشباب، وكل شعر يروينا من الهوى ويشبعنا من الشباب إنما هو الشعر الذي يحركني وشعرك يا أخي من هذا الطراز: فيه شبع وفيه ري! عشت للحق في حياتك

شفيق جبري

وديع فارس البستاني

بناية «الاتحاد الوطني» رقم ١٩ ـ الصنايع

بيروت، ١٩٥٣/٥/٢٢

أخي الأخطل الصغير الأستاذ بشارة عبدالله الخوري

بطيه نسخة بخطي من الأبيات التي قلتها في اجتماع ١٦ الجاري صدى لأبياتك ولما تفضل به إخواننا الأدباء الخطباء من عبارات الرضاء عما حاوله هذا العاجز في سبيل العربية وأهلها، كلمات طيبات قيمات سمعتها ثانية عن شريط «حافظة» ولدي فؤاد، فازددتُ غبطةً بالفوز بها، أثراً يُذكر فيُشكر. وبالنية، إن شاء الله، أن أتمكن يوماً من نقل كل ما قيل الى الانكليزية، عملاً برغبة صادقةٍ أبداها لي سفيرا الهند بلبنان والعراق اللذان سمعا أبياتك والخُطب، أولاً، بقاعة الجامعة، وثانيةً معي عند ولدي، عن آلته «الحافظة» إن جازت تسميةً لآلة التسجيل. وشكراً خاصاً على كتابك الكريم، وإلى أن أحظى بلقياك وأنت على ما يرام من الخير والعافية، هذه مني الآن وسيلة للتحية والسلام.

المخلص

وديع البستاني(*)

****

(*) **وديع فارس البستاني** «**لبنان**» - ١٨٨٦ - ١٩٥٤
- أديب حقوقي وشاعر، من كبار المترجمين عن اللغة الإنجليزية.

وديع فارس البستاني

بناية "الاتحاد الوطني" - رقم ١٩ - الصنايع

بيروت في ٢٢/٥/١٩٥٣

أخي الأخطل الصغير الأستاذ بشارة عبد الله الخوري

بطيه نسخة بخطي من الأبيات التي قلتها في اجتماع ١٦ الجاري صدى لأبياتك ولما تفضل به إخواننا الأدباء الخطباء من عبارات الرضاء عمّا حاولهُ هذا العاجز في سبيل العربية وأهلها. كلمات طيبات قيّمات سمعتها ثانية عن شريط "حافظة" ولدي فؤاد، فازددتُ غبطةً بالفوز بها، أثرًا يُذكر فيُشكر، وبالنية، ان شاء الله، أن اتمكّن يومًا من نقل كل ما قيل الى الانكليزية، عملاً برغبة صادقة أبداها لي سفيرا الهند بلبنان والعراق اللذان سمعا أبياتك والخُطب، أولاً، بقاعة الجامعة، وثانيةً معي عند ولدي عن آلته "الحافظة" ان جازت تسميةً لآلة التسجيل. وشكرًا خاصًّا على كتابك الكريم، والى ان أحظى بلقياك وانت على ما يرام من الخير والعافية، هذه مني الان وسيلة للتحية والسلام

المخلص

وديع البستاني

١ حيٍّ في الـهـنـد أمـة يـقـظـانهْ
نـبَّـهت كل مـقـلـةٍ وَسْـنـانه

٢ إنه الـشـرق بـعـد تجـديـد (غـنـدي)
جـدد الـدهـر عـهـده وزمـانه

٣ علَّ عـنـدي من غِـيـتَـةِ المـهْـبَـراتـا
بـعـد نـهلٍ من كـوثـر الـرّامـيـانه

٤ بـرهَـمِـيّـاً، من أمـة الـفـكـر والـروح
أتـانـا، لا بـرهـميٍّ كَـهَـانه

٥ رامَ لـلـهـنـد من سـديمٍ كـيـانـاً
فـيه أضـوى حـتى الـفـنـاء كـيـانه

٦ حـكـمـة الـهـنـد لـلـخـلـود اجـتلاهـا
شـاعـرٌ حـنَّك الـنُّـهى، شـيـطـانه

٧ أيـهـا الحـافـلـون بـالـشـعـر حـولي
يـا رعى الـلـه فـيـكم مـهـرجـانه

٨ إنـه شـعـرُ شـاعـرٍ هِـنْـدويٍّ
فـاحـمـدوا سـحـره له وبـيـانه

٩ لـسـت لـلـشـاعـر المخـلَّـد إلا
شـبه ظل لـلـضـاد أدّى الأمـانه

١ حَيِّ فِي الْهِنْدِ أُمَّةً يَقْظَانَةْ نَبَّهَتْ كُلَّ مُقْلَةٍ وَسْنَانَةْ

∴

٢ إِنَّهُ الشَّرْقُ - بَعْدَ تَجْدِيدِ عَنْدِي، جَدَّدَ الدَّهْرُ عَهْدَهُ وَزَمَانَهْ

∴

٣ عَلَّ عَنْدِي مِنْ غِيبَةِ الْمَهْبَرَاتَا بَعْدَ نَهْلٍ، مِنْ كَوْثَرِ الرَّامِيَانَةْ

٤ بَرْهَمِيسَا، مِنْ أُمَّةِ الْفِكْرِ والرُّوحِ - أَتَانَا، لَا بَرْهَمِيَّ كَهَانَةْ

∴

٥ رَامَ لِلْهِنْدِ مِنْ سَدِيمٍ، كِيَانًا، فِيهِ أَضْوَى، حَتَّى الْفَنَاءِ، كِيَانَهْ

∴

٦ حِكْمَةُ الْهِنْدِ، لِلْخُلُودِ اجْتَلَاهَا شَاعِرٌ، حَنَّكَ النُّهَى، شَيْطَانَهْ

∴

٧ أَيُّهَا الْحَافِلُونَ بِالشِّعْرِ حَوْلِي يَا رَعَى اللهُ فِيكُمُ مِهْرَجَانَهْ

∴

٨ إِنَّهُ، شِعْرُ شَاعِرٍ، هِنْدَوِيٍّ، فَاحْمَدُوا سِحْرَهُ لَهُ وَبَيَانَهْ

∴

٩ لَسْتُ لِلشَّاعِرِ الْمُخَلَّدِ إِلَّا شِبْهَ ظِلٍّ، لِلصَّادِ أَدَّى الْأَمَانَةْ

١٠ أنـــا حـــسـبي في المـــهـرجـــان هـنـــاءً
أنـــني هـــاجـــرٌ، قـــضى هِـــجْـــرانه

١١ هـــاجـــرٌ، أكـــثـــر الـــطـــواف، ودوّى
جـــاعلاً، نـــصب عـــيـــنـــيه، لـــبـــنـــانه

١٢ جـــاور الحـــد، ديـــدبـــانـــا، ولمـــا
يـــعـــلم الحـــدُّ، من غـــد ديـــدبـــانه

١٣ وأمـــرُّ الأنـــكـــاد، في الـــعـــيش أن الـ
ـــجـــار يـــخـــشى من جـــاره عـــدوانه

١٤ ســـاء فـــألُ الحـــرِّ المـــرابط لمـــا
قـــلَّبَ الـــطـــرف، مـــا رأى شـــجـــعـــانه

١٥ أقـــفـــرَ الحيُّ حـــولَه، فـــهْـــو بـــاكٍ
بـــعـــد لـــيـــلى، مـــقـــبِّلٌ جـــدرانه

١٦ فـــاســـتـــوى، ســـادراً يُـــطـــوّي حـــشـــاه
كـــاظـــمـــاً، في ضـــلـــوعه، أشـــجـــانه

١٧ وذُرى الأرز، والـــــربى بـــــعُـلاهـــــا
لم تُـــبـــارح خـــيـــاله وعِـــيـــانه

١٨ صـــدَقَ الـــقـــارئـــان لـــله عـــنـــدي
ذاك إنجـــــيـــــلـــه. وذا قـــــرآنـه

١٩ وطـــني جـــنـــتي، عـــلى الأرض، حـــتى
يـــفـــسح الـــله في الـــســـمـــاء جـــنـــانه

١٠ أَنَا حَسْبِي فِي الْمِهْرَجَانِ، هَنَاءً أَنَّنِي، هَاجِرٌ، قَضَى هِجْرَانَهْ

١١ هَاجِرٌ، أَكْثَرَ الطَّوَافَ، وَدَوَّى، جَاعِلاً، نُصْبَ عَيْنِهِ، لُبْنَانَهْ

١٢ جَاوَرَ الْحَدَّ، دَيْدَبَانًا، وَلَمَّا يَعْلَمِ الْحَدُّ، مَنْ غَدَا دَيْدَبَانَهْ

١٣ وَأَمَرُّ الأَنْكَادِ، فِي الْعَيْشِ، أَنَّ الْـ ـجَارَ يَخْشَى مِنْ جَارِهِ غَدْوَانَهْ

١٤ سَاءَ فَأْلُ الْحُرِّ الْمُرَابِطِ لَمَّا قَلَّبَ الطَّرْفَ، مَا رَأَى شُجْعَانَهْ

١٥ أَقْفَرَ الْحَيُّ حَوْلَهُ، فَهْوَ بَاكٍ، بَعْدَ لَيْلَى، مُقَبِّلٌ جُدْرَانَهْ

١٦ فَاسْتَوَى، سَادِرًا، يُطَوِّي مَشَاهُ كَاظِمًا، فِي ضُلُوعِهِ، أَشْجَانَهْ

١٧ وَذُرَى الأَرْزِ، وَالرُّبَى بِعُلَاهَا لَمْ تُبَارِحْ خَيَالَهُ وَعِيَانَهْ

١٨ صَدَقَ الْفَارِسَانِ، لِلشِّعْرِ، عِنْدِي ذَاكَ إِنْجِيلُهُ، وَذَا قُرْآنَهْ

١٩ وَطَنِي جَنَّتِي، عَلَى الأَرْضِ، حَتَّى يُفْسِحَ اللّٰهُ فِي السَّمَاءِ جِنَانَهْ

٢٠ وطن الـفـكـر والـثـقـافـة لـبـنـا
نُ، إن عَـدَّ شـرقُـنـا أوطـانه

٢١ شـاء لـبـنـان أن يـكـون مـنـاراً
يملأ الخـافـقـين نـوراً، فـكـانه

٢٢ عـهـد شـمـعـون، عـهـده، لـطـريف الـ
ـمـجـد يـعـلي بُـنـاتُهُ بـنـيـانه

٢٣ جـمَّل الـلـه في الـرئـيس سـجـايـا الـ
ـخُـلُق الحـر، غُـرَّه وحِـسـانه

٢٤ عـارفٌ بـالأمـور، ضم إلى الحـنـ
ـكـة، والـرأي، عـزمـةً، ورزانه

٢٥ شـابـهـته، في الـرفق، زنـبـقـة الـوا
دي، وغـارت، من بـأسه، الـسـنـديـانه

٢٦ أمـراء الـبـيـان، في الحي، مـرحى
أيـكم، يُـنـتَـدَبْ، يـكن سُـحـبـانه

٢٧ أيَّ عـقـدٍ من الـغـوالي، فـريـدٍ
قـد ضَـفَـرتُم، من حـول جـيـدي، ثِـمـانه

٢٨ جلَّ هـذا الـصـنـيـع عـنـدي جـمـيلاً،
يـحـمل الـقـلـب، لـلـمـدى، عـرفـانه

****

بيروت. ١٦/٥/١٩٥٣

وديع البستاني (*)

(*) انظر الهامش ص(٧٩).

٢٠ وَطَنُ الْفِكْرِ والثَّقَافَةِ لُبْنَـــا ـ نُ . إِنْ عَدَّ شَرْقُنَا أَوْطَـانَهْ

...

٢١ شَاءَ لُبْنَانُ أَنْ يَكُونَ مَنَـارًا يَمْلَأُ الْخَافِقَيْنِ نُورًا . فَكَانَهْ

...

٢٢ عَهْدُ شَمْعُونَ . عَهْدُهُ . لِطَرِيفِ الْـــمَجْدِ يُعْلِي بُنَاتُهُ بُنْيَـانَهْ

...

٢٣ جَمَّلَ اللّٰهُ فِي الرَّئِيسِ سَجَايَا الْـــخُلُقِ الْحُرِّ . غُرَّهُ وَ حِسَانَهْ

٢٤ عَارِفٌ بِالْأُمُورِ . ضَمَّ إِلَى الْحُنْـــكَةِ . والرَّأْيِ . عَزْمَةً . وَرَزَانَةْ

٢٥ شَابَهَتْـهُ . فِي الرِّفْقِ . رُنْبَقَةُ الْوَا ـ دِي . وَغَارَتْ . مِنْ بَأْسِهِ . السِّنْدِيَانَةْ

...

٢٦ أُمَرَاءَ الْبَيَـانِ . فِي الْحَيِّ . مَرْحَى . أَيُّكُمْ . يُنْتَدَبْ . يَكُنْ سُحْبَـانَهْ

٢٧ أَيُّ عِقْدٍ مِنَ الْغَوَالِي . فَرِيدٍ . قَدْ ضَفَرْتُمْ . مِنْ حَوْلِ جِيدِي . ثُمَانَهْ

٢٨ جَلَّ هَـذَا التَّسْبِيعُ عِنْدِي . جَمِيلًا . يَحْمِلُ الْقَلْبُ . لِلْمَدَى . عِرْفَانَهْ

بيروت ، ١٩٠٣/٥/١٦

وديع البستاني

خـــاص

٢/١٨٥

حضرة المحترم الأستاذ الشاعر بشارة الخوري

تحيات وأشواق.

وبعد فلقد كان لتحيتكم التي حملها إليّ الأستاذ غالب أطيب الأثر في نفسي كما أن رسالتكم الأخيرة التي دلت بوضوح على ما تتحلون به من وفاء لأصدقائكم كانت ذات أثر خاص في نفسي.

ويا حبذا لو استجاب الله دعوتك فقدر لنا أن نلتقي صيف هذا العام في ربى لبنان الجميل.

وسلام الله عليكم ورحمته،،،

المخلص

عبدالله الفيصل آل سعود(*)

١٣٧٢/٦/٣٠ هـ.
(١٩٥٣م.)

(*) انظر الهامش ص(٦٣).

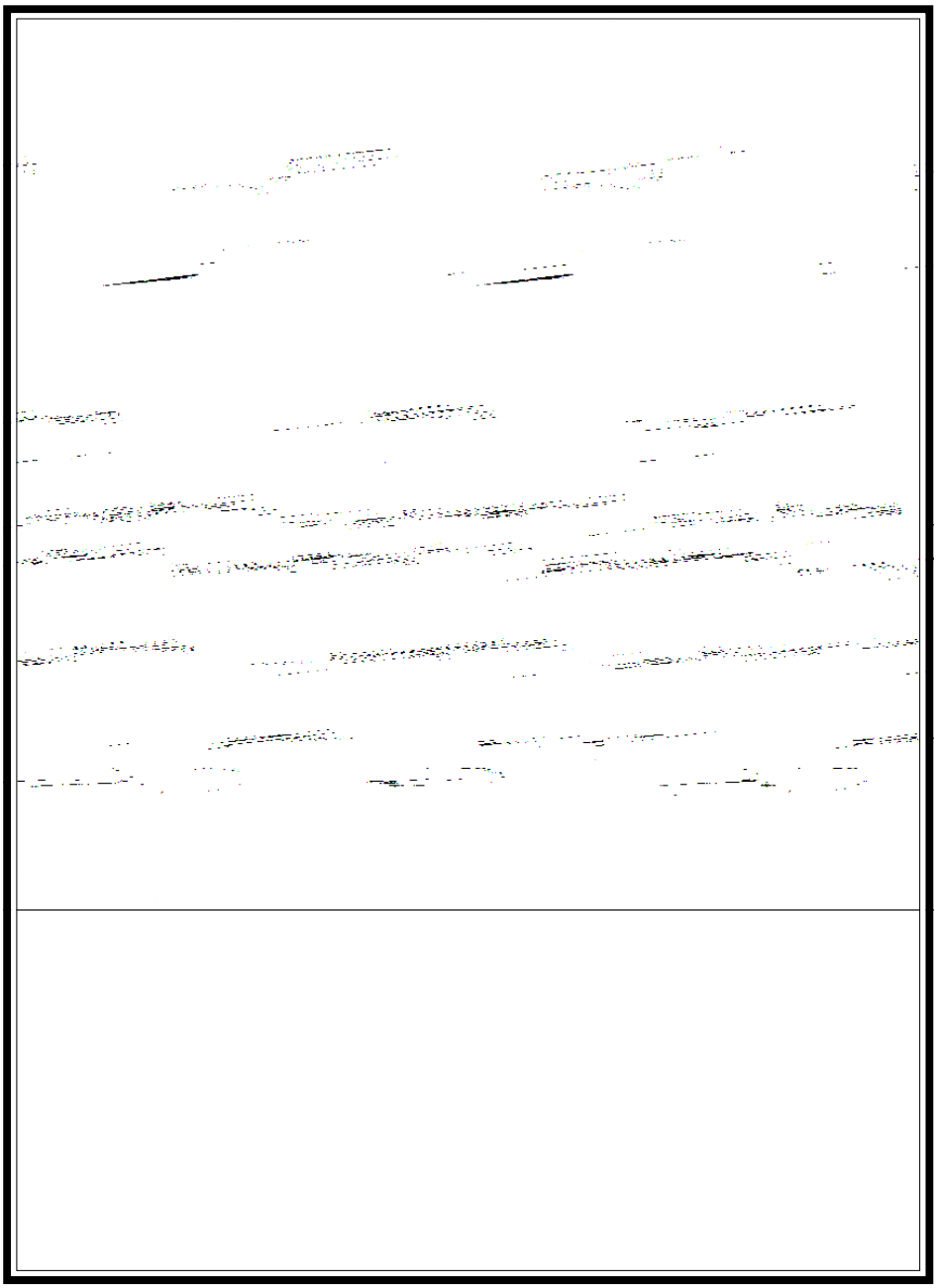

الإهداء: إلى الأخطل الصغير.....

اعترافاً بجميلك يا شاعر العرب، لأنك أول من أيقظ شاعريتي، وتيَّمني بالشعر، أهدي إليك ما وهبت لي شاكراً ومعترفاً بالفضل،

محـــروم

جـــســـدي مـــتـــــعب، وروحـي مـــتـــــعبْ

فـــاتـــقـــوا الـــله في الـــشـــريـــد المـــعـــذَّبْ!

كـــلَّـــمـــا مـــرَّت الـــلـــيـــالي عـــلـــيه....

ضـــاق ذرعـــاً بمـــا يـــرى، وتـــعـــجبْ

كـــلَّـــمـــا حـــاربـــوه، زاد عـــتـــوّاً

وإبـــــاءً، وعـــــزَّة، يـــــتـــــــرقبْ!

حـــاولـــوا هَـــدْمه، مـــراراً، فـــبـــاءوا

بـــأيـــاسٍ، وخـــيـــبـــةٍ، وتـــوثَّبْ!!

مـــا تـــراهم، من ظـــلـــمـــهم، أبـــعـــدوهُ

والـــدخـــيل الـــدخـــيلُ، فـــيـــهم مُـــقـــرَّبْ

وعـــلى الـــظـــلم لا يُـــطـــيق اصـــطـــبـــاراً

وســـنـــا الـــعـــدل في لـــيـــالـــيك غـــيـــهبْ!

ذُدتـــــني عن ورود حـــــوض المـــــعـــــالي

وعـــــلى رغم مـــــا تـــــشـــــاءُ، ســـــأشـــــرب!!

فُـــزْ، بمـــا شـــئت، قـــانـــعـــاً، بـــالـــغـــواني

فـــانـــيـــاً، فـــالخـــلـــود مـــا أتَـــطـــلَّبْ!!

والخـــلـــوُد، الخـــلـــودُ، مـــا أنـــا ســـاعٍ

نَـــحْـــوَهُ، جـــاهـــداً، وأنتَ مُـــغَـــيَّبْ!

كُـــلُّـــنـــا بـــالغٌ، عـــلى الـــدهـــر شـــأواً

وتُـــريكَ الأيـــامُ، منْ ذا، ســـيَـــكْـــسَبْ

****

«محـــروم»

نفس حائرة ملتاعة، وروح معذبة شقية، وجدت من يحترمها ويخصها بإعزازه، كيف تستطيع التعبير عن شكرها وامتنانها؟

لك أن تعلم أنني قضيت هذه الثمانية عشر عاماً من عمري حائرة لا أرى في الناس من يعطف أو يحترم.. إلا لغاية أو مقصد، وأخيراً.... وجدتُ بل عثرت على كنز ثمين من العطف والمحبة والإعزاز – في زمن ندر فيه العطف – في شخصك وروحك السامية الرؤوف. فكيف بحقك تتساءل عن تعلقي بك، أو بالجذع اليابس كما زعمت؟.

حقاً إنك تعديت مرحلة الشباب ـ شباب الجسد ـ ولكن.. ألست معي في أن الروح لا تهرم ولا تشيخ بل هي على ما هي من شباب وسمو ونبل؟

أنا أدرى منك بعقم تعلقي بك ويتم أملي فيك، ولكني أصرّ على ترديد ما سبق ذكره من رجاء في إرسال صورتك.

دعنى أشعر أنك بقربي دائماً، أستمد منك أسمى العواطف وأنبل الشعور الصادق.. أتمم جميلك ولا تكن ضنيناً..

وإزاء تصميمك على تجاهل طلبي أتساءل بقلق: ما الذي دعاك لتلبية طلبي بادئ ذي بدء «أقصد قصيدة المسلول»؟ لِمَ لوّحت لي من بعيد بالأمل الحبيب ثم أقصيتني عن أعز أمنية وأغلى مطلب في حياتي هذه؟

أطلت عليك يا بشارة ولكن ما حيلتي و(الطفلة الحبيبة) عنيدة تصر بل تتوسل.. فهل يرضيك أن ترد خائبة؟ هذا آخر نداء فلا تصمّ أذنيك..

وحيدةً أحيا... وعلى فمي تساؤل غريب
يائسة.. وقد مات في قلبي الأمل الحبيب
باكية... وللدموع على الخدين لهيب!..

ما بك؟ هل لمست حزني فاضطربت؟ كان عليّ أن أكون أكثر تحفظاً.. ولكن.. لا لِمَ التحفظ والكتمان. إنها انّة مكتومة وأمل يتيم ولكن.. من يدري..؟

حلب في ١ آب سنة ١٩٥٢

طفلتك الحبيبة
مـــرغـــريـــت (*)

(*) **مرغريت الحداد «سوريا»**
– ذهبنا نسأل في حلب بنفس العنوان فلم نعثر على أثر لها ولم نتعرف عليها، وسألنا أكثر من حداد فلم يفيدونا بشيء.

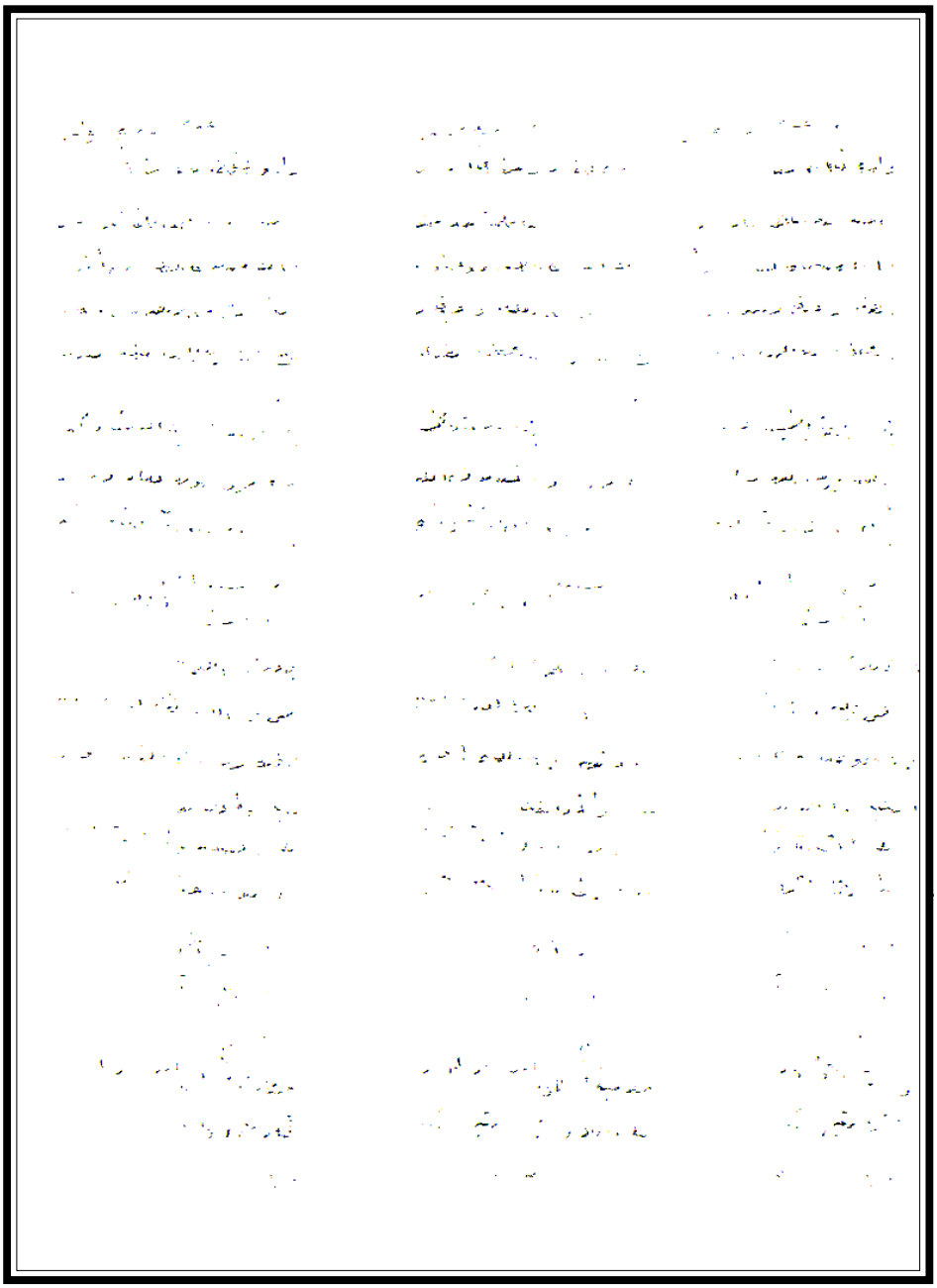

شاعري المحبب...

إن ما عودتني إياه من إسراف في الكرم، وسمو في الأخلاق جعلني أتجرأ لطلب صورتك.. ولو أوتيت علم الغيب وعلمت أنك ستكون أول من يخيّب أملي فيه لكتمت الرغبة، وخنقت الأمل.

رويدك.. لا تذهب بعيداً، وتتفنن في إبداء شتى الأسباب للتقاعس عن تلبية طلبي ، فأنا أظن بل أعتقد أن السبب الأساسي لتجاهلك طلبي، ظنك أنني لا أعرفك وهذا خطأ.. فما وقع نظري على صورة لك في مجلة أو جريدة إلا اقتطعتها وحفظتها، ومن هنا ترى أنني أعرفك وأحب (إساءتك) فلا تكن بخيلاً ولا تكن جباناً وما كان لمثلك أن تُرد يده فارغة يكفي أن تلمح حتى أسرع الإجابة.

أرجو أن لا تكون صورتي المرسلة إليك سبباً في قطع ما وصلته الأيام ولك مني ما بالنفس.

حلب في ١٩٥٢/٧/٤

أسيرة العطف
مرغريت الحداد(*)

****

(*) انظر الهامش ص(٩٣).

شاعري المحب

إن ما عوّدتني إياه من إسراف في الكرم، وسمو في الأخلاق جعلني أتجرأ لطلب صورتك.. ولو أوتيت علم الغيب وعلمت أنك ستكون أول من يخيب أملي فيه لكتمت الرغبة، وخنقت الأمل.

رويدك.. لا تذهب بعيداً، وتتفنن في ابداء شتى الأسباب للتعاس عن تلبية طلبي، فأنا أظن بل أعتقد أن السبب الأساسي لتجاهلك طلبي، ظنك أنني لا أعرفك وهذا خطأ.. فما وقع نظري على صورة لك في مجلة أو جريدة إلا اختطفتها وحفظتها ومن هنا ترى أنني أعرفك وأحب (إساءتك) فلا تكن بخيلاً ولا تكن جباناً.. إن لمثلك أن ترد يده فارغة يكفي أن تلمح حتى اسمع الإجابة

أرجو أن لا تكون صورتي المرسلة إليك سبباً في قطع ما وصلته الأيام

ولك مني ما بالنفس لها

أسيرة العطف

مرغريت الحداد

حلب ٢٦-٧-٩٥٢

الحديث

مجلة شهرية تبحث في الأدب والتاريخ
والاجتماع لصاحبها ومحررها

حلب ١٩٥٢/٦/٢٨

الصديق الكريم شاعر العرب

الأستاذ بشارة الخوري الأكرم

أهديك خالص التحية وأرجو أن تكون موفور الصحة والنشاط وبعد فأعتذر إليك من تأخري بالإجابة على رسالتك، فقد كنت على سفر الى بيروت وقلت أحمل مضمون الرسالة بنفسي وأجدها فرصة للقياك بعد طول الفراق. وعلى كل فأرجو أن لا يفوتني لقياك في هذا الصيف كما أرجو أن تحظى مدينة حلب بلقياك في الخريف المقبل في إحدى المناسبات الأدبية التي أعدها وسأكتب لك .

طيه المعلومات التي طلبتها عن المغفور له الزعيم ابراهيم هنانو. وقد طلبت أن أوافيك بتاريخ الحفلة وخطبائها ومكانها،

الحديث

مجلة شهرية تبحث في الادب والتاريخ والاجتماع
لصاحبها ومحررها
سامي الكيالي

حلب ٢٨/٦/٩٥٢

شاعر العرب
الصديق الكريم
الاستاذ بشارة الخوري الاكرم
احمل خالص التحية وارجو ان تكون موفور الصحة
والنشاط وبعد فاعتذر اليك من تأخري بالاجابة
على رسمتك فقد كنت على سفر الى بيروت وقلت
احمل مضمون الرسمة بنفسي واجدها فرصة للقياك بعد طول
الفراق وعلى كل فارجو ان لا يفوتني لقياك في
هذا الصيف كما ارجو ان تحظى مدينة حلب بلقياك
في الخريف المقبل في احدى المناسبات الادبية التي
اعدها وسأكتب لك
طيه المعلومات التي طلبتها عن المغفور له الزعيم
ابراهيم هنا. وقد طلبت ان اوافيك بتاريخ

الحديث

حلب.....

مجلة شهرية تبحث في الأدب والتاريخ
والاجتماع لصاحبها ومحررها

وأظن أن الحفلة أقيمت في دمشق لا في حلب ولا أذكر خطباءها وقد يوافيك عن ذلك أمين سر الحزب الوطني الأخ ميخائيل بك لبان وهو مقيم في دمشق إقامة شبه دائمة وعنوانه فندق أمية.

وختاماً أرجو أن يكون في جمع هذه المعلومات توطئة لنشر الديوان الذي يرقبه قراؤك والمعجبون بك في جميع المواطن العربية ودمت للمخلص.

سامي الكيالي(*)

****

(*) **سامي الكيالي** «**سوريا**» - ١٨٩٨ - ١٩٧٢
- أديب وصحافي وإداري. رئيس تحرير وصاحب مجلة «الحديث» بحلب.
- عين مستشاراً للوفد السوري في مؤتمر الأونسكو وعضواً عاملاً في الجمعية الملكية للدراسات التاريخية.

الحديث

حلب .....

مجلة شهرية تبحث في الادب والتاريخ والاجتماع
لصاحبها ومحررها
سامي الكيالي

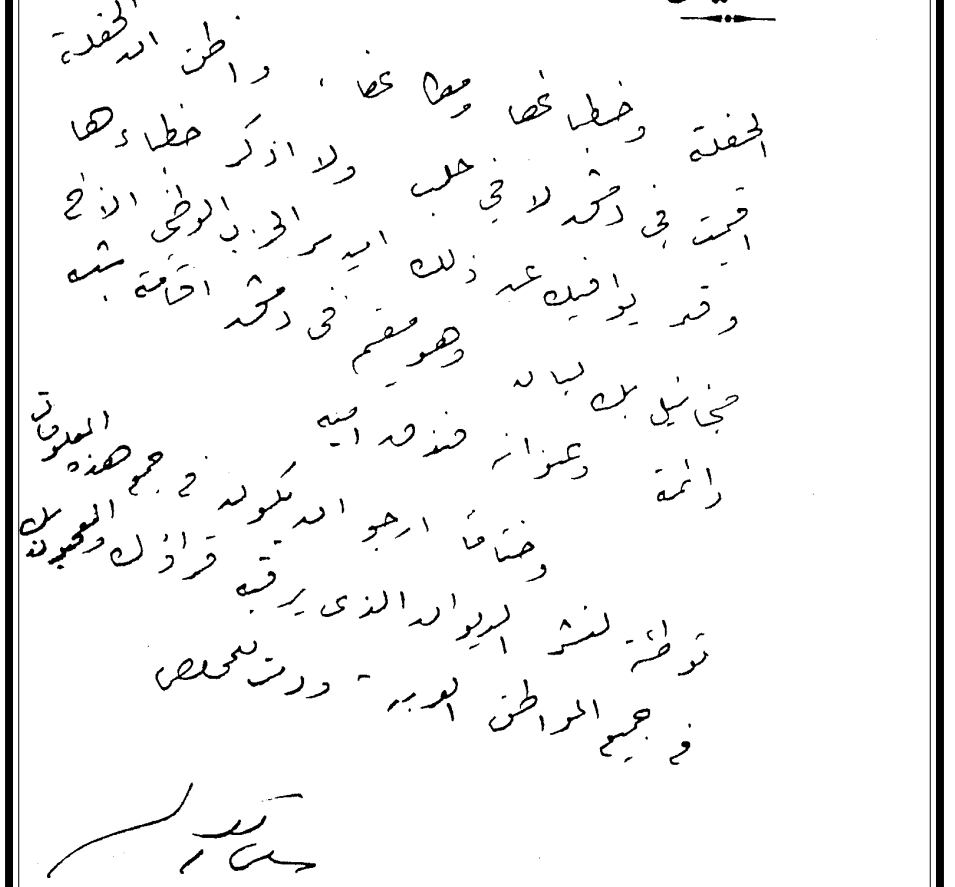

سان باولو ١٢- آذار ١٩٥١

أخي الأخطل الحبيب...

من أعظم دواعي اغتباطي أن أُحس «لعبقر[١]» صدىً في صدرك، واعتلاقاً بروحك، وأن تمهرها بإطراءٍ منك غالٍ، هو منها بمقام الندى للزهر والعبير للنسم.

تقبل شوقي وإعجابي يا صناجة الشعر في هذا العصر، والله يحفظك ويعز بك الأدب.

شفيق معلوف(*)

****

(*) **شفيق معلوف «لبنان»- ١٩٠٥ - ١٩٧٧**

- شاعر مهجري «شارك عدداً من أدباء المهجر عام ١٩٣٣ بتأسيس العصبة الأندلسية».

- حرر جريدة «ألف باء» في دمشق. رئيس تحرير مجلة «العصبة الأندلسية» بعد خاله ميشال.

(١) عبقر: أهم إنجازات شفيق المعلوف الشعرية، صدرت طبعته الأولى عام ١٩٣٦، في ٦ أناشيد مع مقدمة لوالده عيسى اسكندر المعلوف، وكانت الطبعة الثانية في ١٢ نشيداً. وجعل لها مقدمة في ١٣٦ صفحة ضمنها مباحث أسطورية عن عبادات الجاهلية وخرافات العرب وما شابهها عند

SAO PAULO
BRASIL

سان باولو ١٢ - آذار ١٩٥١

أخي الأخطل الحبيب

من أعظم دواعي اغتباطي أن أُمسّ «لعبقر» صدىً في صدرك، عتلاقاً بروحك، وأنْ تمهرها بإطراءٍ منك غالٍ هو منها بمقام الندى للزهر والعبير للنسم

تقبّلْ شوقي وإعجابي يا صنّاجةَ الشعرِ في هذا العصر، والله يحفظك يعزّ بك الأدب

شفيق معلوف

إلى من جعل نفسه عرشاً تطوف حوله القلوب.

في الأرض أرواح...

وفي الأرض قلوب...

وكلاهما يتطلعان إلى الجمال والفن.

وأظن روحي وقلبي في الطليعة..

إنني أعتذر عن تطفلي هذا ولما قد أسببه لك من إزعاج ولكني أرجو أن تولي كلمتي هذه شيئاً من عنايتك.

لقد طالما راودني فكري أن أخط لك هذه الكلمة ولكن خوفي كان يردعني عن الكتابة.

نعم إنني خائفة من أن تتلقى كلمتي هذه بشيء من البرود والجفاء وعدم المبالاة ولا تعيرني أقل اهتمام ولا تتفضل برد الجواب وهذا أمر يصعب عليَّ تصوره فكيف بي يصبح حقيقة!؟!.

أما الآن وقد تسلمت كلمتي وهي بين يديك تتشرف بمطالعتك فأرجوك أن لا تهمل طلبي. ألا وهو :

أن تتفضل بإرسال نسخة من قطعتك الخالدة (المسلول) والتي مطلعها:

حسناء أي فتى رأت تصدِ

قتلى الهوى فيها بلا عدد. الخ...

إلى من جعل لغته عرشاً تطوف حوله القلوب.

في الأرض أرواح...
وفي الأرض قلوب...
وكلاهما يتطلعان إلى الجمال والفن.
وأظن روحي وقلبي في الطليعة..

إنني أعتذر عن تطفلي هذا ولما قد أسببه لك من إزعاج
ولكني أرجو أن تولي كلمتي هذه شيئاً من عنايتك
لقد طالما راودني فكري أن أخط لك هذه الكلمة ولكن خوفي
كان يردني عن الكتابة.
نعم إنني خائفة من أن تتلقى كلمتي هذه بشيء من البرود
والجفاء وعدم المبالاة ولا تعيرني أقل اهتمام ولا تتفضل برد الجواب
وهذا أمر يصعب علي تصوره فكيف بي يصبح حقيقة؟!!
أما الآن وقد تسلمت كلمتي وهي بين يديك تتشرف بمطالعتك
فأرجوك أن لا تهمل طلبي. ألا وهو:
أن تتفضل بإرسال نسخة من قطعتك الخالدة (السلول) والتي مطلعها:
حسناء أي فتى رأت تصد قتلى الهوى بها بلا عدد. الخ...

وأظن بل أعتقد أنك لن تبخل على إحدى المعجبات بك بتلبية طلبها.

ودمت نصيراً وأميراً للشعر.....

المعجبة

مرغريت الحداد(*)

الخميس ـ ٢٢ شباط سنة ١٩٥١

✱✱✱✱

العنوان:
حلب ـ شارع المبلط رقم ١٠٥
مرغريت الحداد

(*) **انظر الهامش ص(٩٣).**

وأظن بل اعتقد انك لن تبخل على احدى المعجبات بك
بتلبية طلبها .
ودمت نصيراً واميراً للشعر

المعجبة
مرغريت الحداد

الخميس ٢٢ شباط ٩٥١

العنوان :
حلب - شارع المبلط رقم ١٠٥ مرغريت الحداد

(دكر) في ١٥ آب ١٩٤٩

أخي الأستاذ الفاضل أبو عبدالله

تحية أخوية أبعثها إليك تغمرها موجة نور وعطور من الجمال المتدفق عن ثغور الباريسيات الجميلات الساحرات الساطعات كالنجوم المتألقة في أرجاء باريس مدينة النور والحب والجمال.

لقد تركت لبنان دون أن أتمكن من مشاهدتكم وقضيت فصلاً جميلاً في باريس وكنت أذكركم دائماً في المجالس الأدبية حيث يجتمع الأدباء العرب وقد أسست محلاً في باريس وتابعت سفري الى (دكر) عاصمة (افريقيا) وسأمكث أربعة أشهر أتعاطى إدارة أشغال محلي ريثما يعود أخي عزات من فرنسا وأعود أنا بدوري الى باريس.

يوجد هنا (بدكر) تجار لبنانيون وغير لبنانيين كما أنه يوجد قوم «بيضان» يشبهون عرب البادية ويحسنون اللغة العربية وهم يقدسون اسمك ويتغزلون بأشعارك وأنت بنظرهم تحتل المكانة الأولى في عالم الشعر العربي الحديث وقد كلفوني أن أكتب إليك لتتحفهم بقطعة من شعرك الرفيع وهم على استعداد تام للمساهمة بطبع ديوانك الذي ينتظرون ظهوره بفارغ صبر. فأرجو أن لا تخيب أمل محبيك الذين يعدونك في صفوف الرسل والأنبياء.

الجالية اللبنانية مستعدة للمساهمة بطبع الديوان المنتظر وتبعث إليك بتحية تقدير وإعجاب وفي طليعتهم السيد هنري طرابلسي الذي كلفني أن أرفع إليك تحية دون سابق معرفة.

وأخيراً أبعث إليك بأخلص التحيات آملاً أن تكون مع العائلة الكريمة راتعاً بالصحة والرفاه

وتفضل بقبول أشواقي واحترامي من المخلص

توفيق ابراهيم(*)

(*) **توفيق إبراهيم**

– لم تسعفنا المراجع ولم نتعرف على صفته إلا أنه مهاجر لبناني بين باريس ودكار، وقعنا على مقالة منشورة له في مجلة «الرحمة» السنة الثالثة، العدد ٤، نيسان ١٩٦٧، يذكر فيها أنه شارك في إقامة مهرجان مبايعة الأخطل الصغير بإمارة الشعر عام ١٩٦١.

Ezzat Ibrahim
52 Rue Escarfait
DAKAR
R. C. 4292 A
C. C. P. 11492
B. P. 677
Tél
Adresse Télég. Ezzat-Dakar

Dakar, le [illegible]

أخي الأستاذ الفاضل أبو عبد الله

تحية أخوية أبعث بها إليك تغمرها موجة نور وعطور من الجمال المتدفق عن نفور
الباريسيات الجميلات الساحرات الساطعات كالنجوم المتألقة في أرجاء باريس مدينة النور والحب والجمال.
لقد تركت لبنان دون أن أتمكن من مشاهدتكم وقضيت فصلاً جميلاً في باريس وكنت
أذكركم دائماً في المجالس الأدبية حيث يجتمع الأدباء العرب وقد أسست محلاً في باريس وتابعت
سفري إلى ذكر عاصمة أفريقيا. وسأمكث أربعة أشهر أتعاطى إدارة أشغال محلي بينما يعود إلى
عمله من فرنسا وأعود أنا بدوري إلى باريس.
يوجد هنا بذكر تجار لبنانيون وغير لبنانيين كما أنه يوجد قوم «بيضان»
يشبهون عرب البادية ويحسنون اللغة العربية وهم يقدسون اسمك ويتغزلون بأشعارك
وأنت بنظرهم تحتل المكانة الأولى في عالم الشعر العربي الحديث وقد كلفوني أن أكتب إليك لتتحفهم
بقطعة من شعرك الرفيع وهم على استعداد تام للمساهمة بطبع ديوانك الذي ينتظرون ظهوره بفارغ
صبر. فأرجو أن لا تخيب أمل محبيك الذين يعدونك في صفوف الرسل والأنبياء.
الجالية اللبنانية مستعدة للمساهمة بطبع الديوان المنتظر وتبعث إليك بتحية تقدير وإعجاب وفي طليعتهم
السيد هنري طرابلسي الذي كلفني أن أرفع إليك تحيته دون سابق معرفة.
وأخيراً أبعث إليك بأخلص التحيات أملاً أن تكون مع العائلة الكريمة رفقاً بالصحة والرفاه
وتفضل بقبول شوقي واحترامي

توفيق إبراهيم

بغداد - جريدة النداء

عبدالقادر رشيد الناصري ١٩٤٩/٤/٢٠

أيها الشاعر الكبير.. يا أبا عبدالله. يا نغم الخلود في قيثار الطبيعة المسحور.

أحييك من بغداد بلد ألف ليلة وليلة تحية أندى من قطر الندى على مراشف الزهرة الحالمة. تحية من شاعر عراقي شاب، باسم الشباب المعجب بالشعر الخالد والعبقرية الفذة والقلب الطيب الكبير.

سيدي الأستاذ

في ليلة من ليالي الربيع السمح وعلى ضفاف دجلة الساحرة جمعتنا سهرة شعرية كما يجمع البساط الندامى. وانتقل الحديث عنك وكان معنا صديقك الشاعر الفلسطيني الأستاذ محمود الحوت فقرأ لك أبيات من قصيدتك في الفردوس منها:

يـــا نـــهـــر طـــوس ويـــا أظلال واديـــهـــا

رســـالـــة الـــشـــعـــر عـــني من يـــؤديـــهـــا

وعندما طلبنا منه اعتذر بعدم حفظها وعدم وجودها لديه لذا أحببت أن أبدأ بالكتابة إليك وعسى أن تكون رسالتي هذه فاتحة رسائل أخرى راجياً أن:

١ - ترسل لي صورة هذه القصيدة وصورة أخرى من قصيدتك في رثاء شاعر النيل حافظ ابراهيم التي لا أزال أحفظ هذا البيت الذي قرأه لي صديق:

شـــاعـــر الـــنـــيل جـــز طـــريـــقك لـــلـــخـــلـــد

وخـــــــذهـــــــا لمن تحب صـــــــداقـــــــا

بغداد - جريدة النداء
عبدالقادر رشيد الناصري

٢٠/٤/٤٩

ايها الشاعر الكبير .. يا اباعبدالله . يا نغم الخلود في قيثار الطبيعة المسحور

أحييك من بغداد بلد الف ليلة وليلة تحية أندى من قطر الندى على مراشف الزهرة الحالمة . تحية من شاعر عراقي شاب باسم الشباب المعجب بالشعر الخالد والعبقرية الفذه والقلب الطيب الكبير سيدي الاستاذ

في ليلة من ليالي الربيع السمح وعلى ضفاف دجلة الساحرة جمعتنا سهرة شعرية كما يجمع البساط الندامى . وانتقل الحديث عنك وكان معنا صديقك الشاعر الفلسطيني الاستاذ محمود الحوت فقرأ لك ابيات من قصيدتك في الفردوس منها

يا نهر طوس ويا اظلال واديها
رسالة الشعر عني من يؤديها

وعندما طلبنا منه اعتذر بعدم حفظها وعدم وجودها لديه لذا أحببت ان ابدء بالكتابة اليك وعسى ان تكون رسالتي هذه فاتحة رسائل اخرى راجياً ان

(١) ترسل لي صورة هذه القصيدة وصورة اخرى من قصيدتك في رثاء شاعر النيل حافظ ابراهيم التي لا ازال احفظ هذا البيت الذي قرأه لي صديقه

شاعر النيل جز طريقك للخلد
وخذها لمن تحب صداقا

٢ - اود ان اكتب بعض المقالات في صحف العراق عن

٢ – أود أن أكتب بعض المقالات في صحف العراق عن روائعك وحبذا لو تفضلت بكتابة بعض الخطوط الرئيسة عن حياتك متوجة بصورتك الشمسية.

٣ – قيل إن أحد أدباء لبنان أصدر عنك كتاباً باسم «الأخطل الصغير» ولم يصل العراق لنطلع عليه فهل لسيدي أن يرسله لي ليكون دليلي في كتابة هذه المقالات.

هذا وأرجو أن أكون عند حسن [ظن] سيدي الشاعر.

وختاماً تقبلوا إعجاب شاعر بسيد شعراء العرب المعاصرين ودم.

للمخلص

عبدالقادر رشيد الناصري(*)

****

(*) **عبدالقادر رشيد الناصري** «**العراق**» – ١٩٢٠ – ١٩٦٢
– شاعر – وعين بوظيفة «مراقب مؤسسات» في قاعة فيصل الثاني عام ١٩٥٠

رواتعك وحبذا لو تفضلت بكتابة بعض الخطوط الرئيسة
عن حياتك متوجة بصورتك الشمسية

(٢) - قيل ان احد ادباء لبنان اصدر عنك كتاباً باسم
« الاخطل الصغير » ولم يصل العراق لنطلع عليه
فهل لسيدي ان يرسله لي ليكون دليلي في كتابة هذه
المقالات

هذا وارجو ان اكون عند حسن سيدي الشاعر
وختاماً تقبلوا اعجاب شاعر بسيد شعراء
العرب المعاصرين ودم

[illegible]
للمخلص

القاهرة في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٨

عزيزي الأستاذ الكبير بشارة الخوري

تحياتي وقبلاتي وأشواقي أبعثها إليكم وأرجو أن تكونوا أنتم والأسرة الكريمة بخير.

عزيزي ـ أقوم الآن بإخراج فيلم سينمائي كبير بالتعاون مع صديق الطرفين الأستاذ أنور وجدي الذي يهديكم أسمى تحياته وأشواقه.

وتتلخص قصة هذا الفيلم في أن نجيب الريحاني يكنُّ في نفسه لليلى مراد حباً عميقاً لا يجرؤ على أن يفاتحها به... وتظل ليلى تجهل شعوره نحوها خصوصاً وهي مشغولة عنه بحب غيره.

وتتوالى مشاهد القصة فتنتهي بأن يكتشف نجيب الريحاني الأمر فيثور ويقف حائلاً بين ليلى ومن تحب.

ولكن تشاء الظروف وتتفق الحوادث فترغم نجيب وليلى الى الالتجاء إلى أحد القصور هرباً من مطاردة حبيب ليلى لهما وإذ بهما يفاجآن بوجودهما في مسكن الأستاذ عبدالوهاب الفنان الملحن الذي جلس مختليا الى نفسه وعوده يغني أغنية مضمونها ـ أن على المحب المخلص أن يضحي بحبه ونفسه في سبيل ضمان السعادة لمن يحب حتى ولو وصل به الأمر إلى السعي لجمع شمل الحبيبين.

يتأثر نجيب بمعنى هذه الأغنية الرائعة التي يغنيها عبدالوهاب (تأثيراً) كبيراً يجعله يفهم حقيقة موقفه قبل ليلى فيعمل بعد ذلك على أن تتزوج ليلى ممن تحبه مضحياً في ذلك بسعادته وحبه.

هذا موضوع الأغنية سردته لكم وبعثت به إليكم لثقتي أنكم خير من يستطيع فهم هذه المشاعر وأن تضعوا لهذه الأغنية شعراً، خصوصاً وأنتم خير من يعرف شخصيتي ويستطيع تحليل شعوري على أن تكون هذه الأغنية لعبدالوهاب الفنان لا لعبدالوهاب الممثل بحيث لا تتعدى خمسة عشر سطراً لظروف الفيلم.

وختاماً أرجو أن تكون فكرتي هذه قريبة لخيالكم وأن تكون قد صادفت قبولاً في نفسكم فتضيف إلى سابق ظرفكم جميلاً آخر يردده الجميع وأتغنى به وأحفظه لكم. وفي انتظار إفادتي برقيا بمدى استعدادكم لذلك على أن تصلني في بحر أسبوعين لأن العمل جار في تصوير الفيلم وليس لدينا متسع من الوقت.

وأرجو أن تتقبل أطيب تحياتي وأشواقي... **محمد عبدالوهاب**(*)

(*) محمد عبدالوهاب «مصر» - ١٨٩٣ - ١٩٩٢

- فنان «مُغَنّ وملحن» من أبرز الموسيقيين في مصر والعالم العربي، سطع نجمه في سماء الغناء أولاً ثم في عالم التلحين بعد ذلك وله فيهما مدرسة تميزت بالأصاله والنزوع إلى التجديد. لحن أكثر من١٠٠٠

شركة الأفلام المتحدة
أنور وجدى وشركاه
تليفون ٤٠٤٥٩ عمارة الايموبليا
سجل تجارى ٥٥٢٠٩ ٢٦ شارع شريف باشا
صندوق البريد ٢٠٩٦ القاهرة

UNITED FILM Co
ANWAR WAGDY & Co.
IMOBILIA BUILDING CAIRO
TEL. 40459
R. C. 55209
P.O.B. 2096

القاهره فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٨

عزيزى الاستاذ الكبير بشاره الخورى

تحياتى وقبلاتى واشواقى ابعثها اليكم وارجو ان تكونوا انتم والاسره الكريمه بخير

عزيزى — اقسم الان باخراج فيلم سينمائى كبير بالتعاون مع صديق الطرفين الاستاذ انور وجدى الذى يهديكم اسمى تحياته واشواقه

وتتلخص قصة هذا الفيلم فى ان نجيب الريحانى يكن فى نفسه لليلى مراد حب عميق لا يجرؤ على ان يفاتحها به ... وتظل ليلى تجهل شعوره نحوها خصوصا وهى مشغولة عنه بحب غيره

وتتوالى مشاهد القصه فتنتهى بان يكتشف نجيب الريحانى الامر فيثور ويقف حائلا بين ليلى ومن تحب

ولكن تشاء الظروف وتتفق الحوادث فترغم نجيب وليلى الى الالتجاء الى احد القصور هربا من مطاردة حبيب ليلى لهما واذ بهما يفاجأ بوجودهما فى مسكن الاستاذ عبد الوهاب الفنان الملحن الذى جلس مختلما الى نفسه وعوده يغنى اغنية مضمونها — ان على المحب المخلص ان يضحى بحبه ونفسه فى سبيل سعادة لمن يحب حتى ولو وصل به الامر الى السعى لجمع شمل الحبيبين .

يتاثر نجيب بمعنى هذه الاغنيه الرائعه التى يغنيها عبد الوهاب تاثيرا كبيرا يجعله يفهم حقيقة موقفه قبل ليلى فيعمل بعد ذلك على ان تتزوج ليلى ممن تحبه مضحيا فى ذلك بسعادته وحبه .

هذا هو موضوع الاغنيه سردته لكم وبعثت به اليكم لثقتى انكم خير من يستطيع فهم هذه المشاعر وان تضعوا لهذه الاغنية شعرا خصوصا وانتم خير من يعرف شخصيتى وستتحمل شعورى على ان تكون هذه الاغنية لعبد الوهاب الفنان لا لعبد الوهاب الممثل بحيث لا تتعدى خمسة عشر سطرا لظروف الفيلم .

وختاما ارجو ان تكون فكرتى هذه قريبة لخيالكم وان تكون قد صادفت قبولا فى نفسكم فتضيف الى سابق ظرفكم جميلا آخر بردده الجمع وانغنى به واحفظه لكم وفى انتظار افادتى برقيا بمدى استعدادكم لذلك على ان تعلنى فى بحر اسبوعين لان العمل جار فى تصوير الفيلم وليس لدينا متسع من الوقت

وارجو ان تتقبل اطيب تحياتى واشواقى ،

عبقرية الشاعر الكبير، بشارة الخوري الأكرم

تحية واحترام وتقدير وإعظام

ما كدت لأرى قصيدتك العصماء – في بعض المجلات – التي تفضلت بتوجيهها نحو الداعي حتى بادرت أقدم لكم (ولو متأخراً) أسنى عبارات شكري وثنائي وتقديري غير مستكبر ذلك على غيرتكم الوطنية الصادقة وإخلاصكم القومي الحر نحو الوطن وأبنائه المخلصين.

أتت إلي بياتا منك خلت بها
قلائداً في نحور الدرّ الغيدِ
أو كالربيع تبدّى زهره بهِجاً
أو لؤلؤاً في خلال السلك منضود

تتيه على ما غبر. ولا يباريها ما حضر. هي كما وصفت نفسها واسطة العقد . وقلادة في جيد الدهر .

تفضلوا بقبول التقدير والشكر لما أوليتنيه من نفثات يراعك الفتان الخالدة ما كرَّ الجديدان، وعليك السلام ولك الاحترام...

المخلص

صالح علي سلمان(*)

٩ شوال المكرم ١٣٦٤ هـ
(١٦ أيلول ١٩٤٥)

****

(*) **الشيخ صالح العلي «سوريا»** – ١٨٨٣ – ١٩٥٠
– شاعر وسياسي ومجاهد صارع الاستعمار الفرنسي بقوة السلاح وكان لثورته أثر في تاريخ

عبقرية الشاعر الكبير بشاره الخوري الأكرم

تحية واحترام وتقدير وإعظام

ماكدت لأرى قصيدتك العصماء - في بعض المجلات - التي تفضلت بتوجيهها نحو الداعي حتى بادرت اقدم لكم (ولو متأخرا) اسمى عبارات شكري وثنائي وتقديري غير مستكبر ذلك على غيرتكم الوطنية الصادقة واخلاصكم القومي الحر نحو الوطن وابنائه المخلصين

أتت الي بيانا منك خلت بها قلائدا في نحور الخرد الغيد
او كالربيع تبدى زهره بهجا اولؤلؤا في خلال السلك منضود

تتيه على ماغبر . ولايباريها ماحضر . هي كما وصفت نغريها . واسطة العقد . وقلادة في جيد الدهر .

تفضلوا بقبول التقدير والشكر لما اوليتنيه من نفثات يراعك الفنان الخالده ماكر الجديدان وذيك

السلام ولك الاحترام

المخلص .
صالح علي [illegible]

شوال المكرم ٦٦
٩

لجنة تكريم المجاهد الكبير

الشيخ صالح علي

قائد الثورة العلوية في اللاذقية

اللاذقية في ١٨ نيسان١٩٤٥

حضرة صاحب السعادة والمجد الشاعر الكبير

الأستاذ بشارة بك الخوري الأفخم

تحية ملؤها الإجلال والتقدير.. وبعد:

فها أنا أكتب اليك بدافع من رغبتي الصادقة أولاً وبوحي من أمرك الذي لا يرد، ثانياً. وكان بودي لو استبقت الزمن فطرت إليك بدلاً من هذه الرسالة أشبع هذه الرغبة العنيفة في نفسي بالاستماع إليك وأنت تتكلم، والإصغاء إليك وأنت تنشد ـ وإن كنت أقل الشعراء جميعاً إنشاداً للشعر وتبجحاً فيه.

وإني لأحب أن أسجل على هذا القرطاس أن موجة من الإعجاب الشديد لهذا الخلق الذي تتحلى به قد غمرت نفسي، والذي ملك علي مشاعري مثلما ملكتها شاعريتك البليغة وبيانك الخالد واستأثرت بعواطفها آياتك المعجزات.

ولولا خوفي أن تذهب المظان ببعض المغرضين أنني أصبحت تجاهك كما أصبح صاحبنا«الحليم» تجاه «داهش» لقلت لك إنني أصبحت محباً لك الى حد بعيد، ومعجباً بك الى حد أبعد، وأكثر ما أعجبني ويعجبني فيك هذا التواضع المتزن الرصين مع أن الذين حازوا على جزء ضئيل مما حزت عليه من الشهرة والمجد ارتفعوا على مناكب الوهم والخيال، وجمح بهم الكبرياء حتى أصبحوا وكأن مجيئهم من السماء ومردهم إلى السماء! وإنني لأجد ـ مخلصاً ـ أن هذا الهدوء الصادق في حركاتك، والاتزان النبيل في تصرفاتك، والتواضع المهذب في محادثاتك، والصدق والصراحة والإخلاص في قسمات وجهك الوسيم لهي خير دليل على قوة شخصيتك، وسمو مداركك ومناعة أخلاقك، وثقتك بالنفس التي لا تغلب ولا تغالب وهيهات...

جامعة
المعهد الكبير
الشيخ صالح علي
مدير المعهد الكبير
في اللاذقية

اللاذقية في ١٨ نيسان ١٩٤٥

حضرة صاحب السعادة والمجد الشاعر الكبير شاعر وطن الحرية الشيخ [illegible]

تحية طيبة وإجلال وتقدير.

وبعد:

فرانا الكتب البلد بدافع من عرفاني الصادق أولاً، وبوحي من إعزازي الذي لا يزيد ثانياً، وبالرغبة في [illegible] لما [illegible] بقيمة الرجل من نظرات البلد بدلاً من هذه الرسالة أشبع هذه الرغبة الضعيفة في نفسي بالاستماع إليك [illegible] بالكلام، وأرضيها البلد وأنت تتحدث [illegible]. وأنا لست أنتظر الشعراء جميعاً أن يأذنوا للشاعر وتحيي فيه [illegible].

وإني لأحب أن أسجل على هذا القرطاس أن [illegible] الذي تخلق به [illegible] نفسي، والذي ملك عليّ [illegible] شاعر وطنك البليغة، وبالك الخالد واستأثرت [illegible] بعد [illegible] بالك الأجيال

ولولا خوفي أن أذهب الظنون ببعض المغرضين أني أصبحت تابعك كما أصبح صاحبنا الحليم، تجاه [illegible] لقلت لك: إني أصبحت محباً لك عن بعد، ومعجباً بك عن بعد أبعد؛ وأكثر ما أغنى وأجنى فيك هذا التواضع المتزايد الرسيخ مع أن الذين حاروا على عبقريتك محاضرت عليه من الشهرة والمجد ارتفعوا على مطالب الدنيا والحياة، وجمع لهم الثراء حتى أصبحوا وكان مجيئهم من السماء ومرادهم إلى السماء! وإني لأجد - فيما - أن هذا الهدوء [illegible] في عبقريتك، والاتزان النبيل في تصرفاتك، والتواضع الرهيب في مبادئك، والصدق والصراحة والإخلاص في [illegible] وهربك الدائم لأي مجد دليل على قوة شخصيتك، وسمو مدارك، ومتانة أخلاقك، وثقتك بالنفس، وإن الإعظام والإعجاب وهبوها [illegible].

وأنه بأن هذه النواحي [illegible] ستفيض لنا الخلود إلى جانب شاعريتك التي قد يفنى الزمان ولا تفنى، وذلك لأن الذين [illegible] يعتقدون أن الشعر والكتابة شيء، وهذا القلم التركيبي [illegible] يكون واحداً من أعظم الأقلام [illegible] وذلك لأن هذه النواحي التي تؤلف عنصراً من عناصر تكوين الشخصية وهي الشاعرية أيضاً.

المهم من ذلك كله أن أؤكد لك أنك أصبحت للأدب في نفسي منزلة الأصدقاء والأنجاد، فإذا أسعدتني [illegible]

وأحسب أن هذه النواحي سيقيض لها الخلود الى جانب شاعريتك التي قد يفنى الزمان ولا تفنى ـ ذلك لأن الذين سيقفون أقلامهم للكتابة عنك ـ وهذا القلم الركيك ذو الضوء الخابي سيكون واحداً من تلكم الأقلام ـ سيتوفرون ولاشك لذكر هذه النواحي التي تؤلف عنصراً مهماً من عناصر تكوين الشخصية وحتى الشاعرية أيضاً.

المهم من ذلك كله أن أؤكد لك أنه أصبح لك في نفسي منزلة لا تضاهى ولا تجارى، فإذا أسففت في (اللغة) أو أخطأت في التعبير أدركني حلمك الذي كثيراً ما يدرك غير مستحقيه.

وبعد أيضاً: فإنني أكتب إليك وسط هالة من الإخوان الذين يشاركونني إعجابهم بك ومحبتهم لك وشوقهم الشديد لرؤيتك، ورجاءهم الحار ألا تخيب أملهم المدلل العزيز.

فإن حاز قبولاً هذا الرجاء فذلك فضل من الله. وإن لم يحز فذلك هو الجد التاعس الذي يلاحقنا تعسه في كل زمان ومكان.

ومعذرة...فقد أطلت عليك حتى خفت أن تكون ـ لا سمح الله ـ قد برمت وسئمت، وكل ما نرجوه أولاً وآخراً أن يسبل الله عليك ثوب العافية وأن يطيل عمرك لتظل في بقائك ثروة مادية ومعنوية لهذه الأمة البائسة – التي تنطق قسمات وجهك بأعظم التأثر منها وأبلغ «الرثاء» لها.

وشيء آخر أحب أن أقوله لك وهو أن صحتك أغلى علينا من جميع الحفلات فإذا رأيت أن هناك شيئاً ـ ولو ضئيلاً ـ من الإزعاج سيحدث لك من جراء هذه السفرة فإننا نتنازل سلفاً عن هذه الرجاءات جميعها، ونضع مكانها رجاء أقوى منها وأشد وهو أن تحتفظ بصحتك وتصونها من عبث الأيام وأرق الليالي.

وأخيراً... إن كان يجوز أن يكون لعلاقتك بي هذه الكلمة الصارمة الشديدة وعلى كلٍّ فهي أرحم من الآخر وأشد وطأة منها. أقول وأخيراً إنني أرجو أن تصلك هذه الرسالة وأنت متمتع بثوب العافية، ومتسربل بسربال الصحة والراحة التي لا يعكر صفوها شيء. والسلام عليك من المحب لك المعجب بك...

عبداللطيف يونس(*)

****

(*) **عبداللطيف يونس** «**سوريا**» – ١٩١٤ –
– سياسي – انتخب نائباً عن قضاء صافيتا وأصدر صحيفة «صوت الحق» في اللاذقية.

او اخطأت في التعبير أدركني حلمك الذي كثيرًا ما يدرك غير مستحقيه

وبعد ايضًا: فانني اكتب اليك وسط هالة من الاخوان الذين يشاركونني اعجابهم بك ومحبتهم لك وشوقهم الشديد لرؤيتك، ورجاءهم الحار ألا تخيب أملهم المدلل العزيز.

فان حاز قبولًا هذا الرجاء فذلك فضل من الله. وان لم يحز فذلك هو الجد التاعس الذي يلاحقنا تعسه في كل زمان ومكان.

ومعذرة... فقد أطلت عليك حتى خفت ان تكون - لا سمح الله - قد برمت وسئمت؛ وكل ما نرجوه أولًا وآخرًا أن يسبل الله عليك ثوب العافية وان يطيل عمرك لتظل في بقائك ثروة مادية ومعنوية لهذه الأمة البائسة - التي تنطق قسمات وجهك بأعظم التأثر منها وابلغ "الرثاء" لها.

وشيء آخر أحب أن أقوله لك - وهو ان صحتك أغلى علينا من جميع الحفلات فاذا رأيت هناك شيئًا - ولو ضئيلًا - من الازعاج سيحدث لك من جراء هذه السفرة فاننا نتنازل طائعًا عن هذه الرجاءات جميعها، ونضع مكانها رجاءً أقوى منها وأشد وهو أن تحتفظ بصحتك وتصونها من عبث الأيام وأرق الليالي.

وأخيرًا... ان كان يجوز ان يكون لعلاقتك بي هذه الكلمة الصارمة الشديدة وعلى كل فهي رحم من الآخر وأشد وطأة منها. أقول وأخيرًا انني أرجو ان تصلك هذه الرسالة وانت تتمتع بثوب العافية، وتتسربل بسربال الصحة والراحة التي لا يعكر صفوها شيء

والسلام عليك من المحب لك المعجب بك

محمد مصطفى نوري

لجنة تكريم المجاهد الكبير

الشيخ صالح علي **اللاذقية في ٢٠ آذار ١٩٤٥**

قائد الثورة العلوية في اللاذقية

حضرة صاحب السعادة الشاعر النابغة الأستاذ بشارة بك الخوري المحترم

تحية العروبة والجهاد

وبعد: فإن لجنة تكريم المجاهد الكبير الشيخ صالح علي قائد الثورة العلوية قد قررت في اجتماعها الأخير تكليفكم لتكونوا شاعر الحفلة الكبرى التي ستقام لسماحته تحت رعاية معالي الأمير مصطفى الشهابي نهار الجمعة الواقع في ٢٧ نيسان ١٩٤٥ ـ وذلك في سينما الأمبير بمدينة اللاذقية.

واللجنة التي تقدر فيكم الاندفاع الصادق لمؤازرة كل فكرة ترمي الى تقدير المخلصين، والواثقة أنكم تشاركونها شعور التقدير لهذا المجاهد الكبير الذي رفع رأس بلاده عالياً وبيض صحائفها في التاريخ والموقنة أنكم ستلبون هذه الدعوة بنفس السرعة التي حدت باللجنة الى توجيهها لكم ترجوكم التفضل بإعطائها علماً بذلك مؤملة أن لا تحرم الشعب اللاذقي من آماله وهو المتعشق لرؤيتكم بين ربوعه والمتلهف لسماع أدبكم الكبير وشاعريتكم البليغة في هذه الحفلة الكبرى التي نستعد لها استعداداً عظيماً لإخراجها بالشكل الذي يتفق مع روعة الجهاد وتقدير المجاهدين وبالشكل الذي يتفق مع عظمة بيانكم وقوة شخصيتكم.

وبانتظار التفضل بإعطاء جوابكم بالقبول نبعث إليكم بأصدق الاحترام والتقدير.

أمين السر رئيس اللجنة

عبداللطيف يونس(*) **أسعد هارون**(**)

(*) انظر الهامش ص(١١٩).

(**) **أسعد هارون** «**سوريا**» - ١٩٠٣ - ١٩٦٨

- سياسي - عين وزيراً مفوضاً في طهران وأسندت إليه وزارة العدلية وأصبح نائباً عن اللاذقية وأسندت

تكريم المجاهد الكبير

الشيخ صالح علي

قائد الثورة العلوية

في اللاذقية

اللاذقية في ٢٠ آذار ١٩٤٥

حضرة صاحب السعادة الشاعر النابغة الاستاذ بشارة بك الخوري المحترم

تحية العروبة والجهاد

وبعد: فان لجنة تكريم المجاهد الكبير الشيخ صالح علي قائد الثورة العلوية قد قررت في اجتماعها الأخير تكليفكم لتكونوا شاعر الحفلة الكبرى التي ستقام لسماحته تحت رعاية معالي الامير مصطفى الشهابي نهار الجمعة الواقع في ٢٧ نيسان ١٩٤٥ - وذلك في سينما الأمير بمدينة اللاذقية.

واللجنة التي تقدر فيكم الاندفاع الصادق لموآزرة كل فكرة ترمي الى تقدير المخلصين، والواثقة انكم تشاركونها شعور التقدير لهذا المجاهد الكبير الذي رفع رأس بلاده عالياً وبيض صحائفها في التاريخ والموقنة انكم ستلبون هذه الدعوة بنفس الرغبة التي حدت باللجنة الى توجيهها لكم نرجوكم التفضل باعطائها علماً بذلك مؤملة ان لا تحرموا الشعب اللاذقي من آماله وهو المتعشق لرؤيتكم بين ربوعه والمتلهف لسماع أدبكم الكبير وشاعريتكم البليغة في هذه الحفلة الكبرى التي نستعد لها استعداداً عظيماً لاخراجها بالشكل الذي يتفق مع روعة الجهاد وتقدير المجاهدين وبالشكل الذي يتفق مع عظمة بيانكم وقوة شخصيتكم.

وبانتظار التفضل باعطاء جوابكم بالقبول نبعث اليكم بأصدق الاحترام والتقدير

رئيس اللجنة

اسعد هاشم

امين السر

صبحي الطنيف

الجمهورية السورية

المجمع العلمي العربي

رقم.....

حضرة الأستاذ الشاعر السيد بشارة الخوري المحترم

قرر المجمع العلمي العربي بدمشق إقامة مهرجان لمرور ألف سنة على مولد أبي العلاء المعري يفتتح في دمشق يوم الإثنين الثامن من شوال سنة ١٣٦٣ الموافق للخامس والعشرين من شهر أيلول سنة ١٩٤٤ ويستمر أسبوعاً. ويسر المجمع أن تلقوا كلمة في هذا المهرجان. فالرجاء أن تتفضلوا بإعلامنا عن موافقتكم بالإجابة وعن عنوان كلمتكم بأسرع ما يمكن لنتمكن من ترتيب البرنامج العام ورسم هيكل الكتاب الذي سيشتمل على جميع ما سيلقى في المهرجان. وها نحن أولاء بانتظار جوابكم ودمتم بسلام واحترام.

دمشق في ٢٣ آذار ١٩٤٤

رئيس المجمع العلمي العربي

محمد كرد علي(*)

****

(*) **محمد كرد علي** «**سوريا**» - ١٨٧٦ - ١٩٥٣

- أديب ومؤرخ ويعتبر الرائد الأول في الصحافة السورية. حرر صحيفة «الشام» الأسبوعية ونشر مقالاته في مجلة «المقتطف المصرية». كما حرر صحيفة «الرائد» المصرية وأصدر مجلة «المقتبس» وتولى رئاسة تحرير «الظاهر» وأمين سر صحيفة «المؤيد». أسندت إليه وزارة المعارف عام ١٩٢٨ وعين

الجمهورية السورية

المجمع العلمي العربي

رقم ــــــــ

قرر المجمع العلمي العربي بدمشق إقامة مهرجان لمرور الف سنة على مولد ابي العلاء المعري يفتتح في دمشق يوم الاثنين الثامن من شوال سنة ١٣٦٣ الموافق للخامس والعشرين من شهر ايلول سنة ١٩٤٤ ويستمر اسبوعاً . ويسر المجمع ان تلقوا كلمة في هذا المهرجان . فارجاء ان تتفضلوا باعلامنا عن موافقتكم بالاجابة وعن عنوان كلمتكم باسرع ما يمكن لنتمكن من ترتيب البرنامج العام ورسم هيكل الكتاب الذي سيشتمل على جميع ما سيلقى في المهرجان . وها نحن اولاء بانتظار جوابكم ودمتم بسلام واحترام .

دمشق في ٢٣ آذار ١٩٤٤ رئيس المجمع العلمي العربي

محمد كرد علي

سيدي الأخ الحبيب حفظه الله

هوّن عليك، فقد قال شوقي ـ وقد صدق:

(أمـا الـعـتـاب فـبـالأحـبـة أخـلـق)

فكيف إذا كانت عواقبه هذا الكتاب منك، وهو يقطر لطفاً ورفقاً، ويحمل إليّ أشهى أخبارك!.

ولقد كنت على أن أذهب إليك في وفد، وفي زفة، في التهنئة بشهادة الحبيب المرتجى عبدالله، وأن أقضي بعض اليوم في بيت العبقرية، ولكن اعتلال والدتي حال دون ذلك. ثم صعدنا بها الى عين الرمانة في عاليه، على مشورة الأطباء، إذ إن الأجواء هنا وسط، والعلو عن البحر وسط، وإني منذ غادرت بيروت لم أعد إليها إلا يوم أمس، ولقد حاولت عبثاً أن أجد من الوقت مقدار ساعة أذهب فيها إليك. فعسى أن يكون لي في يوم قريب أن أفوز بهذه الأمنية.

هذا وإن عبدالله مقبل إن شاء الله على رخاء العيش، وعلى التوفيق، في ظل أبيه وجاهه، فيضيف إلى رأس مال كبير ربحاً أكبر، ويملأ عيوننا وقلوبنا، ويكون هكذا جديراً بالانتساب الى أبوة يتباهى هذا الجيل بالانتساب إليها والعيش في زمانها... وحفظك الله ..

(١٩٤٣م.)

أمـين نخلـة(*)

****

(*) **أمين نخلة** «**لبنان**» - ١٩٠١ - ١٩٧٦

- أديب وشاعر. تقلب في مناصب سياسية وعمل في الصحافة والمحاماة وأنتخب عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق.

مكتب الاستاذ امين نخله - بيروت

CABINET DE Me A. R. NAKHLÉ

AVOCAT A LA COUR

BEYROUTH

TÉLÉPH. : 63-75 رقم التلفون : ٦٣-٧٥

No. du rôle général .....

سيدي الأخ الحبيب حفظه الله

هوّن عليك، فقد قلّ شوقي - وقد صدق :

(اما الكتاب فبالأحبة اخلف)

اذا كنت عواقب هذا الكتاب منك، وهو يقطر لطفاً ورفقاً، ويحمل اليّ اشهى اخبارك !

ولقد كنت على ان اذهب اليك في وفد، وفي زفة، في التهنئة بشهادة الحبيب المرتجى عبدالله، وان اقضي ...

في بيت العبقرية، ولكن اعتلال والدتي حال دون ذلك. ثم صدنا بها الى عين الرمانة في غاية، على مشورة الاطباء، اذ ...

... هنا وسط، والعلوّ الجو وسط، واني منذ غادرت بيروت لم اعد اليها الا يوم امس، ولقد حاولت عبثاً ان اجد من الوقت ...

... اذهب فيها اليك. فعسى ان يكون لي في يوم قريب ان افوز بهذه الامنية.

هذا وان عبدالله مقبل ان شاء الله على رخاء العيش، وعلى التوفيق، في ظل ابيه وجاهه، فيضف ...

... رأس مال كبير ربحاً اكبر، ويملأ عيوننا وقلوبنا، ويكون هكذا جديراً بالانتساب الى ابوة يتجاهى هذا الجيل بالانتساب اليها والعيش ...

... .

وحفظك الله .

الجمهورية السورية

المجمع العلمي العربي

سيدي الأستاذ

المرجو أن تبعثوا الينا بترجمتكم مع آخر صورة لكم لتحفظ في سجل تراجم أعضاء المجمع العلمي العربي وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

دمشق في ٢ حزيران ١٩٤٣

رئيس المجمع العلمي العربي

محمد كرد علي(*)

****

(*) **انظر الهامش ص(١٢٣).**

الجمهورية السورية

المجمع العلمي العربي

سيدي الأستاذ

المرجو ان تبعثوا الينا بترجمتكم مع آخر صورة لكم لتحفظ في سجل تراجم أعضاء المجمع العلمي العربي وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

دمشق في ٣ حزيران ١٩٤٣

رئيس المجمع العلمي العربي

الجمهورية السورية

المجمع العلمي العربي

حضرة الأستاذ

نبلغكم مع هذا الكتاب نسخة من المرسوم الجمهوري الصادر، ١٢ صفر سنة ١٣٦١ و ٢٨ شباط سنة ١٩٤٢ بانتخابكم عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

دمشق، ٣ ربيع الأول ١٣٦١ و ٢١ آذار سنة ١٩٤٢

رئيس المجمع العلمي العربي
محمد كرد علي(*)

المرسوم

٢٠٢

إن رئيس الجمهورية السورية
بناء على الصلاحيات التي يتمتع بها
وبناء على القرار ١٣٥ المؤرخ في ٨ مايس ١٩٢٨ المتضمن النظام الأساسي للمجمع العلمي العربي
وبناء على ضبط الجلسة التي عقدها المجمع العلمي العربي يوم الإثنين الواقع في ١٩٤٢/١/٢٦ لملء الأماكن الستة الشاغرة في صفوف أعضائه العاملين وانتخاب فريق من الأعضاء المراسلين وبناء على اقتراح وزير المعارف

يرسم ما يلي:

المادة ١: يعين الأستاذ الشاعر بشارة الخوري المقيم في بيروت عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي بدمشق.

المادة ٢: يذاع هذا المرسوم ويبلغ من يجب لتنفيذه.

دمشق في ١٢ صفر سنة ١٣٦١ و ٢٨ شباط سنة ١٩٤٢

صدر عن رئيس الجمهورية السورية

وزير المعارف
فيضي الأتاسي

رئيس مجلس الوزراء
حسن الحكيم

رئيس الجمهورية السورية
محمد تاج الدين الحسني(**)

(*) **انظر الهامش ص(١٢٣).**

(**) **محمد تاج الدين الحسني «سوريا» - ١٨٩٠ -١٩٤٣**

- سياسي، أستاذ العلوم الدينية في المدرسة السلطانية في دمشق وكان قاضياً للشرع.

- رئيس الجمهورية السورية ومن قبل كان رئيساً لمجلس الوزراء.

الجمهورية السورية
المجمع العلمي العربي

حضرة الأستاذ

نبلغكم مع هذا الكتاب نسخة من المرسوم الجمهوري الصادر في ١٢ صفر ١٣٦١ و ٢٨ شباط ١٩٤٢ بانتخابكم عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
دمشق ١٧ ربيع الأول ١٣٦١ و ١١ آذار ١٩٤٢

رئيس المجمع العلمي العربي

المرسوم
٢٠٢

إن رئيس الجمهورية السورية
بناء على الصلاحيات التي تتمتع بها
وبناء على القرار ١٣٥ المؤرخ في ٨ مايس ١٩٤٨ المتضمن النظام الأساسي للمجمع العلمي العربي
وبناء على محضر الجلسة التي عقدها المجمع العلمي العربي يوم الاثنين الواقع في ٢٦ / ١ / ١٩٤٢
لملء الأماكن الستة الشاغرة في صفوف أعضائه العاملين وانتخاب فريق من الأعضاء المراسلين
وبناء على اقتراح وزير المعارف

يرسم مايلي

المادة ١ : يعين الأستاذ الشاعر بشارة الخوري المقيم في بيروت عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي بدمشق

المادة ٢ : ينفذ هذا المرسوم ويبلغ حيث يجب لتنفيذه
دمشق في ١٢ صفر ١٣٦١ و ٢٨ شباط ١٩٤٢

رئيس الجمهورية السورية
محمد تاج الدين الحسني

رئيس مجلس الوزراء
حسن الحكيم

وزير المعارف
فيضي الأتاسي

الجمهورية السورية

المجمع العلمي العربي

رقـم

٦٠٠

حضرة الأستاذ

عقد المجمـع العلمي العربي في دمشق جلسة يوم الإثنين في ٩ المحرم ١٣٦١ و٢٦ كانون الثاني ١٩٤٢، انتخب فيها حضرتكم عضواً مراسلاً، فنبلغكم ذلك راجين منكم أن تتحفوه بجوابكم وببحوثكم القيمة وآرائكم السديدة وأن تتفضلوا بإهدائه ثلاث نسخ من جميع مؤلفاتكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دمشق في ١١ المحرم ١٣٦١ و ٢٨ كانون الثاني ١٩٤٢

رئيس المجمع العلمي العربي

محمد كرد علي(*)

****

(*) **انظر الهامش ص(١٢٣).**

الجمهورية السورية

المجمع العلمي العربي

رقم

٦٠٠

حضرة الاستاذ

عقد المجمع العلمي العربي في دمشق جلسة يوم الاثنين في ٩ المحرم ١٣٦١ و ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٢ ، انتخب فيها حضرتكم عضوا مراسلا ، فنهنئكم ذلك راجين منكم ان تتحفوه ببحوثكم القيمة وآرائكم السديدة وان تتفضلوا باهدائه ثلاث نسخ من جميع مؤلفاتكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

دمشق في ١١ المحرم ١٣٦١ و ٢٨ كانون الثاني ١٩٤٢

رئيس المجمع العلمي العربي

محمد كرد علي

٢٠ أيار ١٩٤٠

سيدي الشاعر الكبير حفظه الله آمين

احترامي الجزيل وأشواقي الكثيرة. وبعد فإنني أبعث إليكم بعقد اتفاقية عن إذاعة طائفة من شعركم في محطة القدس وتسجيل طائفة أخرى منه تسجيلاً كهربائياً نبعث به ليذاع من محطة لندن العربية.

إن مصلحة الإذاعة الفلسطينية كانت ولا تزال تواقة الى رؤيتكم في ربوعنا والتشرف بأن تحمّل أمواج الأثير نفثات عبقريتكم الى مختلف الأقطار العربية، وتذكرون أنني كنت كتبت إليكم منذ عامين في هذا الرجاء ولم أزل وطيد الأمل بأن تكليفي هذا سيلقى عندكم القبول مدلاً عليكم بتلك الصلة الوثيقة التي نشأت بيننا أيام إقامتي في بيروت أيام كنت أتلقى في مجالسكم آيات البيان الساحر وأستنير بين يديكم بقبس العبقرية وأتمتع بعطفكم عليّ وأخذكم بيدي في مدارج الفن الأصيل.

سيدي لا أريد أن أرهقكم بإعداد شعر جديد للإذاعة وإنما حسبي أن تعدّوا ما يستغرق إلقاؤه خمس عشرة دقيقة مما سبق لكم نظمه في الغزل والاجتماع ونحوهما ومما كنت أسمعكم تنشدونه من قصائد الحرب الماضية في وصف الغواصات والطيارات والوقائع وأن تعدّوا للتسجيل الكهربائي غيرها مثلها.

إن مصلحة الإذاعة تقدم لكم أجراً قدره خمسة عشر جنيهاً فلسطينياً لتحقيق هذه الأمنية شاملاً نفقات سفركم وإقامتكم. وهي مستعدة لتسهيل سفركم لدى المراجع المختصة.

هذا وقد جعلت الموعد في ١١ تموز المقبل على أن نسجل طائفة لمحطة لندن ربع ساعة في الصباح وتذيعوا طائفة أخرى في ربع ساعة من وقت المساء.

وإنني إذ أتوقع ألا يخيب عندكم رجائي ويتوطد أملي في قدوم جوابكم بنسخة موقعة من الاتفاقية تجدونني يا سيدي أترقب ساعة لقائكم وأتطلع الى رؤيتكم بيننا. والله سبحانه يحفظكم للأدب والشعر بالهناء والعافية والسعادة سيدي.

عن مدير البرامج

ابراهيم طوقان(*)

(*) **إبراهيم طوقان «فلسطين» - ١٩٠٥ - ١٩٤١**

- اشتهر بشعره الوطني والغزلي، أبدع في الأدب العربي والإنجليزي. تولى قسم المحاضرات في محطة الإذاعة بفلسطين، ثم مديراً للبرامج وانتقل إلى بغداد مدرساً.

دائرة البريد والتلغراف

مصلحة الاذاعة اللاسلكية الفلسطينية

شارع الملكه ملسنده
شارع عمر المختار
القدس
٣٠ ايار ١٩٤٠

تلفون رقم ٤٣٨٨ #٧٧
العنوان التلغرافي برودكاستس القدس
الرجاء الاشارة في الجواب الى. =
رقم ( )

سيدي الشاعر الكبير حفظه الله امين

احترامي الجزيل واشواقي الكثيرة . وبعد فانني ابعث اليكم بعقد اتفاقية عن اذاعة طائفة من شعركم في محطة القدس وتسجيل طائفة اخرى منه تسجيلا كهربائيا نبعث به ليذاع من محطة لندن العربية .

ان مصلحة الاذاعة الفلسطينية كانت ولا تزال تواقة الى رؤيتكم في ربوعنا والتشرف بان تحمّل امواج الاثير نغمات عبقريتكم الى مختلف الاقطار العربية وتذكرون انني كنت كتبت اليكم منذ عامين في هذا الرجاء ولم ازل وطيد الامل بان تكلفني هذا سيلقى عندكم القبول مدلاّ عليكم بتلك الصله الوثيقة التي نشأت بيننا ايام اقامتي في بيروت ايام كنت اتلقى في مجالسكم آيات البيان الساحر واستنير بين يديكم بقبس العبقرية واتمتع بعطفكم عليّ واخذكم بيدي في مدارج الفنّ الاصيل .

سيدي لا اريد ان ارهقكم باعداد شعر جديد للاذاعة وانما حسبي ان تعدّوا ما يستغرق القاؤه خمس عشرة دقيقة مما سبق لكم نظمه في الغزل والاجتماع ونحوهما ومما كنت اسمعكم تنشدونه من قصائد الحرب الماضية في وصف الغواصات والطيارات والوقائع وان تعدّوا للتسجيل الكهربائي غيرها مثلها .

ان مصلحة الاذاعة تقدم لكم اجرا قدره خمسة عشر جنيها فلسطينيا لتحقيق هذه الامنية شاملا نفقات سفركم واقامتكم . وهي مستعدة لتسهيل سفركم لدى المراجع المختصة .

هذا وقد جعلت الموعد في ١١ تموز المقبل على ان نسجّل طائفة لمحطة لندن ربع ساعة في الصباح وتذيعوا طائفة اخرى في ربع ساعة من وقت المساء .

وانني اذ اتوقع الاّ يخيب عندكم رجائي وبتوطد املي في قدوم جوابكم بنسخة موقّعة من الاتفاقية تجدونني يا سيدي اترقب ساعة لقائكم واتطلع الى رؤيتكم بيننا . والله سبحانه يحفظكم للادب والشعر بالهناء والعافية والسعادة سيدي

عن مدير البرامج
ابراهيم طوقان

عزيزي الأستاذ الكبير بشارة الخوري

تحياتي. وصلتني القطع جميعها وهي تحفة فيها جمال لبنان وشمس مصر خصوصاً قطعة (الورد الزاهرة) غير أنني أرى أن الاتصال بالخطابات بطيء جداً ويكلفنا وقتاً نحن في حاجة إليه خصوصاً وأنني أريد من الأستاذ أن يعاونني في قطع أخرى وأكون مسروراً جداً لو تكرم الأستاذ بقبول دعوتي للحضور إلى مصر والإقامة في ضيافتي بل ألح في قبول هذه الدعوة المتواضعة وسوف أترك للأستاذ الحرية في وقت مكوثه بالقاهرة على أنني أرجو أن يكون تحديد الميعاد في أقرب وقت أي بمجرد وصول هذا الخطاب.

ومنتظر ردكم بالإجابة تلغرافياً ودمتم...

مصر ١٠ يناير ١٩٣٩

محمد عبدالوهاب(*)

****

(*) **انظر الهامش ص(١١٣).**

محمد عبد الوهاب

عزيزي الاستاذ الكبير بشاره الخوري

تحياتي . وصلتني القطع جميعها وهي تحفه فيها جمال لبنان وشمس مصر خصوصا قطعة الورد الزاهره غير انني ارى ان الاتصال بالخطابات بطيء جدا ويكلفنا وقتا نحن في حاجة اليه خصوصا وانني أريد من الاستاذ أن يعاونني في قطع اخرى واكون مسرورا جدا لو تكرم الاستاذ بقبول دعوتي للحضور إلى مصر والاقامه في ضيافتي بل ألح في قبول هذه الدعوه المتواضعه وسوف اترك للاستاذ الحريه في وقت سكوته بالقاهره على انني أرجو ان يكون تحديد الميعاد في اقرب وقت اي بمجرد وصول هذا الخطاب .

وننتظر ردكم بالاجابه تلغرافيا ودمتم

مصر ١٠ يناير ١٩٧٩

محمد عبد الوهاب

عزيزي الأستاذ الكبير...

تحياتـــي

وصلني خطابكم وأشكركم كل الشكر وقد وافقت على قطعة (الفنان) فإنها بديعة وأما قطعة (الصبا والجمال) فقد ابتدأت في تلحينها فعلاً غير أني أرجو للمرة الثانية أن تزيد عليها بيتاً أو أكثر لأنها هكذا لا تكفي لملء أسطوانة وإني لا أريد أن اضطر الى إعادة كثيرة مملة في بعض أجزاء القصيدة. ومرسل لك الترتيب الذي اخترته للقصيدة لأنني لحنت فيها كما قلت منتظراً الرد سريعا وإلى اللقاء.

محمد عبدالوهاب(*)

(١٩٣٨م.)

****

(*) انظر الهامش ص(١١٣).

محمد عبد الوهاب

عزيزي الاستاذ الكبير

تحياتي وصلني خطابكم واشكركم كل الشكر
وقد وافقت على قطعه (الفنان) فانها بريعه
واما قطعه الصبا والجمال فقد ابتدأت في تلحينها
فعلا غير اني ارجو للمرة الثانيه ان تزيد عليها
بيت او اكثر لانها هكذا لا تكفي لملأ اسطوانه
واني لا اريد ان انظر الى اعاده كثيره مملة
في بعض اجزاء القصيده ، ومرسل لك الترتيب
الذي اخترته للقصيده لانني لحنت فيها
كما قلت منتظر الرد سريعا والى اللقاء

عبد الوهاب

عزيزي الأستاذ الكبير...

تحياتي، وصلتني جميع القطع وأشكرك كل الشكر وقد أعجبت بقطعة (الصبا والجمال) وابتدأت فعلاً في تلحينها غير أنني أرى أن تغير البيت الأخير (رفعوا منك للجمال إلهاً ـ فسجدنا له...) ضماناً لموافقة وزارة الداخلية المصرية على القطعة لأن إدارة المطبوعات هنا تحت تأثير الهيئة الدينية ولا يمكن أن توافق على أي شيء به كلمة إله أو سجدنا ويكون هذا لغير الله. وأما القطعتان الثانيتان فللآن لم أكوّن فيهما رأياً قاطعاً وسأرسل لك برأيي فيهما، ويجدر بي أن أقول بأنه يهمني أن تكون قصيدة (الصبا والجمال) لم تعطها لأحد سواي كما أرجو أن لا تعطيها حتى يكون لها الرونق المطلوب ودمتم ،،

محمد عبدالوهاب(*)

(١٩٣٨م.)

****

(*) انظر الهامش ص(١١٣).

القاهره في

محمد عبد الوهاب

عزيزي الاستاذ الكبير

تحياتي . وصلتني جميع القطع واشكرك كل الشكر وقد اعجبت
بقطعة (الصبا والجمال) وابتدات فعلا في تلحينها غير
انني ارى أن تغير البيت الاخير (رفعوا منك
للجمال إلهاً - فسجدنا له ..) ضمانا لموافقة وزارة
الداخليه المصريه على القطعه لأن إدارة المطبوعات
هنا تحت تاثير الهيئة الدينيه ولا يمكن ان توافق
على اي شيء به كلمه إلاهو أو سجدنا ويكون هذا
لغير الله . وأما القطعتين الثانيتين فللآن لم
تكون فيهما راي قاطع وسأرسل لك برأي فيهما ويجدر
بي أن اقول بانه يهمني ان تكون قصيده (الصبا
والجمال) لم تعطها لاحد سواي كما أرجو ان لا تعطيها
حتى يكون لها الرونق المطلوب ودمتم

محمد عبد الوهاب

القاهرة في ١٣ سبتمبر ١٩٣٧

عزيزي الشاعر الكبير الأستاذ بشارة الخوري

أبثك التحية والشوق وأدعو لك بالصحة والسلامة وأغتنمها فرصة لأصوغ لك آيات الثناء وأكاليل المديح والتهنئة على النفائس التي تطالع بها العالم العربي وهي التي ستشفع لك يوم الحساب وتنقذك من الجحيم الذي ستقتحمه على جواد من ذنوبك حتى أنها ستشفع كذلك لمن يطالعها ويحفظ سحرها وخيالها. ولما كانت هذه النفثات من القدرة والمنزلة بحيث هي فقد أصبحت ملزماً أن ترعى هذه الخليقة وتمهد لها أسباب خلاصها بالإكثار من هذه الحسنات التي ترجح بها كفتهم يوم توزن أعمالهم.

ولما كانت (جريدة المصري) وهي كما تعلم من أمهات الجرائد المصرية قد عهدت إليّ في أن أتولى الإشراف على صفحة أدبية أسبوعية فقد رأيت أن خير ما يتحلى به جيدها شعر أمير الشعراء الذي فتن الألباب وخلب العقول ولا سيما أن الجمهور المصري بل العربي متعطش الى أدبك وفنك ولا أظنك تجهل أن سيكون لهذه الروائع الطيبة التي ستتحفنا بها أجمل الأثر عندنا وأكبر العناية. فرجائي إليك أن تكون عند حسن الرجاء وتبعث لنا بأول قطرة من صيبك لتنشر في أول أكتوبر المقبل وهو الموعد لصدور الصفحة المشار إليها وتفضل بقبول أجزل الثناء وأعطر الشكر ودم.

للمخلص

عادل الغضبان(*)

****

(*) **عادل الغضبان** - ١٩٠٨ - ١٩٧٢

- أديب وشاعر. تولى تحرير مجلة «الكتاب» عام ١٩٤٥ - ١٩٥٣ وكان عضواً في المجلس الأعلى للفنون

تليفون ٤٦٣٧٤ (٤ فروع)

العنوان التلغرافي «مصري»

المصري

جريدة يومية

أصحابها :
محمود أبو الفتح
محمد التابعي
كريم ثابت

عنوان الجريدة :
٨ شارع ضريح سعد
(ناظر الجيش)

القاهرة في ٢٢ سبتمبر ١٩٣٧ سنة ١٩٣

عزيزي الشاعر الكبير الأستاذ بشارة الخوري

ابنك التحية والشوق وادعو لك بالصحة والسلامة واغتنمها فرصة لاصوغ لك
آيات الثناء وأكاليل المديح والتهنئة على النفائس التي تطالع بها العالم العربي
وهي التي ستشفع لك يوم الحساب وتنقذك من الجحيم الذي ستقتحمه على
جواد من ذنوبك حتى انها ستشفع كذلك لمن يطالعها ويحفظ سرها وخيالها
ولما كانت هذه النفثات من القدرة والمنزلة بحيث هي فقد أصبحت ملزماً
ان ترعى هذه الخليقة وتمهد لها اسباب خلاصها بالاكثار من هذه الحسنات التي
ترجح بها كفتهم يوم توزن اعمالهم ولما كانت جريدة المصري وهي كما تعلم من
امهات الجرائد المصرية قد عهدت الي في ان اتولى الاشراف على صفحة الادبية
الاسبوعية فقد رأيت ان خير ما يتحلى به جيدها شعر امير الشعراء الذي
فتن الالباب وخلب العقول ولا سيما ان الجمهور المصري بل العربي متطلع الى
ادبك وفنك ولا اظنك تجهل ان سيكون لهذه الروائع الطيبة التي ستحفنا بها
اجمل الاثر عندنا واكبر الغناية فرجائي اليك ان تكون عند حسن الرجاء
وتبعث لنا باول قطرة من جيبك لتنشر في اول اكتوبر المقبل وهو الموعد
لصدور الصفحة المشار اليها وتفضل بقبول اجزل الثناء واعطر الشكر ودم
للمخلص
عادل الغضبان

حضرة الشاعر الوطني الأستاذ بشارة الخوري المحترم

يسرني أن أنقل لحضرتكم الصدى المستحب الذي صادفه «النشيد القومي» لدى أعضاء اللجنة الخاصة لإعادة النظر في الكتب المدرسية وهو النشيد الذي سبق لحضرة مدير التربية الوطنية والفنون الجميلة أن اقترح عليكم تأليفه. فقد تلي هذا النشيد على أعضاء اللجنة في جلستها المنعقدة بعد ظهر يوم الثلاثاء الموافق ٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٧ فقررته بالإجماع مقترحة على الوزارة إرسال كتاب شكر الى حضرتكم.

وإني أقدم لكم مع هذا الكتاب تهنئتي وإعجابي.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

بيروت في ١٠ شباط سنة ١٩٣٧

وزير التربية الوطنية

والصحة والاسعاف العام والسياحة والاصطياف

حبيـــب أبـوشـــهـلا(*)

****

(*) **حبيب أبو شهلا «لبنان» - ١٩٠٢ - ١٩٥٧**

- محام مجاز في الحقوق ونال الدكتوراه. عين سنة ١٩٣٧ وزيراً للتربية والصحة والاصطياف، و سنة ١٩٣٩ وزيراً للداخلية والشؤون الخارجية، قام بأعمال رئيس الجمهورية، وسنة ١٩٤٥ نائباً لرئيس الوزارة ووزيراً للعدل والتربية الوطنية. وترأس مجلس النواب عامي ١٩٤٦-١٩٤٧ .وانتخب نائباً عن بيروت سنة ١٩٥٣

RÉPUBLIQUE LIBANAISE

MINISTÈRE de l'ÉDUCATION NATIONALE,
de l'HYGIÈNE et ASSISTANCE PUBLIQUE,
et du TOURISME

Direction de l'Education Nationale
et des Beaux-Arts

No._____

الجمهورية اللبنانية

وزارة التربية الوطنية
والصحة والاسعاف العام والسياحة والاصطياف

مديرية التربية الوطنية والفنون الجميلة

عدد ١٢٥

حضرة الشاعر الوطني الاستاذ بشاره الخورى المحترم

يسرني ان انقل لحضرتكم الصدى المستحب الذى صادفه النشيد القومي " لدى اعضاء اللجنة الخاصة لاعادة النظر في الكتب المدرسية وهو النشيد الذى سبق لحضرة مدير التربية الوطنية والفنون الجميلة ان اقترح عليكم تأليفه . فقد تلي هذا النشيد على اعضاء اللجنة في جلستها المنعقدة بعد ظهر يوم الثلاثا الموافق ٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٧ فقررته بالاجماع مقترحة على الوزارة ارسال كتاب شكر الى حضرتكم

واني اقدم لكم مع هذا الكتاب تهنئتي واعجابي .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ./.

بيروت في ٩ شباط سنة ١٩٣٧

وزير التربيه الوطنية
والصحه والاسعاف العام والسياحة والاصطياف

أخي بشارة،

قصيدتك في فلسطين ألهبت قلبي ثائراً وأبكته شاعراً. فمن يجاريك بمثل هذه النفثات الساحرة، إنك تسير الى القمة بخطوات الجبار فدعني أقبل جبينك الملهم وأعتز بك يا أبا عبدالله.

وإنني أنتهز الفرصة لأسألك عن ترجمة قصيدتك (الريال الزائف) فقد نشرتها مجلة «لا سمين اجيبسيان» في حينها وأرسلت إليك نسخة من هذه المجلة مع كتاب مني فما قلت لي كلمة تطمني الى وصول ما أرسلت اليك.

أردت أن أقتحم ترجمة قصيدتك في فلسطين ولكنني تيقنت أن لا مجلة تقتحم نشرها هنا وفيها الصواعق وفيها جراءة رعاة التوراة الأقدمين.

لك قبلاتي يا بشور وكل شوقي.

قريباً ستصدر رسالة منبري الى الشرق العربي فيصلك منها نسخة.

الاسكندرية في ٣ تشرين الأول ١٩٣٦

فليكس فارس(*)

****

(*) **فليكس فارس «لبنان» - ١٨٨٢ - ١٩٣٩**

- كاتب وخطيب وشاعر. عمل رئيساً للترجمة في المجلس البلدي بالاسكندرية وأصدر في بيروت صحيفة «لسان الاتحاد» عام ١٩٠٩ أسبوعية ثم يومية. ويعد كتاب «رسالة المنبر إلى الشرق العربي» من أهم إنجازاته.

اخـــي بشـاره ،

قصيدتك في فلسطيـــن الهبت قلبي ثائرا وابكتـه شاعرا . فمن يجاريك بمثل هذه النفثات الساحرة ، انك تسير الى القمة بخطوات الجبار فدعني اقبل جبينك العلهـم واعتز بك يا ابا عبد اللـه .

وانني انتهز الفرصة لاسألك عن ترجمة قصيدتك (الريال الزائف) فقد نشرتها مجلة لا سمين اجيبسيان في حينها وارسلت اليك نسخة من هذه المجلة مع كتاب مني فما قلت لي كلمة تطمئني الى وصول ما ارسلت اليك .

اردت ان اقتحم ترجمة قصيدتك في فلسطين ولكنني تيقنت ان لا مجلة تقتحم نشرها هنـا وفيها الصواعق وفيهـا جراءة رعاة التوراة الاقدمين .

لك قبلاتي يا بشور وكل شوقي .

قريبا سنصدر رسالة منبري الى الشرق العربي فيصلك منها نسخة .

فليكس فارس

الاسكندرية في ٣ تشرين الاول ١٩٣٦ .—

لحضرة سيدي الأستاذ شاعر العروبة بشارة الخوري المحترم

سلام وتحية وبعد اسمحوا لي باسم الكشافين أن أشكر لكم عاطفتكم الطيبة نحوهم وتشجيعكم لهم.

لقد اطلعت على نشيدكم الأخير الذي لحنه الأخان الفنانان فليفل فراقني جداً، كيف لا وهو من فيض وحيكم حفظكم الله وأبقاكم للنشء العربي وختاماً تفضلوا بقبول فائق شكري وامتناني...

رئيس الكشاف المسلم
ومندوب الكشاف الدولي
محيي الدين النصولي (*)
١٩٣٦/٧/٢٥

****

(*) **محيي الدين النصولي** «لبنان» - ١٨٩٦ - ١٩٦١
- سياسي وأستاذ في الاقتصاد. أسس حركة النجادة وأنشأ صحيفة «بيروت» عام ١٩٣٦.
- عين وزيراً للمالية ثم للعدلية ووزيراً للإرشاد والأنباء ثم للداخلية.

بيروت

جريدة عربية سياسية يومية

ش ـ المعرض (السور) — بيروت

رقم التلفون : ٥٣/٠٨

صندوق البريد : ٧٠٨

صاحب الامتياز والمدير المسؤول { محي الدين النصولي

رئيس التحرير { فؤاد قاسم

لحضرة سيدي الاستاذ شاعر العروبة بشارة الخوري المحترم

سلام وتحية وبعد اسمحوا لي باسم الكشافين ان اشكر لكم عاطفتكم

الطيبة نحوهم وتشجيعكم لهم.

لقد اطلعت على نشيدكم الاخير الذي لحنه الاخوان الفنانان

فليفل فراقني جداً كيف لا وهو من فيض وحيكم

حفظكم الله وابقاكم للنشء العربي وختاماً تفضلوا بقبول

فائق شكري وامتناني

رئيس الكشاف المسلم

ومندوب الكشاف الدولي

محي الدين النصولي

٢٥/٧/٣٦

دمشق في ١٦ تموز سنة ١٩٣٦

سيدي الأخ الكريم!

تحية العروبة وبعد،

فإن عصبة العمل القومي قررت إقامة حفلة تأبينية كبرى في أوائل شهر آب القادم لمناسبة مرور عام على وفاة فقيدها الغالي وفقيد الأمة العربية المرحوم الدكتور عبدالرزاق الرستم، (وأملها) ورجاؤها في أن يكون «أبوعبدالله» من شعراء الحفل الجامع وأن تكون عصماؤه درة للقصائد التي (تأمل) العصبة أن يكون دويها رائعاً ورنتها كبرى. فتفضلوا بإعلامنا عن موافقتكم على رجائنا كما (نأمل) وسنبلغكم موعد الحفلة على الضبط عما قريب ولكم سلفاً مزيد الشكر وجزيل الاحترام، سيدي.

أمين السر العام

صبري العسلي(*)

****

العنوان: دمشق/ المرجة

المحامي: صبري العسلي

(*) **صبري العسلي** «**سوريا**» - ١٩٠٣ - ١٩٧٦

- محام وسياسي. أمين سر عصبة العمل القومي بدمشق. تدرج في المناصب السياسية إلى أن عين رئيساً للوزراء. ثم نائبا لرئيس الجمهورية العربية المتحدة لمدة وجيزة انتهت باستقالته.

عصبة العمل القومي
١٣٥٢هـ ١٩٣٣م

دمشق في ١٦ تموز سنة ١٩٣٦

سيدي الأخ الكريم !

تحية العروبة وبعد فإن عصبة العمل القومي قررت إقامة حفلة تأبينية كبرى في أوائل شهر آب الـ
لمناسبة مرور عام على وفاة فقيدها الغالي وفقيد الأمة العربية المرحوم الدكتور عبد الرزاق الرستم
ورجائها في أن يكون «أبو عبدالله» من شعراء الحفل الجامع وأن تكون عصماؤه درة القصائد
العصبة أن يكون دويها رائعاً ورنتها كبرى فتفضلوا بإعلامنا عن موافقتكم محلى رجائنا كما
وسنبلغكم موعد الحفلة على الضبط عما قريب ولكم سلفاً مزيد الشكر وجزيل الاحترام سيدي

أمين السر العام
صبري العسلي

العنوان :
دمشق المرجه
المحامي صبري العسلي

الجمهورية السورية

المجمع العلمي العربي

لجنـــة

المهرجان الألفي لأبي الطيب المتنبي

دمشق في ١٩٣٦/٧/١١

حضرة الأديب الكبير السيد بشارة الخوري المحترم

تحية طيبة، وبعد فقد عجبت لجنة المهرجان العامة لعدم جوابكم على رسائلها المرسلة إليكم، مع علمها بما انطويتم عليه من نصرة الأدب، وقائل قال: أيجمل بالأخطل الصغير أن لا يسمعنا صوته في أبي الطيب ولا سيما في هذا المهرجان العظيم؟.

إن حفلة حلب موضعية، أما مهرجان دمشق فحفلة سورية بأجمعها، فالرجاء استيحاء ملك شعرك أو شيطانه قليلاً فيملي عليك القصيدة التي تهواها لتتلوها على منبر المهرجان، وأخونا خليل بك مردم بك يؤكد هذا الرجاء والله يحفظكم للمخلص..

كاتب سر المهرجان

عزالدين علم الدين(*)

****

(*) **عزالدين علم الدين التنوخي** «**سورية**» - ١٨٨٩ - ١٩٦٦

- أديب ومربٍّ ومهندس زراعي.. التحق بالثورة العربية عام ١٩١٦. عين عضواً بلجنة الترجمة والتأليف. أستاذ في دار المعلمين العليا وعضو المجمع العلمي العربي في دمشق ثم أمين السر.

REPUBLIQUE SYRIENNE
ACADÉMIE ARABE

COMITÉ
DU MILLÉNAIRE INTERNATIONAL
D'AL-MUTANABBI

الجمهورية السورية
المجمع العلمي العربي
لجنة
المهرجان الألفي لأبي الطيب المتنبي

دمشق في ١١/٧/٣٦

حضرة الأديب الكبير السيد بشارة الخوري أدام

تحية طيبة ، وبعد فقد عجبت لجنة المهرجان العامة لعدم جوابكم على رسالتها الرسلة اليكم ، مع علمها بما انطويتم عليه من غيرة الأدب ، وقائل قال : أبجل بالأخطل الصغير ان لا يسمعنا صوته في أبي الطيب ولا سيما في هذا المهرجان العظيم إنه خطة جلب خطة موضعية ، اما مهرجان دمشق فخطة سوريه بأجمعها ، فالرجاء استجماع ملك شعرك أو شيطانه قليلا فيملي عليك القصيدة التي تهواها لتتلوها على منبر المهرجان ، وأخونا خليل بك مردم بك يؤكد هذا الرجاء والله يحفظكم لمخلص

كاتب سر المهرجان
خليل عبد الله

الاسكندرية في ٢٥ آذار ١٩٣٦

أخي بشارة،

سلمت بريد اليوم عدداً من المجلة المصرية الفرنساوية وفي الصفحة العاشرة منها قصيدتك الرائعة الريال (المزيف) باللغة الفرنسية. وصل إليَّ كتابك مع الرسم متأخراً فما تمكنت الإدارة من إلحاق الرسم وهذا لأنك لم تجاوبني بسرعة مع أنه كان يسرني أن يلوح خيال وجهك الحلو فوق كلامك غير أنني أحتفظ بالرسم لفرصة أخرى عندما أنشر لك قصيدة أخرى.

عندما كنت في القاهرة منذ ١٥ يوما قابلت الدكتور ناجي وهو الشاعر الحساس كما تعلم فتكلمنا عنك وذكرناك كثيرا وقال لي سكرتير الرابطة العربية الأستاذ ربيع إنك أرسلت قصيدتك في الكاظمي، تعين يوم ١٠ نيسان لحفلة التأبين في الأوبرا وسوف أذهب إليها لإلقاء قصيدتي، فليتك تأتي لنمضي يومين في القاهرة سوية.

منذ ٣ أيام اجتمعت بالرصافي في حفلة عميد العراقيين هنا حيث ألقيت خطاباً كان له أجمل وقع وبالطبع ذكرنا أبا عبدالله وتلك

الاسكندرية في ٢٥ اذار ١٩٣٦ .ـ

احـــي بشاره ،

سلمت بـريـــد اليوم عددا من المجلة المصرية الفرنساوية وفـي الصفحة العاشرة منها قصيدتك الرائعة الرنان العزيف باللغة الفرنسية . وصل الي كتابك مع الرسم متاخرا فما تمكنت الادارة من الحاق الرسم وهذا جيد لانك لم تجاوبني بسرعة مع انه كان يسرني ان يلوح خيال وجهك الحلو فوق كلامك غير انني احتفظ بالرسم لفرصة اخرى عندما انشر لك قصيدة اخـرى .

عندما كنت في القاهرة منذ ١٥ يوما قابلت الدكتور ناجي وهو الشاعر الحساس كما تعلم فتكلمنا عنك وذكرناك كثيرا وقال لي سكرتير الرابطة العربية الاستاذ ربيع انك ارسلت قصيدتك في الكاظمي ، تعين يوم ١٠ نيسان لحفلة التابين في الاوبرا وسوف اذهب اليها لالقاء قصيدتي ،فليتك تاتي لنمضي يومين في القاهرة سوية .

منذ ٣ ايام اجتمعت بالرصافي في حفلة عيد العراقيين هنا

الأيام التي خلت في بيروت أيام الشباب. الرصافي جد كبير بقلبه، وروحه كلها شعر وإخلاص.

لا تنس إرسال ما وعدت به من القصائد فإنني لن أكتفي بالريال...

أتأمل يا بشور أن يصل الإصلاح بلبنان الى حال يعرف به فينا رجاله بدل أصنامه. أنعود الى العمل سوية من أجله.

ألف قبلة لك من أخيك

فليكس فارس(*)

****

(*) **انظر الهامش ص(١٤٥).**

حيث القيت خطابا كان له اجمل وقع وبالطبع ذكرنا ابا عبد الله وتلك الايام التي خلت في بيروت ايام الشباب . الرصافي جد كبير بقلبه وروحه كلها شعر واخلاص.

لا تنس ارسال ما وعدت به من القصائد فانني لن اكتفي بالريال ...

اتؤمل يا بشور ان يصل الاصلاح بلبنان الى حال يعرف فيه فينا رجاله بدل اصنامه . انعود الى العمل سوية من اجله

الف قبلة لك من اخيك

فليكس فارس

أخـي بشـــارة،

كلفتني المجلة الأسبوعية المصرية التي تصدر بالإفرنسية في القاهرة وهي مجلة لها شأنها في الأوساط الأدبية في الشرق وفي فرنسا بأن أتولى كتابة صفحتين في كل عدد، وقد أرسلت لهـا ترجمتي لقصيدتك الريـال الزائف وبمـا أنها لـن تصـدر قبل ١٥ يوماً فقد رأيت أن أطلب منك رسمك الحلو لأقدمه للمجلة فتنشره برأس أشعارك الطيبة، ثم إنني أرجوك انتخاب قصيدة أخرى على (زوقك) لأترجمها أيضاً. وعدا ذلك فإن السيدة فاطمة رشدي تلح عليك بأن ترسل لي قصيدة الريال الزائف بالعربية وليست عندي لتلقيها بالراديو وعلى المرسح فقد أعجبها الموضوع. إذاً ما أرجوك إرساله الآن هو رسمك والريال أو قصيدة الريال وقصيدة (كويسة) على (زوقك).

أريد أن أبين للافرنج محاسن آدابنا، وأنت خير أنموذج لها وسوف أرسل لك العدد الذي تنشر فيه قصيدتك.

أنا أعد للطبع كتاباً عن حياة جبران وفلسفته وفيه رد مطول على كتاب نعيمة، وحين صدوره بعد ٢٠ يوما أرسله إليك لترى فيه رأيك.

كيف أحوالك يا أبا عبدالله، أنا والله بشوق شديد إليك، وعندما أفتكر لبنان أول خيال يمر بي هو خيالك وخيال الريحاني لأنكما وحدكما من الطراز المعلم (القدير) وإن كنتما (تلابطتما)، فلا بأس، لا يمنع ذلك من محبتي لكما دائماً.

خذ قبلة أخيك وأرسل له مثلها.

الاسكندرية في ١٧ شباط ١٩٣٦ .

فليكس فارس(*)

****

(*) انظر الهامش ص(١٤٥).

اخـــي بشاره ،

كلفتني المجلة الاسبوعية المصرية التي تصدر بالافرنسية في القاهرة وهي مجلة لها شأنها في الاوساط الادبية في الشرق وفي فرنسا بأن اتولى كتابة صفحتين في كل عدد ، وقد ارسلت لهـا ترجمتي لقصيدتك الريال الزائف وبما انها لن تصدر قبل ١٥ يومـا فقد رأيت أن اطلب منك رسمك الحلـو لاقدمه للمجله فتنشره برأس اشعارك الطيبـة ، ثم انني ارجوك انتخاب قصيدة اخرى على زوقك لاترجمها ايضـا . وعدا ذلك فأن السيدة فاطمه رشدي تلح عليك بأن ترسل لي قصيدة الريال الزائف بالعربية وليست عندي لتلقيهـا بالراديو وعلى المرسح فقد اعجبها الموضوع . اذا ما ارجوك ارساله الان هو رسمك والريال او قصيدة الريال . . . وقصيدة كويسه على زوقك .

اريد أن ابين للافرنج محسن آدابنـا ، وأنت خير انموذج لهـا وسوف ارسل لك العدد الذي تنشر فيه قصيدتك .

انا اعد للطبع كتابا عن حياة جبران وفلسفته وفيه رد مطول على كتاب نعيمه وحين صدوره بعد ٢٠ يوما ارسله اليك لترى فيه رأيك

كيف احوالك يا ابا عبد اللـه ، انا والله بشوق شديد اليك ، وعندما افتكر بلبنان اول خيال يمر بي هو خيالك وخيال الريحاني لانكما وحدكما من الطراز المعلم القد وأن كنتما تلابطتمـا ، فلا بأس ، لا يمنع ذلك من محبتي لكما دائمـا . . . .

خذ قبلة اخيك وارسل له مثلها

الاسكندرية في ١٧ شباط ١٩٣٦ .

فيلكس فارس

١٩٣٦/٢/١٤

عزيزي بشارة

ارسلت إليك اليوم نسخة من الجريدة العربية وفيها كلمة عنك من قلم هذا الصديق الذي يحبك كثيراً كما تعلم. وقد تمكن الزمان من إضعاف ذاكرتي نحو كثيرين من أصدقائي إلا بشارة الخوري فإن منزلته في فؤادي لا تزال هي هي بل تزيد دائماً، ولا أشك أنه يستحق أكثر من ذلك بكثير.

ليس في مقالي في الجريدة العربية ما يستحق عنايتك ولكن هذا كل المستطاع يا حبيبي بشارة ولو تمكنت من تقطيع قلبي ووضعه بين تلك السطور لما تأخرت شهد الله.

غاظني كثيراً ما قاله حسادك ويقولونه لكن لا عجب فكل نابغة يلقى في طريقه هذه الحشرات ولو راجعت تنهدات رصيفك المتنبي لرأيت أن هؤلاء الحساد كانوا دائماً سبب مرارته ولكنه لم يذكر أحداً منهم لا بخير ولا بشر وهذا أحسن ما عمله نحوهم في اعتقادي.

لك في أميركا أنصار لا يفضلون أحداً عليك بل يضعونك فوق الجميع وأنا واحد منهم. وإني أكرر ما قلته في الجريدة العربية من أنك منحت الأخطل من الخلود فوق ما يستحق وأكثر مما يستطيع حمله فدعه وشأنه.

LIBRERIA "MASSUH"

— DE —

YUBRAN MASSUH

JUNIN 334 — TELEF. 1309 — TUCUMAN

Tucumán, 14 / 3 de 1936

R. Argentina

عزيزي بشر

ارسلت اليك اليوم نسخة من الجريدة العربية وفيها كلمة عنك من قلم هذا الصديق الذي يحبك كثيراً كما تعلم. وقد تمكن الزمان من اضعاف ذاكرتي في كثير من اصدقائي الا بشارة فان منزلته في فؤادي لا تزال كما هي بل تزيد دائماً ولا شك انه يستحق اكثر من ذلك بكثير.

ليس في مقالي في الجريدة العربية ما يستحق عنايتك ولكن هذا كل المستطاع يا حبيبي بشارة ولا تملكت من تعظيم قلبي ووضعه بين تلك السطور لما تأخرت شهرين.

فاظني كثيراً ما قاله حسادك ويقولونه لك لا عجب فمثل نابغة يلقى في طريقه هذه العثرات ولقد راجعت تهنئات رصيفك المتنبي رأيت ان هؤلاء

كيف حالك يا أخي بشارة وكيف العائلة الكريمة وما هو الرزق الذي عينته لك السماء في هذه الأيام. أما أنا فقد تركت الأدب وصرت تاجراً لأن هناك عائلة يجب العناية بها والأدب وحده لا يقدر أن يقوم بها لسوء الحظ وأنا من هذه الوجهة بألف خير. ولا ينقصني شيء من مطاليب الحياة. ولماذا نطلب أكثر من ذلك ...

أخـــــوك

جبران مسوح (*)

****

(*) **جبران مسوح** «**سوريا**» - ١٨٩٠ - ؟، أديب من رواد الهجرة إلى الأرجنتين.
- أصدر صحيفة «الإخاء» في سوريا وأعاد إصدارها في الأرجنتين وحرر صحيفة «الشبيبة المتحدة»، وأصدر مجلة «التمدن» وصحيفة «الزوبعة»، و«المختصر» وكتب في صحيفة «السلام».

LIBRERIA "MASSUH"

DE

YUBRAN MASSUH

JUNIN 334 — TELEF. 1309 — TUCUMAN

Tucumán ..... de 193....

الحساد كانوا دائماً سبب مرارته ولكنه لم يذكر احداً
منهم لا بخير ولا بشر وهذا احسن ما عمله نحوهم في اعتقادي
لك في اميركا انصار لا يفضلون احداً عليك
بل يضعونك فوق الجميع وانا واحد منهم . واني اكرر ما
قلته في الجريدة العربية من انك منحت الاخطل من الخلود
فوق ما يستحق واكثر مما يستطيع حمله فدعه وشأنه
كيف حالك يا اخي بشاره وكيف
العائلة الكريمة وما هو الرزق الذي عينته لك السماء
في هذه الايام . اما انا فقد تركت الادب وصرت
تاجراً لان هناك عائلة يجب العناية بها والادب وحده
لا يقدر ان يقوم بها لسوء الحظ وانا من هذه الوجهة بالف
خير . ولا ينقصني شيء من مطاليب الحياة ، ولماذا نطلب
اكثر من ذلك اخوك

جبران
مسوح

سيدي الأستاذ العلامة!

عن حلب في ٢٦ تشرين أول سنة ١٩٣٥

تحية شوق وإعجاب ـ وبعد فإن برقيتكم اللطيفة قد تركت أحسن الأثر. والشهباء لم تف حق واجب ضيفها الكبير ـ ولهذا فشكركم نقابله جميعاً بطلب الصفح عن قصور بدا. وأمل أن تتكرر زيارتكم لهذا البلد. وقد تضاعف حب أبنائها لأبي عبدالله. الذي امتلك بلطفه وأنسه سائر الأفئدة.

الصحف جميعها نشرت القصيدة الخالدة. وأرسلت لحضرتكم منذ يومين جريدة ألف باء وبها الوصف الجميل لحفلتنا، التي لا تزال حديث الناس أجمعين. بل لا زال أبوعبدالله محور الحديث. ولا زال حديثه زينة كل مجلس.

أرسلت لحضرتكم اليوم بالبريد أربع نسخ من الصور أرجو أن تكون في ناديكم صورة دائمة للعواطف التي تتبادلها القلوب ما حيينا.

القصيدة التي ارتجلتموها في ليلة الوداع، أبقيناها باسم الشهباء وحدها. وكنا نريد نشرها بعد حذف أحد أبياتها، لولا الوعد إليكم بعدم النشر قبل إفادتكم. فاجعلونا في حل من الوعد أيها الأستاذ الكريم.

أرجوكم بصورة خاصة إبلاغ فائق التحيات والشكر لحضرات الأساتذة الكرام إبراهيم بك النجار والمحامي نصار بك ولإخوانهما الكرام. أما عائلتكم الكريمة فأروم قبل تقديمي خالص الاحترام لها، أن تكون راضية عن تلك الأيام التي بعدت بها عنها. من جهه الحرص على راحتك وصحتك الغالية.

أخي الحاج سامي وسائر محبيك وإخوانك والسعيد الذكر الأستاذ فريحة، كلهم بخير يشتركون معي في أداء التحيات والشوق والاحترام سيدي.

محمد سعيد الزعيم(*)

****

(*) انظر الهامش ص(٧٥).

محمد سعيد الزعيم
حلب
صندوق البريد : ١٢٧
تلفون : ٤ — ١٥
M. S. ZAÏM
Alep
B. P: 127 Téléph. 4-15

Alep (Syrie)

عن حلب في ٦ تشرين اول سنة ١٩٤٥

سيدي الأستاذ العزيز !

تحية وتقدير واعجاب . وبعد فانه يسرني ان اقدم لكم اللطيفة قد تركتنا هذه الأشهر . والشهداء لم يقف عند واجب ضحيتها الكبير . ولزيدا شكركم تقابله جميعا بعض الصفح عن قصور بدر . وأمل ان تتكرر زيارتكم لربوع البلد . وقد تضاعف حب ابنائها لرئيس عبدات . الذي استطاع بلطفه وأدبه سائر الأفئدة .

الصحف جميعها نشرت القصيدة الخالدة [redacted] . وارسلت لفخامتكم فقد يومية جريدة الف باء ريثما الوصف الأجمل لحفلتنا . التي لا تزال حديث الناس اجمعين حتى اليوم . بل لا تزال ابو خليله محور الحديث . ولا تزال حديثه زينة كل مجلس .

ارسلت لفخامتكم اليوم بالبريد اربع نسخ من الصور . ارجو ان تكون في ناديكم صورة رائعة للعواطف التي تتبارى بها القلوب ما حييتا .

القصيدة التي تجلجلوها في ليلة الوداع . ابقيناها باسم الشهداء وحدها . وكنا نريد نشرها بعد حذف اصدائها . لولا الوعد الذي بيننا قبل النشر قبل افادتكم . فاجعلونا في حل من الوعد ايها الاستاذ الكريم .

ارجو لكم بصورة خاصة ابلوغ امانيكم والتحيات والشكر لفخامة الاستاذة الكرام ارجو لهم راحة البال والمرامي نصب اعينهم وارجو انهما اكرام . الى عائلتكم الكريمة . فأرجو قبول تقديمي خالص احترامي لها . ايد تكون راضية عن ذلك الزعيم التي بعدت بها عنها . مهجرته الحرص على راحتك وتحيات اهالينا

اخي الحاج سامي . وسائر محبيك واخوانك والسيد الدكر الاستاذ فريحه . سلام بعيد يشترك معي في ارساء التحيات والشوق والاحترام سيدي

محمد سعيد الزعيم

دمشق ٧ تشرين

سيدي الأخ بشارة

تحيات وأشواق، لعلك قرأت ما كتبته جريدة القبس هذا اليوم عن موعد الحفلة، وإني غداً سأغادر دمشق الى حلب لأقف على تنظيمها. طلبت الى الأخ منير العجلاني أن يقول كلمة غير أنه ينتظر أن ترسل إليه قطعاً من شعركم حتى يبني عليها كلمته. فآمل أن لا تتأخروا عن ذلك. تحياتي للأخ صلاح الدين والموسيقار إدوار قدحجي وزوجه ودم.

للمخلص

عمر أبوريشة(*)

عنواني: حلب – عمر أبو ريشة

(رد بسرعة)

(١٩٣٥م.)

****

(*) **عمر أبوريشة «سوريا» – ١٩١٠ – ١٩٩٠**

– من أبرز الشعراء العرب. شغل مناصب دبلوماسية عدة منها، سفير سوريا في الهند ثم في الولايات المتحدة الأمريكية.

دمشق ٧ تشرين

سيدي الأخ بشاره

تحيات واشواق، لعلك قرأت ما كتبته جريدة القبس هذا اليوم عن موعد الحفلة، وأني غداً سأغادر دمشق الى حلب لأقف على تنظيمها. طلبت الى الأخ منير العجلاني أن يقول كلمة غير أنه ينتظر أن ترسلوا اليه قطعاً من شعركم حتى يبني عليها كلمته. فآمل أن لا تتأخروا عن ذلك، تحياتي للأخ صلاح الدين والموسيقار أدوار قدحجي وزوجه ودم

للمخلص

[illegible]

عنوان: حلب - عمر البوريني

دار بسرعة

من عمر البوريني

باريس ٢٠ سبتمبر ١٩٣٥

سيدي الأستاذ شاعر الشرق الصديق بشارة

تحيات واحترامات وأشواق أرجو أن ينوب عني خطابي في تقديمها لذاتك المحترمة وأن يلقاك وأنت متمتع بكل ما ترجو من صحة وعافية.

أكتب لسيدي هذا بمناسبة عزمنا إقامة اليوبيل الفضي لجمعية أنصار التمثيل والسينما بالقاهرة في أواسط نوفمبر المقبل. وإننا نريد أن تكون جوهرة حفلتنا قصيدتك التي يتم حوارها بين العليل وحبيبته والتي من ضمنها:

عـــيـــنـــاه غـــارقـــتـــان في نـــفق

كـــســـراج كـــوخ نـــصف مـــتـــقـــد

ستقوم بدور الحبيبة ممثلة نابهة وسأجتهد أنا أن أقوم بدور العليل، فإذا صادف هذا هوى فى نفس سيدي فأنا أسير كرمه وفضله.

باريس ٢٠ سبتمبر ١٩٢٥

سيدي الاستاذ شاعر الشرق الصديق بشارة

تحيات واحترامات واشواق أرجو أن ينوب عني

خطابي في تقديمها لذائك المحترمة وأن يلقاك وأنت متمتع بكل

ما ترجو من صحة وعافية.

اكتب لسيدي هذا بمناسبة عزمنا أقامة اليوبيل الفضي

لجمعية أنصار التمثيل والسينما بالقاهرة في أواسط نوفمبر المقبل. وإننا نريد

أن تكون جوهرة حفلتنا قصيدتك التي يتم حوارها بين العليل وعينه

والتي من ضمنها

عيناه غارقتان في نعمة كسراج لوح نصف منقد

وليتفضل بإرسالها إليّ على عنواني بالقاهرة لأني سأكون هناك في أوائل أكتوبر بإذن الله.

والسلام عليك. ما حن قلبي إليك. واشتاقت نفسي المثول بين يديك ورحمة الله وبركاته،

المخلص
صديقك وخادمك

سليمان نجيب(*)
سكرتير وزير الحقانية
ورئيس جمعية أنصار التمثيل والسينما

****

عنواني: ٨٨ شارع القصر العيني عمارة سيف الدين

(*) **سليمان نجيب** «**مصر**» - ١٨٩٢ - ١٩٥٥
- مسرحي وسينمائي، عمل سكرتيراً لوزير الحقانية ورئيساً لجمعية أنصار التمثيل والسينما، مدير

فسنقوم بدور الحبيبة ممثلة نابهة وسأجهد أنا أن أقوم بدور العليل فإذا
صادف هذا هوى في نفس سيدي فأنا أسير كرمه وفضله . ولينفض بإرسالها
إلى على عنواني بالقاهرة لأني سأكون هناك في أوائل أكتوبر بإذن الله .

والسلام عليك . ما حن قلبي إليك . واشتاقت نفسي
المسئول بين يديك ورحمة الله وبركاته

المخلص

صديقك وخادمك

سليمان نجيب

سكرتير وزير الحقانية ورئيس جمعية أنصار التمثيل والسينما

عنواني

٨٨ شارع القصر العيني عمارة سيف الدين .

عمان في ٣٤/٤/٥

أخي الأستاذ الكبير،

أنا أكثر من عاشق لأدبك، كما قلت لك في بغداد، وكما أقول في كل مجلس، لا أراك شاعر العرب الآن فحسب، بل أراك من العالميين! وهذا الشعور بالافتخار بك والاعتزاز هو الذي دعاني أن أرجو إدارة (الجامعة الإسلامية) المنتشرة كثيراً في فلسطين وبلاد العرب أن لا تحرم (قراءها) من نفثة من نفثاتك في عددها الممتاز الكبير الذي سيصدر في أول محرم وقد وسطتني (بالرجاء) منك، أن تصلها نفثتك الرائعة (حديثة كانت أو قديمة) قبل الميعاد ولعلك ترى أن لا تخيب رجائي سيدي وأخي الأستاذ.

المخلص

الدكتور محمد صبحي أبوغنيمة(*)

****

(*) **محمد صبحي أبوغنيمة** «**الأردن**» - ١٩٠٢ - ١٩٧١

- طبيب وشاعر وأديب. أصدر صحيفة «الميثاق» ومجلة «الحمامة» و تولى سفارة الأردن في دمشق.

الجامعة الإسلامية
جريدة يومية سياسية

صندوق البريد ٢٥٣
رقم التلفون ٨٧٧

عمان بالأردن في ٥/٤/٢٦

أخي الأستاذ الكبير،

أنا أكثر من عاشق لأدبك! كما قلت لك في بغداد، وكما أقول في كل مجلس، لا أراك شاعر العرب الآن فحسب، بل أراك من العالميين! وهذا الشعور بالافتخار بك والاعتزاز هو الذي دعاني أن أرجو إدارة الجامعة الإسلامية المنتشرة كثيراً في فلسطين وبلاد العرب أن لا تحرم قرائها من نفثة من نفثاتك في عددها الممتاز الكبير الذي سيصدر في أول محرم وقد وسطتني بالإيعاز منك، أن تصلها نفثتك الرائعة (حديثة كانت أو قديمة) قبل الميعاد ولعلك ترى أن لا تخيب رجائي أسيدي وأخي الأستاذ

المخلص

محمد صبحي الرفيعي
الدكتور محمد صبحي الرفيعي

باريس ١٤ آذار سنة ١٩٣٤

أستاذي وأخي

قبل أن أترك سوريا لم تسمح لي الظروف بالبقاء في بيروت سوى يومين مشغولين فما قدر لي أن أراكم وذاك ما أسفت له كثيراً وإذا قلت أسفت فأنا لا أسوق الكلام في حشد المراسيم وعلى محفات المداهنة التي أعيذ نفسي منها.

قصيدتكم كانت نصيبي . ولقد وقفت نفسي عليها رغم عدم وجودها ورغم ما يمكن وقوعه فيمنع صدورها وقلت آنئذٍ: سألقيها وإلا لن ألقي شيئاً... لقد رصدتها في (أعلى) النجمة، وتوقعت ظهورها وظهور شيء مما أتوقع ولو في خيط سحاب ولم يخب رجائي.

يا لروعتها ! ويا لروعتها حتى قبل أن تلقى لإن الإخوان العرب سمعوا بها فكأنها قبل اليوم تدب في كيانهم وتسعى: أين قصيدة بشارة يا فؤاد؟ ألا تقرأ علينا قصيدة بشارة؟.

– ..... الاجتماع.. وجاء الكثيرون ليسمعوا بشارة، وقّعتها كالموسيقى فوضعت لها لحناً لم يكن موضوعاً إلا في قلبي ولم يكن ليُسكب إلا في صميم القلوب فمن قلب الى قلب الى قلوب، كانت العروس «أقراطها كالقنابل في أذنيها» تميس وتتهادى، تتلوى وتسير ثم تمر وتقر

باريس في آذار [illegible]

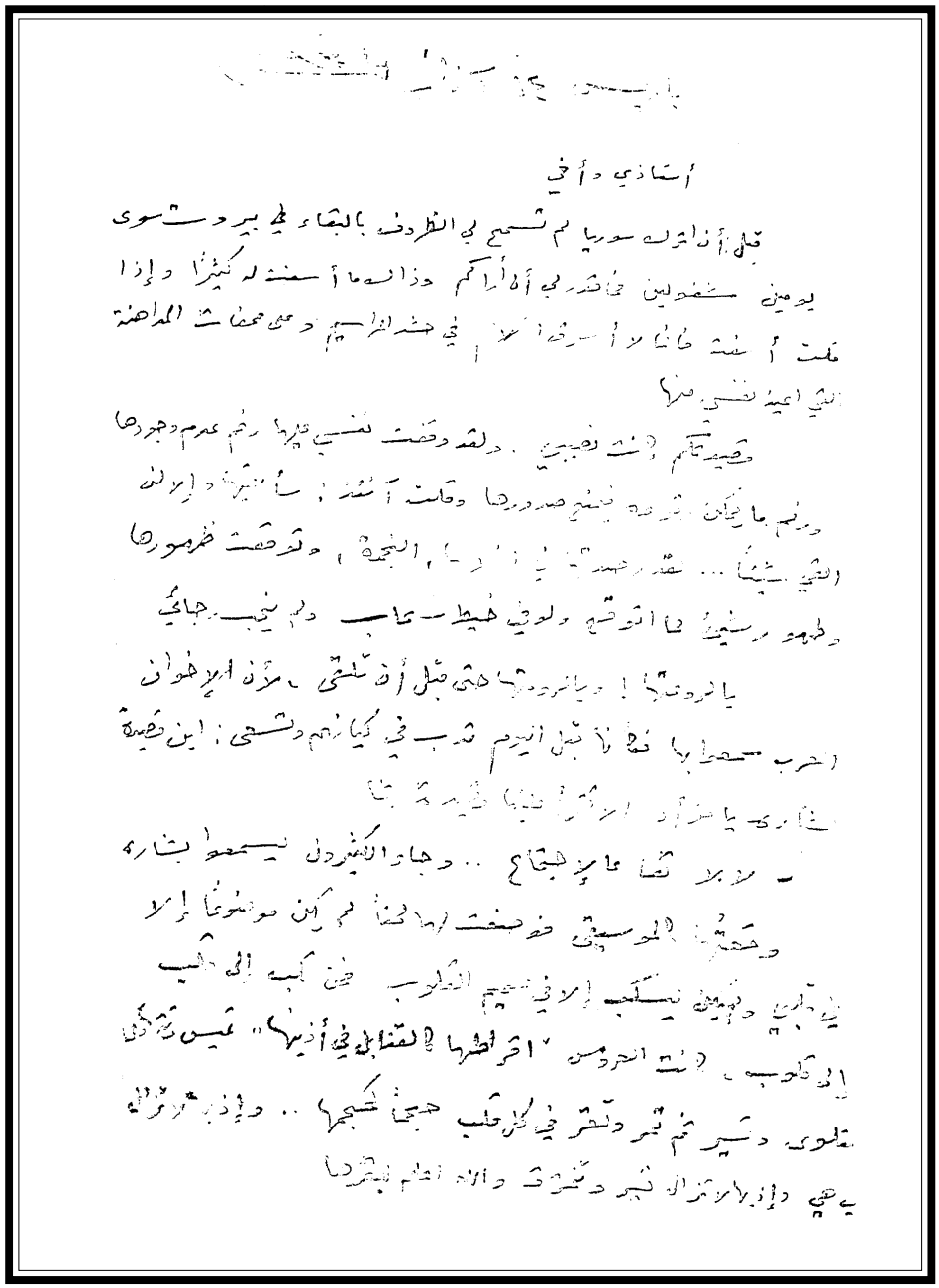

أستاذي وأخي

قبل أن أترك سوريا لم تسمح لي الظروف بالبقاء في بيروت سوى يومين مشغولين فما قدر لي أن أراكم وذاك ما أسفت له كثيرًا وإذا قلت أسفت فإنما لا أسرق الكلام في حشد المراسيم وعلى محطات المداهنة التي أعيد نفسي منها

قصيدتكم كانت نصيبي . ولقد وقفت نفسي عليها رغم عدم وجودها ورغم ما يمكن تردده فيمنع صدورها وقلت آنئذ : سألاقيها وإلا لن ألقي شيئًا ... لقد رصدتها في [illegible] النجمة ، وتوقعت ظهورها وظهور شيء مما أتوقع ولو في خيط سحاب ولم يخب رجائي

يا لروعتها ! ويا لروعتها حتى قبل أن تلقى ، لأن الإخوان العرب سمعوا بها فكأنها قبل اليوم تدب في كيانهم وتسعى : أين قصيدة الشاري يا مزاد [illegible]

- لا لا تقاعا لاجتماع .. وجاء الكثيرون ليسمعوا بشاره وقعتها الموسيقى فوضعت لها لحنًا لم يكن موضوعًا إلا في قلبي ولم يكن ليسكب إلا في صميم القلوب فمن قلب إلى قلب إلى قلوب ، كانت العروس "أقراطها كالقنابل في أذنيها" تميس تتكئ على القلوب وتسير ثم تمر وتقر في كل قلب حجمًا كحجمها .. وإذ بها لا تزال هي وإذ بها لا تزال تسير وتخترق والله أعلم بقدرها

في كل قلب حجماً كحجمها.. وإذ بها لا تزال هي هي، وإذ بها لا تزال تسير وتخترق والله أعلم بمقرها.

استُعدتُ وكم مرة؟! فأعدت وأعدت وكنت ظننت أني تمرنت على إلقائها طيلة يوم، كنت أرددها به على أسماع السين. وإذ بي ألقيها بصوت ما عهدته ولا عرفته.. العاطفة كانت أغلب. وما للحناجر مقياس ترتفع بين حديه وتنخفض إذا حشرجت بها رعود العاصفة.. النشوة! فما أشعر. ولا السامعون يشعرون.... لقد انقلب الإدراك أو لذة الإدراك الى غيبوبة هي التلاشي والفناء والذهول.. وكان الحنين يراقص أطياف الذكرى على إيقاع علوي ما تعلمته أبداً منشدات «.....» اللواتي ألهمن السحر ليجذبن أبناء البشر بصوتهن الى قاع البحار.. وقفت أخيراً عند: وإلا .... ونظر الحاضرون الى بعضهم كأنهم لا يصدقون أن القصيدة انتهت ثم انفجروا هتافاً وتصفيقاً.

لقد أخلصت في الإلقاء وأشهد الله على قولي «إلا إذا كنت.... سكراناً».: أن القصيدة ما وجدت ولن تجد أيضاً «ميكروفوناً» ينقل همسات بشارة على الطرس بأجلى وأوضح... وإن يكن ناقل الكفر ليس بكافر، فناقل الشعر هذه المرة كان أكبر الشاعرين وإن لم يكن «شاعراً» من الشعراء.

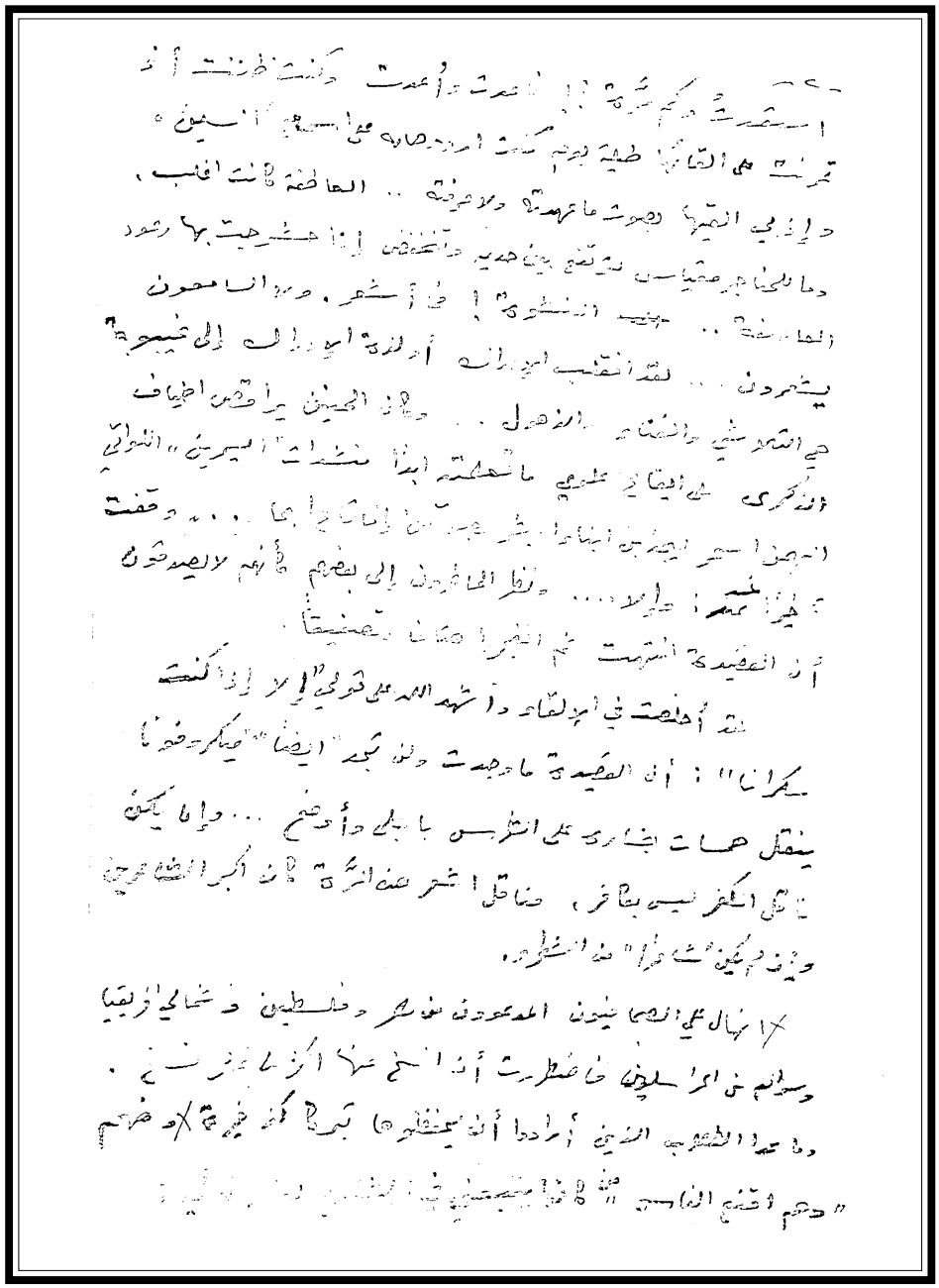

انهال عليَّ الصحفيون المدعوون من مصر وفلسطين وشمالي أفريقيا وسواهم من المراسلين فاضطررت أن أنسخ عنها أكثر من عشر نسخ. وما عدا الطلاب الذين أرادوا أن يحفظوها تبركاً كذخيرة ومنهم «وهم أقنع الناس» من كان يتبعني في الشارع ليقول لي... : فؤاد أعد بالله هذا البيت: «عالم الذكر...» فيلطم خديه عندما أنتهي: «فما ضرّه إذا مات طفلاً».

أنا مطمئن الضمير لأنني توفقت (واستحقيت) نصيبي من الثناء بأكثر وأكثر مما أستحقه لو ألقيت في السياسة ورددت أقوال الساسة.. نعم السياسة أحبها ولكن أعبدها وأتفانى بها مرفوعة على كفّي الأدب.

إنني أرفق رسالتي بالعنوان وأرجو ألا تحرمنا من أخبار الأنس والارتياح عكر الله صفو كل من يعكر صفوكم من أولئك الناس كما يقال «أعلاج الفلسفة وزرازير الأدب». تحيتي الى بيروت والشاطئ ، والربيع المقبل، وإلى كل حصاة وعشبة في بلادي واسمح لي بتقبيل عينيك..

المخلص

فؤاد.....(*)

(*) لم يكن باقي اسمه واضحاً وتعذر عمل ترجمه له، يتحدث المرسل عن قصيدة نظمها الشاعر لتلقى في حفل أقامته الجمعية العربية بناديها في باريس بتاريخ ٨ آذار ١٩٣٤، إحياء لذكرى تتويج فيصل الأول على سوريا عام ١٩٢٠، عنوان القصيدة «مت عزيزاً أو عش بها مستقلاً» أو «شرف الفتح».

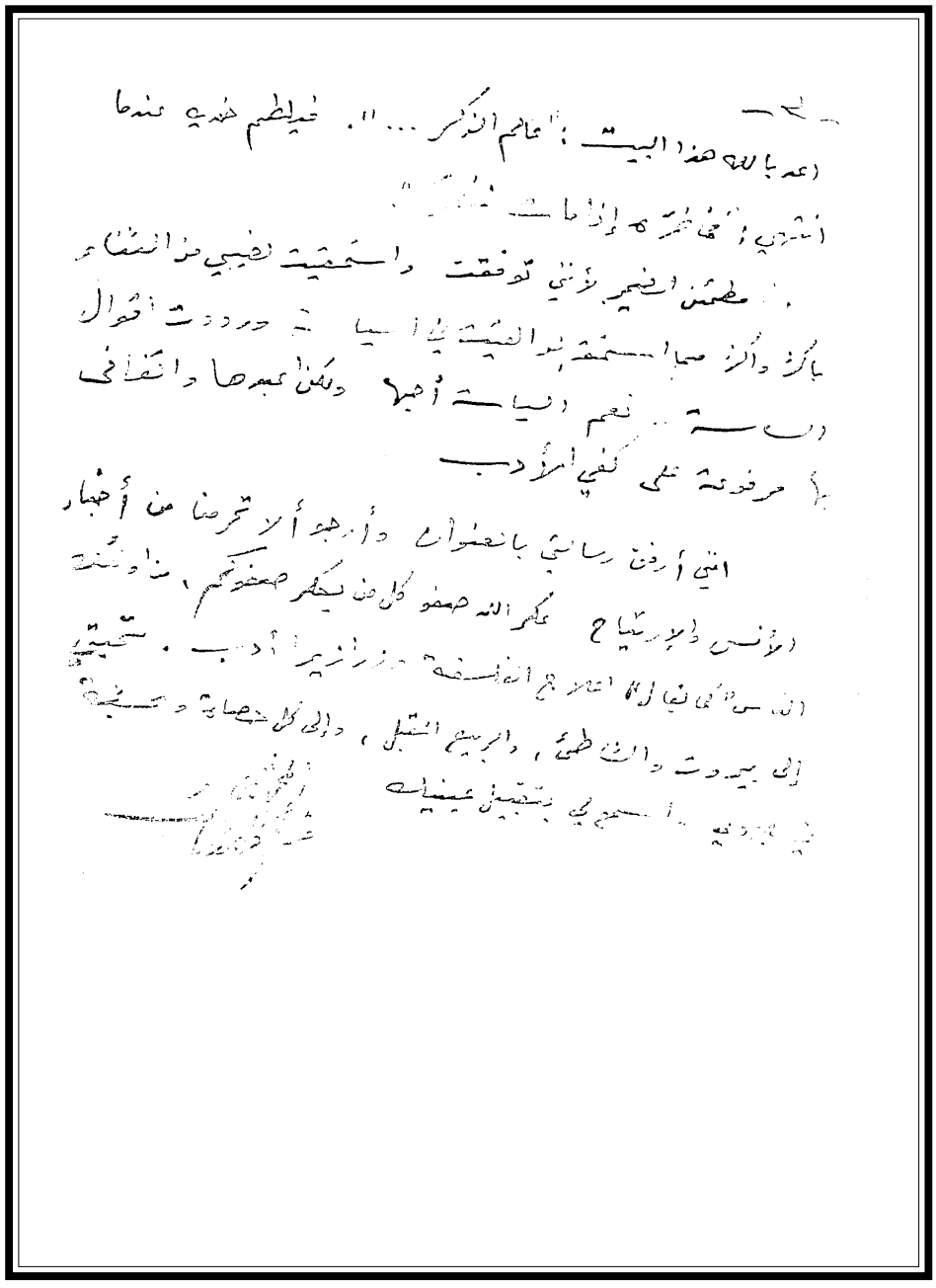

مرحباً أبا عبدالله ومرحى

بكيتَ فيصلاً فأبكيت، وطفتَ على الشباب بأبياتك العذاب فأسكرت، وأنا أحد صرعاها، تلوتها عشراً وكبرت ألفاً.

مرحبا أبا عبدالله ومرحى،

عجبت للواء الإمارة بعد شوقي يتجاذبه الشعراء ويعلو عنده الضجاج ويحترب القوم، فعرضتَ في هدوء قصيدة لشوقي يرثي الحسين، فجاريتَه في رثاء ابن الحسين، فشاوأتَه وبرّزتَ، وقد جمع المضمار البحر والرويّ والغاية والموقف، فاسمح لي أن أقدم الوفود مبايعاً وأن أعقد لك لواء الشعر وإمارة الشعراء في الشرق العربي.

ولئن تحنّت الشباب في بغداد على يديك تقبلهما إعجاباً، فها أنا ذا أرفع إليك أبياتي هذه، تلثم عني وأنت تقرؤها، أناملاً صاغت «مرثية النسر على شفق الأحلام وجذى الموتورين».

حمص ١٩٣٣/١٢/٥

وصفي قرنفلي(*)

حمص ـ سوق الحرير

****

(*) **وصفي قرنفلي** «**سوريا**» - ١٩١١ - ١٩٧٢، شاعر.

مرحباً أبا عبد الله ومرحى،

بكيت فيصلاً فأبكيت، وطفت على الشباب بأبياتك العذاب فأسكرت، وأنا أحد صرعاها، تلوتها عشراً وكبرت ألفاً

مرحباً أبا عبد الله ومرحى،

عجبت لواء الإمارة بعد شوقي يتجاذبه الشعراء، ويعلو عنده الضجاج ويحترب القوم، فعرضت في هدوء لشوقي يرثي الحسين، بخاريته في رثاء ابن الحسين، فشأوته وبرزت، وقد جمع المضمار السحر والروية والغاية والموقف، فاسمح لي أن أقدم الوفود مبايعاً وأن أعقدك لواء الشعر وإمارة الشعراء في الشرق العربي.

ولئن تحنت الشباب في بغداد على يديك تقبلهما إعجاباً، فها أنا ذا أرفع إليك أبياتي هذه، تلثم عني وأنت تقرؤها، أنا ملأ صاغت، مرثية النسر على شفق الإسلام وجذى الموتورين.

حمص ١ ٥/١٢/٩٢٢

حمص - سوق الحرير - وصفي قرنفلي

شاعر الشرق غنّ بالشرق واهتف بالقوافي الحمراء واحدُ الشبابا
خذ لواء «الأمير» وارمِ بنا المجد تجدنا للمجد عطشى سغابا
قد روينا من الكرى وسئمنا الامنيات المهدهِدات العذابا
فابعث الشعر عاصفاً يملأ الشرق دوياً وثورة وحرابا
في حواشيه من دماء الضحايا قطرات تنهلُّ أسداً غضابا
ثُر على القيد واجمع الشرق من أطرافه دولة رداحاً كعابا
إن جمعتَ القلوب ذرّت هباء ما أقاموه من حدود غصابا
جعلونا عواصماً وشعوباً وحبونا من «الرؤوس» الذنابى
عللونا بكاذب العهد والوعد زماناً حتى اتّخمنا كذابا
قد خبرنا وعودهم وعلمنا أن بيض الآمال كانت سرابا!

شاعر الشرق صف لنا «مأتم النسر» وحدِّث كيف استقل السحابا
وامتطى الأفق غائماً فاشرأب الشرق يتلو الرقى[1] ويحدو العقابا
لم يَهِنْ والجراح ملء جناحيه وأعداؤه تحدّ النابا
جالد الضعف كبرياءً فما هاون نفساً ولا استهال الصعابا
ومضى والقلوب تخفق بالآمال لم تُلقِ للعوادي حسابا
فإذا الدهر لم ينم عن أذانا وإذا الدهر لم يملّ الضرابا
لمس النسر فالجناح مهيض واستباح المنى فحالت يبابا

(١) إشارة إلى تلك الدعوات البريئة وقد أرسلها كل شرقي عربي تحفّ راية ابن الحسين في طريقه إلى الغرب مجاهداً دون قومه.

شاعر الشرق، غنّ بالشرق واهتف بالقوافي الحمراء وأحد الشبابا

خذ لواء الأمير، وأرم بنا المجد، تجدنا للمجد عطشى سغابا،

قد روينا من الكرى وسئمنا الأمنيات المهد هيدات العذابا

فابعث الشعر عاصفاً يملأ الشرق دوياً وثورة وحراباً،

في حواشيه من دماء الضحايا قطرات تنهل أسداً غضابا،

ثر على القيد واجمع الشرق من أطرافه دولة رواحاً كعابا

إن جمعت القلوب زرت هباءً ما أقاموه من حدود غضابا

جعلونا عواصماً وشعوباً وحبونا من الرؤوس الذئابا

عللونا بكاذب العهد والوعد زماناً في اتخمنا كذابا،

قد خبرنا وعودهم وعلمنا أن بيض الآمال كانت سرابا

شاعر الشرق صف لنا مأتم النسر وحدث كيف استقل السحابا

وامتطى الأفق غائماً، فاشرأبّ الشرق يتلو الرقى[2] ويحدو العقابا

لم يهن والجراح ملء جناحيه وأعداؤه تحد النابا،

جالد الضعف كبرياء، فما هاون نفساً، ولا استهال الصعابا

ومضى والقلوب تخفق بالآمال لم تلق للعوادي حسابا

فإذا الدهر لم ينم عن أذانا وإذا الدهر لم يمل الضرابا

(2) إشارة إلى تلك الدعوات البريئة وقد أرسلها الأمير شرقي غربي تحت رعاية ابن الحسين في طريقه إلى الغرب من هذا دون قوله ---

يا لهذي الأقدار! ليست تحابي ما بكى ضارع وليست تحابى!

حشد المهرجانُ وانتظم الشرقَ دموعاً ولوعةً وخطابا
فانتضلت السهام في «مأتم النسر» حداداً تغشى الحليف صيابا
تسأل العهد أين بات؟ وماذا فعل الله بالصديق فغابا؟

.... وابتعثت الحسين يندب في قبرص أحلامه ويشكو «الذئابا»
راوغته حتى استقاد فلما صرح الشر ما استطاع الوثابا

..... وبكيت «الشهيد» في حلم العرس مسجّى وعهده المستطابا
فاستطالت دموعنا وتراءت ذكريات الماضي فكانت عَذابا
لاح للشام طيف فيصل والملك فأغضت تندى أسىً واكتئابا
وترامت عليه تحتضن النعش وتذرو دموعها تسكابا
غسلت بالدموع سيئة الماضي وفاضت ندامة وعتابا

..... ودوى الحق في بيانك يجلو عن وجوه المستعمرين النقابا:
«ما أتى الشرق فريةً علم الله فيُرمى بالاحتلال عقابا»
«فرية الشرق أنه لبس الصدق لساناً وضعفه جلبابا»
«لا ترد الآهات حرية الشرق ولا تدفع الدموع الحرابا»
«إن دنياك قوة وغلاب والفتي الحر من يطيق الغلابا»

لمس النسر فالجناح مهيض، واستباح المنى فحالت يبابا

...

يا لهذي الأقدار! ليت تحابي، ما بكى ضارع، وليت تحابي!

...

حشد المهرجان وانتظم الشرق، دموعاً ولوعة وخطابا

فانتضت السهام في "مأتم النسر" حداداً تغش الحليف صيابا

تسأل العهد أين بات؟ وماذا فعل الله بالصديق فغابا؟

... وابتعثت الحسين يندب في قبر حلامه، ويشكو "الذئابا"

راغة حتى استقاد فلما، صرح الشر ما استطاع الوثابا

... وبكيت "الشهيد" في حلم العرس مسجى، وعهده المستطابا

فاستطالت دموعنا وتراءت، ذكريات الماضي، فكانت عذابا

لاح للشام طيف فيصل والملك فاغضت تندى أسى واكتئابا

وترامت عليه تحتضن النعش وتذرو دموعها تسكابا،

غسلت بالدموع سيئة الماضي، وفاضت ندامة وعتابا

... ودوى الحق في بيانك يجلو عن وجوه المستعمرين النقابا:

"ما أتى الشرق فرية علم الله، فيرمى بالاحتلال عقابا"

"فرية الشرق إنه لبس الصدق لسانا، وضعفه جلبابا"

شاعر الشرق! (نابحوك) كثير فاحثُ في وجه نابحيك الترابا
واشدُ بالشعر في غشاء من الدمع نديـاً وابكِ الهوى والشبابا
طُف بكأس من الدموع على السمار في هدأة الليالي شرابا
قد أضعنا الشباب واحتُضر اللهو وحال الشهد المصفَّق صابا
فخذ الناي غنِّنا عهد سلمى تحي فينا الماضي وبكِّ الربابا
هِم بنا في القصي من حرم الذكرى وبَدّد عن جانبيه الضبابا
واجْلُ آلامنا الغوافي شكاة تملأ الليل أنة وانتحابا
واسقِ أحلامنا الوئيدة بالدمع صبيباً ترتد خضراً رطابا

حمص
١٩٣٣/١١/٢١

****

" لا تردُّ الآهاتُ حريّةَ الشرقِ ولا تدفعُ الدموعُ الحرابا "
" إن دنياكَ قوّةٌ وغلابٌ ، والفتى الحرُّ من يطيقُ الغلابا "

...

شاعرَ الشرقِ ! نا نحوكَ كثيرٌ ، فاحثُ في وجهِنا بحبِّكَ الترابا
وأشدُّ بالشعرِ ، في غشاءٍ من الدمعِ ، نديّاً ، وأبكِ الهوى والشبابا
لحفَ بكأسٍ من الدموعِ على السمّارِ في هُدأةِ الليالي شرابا
قد أضعنا الشبابَ واحتفرَ اللهوُ ، وحالَ الشهدُ المصفّقُ صبابا
فخذِ الناي غنّنا عهدَ سلمى ، تحيي فينا الماضي ، وبكِّ الربابا
همْ بنا في القصيِّ من حرمِ الذكرى ، ومدّدْ عن جانبيهِ الضبابا
وأجلُ آلامَنا الغوافي شكاةً ، تملأُ الليلَ أنّةً وانتحابا
وأسقِ أحلامَنا الوئيدةَ بالدمعِ صبيباً ، ترتدُّ خفراً رطابا ...

حمص (٢١/١١/٩٣٢

يا أبا عبدالله

والله إن اعتلالك زاد في همي وضاعف كربي وليس باعتلالك اعتلال النبوغ العالي والخلق الغالي وحسب بل اعتلال القلوب الحساسة في هذه الأمة التي تفاخر بأبي عبدالله وتباهي. فالله نسأل أن يستبقيك لها إلى أبعد آماد العمر وأن لا يطيل افتقادك إلا سالماً معافى.

٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٣٣

رشيد نخلة(*)

****

(*) **رشيد نخلة** «**لبنان**» - ١٨٧٣ - ١٩٣٩
- أديب وشاعر وناثر يلقب بأمير الزجل.

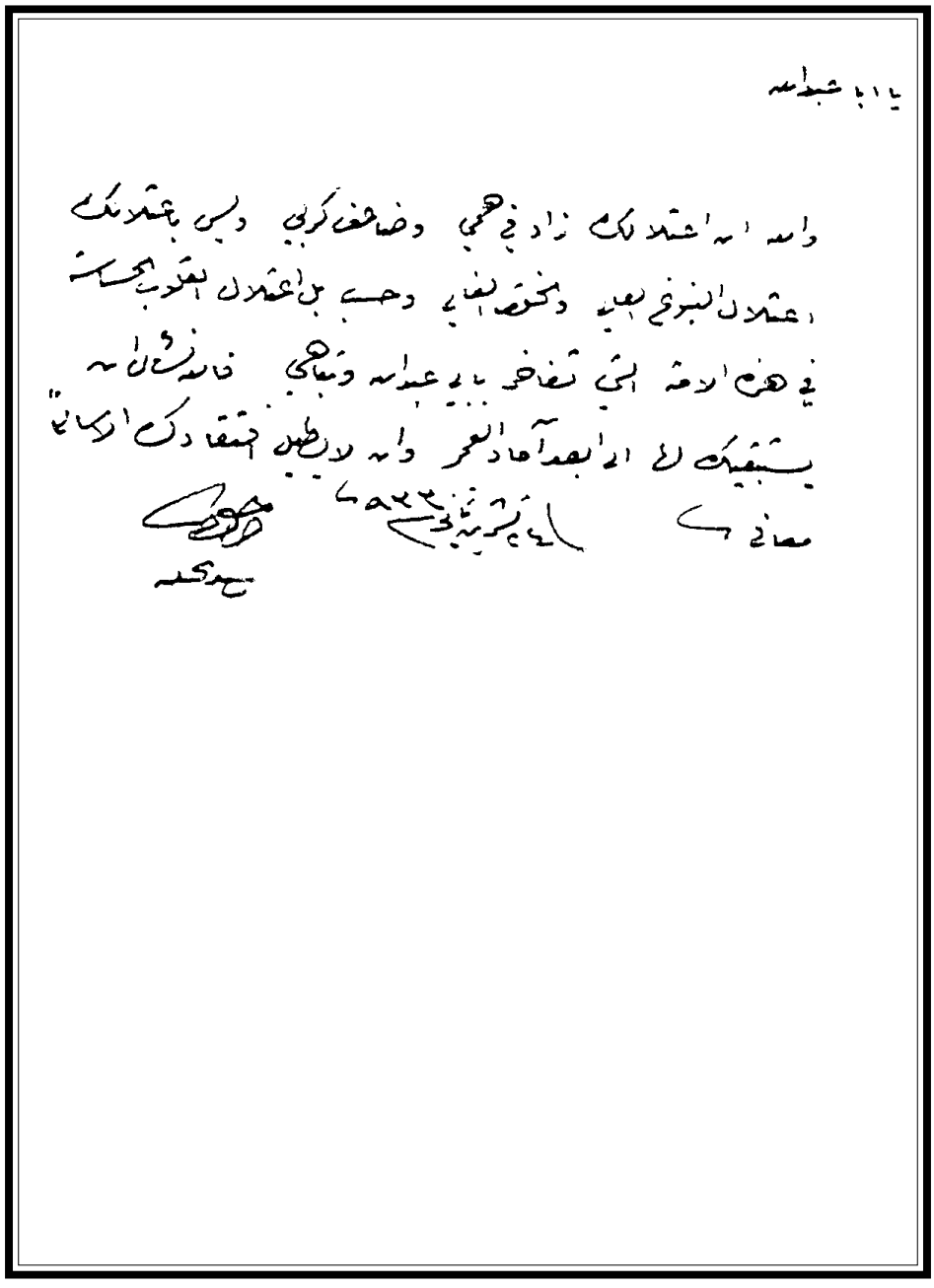

الاسكندرية في ١٩٣٣/١٠/٢٦

أخي الأستاذ بشارة الخوري

إني لا يسعني إلا أن أمدحك بمرثيتك في المرحوم وديع عقل فإنك لقد والله ارتفعت إلى تفكير المعري وبلغت إلى صياغة المتنبي. ودعني أحيي فيك شاعراً مبرزاً. وإني لأذكر ذلك اليوم الذي فيه قرأت عليَّ بعض شعرك فقلت لك إنك تستقي من روح (موسيه) وأنت شاعر!؟ واليوم يروقني ويسرني أن أراك تطير بجناحيك وما أحلاهما وما أصلحهما للارتفاع. فتالله إن قصيدتك في شوقي ومرثيتك لعقل جعلتاك في الصف الأول من شعراء هذا العصر بل في نخبتهم. فاهنأ بنبوغك والسلام عليك من المخلص إليك والمعجب بك.

بشـــر فـارس (*)

****

صندوق بريد ١٩٦ مصر القاهرة

(*) **بشر فارس** «**لبنان**» - ١٩٠٧ - ١٩٦٣

- كاتب وباحث وشاعر وناقد أدبي فني ومؤلف مسرحي وقاص، عمل سكرتيراً للمجمع العلمي بمصر.

الاسكندرية في ٢٤/١/٢٢

اخي الاستاذ بشاره الخوري

اني لا يسعني الا ان امدحك بمرثيتك في العمر حرم وديع عقل .. فانك لقد ارتفعت الى تفكير المعري وبلغت الى صياغة المتنبي. ودعني أُحمّي فيك شاعراً مبرزاً. واني لأذكر ذلك اليوم الذي فيه قرأتَ عليّ بعض شعرك فقلتُ لك إنك تستقي من روح (موسيه) وأنت شاعر !؟ واليوم يروقني ويسرني ان اراك نظير بجناحيك وما احلاهما وما أصلحهما للارتفاع. فتالله ان قصيدتك في شوقي ومرثيتك لعقل لجعلتاك في الصف الاول من شعراء هذا العصر بل في نخبتهم. فاهنأ بنبوغك والسلام عليك من المخلص اليك والمعجب بك

بشارة فارس

بريد ١٩٦
مصر القاهرة

أستاذنا الكبير بشارة الخوري

تحية وشوقاً واحتراماً، وبعد فقد عزمت بمشيئة الله تعالى على زيارة لبنان والشام والقدس لأول مرة في حياتي، وستكون معي السيدة حرمي لتغيير الهواء لمرض السكر وهي مترجلة محتشمة، وستصحبني في كل مكان، وقد نظمت فيما نظمت قصيدة «تحية مصر الى لبنان» ذكرتكم وذكرت لبنان وإخواني اللبنانيين بخير.

وسيكون سفري في أوائل أغسطس ولكني الى الآن لم أعين يوم السفر ولا رسمت خطته وسأكتب إليكم ذلك فيما بعد متى تفضلتم بالإجابة على هذا الخطاب.

ولكي لا أذوق حيرة الغريب، رأيت وثوقاً بكم وتقديراً لمركزكم في الأوساط الاجتماعية والأدبية أن أكتب إليكم مقدماً راجياً أن تتفضلوا بمقابلتي في نقطة الوصول «بيروت» وتكونون قد تفضلتم كذلك بالاتفاق مع صاحب فندق بيروت بالاس، كوصية أستاذي داود بك بركات على حجز غرفة طيبة بسرير واحد لي ولحرمي بأجرة معتدلة، وأحب أن يكون الأكل بثمن على حدة لإطلاق حريتي في تصريف الوقت.

أما القصيدة فإذا تفضلتم وتفضل أستاذي أنطون بك الجميل بالموافقة – واكتب إليّ بعنوانه من فضلك – وقد طلب إليّ أن أكتب إليك قبل السفر، فإني أستحسن إلقاءها في مجتمع أدبي على ملأ من إخواني اللبنانيين والمصريين، تنشيطاً لحركة الأدب العربي، وتوثيقاً لصلات المودة والقربى بين مصر وأختها لبنان.

ولن تزيد إقامتي عندكم عن أسبوع بين بيروت وبعض مصايفها التي سأختارها بعد وصولي هناك لضيق إجازتي ووفرة أعمالي بمصر.

هذه كلمتي الى سيدي الأخ وأرجو منه إجابة سريعة بمعلوماته وإرشاداته التي يراها كما أرجو إبلاغ سلامي الى من أعرف من الإخوان ومن يسأل عني.

وألف تحية وشكر وسلام،،

تحريراً في ١٥ يوليه سنة ١٩٣٣

رئيس الحسابات والمستخدمين
بدار الكتب المصرية
أخوك

محمد الهراوي(*)

(*) **الحاج محمد الهراوي** «**مصر**» – ١٨٨٥ – ١٩٣٩

– شاعر. انفرد بنوع من النظم السهل وأنشأ مجلة «الرسول» وعمل موظفاً بدار الكتب المصرية.

استاذنا الكبير بشاره الخورى

تحية وشوقا واحتراما ، وبعد فقد عزمت بمشيئة الله تعالى على زيارة لبنان والشام والقدس لاول مره فى حياتى ، وسأكون معى السيدة حرمى لتغيير الهواء لعرض السكر وهى مترجلة محتشمه ، وستصحبنى فى كل مكان، وقد نظمت فيما نظمت قصيدة " تحية مصر الى لبنان ،، ذكرتكم وذكرت لبنان واخوانى اللبنانيين بخير

وسيكون سفرى فى اوائل اغسطس ولكنى الى الآن لم اعين يوم السفر ولا رسمت خطته وساكتب اليكم ذلك فيما بعد متى تفضلتم بالاجابة على هذا الخطاب

ولكى لا اذوق حيرة الغريب ، رأيت وثوقا بكم وتقديرا لمركزكم فى الاوساط الاجتماعية والادبية ان اكتب اليكم مقدما راجيا ان تتفضلوا بمقابلتى فى نقطة الوصول " بيروت ،، وتكونون قد تفضلتم كذلك بالاتفاق مع صاحب فندق ببيروت بلاس ، كوصية استاذى داود بك بركات على حجز غرفة طيبة بسرير واحد لى ولحرمى باجره معتدلة ، واحب ان يكون الاكل بثمن على حدة لاطلاق حريتنا فى تصريف الوقت

اما القصيدة فاذا تفضلتم وتفضل استاذى انطون بك الجميل بالموافقه ، وقد طلب الىّ ان اكتب اليه قبل السفر ، فانى استحسن القاءها فى مجتمع ادبى على ملأ من اخوانى اللبنانيين والمصريين ، تنشيطا لحركة الادب العربى ، وتوثيقا لصلات المودة والقربى بين مصر واختها لبنان

ولن تزيد اقامتى عندكم عن اسبوع بين بيروت وبعض مصايفها التى سأختارها بعد وصولى هناك لضيق اجازتى ووفرة اعمالى بمصر

هذه كلمتى الى سيدى الاخ وارجو منه اجابة سريعة بمعلوماته وارشاداته التى يراها كما ارجو ابلاغ سلامى الى من اعرف من الاخوان ومن يسال عنى

والف تحية وشكر وسلام ،،

رئيس

تحريرا فى ١٥ يوليه سنة ١٩٣٣ الحسابات والمستخدمين بدار الكتب المصرية

اخوكم

محمد الهراوى

مكسيكو ١٣ تموز سنة ١٩٣٣

العبقري الكبير السيد بشارة الخوري المحترم
يا مليك القريض الخالد

تفضلت علي بفتح باب المراسلة فأذن أن أزعجك بقراءة الحقائق التالية ولو طالت: وأبي كلّما غنيتَ صوتاً وحملت إلينا تموجات الأثير نبراته العذبة الساحرة أن أستوعبها بكل ما فيَّ من شوق الى تذوق الفن الأسمى. وشأني كلما أومض برق نبوغك أن أسرع جهدي لأملأ بصيرتي من تألق نوره. فكيف بي الآن وقد شئت أن تستخصني بقبس من شهاب ذكائك الساطع.

لئن قال فيكتور هوكو الى الفريد دي ڤيني جواباً على إحدى رسائله.

(.....)
(.....)
(.....)

فماذا يقول مثلي لمثلك والمسافة بين هوكو العظيم الخالد وبين هذا الحقير الفاني تقاس بالسنين النورية. أما أنت فأرق وأسمى من دي فيني. فهل ترتاب إن قلت لك إني عددت جواهر العقد الذي قلدتني جوهرة جوهرة فرحاً بها محتفظاً عليها ذخيرة ثمينة ما حييت.

إن القلم الذي يقطر نوراً بين أناملك من نبت الفردوس ومن نبت هذه الأرض فلا يأتي إلا بما تمليه عليك ربة الوحي. فمن أين لي أن آتيك بمثل رائع كلامك فليس بوسعي إذاً إلا أن أكيل إليكم الثناء أضعاف أضعاف ما حبوت به هذا المفتتن بك الافتتان كله، إذ من أحق بالتكريم منك وأنت المالئ تلك البلاد الجميلة بآي عبقريتك وسحر أناشيدك «تعلم الهزار شدو الخلود».

ما كتبت فيك إلا بعض ما حُقَّ لك وهل كان مثلي معك غير مثل فنيرة تبشر بالكنار السماوي.

Narif Fadl
Calle Cruces No. 49
México, D. F.

مكسيكو ١٢ تموز ٩٢٢

العبقري الكبير السيد بشارة الخوري المحترم

يا مليك القريض الخالد

تفضلت علي بفتح باب المراسلة فأذن ان ازعجك
بقراءة الحقائق التالية ولو كلفت
وأبي كلما تغنيت صوتا وحملت الينا تموجات الاثير بنبراته
العذبة الساحرة ان استوعبها بكلما في من شوق الى تذوق الفن الاسمى. وشأني
كلما اومض برق نبوغك من ان اسرع جهدا لاملأ بصيرتي من تألق نوره. فكيف بي
الان وقد شئت ان تشخصني بقبس من شهاب ذكائك الساطع
لئن قال فيكتور هوكو الى الفريد دي فينيي جوابا على احدى رسائله
Je l'ai relue mot par mot comme un men-
diant compte pièce à pièce la bourse d'o-
qui il a trouvée.
فماذا يقول مثلي لمثلك. المسافة بين هوكو العظيم الخلد وبين هذا الحقير الفاني
تعاني بالشهيد النورية. اما انت فارق واسمى من دي فينيي. فهل ترتاب ابدا
قلت لك اني عددت جواهر العقد الذي فلذتني جوهرة جوهرة فرحا بها محتفظا
عليها ذخيرة ثمينة ما حييت
ان القلم الذي يقطر نورا بيد انا ملك من نبت الفردوس
لو لبست هذه الارض فلا يأتي الا بما تمليه عليك ربة الوحي. فحتى اين لي ان آتيك
بمثل رائع كلامك [illegible]

إن الروح العالية التي جملك بها الله مفخرة كبرى لقومك يتسامون بها أينما وجدوا ولهذا كنت عزمت على ترجمة نشيد الخلود الى الافرنسية والاسبانية لأري الأجانب كيف سطع كوكب النبوغ اللبناني في سماء الشعر ولأؤكد لهم أن البلاد التي تغنى بها سليمان أنبتت الآن مثل سليمان. لكنني وجفت ضناً بالكلام المنزل أن يتلبس حلةً يقل سناءً وعن معناه بهاءً فتخسر القصيدة من روعتها كما خسر القرآن من جلاله في الترجمات كلها.

إنك في نظر الحقيقة أمير الشعر العربي لأنك وحدك مبتكر ولا بدع فقد أجلستك آلهة الإلهام على عرش القريض منذ ولدت وبايعتك الإمارة إذ ذاك كل ما في جنان الخلد من شحارير مغردة وبلابل صداحة. فلست شاعر لبنان بل لبنان متحولاً الى شاعر بطبيعته الضاحكة وسمائه الصافية وموسيقاه الساحرة.

قصيدتك في المثلث الرحمات البطريرك الياس « جننتني» وكل قصيدة منك تفتنني ولما كان من الواجب أن يقف شاعر الأمة على تأثير أناشيده في نفوس قرائه أستميحك إيراد مانع. لما طلعت علينا الهدى مختالة في «قف في ربى الخلد واهتف باسم شاعره» حملتها قاصداً «حرش شابولتاباك» المشهور (.....) وهو من هذه العاصمة بمثابة حرش بولدين من باريس إنما يفوقه ضخامة وعظمة في الأشجار، طلبت العزلة في خلوة تدعى «خلوة الشعراء» وشرعت في استيعاب آيات القصيدة آية آية بتمعن وتأنٍ كمتعشق المدام وليس أمامه سوى كأس واحدة. وصرت أتناول الجرعة إثر الجرعة من تلك الخمرة الإلهية وجوارحي تنتعش وروحي تكبر حتى شعرت كأني انتقلت الى الملأ الأعلى وما زلت أتذوق كل شطر وأرسم في مخيلتي كل صورة من صورها الرائعة حتى انطبعت كلها في ذهني بأحرف ناتئة «رغم أن ذاكرتي أصبحت فولاذية» هبطت من حيث كنت وأسرعت في العود الى قلب العاصمة كأني ذاك الجندي اليوناني الذي ركض من ماراثون حالما انتصر قومه على الأعجام، وإذ وصل الى

Nacif Fadl
Calle Cruces No. 49
México, D. F.

ساحة أثينا صرخ بملء قواه «تهللوا وافرحوا لقد انتصرنا» ووقع ميتاً من شدة العياء. أما أنا فلم أزل حياً «الحمد لله» ولاتسل بعدئذٍ عن إجلال أنشودة الخلود عند جالية هذه المدينة ثم في (مدن) الداخلية وكم تحدث بنو قومك ورددوا منظومتك الخالدة ولا أغالي إن قلت لك أن سارت السيارات بذكرها كما كانت تسير الركبان بذكر قصائد شعراء العرب. ولو كان وجه الشبه صحيحاً تاماً عمّا خصني لقلت إني كنت لك ما كان الأعشى لأوس أو كان كوكلين لروشتان.

أنا هائم وولوع في نتاج أدمغة الشعراء العظام فاعذرني إن قلت إنه لم يفتني مطالعة الروائع من منظوم كل شاعر عالمي في كل عصر ومصر لأني أعتبر أن الشعراء هم الموهوبون حقيقة، هذه القوة المبدعة كل آيات الفن والجمال إذ يخلقون لنا عوالم جميلة باهرة في هذا العالم المملوء بؤساً وعذاباً فيأتوننا ببلسم جراح الإنسانية. والبارع منهم نظيرك يحبب إلينا آلامها. أنت تكتب أناشيدك في سماء لبنان بأحرف خالدة على الدهور الآتية ولا شك في أن حظ أبناء الأجيال المقبلة سيكون أكبر من حظنا بتفهمهم كلام الوحي أكثر منا وهذا لما نحن فيه من تسلط المادة علينا، فكل ما تنظم من القلائد الجميلة لا يكون فقط لهذا العصر فلماذا أنت إذاً مقل كل الإقلال من شعرك السامي. والله لا أعرف لك ما يتجاوز العشر قصائد، تفضل وقل لي لماذا لا تطبع ديوانك الذي يكون الإقبال عليه عظيماً. لأي سبب لم ينشر المقتطف والهلال قصيدتك في شوقي. وهل حقيقة أوقفت «البرق»؟ تكرم بالجواب واجعل لهذا العاجز واسطة للمواصلة الروحية كلما سمح لك وقتك الثمين لأنه إذا كان اعتبر الأقدمون صداقة الرجل العظيم شرفاً كبيراً فإني أعتبر صداقتك نعمة من الآلهة، فمثلك يحبب إلينا الرجوع الى لبنان المحبوب وأناشيدك تحملنا على الترنم بذكراه دائماً. تلطف بقبول أحر أشواقي مع شعائر إعجابي ودم للمفتتن بك .

نصيف فضل(*)

****

(*) لم نوفق في التعرف إليه.

Nacif Fadl
Calle Cruces No. 49
México, D. F.

دمشق في ١٨ أيار ١٩٣٣

حضرة الشاعر الجليل.

أجمل تحية. وبعد، كانت جمعية خريجي الكلية العلمية الوطنية بدمشق نشرت في الصحف دعوة الى الشعراء ليضعوا نشيداً للشباب ولكنها لم تتلق منهم رداً واحداً ترتاح إليه، ولذلك عهدت إليّ أن ألتمس منكم أن تستوحوا عبقريتكم أبياتاً من الشعر نتخذها نشيداً للشباب على أن تراعى فيها – ولو بمقدار – الشروط التي أنفذناها إليكم في درج هذه الرسالة.

فإذا قبل حضرة الشاعر أن يمنحنا ساعة من وقته الثمين ينفقها في نظم نشيد للشباب فليتفضل بإرساله قبل العشرين من حزيران الى جمعية خريجي الكلية وهي تختار من الموسيقيين من يصنع له لحناً ثم تقرر رسمياً اتخاذه نشيداً لها وللكلية وينشد في حفلتها السنوية الكبرى ويطبع ويوزع على الصحف.

كان آخر موعد لقبول ردود (المسابقة) في اليوم العاشر من أيار ولكن اللجنة وجدت أن تفرض هذا النشيد على نبوغكم فرضاً لأن حظها في المسابقة لم يكن لامعاً وهي على يقين أنكم ستلبون رجاءها.

وفي انتظار أن نقرأ جوابكم وننشد أبياتكم تفضلوا يا حضرة الشاعر بقبول أجمل تحياتنا وأنبل مشاعرنا واسلموا.

عن سكرتير الجمعية
الدكتـــور

عبدالكريم العائدي

(*) الدكتور عبدالكريم العائدي «سوريا» – ١٩٠٩ – ١٩٧٠

– طبيب – أسندت إليه مديرية شرطة دمشق ثم محافظاً لحوران فحماة ثم مديراً عاماً للعشائر ثم

الكلية العلمية الوطنية
بدمشق
مديرية
فرع البنين
دمشق في ١٨ ايار ١٩٣٣

حضرة الشاعر الجليل .

أجمل تحية . وبعد كانت جمعية خريجي الكليه العلميه الوطنيه بدمشق نشرت في الصحف دعوة الى الشعراء ليضعوا نشيدا للشباب ولكنها لم تتلق منهم رد واحدا ترتاح اليه ولذلك عهدت الي أن ألتمس منكم ان تسترحوا عبقريتكم ابياتا من الشعر نتخذها نشيدا للشباب على أن تراعى فيها ولو بمقدار الشروط التي أنفذناها اليكم في درج هذه الرساله .

فأذا قبل حضرة الشاعر أن يمنحنا ساعة من وقته الثمين ينفقها في نظم نشيد للشباب فليتفضل بأرساله قبل العشرين من حزيران الى جمعية خريجي الكليه وهي تختار من الموسيقيين من يصنع له لحنا ثم تقرر رسميا اتخاذه نشيدا لها وللكليه وينشد في حفلتها السنويه الكبرى ويطبع ويوزع على الصحف .

كان آخر موعد لقبول ردود (المسابقه) في اليوم العاشر من آيار ولكن اللجنة وجدت ان تفرض هذا النشيد على نبوغكم فرضا لأن حفلتها في المسابقه لم يكن لها وهي على يقين أنكم ستلبون رجاءها .

وفي انتظار أن نقرأ جوابكم وتنشد أبياتكم تفضلوا بحضرة الشاعر بقبول أجمل تحياتنا وأنبل مشاعرنا واسلموا .

عن سكرتير الجمعيه
الدكتور
عبد الله العابد

دمشق ٢٦ نيسان صباحاً

سيدي الشاعر العبقري،

أجمل تحيتي وأبلغ شوقي. أخذت رسالتيك وشكرت لك كثيراً لطفك وعواطفك. أنشدت أبياتك في حفلة أقيمت للأستاذ معتوق في المدرسة الكاثوليكية في حي الميدان فاستعيدت وصفق لها كثيراً، وقد أنشدتها بعد أن غنت فتاة حسنة الصوت «الهوى والشباب»، وكان غناؤها خارج البرنامج، لكن جمال شعرك، ثم جمال صوتها، كان لهما أثرهما البليغ في النفوس، وقد هتف لاسمك وصفق، ورددت أنا اسمك ليظن بعض الغافلين أن لي حظاً من التصفيق له!.

سيدي لم تشأ أن تجيب على أسئلتي، أو على الأصح شئت ولم تشأ ظروف أفهمها تماماً، ولكنك أرجأتني إلى موعد، فمتى جاء الموعد، فأجبني على شيء واحد أطلبه منك، هو طائفة من أشعارك، ترسلها إلي لأضمنها مقالاً بل خطاباً ألقيه عنك، وإذا شئت أن تشتري هذا العذاب بإهدائي إلى مصادر في متناول اليد، فعلت وكنت لك من الشاكرين.

تحدثت إلى الأستاذ شبلي بك الملاط عن سوق الشعر التي نفكر في إقامتها في دمشق، وقلت له إن تأييدك لها شجعني كثيراً، فأيد الفكرة هو أيضاً، وسأدعو أعضاء «المجمع الأدبي» عما قريب لتحديد موعد السوق الأولى التي نرجح أن تقام في دمشق، وربما ألفنا لجنة خاصة للإشراف على أمورها.

أراد قدر لم أكن أنتظره، أن يتأخر قليلاً «تكريس» نشيدك وتلحينه، لأن أخت الدكتور منيف بك العائدي عميد الكلية الوطنية، الذي سلمته النشيد ليجد له ملحناً توفيت وكان حزنه عليها شديداً فلم أشأ أن أطلب منه النشيد أو أن أكلفه بتلحينه، ولست أكره على كل حال هذا «التأخير»، حتى يكون الناس في حديث النشيد، في الوقت الذي يدنو فيه موعد السوق الشاعرة!.

أنتهز الفرصة لأكرر شكري لك وإعجابي بك، حفظك الله ذخراً للعربية.

(١٩٣٣م.) المخلص

منير العجلاني(*)

(*) **منير العجلاني** «**سوريا**» - ١٩١٠ -

- دكتور دولة في الحقوق العامة والخاصة من باريس وهو مجاز في الصحافة وفقه اللغة وساهم في تأسيس عدد من الجمعيات الوطنية والمنظمات السياسية. انتخب نائباً عن دمشق أربع مرات وتولى وزارة المعارف أربع مرات، وانتخب سنة ١٩٤٨ عضواً في المجمع العلمي العربي وتولى وزارة العدلية عام ١٩٥٥.

دمشق ٤ نيسان صباحا

سيدي الشاعر العبقري،

أجمل تحيتي وأبلغ شوقي. أخذت رسالتك وشكرت لك كثيراً لطفك وعطفك. أنشدت أبياتك في حفلة أقيمت للأستاذ معتوق في المدرسة الكاثوليكية في حي الميدان فاستعيدت وصفق لها كثيراً؛ وقد أنشدتها بعد أن غنت فتاة حسنة الصوت «الهوى والشباب»، وكان غناؤها خارج البرنامج، لكن جمال شعرك، ثم جمال صوتها، كان لهما أثرهما البليغ في النفوس، وقد هتف لاسمك وصفق، ورددت أنا اسمك ليظن بعض الغافلين أن لي حظاً من التصفيق!

سيدي،

لم تشأ أن تجيب على أسئلتي، أو على الأصح شئت ولم تشأ ظروف أفهمها تماماً، ولكنك أرجأتني إلى موعد، فمتى جاء الموعد، فأجبني على شيء واحد أطلبه منك، هو طائفة من أشعارك، ترسلها إلي لأضمها مقالاً بل خطاباً ألقيه عنك، وإذا شئت أن تشتري هذا العذاب بأهدائي إلى مصادر في متناول اليد، فعلت وكنت لك من الشاكرين.

تحدثت إلى الأستاذ شبلي بك بملاط عن موسم الشعر، التي نفكر في إقامتها في دمشق، وقلت له إن تأييدك لها شجعني كثيراً، فأيد الفكرة هو أيضاً، وسأدعو أعضاء المجمع الأدبي، عما قريب لتحديد موعد السوق الأولى التي نرجح أن تقام في دمشق، وربما ألفنا لجنة خاصة للإشراف على أمورها.

أراد قدر لم أكن أنتظره، أن يتأخر قليلاً «تكريس» نشيدك وتلحينه، لأن أخت الدكتور منيف بك العائدي، عميد الكلية الوطنية، الذي سلمته النشيد ليجد له ملحناً، توفيت وكان حزنه عليها شديداً فلم أشأ أن أطلب منه النشيد أو أن أكلفه بتلحينه؛ ولست أكره على كل حال هذا التأخير، حتى يكون الناس في حديث النشيد، في الوقت الذي يدنو فيه موعد السوق الشاعرة!

أنتهز الفرصة لأكرر شكري لك، وإعجابي بك، حفظك الله ذخراً للعربية: المخلص:

منير العجلاني

الشاعر الكبير الأستاذ بشارة بك الخوري المحترم

سيدي الشاعر العبقري

أخذت رسالتك وشكرت لك لطفك، أما نشيدك، وأكاد أقول نشيدنا، فتحفة غالية، وعما قريب إن شاء الله يدوي صداه الحار في الغوطتين. سنبحث لنشيد الشباب عن لحن ومتى وفقنا إليه أعلنا اختياره نشيداً «رسمياً»، وإذا بسم لنا الحظ كان لنا أن ننشده في حضرتك. على أنني لا أريد أن أستعجل الأمور وأترك ذلك إلى رسالة قابلة.

لم ننعم بزيارتك قبل مغادرتنا بيروت لأننا سافرنا مع مطلع الشمس، ولما وصلنا إلى دمشق قيل لنا إن الطريق سدت، ففرحنا فرح الأطفال، باجتيازنا الحصار.. ولكننا على كل حال من الخاسرين.

أكون جد شاكر لك إذا أرسلت إليَّ في البريد قصيدتك في دمشق ونتفاً من شعرك، لأنني أحب أن أنقل شيئاً من ذلك في حديث أنشره عنك، وإذا كان لا يسيئك أن تجيب على الأسئلة التالية ولو بكلمة وكلمتين فتلطف بالإجابة لأنها تفيدني وتعين ذاكرتي:

– ما هي أحب قصائدك إليك؟ وكيف تنظم؟ وما هو رأيك في الشعر الرمزي؟ كيف تنظر إلى مستقبل الأدب والشعر في سورية؟ كيف تريد أن يكون التجديد في الشعر؟ ألا تجد أن الشاعر السوري يحسن الى عبقريته إذا تغنى، بأسلوب هو مزيج من مذاهب الغرب والشرق، بجمال بلاده و«فلكلورها»؟ كيف تميز الشعر الوطني من الشعر السياسي؟ ما هو رأيك في إقامة سوق للشعر في سورية تنشد فيها القصائد وتختار المعلقات وتوزع الجوائز وتعلن الإمارات وتدرس «على الهامش طبعاً» مدارس الشعر في الغرب وتحلل القصائد البارعة، وإذا أقيمت هذه السوق في دمشق، في الربيع أو في الصيف، فهل تشترك فيها؟.

هذه طائفة من الأسئلة تستطيع أن تجيب عليها جميعاً أو على طائفة منها، وتستطيع أن تزودني بأفكار لم أعرضها في هذه الأسئلة، وأنا متى كتبت الحديث أرسله إليك لتراه ثم أنشره في المجلة الكبرى التي أفكر ويفكر المجمع الأدبي في إصدارها، وإذا لم تصدر، ففي مجلة الثقافة، وسأطلب صورتك الكريمة.

وهكذا تعود عليك مقابلة قصيرة، لم يضرب لها موعد، بأسئلة وتكاليف، ولكنني لا أريد أن أزعجك، وأترك لك أن تجيب عليها متى أردت، وأن تهمل منها ما شئت، فليس من حقنا أن نزعج من نحب ونحترم ونعلم أن وقته للخلود.

منير العجلاني(*)

(*) انظر الهامش ص(٢٠١).

A. MOUKHTAR AJLANI
Avocat a la Cour
Damas

المحامي
احمد مختار العجلاني
دمشق

٢٧/٦/٩

الشاعر الكبير الأستاذ بشير هلال الحوري المحترم

سيدي الشاعر العبقري،

أخذت رسالتك وشكرت من الطفلة، أم نشيدك، وأنا داخل نشيدنا، فتحة غالي، وعما قريب إن شاء الله يدوي صداه الحار في الفوطية. سنجعل النشيد كتاب عيد الجلاء وفقا إلى أعلن اختياره نشيداً «رسمياً» ؟ وإذا السجن لن الحظ، كما لن أدنشده في حفلتك. عسى أن لا أريد أن أستعجل الأمور وأترك ذلك إلى رسالة قابلة.

لم ننعم بزيارتك قبل مغادرتنا بيروت لأننا سافرنا مع مطلع الشمس، وبلغنا حلب إلى دمشق قبل أن الطريق سدت، فعرضنا فرح الأطفال، باجتيازنا الحصار.. ولكنني على كل حال مهنئ سريعة.

أكون جديراً شكرك إذا أرسلت إلي في البريد قصيدتك في دمشق ونشأة مدشرك، لأنني أحب أن أنقل شيئاً من ذلك في حديثي أنشره عنك، وإذا ساعدك ليسهل أن تجيب على الرسالة التالية ولو بكلمة وكلمتين فتلطف بالإجابة لأنها قصيدتي وقصيدة ذاكرتي:

١- ما هي أحب قصائد إليك؟ وكيف تنظم؟ وما هو رأيك في الشعر المرسل؟ كيف تنظر إلى مستقبل الأدب والشعر في سوريا؟ كيف ترى أن يكون التجديد في الشعر؟ وهل تجد أن الشاعر السوري يحس في عبقرية إذا تغنى بأسلوب يمزج فيه مناهج الغرب والشرق بما يلائمه ويراعي طبائعها؟ كيف تعبر الشعر الوطني عن الشعر السياسي؟ ما هو رأيك في إقامة مسابقة للشعر في سوريا تتناول القصائد وتختار المقطعات وتوزع الجوائز وتقيم المهرجانات، وتدرس وعلى الطريقة مدارس الشعر في الغرب وتجعل القصائد الفائزة، وإذا أقيمت هذه المسابقة في دمشق، في الربيع أو في الصيف، فهل تشترك فيها؟

هذه طائفة من الأسئلة تستطيع أن تجيبني عليها جميعاً أو على طائفة منها وتستطيع أن تزودني بأفكارك أعرضها في هذه الرسالة، وأنا من كتبت تحدثني أن يسعدك أن تراني ثم أنشر في مجلة المكشوف أن أفكر بالكتابة المجموعة في إحداهما، وإذا لم تقصد، ففي مجلة الثقافة، وسأطلب صورتك الكريمة.

وهكذا نعود عليك مقابلة قصيرة، لم يضربها موعد، بأسئلة وتكاليف، ولكني لا أريد أن أنا عجلان، وأترك لك أن تجيبني عليها متى أردت، وأنا أعمل من الآن أنك شاعر فيسرني أن نتعارف أن نتزاور ونحب ونحترم ونعلم أن وقت للخلود.

القاهرة في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٣٢

أخي العزيز بشارة

نردد ذكرك في كل مجلس ونسمعه في كل جهة وهو معطر بأطيب ما يعطر به الذكر الحسن وإذا ما كررت لك افتخار المواطنين بك وبأدبك وسمو خلقك فإنما أكرر ما يلذ لي سماعه والتغني به. فعشت يا أخي بشارة وعاش أدباؤنا الذين عرفوا من ينتدبون وحبذا لو زرتمونا بين حين وحين وتفقدتم إخوة لكم أشهى الطيبات لديهم اسم لبنان واللبنانيين.

أما داود فهو في دور النقاهة ولعلها تكون المرة الأخيرة التي يتعرض فيها لمثل هذه المتاعب والآلام وقد بلغته عاطفتك الأخوية فكلفني أن أكون بديلاً عنه في مبادلتها والشكر عليها.

أنا لا أزال أشعر بالأسف على عدم تمكني بالقيام بالواجب نحوك ونحو الصديق ابراهيم كما كنت أتمنى وكما كان يريد العزيز داود. ولكن قاتل الله المرض الذي حال دون ما نبغي فلك أن تعذر على هذا القصور.

تقبل يا عزيزي بشارة أحسن التمنيات مني ومن كل لبنانيي مصر ولا تحرمنا من دررك كلّما وجدت نفسك مائلة الى النظم. واسلم لأخيك .

بركات بركات(*)

****

(*) بركات بركات «لبنان - مصر»

- لم نوفق لمعرفة أي شيء عنه.. لم تسعفنا الأهرام وكان أحد كتابها وشقيق رئيس تحريرها داود بركات.. ولم نجد له أثراً في لبنان أو سوريا.

الأهرام
١٤ شارع مظلوم باشا بمصر
العنوان التلغرافي « الاهرام » بمصر
تليفون نمرة ٤٦٤٦٤

القاهرة في ٢٧ ديسمبر سنة ٤٦

أخي العزيز بشاره

نردد ذكرك في كل مجلس ونسمعه في كل جهة وهو معطر بأطيب ما يعطر به الذكر الحسن وا
ما كررت لك افتخار المواطنين بك وبادبك وسمو خلقك فانما اكرر ما يلذ لي سماعه والتغني به فعشت
يا اخي بشاره وعاش ادباؤنا الذين عرفوا من يستدبون وحبذا لو زرتمونا بين حين وحين وتفقدتم
اخوة لكم اشهى الطيبات لديهم اسم لبنان واللبنانيين.

يا داود فهو في دور النقاهة ولعلها تكون المرة الاخيرة التي يتعرض فيها لمثل هذه
المتاعب والآلام وقد بلغته عاطفتك الاخوية فكلفني ان اكون بديلاً عنه في مبادلتها والشكر عليها.

انا لا ازال اشعر بالاسف على عدم تمكني بالقيام بالواجب نحوك ونحو الصديق ابراهيم كما كنت اثر
وكما كان يريد العزيز داود. ولكن قاتل الله المرض الذي حال دون ما نبغي فلك ان تعذر على هذا
القصور.

تقبل يا عزيزي بشاره احسن التمنيات مني ومن كل لبنانيي مصر ولا تحرمنا من دررك كلما
وجدت نفسك مائلة الى النظم واسلم لاخيك

بركات بركات

القاهرة في ١٩٣٢/١٢/٢٤

موظف بمصلحة هندسة السكك
الحديد المصرية

سيدي الأستاذ الجليل بشارة الخوري

تحياتي وتقديري لشخصكم النبيل، لقد كانت فرصة سعيدة تلك التي تشرفت خلالها بلقائكم في القاهرة وإن كان الحظ لم يسعدني بالمكوث معكم كثيراً، إلا أني واثق من أن الترحيب الذي لاقيتموه بالقاهرة والنجاح العظيم الذي أحرزتموه، في حفلة ليلة الأوبرا تخليداً لذكرى أمير الشعراء، كل ذلك سيجعلكم تعاودون الكرة مرة أخرى لزيارة وطننا المحبوب.

وقد سبق أن تحادثت مع حضرتكم بضرورة طبع قصائدكم في ديوان عوضاً عن بعثرتها في الصحف والمجلات التي نشرت بها. فحبذا لو لاقى هذا الاقتراح عنايتكم ووليتم جهودكم لتحقيقه، إذن لتؤدون للشعر الحديث أجل الخدمات.

وكم يكون حظي سعيداً، إذا تكرمتم بإرسال «البرق» الأغر حتى نستشف روحكم الفياضة من خلال سطوره، وجميع الإخوان الكرام – الأستاذ التفتازاني واللبان والدكتور ناجي بك – يقدمون لحضرتكم أوفى عبارات الشكر والثناء سائلين المولى عز وجل أن يقرب أيام اللقاء.

وختاماً أرجو أن تتقبلوا خالص تهانيّ بحلول «عيد الميلاد» السعيد. كما أرجو قبول خالص تحياتي وأشواقي الزائدة .

المخلص

محمد أمين حسونة(*)

****

(*) **محمد أمين حسونة** «**مصر**» – ١٩٠٩ – ١٩٥٦
– كاتب، كتب في بعض الصحف الأسبوعية. وعمل بمصلحة هندسة السكك الحديد المصرية.

القاهرة في ٢٤/١٢/١٩٣٢

موظف بمصلحة هندسة السكك الحديد المصرية

سيدي الاستاذ الجليل بشارة الخوري

تحياتي وتقديري لشخصكم النبيل، وبعد فقد كانت فرصة سعيدة، تلك التي تشرفت خلالها بلقائكم في القاهرة وان كان الحظ لم يسعدني بالمكوث معكم كثيرا، الا اني واثق من ان الترحيب الذي لاقيتموه بالقاهرة والنجاح العظيم التي احرزتموه، في حفلة ليلة الاوبرا تخليدا لذكرى امير الشعراء، كل ذلك سيجعلكم تعاودون الكرة مرة اخرى لزيارة وطننا المحبوب.

وقد سبق ان تحادثت مع حضرتكم بضرورة طبع قصائدكم في ديوان، عوضا عن بعثرتها في الصحف والمجلات التي نشرت بها، فحبذا لو لاقى هذا الاقتراح عنايتكم ووليتم جهودكم لتحقيقه، اذن لتؤدون للشعر الحديث، اجل الخدمات.

وكم يكون حظي سعيدا، اذا تكرمتم بارسال "البرق" الاغر حتى نستشف روحكم الفياضة من خلال سطوره، وجميع الاخوان الكرام، الاستاذ التفتازاني والليان والدكتور ناجي بك، يقدمون لحضرتكم اوفى عبارات الشكر والثناء، سائلين المولى عز وجل ان يقرب ايام اللقاء.

وختاما ارجو ان تتقبلوا خالص تهانئي بحلول "عيد الميلاد" السعيد.

كما ارجو قبول خالص تحياتي واشواقي الزائدة

المخلص

محمد أبو حسن

سيدي

وصلتني البراءة ووسام الاستحقاق اللبناني وقد شاءت مكارم فخامة شارل دباس رئيس الجمهورية إهداءه إليّ بدون ثمن لأن القانون يحتم على المنعم به عليه أن يشتريه.

وصلتني رسالتكم الكريمة التي أحفظها أثراً نفيساً من (يدكم) الساحرة.

دمشق ١٢ أيلول سنة ١٩٣٢

المخلص الشاكر لكم

نجيب هواويني(*)

****

(*) **نجيب بك هواويني** «**سوريا**» - ١٨٧٨ - ١٩٥٦

- من كبار الخطاطين في عصره عاش ومات في مصر ومنح لقب «خطاط جلالة الملك»
- واضع كتاب التزوير الخطي وخبير في الخطوط العربية والإفرنجية.

خطاط جلالة الملك

المحامي

نجيب هواويني

واضع كتاب التزوير الخطي وخبير في الخطوط العربية والافرنجية

NAGUIB BEY HAWAWINI

CALLIGRAPHE DE S. M. LE ROI

AVOCAT. EXPERT

Tel. 330 Médina -Caire

تلفون ٣٣٠ مدينه . بمصر

سيدي !

وصلتني البراءة ووسام الاستحقاق اللبناني وقد شاءت مكارم فخامة شارل باس رئيس الجمهورية اهداءه الي بدون ثمن لأن القانون يحتم على المُنعَم به عليه ان يشتريه

وصلتني رسالتكم الكريمة التي احفظها اثراً نفيساً من كرم الحرة .

دمشق ٢ ايلول ١٩٣٤ المخلص الشاكر لكم

نجيب هواويني

دمشق في ١٣ نيسان سنة ١٩٣٢

أيها الأخ الأديب!

لئن لم نتعارف وجوهاً، ولم يسعد الماضي بالاجتماع فحسبي هذه الصلة الأدبية وشيجة بيني وبينك، ونعم الوشيجة هي، نسباً بين الأدباء تؤلف بين أرواحهم وتجمع بين نفوسهم.

وبعد فإني مهديك نتفاً من الشعر جمعتها في سفر، قد ترضى عنها وترضيك أو لا .. فضعها حيث تشاء ويشاء لك الذوق من صحيفتك. ولعلك واجد فيها ما تأنس به الى التنويه بها بكلمة طيبة نافعة من قيّم كلمك، فيكون ذلك لها بمثابة التجميل إن كانت قبيحة، والزينة والتلوين إن كانت مليحة. ولا يقدر جهد الأديب إلا من عاني الجهد الأدبي، وحسبي أني أخاطب «الأخطل الصغير» وهو من عرفنا كيسه وفضله وبلاءه الحسن في ميادين الجهاد الأدبي، وذلك وحده هو شفيعي إليه ورسولي في هذه العجالة.

هذا وتقبل أيها الأخ احترامات واعتبارات المخلص.

أديب التقي(*)

****

(*) **أديب التقي** «**سوريا**» - ١٨٩٥ - ١٩٤٥

دمشق - ١٤ نيسان ١٩٥٤

أيها الأخ الأديب !

لئن لم نتعارف وجوهاً ، ولم يسعد الماضي بلاجتماع فحسبي هذه الصلة الأدبية وشيجة بيني وبينك ، ونعم الوشيجة هي، نسباً بين الأدباء تؤلف بين أرواحهم وتجمع بين نفوسهم .

وبعد فإني مهديك نتفاً من الشعر جمعتها في سفر ، قد ترضى عنها وترضيك أو لا .. فضعها حيث تشاء ويشاء لك الذوق من صحيفتك . ولعلّك واجد فيها ما تأنس به إلى التنويه بها بكلمة طيّبة نافعة من قيّم كلمك فيكون ذلك لها بمثابة التجميل إن كانت قبيحة ، والزينة والتلوين إن كانت مليحة .

ولا يقدر جهد الأديب إلا من عانى الجهد الأدبي ، وحسبي أني أخاطب « الأخطل الصغير » وهو من عرفنا كيسه وفضله وبلاءه الحسن في ميادين الجهاد الأدبي ، وذلك وحده هو شفيعي إليه ورسولي في هذه العجالة .

هذا وتقبل أيها الأخ احترامات واعتبارات المخلص

« أديب التقي »

حضرة الأخ العزيز والشاعر الكبير الأستاذ بشارة الخوري المحترم

بعد التحية والاحترام، دفعت ببعض ما تجمع من قصائدكم الغالية عندي، مما نشر في البرق ـ كقصيدة «نعم وعمر» وقصيدة «المسلول» وقصيدة «من حوادث الحرب الكبرى» ـ الى صديقي الشاعر المصري الشيخ محمود أبوالوفا ليخرج منها درساً في شعركم وشاعريتكم وإني واثق أنه سوف يكون درساً جديراً بما لكم في نفسي من مقام وأثر. فأرجو أن تتكرموا بقصيدة من قصائدكم التي لم تنشر أو التي نشرت منذ زمن ونسي الناس زمن نشرها، لكي أنشرها في نفس العدد من المقتطف الذي يظهر فيه المقال وأرجو أن يكون العدد المقبل الذي يظهر في أول مارس (آذار).

حبذا الحال لو أتيحت لكم الفرصة لزيارة مصر في هذا الربيع، إذاً لعرفنا كيف نكرم شاعرنا الكبير وأخانا الصادق الود واسلم.

المخلص

٢٩ يناير ١٩٣٢

فـــؤاد صـــروف(*)

****

(*) **فؤاد صروف «لبنان - مصر» - ١٩٠٠ - ١٩٨٥**

- أديب وصحافي وعالم. رئيس تحرير المقتطف بمصر عمل بالجامعة الأمريكية ببيروت وشارك في

إدارة المقتطف والمقطم

AL MUKTATAF & AL MOKATTAM

SARRUF, NIMR & MAKARIUS, PROPRIETORS.

Telegrams: MOKATTAM CAIRO
Telephone: 1256 & 1257 MEDINA 46256 & 46255

تلغرافياً "المقطم بمصر"
تليفون ١٢٥٦ و١٢٥٧ مدينة ٤٦٢٥٦ و٤٦٢٥٥

حضرة الأخ العزيز والشاعر الكبير الأستاذ بشاره الخوري المحترم

بعد التحية والاحترام، دفعتُ ببعض ما تجمع من قصائدكم الغالية عندي، مما نشر في البرق - كقصيدة "نعم وعمر" وقصيدة "المسلول" وقصيدة من "حوادث الحرب الكبرى" - الى صديقي الشاعر المصري الشيخ محمود ابو الوفا ليخرج منها درساً في شعركم وشاعريتكم وإني واثق انه سوف يكون درساً جديراً بما لكم في نفسي من مقام واثر. فارجو ان تتكرم بقصيدة من قصائدكم التي لم تنشر او التي نشرت من زمن ونسي الناس زمن نشرها، لكي انشرها في نفس العدد من المقتطف الذي يظهر فيه المقال، وارجو ان يكون العدد المقبل الذي يظهر في اول مارس (آذار)

حبذا الحال لو اتيحت لكم الفرصة لزيارة مصر في هذا الربيع، اذا لعرفنا كيف نكرم شاعرنا الكبير واخانا الصادق الود والسلام

المخلص
فؤاد صروف

٢٩ يناير ١٩٣٢

عزيزي الأخ بشارة المحترم

أتيت لأهنئكم بسلامة الوصول، ولأدعوكم مع الأستاذ النجار والشيخ الغلاييني الى تناول الشاي في منزلي في الساعة ٤,٣٠ من مساء السبت ٥ ديسمبر، فقد دعوت طائفة من شعراء مصر وأدبائها للاجتماع بكم.

وعند الملتقى غداً ندبر مسألة الوصول الى البيت واسلم.

المخلص

فــؤاد صــروف(*)

****

(١٩٣١م.)

(*) **انظر الهامش ص(٢١٣).**

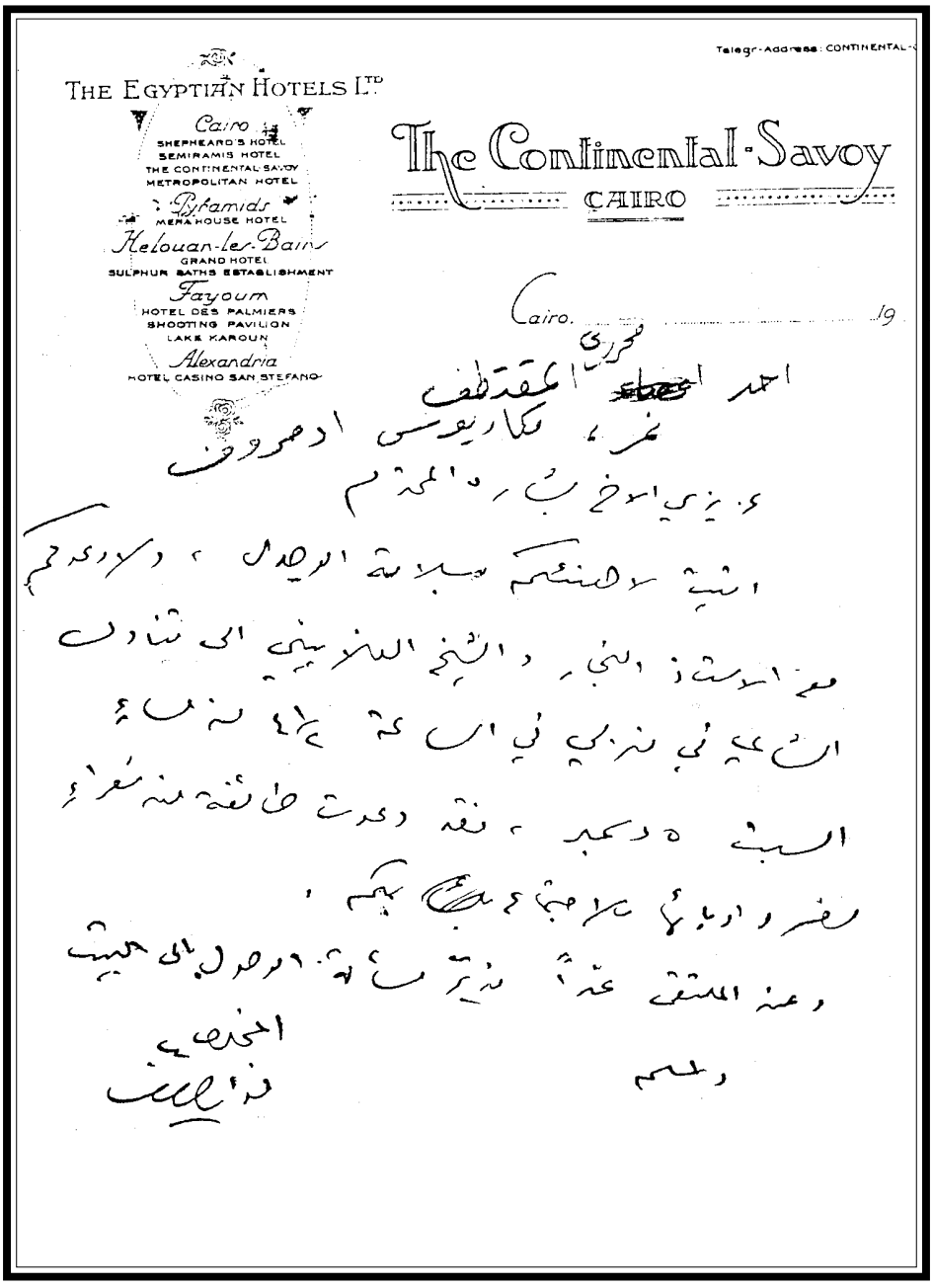

Telegr-Address: CONTINENTAL-

THE EGYPTIAN HOTELS LTD

Cairo
SHEPHEARD'S HOTEL
SEMIRAMIS HOTEL
THE CONTINENTAL-SAVOY
METROPOLITAN HOTEL
Pyramids
MENA HOUSE HOTEL
Helouan-les-Bains
GRAND HOTEL
SULPHUR BATHS ESTABLISHMENT
Fayoum
HOTEL DES PALMIERS
SHOOTING PAVILION
LAKE KAROUN
Alexandria
HOTEL CASINO SAN STEFANO

The Continental-Savoy
CAIRO

Cairo, ... 19

احمد ~~[illegible]~~ محرري المقتطف
نمر، مكاريوس ادمروف

عزيزي الاخ بشاره المحترم

اثبت لاهنئكم بسلامة الوصول، ولاوعدكم
مع الاستاذ النجار والشيخ الفلاييني الى تناول
الشاي في منزلي في الساعة ٤½ من مساء
السبت ٥ دسمبر، فقد وعدت طائفة من شعراء
مصر وادبائها بالاجتماع بكم،
وعند الملتقى غداً نذير مسألة الوصول الى البيت

والسلام

المخلص
فؤاد [illegible]

الله أكبر. ما هذا يا رجل. والله إن قصيدتك في عمر ونعم لأخلد من عمر ونعم. وقسم آخر والله لم ينظم في العربية كقصيدتك هذه لا أستثني شاعراً ولا أستثني شعراً. لا في قديم التاريخ واللغة ولا في حديثهما.

هنيئاً لك أبا عبدالله إمارة الشعر. من غلمانك عمر. ومن حجابك المتنبي. ومن حراسك شوقي. ومن ندمانك ولي الدين.

أمتع الله بك لبنان. بل الجزيرة بأسرها. بل العبقرية والخلود.

١-٦-١٩٣١

أخـــوك

بدوي الجبل (*)

****

(*) **محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)** «**سوريا**» - ١٩٠٨ - ١٩٨١

- شاعر ومن أبرز رجالات الحزب الوطني.انتخب نائباً عن اللاذقية ثلاث دورات وأسندت اليه الوزارة

الله أكبر . ما هذا يا رجل . والله ان قصيدتك في عمر ونعم
لأخلد من عمر ونعم . وقسم آخر . والله لم ينظم في العربية
وبعد تلك هذه . لا استثني شاعرا ولا استثني شعرا . لا في
قديم التاريخ واللغة ولا في حديثهما
هنيئا لك أبا عبد الله أمارة الشعر . من علمائك عمر . ومن
حجابك المتنبي . ومن حراسك شوقي . ومن ندمائك ولي
الدين
أمتع الله بك لبنان . بل الجزيرة بأسرها . بل العبقرية
والخلود

خوك
بدوي الجبل

١-٦-٧١

حاشية : أيها الشيخ بالحق المنشق
ما أقبل منك أو ما أدبر وأيهما تعني

حضرة الأستاذ الكريم

تحية واحتراماً . الساعة هذه أخذت العدد فتبينت فيه تسرعي وتحققت حكمتكم فجئت بمزيد الخجل معتذراً، ولقد كانت تلك الإشارة اللطيفة وذلك الصمت المحبوب أبلغ من المنطق ولقد عاد سهمي إليّ وأسقطت في يدي، فمعذرة من كريم لمعتذر مقر بتسرعه طالب عفو سيده...

ولقد وجدت الاعتذار غير كاف في رغبتي لتكفير السيئة فشفعته بأبيات خمسة هن من وحي الشعور..

لبشارة الخوري عليَّ أيادي
ما عشت أحفظها له بفؤادي
فإذا هلكت وكل حيٍّ هالك
ورثت شكر صنيعه أولادي
فجزيته شكراً بذلك باقياً
في الدهر لا يفنى على الآباد
إن الأماجد تسترق يمينها
بالجود قلب السادة الأمجاد
وكذا الكريم يكون أنفذ رمية
من كل رام في العلا صياد

وفي الختام تكرموا بقبول إخلاصي وتعلقي بمبدئكم الحر.

جمال الملاح(*)

****

(١٩٣٠م.)

(*) **جمال الملاح** «**لبنان**» - ١٨٨٩ - ١٩٤٩

- شاعر أتقن الفرنسية والعربية والتركية وبعض اللغات الآسيوية، وترك ديواناً حافلاً بالقصائد.

خط الاستاذ الكريم

تحية واحتراما . الساعة هذه اخذت العدد فتبينت فيه شرعي وتحققت حكمتكم فجئت بمزيد الخجل معتذرا ولقد كانت تلك الاشارة اللطيفة وذلك الصمت المحبوب ابلغ من الخطاب ولقد عاد سهمي الي واسقطت في يدي فمعذرة من كريم لمقتدر مقر بشرعه طالب عفو سيده ...

ولقد وجدت الاعتذار غير كاف في رتبتي لتكفير السيئة فشفعته بابيات خمسة هن من وحي الشعور ..

لبشارة الخوري على ايادي ... ما عشت احفظها له بفؤادي

فاذا هلكت وكل حي هالك ... ورثت شكر صنيعه اولادي

فجزيته شكرا بذلك باقيا ... في الدهر لا يفنى على الآباد

ان الاماجد تسترق يمينها ... بالجود قلب السادة الامجاد

وكذا الكريم يكون انفذ رمية ... من كل رام في العلى صياد

وفي الختام تكرموا بقبول اخلاصي وتعلقي بجدتكم الحر

أيها الأخ الحبيب

طال العهد باللقاء وما أمرَّ فراق الأحباء. بيد أنني أعلل النفس بلقاء الحبيب وأسطر غدٍ لناظره قريب. ودونك الآن مني تهنئة خالصة بالعام الجديد، وإذا سنحت نشرها فلا..... بأس.

صـــــاحب الـــــبـــــرق لك في.....

تـــهـــنـــئـــات لـــيـــست تـــعـــد وتحـــسب

قـــــد أريت الـــــبلاد عـــــملاً وحـــــزمـــــاً

وكـــــفى أنه لـــــيس بـــــرقك خـــــلب

أخي من الآن فصاعداً سأوافيك ببعض المقالات والقصائد منها بتوقيعي الجلي ومنها بتوقيع (.....) وإن قصرت في خدمة البرق (الحر) فيما مضى، ففي المقبل أعدك وعن قريب إن شاء الله.

نقبلك عدة قبلات والسلام مسك الختام.

جبيل في ٢٨ كانون الأول ١٩٣٠

أخـــوكم

مـــارون عبـــود(*)

- حـاشـيـة: أرسـلـوا لـي عـددين لأصـرفـهـمـا لـكم وإلـيك أسـميْ صاحبيهما وإنني قادر على.... أكثر من ذلك وسأطلب زيادة ما يلزم.

(*) مارون عبود «لبنان»- ١٨٨٦ - ١٩٦٢

- أديب وناقد وشاعر من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. عمل في التدريس والصحافة وشارك

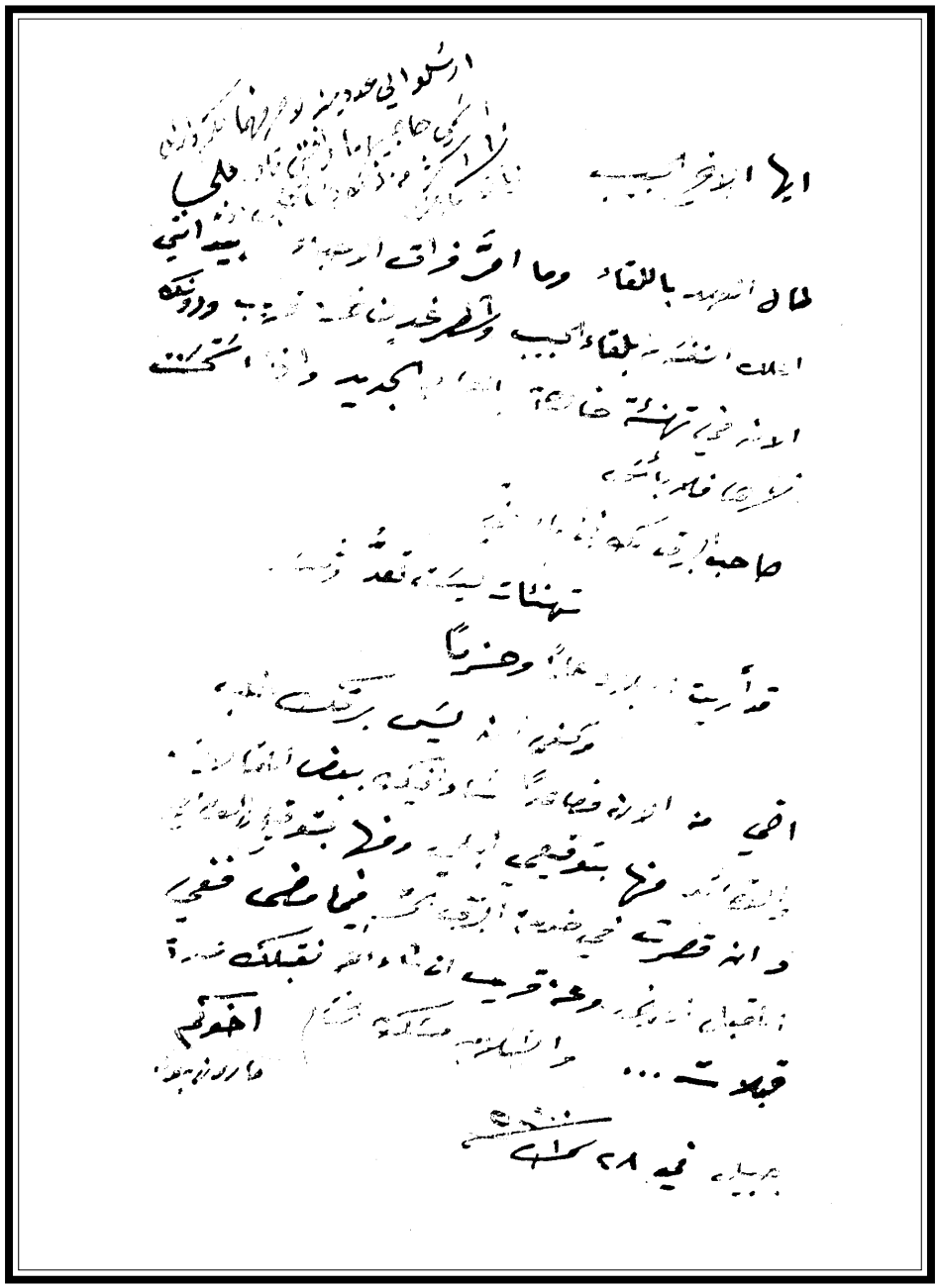

لابا ٢٧ كانون الأول سنة ١٩٣٠

يا أبا عبدالله

لقد شمت من برقك لمعة واحدة ظهرت في ٢٩ تشرين الأول فبشرت قريحتي الجافة بوابل من الوحي ينزل عليها من سمائه فيعيد إليها نضارتها ثم لبثت وإياها ننتظر فإذا نحن أمام ما سمته العرب (البرق الخلّب) وإذا نحن بعد تلك اللمعة التي أخذت بأبصارنا نهيم في ظلمات بعضها فوق بعض. وقد علمت من رسالة وردت عليّ من سان باولو أنك شرفت قصيدتي (الدار المهجورة) للنشر بعد أن توجتها بما يزري باللآلئ. على أن هذا (المقطوع) في هذه المجاهل السحيقة لم ير شيئاً ولولا (الطفر) الذي يعمي البصيرة قبل البصر لسبق كتابه إليك بدرة منه تضمن له دوام وميض البرق في سمائه. فافعل ما أنت له أهل والسلام عليك من المخلص المعجب.

الياس فرحات(*)

****

(*) **إلياس فرحات** «**لبنان**» - ١٨٩٣ - ١٩٧٧

- شاعر. عمل بالصحافة عندما هاجر إلى البرازيل وأصدر مع زميل له مجلة «الجديد» في سان باولو عام ١٩١٩ .
- منحته الحكومة السورية وساماً من الدرجة الأولى مكافأة له على جهاده القومي والأدبي.

Elias Farhat
Estado do Paraná
Brazil Lapa

لاپا ٢٧ ك ١٩٣٠

يا اباعبد الله

لقد شمت من برقك لمعة واحدة ظهرت
في ٢٩ تشرين الاول فبشرت قريحتي الجافة بوابل من الوحي ينزل
عليها من سمائه فيعيد اليها نضارتها ثم نبتت واياها
ننتظر فاذا نحن امام ما سمته العرب (البرق الخلب)
واذا نحن بعد تلك اللمعة التي اخذت بابصارنا نهيم في ظلمات
بعضها فوق بعض. وقد علمت من رسالة وردت عليّ من سان باولو
انك شرفت قصيدتي (الدار المهجورة) بالنشر بعد ان توجتها
بما يزري باللآلئ. على ان هذا (المقطوع) في هذه المجاهل
السحيقة لم يرَ شيئاً ولولا (الطفر) الذي يعمي البصيرة قبل
البصر لسبق كتابه اليك بدرة منه تطمن له دوام
وميض البرق في سمائه فافعل ما انت له اهل والسلام
عليك من المخلص المعجب

فرحات

أخي وأستاذي

كان أشد شيء على قلبي أني مررت في بيروت فما استطعت أن أراك. ولقد خرجت منها أمس وأنا أتلفت الى (إدارة البرق).

وها أنا اليوم عند الوالد في صور أول ما يطالعني (البرق) وفيه كلمتك عني التي أعليت بها شأني وكثّرت حسادي. فتمثل القلب أباعبدالله في الموقفين فالكلام وعينيك عجز تحت يدي وأنت خير من سرح الإصبع في ضمير!

ولسوف أقصد الى بيروت في القريب من أجلك فلربما كانت الشفة على الخد، أفصح بكثير من القلم على الصحيفة، وسأقبل ألف مرة خد الأدب والوداد والخلق الذي يخضوضر وحده في صحراء هذا البلد.

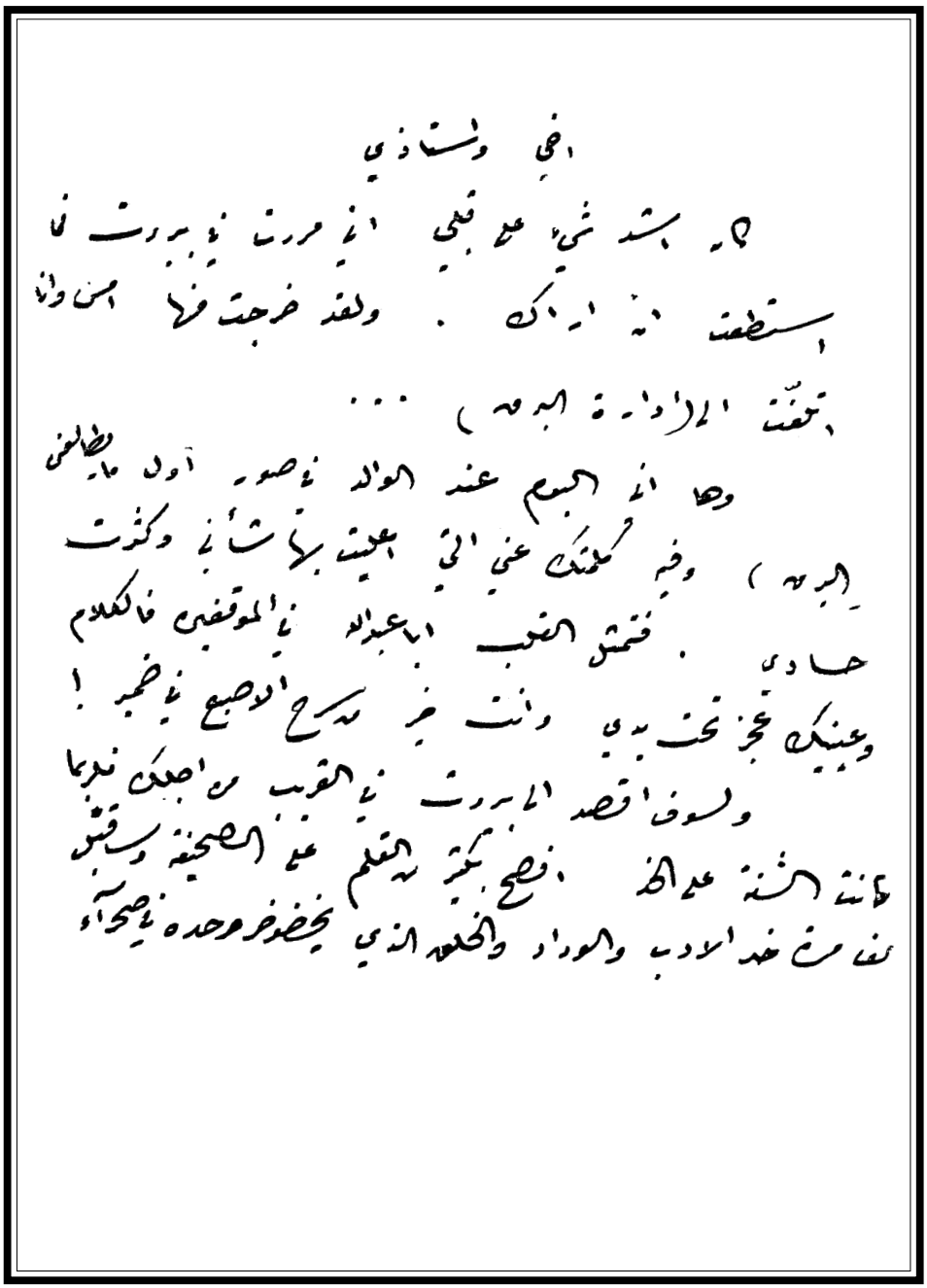

أما (قطع الوشي) فهي من رياضك. كنت أجوسها في ربعة العمر ويفتنني الصحو والخضلة فتورق نفسي وتتفتق بديهتي. ففي ربيعك تعلمت الزقزقة وعلى أغصانك تعلمت نقل القدم. وإنك أباعبدالله لواؤنا في هذا الشرق العريض ومثلنا العالي وعنواننا الضخم، فكل فضل لأديب منا يلحقك منه شطر. ولعل أوفر الأشطار شطري وأنا بذلك أدل وأنا على ذلك أحمد الله.

أمين نخلة(*)

١٩٣٠-٧-٨

****

(*) **انظر الهامش ص(١٢٥).**

هذا البلد .

اما (قطع الوشي) فهي من رياضك . كنت
اجوسها في ربعة العمر ويفتنني الصحو والخضلة فتورق
نفسي وتستفتق بديهتي . ففي ربيعك تعلمت الزقزقة وعلى
اغصانك تعلمت نقل القدم وانك ابا عبدالله لواؤنا
في هذا الشرق العريض ومثلنا العالي وعنواننا الضخم فكل
فضل لاديب منا يلحقك منه شطر . ولعل اوفر الاشطار شطري
وانا بذلك ادل وانا على ذلك احمد الله

امين نخله

٨ - ٧ - ٣٠

نيويورك في ١٧ حزيران سنة ١٩٣٠

سيدي الشاعر الكبير الأستاذ بشارة الخوري المحترم

لما ندبتم «شاعر الأرز» شبلي «بك» ملاط لتمثيلكم في مصر ارتفعت شكواه من الضن عليه بالنفقات فأرسلت إليه حوالة بثلاثين دولاراً أراد أن يعيدها إليّ فأبيت عليه ذلك واعتبرت سكوته قبولاً وتناسيت الأمر تماماً حتى إذا مات أستاذنا الكبير المثلث الرحمات الشيخ عبدالله البستاني تراءى لي أن «البك» ناقم علي لاعتقاده بزعامته الشعرية وبأنني لم أؤيده فيها. ثم قام السيد خليل ضاهر السجين في عاصمة المكسيك وانتقد بعض الشعراء ومنهم «شاعر الأرز» فثار ثائر الرجل والتجأ الى هذا وذاك وفلان وفليتان يستكتبهم ويكتب لهم ما يريد نشره عن نفسه وكأني به يحسبني مسيئاً إليه لأنني لم أقيد «الهدى» بإرادته ولا ناديت فيها بتفوقه الشعري والرجل كما تعلمون على جبرية غريبة وعنجهانية عجيبة. ولما كنت غادرت وطني منذ اثنين وأربعين عاماً لتمردي على كل ما فيه ظلم (ودعون وطرمذة) وابتهار حسبت أن الرجل متهجم علي وأن الفصل الطويل الذي كتبه بتوقيع السيد الغفالي مقصود به الغض من مقام بعض الأدباء ولكنني نشرته على علاته كما كنت أنشر نقد «الشعر والشعراء» وفيه كثير من الحقائق، ولما يئس الملاط من ممالأتي إياه أعاد اليّ الثلاثين دولاراً بواسطة الاستاذ أمين الغريب تلميذه وأحد عمال «الهدى» قبل أن صار صحافياً وأنا بدوري أعيد المال إليكم لترسلوا الجرائد والمجلات الى أصحاب العناوين المطوي عليها كتابي هذا هدية مني إليهم. وبأسف أقول إن الوطن القديم لن يصير حراً ومستقلاً ما دام أبناؤه من «المعصومين ومن فراخ الآلهة».

ثقوا بأنني لخدمتكم بمنتهى ما أجد إليه سبيلاً. .

لكم بإخـــلاص

نعـــوم مكـــرزل(*)

(*) **نعوم مكرزل «لبنان»** - ١٨٦٧ - ١٩٣٢

- من أعلام الصحافة العربية في المهاجر الأمريكية.
- مؤسس صحيفة «الهدى» بنيويورك ورئيس تحريرها، توفي في باريس ودفن في لبنان.

N. A. Mokarzel, Inc.
Proprietor & Editor

Cable Address:
"MOKARZEL" New York

Telephone:
Bowling Green 0776

Offices:
55 WASHINGTON STREET
NEW YORK

Al-Hoda "The Guidance"
الهدى

نعوم مكرزل
صاحب الهدى ورئيس تحريره

العنوان البرقي
مكرزل ـ نيويورك

رقم الندي: بولنغرين ٠٧٧٦

الادارة والمطبعة
٥٥ شارع واشنطون ـ نيويورك

نيويورك في ١٧ حزيران ١٩٢٠ ١١٢

سيدي الشاعر الكبير الاستاذ بشاره الخوري المحترم

لما نشرت "شجر الارز" شبلي بك "ملاط" لتحقيق في مر ارتفعت شكواه من الرقم عليه بالنفقات خابرت اليه حوالة "بثلاثين دولاراً" اراد ان يعيدها اي خابيت عليه ذلك واعتبرت سكوته قبولاً وتناسيت الامر تماماً حتى اذا حانت استاذنا الكبير الشدق ترجمان الشيخ عبد الله البستاني تراءى لي ان "الرقم" ناقم عليّ لاعتقاده بزعامته الشعرية وبانني لم اؤيده فيها. ثم قام السيد خليل ضاهر اليمن في حاضرة الكليك وانتقد بعض الشعراء وضمهم الى "شعراء الارز" فثار ثائر الرجل والتجأ الى هذا وذاك وفلانه وفلتانه يستشيرهم ويكتب لهم ما يريد نشره عنه نفسه وكأني به يحسبني مسيئاً اليه لانني لم اؤيد الهدى بارادته ولانه ليس فيها يتفوق الشعر والرجل كما تعلمونه من جعبة غريبة وعنجهية عجيبة ولما كنت غادرت وطني منذ اثنتين واربعين عاماً لتمرديي على كل ما فيه ظلم ودعوى وطرفة واشكر حسنات ان الرجل مترجم يتيح لي ان اقص الطعون الذي كتبه بتوقيع السيد القفالي مفقوداً من الفضل بين مقامي بعض الادباء ولكنني نشرته على علاته كما كنت انشر نقد الشعراء والشعراء لي. وكتبت من الحقائق ولما يئس الملاط من محاربتي اياه لعاد الى الثلاثين دولاراً بواسطة الاستاذ امين الطريف تحمله واحد عمال الهدى قبل ان صار عاملاً "وانا بدوري اعيد لكم الاسكر مرسلوا الجرائد والمجلات الى اصحاب مصادين الطعون عليكم كتابي هذا هديتي اليهم وبانصاف اقول ان الرقم الكبير من يعيد حراً ومستقلاً ما دام ابناؤه من المعطوفين ومن حرف الراية تقفوا بانني لخدمتكم بمنتهى ما اجد اليه سبيلاً".

لكم باخلاص

نعوم مكرزل

نيويورك في ١٣ حزيران سنة ١٩٣٠

سيدي العبقري الأستاذ بشارة الخوري المحترم

لم يزدني كتابك علماً بنبالة أخلاقك ولا سألتني شيئاً أستطيع الاعتذار عن القيام به، فأنا لخدمتك بمنتهى ما أجد إليه سبيلا وأرجو أن ترسل لي «البرق» إلى المشتركين الثلاثة وتشعرهم بأن الهدية مني واسمح لي أن أهنئك بالأقلام البليغة التي تختارها لمساعدتك وثق بأنني لك في كل وقت بالوفاء في الولاء.

لك بإخلاص

نعوم مكرزل (*)

****

(*) انظر الهامش ص(٢٢٩).

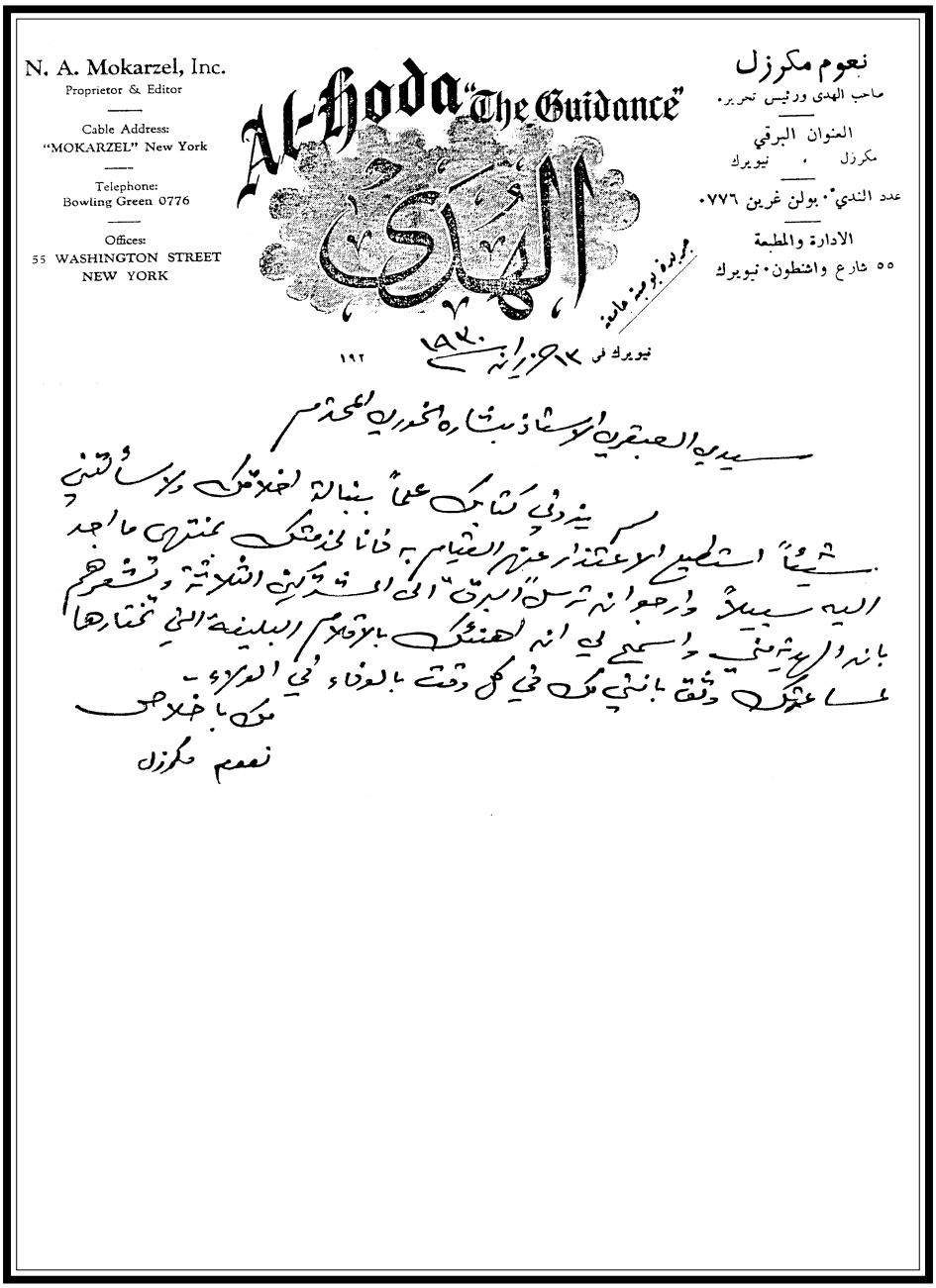

N. A. Mokarzel, Inc.
Proprietor & Editor

Cable Address:
"MOKARZEL" New York

Telephone:
Bowling Green 0776

Offices:
55 WASHINGTON STREET
NEW YORK

Al-Hoda "The Guidance"

الهدى

نعوم مكرزل
صاحب الهدى ورئيس تحريره

العنوان البرقي
مكرزل ، نيويرك

عدد الندي: بولن غرين ٠٧٧٦

الادارة والمطبعة
٥٥ شارع واشنطون • نيويرك

جريدة يومية عامة

نيويرك في ١٢ حزيران ١٩٢٠ ١٩٢

سيدي العبقري الاستاذ بشاره الخوري المحترم

لم يزدني كتابك علماً بنبالة اخلاقك ولا سألتني شيئاً استطيع الاعتذار عنه القيام به فانا لخدمتك بمنتهى ما اجد اليه سبيلاً وارجو ان ترسل "البرق" الى المشتركين الثلاثة وتشعرهم بان الهدية مني واسمح لي ان اهنئك بالاقلام البليغة التي تختارها لمساعدتك وثق بانني لك في كل وقت بالوفاء في الولاء

لك باخلاص

نعوم مكرزل

القاهرة ٢ أكتوبر ١٩٢٤

صديقي القديم وخليلي الحميم بشارة

خذ ما فاز من صميم الفؤاد: أشواق مستديمة، حسرات متوالية. لا أشك بأنك تشعر بنفسك ما أشعره من الحنان الأخوي والعطف الخالص. إذن ما لنا لا نتبادل ولو «بالسنة مرة» هذا الشعور؟ لا أعلم أأنا المذنب أم أنت المقصر. إنما «البادئ أظلم». كان البدء منك. صرت لي مثالاً. جعلتني أتمثلك بالكسل. كتبت لك حين هبوطي القاهرة. لم أحظ منك يومئذٍ ولو ببطاقة... فكسرت جرأتي إذ فتحت أمامي باباً للتفكير ولم أكن سبباً لذلك لأني لم أقصر بما وجب علي.... لنقل «للغائب عذره». ألا تقبل بأن يكون لي أعذاراً أمام عذرك الوحيد، عذر الإهمال؟... فكر هنيهة، أنت في بيتك، في مكتبك، في شغلك الدائم القائم وأنا أتيت بلاداً كنت غريبها ولم أزله. أصبحت عرضة الجدال، جدال الحياة، جدال تأسيس صرح من جديد للعمل. وهذا أصعب شيء على الإنسان كالذي يضطر الى البدء في القراءة من «الألف» بعد وصوله «اللام». ولا يخفى ذلك على حذقك وذكائك وأنت من أكبر المجربين في عالم الشؤون. لندع الآن ما فات بين طيات سجل الأيام .

كيف أنت وكيف أعمالك. هل تتمشى على ما تروم، أم لم تزل الحادثات تحاربك مثلي؟ إنما الذي يسليني هو اعتقادي برباطة جأشك وسعة صدرك، ووفرة صبرك.

«طمني بس يا حبيب». أتظن أنني من الذين ينسون الإخاء الصادق والود الفضي،... لا إخالك من الظانين به لعهدي بك وفياً ذا حنان وصديقاً شفيقاً لا ينثني عن عقيدته السليمة. نعم طمني عن حالك وما أنت عليه، عن صحتك وعائلتك قبل كل شيء، ثم عن أشغالك.

أما أنا فلا حاجة لأن تسأل، فإني اخترت مهنة حرة: ما تقرأ عنوانه أعلاه ـ أسست

A. SÉNY BEY

BUREAU DE TRANSACTION,
DE RÉDACTION ET DE TRADUCTION

Chareh El-Mousky, No. 41, Le Caire
B. P. 2022 — Tel. 55-96

عبد الغنى سنى بك

مكتب انجاز المصالح والانشاء والترجمة

شارع الموسكي نمرة ٤١ ـ القاهرة
تليفون : ٥٥ـ٩٦ — صندوق البوستة : ٢٠٢٢

القاهرة : ٢ أكتوبر ١٩٢٤

صديقي القديم وخليلي الحميم بشاره ،

خذ ما فاز به ضميم الفؤاد : استوفه مستقيم ، حسرات متواليه . لا أسألك بأبك تشعر نفسك ما اشتمل عليه الخافقان الحزين والعطف الخالص . اذ مهما نسأل ولو « بالسنه مره » لهذا الشعور ؟ لا أعلم أأنا المذنب أم أنت المقصر . انما البادئ أظلم . فأنا البدء منك . صرت لي مثالا . جعلتني امثلك بالكسل . لبثت لك عبد لهدى القاهرة . لم أخط منك ليوم ولو بطاقة ! ... فكسرت جرأتي ازقتي امامي بابا للتفكير ولم أكن هيأ لذلك لأني لم أقصر بواجب علي . . . لنقل « للفائت عذره » . الا تقبل بأنه يكون لي اعذار امام عدلك الوحيد ، عذر الوصال ؟ . . . فكر لحظة ، انت في بيتك ، في مكتبك ، في مشغلك الدائم القائم وأنا اتيت بلادا أكلت غربة ولم أزله . اصحت عرضة الخيال ، جدال الحياة ، جدال الناس صرح مهد جديد للعمل . ولهذا اصعب شيء على الانسان كالذي يضطر الى البدء في القراءة مهد « الالف » بعد وصوله « للام » . وزد تخفي ذلك على صدقك وذاك رأت مهد البرجيه في عالم السعوده . لنا عن الايام ذكريات بيد طيات سجل الايام .

كيف انت وكيف اعمالك . لهل تمشي على ما تريد ، أم لم تزل الحادثات تحاربك ؟ انما الذي يسليني لهذا عقاري براحة خاطرك وسعة صدرك وذرة صبرك . رطمئني بنبأ حبيب . انظر اني مهد البعيد نسوده الاخاء الصادقه والود الفضي ؟ . . . لا اظلك مهد الطائيه به لهدي بك وفيا ذا صفاته وصديقا شفيقا لا ينثني عن عقيدة السليمة . نعم طمئني عن حالك وما انت عليه ، عن صحتك وعائلتك قبل كل شيء ، ثم عن اعمالك . اما انا فلا حاجة لأنه تسأل ، فاني اخبرت مرة حرة : ما تقرأ عنوانه عنوانه . اسست لهذا المكتب منذ سنة ـ وزيد بعد وعودتي مهد لهذا وذاك . . . كلما

هذا المكتب منذ سنة ـ وذلك بعد وعود خلت من هذا وذاك... كلها عرقوبية، خلابة. لكن الإنسان خلق مستعداً للتأثر بالعواطف والخيال ولو مرت على تجاربه السنون. وبعد اللتيا والتي وعسى ولعل ورُبَّ عرفنا مأكل الكتف، ولو بعد طي الأشهر من العمر..... «ماعليهش!» كما يقولون هنا. «كل من سار على الدرب وصل»... سرنا لنصل.

نشرت الإعلانات بصحائف الآستانة وأنقرة وأزمير، كما نشرتها هنا. بدرت الأشغال تتوارد عليَّ من الأنحاء. سررت من عملي هذا وزاد أملي في نجاحي ولو أن قطف ثمرات هذه الأشغال يحتاج الى صبر جميل ووقت يعد (طويل). ولكن لابد من الوصول الى الغاية المنشودة، طالما الأمل قوي والنجاح بارز.

كتبت لك هذا لعلمي بأنك ستسر منه، لأنك أخي الوفي ـ ولو لم نتخاطب منذ الفراق. هل قرأت فيما سبق ما كنت أحرره بجرائد مصر، سيما المقطم؟ وكيف نظرك بها؟ ولكن اليوم قللت من الكتابة لأسباب اشتغالاتي المعاشية هذه ولأسباب أخرى أنت تفهمها.

بما أن أشغالي ليست بمنحصرة لأمور معينة ولبلاد محددة فكان من المرغوب فيه أن أخدم أبناء سورية إخواني، فهل لك أن تتكرم بكتابة بعض الأسطر في («برق» ك) البراق، لتفهم الجماعة عن مهنتي واستعدادي لقضاء أشغال من يرغب ومن له العلاقات هنا من حقوقية، تجارية، عائلية، شخصية والخ.... فتجعلني لك من الشاكرين أو الذاكرين لسابق صلاتك، ... «الأمر أمرك مش قايل لك من زمان».

هذا قليل من كثير، أو كثير من قليل. أنا بانتظار خطابك، أم ستبخل علي بجوابك «كما عودتني!»؟!

(وإذا أعلنت فكرر بضع مرات!)

(أخاك)
الذي لا ينساك
عبدالغني سني(*)

(*) عبدالغني سني بك

– سألنا ولم نوفق لمعرفة أي شيء عنه.. لجأنا إلى أحد كبار المسنين في حي الموسكي وأفاد بأنه شامي لم يستمر في المكتب أكثر من سنة.. أما أصحاب المبنى ٤١، فأفادوا بأن والدهم اشتراه عام ١٩٤٢ ولم يكن به هذا المكتب وتتبعنا أمره في الشام فلم نوفق كذلك.وتفيد كتابات الأخطل الصغير في البرق أنه

عرقوبية، خلابة. لكن الانسان خلق مستعداً للتأثر بالعواطف والخيال ولو مرت على تجاربه السنون
وبعد اللتيا والتي وعسى ولعل ورب عرفنا مأكل الكتف، ولو بعد طي الاشهر من العمر.....
«ما عليهش!» كما يقولون هنا. «كل من سار على الدرب وصل... سرنا لنصل.
نشرت الاعلانات بصحائف الاستانه وآنقره وازمير، كما نشرتها هنا. بدرت
الاشغال تتوارد علي من الانحاء. سررت من عملي هذا وزاد املي في نجاحي ولو انه قطف
ثمرات هذه الاشغال يحتاج الى صبر جميل ووقت يعد طويل. ولكن لابد من الوصول الى
الغاية المنشودة، طالما الامل قوي والنجاح بارز.
كتبت لك هذا لعلمي بانك ستسر منه، لانك اخي الوفي - ولو لم تخاطب منذ الفرقة.
هل قرأت فيما سبق ما كنت احرره بجرائد مصر، سيما المقطم؟ وكيف نظرك بها؟ ولكني
اليوم قللت من الكتابة لاسباب اشتغالاتي المعاشية هذه ولاسباب اخرى انت
تفهمها.
بما ان اشغالي ليست منحصرة لامور معينة ولبلاد محدودة فكان من المرغوب فيه
ان اخدم ابناء سورية اخواني، فهل لك ان تتكرم بكتابة بعض الاسطر في «برق» لك
البراق، لتفهم الجماعة عن مهنتي واستعدادي لقضاء اشغال من يرغب ومن له العلاقات
هنا من حقوقية، تجارية، عائلية، شخصية والخ.... فتجعلني لك من الشاكرين او
الذاكرين لسابق صلاتك؟.... «الامر امرك مش قايل لك من زمان»
هذا قليل من كثير، او كثير من قليل. انا بانتظار خطابك، ام ستبخل على نحو انك
«كما عودتني!»؟!
خذها مني تقبيلات فؤادية مرسلة لك باهتزازات برقية لاسلكية من
اخاك الذي لا ينساك

صميم الروح

ع. بني

[واذا علنت فكرر بضع مرات!]

سيدي الأخ المحترم

الآثار الحسنة التي تركتها زيارة بيروت لديّ كثيرة وأحسنها تعرفي إليك فلقد وصلت إلى دمشق وخيالك ماثل بين عيني وصدى حديثك الحسن في مسمعي. وما أنس لا أنس مجلسنا على شاطئ البحر وأنت تنشدنا من حر شعرك ما جعلني (أبكي بعينيْ عروة بن حزام).

فسلامي عليك وعلى الإخوان كافة والله يكلؤك ويرعاك ويديم بهجتك ويحرس مهجتك.

٢٥ شوال سنة ١٣٤٠ هـ
(١٩٢٢م.)

خليل مردم بك(*)

****

(*) انظر الهامش ص(٦٧).

سيدي الاخ المحترم

الآثار الحسنة التي تركتها زيارة بيروت لدي كثيرة و احسنها تعرفي اليك فلقد وصلت الى رشوان وحينالك ماثل بين عيني وصدى حديثك الحسن في سمعي. وما أنس لا أنس مجلسنا على شاطئ البحر وانت تنشدنا من حر شعرك ما جعلني (أبكي بعيني عروة بن حزام

فلا بي عليك وعلى الاخوان كافة والله يكلؤك ويرعاك ويديم بهجتك ويحرس مهجتك.

٢٥ شوال ١٣٤٠هـ

٢٩ آب ١٩٢١

سيدي الأديب صاحب البرق السطاع

أطوي كتابي على جواب ورد عليّ من المواطن الياس مطر اضطررت بعده الى نشر إعلان تقرأونه في «الهدى» وأرجو أن يكون مفيداً – أجرة الإعلان هي مما لكم من الدين الأدبي بنشركم استعلامات نظير الذي أنشره.

والآن، لا فسحة لي من الوقت للإفاضة ولكنني أشير الى غرضي وهو – هل تريد «أنت» أن تراسل «الهدى» وتوافيه بكل حقيقة لا تستطيع الصحافة اللبنانية والسورية نشرها وأن ترسل إليّ شيئاً كل أسبوع ثم تجعل «البرق» المعتبرة لسان حال النهضة اللبنانية.

وهل تريد أن تكاشف الفاضل نعوم لبكي ليكون ممثل النهضة اللبنانية في الوطن بطريقة رسمية سياسية مثلك أنت بطريقتك الصحافية الأدبية فأعوّل عليكما؟ وأنتظر من الأديب نعوم لبكي موافاتي برسالة عمومية كل أسبوع.

أدفع الآن خمسين دولاراً كل شهر الى كل منكما، وأرجو أن أزيد كل سنة ولولا اضطراري الى بذل ألوف الذهبيات في سبيل النهضة لكنت أبذل لك ولسميي أكثر – إذا كانت السيدة سُلمى تريد أن تراسل «الهدى» فبسرور أجعل لها مرتباً صغيراً – كاشفت نسيبي الأستاذ حبيب أسطفان بالأمر، ووعد بالكتابة إليك وإلى سُلمى، وقد سعيت كثيراً لإقناعه بالرجوع إلى الكهنوت، إلا أنه متألم كثيراً، وله هنا مستقبل باهر – لماذا يقاوم المستبدون كل نبوغ بيننا ومتى يستفيق النبوغ؟.

نعـــوم مكـرزل(*)

****

(*) انظر الهامش ص(٢٢٩).

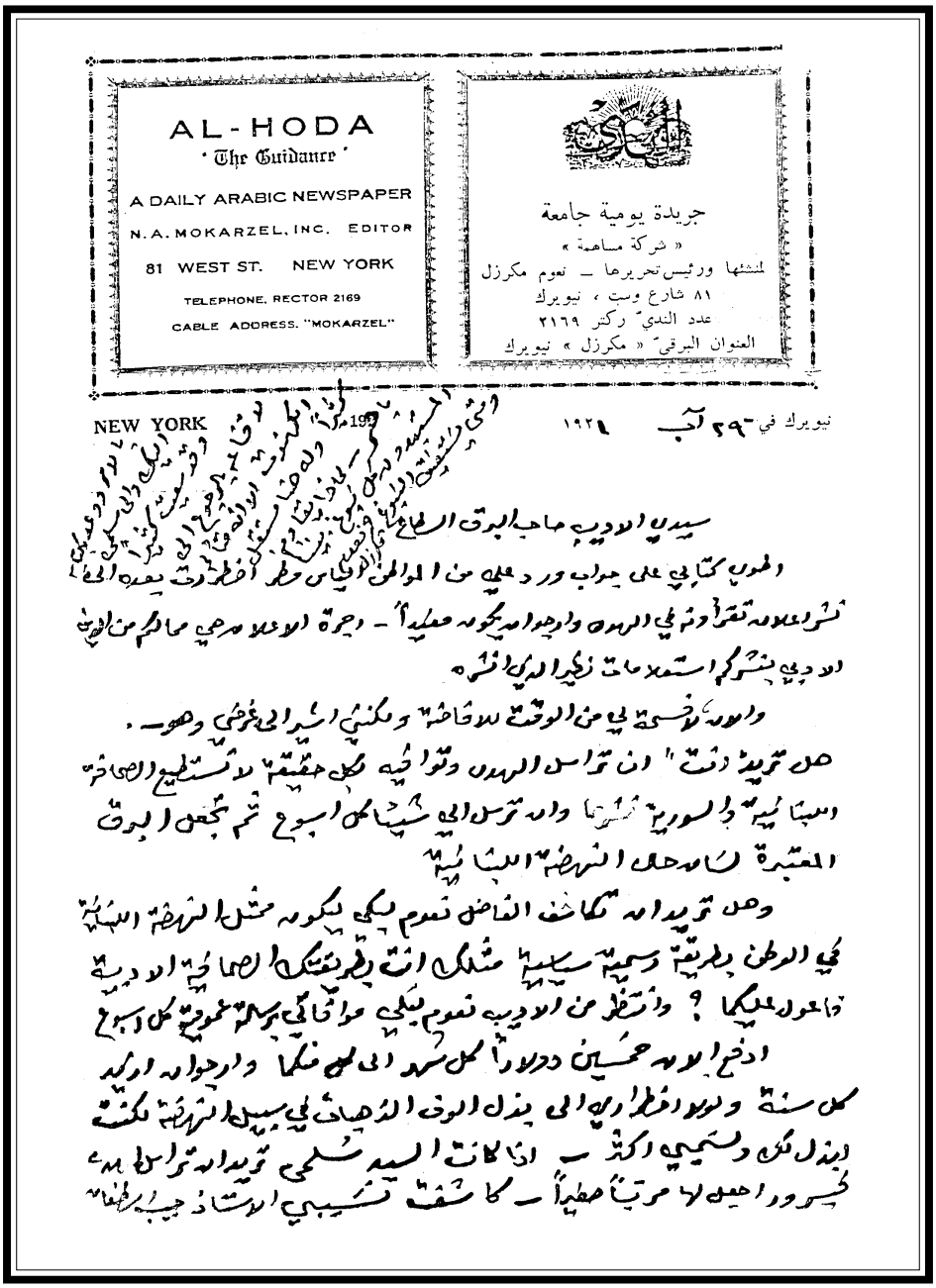

AL-HODA
'The Guidance'
A DAILY ARABIC NEWSPAPER
N. A. MOKARZEL, INC. EDITOR
81 WEST ST. NEW YORK
TELEPHONE, RECTOR 2169
CABLE ADDRESS, "MOKARZEL"

الندى
جريدة يومية جامعة
« شركة مساهمة »
لمنشئها ورئيس تحريرها — نعوم مكرزل
٨١ شارع وست ، نيويرك
عدد النديّ ركتر ٢١٦٩
العنوان البرقيّ « مكرزل » نيويرك

NEW YORK 19[illegible]

نيويرك في ٢٩ آب ١٩٢١

سيدي الاديب صاحب البرق السطاع

اطوي كتابي على جواب ورد علي من المواطن الياس مطر اضطررت بعده الى نشر اعلان تقرأونه في الهدى وارجو ان يكون مفيداً — اجرة الاعلان هي محالكم من الدين الادبي بنشركم استعلامات نظير الذي انشره

والان لا فسحة لي من الوقت للافاضة ولكنني اشير الى غرضي وهو —

هل تريد انت ان تراسل الهدى وتوافيه بكل حقيقة لا تستطيع الصحافة اللبنانية والسورية نشرها وان ترسل الي شيئاً كل اسبوع ثم تجعل البرق المعتبرة لسان حال النهضة اللبنانية

وهل تريد ان تكاشف الفاضل نعوم لبكي ليكون ممثل النهضة اللبنانية في الوطن بطريقة رسمية سياسية مثلك انت بطريقتك الصحافية الادبية فاعول عليكما ؟ وانتظر من الاديب نعوم لبكي موافاتي برسالة عمومية كل اسبوع

ادفع الان خمسين دولاراً كل شهر الى كل منكما وارجو ان ازيد كل سنة ولولا اضطراري الى بذل الوف الذهبات في سبيل النهضة لكنت ابذل لك ولنسيمي اكثر — اذا كانت السيد سلمى تريد ان تراسل الهدى فيسرور واجعل لها مرتباً صغيراً — كاشفت نسيبي الاستاذ حبيب الطفان

سيدي المحترم

وبعد فلست أدري كيف أفيكم واجبات الثناء والشكران على ما قمتم به نحوي وأنا في سجن بيروت من المناصرة الأدبية في جريدتكم الغراء. لأن موقفكم آنئذٍ كان عظيما جداً. ومما يزيده عظمة في عيني أنه في وقت انقلب عليَّ فيه الأصدقاء وأنكرني الإخوان.

إنني أحفظ لك يا سيدي الصحافي الكريم آثر امتنان وولاء على صفحات قلبي. لا يمكن التعبير عنه في عجالتي هذه.

ويسرني جداً أن أخبركم عن العناية التي بذلها حاكم المنطقة العلوية الكلونيل نيجر لأجل خلاصي، حتى تمكن من إصدار عفو خصوصي عني.

أرجو أن تقبلوني مكاتباً فخرياً لبرقكم الأغر في اللاذقية وستردكم (رسايلي) من الآن فصاعداً بانتظام في كل أسبوع.

هذا واقبلوا مزيد احترامي وامتناني سيدي.

محمد سليمان الأحمد

أو

بدوي الجبل(*)

مارت (مارس) ٢١ سنة ١٩٢١.

حاشية:
أُرسلت الجريدة هدية لنا منا.
عنواني هكذا:
لاذقية - ليد/ ابراهيم أفندي شدود

(*) انظر الهامش ص(٢١٧).

سيدي المحترم

وبعد فلست ادري كيف افيكم واجبات الثنآ والشكران على ما قمتم به نحوي وانا في سجن بيروت من المناصرة الادبية في جريدتكم الغرآ . لان موقفكم انئذ كان عظيما جدا . ومما يزيده عظمة في عيني انه في وقت انقلب علي فيه الاصدقآ وانكرني الاخوان .

انني احفظ لك يا سيدي الصحافي الكريم . أثر امتنان وولاء على صفحات قلبي . لا يمكن التعبير عنه في عجالتي هذه

ويسرني جدا ان اجزكم عن العناية التي بذلها حاكم المنطقة العلوية اللوتيل ينجر لاجل خلاصي . حتى تمكن من اصدار عفو خصوصي عني

ارجوكم ان تقبلوني مكاتبا فخريا لبرقكم الاغر في اللاذقية وستردكم سايلي من الان فصاعدا بانتظام في كل اسبوع

هذا واقبلو مزيد احترامي وامتناني سيدي

محمد سليمان الاحمد

او

بدوي الجبل

مارت ٢١ سنة ٩٢١

أركت الجريدة هديتها فا .

عنواني هذا

لاذقية

ليد ابراهيم اخفش شرود وبنه ليد

محمد سليمان الاحمد

أخي الحبيب الوفي

ما وسامك – وهو دون ما يستحقه إخلاصك وإقدامك – بالداعي إلى الهناء، بل تقديرك في زمن كادت تضيع فيه مقادير الرجال، هو المستغبط شعائر الإخاء المستفيض ألسنة الشكر والثناء.

فاسلم واهنأ ولا تعتبني على تأخرٍ حكم به ترامي شقة الاعتزال، فأنا أخلص مهنئيك وأوفى محبيك، كيف تحولت الأحوال يا أخي وحبيبي.

رشيد نخلة(*)

١٥ شباط ١٩٢١

(*) **انظر الهامش ص(١٨٧).**

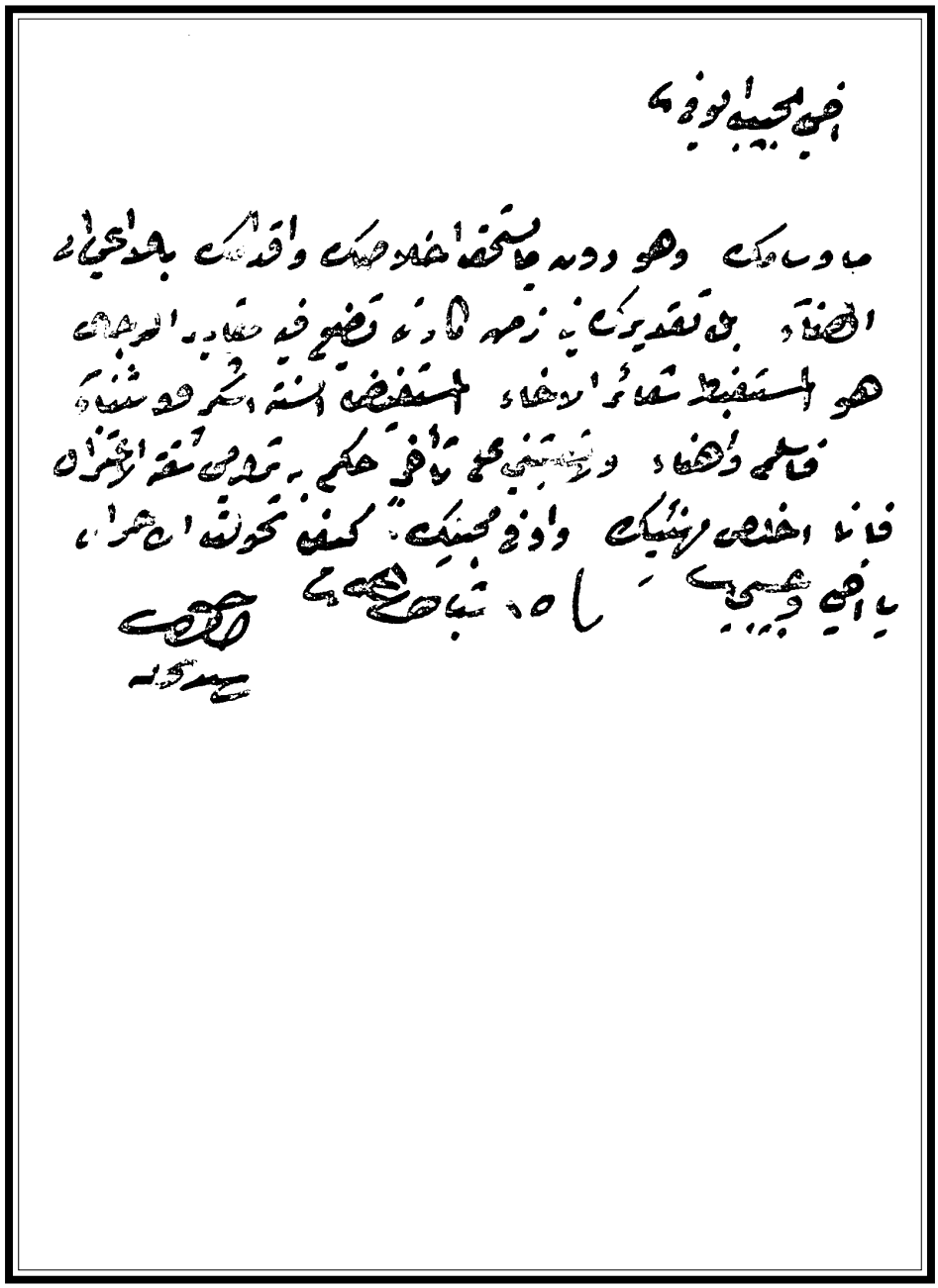

إلى الكاتب الوطني صاحب البرق اللامع

قرأت بالأمس مقالك «المولد السعيد» ثم قرأته وجهرت به، ليسمع من كان حولي من أهل الأدب فترجرج صوتي وذرفت عينا السامع بالدمع. فما هذا التأثير وما هي أسبابه؟.

ألم نكُ نعرف مزايا نبي الرحمة وممدِّن الأمة؟.

ألم يقرع بعد سمعنا من نغمان الفصاحة و(رتان) البيان مثل ما قرعه من سبك هاتيك العبارة وأسلوب ذلك المقال؟.

أي شيء داخل منه النفس؟.

أم أي عاطفة جاش بها القلب؟.

أم أي شعور استولى على الأعصاب عند تلاوة «المولد السعيد» حتى كأننا تجاه مشهد من المشاهد الوجدانية الكبرى أو بمسمع من الألحان التي تبعث في النفس ذلك النوع من الإحساس يمتلئ به الصدر ولا ينطلق به اللسان فيتراكم أثيره ثم ينحل فيكون دموعاً تنهل من العيون.

لا جرم أن السبب فيما وجدنا كان وراء كل ما يتراءى للناظر لأول وهلة من الأسباب.

بلى هو الإخلاص تنبث روحه في ثنيات الكلام فتفعل في النفس ما لا يفعله مدام ولا حسام! .

الى الكاتب الوطني صاحب البرق اللامع

قرأت بالامس مقالك «المولد السعيد» ثم قرأته وجهرت به ليسمع من كان
حولي من اهل الادب فترجرج صوتي وذرفت عينا السامع بالدمع

فما هذه التأثير وما هي اسبابه ؟

الم تك تعرف مزايا نبي الرحمة ومحمد من الامة ؟

الم يقرع بعد سمعنا من نغمات الفصاحة ورنات البيان مثل ما قرعه
من سبك هاتيك العبارة واسلوب ذلك المقال ؟

اي شيء داخل منه النفس ؟

ام اي عاطفة جاش بها القلب ؟

ام اي شعور استولى على الاعصاب عند تلاوة «المولد السعيد»
حتى كأننا تجاه مشهد من المشاهد الوجدانية الكبرى او بمسمع
شيء من الالحان التي تبعث في النفس ذلك النوع من الاحساس
يمتلئ به الصدر ولا ينطلق به اللسان فيتراكم اثره ثم ينحل
فيكون دموعا تنهل من العيون ؟

لا جرم ان السبب فيما وجدنا كان وراء كل ما يتراءى

ذلك الإخلاص هو الذي هداك ولا غرو الى التمثل بأعظم آية اجتماعية من مناقب النبي العربي «ﷺ» جمعه كلمة العرب المتفرقة وتأليفه بعناية بين قلوبها المتنافرة حتى صارت أمة يضرب بمدنيتها المثل أبد الدهر!.

ذلك الإخلاص هو الذي ألقى من قلمك الذهبي هذه العبارة الحكيمة. «إن للوطنية علينا واجباً هو أن نتحد، وإن للاتحاد سبباً هو أن نتحاب، ولا نتحاب إلا إذا امتزجت عواطفنا امتزاج الماء بالراح!!».

أجل وهكذا يا سعد تورد الإبل.

فتباركت الجرأة الأدبية التي دفعتك إلى التصريح بهذا الحق المبين عند أعظم مناسبة وأشرف ظرف فأضفت به اسمك إلى أسماء لوبون وشميل (وغيرهم) من الحكماء والمنصفين.

ثم تباركت الحمية الوطنية التي عمرت قلبك من قبل فسالت منه على سلة قلمك هاتيك الغيرة على لغتنا العربية التي سموت بها الى مصاف عبده واليازجي وغيرهما من حماتها المشهورين.

عبدالباسط فتح الله(*)

٢٥ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

****

(*) **عبدالباسط فتح الله «لبنان»** - ١٨٧١ - ١٩٢٩

- أديب عارف باللغات العربية والتركية والفرنسية. عضو المجمع العلمي العربي بدمشق.. أسس جمعية ثمرة

النقش

أخي العزيز

السلام عليك وبعد، فإن إغفال معاهدة (سن ريمو) لذكر لبنان بأي شكل من الأشكال كان له أسوأ وقع عند اللبنانيين المهاجرين قاطبة ولا شك في أنكم جزعتم أيضا لهذا الأمر لأن فيه قضاءً على كياننا السياسي بل ضربة قاضية على وجودنا. ومهما تعددت لنا الوعود فإنها لا قيمة لها إذا لم يكن أساسها في صك دولي. ألا ترى أن تصريح بونارلو بشأن الوطن القومي لليهود قد ألحق بنص المعاهدة؟ وعليه فأياً كان حزبنا يجب أن نطالب قبل كل شيء بالاعتراف بشخصيتنا القومية. لذلك عقد اللبنانيون هنا اجتماعا من جميع الأحزاب في مكتب الاتحاد اللبناني يوم الجمعة الماضي ١١ يونيو وقرروا بالاتفاق إرسال التلغرافين المرسلة إليك صورة منهما. وقد أرسل الأول أيضاً الى عصبة الأمم. وأرسلت التلغرافات بهذا المعنى أيضاً من الاسكندرية والمنصورة الخ. وأبرقنا بذلك الى الأمريكتين. فيحسن نشر التلغرافين في «البرق» وحث مجلس الإدارة والبلديات والجمعيات الخ على الاحتجاج بنفس المعنى لأن المسألة حيوية كما لا يخفى على فطنتكم. تحيات الى سائر الإخوان وأعلل النفس بمشاهدتكم بهذا الصيف.

أخــوك

القاهرة في ١٥ حزيران سنة ١٩٢٠

أنطون الجميل(*)

****

(*) **أنطون الجميل** «**لبنان ومصر**» - ١٨٨٧ - ١٩٤٨
- أديب وصحافي . رئيس تحرير صحيفة الأهرام المصرية.

أخي العزيز

السلام عليك وبعد فان اغفال معاهدة سن ريمو لذكر لبنان باي شكل من الاشكال كان له اسوأ وقع عند اللبنانيين المهاجرين قاطبةً ولا شك في انكم جزعتم ايضاً لهذا الامر لأن فيه قضاءً على كياننا السياسي بل ضربة قاضية على وجودنا ومهما تعددت لنا الوعود فانها لا قيمة لها اذا لم يكن اساسها في صك دولي . الا ترى ان تصريح بونارلو بشأن الوطن القومي لليهود قد أُلحق بنص المعاهدة ؟ وعليه فاياً كان حزبنا يجب ان نطالب قبل كل شئ بالاعتراف بشخصيتنا القومية. لذلك عقد اللبنانيون هنا اجتماعاً من جميع الاحزاب في مكتب الاتحاد اللبناني يوم الجمعة الماضي ١١ يونيو وقرروا بالاتفاق ارسال التلغرافين المرسلة اليك صورة منهما. وقد أرسل الاول ايضاً الى عصبة الامم . وأُرسلت التلغرافات بهذا المعنى ايضاً من الاسكندرية والمنصورة الخ . وابرقنا بذلك الى الاميركتين . فيحسن نشر التلغرافين في "البرق" وحث مجلس الادارة والبلديات والجمعيات الخ على الاحتجاج بنفس المعنى لان المسألة حيوية كما لا يخفى على فطنتكم . تحيات الى سائر الاخوان وأُعلل النفس بمشاهدتكم بهذا الصيف

اخوك
انطون عبد الجليل

القاهرة في ١٥ حزيران ١٩٢٠

٢٣ آذار ١٩١٩

أخـــي بشارة

أنت أول من كـتبت إلـيه في الـوطن يـوم قـالـوا وضـعت الحـرب أوزارهـا وعـادت المواصـلات الى حـالـتهـا. ولكنني لم آخذ رجـعى كتابي الى اليوم. كنت في شك من بقائك في عالم الوجود كما أنا اليوم في شك من بقاء أبي وأمي وشقيقتي وشقيقي. ويلي من الشك إنه الشوك. إنه الإبر. إنه حمة الأفعى. أكثر الناس علموا شيئاً عن أحوال أهلهم وعرفوا من عاش منهم ومن مات إلا أنا فإني لا أزال أخبط في مجاهل وأتسكع في دياجير، ألم يبق في المحيدثة مخبر؟ أم عقل الهول الألسنة والأيدي والأفكار..

اليوم تلـقيـنـا أعـداد «البرق» فـسـررت بـعـودته وعـودتك الى عـالم الصـحـافة سـروري بنبـأ سلامتك من قبل الذي قرأته في إحدى الصـحف عـرضـاً. ووقـع طرفي عـلى اسم الشـيخ ابراهـيم كيف أنت وكيف أخوك. أراك أصـدرت البرق يومـياً. إنـها خـطوة كبرى أرجو أن لا يـفـقد مـعـها ميزته الأدبية ومنزلته التي لم تكن لغيره.

EDITORIAL OFFICE
OF
MERAAT-UL-GHARB
"The Daily Mirror"
N. M. DIAB,
Managing Editor
93 Washington Street

Telephone Call: 9345 Bowling Green

Cable Address:
"NAJEEB" New York.

New York, ٢٤ اذار ١٩١٩ 191

اخي بشاره

انت أول من كتبت اليه في الوطن يوم قالوا وضعت الحرب اوزارها
وعادت المواصلات الى حالتها . ولكني لم آخذ رجعي كتابي الى
اليوم . كنت في شك من بقائك في عالم الوجود كما انا اليوم
في شك من بقاء ابي وامي وشقيقتي وشقيقي . ويلي من
الشك انه الشوك . انه الابر . انه حمة الافعى . اكثر
الناس علموا شيئاً عن احوال اهلهم وعرفوا من عاش منهم
ومن مات الا انا فاني لا ازال أخبط في مجاهل وأتسكع
في دياجير ألم يبق في المحيدثة مخبر ؟ ام عقل الهول
الالسنة والايدي والافكار ..

اليوم تلقينا اعداد "البرق" . سررت بعودته وعودتك
الى عالم الصحافة سروري بنبأ سلامتك من قبل الآن قرأته
في احدى الصحف عرضاً . ووقع طرفي على اسم الشيخ ابرهيم

أنا اليوم قائم على تحرير جريدة «مرآة الغرب» وحدي لذلك لا أكاد أخلو بنفسي دقيقة. وقد قدمت الجزء الثاني من ديواني للطبع وهو يقع في ٢٠٠ صفحة وعما قريب يتم طبعه أرجو أن لا تحول أشغالك الكثيرة دون إجابتي. هذا وسلام عليك من محبك،

إيليا أبوماضي(*)

****

(*) **إيليا أبوماضي** «**المهجر ولبنان**» - ١٨٨٩ - ١٩٥٧

- من كبار شعراء المهجر، ومن أعضاء «الرابطة القلمية». عمل في جريدة «مرآة الغرب»، وأصدر جريدة

كيف انت وكيف اخوك . اراك احدث البرق يومياً . انها
خطوة كبرى أرجو ان لا يفقد معها ميزته الادبية ومنزلته
التي لم تكن لغيره .

انا اليوم قائم على تحرير جريدة « مرآة الغرب » وحدي لذلك
لا اكاد أخلو بنفسي دقيقة . وقد قدمت الجزء الثاني من
ديواني للطبع وهو يقع في ٢٠٠ صفحة ومما قريب فيتم طبعه
ارجو ان لا تحول اشغالك الكثيرة دون اجابتي . هذا وسلام
عليك من محبك

ايليا ابو ماضي .

عاطفة صديق

السيد بشير يموت الشاعر الذي نشرنا له أرجوزته – ظبي الشآم وشاة لبنان – من خيرة ما أنجبته بيروت من شعرائها أدباً وتفنناً وأخلاقاً. ولقد ساء هذا الصديق الكريم «وكانت لنا قبل مرضنا حلقة مستحبة» أن ننقطع برغمنا عنها فأوحى إليه شعوره الرقيق بهذه الرسالة البديعة التي ننشرها مع الامتنان والفخر.

قال الصديق الشاعر:

يا منشئ البرق عليك السلامْ ... عواطف الحب وهل غيرها
من عصبة أنت لديها إمام ... يملك أو يعقل أهلُ الغرام
في الخمر والشعر ملذاتها ... فلا تلم منهم أخا جفوة
والأدب العالي وحرِّ الكلام ... قد نابه الدهر بخطب جسام
حنَّت إلى تغريد صداحها ... وراعِه واقبل له عذره
كما يحن الروض لابن الغمام ... واصفح فإن الصفح شأن الكرام
حنَّت إلى مجلسه المنتقى

وهل بلا نجواه تحلو المدام ... ألم تر «البرق» وقد حجبوا
(للأخطل الأكبر) تحنانها ... سناه لم يحفل بجيش القتام
لشاعر الحب وشيخ الهيام ... وعاد لماعاً غزير الحيا
صحت لديها موجعات النوى ... كغادة تذكي الهوى بابتسام
لما دهى السقم فتاها «عصام» ... وهذهِ الشمس بأنوارها
كجوهر العقد وهى سلكه ... تعم بالنفع جميع الأنام
وهل بلا سلك يكون النظام ... تلقي على العالم أمثولة
وكم هوت افئدةٌ منهم ... شريفة تدفعهم للوئام
إليك تحنو في ثنايا الظلام ... وكم بهذا الكون من عبرة
فلو حمى العطف امرأ من أذى ... لو عقلوها لأبادوا الخصام
كفاك عطفُ الصحبِ شر السقام

بيروت في ١٦ تشرين أول سنة ١٩١٦

بشير يمّوت(*)

(*) **بشير يمّوت** «**لبنان**» – ١٨٩٠ – ١٩٦١ .

– أديب لبناني كبير وشاعر لمع اسمه عبر فوزه على بعض شعراء جيله في المباراة الشعرية التي جرت عام ١٩٢٦

عاطفة صديق

السيد بشير يموت الشاعر الذي نشرنا له ارجوزته — ظبي الشآم وشاة لبنان — من خيرة ما انجبته بيروت من شعرائها ادباً وتفنناً واخلاقا . ولقد ساء هذا الصديق الكريم «وكانت لنا قبل موضنا حلقة مستحبة» ان ننقطع برغمنا عنها فاوحى اليه شعوره الرقيق بهذه الرسالة البديعة التي ننشرها مع الامتنان والفخر .

قال الصديق الشاعر :

يامشيء البرقُ عليك السلام
من عصبة انت لديها امامْ
في الخمر والشعر ملذاتها
والادب العالي وحرّ الكلام
حنّت الى تغريد صدّاحها
كما يحنّ الروض لابن الغمام
حنت الى مجلسه المنتقى
وهل بلا نجواه تحلو المدام
(للاخطل الاكبر) تحنانها
لشاعر الحب وشيخ الهيام
ضحت لديها موجعات النوى
لما دهاها السقم فتاها « عصام »
كجوهر العقد وهى سلكه
وهل بلا سلك يكون النظام
وكم هوت افئدةٌ منهم
اليك تحنو في ثنايا الظلام
فلو حمى العطف امرأ من اذى
كفاك عطفُ الصحبِ شر السقام
عواطف الحب وهل غيرها
يملك او يعقل اهلُ الغرام
فلا تلم منهم اخا جنوة
قد نابه الدهر بخطب جسام
وراعهِ وأقبلْ له عذره
واصفح فان الصفح شأن الكرام

* * *

الم تر البرق وقد حجبوا
سناه لم يخفل بجيش القتام
وعاد لماعاً غزير الحيا
كعادة تذكي الهوى بابتسام
وهذم الشمس بانوارها
تعم بالنفع جميع الانام
تلقي على العالم امثولة
شريفةً تدفعهم للوئام
وكم بهذا الكون من عبرة
لو عقلوها لابادوا الخصام

بيروت في ١٦ ت ١ سنة ١٩١٦

بشير يموت

مصر في ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٣

عزيزي بشارة أفندي

طيّه حوالة على محل الخواجات كوك وأولاده في بيروت بقيمة ٥ ليرات انجليزية وهي الجائزة التي أحرزتها مقابل الكذب على الله والناس في مدح صديقك سركيس ، مبروكة عليك وعلى سائر الزعران الذين يتمتعون بجلساتك المستلطفة. وإذا أنت أنفقتها على ختان ابن الصديق الشيخ أمين فاذكرني له ولمحمود بك (شقيقه) فإنه من أقدم وأخلص إخواني.

قُل غير مأمور للشيخ أمين إنني أرسلت ابنتيّ نجلا وليندا الى مدرسة البنات الأميركية في بيروت لعله يزورهما فإنه يسرّهما مشاهدة الصديق.

وسلامي عليك وعلى سائر الإخوان.

محبك

سليم سركيس(*)

(*) **سليم سركيس** «**لبنان**» - ١٨٦٧ - ١٩٢٦

- صحافي وشاعر. أصدر مجلة «سركيس» وكان مديراً لها. كما أنشأ في مصر صحيفة «المشير» ومجلة

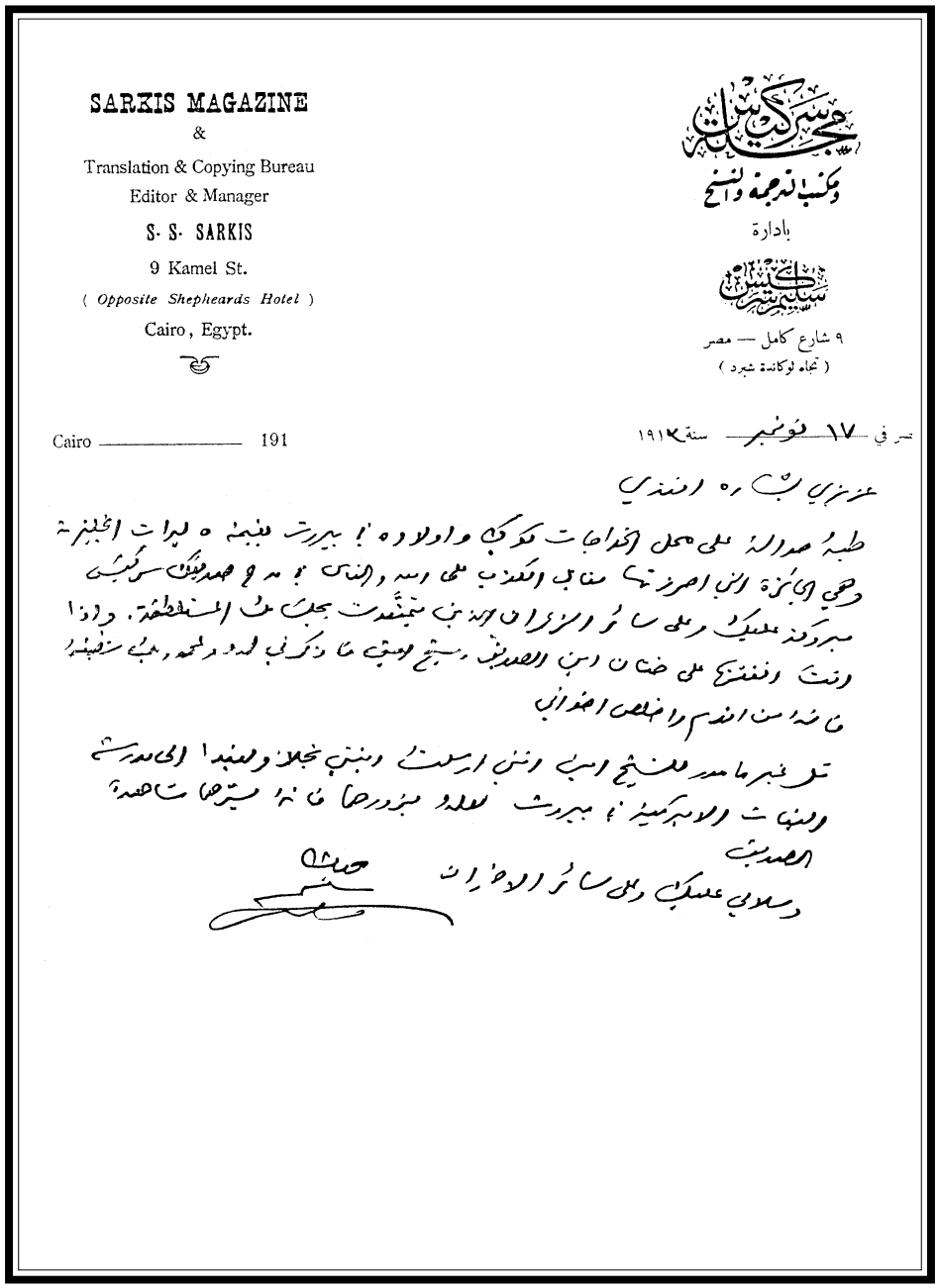

SARKIS MAGAZINE
&
Translation & Copying Bureau
Editor & Manager
S. S. SARKIS
9 Kamel St.
(*Opposite Shepheards Hotel*)
Cairo, Egypt.

مجلة سركيس
ومكتب الترجمة والنسخ
بادارة
سليم سركيس
٩ شارع كامل — مصر
(تجاه لوكاندة شبرد)

Cairo _____ 191

مصر في ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٢

عزيزي بشاره افندي

طيه حوالة على محل الخواجات كوك واولاده في بيروت بقيمة ٥ ليرات انجليزية وهي الجائزة التي احرزتها مقابل الكذب على الله والناس في مدح صديقك سركيس مبروكة عليك وعلى سائر الزعران الذين يتمتعون بجلساتك المستطرفة. واذا اتت افتتحها على ختان ابن الصديق وشيخ امتي فاذكرني لله ولمحمد وبك شفيعا فانه من اقدم واخلص اخواني

قل غير مأمور للشيخ امين انني ارسلت ابنتي نجلا وبعيدا الى مدرسة البنات الاميركية في بيروت لعله يزورها فانه يسرها مشاهدة الصديق

وسلامي عليك وعلى سائر الاخوان

حبك

سليم سركيس

مصر القاهرة في ٢٣ أيار سنة ١٩١٢

أخي الحبيب بشارة

أتاني «صدى البرق» اليوم. أما فرحي به فعلى قدر حبي لك. إني أعتقد بأن جريدتك هي نفسك – الطاهرة – وأنت تحبها ويحبها كل من يعرفها ولا ريب. لم أطالعها للآن – الضمير للجريدة وليس للنفس – أما هذه فقد طالعتها ودققت فيها فإذا هي خير النفوس.

أنت تقرأ «الزهور» وترى فيها الصُور. فإذا كان «صدى البرق» يحتاج منها للتحبب إلى قرائه فاذكر التي تريد.

صدر «صدى البرق» وأقفلت «الأخبار». بقدر فرحي بتلك كان أيضاً كدري لهذه. مسكين صديقنا الشيخ المحبوب الخازن.

أنا ذاهب الآن في غرض هام. والبوسطة مسافرة الساعة. لهذا اكتفِ مني بهذه الكلمات مختومة بألوف من القبلات، فإن استكثرتهن فوزعهن على الإخوان زوجين زوجين وسلمت لأخيك.

أمين تقي الدين(*)

(*) **أمين تقي الدين (لبنان)**-١٨٨٤-١٩٣٧

- محام وأديب وشاعر... أنشأ مجلة الزهور مع أنطون الجميل في مصر.

الزهور
مجلّة أدبيّة فنيّة علميّة
لأصحابها
الجميّل وتقيّ الدين وشركائهما

مصر القاهرة في ٢٢ ايار ٩١٢

اخي الحبيب بشاره

اتاني صدى البرق اليوم . امّا فرحي به فعلى قدر حبّي لك . اني اعتقد
بأن جريدتك هي نفسك - الطاهره - وانت تحبّها ويحبّها كلّ من يعرفها
ولا ريب . لم اطالعها للآن - الضمير للجريدة وليس للنفس - امّا
هذه فقد طالعتها ودققت فيها فاذا هي خير النفوس
انت تقرأ الزهور وترى فيها الصور . فاذا كان
صدى البرق يحتاج منها للتحبّب الى قرّائه فاذكر اسمي
شريد
صدر صدى البرق واقفلت "الأخبار" . بقدر فرحي
بتلك كان ايضاً كدري لهذه . مسكني حديقتنا
الشيخ المحبوب الخازن
أنا ذاهب الآن في غرض هام . والبوسطة مسافة الساعة
لهذا اكتفي مني بهذه الكلمات مختومةً بالوف
من القبلات فان استكثرتها فوزعها على
الأخوان زوجي زوجي وسلمت لأخيك

خير كاتب وأفضل أديب

لو نُفِّس عني الهم قليلاً وتركني الدهر أجمع نفسي بعض يوم لنلت الجائزة التي قدرتها لقصيدة أخرج بها عن مواقف البائسين ومواطن اليائسين. ولكنني (أمسيت) ولا أقول أصبحت لا أعرف للحياة معنى بعدما صدف الوداد عن قلوب العباد وبات الأديب أذل من (أديب) في بلد أعزه الله بإذلالنا وأغناه بافتقارنا. وما كان على الوجود لو جعلني عبداً في مصاف الخدم. أحمل سيدي الصغير الى الكتاب في الصباح. وأحرس الباب. وأنير المصباح. وليس يهمني بعد هذا إلا الطعام... هكذا كنت أود أن أكون وربما تغنى بها قبلي شوقي والحافظ وعبدالحليم والكاشف وأحمد محرم وكم من شعراء الشام خلقوا في ثوب إمام... أرجوك أو ألتمس منك أن ترسل (بالبرق) إلى الشاعر الكبير عبدالحليم أفندي المصري والأستاذ الضليع الشيخ محمد نائل المرصفي معلم اللغة العربية والأدب بمدرسة الفرير بالخرنفش بمصر لنرى في البرق نجوم المعاني مشرقة. ودمت لأخيك.

محمد إمام العبد(*)

****

(هذا الجواب خصوصي)

(١٩١١م.)

(*) **محمد إمام العبد** «**مصر**» - ١٨٦٢- ١٩١١

- شاعر أجاد الشعر والزجل. كان كاتبًا مصر لكرة القدم عام ١٩٠٠ وعكف على الأدب والكتابة في الصحف..

خير كاتب وافضل اديب

لو نفس عني الهم قليلا وتركني الدهر اجمع نفسي بعض يوم لنلت
الجائزة التي قدرتها بقصيدة اخرج بها عن مواقف البائسين
ومواطن اليائسين . ولكنني (امسيت) ولا اقول اصبحت
لا اعرف للحياة حسنى بعد ما صدف الوداد عن قلوب العباد
وبات الاديب اذل من (اديب) في بلد اعزه الله باذلالنا
واغناه باحتقارنا . وما كان على الوجود لو جعلني عبدا
في مصاف الخدم . احمل سيدي الصغير الى الكتاب . في الصباح
واحرس الباب . وانير المصباح . وليس يهمني بعد هذا
الا الطعام ... هكذا كنت اود ان اكون وربما تغنى بها قبلي
شوقي والحافظ وعبد الحليم والكاشف واحمد محرم وكم من شعراء
الشام خلقوا في ثوب امام . . ارجوك او التمس منك ان
ترسل . (بالبرق) الى الشاعر الكبير عبد الحليم الحصري والاستاذ
الضليع الشيخ محمد نائل المرصفي معلم اللغة العربية والادب
بمدرسة الضرير بالخرنفش بمصر لنرى في البرق نجوم المعاني
مشرقة ودمت لاخيك و

(هذا الجواب خصوصي)

محمد امام العبد

بمصر

سيدي وأستاذي...

أكتب اليك الآن بقلمي بعدما روحت عني سموم السقام وجعلت يراعتي في حل من الكتابة إليك وأنت الذي أحله الود في قلبي وأحله النور في عيني وأحله الوجدان في نفسي أو بالإجمال لمحت صورته في صورتي فبات الإمام بالشام وبات الخوري بمصر، تلك سنة الود التي قدستها ديانة الأدب ودين الأدب. دين الوجود.

عزيزي وأستاذي

قد نزلت بي نازلة ذهبت بجسمي وبت على علم مني باليوم الذي لا يعلمه إلا الله فاجعل هذا الجواب (صورة) تذكرك بإمام العبد إذا أمسى في ضمير التراب سراً. والأمر كذلك سيكون لأنه (بخط يدي) إليك. وما كتبت الى سواك بيراعتي إلا إذا كان جوابي بين كلمتين كلمة الابتداء وكلمة الختام أو بين سطرين سطر فيه صديقي وسطر فيه إمام.

وصل إليّ خطابك ونظمت قصيدة كما أردت في وقت أضيق من الوقت وأرسلت بها الى أستاذي العليم بأفانين الأدب ولكنها دون لداتها من

اكتب اليك الآن بقلمي بعد ما رحت عني سموم السقام
وجعلت براعتي في حل من الكتابة اليك وانت الذي
احله الود في قلبي واحله النور في عيني واحله الوحدة
في نفسي او بالاجمال لمحت صورتك في صورتي فبات الأنا
بالشآم وبات الحوري بمصر تلك سنة الود التي قدسها
ديانة الأدب ودين الادب ، دين الوجود
عزيزي واستاذي ، قد نزلت بي نازلة ذهبت بجمعي
وبت على علم مني بالبيوم الذي لا يعلمه الا الله فاجعل
هذا الجواب (صورة) تذكرك باسام العبد اذا امسى
في ضمير التراب سرا . والأمر كذلك سيكون لا محالة
(بخط يدي) اليك وما كتبت الى سواك بيراعتي
الا اذا كان جوابي بين كلمتين كلمة الابتداء وكلمة الختام او
بين سطرين سطر فيه صديق وسطر فيه امام .
وصل الي خطابك ونظمت قصيدة كما اردت في وقت
ضيق من الوقت وارسلت بها الى استاذي
العليم بافانين الادب ولكنها دون لداتها من
القصائد لان ضيق الوقت طار بالخيال

القصائد لأن ضيق الوقت طار بالخيال في جو مظلم وأنت الذي أدخلتني في هذه الدائرة. قد قصّر صديقي الأديب الألمعي محمد أفندي (زكي) صورة البرق في مصر فلو حملت هذا التقصير على ما انتابه من حريق في الدار وسقم كاد يذهب بالأفكار لجعلت السيف في موضع الندى. وإن شاء الأدب سترى من يراعه ما يراه المدلج من البدر والساهر من الفجر. ستصل إليك (القصائد العديدة) من شعراء مصر وفي ربيئتهم صديقي عبدالحليم فقد أخذ نظره خطابك... اجعل هذا الجواب كما قدمت فربما طوتني بنات الدهر قبل أن أراك. سلام عليك يا نصير الأدب بقدر إحسانك أو بقدر إبداعك.

بخط يده

محمد إمام العبد(*)

(١٩١١م.)

****

(*) **انظر الهامش ص(٢٦١).**

في جو مظلم وانت الذي ادخلتني في هذه الدائره قد قصر صديقي الاديب الالمعي محمد افندي رحمي
صورة البرق في مصر فلو حملت هذا التقصير على ما انتابه من حريق في الدار وسقم كاد يذهب
بالافكار لجعلت السيف في موضع الندى. وان شاء الأدب سترى من يراعه ما يراه المدلج من البدر
والساهر من الفجر. ستصل اليك (القصائد العديدة) من شعراء مصر وفي ريلئتهم صديقي عبد الحليم
فقد اخذ نظره خطابك ... اجعل هذا الجواب كما قدمت فربما طوتني بنات الدهر
قبل ان اراك سلام عليك يا نصير الادب بقدر احسانك او بقدر ابداعك ه

بخط يده.

محمد امام العبد

أخي بل سيدي

راع أذنك غير مأمور لهذه الحكاية

كلفني صاحب النفائس العصرية يوم ورد على القدس نعي تولستوي بالتلغراف أن أرثي حكيم الروس بقصيدة وأن أجود عليه بها فأمليتها على صديقي كان حيالي في ربع ساعة وقد جاءت كما رأيتموها باهرة رائعة وكان ذلك قبل أن تظهر قصيدتا شوقي وحافظ بأسابيع، فلما مضى أربعون يوماً ولم تصدر مجلة النفائس كتبت نسختين من القصيدة وبعثت لكم بواحدة وللأهرام بواحدة (وكان هذا العمل قبيحاً وقد جزيتموني بسببه بما جزيتموني ولم تكونوا من الظالمين) فنشرها الأهرام في عدده اليومي والأسبوعي، ولو كنتم تبادلون هذه الجريدة لاطلعتم عليها ولم ترضوا أنتم لي نشرها لتأخرها في الوقت. وبكرت عليَّ بطاقتكم تعتذر وإني لأعذركم ولا أقرع وأعنف وأصم وأعيب غير نفسي التي (ارتضت) بأقوال صاحبها وربها بل سولت له أن يبعث بها لجريدتكم والسلام.

في ٣٠ محرم سنة ١٣٢٩

(١٩١١م.)

أخــوك وعبدك

إسعاف النشاشيبي(*)

حاشية:

جاءتني حين أخذت بطاقتكم مجلة النفائس العصرية

(*) **إسعاف النشاشيبي «فلسطين»** - ١٨٨٥ - ١٩٤٨

- أديب وباحث وشاعر من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق . وعين مفتشاً للغة العربية في معارف فلسطين.

عتاب لعدم نشره قصيدة في رثاء حكيم الروس

اخي بل سيدي راعِ اذنك غير مأمور لهذه الحكاية

كلفني صاحب النفائس العصرية يوم ورد على القدس نعي
تولستوي بالتلغراف ان ارثي حكيم الروس بقصيدة وأن
اجود عليه بها فامليتها على صديقي كان حيالي في ربع ساعة
وقد جاءت كما رأيتموها باهرة رائعة وكان ذلك قبل أن
تظهر قصيدتا شرقي وحافظ باسابيع فلما مضى اربعون يوماً
ولم تصدر مجلة النفائس كتبت نسختين من القصيدة وبعثت
لكم بواحدة وللاهرام بواحدة (وكان هذا العمل قبيحاً وقد
جزيتموني بسببه بما جزيتموني ولم تكونوا من الظالمين) فنشرها
الاهرام في عدده اليومي والاسبوعي ولو كنتم تبادلون
هذه الجريدة لاطلعتم عليها ولم ترضوا انتم لي نشرها
لتأخرها في الوقت وبكرت علي بطاقتكم تعتذر واني
لاعذركم ولا اقرع واعنف واصم واعيب غير نفسي التي

بعث بها لجريدتكم والسلام

اخوك وعبدك
اسعاف النشاشيبي

٤ محرم ١٣٤٨

جاءتني حين اخذت بطاقتكم مجلة النفائس
فيها القصيدة ...

مصر ٢٤ كانون أول سنة ١٩١٠

أخي الحبيب بشارة

تجد مقالاً في مصر الأدبية تفضل بنشرة إذا راق لك وإلا أهمله وما أنا بالحريص على ما أكتب لأني لا أحب إلا الجيد ولا أحرص إلا على الحسن! كتبته في برهة قصيرة وهي أقصر من اجتماع ذلك الشاعر بحبيبه فلم يكد يقول له ـ أنت الحـ.... فيوافي العذول فقال «ـكيم الطبيب».

أنت ظلمتني باقتراحك ونحن على وشك استهلال العام والبرق سيصدر في مستهله! وظلمت نفسك لأني لم أستطع أن أجمع لك شيئاً فكل من وعدني لم (يفي) حتى الآن ـ غيري جنى وأنا المعذب!...

أوصي على (كليشه) بخط فارسي جميل بلفظة «كنانه» كما اتفقنا وبإمضاء استانبولي، من نوع «رؤوس حراب» في البرق هو «ديانا» آلهة الصيد!

في الأسبوع القادم ـ ولا ريب ـ وحياة بشارة يصلك أول سهم «معاذ الله أن يصل إليك سهم مني ـ» ثم تتوارد الأسهم واحداً واحداً! وأنا أستحلفك بالشرف والمروءة والعرض والمحبة بيننا أن تكتم الأمر كل الكتمان حتى عن أخي وأخيك ولو لم يكن في سهامي ما يمس ويجرح! مد يدك فتعاهدني وهزها بشوق .

محمد الغنيمي التفتازاني(*)

(*) **محمد الغنيمي التفتازاني** «**مصر**» - ١٨٩٣ - ١٩٣٦

- أديب من مشايخ المتصوفة في مصر، أصدر مجلة «البشائر» وشارك في تأسيس «جماعة الرابطة الشرقية».

شيخ

مصر / ٢٤ كانون اول سنة ٩١٠ التلغرافي

محمد الغنيمي

أخي الحبيب بشارة

تجد مقالاً في مصر الأدبية تفضل بنشره إذا راق لك وإلا
أهمله وكما أنا بالحريص على ما أكتب لأني لا أحب إلا الجيد ولا أحرص إلا على
الحسن! كتبته في برهة قصيرة أو هي أقصر من اجتماع ذلك الشاعر
بحبيبه فلم يجد يقول له - أنت الحب .. فوافى العذول فقال "كليم الطبيب"
أنت ظلمتني بإقدامك ونحن على وشك استهلال العام والبرق
سيصدر في مستهله! وظلمت نفسك لأني لم أستطع أن أجمع لك شيئاً
كل من دعوني لم يفي لي الآن - غيري جنى وأنا المعذب!...

أوصي على كليشه بخط فارسي جميل بلفظة "كنانه"
كنا اتفقنا وبإمضاء استانبولي من نوع "رؤوس حراب"
في البرق هو "ديانا" آلهة الصيد!
في الأسبوع القادم - ولا ريب - وحياة بشارة يصلك
أول سهم "معاذ الله أن يصل إليك سهم مني -" ثم تتوارد
الأسهم واحداً واحداً! وإنما أستحلفك بالشرف والمروءة
والعرض والمحبة بيننا أن تكتم الأمر كل الكتمان حتى عن أخي وأخيك ولو
لم يكن في سهامي ما يمس ويجرح! مد يدك فتعاهدني وأحزها بشوق
هذه

مصر في ٢٢ كانون أول سنة ١٩١٠

أخي الحبيب بشارة

جواباً على الكارت بوستال التي وصلتني أمس يصلك مع البريد القادم كلمة عن «مصر الأدبية».

لقيت خليل مطران فوعد خيراً! ولقيت أحمد نسيم فوعد خيراً! ولقيت سليم سركيس وموعدنا غداً بصورته وصورة ابنه أنور ومقالة بإمضاء «أنور» وصورة إمام العبد أيضاً!.

ليتك طلبت كل ذلك منذ شهر على الأقل!

إن تلك الإشارة اللطيفة القاسية عن وعودي لك في « الكلوب» ولم تتخير تعيين المكان عفواً قبلتها بالشكر وسأعمل بموجبها مبتدئاً من «مصر الأدبية» الى أن أنتهي بما لا أعلم!.

ألف قبلة وألف تحية من صديقك الأمين.

اسكندر عمون بك(*)

****

(*) **اسكندر عمون بك** «**لبنان**» - ١٨٥٧ - ١٩٢٠

- شاعر ومحام له اشتغال بالأدب. شغل وكالة المحكمة الأهلية في مصر ووزارة العدلية في دمشق.

ISKENDER AMMOUN BEY

AVOCAT

CAIRE

اسكندر عمون بك

أفوكاتو

مصر

Le Caire, le ٢٢ كانون اول سنة ٩١٠ مصر في

اخي الحبيب بشاره

جواباً على الكارت بوستال ريثي وحدثني أمس يصلك مع البريد القادم كلمة عن "مصر الأدبية"

لقيت خليل مطران فوعد خيراً ! ولقيت احمد نسيم فوعد خيراً ! ولقيت سليم سركيس وموعدنا غداً بصورته وصورة ابنه أنور ومقالة بإمضاء "أنور" وصورة أمام العبد أيضاً !

ليتك اطلعت كل ذلك منذ شهر على الأقل !

ان تلك الاشارة اللطيفة القاسية عن وعودي لك في "الكلوب" ولم تتخير تعيين المكان عفواً قبلتها بالشكر وسأعمل بموجبها مبتدئاً من "مصر الأدبية" الى ان انتهي بما لا اعلم !

الف قبلة والف تحية من صديقك الحق

[illegible]

لندرا[*] في ٢٠ حزيران ١٩١٠

أخي بشارة

من الأشجار إذا نقلت لتزرع ثانية تموت ومنها تقف زمناً في نموها وكلها تتألم عند الاقتلاع وتتوجع في التربة الجديدة التي لا تجد فيها من المغذيات إلا القليل... وماذا تقول في النخلة التي تنقلها من تربة حارة الى تربة باردة لا سيما وقد تقطعت جذوعها وسال في أرض أمها كثير من صبيبها. أنا تلك النخلة يا أخي وفي جذوع نفسي كلوم كثيرة وفي أغصانها ثمار كثيرة. والشجرة المثمرة إذا اقتلعتها لتزرعها في أرض جديدة قلّما تعيش. لله من وطن يهجره الأمين ليحيي في الغربة ذكر أبطاله الأولين. ليشقى في الغربة حباً بحبٍ كمين.

وصلت منذ أسبوع الى لندرا وأحسست أنني دفنت في قبري حياً. وهل يستطيع أن يعيش تحت هذه السماء السوداء في هذا الجو المفعم غازاً ودخاناً وسمّاً بين هذه المركبات المفظعات والضوضاء من ألف شمس سوريا وسكينة أحراج لبنان وعقد مع الطبيعة عهداً لا يوهنه الدهر ولا ينسخه الزمان؟ لا وربّ الزمان. سأعود إلى وطني لأموت بالأقل فيه. سأدفن في تربة زرعت فيها بذوري فأغذيها من لحمي وعظامي وأسقيها من دمي فتحيا وتزداد صحة ونمواً. من أغرب الأمور أن ما في مدهشات الغرب ما يدهشني ولا في مسراته ما يسرّني، بل

(*) لندن.

لندرا في ٢٠ حزيران سنة ١٩١٠

اخي بشاره

من الاشجار اذا نُقلت لتزرع ثانية تموت ومنها تقف زمناً في نموها
وكلها تتألم عند الاقتلاع وتتوجع في التربة الجديدة التي لا تجد فيها من
المغذيات الا القليل وماذا تقول في النخلة التي تنقلها من
تربة حارة الى تربة باردة لا سيما وقد تقطعت جذوعها وسال في
ارض امها كثير من حبيبها . انا تلك النخلة يا اخي وفي جذوع
نفسي كلوم كثيرة وفي اغصانها ثمار كثيرة . والشجرة المثمرة اذا
قتلعتها لتزرعها في ارض جديدة قلما تعيش . لله من وطن يهجره
الامين ليحيى في الغربة ذكر ابطاله الاولين . ليشقى في الغربة حياً
بحب كمين .

وصلت منذ اسبوع الى لندرا وأحسست اني دفنت في
قبري حياً . وهل يستطيع ان يعيش تحت هذه السماء السوداء
في هذا الجو المفعم غازاً ودخاناً وسماً بين هذه المركبات

تراني أتألم حيثما سرت وأينما حللت. وسبب ذلك أن جذوع نفسي لم تزل دامية ولم تجد حتى الآن في التربة الجديدة مرهماً شافياً. هذه أول مرة هجرت وطني ورددت قول الشاعر:

(تلفتت العيون ومذ خفيت
عنا الطلول تلفت القلب)[*]

وإلى النبت الجديد في تلك الطلول إلى أزهار الشبيبة في تلك الأطلال – إلى خلاني وإخواني – إلى قرائي الأعزاء حنين قلب جرحه كحبه كلاهما كبير عظيم. إليكم إخواني أهدي كل ما في هذا القلب من الحب وكل ما فيه من الأنين.

أيدهشك يا بشارة قولي إني أتلفت كل يوم إلى الشرق كعاشقة تتلفت الى بيت حبيبها. وعندما أعود إلى معقولي أضحك من هذا القلب ولا قلب المرأة.

وعلى ذكر المرأة شاهدنا البارح في هذه المدينة السوداء مشهداً مدهشاً نادراً في بابه. عشرة آلاف أنثى سرن في الأسواق حاملات الرايات والبنود نافخات في الأبواق يتخلل صفوفهن الزاهرة أربعون نوبة وألفان من رجال البوليس ويتقدمهن ثلاث من الزعيمات راكبات الأفراس المطهمة كالرجال (.....) وغاية الحزب هذا منقوشة بأجمل الحروف والجمل والأشكال على المئات من البنود والرايات. حقاً إنه لموكب عظيم

(*) صحة البيت وهو للشريف الرضي:

المقطعات والطوضاء من الف سمس سوريا وسكينة احراج لبنان وعهد مع الطبيعة عهدا لا يؤلمه الدهر
ولا ينسخه الزمان؟ لا ورب الزمان. ساعود الى وطني لاموت بالاقل فيه. سادفن في تربة زرعت فيها
بذوري فاغذيها من لحمي وعظامي واسقيها من دمي فتحيى وتزداد صحة ونموا. من اغرب الامور ان ما في
بهشات الغرب ما بدهشتي ولا في مسراته ما يسرني بل تراني اتألم حيثما سرت وانما حللت. سبب ذلك
ان جذوع نفسي لم تزل دامية ولم تجد حتى الان في التربة الجديدة مرهما شافيا. هذه اول مرة هجرت وطني ورددت
قول الشاعر — تلفتت العيون ومذ خفيت عنا الطلول تلفت القلب
والى النبت الجديد في تلك الطلول الى ازهار الشبيبة في تلك الاطلال — الى خلاني واخواني —
الى قرائي الاعزاء حسين قلب جرحه كحبه كلاهما كبير عظيم. اليكم اخواني اهدي كل ما في هذا القلب
من الحب وكل ما فيه من الانين.
ايدهشك يا جاره قولي اني اتلفت كل يوم الى الشرق كعاشقة تتلفت الى بيت حبيبها. وعندما اعود
الى معقولي اضحك من هذا القلب ولا قلب المرأة. وعلى ذكر المرأة —

قلَّما تفوقه مواكب الاحتفال برجوع الأبطال. والغاية منه؟ الغاية عظيمة مضحكة محزنة. إنما هن «المقترعات» اللاتي يطالبن الحكومة بحق الاقتراع والانتخاب كالرجال. وفي الموكب كانت تزدهي الأنثى من كل طبقات المجتمع – الأميرات في الصفوف والعاملات والخادمات والشريفات وبينهن مرّت العالمات والممرضات والممثلات والمعلمات والـ .. ما عدا المومسات. ولا ريب عندي أنهن في مثل هذه الحال أرجح النساء عقلاً. والمكرب المزعج أن ما في العشرة آلاف أنثى عشر جميلات. أعوذ بالله من «المقترعات» المترجلات!.

قال أحد الناس: هذا موكب يفوق جنازة الملك. قلت وهو جنازة والله، هو جنازة المرأة وجنازة الأم في هذه البلاد. مسكينة الأنثى التي تشقى في بيتها فتطلب السعادة خارج البيت ولو في أوحال السياسة. عدت الى غرفتي ضاحكاً باكياً ورددت قول الفيلسوف نِتشه: المرأة لغز لا يحله إلا الحَبَل. وقلت للمقترعات وأنا واقف بين المتفرجين «..... من مرض السياسة» بلغتي فشيت خلقي وبصوت عالٍ حيّر من حولي.

وفي الختام عليك السلام، كيف حالك وكيف أصحابنا أجمعين – قبلات وسلامات إليك واليهم من الصديق الأمين.

أمين الريحاني(*)

(*) **أمين الريحاني** «**لبنان**» – ١٨٧٦ – ١٩٤٠

– كاتب ورحالة وشاعر. بدأ ظهوره الأدبي في المهجر وكتب الشعر المنثور كما كتب الشعر المرسل وله عدد من الكتب من أشهرها ملوك العرب.

شاهدنا البارح في هذه المدينة السوداء مشهداً مدهشاً نادراً في بابه عشرة آلاف انثى سرن في
الاسواق حاملات الرايات والبنود نافخات في الابواق يتخلل صفوفهن الزاهرة اربعون نوبة والفان
من رجال البوليس ويتقدمهن ثلاث من الزعيمات راكبات الافراس المطهمة كالرجال لو كما يركبن الرجال
وغاية الحزب هذا منقوشة باجمل الحروف والجمل والاشكال على المئات من البنود والرايات . حقاً انه موكب
عظيم فلما تفوقه مواكب الاحتفال برجوع الابطال . والغاية منه ؟ الغاية عظيمة مضحكة محزنة
انما هن "المقترعات" اللاتي يطالبن الحكومة بحق الاقتراع والانتخاب كالرجال . وفي الموكب كانت
مترددهن الانثى من كل طبقات المجتمع - الاميرات في الصفوف والعاملات والخادمات والشريفات
وبينهن مرت العالمات والممرضات والممثلات والمعلمات وال . . ما عدى المومسات . ولا ريب
عندي انهن ارجح النساء عقلاً - والمكرب المزعج ان ما في العشرة آلاف انثى عشر جميلات .
اعوذ بالله من "المقترعات المترجلات" ! قال احد الناس : هذا موكب يفوق جنازة الملك

قلت : وهو جنازة والله . هو جنازة المرأة وجنازة الأم في هذه البلاد . مسكينة
الانثى التي تشقى في بيتها فتطلب السعادة خارج البيت ولو في اوحال السياسة . عدت الى غرفتي
ضاحكاً باكياً ورددت قول الفيلسوف نتشه : المرأة لغز لا يحله الا الحبل . وقلت
للمقترعات وانا واقف بين المتفرجين "روحوا اتاكو تبشفو من مرض السياسة"

بلغتي فشبت خلقي وبصوت عالٍ حيّر من حولي .

وفي الختام وعليك السلام - كيف حالك وكيف اصحابنا اجمعين - قبلات
وسلامات اليك واليهم من الصديق
الامين

عنواني
Ameen Rihani
131 Beaufort St.
S. Kensington,
London.

الآستانة في ٢ تشرين الأول سنة ١٩٠٩

حضرة الأخ الأديب الفاضل بشارة عبدالله الخوري الأفخم

جاءني كتابك اللطيف وتخيلت في مرسله ما أعرفه للرصافي من الأخلاق العالية. عزيزي. كن بأخلاق (ملكية) ولا تحفل بالدنيا والناس فإن الفضل إن ضاع يوماً لا يضيع دائماً ولا بد له من الظهور. وسأحبك مثلما أحب الرصافي وسنكون أخوين في هذه الدنيا والله أعلم بالآخرة.

كنت نصحت الرصافي أن لا يسافر فلم يقبل وشد رحاله الى بلاده غير أن المساعي التي بذلناها لأجله لم تذهب عبثاً فقد وظفته نظارة المعارف معلماً للغة العربية في المدرسة الملكية براتب قدره ألف قرش وله أصحاب يريدون أن يساعدوه ولذلك أرسلت إليكم التلغراف ثم جاءني جوابكم وها أنا أنتظر إنباءكم النتيجة بأقرب حين. وقد أرسلت إليه تلغرافاً الى بغداد رأساً ويا حبذا لو استطعت أن أساعدكم بشيء في يوم من الأيام.

عزيزي أوصيكم بفاضل كبير ينبغي أن تجدوه وهو ندرة بك المطران. هذا كان يدفع للرصافي عشر ليرات في الشهر إكراماً للعقل والعلم. وقد وجدت في الرجل من الفضائل والكمالات ما جعلني أن أحبه حباً مفرطاً فأوصيك أن تجعله قبلتك وترسل إليه جريدتك وتخابره وهو أنفع من الترياق لأهل الفضل. اقبل تحياتي وأشواقي ودم لأخيك.

زكـــي مغامـــز(*)

(*) **زكي مغامز** «**سوريا**» - ١٨٧١ - ١٩٣٢

- باحث وكاتب من أعضاء المجمع العلمي العربي ومن أعضاء لجنة الترجمة والتأليف في وزارة

الاثنين ٢ ت ١ سنة ٩٠٦

حضرة الاخ الاديب الفاضل بشاره عبدالله الخوري الافخم

جاءني كتابك اللطيف وتخيلت في مرسله ما اعرفه للرصافي من الاخلاق العالية. عزيزي. كن باخلاق ملكية ولا تحفل بالدنيا والناس فان الفضل ان ضاع يوماً لا يضيع دائماً ولا بد له من الظهور. وساحبك مثلما احب الرصافي وسنكون اخوين في هذه الدنيا والله اعلم بالآخرة.

كنت نصحت الرصافي ان لا يسافر فلم يقبل وشد رحاله الى بلاده غير ان المساعي التي بذلناها لاجله لم تذهب عبثاً فقد وظفته نظارة المعارف معلماً للغة العربية في المدرسة الملكية براتب قدره الف قرش وله اصحاب يريدون ان يساعدوه ولذلك ارسلت اليكم التلغراف ثم جاءني جوابكم وها انا انتظر انباءكم النتيجة باقرب حين وقد ارسلت اليه تلغرافاً ان يغادر رأساً ويا حبذا لو استطعت ان اساعدكم بشيء في يوم من الايام.

عزيزي اوصيكم بفاضل كبير ينبغي ان تعبدوه وهو نذره بك المطران. هذا كان يدفع للرصافي عشريات في الشهر اكراماً للفضل والعلم. وقد وجدت في الرجل من الفضائل والكمالات ما جعلني ان احبه حباً مفرطاً فاوصيك ان تجعله قبلتك وترسل اليه جريدتك وتخابره وهو انفع من الترياق لاهل الفضل. اقبل تحياتي واشواقي ودم لاخيك

زكي مغامز

حضرة الكاتب المقتدر

أشكركم على حسن ظنكم بي وعنايتكم بقصيدتي «نفثات» مقدماً أخرى جديدة باسم «أبنيها وتنهدم» وهي هدية صغيرة مني إليكم ولو سمحت صحتي فأكثرت من قرض الشعر أرسلت إليكم القصيدة تلو القصيدة.

كان راتبي في مدرسة الحقوق ألفين وأربعمائة قرش فلما عزلني ناظم باشا ولامته بعض الصحف في مصر أراد أن يصلح ما أفسده فأنهى يعينني مأموراً للويركو براتب قدره ثلاثة آلاف غران الآستانة. لم تروّج كتابته فبقيت أنفق من المال القليل الذي وفرته قبلاً من راتبي والآن كل أملي في الوالي الجديد جمال بك. وحيث إن صوت الصحف في سورية أكبر منه في العراق جئت راجياً من كرم محتدكم أن تنشروا عند سنوح الفرص كلمات بقلمكم البليغ تخاطبونه بها مفادها «من سيعذر جهل أهل بغداد إذا لم يحترموا أدباءهم احترام الشعوب الراقية لأدبائها، ولكن هل يعذر الدستور ولاية بغداد إذا لم ترفع الحيف عن جميل أفندي الزهاوي الذي عزله ناظم باشا بدون سبب قانوني ومحاكمة عسى أن يعوضه منها جمال بك والي بغداد الجديد الذي نسمع أنه من كبار الأحرار مأموريةً تناسب منزلته فتغسل بذلك عن ولاية بغداد عاراً يخجل التأريخ من ذكره».

ورجائي هذا منكم أكتبه على استحياء والذي جرأني هو ما أتوسمه فيكم من الفضل وطيب الأعراق فلعلني أقضي بكتابتكم هذه لبانةً لي تتوقف عليها حياتي. وإذا شاركم هذا التذكير غيركم من أولي الصحف الأصدقاء فإن احتمال النجاح أقرب.

أخبركم أن (مبعوث) الحلة مصطفى أفندي الواعظ لم يكفه أنه وشى بي في السنة الماضية عند ناظم باشا فعزلني من وظيفتي التي كنت أعيش براتبها حتى جاء في هذه السنة ينشر كتاب الإرشاد ويثير باسم الدين عليَّ الرعاع وأنصار الجهل، كأن الكتب التي ألِّفت قبله ضدي قليلة. وما أنا بمن يبالي لولا علمي أن بركان التعصب في بغداد سريع الانفجار أيها الصديق الكريم.

جميل صدقي الزهاوي(*)

بغداد ١٤ تموز سنة ١٣٢٧هـ
(١٩٠٩م.)

(*) **جميل صدقي الزهاوي** «**العراق**» - ١٨٦٣ - ١٩٣٦

- شاعر، عضو مجلس المعارف ببغداد، وعضو محكمة الاستئناف، كان أستاذاً للفلسفة الإسلامية في الآستانة والآداب العربية في دار الفنون بها، وأستاذاً في مدرسة الحقوق ببغداد، ونائباً عن المنتفق في مجلس النواب العثماني وعن بغداد، فرئيساً للجنة تعريب القوانين، ومن أعضاء مجلس الأعيان العراقي.

يا ساهر [illegible] لعل بأجرع أعوانا على السهر

حضرة الكاتب المقتدر

أشكركم على حسن ظنكم بي وعنايتكم بقصيدتي «نفثات» مقدما أخرى جديدة بكم «ابنيها وتنهدم» هي هدية صغيرة مني إليكم، ولو [illegible] من قرض [illegible] القصيدة .

كان راتبي في مدرسة الحقوق الفين وأربعمائة غرش فلما عزلني ناظم باشا ولامته بعض الصحف في مصر أراد أن يصلح أفسده فإنه يعينني مأمورا للويركو براتب قدره ثلاثة آلاف غير أن الآستانة لم تروج كتابته فبقيت أنفق من المال القليل الذي وفرته قبلا من راتبي والآن كل أملي في الوالي الجديد جمال بك . وحيث أن صوت الصحف في سورية أكبر منه في العراق جئت راجيا من كرم محمدكم أن تنشر [illegible] كلمات بقلمكم البليغ تخاطبونه بها [illegible] أهل بغداد إذا لم يجبر معا أدباء [illegible] الراقية [illegible] ولكن هل يعذر الدستور [illegible] بغداد إذا لم [illegible] الحيف عن [illegible] . . . جميل أفندي الزهاوي الذي عزله ناظم باشا بدون سبب قانوني ومحاكمة [illegible] أن يعوض منها جمال بك والي بغداد الجديد الذي نسمع أنه من كبار الأحرار مأمورية تناسب منزلته [illegible] بذلك عن ولاية بغداد عاليا يخجل التاريخ من ذكره»

ورجائي هذا منكم أكتبه على استحياء والذي جرأني هو ما أتوسمه فيكم من الفضل وطيب الأعراق فلعلني [illegible] بكتابتكم هذه [illegible] لبانة لي تتوقف عليها حياتي . وإذا شارككم [illegible] هذا التذكير غيركم من أولي الصحف الأصدقاء فإن احتمال النجاح أقرب .

[illegible] لم يكف [illegible] في السنة الماضية [illegible] ناظم باشا [illegible] عزلني من وظيفتي التي كنت أعيش براتبها حتى جاء في هذه السنة ينشر كتاب الإرشاد ويثير بكم [illegible] على الرعاع وأنصار الجهل كأن الكتب التي ألفت قبله ضدي قليلة . وما أنا ممن يبالي به [illegible] لا علمي أن بركان التعصب في بغداد سريع الانفجار أيها الصديق الكريم

بغداد ١٤ تموز ١٣٢٧ هـ

جميل صدقي الزهاوي

أيها الأخ الحبيب.

حياك الله وبياك طال عهد استماعي كلماتك الفتانة التي تنثرها عليّ في كتبك نثر الدرر وما أنا بعاتب عليك لأني أنا المنقطع عنك أو القاطع كتبي عنك ولو كنت يا مولاي واقفاً على السبب لبطل عندك العجب ولكنت أول عاذر.

دع هذه الأقاويل فإن قلبي لا يمنعه بحر الروم الذي بينه وبينك من أن يحادثك أحياناً إذا خلا بنفسه وأحضر مثالك نصب عينيه.

لا بد أنك سمعت بوفاة رفعت بركات مبعوث حلب فإذا كنت قد سمعت خبر وفاته فقد فهمت ما أريد ومثلك من لا ينسى العهد ولست أذكر لك مرادي إلا بأن أهدي إليك سلام حضرة الأخ زكي مغامز بك وحينئذٍ يتم لي ما أريد. أليس كذلك؟.

سلامي واحترامي الى الأستاذين المحترمين البستاني والعازار ولولا خوفي عليك من أن تغضب على الإنسانية لذكرت لك ما جرى لي مع بعض الناس في الآستانة من خصوص مسألة مولاي العازار بعد ورود تلغرافك ولكن.... هذا وسلام الله عليك.

أخــوك

معروف الرصافــي (*)

١٧ شباط ١٣٢٥

(١٩٠٨م.)

****

(*) **معروف الرصافي «العراق» - ١٨٧٧ - ١٩٤٥**

- **هو شاعر العراق في عصره ومن أعضاء المجمع العلمي العربي.**
- **اشتغل بالتعليم فكان معلماً للعربية وأستاذاً للأدب العربي وعين نائباً لرئيس لجنة الترجمة والتعريب في بغداد وعين مفتشاً للمعارف وانتخب عضواً في مجلس النواب ومثل العراق في مجلس**

ايها الاخ الحبيب .

حياك الله وبياك طال عهد استماعي كلماتك الفتانة التي تنثرها
على في كتبك نثر الدرر وما انا بعاتب عليك لاني انا المنقطع عنك
او القاطع كتبي عنك ولو كنت يا مولاي واقفا على السبب لبطل عندك
العجب ولكنت اول عاذر . دع هذه الاقاويل فان قلبي لا يمنعه
بحر الروم الذي بينه وبينك من ان يحادثك احيانا اذا خلا بنفسه
واحضر مثالك نصب عينيه .

لابد انك سمعت بوفاة رفعت بركات مبعوث حلب فاذا كنت
قد سمعت خبر وفاته فقد فهمت ما اريد ومثلك من لا ينسى
العهد ولست اذكر لك مرادي الا بان اهدي اليك سلام حضرة
الاخ زكي مغامز بك وحينئذ يتم لي ما اريد . أليس كذالك ؟

سلامي واحترامي الى الاستاذين المحترمين البستاني والعازار
ولولا خوفي عليك من ان تغضب على الانسانية لذكرت لك ما جرى لي
مع بعض الناس في الاستانة من خصوص مسألة مولاي العازار بعد
ورود تلغرافك ولكن .... هذا وسلام الله عليك

اخوك
معروف الرصافي

١٧ شباط ١٣٢٥

حضرة مولاي الفاضل أطال الله بقاءه

فارقتك أيها المولى وأنا شديد السكر من غير مدام. وما هي إلا سكرة فراقك المر قد لعبت بقلبي لعباً وجنت عليه من لاعج الشوق حرباً على أنك وأيم الله ما برحت طول هذه المدة نصب عيني:

يمثلك الشوق الشديد لناظري

فأطرق إجلالاً كأنك حاضر

أو كما قال الشريف الرضي:

خلا منك طرفي وامتلا منك خاطري

كأنك من عيني نُقِلْتَ الى قلبي

ولست وحدك تملكت قلبي وإنما أنا اليوم ذو قلب أصبح نهبا مقسماً بيد الشوق الى أولئك الفضلاء من كل ميمون الطلعة وضاح الجبين رحب الباع واسع الاطلاع فأسال الله تعالى أن يجمعني وإياكم في القريب العاجل. سلامي واحترامي الى كل من حضرة الشاعر المفلق الذي يقول:

فتمشت وحسنها يتمشى

مثلها في العيون والأحشاء

وحضرة مولاي الفاضل أميل أفندي الخوري وحضرة الفاضل جرجي نقولا باز وإلى كل من تعرفون ممن لم تحضرني أسماؤهم الشريفة. هذا وفي طيه قصيدة

ارجو تبليغ سلامي و
فائق احترامي الى حضرة
المولى الفاضل نعوم افندي
ليكي اطال الله بقاءه

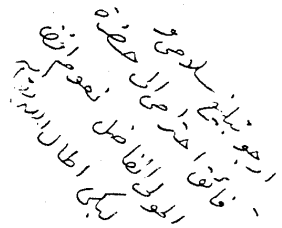

حضرة مولاي الفاضل اطال الله بقآءه

فارقتك ايها المولى وانا شديد السكر من غير مدام . وما هي الا
سكرة فراقك المرّ قد لعبت بقلبي لعباً وجنت عليه من لاعج الشـ
حرباً على انّك وايم الله ما برحت طول هذه المدة نصب عيـ
يمثّلك الشوق الشديد لناظري فاطرق اجلالاً كأنك حاضر
او كما قال الشريف الرضي :

خلا منك طرفي وامتلا منك خاطري
كأنك من عيني نُقلت الى قلبي

ولست وحدك تملكت قلبي وانما انا اليوم ذو قلب اصبح نهباً مقـ
بيد الشوق الى اولئك الفضلآء من كل ميمون الطلعة وضّاح الجبين
رحب الباع واسع الاطلاع فأسأل الله تعالى ان يجمعني واياكم
القريب العاجل . سلامي واحترامي الى كل من حضرة الشا
المفلق الذي يقول : فتمشت وحسنها يتمشّى مثلها في العيون والاحـ
وحضرة مولاي الفاضل اميل افندي الخوري وحضرة الفاضل جرجـ
نقولا باز والى كل من تعرفون ممن لم تحضرني اسماؤهم الشريفة
هذا وفي طيه قصيدة ايتها الكعاب كنت قد نظمتها وانا في بغداد فعـ
على مسودتها فبعثت بها اليكم نعساها تحظى بالقبول

«أيتها الكعاب» كنت قد نظمتها وأنا في بغداد فعثرت على مسودتها فبعثت بها إليكم فعساها تحظى بالقبول وهي حتى اليوم لم تنشر في جريدة من الجرائد وفيها بعض المعاني التركية أخذتها من قصيدة لشاعر الترك في الآستانة توفيق فكرت بك، فهي كالتعريب لتلك وإن زادت عليها بكثير من المعاني التي لم تكن في القصيدة التركية. وإني لأرجو أن أوفق الى خدمة «البرق» بغيرها من القصائد الاجتماعية، فأسأل الله التوفيق. وسلام الله عليكم .

٣ شباط ١٣٢٤

(١٩٠٧م.)

الداعي

معروف الرصافي (*)

حاشية: أرجو تبليغ سلامي وفائق احترامي الى حضرة المولى الفاضل نعوم أفندي لبكي أطال الله بقاءه .

(*) **انظر الهامش ص(٢٨٣).**

وهي حتى اليوم لم تنشر في جريدة من الجرائد وفيها بعض
المعاني التركية اخذتها من قصيدة لشاعر الترك في الاستا
توفيق فكرت بك فهي كالتعريب لتلك وان زادت عليها
بكثير من المعاني التي لم تكن في القصيدة التركية. واني لارجو
ان اوفق الى خدمة البرق بغيرها من القصائد الاجتماعية
فأسأل الله التوفيق. وسلام الله عليكم

الداعي
معروف الرصافي

شباط ٢٧

حول الرسائل ..

تلك كانت طائفة من الرسائل التي وردت إلى شاعر الدورة السادسة للمؤسسة بشارة عبدالله الخوري «الأخطل الصغير» بلغت (١٠٨) رسائل، وهي بالقطع ليست إلا جزءاً يسيراً من الرسائل التي كانت ترد إلى الشاعر من مختلف الأنحاء، من العالم العربي والمهاجر (أمريكا وأوروبا)، ومن الأفراد على تفاوت مراكزهم واهتماماتهم، من المعجب العادي إلى الأمير ورئيس الدولة، ومن الشاعر والأديب إلى الصديق الشخصي، وعلى مدى فترة زمنية تجاوزت ربع القرن بدءاً من العام ١٩٠٧ وحتى العام ١٩٦٢ .

لقد كان ضياع عدد كبير من رسائل الأخطل الصغير أثناء الأحداث المأساوية المؤسفة التي شهدها لبنان خسارة لا يمكن تعويضها لاستجلاء كثير من جوانب حياة الشاعر – في الأقل – على صعيد علاقاته الواسعة مع قطاعات عريضة من المجتمع العربي بالدرجة الأولى، حيث إن جميع رسائله التي حصلنا عليها هي من شخصيات عربية سواء أكانت داخل الوطن العربي أم في المهاجر.

وكانت هذه الرسائل من حيث المنشأ موزعة على (٩) أقطار عربية و (٨) أقطار أجنبية.

وجاءت سوريا في الصدارة من حيث عدد الرسائل فبلغت (٣٤) رسالة كانت دمشق مصدراً للجانب الأكبر منها (٢١) رسالة ومن حلب (٧) رسائل واللاذقية (٥) رسائل ورسالة واحدة من حمص، وفي هذا دلالة كبرى على عمق تفاعل الأخطل الصغير مع إقليمه (الشام) وتواصله مع أوساطه كافة، وقوة وصدق انتمائه القومي، ومدى التقدير الذي كان يحظى به من الشخصيات الأدبية والسياسية في سوريا.

وبعد سوريا كانت مصر منشأ لخمس وعشرين رسالة من الرسائل الموجهة للأخطل، واللافت أن أكثرها لأدباء وصحفيين لبنانيين مقيمين في مصر، وقد كانت

الرسائل من القاهرة في موقع الصدارة إذ بلغت (٢٠) رسالة تليها الاسكندرية (٤) رسائل ورسالة واحدة من طنطا.

أتت بعد ذلك رسائل لبنان وعددها (١٨) وتصبح (٢٠) رسالة إذا اعتبرنا أن رسالتين موجهتين للأخطل من الشاعر رشيد نخلة قد صدرتا من لبنان، حيث جاءتا خلواً من مكان الإرسال، وجاءت بيروت في موقع الصدارة (١٢) رسالة وتوزعت الرسائل الباقية بواقع رسالة واحدة لكل من زحلة وجبيل وبكركي وبحمدون ورسالتان من بسكنتا.

ويمثل مجموع الرسائل الواردة للشاعر من سوريا ومصر ولبنان (٧٩) رسالة أي ما نسبته ٧٣٪ من إجمالي عدد الرسائل مما يؤشر للثقل الثقافي والأدبي والإبداعي للأقطار الثلاثة منذ بدايات هذا القرن.

وعلى صعيد الأقطار العربية الأخرى وردت إلى الأخطل الصغير (١١) رسالة موزعة بين العراق (٣)، ورسالتان لكل من المملكة العربية السعودية والكويت وفلسطين، ورسالة واحدة لكل من الشارقة والأردن.

أما الرسائل الواردة من المهاجر فكان إجماليها (١٥) رسالة (٤) منها من الولايات المتحدة (نيويورك) و (٣) لكل من فرنسا (باريس) والبرازيل (ريودي جانيرو، سان باولو، لابا) ورسالتان من مكسيكو عاصمة المكسيك، ورسالة واحدة من بريطانيا (لندن) والأرجنتين (توكمان) والسنغال (داكار).

ووردت (٣) رسائل من الآستانة إحداهما ذُكر فيها مصدر الإرسال بوضوح، وهي رسالة زكي مغامز، أما الرسالتان الأخريان فلم يرد ذلك صراحة وإنما عرف من السياق وهما رسالتا الشاعر معروف الرصافي.

وهناك إمكانات كبيرة لإثراء هذه الرسائل بمزيد من البحث والدراسة والتحقيق، لتسليط الأضواء على فترة مهمة من حياة الكثير من المبدعين والشخصيات العربية التي تراسلت والأخطل على مدى مرحلة أدبية غطت زمنياً النصف الأول من القرن العشرين تقريباً.

فمن خلال هذه الرسائل يطلع القارئ على مظلمة الزهاوي و (طفر) الياس فرحات وإشادات نصيف فضل وجبران مسوح ونعوم مكرزل، وقلق إيليا أبو ماضي على مصير أهله بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، واعتذارات وتهاني وإعجاب حشد كبير من أدباء وصحفييي الوطن العربي، وأصدقاء الشاعر، وتلك العلاقة الحميمة التي تربط بينهم وبين الأخطل، والمطالبات الدائمة بأن يزودهم الشاعر بهذه القصيدة أو تلك لنشرها في المجلات الأدبية أو لإلقائها في مناسبة ما، وذلك الشكر على إهدائه ديوانيه «الهوى والشباب» و «شعر الأخطل الصغير» لعدد من الشعراء والأدباء.

وتشير الرسائل إلى أن الأخطل الصغير لم يبخل على أي منهم بما طلب، وكانت قصائده في مديح ورثاء العديد من الشخصيات العربية مثالاً نادراً للوفاء الشخصي والالتزام القومي.

ولعل قيام مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بطباعة هذه الرسائل ضمن إصداراتها في «دورة الأخطل الصغير»، يكون فاتحة لمزيد من البحث في هذه الرسائل وعنها.

وقد رأت المؤسسة أن يكون ترتيب هذه الرسائل ترتيباً زمنياً تنازلياً بدءاً بالرسالة الأحدث فالأقدم، واجتهدت في استنباط قرائن تحدد تواريخ الرسائل التي جاءت خلواً من التاريخ، ورجعت في ذلك إلى مصادر عديدة وأساسية، منها أعمال «الأخطل الصغير» المخطوطة من شعرية ونثرية، وكان من دواعي الاغتباط أن المطبوعات التي تصدر بمناسبة هذه الدورة تتكامل مع بعضها ويلقي أحدها الضوء على الآخر، بما يخرجها مجموعة متكاملة تفخر مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بتقديمها للمفكرين والنقاد والمبدعين.

واعتزازاً بالقيمة الأدبية لهذه الرسائل رأت المؤسسة أن لا تخرجها بشكل مطبوع فقط أو بشكل مصور فقط، وإنما جمعت بين هذا وذاك، حتى يتسنى لمن يتعذر عليه قراءة الرسالة المخطوطة أن يقرأ المطبوعة، إضافة إلى أن الاطلاع على أصول هذه الرسائل يمثل قيمة أدبية عالية ومتعة فريدة.

كما أعدت المؤسسة فهرساً لكتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير» أوضحت فيه وفق الترتيب التاريخي التنازلي المشار إليه آنفاً، معلومات مختصرة عن كل رسالة فأوردت اسم المرسل ومدينة المنشأ وبياناً موجزاً بموضوع الرسالة وتاريخها باليوم والشهر والسنة، وأضافت على الرسالة المطبوعة التاريخ الميلادي في حال عدم وجوده ليكون بجانب التاريخ الهجري، أو استنباطه من السياق والقرائن إن لم يكن أي من التاريخين موجوداً.

على أننا كنا نتمنى لو كان عقد هذه الرسائل الموجهة إلى الأخطل الصغير مكتملاً، وأن ردوده عليها متاحة، أو لو توافرت رسائله التي كان ينشئها ابتداءً، إذن لكان لها شأن آخر.

ونود التنويه إلى أن هناك رسائل عديدة وردت فى افتتاحيات «البرق» ، ولعدم توافر أصولها والتزاماً بمنهجية كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير» اكتفينا بورودها في مواقعها من «الأعمال النثرية»، وهذه الرسائل من: لبيب الرياشي، هبة الدين الشهرستاني، الخوري أنطوان عقل، خليل مطران، ابراهيم منذر، رشيد تقي الدين، يوسف نخلة ثابت، شاهين الخازن، جبرائيل نصار، إضافة إلى رسائل أخرى من الريحاني والرصافي والزهاوي، غير تلك الواردة في هذا الكتاب.

وبعد، فإن الكمال لله وحده، فالرسائل ليست أصولاً وإنما مصورات، وبالتالي كانت هنالك الكثير من الكلمات غير واضحة أو مطموسة تماماً، فاستنبطناها من السياق ووضعت مثل هذه الكلمات، والكلمات التي هناك شك في دقة نصها بين قوسين ( ) للفت انتباه القارىء الكريم، والإحاطة بالاعتذار عن أي تقصير غير مقصود، أما الكلمات التي تعذر استنباطها تماماً فقد تركت مواقعها منقوطة.

والله ولي التوفيق،،،

فريق الإعداد

الأمانة العامة للمؤسسة

الفهرس

ص	الاســـم	البلد	الموضـــوع	التاريخ
٣			تصدير	
٥	د. سامي الدهان	دمشق	رد على رسالة	١٩٦٢/١٢/٢
٩	الشيخ صقر القاسمي	الشارقة	إهداء ديوانه إلى الأخطل الصغير	١٩٦٢/١١/٢١
١١	عفيف الطيبي	بيروت	شكر على تهنئة بالمولد النبوي	١٩٦٢/٨/١٧
١٣	أنور السادات	القاهرة	شكر على إهدائه ديوان الشاعر	١٩٦٢/١/٢١
١٥	فؤاد الرفاعي	الكويت	تحية واستفسار عن قصيدة (جفنه علّم الغزل)	١٩٦١/٩/١٢
١٩	د. سامي الدهان	دمشق	تمنيات بالشفاء	١٩٦١/٩/١١
٢١	ميخائيل نعيمة	بسكنتا	تهنئة بالشفاء وإشادة بديوان الشاعر	١٩٦١/٨/١٨
٢٣	رياض معلوف	زحلة	شكر على إهدائه ديوان الشاعر	١٩٦١/٨/١٤
٢٥	عبدالله الجبوري	بغداد	طلب ترجمة لحياة الشاعر	١٩٦١/٦/٢
٢٧	البطريرك بولس بطرس المعوشي	بكركي	تحية بمناسبة حفلة تكريمية للشاعر	١٩٦١/٦/١
٢٩	أنور شاؤل	بحمدون	تحية شعرية	١٩٦٠/٨/١٥
٣١	جورج صيدح	باريس	تحية واعتذار	١٩٦٠/٥/١٩
٣٣	د. سامي الدهان	دمشق	تهنئة بعيد الميلاد	١٩٥٩/١٢/٢٧
٣٥	د. سامي الدهان	دمشق	شكر على إهدائه ديوان الشاعر	١٩٥٩/٨/٢٣
٣٩	محمد نديم فوزي	طنطا	تحية وإشادة	١٩٥٨/٣/٢٤
٤٣	يوسف الخال	بيروت	طلب قصيدة لمجلة (شعر)	١٩٥٧/١/٢٢
٤٥	جورج صيدح	بيروت	تحية وإشادة	١٩٥٧/١/١
٤٧	سعيد القضماني	دمشق	دعوة لحضور مؤتمر الأدباء	١٩٥٦/٨/٥
٤٩	الشيخ عبدالله الجابر الصباح	الكويت	تحية شعرية رداً على تهنئة ومديح	١٩٥٤
٥١	شكر الله الجر	ريودي جانيرو	تقريظ لديوان (الهوى والشباب)	١٩٥٤/٩/١٨
٥٥	خليل تقي الدين	مكسيكو	شكر على إهدائه (الهوى والشباب)	١٩٥٤/٥/٣٠
٦١	ميخائيل نعيمة	بسكنتا	شكر على إهدائه (الهوى والشباب)	١٩٥٤/٣/٢٩
٦٣	الأمير عبدالله الفيصل	الرياض	شكر على إهدائه (الهوى والشباب)	١٩٥٤/٣/١٦

٦٥	سلمى الحفار الكزبري	دمشق	شكر على إهدائها (الهوى والشباب)	١٩٥٤/٢/١٠
٦٧	خليل مردم بك	دمشق	شكر على إهدائه (الهوى والشباب)	١٩٥٤/٢/١٥
٦٩	صائب سلام	بيروت	شكر على إهدائه (الهوى والشباب)	١٩٥٤/٢/١٠
٧١	شكري كنيدر	حلب	شكر على إهدائه (الهوى والشباب)	١٩٥٤/٢/١٠
٧٣	يوسف يزبك	بيروت	شكر على إهدائه (الهوى والشباب)	١٩٥٤/٢/٩
٧٥	محمد سعيد الزعيم	حلب	شكر على إهدائه (الهوى والشباب)	١٩٥٤/٢/٤
٧٧	شفيق جبري	دمشق	شكر على إهدائه (الهوى والشباب)	١٩٥٤/٢/٣
٧٩	وديع فارس البستاني	بيروت	شكر على رسالة مع قصيدة للبستاني	١٩٥٣/٥/٢٢
٨٧	الأمير عبدالله الفيصل	الرياض	تحية وقصيدة من الأمير	١٩٥٣/٣/١٦
٩٣	مرغريت الحداد	حلب	رسالة إعجاب	١٩٥٢/٨/١
٩٥	مرغريت الحداد	حلب	رسالة إعجاب	١٩٥٢/٧/٤
٩٧	سامي الكيالي	حلب	رسالة تحية واعتذار	١٩٥٢/٦/٢٨
١٠١	شفيق معلوف	سان باولو	تحية وتقدير	١٩٥١/٣/١٢
١٠٣	مرغريت الحداد	حلب	إعجاب وطلب قصيدة	١٩٥١/٢/٢٢
١٠٧	توفيق ابراهيم	دكار	دعوة لطباعة ديوان الشاعر	١٩٤٩/٨/١٥
١٠٩	عبدالقادر رشيد الناصري	بغداد	طلب صورة الشاعر وبعض قصائده	١٩٤٩/٤/٢٠
١١٣	الفنان محمد عبدالوهاب	القاهرة	طلب نظم قصيدة لفيلم	١٩٤٨/١١/٣٠
١١٥	الشيخ صالح العلي	اللاذقية	شكر على قصيدة مديح	١٩٤٥/٩/١٦
١١٧	عبداللطيف يونس	اللاذقية	طلب مشاركة في مهرجان تكريم	١٩٤٥/٤/١٨
١٢١	عبداللطيف يونس، وأسعد هارون	اللاذقية	طلب مشاركة في مهرجان تكريم	١٩٤٥/٣/٢٠
١٢٣	محمد كرد علي	دمشق	دعوة لمهرجان ألفية أبي العلاء المعري	١٩٤٤/٣/٢٣
١٢٥	أمين نخلة	بيروت	اعتذار وتهنئة بتخرج نجل الشاعر	١٩٤٣
١٢٧	محمد كرد علي	دمشق	طلب ترجمة لحياة الشاعر	١٩٤٣/٦/٢
١٢٩	محمد كرد علي	دمشق	رسالة ومرسوم بتعيينه عضواً مراسلاً	١٩٤٢/٣/٢١
١٣١	محمد كرد علي	دمشق	إبلاغه بتعيينه عضواً مراسلاً	١٩٤٢/١/٢٨
١٣٣	ابراهيم طوقان	القدس	تسجيل قصائد لإذاعتي القدس ولندن	١٩٤٠/٥/٢٠
١٣٥	الفنان محمد عبدالوهاب	القاهرة	دعوة الشاعر لزيارة عبدالوهاب	١٩٣٩/١/١٠
١٣٧	الفنان محمد عبدالوهاب	القاهرة	إبلاغ الشاعر ببدء تلحين بعض قصائده	١٩٣٨
١٣٩	الفنان محمد عبدالوهاب	القاهرة	طلب تعديل بيت في (الصبا والجمال)	١٩٣٨
١٤١	عادل الغضبان	القاهرة	طلب مساهمة في الصفحة الأدبية بجريدة (المصري)	١٩٣٧/٩/١٣

١٤٣	حبيب أبو شهلا	بيروت	شكر على «النشيد القومي»	١٩٣٧/٢/١٠
١٤٥	فليكس فارس	الاسكندرية	إشادة بقصيدة (فلسطين)	١٩٣٦/١٠/٣
١٤٧	محيي الدين النصولي	بيروت	شكر على نشيد الكشاف	١٩٣٦/٧/٢٥
١٤٩	صبري العسلي	دمشق	دعوة لمشاركة الشاعر في حفل تأبين	١٩٣٦/٧/١٦
١٥١	عزالدين علم الدين	دمشق	مشاركة في مهرجان المتنبي	١٩٣٦/٧/١١
١٥٣	فليكس فارس	الاسكندرية	تحية وإشادة وطلب قصائد	١٩٣٦/٣/٢٥
١٥٧	فليكس فارس	الاسكندرية	طلب قصائد للإلقاء والترجمة	١٩٣٦/٢/١٧
١٥٩	جبران مسوح	(توكمان/الارجنتين)	إرسال نسخة من الجريدة العربية للشاعر	١٩٣٦/٢/١٤
١٦٣	محمد سعيد الزعيم	حلب	تحية واعتذار وشكر على زيارة	١٩٣٥/١٠/٢٦
١٦٥	عمر أبو ريشة	دمشق	إبلاغه بسفر أبو ريشة إلى حلب	١٩٣٥/١٠/٧
١٦٧	سليمان نجيب	باريس	طلب قصيدة (المسلول) لتمثيلها	١٩٣٥/٩/٢٠
١٧١	الدكتور محمد صبحي أبوغنيمة	عمّان	طلب قصيدة لنشرها في جريدة يافا	١٩٣٤/٤/٥
١٧٣	فؤاد.....	باريس	إبلاغه بصدى إلقاء إحدى قصائده في باريس	١٩٣٤/٣/١٤
١٧٩	وصفي قرنفلي	حمص	قصيدة تحية وإشادة بقصيدة (مصرع النسر)	١٩٣٣/١٢/٥
١٨٧	رشيد نخلة		تمنيات بشفاء الشاعر	١٩٣٣/١١/٢٤
١٨٩	بشر فارس	الاسكندرية	إشادة بالشاعر وبإحدى قصائده	١٩٣٣/١٠/٢٦
١٩١	محمد الهراوي	القاهرة	إبلاغه بزيارة الهراوي للبنان	١٩٣٣/٧/١٥
١٩٣	نصيف فضل	مكسيكو	إشادة عالية بالشاعر وإبداعاته	١٩٣٣/٧/١٣
١٩٩	د.عبدالكريم العائدي	دمشق	طلب نظم (نشيد الشباب)	١٩٣٣/٥/١٨
٢٠١	منير العجلاني	دمشق	استفسار عن الأسئلة واستعجال القصيدة	١٩٣٣/٤/٢٦
٢٠٣	منير العجلاني	دمشق	طلب قصيدة «دمشق» وأسئلة صحفية	١٩٣٣/٢/١
٢٠٥	بركات بركات	القاهرة	تحية واعتذار	١٩٣٢/١٢/٢٧
٢٠٧	محمد أمين حسونة	القاهرة	تحية وتقدير	١٩٣٢/١٢/٢٤
٢٠٩	نجيب بك هواويني	دمشق	إبلاغه بوصول وسام الاستحقاق للهواويني	١٩٣٢/٩/١٢
٢١١	أديب التقي	دمشق	إرسال بعض القصائد لنشرها	١٩٣٢/٤/١٣
٢١٣	فؤاد صروف	القاهرة	إبلاغه باستخراج درس من قصائده	١٩٣٢/١/٢٩
٢١٥	فؤاد صروف	القاهرة	تهنئة بسلامة الوصول لمصر	١٩٣١/١٢/٥
٢١٧	محمد سليمان الأحمد	اللاذقية	إعجاب بقصيدة (عمر ونعم)	١٩٣١/٦/١
٢١٩	جمال الملاح	القاهرة	رسالة اعتذار وأبيات شعرية	١٩٣٠
٢٢١	مارون عبود	جبيل	تحية واعتذار	١٩٣٠/١٢/٢٨

٢٢٣	الياس فرحات	لابا(البرازيل)	شكر على نشر قصيدة وطلب (البرق)	١٩٣٠/١٢/٢٧
٢٢٥	أمين نخلة	بيروت	اعتذار لعدم زيارة الشاعر	١٩٣٠/٧/٨
٢٢٩	نعوم مكرزل	نيويورك	رسالة حول الشاعر (شبلي بك ملاط)	١٩٣٠/٦/١٧
٢٣١	نعوم مكرزل	نيويورك	رد على رسالة وطلب إرسال (البرق)	١٩٣٠/٦/١٣
٢٣٣	عبدالغني سني بك	القاهرة	تحية وعتاب وطلب نشر إعلان	١٩٢٤/١٠/٢
٢٣٧	خليل مردم بك	دمشق	شكر على حفاوة الأخطل به	١٩٢٢/٦/٢٠
٢٣٩	نعوم مكرزل	نيويورك	عرض للشاعر لمراسلة (الهدى) في نيويورك	١٩٢١/٨/٢٩
٢٤١	محمد سليمان الأحمد	اللاذقية	شكر على مناصرة الأخطل له	١٩٢١/٣/٢١
٢٤٣	رشيد نخلة		تحية وتقدير	١٩٢١/١٢/١٥
٢٤٥	عبدالباسط فتح الله	بيروت	تقدير لمقال الأخطل في المولد النبوي	١٩٢٠/١١/٢٥
٢٤٩	أنطون الجميل	القاهرة	طلب نشر برقيات تدعم استقلال لبنان	١٩٢٠/٦/١٥
٢٥١	إيليا أبو ماضي	نيويورك	استفسار عن (عائلة أبو ماضي)	١٩١٩/٣/٢٣
٢٥٥	بشير يموت	بيروت	قصيدة حنين لانقطاعه عن حلقة الأصدقاء	١٩١٦/١٠/١٦
٢٥٧	سليم سركيس	القاهرة	ارسال جائزة للشاعر لفوز إحدى قصائده	١٩١٣/١١/١٧
٢٥٩	أمين تقي الدين	القاهرة	تحية للشاعر وإبلاغه بتسلم (صدى البرق)	١٩١٢/٥/٢٣
٢٦١	محمد إمام العبد	القاهرة	تقديم قصيدة إمام لمسابقة وطلب (البرق)	١٩١١
٢٦٣	محمد إمام العبد	القاهرة	آخر رسالة لإمام يشكو تدهور صحته	١٩١١
٢٦٧	محمد إسعاف النشاشيبي	القدس	عتاب لعدم نشر قصيدة	١٩١١/١/٣٠
٢٦٩	الشيخ محمد الغنيمي التفتازاني	القاهرة	تحية وطلب نشر مقالة	١٩١٠/١٢/٢٤
٢٧١	اسكندر عمون بك	القاهرة	وعد بإرسال مساهمات لـ (البرق)	١٩١٠/١٢/٢٢
٢٧٣	أمين الريحاني	لندن	شكوى من الغربة وحنين للوطن	١٩١٠/٦/٢٠
٢٧٩	زكي مغامز	الآستانة	إشادة بالرصافي وطلب التعرف على ندرة المطران	١٩١٠/١٠/٢
٢٨١	جميل صدقي الزهاوي	بغداد	طلب مناصرة الصحف السورية له	١٩٠٩/٧/١٤
٢٨٣	معروف الرصافي		اعتذار عن انقطاع المراسلة	١٩٠٨/٢/١٧
٢٨٥	معروف الرصافي		تحية وإشارة لقصيدة «أيتها الكعاب»	١٩٠٧/٢/٣
٢٨٩	حول الرسائل			
٢٩٣	الفهرس			

****